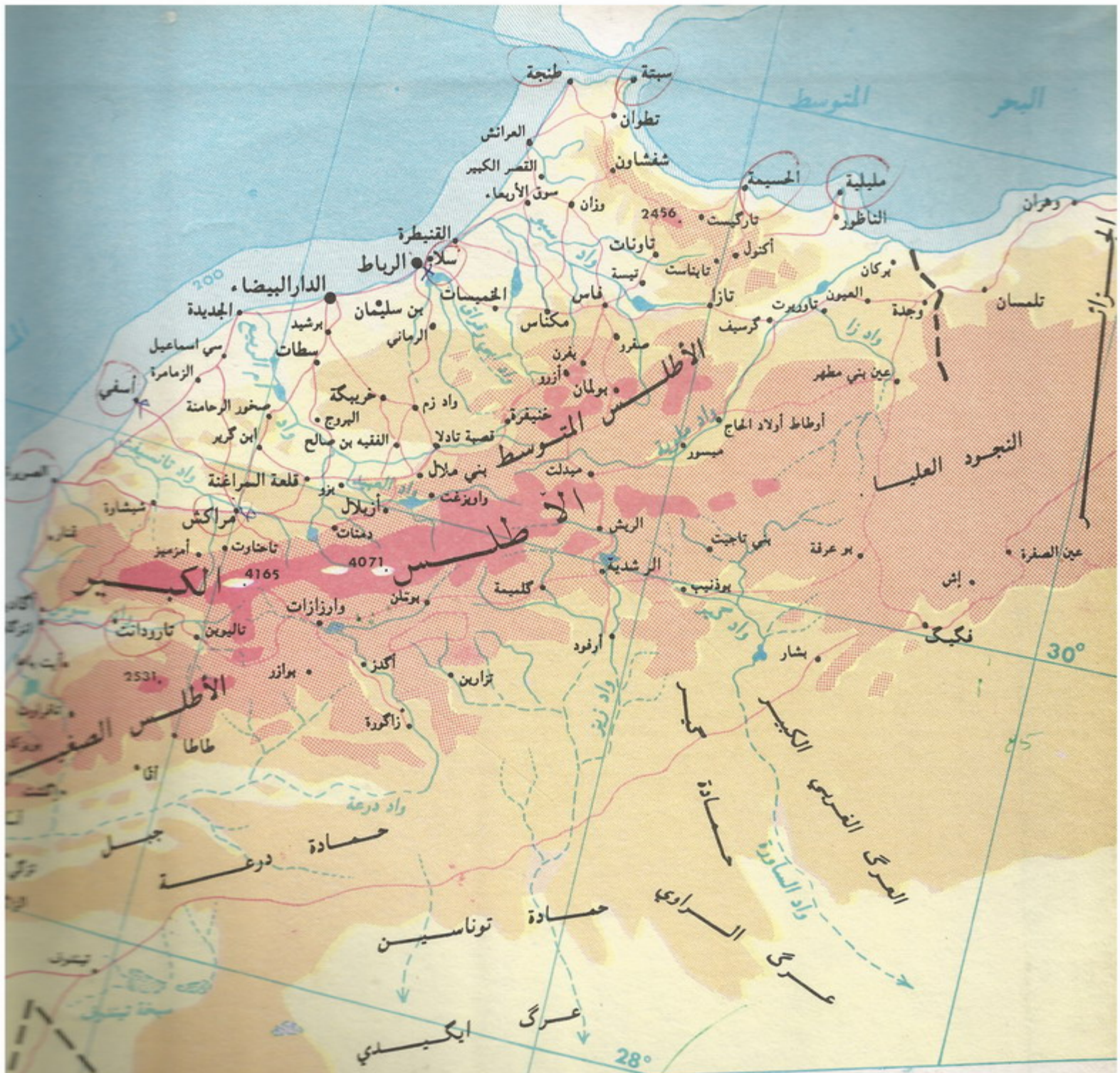








سورة الاحزاب



## مفتاح الخريطة

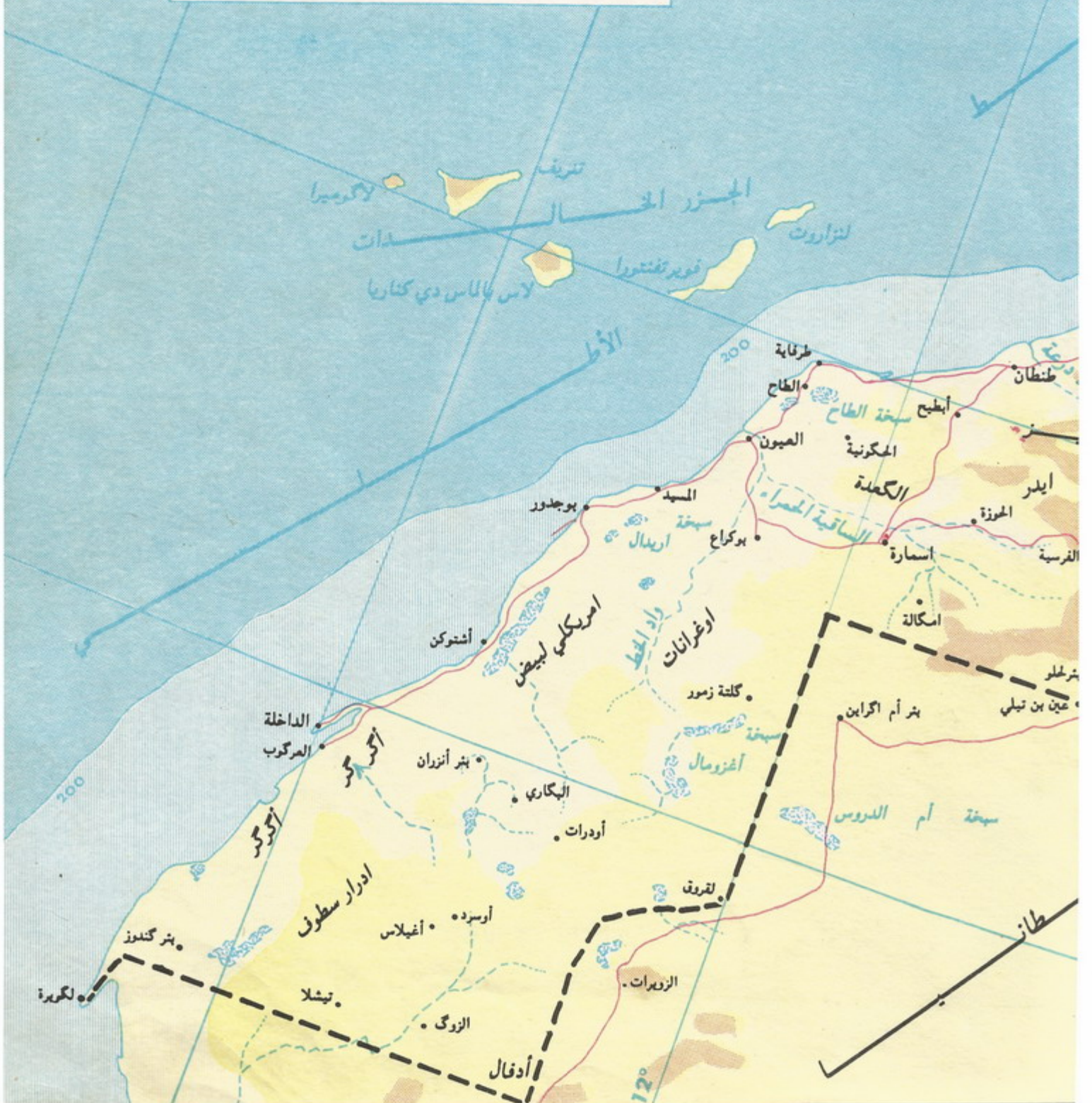
-  نهر
-  أهم الطرق والمسالك
-  حدود دولية
-  سد مهم

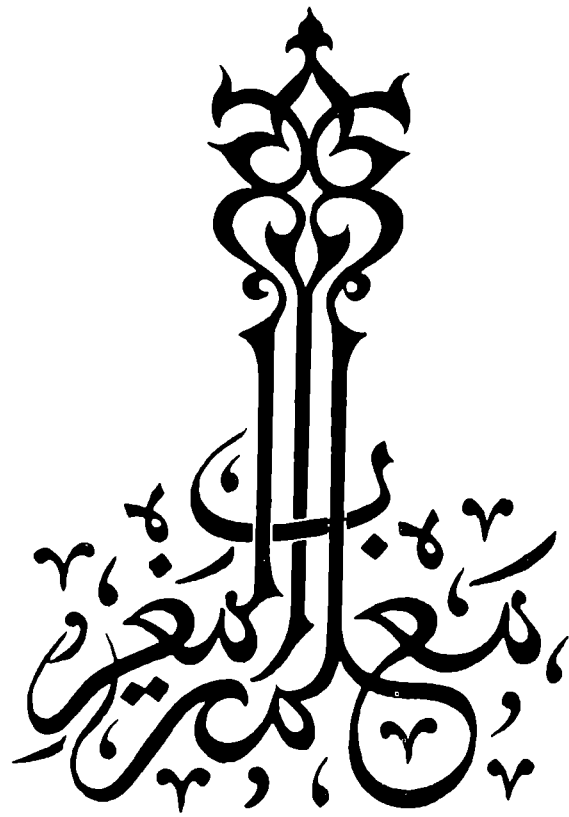
-  من 0 إلى 200 متر
-  من 200 إلى 500 متر
-  من 500 إلى 1000 متر
-  من 1000 إلى 2000 متر
-  من 2000 إلى أكثر من 3000 متر
-  أكثر من 4000 متر

# المغرب خريطة عامة

مقياس : 1/5000.000

200 كلم 100 0 50 كلم





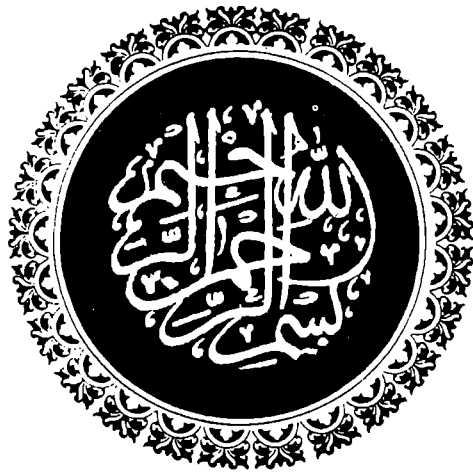
المغزيب الأفضى

رقم الإبداع القانوني  
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط  
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة . جزئياً أو كلياً بأي شكل كان . محفوظة  
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

© COPYRIGHT IMPRIMERIE DE SALE

ردمكا 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)  
ردمكا 4 - 007 - 03 - 9981 (الجزء 7)







المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريف، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط



## اختصارات

ت. د =	توفي
ت.ح =	تحقيق
ت.ر =	ترجمة
خ. ت =	خزانة تطوان
خ. ح =	الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص =	الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع =	الخزانة العامة بالرباط
خ. ق =	خزانة القرويين بفاس
خ. ي =	خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت =	دون تاريخ
د. د. ع =	دبلوم الدراسات العليا
د. م =	دون مكان
ط =	طبعة
← =	انظر

\* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

## المشاركون في تحرير مواد حرف التاء

- محمد أزهار، كلية الآداب - المحمدية.  
 سعيد أعراب، باحث - تطوان.  
 الحسين أفا، كلية الآداب - أكادير.  
 عمر أفا، كلية الآداب - الرباط.  
 المختار الأكحل، كلية الآداب - المحمدية.  
 عمر أكران، معهد الآثار - الرباط.  
 الحسين ألواح، باحث.  
 محمد الوزاد، باحث.  
 حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية.  
 محمد أمين، باحث.  
 حسن أنشاد، باحث.  
 حمدي أنوش، كلية الآداب - أكادير.  
 مبارك أوسديد، باحث - الرباط.  
 محند أيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.  
 محمد أيت حمزة، كلية الآداب - الرباط.  
 بلغازي باختي، باحث.  
 عبد الحميد محيي الدين الباعمراني، كلية اللغة العربية - مراكش.  
 عبد الكبير باهني، وزارة السكنى والتعمير - الرباط.  
 محمد البايك، كلية اللغة العربية - مراكش.  
 محمد البدرائي، المعهد الزراعي - الرباط.  
 عكاشة برحاب، كلية الآداب - المحمدية.  
 الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير.  
 محمد بلعربي، باحث - الرباط.  
 عائشة البلغيثي العلوي، كلية الآداب - الرباط.  
 عبدالعزيز بلّ الغايدة، كلية الآداب - القنيطرة.  
 البيضاء بلّكامل، كلية الآداب - الرباط.  
 رقية بلّمقدم، المركز التربوي الجهوي - مكناس.  
 علي البلبيشي، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد بنجلون، باحث - الرباط.  
 زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية.  
 محمد بنشريفية، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.  
 عبد العزيز بنعبد الله، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.  
 عبد المالك بنعبيد، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا.  
 عبد الرحيم بنعلي، كلية الآداب - بني ملال.  
 عمر بنميرة، كلية الآداب - الرباط.  
 محمد بوخيزة، باحث - تطوان.  
 عبد القادر بوراس، المركز التربوي الجهوي - القنيطرة.  
 رحمة بورقية، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس.  
 عيسى البوزيدي، كلية الآداب - القنيطرة.  
 محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط.  
 أحمد بوشروب، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين السبع.  
 مصطفى بوشعراء، باحث - سلا.  
 عبد الله بوصحابة، المعهد العلمي - الرباط.  
 إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط.  
 بوشتي بوعسوية، كلية الآداب - مكناس.  
 عبد العزيز بوعصاف، كلية الآداب - القنيطرة.  
 أحمد بوكوس، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد بومزكو، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت.  
 جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط.  
 محمد بن تاويت التطواني، باحث - تطوان.  
 عبد العزيز تودي، وزارة الشؤون الثقافية - الرباط.  
 أحمد التوفيق، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.  
 أحمد توفيق الزينبي، وزارة الفلاحة.  
 عبد العزيز تيلاني، كلية اللغة العربية - مراكش.  
 محمد جادة، كلية الآداب - الرباط.  
 الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.  
 محمد الجوماني، باحث.  
 عمر الجيدي، دار الحديث الحسنية - الرباط.  
 محمد هجي، كلية الآداب - الرباط.  
 عبد الرحمان الحرايجي، كلية الآداب - وجدة.  
 فاطمة الحراق، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.  
 إبراهيم خركات، كلية الآداب - الرباط.  
 عبد الجليل حليم، كلية الآداب - فاس.  
 محمد حمام، كلية الآداب - الرباط.  
 العربي الحمدي، كلية الآداب - بني ملال.  
 محمد حنداين، باحث.  
 محمد حنيني، كلية الآداب - الرباط.  
 علال الخديمي، كلية الآداب - الرباط.  
 محمد خنقار، باحث.  
 نجاة الخياطي، باحثة.  
 مارية دادبي، كلية الآداب - وجدة.  
 المهدي الدليرو، وزارة الثقافة - الرباط.

- المفضل نوحه، باحث.
- نفيسة الازهبي، كلية الآداب - القنيطرة.
- محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش.
- محمد رزق، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق.
- حسن رشيق، باحث.
- محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط.
- محمد رمضان، وزارة التربية الوطنية - وجدة.
- بوجمعة رويان، باحث.
- محمد زرهوني، كلية الآداب - الدار البيضاء.
- العياشي الزيتوني، وزارة الجالية المغربية بالخارج - الرباط.
- محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا.
- رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش.
- عبد المالك السلوي، كلية الآداب - المحمدية.
- محمد السماحي، كلية الحقوق - الرباط.
- الميلود شاكر، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد شحلان، مكتب التعريب - الرباط.
- محمد شقرون، كلية الآداب - الرباط.
- محمد الشياطيني، باحث - الرباط.
- محمد صابري، كلية الآداب - أكادير.
- علي صدقي ازايكو، كلية الآداب - الرباط.
- السعدية صريح، باحثة.
- محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء.
- عبد الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
- عبد الله عاصم، كلية الحقوق - الرباط.
- عبد العزيز بن عبد الجليل، المعهد الوطني للموسيقى - مكناس.
- الموساوي العجلوي، كلية الآداب - مراكش.
- أحمد عزوي، كلية الآداب - القنيطرة.
- محمد ابن عزوز حكيم، باحث - الرباط.
- عبد الرحيم العطوي، كلية الآداب - الرباط.
- عز الدين العلام، كلية الحقوق - المحمدية.
- حسن علوي حافظي، كلية الآداب - مراكش.
- عبد الله العمراني، باحث - تطوان.
- محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة.
- أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش.
- عبد الله العويطة، كلية الآداب - الرباط.
- مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط.
- عبد الله العياشي، باحث.
- عبد القادر الغزالي الخزان، باحث.
- إدريس فاسي، كلية الآداب - الرباط.
- عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة.
- يحيى أبو الفرح، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
- حليمة فرحات، معهد البحث العلمي - الرباط.
- حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة.
- محمد فلا، باحث.
- مصطفى فنيتر، كلية الآداب - مراكش.
- عبد القادر القادري، كلية الحقوق - الرباط.
- أحمد قدور، كلية الآداب - القنيطرة.
- زهرة قنينية، معهد الآثار - الرباط.
- أ. الكانوني، باحث.
- محمد كربوط، كلية الآداب - الرباط.
- محمد كلال، باحث.
- حسن اللبادي، وزارة البريد - الرباط.
- محمد اللحية، كلية الآداب - أكادير.
- جاك ليفرا، باحث.
- سيمون ليفي، كلية الآداب - الرباط.
- حسن ليمان، محافظ مدينة ويلي الأثرية.
- محمد ماكامان، كلية الآداب - مراكش.
- رضوان مبارك، كلية الآداب - مراكش.
- محمد مجذوب، كلية الآداب - المحمدية.
- الحسن المحداد، كلية الآداب - أكادير.
- محمد مستاوي، باحث - الدار البيضاء.
- الصدیق معینو، وزارة الاعلام - الرباط.
- محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط.
- عبد الرحمن الملحوني، باحث - مراكش.
- محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط.
- عثمان المنصوري، كلية الآداب - الدار البيضاء.
- محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط.
- محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط.
- مصطفى مولاي أرشيد، كلية الآداب - الرباط.
- فاطمة الموني، باحثة.
- مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط.
- رشيدة نافع، كلية الآداب - المحمدية.
- زهرة النظام، كلية الآداب - المحمدية.
- محمد الحبيب نوح، كلية الآداب - أكادير.
- أحمد الهاشمي، باحث.
- محمد عبد الجليل الهجراني، المتحف الأثري - الرباط.
- المختار الهراس، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد هوذالي، كلية الآداب - مراكش.
- علي واحدي، كلية الآداب - فاس.
- أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة.
- الطاهر وعزيز، كلية الآداب - الرباط.

## بيبليوغرافيا إضافة إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

- ع. م. إبراهيم،  
حقيقة التبشير، مجلة الوعي الإسلامي، ع 180، أكتوبر 1979.
- ج. أبو النصر،  
طرق صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية، 1965.
- ع. الاجهوري،  
غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان، مخطوط.  
ج. احبار،  
دراسة النمو الحضري لمركز تنغير، بحث لنيل الاجازة، فاس، 1989.  
احتلال درعة : مراحل وحيثياته، أعمال ندوة كلية الآداب بأكادير، نونبر 1992.
- ب. الاشبيلي،  
كتاب التيسير في صناعة التسفير، نشر. ع. كنون، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدري د،  
ع. 7. 8. 1959. 1960.
- ع. الاشقر،  
منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الإشراف التربوي، ندوة الإشراف التربوي بين  
النظرية والممارسة، الدار البيضاء، 22. 23 أبريل 1994.
- إقليم ورزازات،  
مونوغرافيا إقليم ورزازات، منجزات وآفاق، مارس 1986، ورزازات، 1986.
- م. الاكل،  
انتشار المكننة الزراعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية : مثال من بلاد  
زمور، جماعة أيت ميمون، د. د. ع. الرباط، 1987.
- ع. امحاند،  
خطر المبشرين في المغرب، الميثاق، 8 مارس 1970، 23 نونبر 1970.
- ع. أمير،  
الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حصو، الدار البيضاء، 1980.
- ع. أمهان،  
الفنون المغربية الأصيلة، مجلة أبعاد فكرية، ع 2، 1989.
- ص. أمين،  
الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، عمان، 1978.

- ع. أمين،  
الإشراف التربوي : واقع وآفاق، المجلة التربوية، ع 2.
- ج. أوفيد،  
اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية، 1905 - 1955، الدار البيضاء، 1988.
- د. إيكلمان،  
الاسلام في المغرب، الدار البيضاء، 1989.
- أ. باب التنبكتي،  
اللمغ في الاشارة إلى حكم طينغ، مخطوط.
- ع. باينة،  
التنظيم الإداري بالمغرب، الدار البيضاء، 1991.  
شرعية الاصلاح الحقيقي في التعليم العالي، الاتحاد الاشتراكي، ع 2815، 21 أبريل 1991.  
المختصر في القانون الإداري المغربي، الدار البيضاء، 1985.
- ع. بدوي،  
مقالات الاسلاميين، بيروت، 1971.
- البقدوري،  
إتحاف أهل البدو والقرى.
- خ. بقطاش،  
الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879، مجلة الثقافة، ع 61، 1401 هـ.
- ع. البكريوي،  
الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1990.
- أ. بل،  
الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، تر. ع. بدوي، بيروت، 1987.
- أ. ابن المامون البلغيثي،  
الابتهاج بنور السراج، القاهرة، 1319 هـ.
- ع. بلقاسم،  
تاريخ عائلات سلا.
- م. بنشريف،  
حول كتاب المستفاد، دعوة الحق، ع 259.
- ع. بنشنتهو،  
النظام الإداري بالمغرب، الرباط، (د. ت).
- ع. بنعبد العالي،  
الترجمة والثقافة، الوحدة، ع 61 - 62.

- ف. بوخريص،  
أحيدوس، معلمة المغرب، ج 1، الرباط، 1989.
- م.ع. بوخلفة،  
الطريق لمعرفة القصر الكبير، تطوان، 1972.
- ر. بورقية،  
العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، ع 7، 1984.
- أ. البوسعيدي،  
بذل المناصحة في فعل المصافحة، مخطوط.
- م. بوسلام،  
تفتيش التعليم بين النصوص والواقع، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، الرباط، 1986  
1987.
- م. بوشعراء،  
قبيلة بني حسن، 1860 - 1912، مخطوط.
- ع. بوفتاس،  
أمانوز، لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية، الدار البيضاء، 1991.
- خ. بوقرعة،  
الترجمة واللغة والهوية القومية، الوحدة، ع 61 - 62.
- ح. بولقطيب،  
جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط، الاتحاد الاشتراكي الملحق الثقافي، 5 يناير 1992.  
- بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي،  
الرباط، 1985.
- م. التراب،  
نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ، ضمن كتاب نظرات في الفقه والقانون، ج 1،  
الرباط، 1992.
- تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق، المركز الوطني لتنسيق  
وتخطيط البحث لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الرباط، غشت 1989.
- ع. التامنارتي،  
ديوان، مخطوط. خ.ح.
- م. التاودي السقاط،  
خرق العوائد، مخطوط، خ.ع. 52 ك.
- م. ابن تاويت التطواني،  
تاريخ سبتة، الدار البيضاء، 1982.

- أ. التجيبي،  
برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، تونس، 1981.  
مستفاد الرحلة والاعتراب، تح. ع. منصور، تونس، 1975.
- أ. التستاوتي،  
شرح واردات العياشي التستاوتي، مخطوط، خ. ع. د 2010.  
نزهة الناظر : شعر التستاوتي، جمع وتح. عبد اللطيف شهبون، د. د. ع. الرباط، 90 - 1991.
- أ. التطواني،  
الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي، بحث الإجازة، الرباط، 80 - 1981.
- ع. التفرغرتي،  
تراجم بعض علماء سوس، مخطوط.  
- تقايد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى، الرباط.
- ع. التليدي،  
حياة الشيخ أحمد بن الصديق.
- ع. التميمي،  
التفكير الديني والتشيري لدى عدد من المسؤولين افرنسيين في الجزائر خلال القرن 19، المجلة  
التاريخية المغاربية، ع 1، يناير 1974.  
دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس، المجلة التاريخية المغاربية، ع 3، يناير 1975.
- م. التميمي،  
المستفاد، قطعة مخطوطة.
- ع. توري،  
المسح الأثري بحوض سبو ومنطقة غمارة : نتائج الموسم الأول، مجلة كلية الآداب، الرباط، 11،  
1985.
- ع. التوزاني،  
رسالة في الطريقة الناصرية، مخطوط، خ. ع مجموع 2705 ك.
- م. التوغزيفتي،  
الرسالة التوغزيفية، مخطوط.
- ابن تومرت،  
أعز ما يطلب، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985.  
العقيدة، القاهرة، 1328 هـ.
- ح. م. جابر،  
الطريق إلى جماعة المسلمين، الكويت، 1984.
- م. ع. الجابري،  
أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، الدار البيضاء، (د. ت).

- ع. الجشتيمي،  
انضبيكيون، مخطوط.
- إ. الجعايدي،  
إتحاف الأخبار بغرائب الأخبار، تح. ع. معنينو، د. د. ع. الرباط، 1990.
- ت. الجعدي،  
رسالتان تتعلقان بهجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851، مخطوط، خ. ص.
- ط. جلال - م. عجاج،  
تثبيت الكتابان الرملية وتشجيرها في شمال إفريقيا، تونس، 1986.
- إ. بن الجنوي،  
أبناؤنا بين أيدي المبشرين، الميثاق، ع 72، 1963.
- م. ابن الحاج،  
إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلثة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1992.
- ت. ع. الحارتي،  
البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الأقصى قبيل الحماية الفرنسية، المجلة التاريخية المغربية ع 63-64، يوليو 1991.
- أ. ابن عاشر الحافي،  
فهرس، دراسة وتح. محمد السعديين، د. د. ع. الرباط، 90-1991.
- ع. حرازم برادة،  
جواهر المعاني وبلوغ الأمان، وبهامشه كتاب رماح حرب الرحيم على نحور حزب الرحيم لسيد عمر بن سعيد الفتوي الطوري، بيروت، 1383 هـ.
- خركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90-91-1992، الرباط، 1994.
- ع. حفيظ،  
حول الترجمة والتعريب والتغريب : مأساة المصطلح وفراغ المعنى، الوحدة، ع 61-62.
- م. ع. حلمي،  
عادات الزي في المغرب الأقصى، (د. م) (د. ت).
- ب.  
الحركات البشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تونس، 1989.
- م. حمام،  
وثائق من أيت سدرات، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1978.
- ل. الحمداوي،  
واحة تنغير : دراسة في الجغرافية البشرية، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1977.
- د. هندايين،  
تارودانت ومحيطها التاريخي، 1670-1790، ر. د. ع التاريخ، الرباط، 1993.



- م. حنيني،  
دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات، د. د. ع. الرباط، 1980.
- م. الخالدي-ع. فروخ،  
التبشير والاستعمار، بيروت 1970.
- ابن خرداذبه،  
المسالك والممالك، ليدن، 1889.
- ي. ابن خلدون،  
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1980.
- م. بن خليفة،  
القصر الكبير : أعلام أدبية وعلمية وتاريخية، القصر الكبير، 1994.
- ع. الحمليشي،  
إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين، الميثاق، ع 80، دجنبر 1968، ع 107، مارس 1970.
- سيدي علي خنفر،  
تقييدات شرط مسجد أفركت خلال سنتي 1344 - 1345 هـ / 1925 - 1926، مخطوط خاص.
- م. ابن أبي دينار،  
المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط. 2، تونس، 1967.
- الحافظ الذهبي،  
سير أعلام النبلاء، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984.
- م.م. رشيد،  
المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1992.
- أ. الركني،  
شفاء القلوب في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب، مخطوط.
- ح. ابن ريسون،  
فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد، تطوان، (د. ت).
- ع. زمامة،  
أسماء الحرف المعروفة بفاس، اللسان العربي، 1966.
- فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، 1980 - 1981.
- أبو بكر زنيبر،  
الحالة التعليمية في المغرب قبل الحماية وبعدها، مخطوط.
- العمل في أحكام الفقهاء، ملحق جريدة المغرب، سلا 1938 وما بعدها.
- أ. الزياتي،  
تاريخ بلدة خنيفرة، تح. محمد أ محزون، الدار البيضاء، 1986.

- ع. ابن السائح،  
بغية المستفيد لشرح منية المرید، القاهرة.  
الساحلي،  
بغية السالك في أشرف المسالك، مخطوط، خ. ع. 2630 ك.  
ع. السجلماسي،  
الإمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط.  
م. السجلماسي الرباطي،  
شرح العمل الفاسي، فاس، 1291 - 1298 هـ، ط. حجرية.  
شرح العمل المطلق، فاس.  
ابن مليح السراج،  
أنس الساري والسارب، تح. محمد الفاسي، فاس، 1968.  
ر. سعيدو،  
الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تنغير، بحث لتليل  
الإجازة، الرباط، 1989.  
أ. السفيناني،  
صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، فاس، 1919.  
أ. سكيروج،  
إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، الجزائر، 1917.  
السلطانة بنت شيخنا،  
الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار، نواكشوط، 1990.  
م. السماحي،  
في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى، مجلة نظرات في الفقه والقانون، ع 1، 1992.  
التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي : دراسة مقارنة، الدار البيضاء، 1985.  
ع. الشاذلي،  
التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، الدار البيضاء، 1989.  
م. الشامي،  
حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب  
الأقصى، وجدة، 1986.  
إ. الشراذي،  
مجالس الجماعات الحضرية والقروية، الرباط، 1983.  
م. شفيق،  
أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية، الدار البيضاء.  
الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير، 1912،  
1934، مجلة الأكاديمية، ع 4، 1989.

- م. ابن شقرون،  
مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والإسبانية، الرباط، 1982.  
مظاهر الثقافة المغربية، الرباط، (د. ت).
- م. شماعو،  
المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط، 1980.
- خ. شوقي،  
قبيلة السراغنة، د. د. ع، الرباط، 90 - 1991.
- أ. الصبيحي،  
مختصر تاريخ سلا، مخطوط، خ ص.  
ع. صدقي أزايكو،  
تيمتار، الرباط، 1989.
- أ. ابن الصديق،  
التصور والتصديق.
- م. م. الصيادي،  
التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت، 1993.
- م. ضريف،  
الإسلام السياسي في المغرب، الدار البيضاء، 1992.
- أ. الطريبق،  
أدب التستاوي من خلال نزهة الناظر، د. د. ع، الرباط، 85 - 1986.
- ع. الطيبي،  
المجتمع الريفي قبل الحماية.  
ع. عايدين،  
التوثيق : تاريخه وأدواته، بغداد، 1982.
- م. عبد شافق،  
التوسع العمراني بمركز تنغير، بحث لنيل الإجازة، أكادير، 1993.
- ح. ح. عبد الوهاب،  
خلاصة تاريخ تونس، ط. 2، تونس، (د. ت).
- م. عبده،  
الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، تقديم رشيد رضا، الجزائر، 1978.
- عبدة الشنقيطي،  
ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، القاهرة، 1951.
- م. ابن عثمان المراكشي،  
الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، الرباط، 1937.

- ع. العروسي،  
المرقبي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي، مخطوط، خ. ح. الرباط، رقم 2889.
- م. ابن عزوز حكيم،  
سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر، (تحت الطبع).  
فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان، تطوان، ع 107، 1953.  
مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، الرباط، 1989.
- ع. العسري،  
كناش في أمور البحر، مخطوط.
- أ. عصيد،  
هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب، آفاق، 1، 1992.
- م. عشيش،  
المغرب الأقصى كما رأته، القاهرة، (د. ت).
- س. علوش،  
خطاب الترجمة الأدبية : من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912-1956، طنجة،  
1990.  
شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية، طنجة، 1991.
- ح. العمراني،  
ترقية رجال التعليم بالمغرب، د. د. ع. الرباط، 1989.
- م. عياد،  
المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية (ندوة)،  
الرباط، 1994.
- أ. عياش،  
المغرب حصيلة الاستعمار، تر. عبد القادر الشاوي.
- ق. عياض،  
الغنية، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982.
- م. العيدوني،  
يتيمة العقود الوسطى، مخطوط، خ. ع. ك 305.
- علي ابن ميمون الغماري،  
رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن، مخطوط، خ. ع. 1780د.  
الرسالة المجازة في معرفة الإجازة، مخطوط، ميكروفيلم، خ. ع. 1341.
- إ. فاسي،  
الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئية، مجلة جغرافية المغرب، عدد 6.

- ع. الفاسي،  
نظم العمل الفاسي وشرحه، مخطوط، خ. ع، 1448د.  
- التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية، الرباط، 1973.
- م. الفاسي،  
التميمي والفندولوي، دعوة الحق، ع 262.  
أ. بن يحيى الفشتالي،  
فتاوى علماء فاس في الدخان، مخطوط.
- ع. الفكون،  
محدد السنان في نحر أهل الدخان، مخطوط.
- ح. الفكيكي،  
عيسى البطوئي، دعوة الحق، ع. 256.
- ع. فونتير،  
الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي، ندوة الجامعة الشتوية الثالثة، مراكش،  
1991.
- الوضعية النظامية للأساتذة الباحثين بالمغرب، د. د. ع، الرباط، 1992.
- ش. الفيتوري،  
الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي، الوحدة، ع 61 - 62.
- فيفري،  
الأرقام العربية، اللسان العربي، ع 2، 1965.
- م. قبيسي،  
علم التوثيق والتقنية الحديثة، بيروت، 1982.
- و. قدورة،  
المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق، تونس، 1986.
- ج. كاني،  
المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري، البحث العلمي، 1973.  
كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية،  
معجم الإدارة العامة، الرباط، 1984.
- ج. الكتاني،  
الرياض الريانية في الشعبة الكتانية، مخطوط، خ. ع، 497 ك.
- ع. الكتاني،  
تبليغ الأمانة، مخطوط خ. ع. الرباط، ك 2729.
- ابن الكردبوس،  
تاريخ الأندلس، مدريد، 1971.

- م. كسرير،  
أضواء على تاريخ تارودانت، خزانة معهد محمد الخامس، تارودانت.
- م. الكشور،  
عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي، الدار البيضاء، 1989.
- ع. كنون،  
شؤون إسلامية، الدار البيضاء (د. ت).  
ع. لظفي (وآخرون)،  
تاريخ الرياضيات، اللسان العربي، ع 2 و 4 و 12، ج 1 و ج 15.
- ع. لعلاوي-م. البخاري،  
النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري، الرباط، 1992.
- إ. اللقاني،  
نصيحة الإخوان باجتنب الدخان، مخطوط.  
ع. لهامي (وآخرون)،  
التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية، الرباط، 1988.
- إ. ليفي بروفنسال،  
مؤرخو الشرفاء، تر. ع. الخلافي، الرباط.
- م. ماكامان،  
أدب الرحلة عند المغاربة، د. د. ع كلية الآداب، الرباط.
- ت. الماكري،  
بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة. بحث للإجازة، أكادير، 1987.
- ح. المجاهد،  
أمارك، معلمة المغرب، ج 2، الرباط، 1989.
- مجهول،  
الابتسام عن دولة ابن هشام، مخطوط، خ. ح، 12420 ز.
- مجهول،  
المحلي في مناقب الشيخ محمد بن مبارك، مخطوط، خ. ج 726.
- مجهول،  
المرأة المغربية والحلي، العلم، ع 870، 28، أبريل 1974.
- مجهول،  
مجموع الدخان، مخطوط.
- مجهول،  
معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه، الرباط، 1967.

- م. محجوبي،  
الغرامة التهديدية وتطبيقتها، الرباط، 1993.
- أ. ابن أبي محلي،  
الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية، مخطوط،  
المختار ولد حامد،  
حياة موريتانيا، 1994.  
مديرية الإحصاء،  
النشرة الإحصائية السنوية للمغرب، الرباط، 1990.
- م. مرغيني،  
المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي، الرباط، 1984.  
الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1978.  
المركز الوطني للوثيق،  
دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب، الرباط، 1992.
- ح. مرواني،  
حول البنية الزراعية في تدغة، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1979.
- م. مستاوي،  
أسايس، الرباط، 1988.  
إسكراف، الدار البيضاء، 1976.
- م. المنوني،  
إمارة بني يدر بسوس، مجلة دراسات، أكادير، ع 1، 1987.  
تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة،  
الرباط، 1991.  
حضارة وادي درعة، دعوة الحق، س 18، ع 2، 1973.  
مدائن مكناسة القديمة من العصر الادريسي إلى أواخر عصر الموحدين، أعمال ندوة المحاضرة  
الإسماعيلية، مكناس، 1988.
- ابن موسى تيسير،  
الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها. الناشر العربي، أكتوبر 1987، ع 7.  
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، 1982.
- ص. المومني،  
أوسان صميصدين، الدار البيضاء، 1983.
- م. ميارة،  
نظم اللآلي والدرر، مخطوط، خ. ح، 3702.

- خ. المير، -إ. قاسمي،  
التشريع الإداري والتسيير التربوي، الدار البيضاء، 1982.
- ع. ناصيف،  
الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية. الوحدة، ع 61 - 62.
- إ. نحال،  
التصحرفي الوطن العربي، بيروت، 1987.
- أ. الندوي،  
الشيخ إلياس وحركته الدينية، (د. ت).  
في مسيرة الحياة، دمشق، 1987.
- النقابة الوطنية للتعليم العالي،  
نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلته البحث العلمي، الرباط، 1989.
- م.ع. الهجراوي،  
أشعار، معلمة المغرب، ج 2.  
اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ : من قضايا المصطلح، مجلة كلية الآداب، الرباط،  
ع 15.
- بلاد سيدي علال البحراوي، معلمة المغرب، ج 3.  
الحضارة الأشولية، معلمة المغرب، ج 2.  
منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة  
الأولى، الريصاني، 1989.
- ي. هلال،  
النظام التوثيقي العربي، تونس، 1984.
- ت. الهلالي،  
السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم، الدار البيضاء، 1979.
- هوسي ميراندا،  
علي بن يوسف وأعماله بالأندلس، تطوان، ع 3 - 4. 1958.  
وقعة أفليس ومصراع دون شانحة، تطوان، ع 2، 1957.
- ع. ابن الهيثم،  
البغية في ترتيب أحاديث الجلية، مخطوط، خ. ع رقم 2842 ك.
- م. الوزاد،  
ابن تومرت الأندلسي، مجلة كلية الآداب، فاس، 11، 1990.
- وزارة التربية الوطنية، التعليم العالي،  
تطور التعليم الجامعي بالأرقام.



## وزارة التربية الوطنية،

- تطور التعليم الجامعي بالأرقام.  
التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام، الرباط، 1985.  
الدخول المدرسي والجامعي بالأرقام، 93 - 1994، الرباط، 1993.  
منجزات وآفاق، الرباط، 1983.  
نحو نظام تربوي جديد، الرباط، 1980.  
هيكلية التعليم الثانوي، الرباط، 1994.  
وثيقة إصلاح نظام التعليم، الرباط، 1985.  
وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي، الرباط، 1985.  
وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، كتابة الدولة في تكوين الأطر،  
آفاق مهنية، الرباط، 1979.

## وزارة التعليم وتكوين الأطر،

التعليم، الحالة، المشاكل، الاهداف، الرباط، 1970.

## وزارة الداخلية،

وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية، ج. ر، عددان 4164 و4165.

## وزارة السكن والتعمير،

تعداد السكان، 1982.

## وزارة الشؤون الإدارية،

الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية، الرباط، (د. ت).

## م. الوطواط،

*Extraits inédits relatifs à l'histoire du* مناهج الفكر ومباج العبر، ضمن كتاب

. Maghreb, Alger, 1924

## ف. ولعلو،

الاقتصاد السياسي، الدار البيضاء، 1974، ج 2 .

## ف. يكن،

الموسوعة الحركية، عمان، 1983.

## ح. اليوسي،

القانون، فاس، 1315 هـ، ط. حجرية.

**Supplément**  
**à la bibliographie des ouvrages et des articles cités**  
**dans l'encyclopédie avec leurs abréviations**

- ABENSOUR, L. - *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du Nord*, [s.d.].
- ADAM, A. - *La Maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Rabat, 1951.
- ADNAN, E. - *L'Artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.
- AHRENS, L.H. - *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.
- AÏSSATI, A. EL. - *A study of the phonotactics of Ayt Touzin Tarifiyt Dialect*, D.E.S., Rabat, 1989.
- AKERRAZ, A. - BROUQUIER, V. - LENOIR, E. - *L'Occupation antique de la plaine du Gharb, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).
- AKERRAZ, A. - LENOIR, M. - *Les Huileries de Volubilis*, B.A.M., 14, 1982.
- AKERRAZ, A. - REBUFFAT, R. - *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas*, in *113ème Congrès des Sociétés Savantes*, Strasbourg, 1988.
- ALIMEN, H. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955.
- ALLUES, E. des. - *Toumliline à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961.
- ALPHONSE. - *L'Achèvement de la pacification marocaine : méthodes et programme*, R.M.F., 1935.
- AMEUR, M. - *Fés ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.
- Annuaire des assurances du Maroc*, 1991, Casablanca, 1992.
- ANTOINE, M. - *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc Central*, B.S.P.M., IV, Fasc. 1, 1930.
- ANTOINE, M. - *L'Atérien du Maroc atlantique : sa place dans la chronologie nord-africaine*, B.S.P.M., XIX, 1950.
- ANTOINE, M. - *Les Grandes lignes de la préhistoire marocaine*, IIème congr. Panafr. Préhist., Alger - Casablanca, 1952.
- ANTOINE, M. - *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa*, B.S.P.M., VIII, 1934.
- ANTOINE, M. - *La Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes*, Soc. Sc. Nat. du Maroc, 1948.
- ANTOINE, M. - *La Question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : historique et mise au point*, B.S.P.M., XIV, 1937.
- ANTOINE, M. - *Répertoire préhistorique de la Chaouia*, B.S.P.M., T.1, 1927.
- ANTOINE, M. - *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar-es-Soltan*, Soc. Sc. Nat. Maroc : C-R. Séances mensuelles, n° 1, 1949.
- AOUAD, R. - *Réseaux marocains en Afrique subsaharienne*, R.M.E, n° 4, 1993.
- ARAMBOURG, C. - *Les Corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique*, Bull. Soc. Géol. de France, 7ème Scr., XI, n° 1, 1969.
- ARAMBOURG, C. - *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Paris, 1979.
- ARNOLD, R. - *The Islamic book : a contribution to its arts and history from the VII - XVIII century*, Leipzig, 1929.
- ARQUES, E. - *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953.
- ASSY. - *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne, 1980.
- AYOUB, E. - *La Fonction publique*, Paris, 1975.
- AYOUN, R. - COHEN, B. - *Les Juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, Paris, 1982.

- AZAM, P. - *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 16 Mai 1946.
- BACAICOA, D. - *Inventario de la Hemeroteca de Tetuan*, Tetuan, 1953.
- BAHANI, A. - *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa Moyen*, Th. Doct., Rouen, 1990.
- BALDAOUI, J. - *Les Arts indigènes au Maroc*, Paris, [s.d].
- BALOUCHE, A. - *Paléoenvironnement de l'homme fossile halocène au Maroc : apport de la palynologie*, Th. Bordeaux I, 1986.
- BALOUT, L. - *L'Homme préhistorique et la Méditerranée occidentale*, R.O.M.M., n° 3, 1967.
- BALOUT, L. - *Préhistoire de l'Afrique du Nord : essai de chronologie*, Alger - Paris, 1955.
- BARDE, M.M. - *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990.
- BARY, L. - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighite*, Rabat, 1983.
- BATES, O. - *The Eastern Libyans*, London 1914 (1970).
- BAYED, A. - *Le Milieu marin*, in G.E.M. : géographie physique, Rabat, 1987.
- BAZIN, D. - *Etude géologique et métallogénique des chainons atlasiques du Tizi-N'Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc*, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc, n° 206, 1968.
- BAZIN, V. - TERRAY, E. - *Guerres de lignages et guerres d'Etats en Afrique*, Paris, 1982.
- BAZZANA, A., [et al...]. - *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc*, B.A.M., 1983 - 1984.
- BEACH, P. - DUNPHY, W. - *Benedictine and Moor and Christian adventure in Moslem Morocco*, New-York, 1960.
- BEAUBRUN, P.C. - *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Souza teuszii (Kukenthal, 1892)*, Mammalia, 54, 1990, 1.
- BEAUDET, G. - *Le Plateau central marocain et ses bordures : étude géomorphologique*, Rabat, 1969.
- BEAUDET, G. - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, (P.S.A.M. ; 17).
- BEAUDET, G. - *Les Plus anciennes industries du Maroc*, 9ème Congrès de l'U.I.S.P.P., 1976.
- BEAUDET, G. - *Le Quaternaire marocain : état des études*, R.G.M., n° 21, 1971.
- BEAUPERE, - *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental*, in *Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 9, 1931.
- BELHOMME - *Les armes dans le Sous occidental*, A.B., Vol. 2, fasc. 1, 1917.
- BELHOMME, - *Les Poignards du Sous*, F.M., n° 5, 15 Mai 1917.
- BELLAOUI, - *Un exemple de régionalisation au Maroc : la région économique du Tensift*, *Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989.
- BELLICHI, A. - *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain*, *Espace Rural*, n° 25, Juin 1991.
- BELLON - HUMBERT, C. - *Les Mollusques marins testacés du Maroc : premier supplément*, Rabat, 1973.
- BEN CHENE, M. - *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908.
- BENABID - BOUSQUET - MAHE, - *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Rabat, 1993.
- BENABID, A. - MAHE, - *Plan de Gestion du Parc Naturel de Talasemtane*, Rabat, 1994.
- BENCHEKROUN, M. - *L'Education et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985.
- BENHAZERA, M. - *Six mois chez Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908.
- BENJELLOUN, A. - *Droit administratif*, Rabat, 1984.
- BENSEDDIK, N. - *La Pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin*, *Africa Romana, Atti del VI Convegno di Studio Sassari*, 1988.
- BENTAHAR, M. - *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988.
- BENYOUSSEF, A. - *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc, 1956 - 1980*, Mémoire, E.S.I., Rabat, 1983.
- BERNARD, A. - *Les Régimes des pluies au Maroc*, *Mem. Soc. Sc. Maroc*, n° 1, 1er Juin 1921.
- BERNUS, E et S. - *Du sel et des dattes, Etudes nigériennes*, n° 31, 1972.

- BERQUE, J. - *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au 17ème S.*, Paris, 1958.
- BERQUE, J. - *La cité éminente, in Entretiens interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958.
- BERQUE, J. - *Etudes d'histoire rurale*, Tanger - Fès, 1938.
- BESANCENOT, J. - *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988.
- BIVAR, A.D.H. - HISKETT, M. - *The Arabic Literature of Nigeria to 1804, B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962.
- BLANCO IZAGA, E. - *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939.
- BOISSEL, De. - *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954.
- BOKBOT, Y. - *Habitat et monuments funéraires du Maroc préhistorique*, Th. Doct., Aix-en-Provence, 1991.
- BOLENS, L. - *Les Parfums de beauté en Andalousie médiévale*, Genève, [s.d].
- BONTE, P. - *L'Habitat sédentaire qsurien en Mauritanie saharienne, in Nomades et sédentaires en Asie Centrale, Actes du Colloque franco-soviétique*, Paris, 1990.
- BORY, P. - *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941.
- BOTTE, L. - *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.
- BOUABDALLAOUI, Y. - *Rapport B.R.P.M*, 1981, Rabat, 1981.
- BOUBOU, H. - *Recherches sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais*, Niamey, 1967.
- BOULANGER, A. - *Triton, in Dictionnaire Daremberg - Saglio*, Paris.
- BOULIFA, S. - *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908.
- BOUMNICH, D. - *Une pédagogie sans déchets*, Rabat, 1989.
- BOUKOUS, A. - *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Th. Doct., Univ. Paris VIII, 1987.
- BOUNFOUR, A. - *Linguistique et littérature*, Th. Doct., Univ. Paris III, 1985.
- BOURCHOUK, K. - *Etude de paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
- BOUZOGAR, A. - *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
- BOUVAT, L. - *La Parure, les vêtements et le voile, R.M.M.*, Vol. 4, 1908.
- BOUZOUBAA, K. - *L'Enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982.
- BREBION, H. - *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique : méthode d'études, variations dans le temps et dans l'espace, Cahiers du quaternaire, Hors-série : paléoclimats*.
- BRETON, J.M. - *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990.
- BRIVES, A. - *Les Richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919.
- BROWN, K. - *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), Vol. 47, 1982.
- BRUNOT, L. - *La Cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946.
- BRUNOT, L. - *Noms de vêtements masculins à Rabat, in Mélanges René Basset*, Paris, 1923, 2 Vol.
- BRUNOT - DAVID, C. - *Les Broderies de Rabat*, Rabat, 1943.
- BÜCHNER, H.J. - *L'Habitat post qsourien du Maroc présaharien, in Espace et Société dans les Oasis marocaines*, Rabat, 1993.
- BÜCHNER, H.J. - *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar : observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Ahl Todgha, in Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.
- BÜCHNER, H.J. - *Le Village post qsourien des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier, in Le Nomade, l'oasis et la ville, URBAMA*, Fasc. n° 20, Tours, 1989.
- BURCKHARDT, T. - MICHON, J.L. - *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973.
- CADENE, J. - *Le Personnel administratif et la diversité des statuts juridiques, R.M.D.C.*, n° 2, 1983.
- CAIA, J. - *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et strontium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes. Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

- CAILLE, E. - *Le Commerce anglais avec le Maroc, pendant la seconde moitié du 16ème S. : importations et exportations*, R.A., T. 84, 1940.
- CAILLE, R. - *Journal d'un voyage*, Paris, 1965.
- CELERIER, J. - *L'Instruction publique au Maroc*, B.E.S.M., Vol. 14, 1951.
- CELERIER, J. - HARDY, G. - *Les Grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922.
- CESAR MORAN, P. - GIMENEZ BERNAL, C. - *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948.
- CHADAÏ, L. - *Langages d'artisans à Marrakech*, Univ. de Paris 4, Doct. nouv. régim., 1986.
- CHAMPION, P. - *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931.
- CHARMES, G. - *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887.
- CHARNOT, M. - *La Toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943.
- CHARVET, J.P. - *La Plaine des Triffa*, R.G.M., n° 21, 1972.
- CHAUMEIL, J. - *Le Mellah et Tahal au pays des Ammeln*, Hesp., 1er - 2ème trim. 1953.
- CHAUMIER, J. - *Les Techniques documentaires*, Paris, 1988.
- CHAUVEA, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920.
- CHAZAN, N. - *Rapport B.R.P.M.*, 1951, Rabat, 1951.
- CHEIKH, A.W. - *Éléments d'histoire de la Mauritanie*, Nouakchott, 1988.
- CHEKROUN, M. - *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989.
- CHERKAOUI, A. - *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].
- Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française : réalisation, 1947 - 1951 et programmes 1952*, Paris, 1952.
- CHOUBERT, G. - *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pléistocène au Maroc*, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc, T. 25, 1965.
- CHOUBERT, G. - ROCHE, J. - *Note sur les industries anciennes du Plateau de Salé*, B.A.M., 1, 1956.
- CHOUBERT, G., [et al...], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc*, C.R.A.S., T. 243, 1956.
- CLANDOT - HAWAD, H. - *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs*, R.O.M.M., n° 44, 1987.
- CLANDOT - HAWAD, H. - *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade*, R.O.M.M., n° 51, 1989.
- CLEMENT, J.F., *Révoltes et répressions au Maroc*, Al Asas, n° 13, Jan. 1979.
- CLORIOND, L. - *Les Problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet*, B.E.M., Vol. 6, n° 17, 1937.
- CLOUZOT, H. - *Les Bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906.
- COHEN, A. - *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950.
- COLIN, G.S. - *La vie marocaine*, Paris, 1953.
- COSLON, - *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chapelle du monastère Del - Camp*, Rev. Numismatique, 18, 1853.
- CRETINEAU-JOLY, J. - *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*, Paris, 1844.
- CUVELIER, F. - *Histoire du livre : voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982.
- DAHL, S. - *Histoire du livre : de l'antiquité à nos jours*, Paris, 1960.
- DAUGAS, J.P., [et al...], - *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbonate*, C.R.A.S., T. 308, série 2, 1989.
- DAUMAS, G. - *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.
- DEBENATH, A. - *Aspect de la préhistoire marocaine*, Bull. Soc. Préh. Fr., T. 78, 1981.
- DEBENATH, A. - *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, 1991.
- DEBENATH, A. - *Dar - Es - Soltan II : rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, 1981 - 82.
- DEBENATH, A. - *Nouvelles familles à Dar-Es-Soltan : champ de tir d'El Menzeh, près de Rabat, Maroc : Note préliminaire*, Bull. Soc. Préh. Fr., T. 69, 1972.

- DEBENATH, A. - LACOMBE, J.P. - *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 12, 1986.
- DEBENATH, A. - RAYNAL, J. P. - TEXIER, J.P. - *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, T. 294, 1982.
- DECROUX, P. - *Quelques aspects de la nationalité marocaine, Hesp.*, Vol. 35, 1948.
- DELAFOSSE, M. - *Haut - Sénégal - Niger*, Paris, 1912, 3 vol.
- DELPY, A. - *Les divers types de poignards marocains, C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.
- DENOUN, - *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913.
- DENOUN, - *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924.
- DEROUT, R. - *Le Maroc doit-il avoir son université ? - Le Maroc quotidien*, 16 Déc. 1948.
- DESPUJOLS, P. - *Recherches minières au Maroc : des origines à 1930, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930.
- DETHIERS, J. - *Soixante ans d'urbanisme au Maroc, B.E.S.M.*, n° 118, 1970.
- DEVERDUN, G. - *Les Chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966.
- DEVISSÉ, J. - *Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale, in Histoire Générale de l'Afrique*, III, Paris, 1990.
- DEVISSÉ, J. - ROBERT, S. - *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970.
- Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, Rabat, 1993 - 1994, 3 Vol.
- DIDIER, CH. - *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.
- DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.
- DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Le Plan National de Reboisement (P.N.R)*, Rabat, 1971.
- DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 1994.
- DONNET, G. - *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989.
- DONNET, G. - *Une mission au Sahara occidentale : du Sahara au Tiris*, Paris, 1896.
- DOROSO, R. - *Estudio geografico - politico militar*, Madrid, 1913.
- DOULS, C. - *Voyages dans le Sahara occidental et le Sud marocain, Soc. Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888.
- DOZY, R. - *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.
- DRESCH, J. - *Le Haut Atlas occidental*, Paris, 1951.
- DRESNAY, R. du. - *Carte géologique du Haut Atlas Oriental au 1 / 200.000, Notes Mem. Serv. Geol. Maroc*, n° 158, 1964.
- DUBIEF, J. - *Une mission au Sahara occidental, Oct. - Déc. 1942, Travaux de l'I.R.S.*, 1943.
- DUVEYRIER, H. - *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864.
- ECKHOLM, E. - BROWN, L.R. - *Spreading deserts : The hand of man*, Washington, 1977.
- EL HAJRAOUI, M. A. - *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora : précisions stratigraphiques, B.A.M.*, XVII, 1987 - 1988.
- EL HAJRAOUI, M. A. - *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat, Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, n° 2, 1993.
- EL HAJRAOUI, M. A. - *La Région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1986.
- EL KHATIB, N. - *L'Archéologie marocaine de 1961 à 1964, B.A.M*, V, 1964.
- EL KIRAT, A. - *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect, D.E.S*, Rabat, 1987.
- EL MEDLAOUI, M. - *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Th. Doct., Rabat, 1992.
- EL MOUJAHID, E. - *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Th. Doct., Rabat, 1993.
- EL OUAZZANI, K. - *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991.

- EL YAAGOUBI, M. - *Le Droit administratif marocain*, Rabat, 1992.
- ENNAJI, M. - *L'Emigration rurale intérieure : causes et incidences*, in *Actes du Colloque : Population et développement rurale*, Rabat, 1989.
- Ensiklopedia Talmudit*, Jérusalem, 1954.
- ETIENNE, J. D', [et al...] - *L'Evolution sociale du Maroc*, Paris, [s.d].
- EUSTACHE, D. - *Les Ateliers monétaires du Maroc, H.T.*, XI, 1970.
- EUSTACHE, D. - *Le Corpus des dirhams Idrissites, B.S.H.M.*, n° 2, 1969.
- EUZENNAT, M. - *Tamuda, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites*, Princeton, 1976.
- FAURE, R. - *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1968.
- FERHAT, H. - *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles, les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.
- FIDEL, C. - *Le Commerce du Maroc*, [s.l], [s.d].
- FLORET, C. - *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.
- FORGET, J. - *Initiation à la documentation*, Paris, 1988.
- FORTIN, J.C. - *La Nappe phréatique salée du Tafilalet : son contrôle pour le développement de la mise en valeur, H.T.E.*, n° 7, 1973.
- FOUCAULT, A. - RAOUL, J.F. - *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988.
- FOUET, R. - POMEROL, C. - *Minerais et terres rares*, Paris, 1954.
- FRACESH, H.A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294 - 295, Janv.-Fév. 1980.
- FREYSSINET, J. - *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in *Colloque Travail et Société*, Fès, 1984.
- FUGLESTAD, F. - *Les Révoltes des Touareg du Niger, 1916 - 1917, Cahiers d'études africaines*, Vol. 13, n° 49, 1973.
- GABUS, J. - *Notes sur le Sahara occidental, J.S.A.*, XXII, 1952.
- GART, P.S. - *The American oyster, Fish. Bull.*, Vol. 64, 1964.
- GAUDEFROY - DEMOMBYNES, R. - *L'Oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928.
- GAUTIER, E.F. - *Le Chott Tigri, Annales de Géographie*, n° 135 et 136, 1916.
- GAY, L. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957.
- GEERTY, C. - *Suq : the Bazar economy in Sefrou*, in *Meaning and order in Moroccan Society*, Cambridge, 1979.
- Géologie des gites minéraux marocaine : substances métalliques et non métalliques*, Rabat.
- GHALLAHI, O.M.F. - *Essai expérimental d'élevage de l'huître plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : langune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Mem. I.A.V., 1989.
- GHIRELLI, A. - *Apuntes sobre la Cabila de Beni Iteft*, Madrid, 1956.
- GHIRELLI, A. - *Monographia de la Kabila de Bokoia, Arch. Inst. Et. Afr.*, VIII, n° 32, 1955.
- GIGOUT, M. - RAYNAL R. - *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain, C.R.A.S.*, T. 248, 15, 1959.
- GLOTIN, R. - *A la recherche de l'école de demain*, Paris, 1970.
- GOICHON, A.M. - *La Broderie du fil d'or à Fès, Hesp.*, Vol. 25, 1939.
- GOLDZIHNER, I. - *Le Livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903.
- GORICHON, - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953.
- GOURAULT, - *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.
- GOYAU, G. - *Le Christianisme sur la côte Barbaresque jusqu'au 19ème S.*, Paris, 1930.
- GOZALBEZ, E. - *Atlas arqueologico del Rif, C.B.E.T.*, 21 - 22, 1980.
- GREILSAMMER, - *La Modernisation du Paysanat, C.H.E.A.M.*
- GUARNER, V. et J. - *El Sahara y Sur maroqui españolas, Coll. Bibliogr. Militar*, XL, 1931.
- GUERSSEL, M. - *Issues in Berber phonology*, M.A. Univ. of Washington, 1976.
- GUIBERT, J. - *L'Histoire d'une ville : Tiznit*, Mem. E.H.E.S.S., Paris, 1970.
- GUILLAUME, A. - *L'Oeuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre, B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951.

- GUILLERMO GUASTAVINO, G. - *Tanger inglés*, Tanger, 1939.
- GUYOT, R. - *Les Arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957.
- HABBOUN, A. - *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
- HALLAF, J. - *A qui profite l'école*, Paris, 1974.
- HAMMOUDI, A. - *Pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIII siècles*, A.E.S.C., Mai-Août 1980.
- HARBY, M.K. - *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, 1965 (UNESCO).
- HARDY, G. - *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement*, A.F., Août 1934.
- HARRIES, M.J. - *Syntactic structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971.
- HART, D. - *A Customry law Document from Ait Atta*, R.O.M.M., n° 1, Sept. 1966.
- HART, D. - *Assu - u - Baslam*, in *Les Africains*, T. 5.
- HART, D. - *La Estructura social de las Rgaybat : nomadas arabofonos del Sahara occidental y las antecedentes del Frente Polisario*, Primer Congreso Hispano Africana de la Cultura Mediterraneas, España y El Norte de Africa.
- HATIM, A. - *La Nation d'intérêt du service dans le droit de fonction publique marocain*, D.E.S., Rabat, 1988.
- HENSCH, B. - *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rome, 1971.
- HENSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle*, El Awamia, n° 32.
- HERBER, K. - *Les Peintures corporelles au Maroc*, Hesp., Vol. 9, 1929.
- HERBER, K. - *Les Tatouages de la face chez la marocaine*, Hesp., Vol. 33, 1946.
- HERBER, K. - *Les Tatouages des bras de la marocaine*, Hesp., Vol. 38, 1951.
- HESIODE, - *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928.
- HUNWICK, J. - *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Taktur*, in Allemand Jonhson, Ed, *African perspectives*, Cambridge, 1970.
- IAZZI, E.M. - *Morphologie du verbe en Tamazight*, D.E.S., Rabat, 1991.
- IBANEZ, E. - *Diccionario español - rifeño*, Madrid, 1944.
- IBANEZ, E. - *Diccionario español - Senhayi : dialecto berber de Senhay de Serair*, Madrid, 1959.
- IBARROLA, J. - PASQUERELLI, N. - *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981.
- IBN AZZUZ HAKIM, M. - *La Prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.
- IBN AZZUZ HAKIM, M. - *Titulos vobiliano, Hispano - Maruquies*, Tetuan, 1954.
- INSTITUT DU MONDE ARABE. - *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1988.
- ISNARD, H. - *La Répartition saisonnière des pluies au Maroc*, *Annales de Géographie*.
- JACQUES MEUNIE, D. - MEUNIE, J. - *Abbar et le Tafilalet d'après les textes*, Hesp., 1 - 2 trim., 1959.
- JEAN, C. - *Les Touareg du Sud-Est : l'Air*, Paris, 1909.
- JOUANNET, C.P. - *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet*, B.E.M., n° 23, 1939.
- KAMAL, A. - *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S, Rabat, 1983.
- LAADIOUI, A. - *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de KafTaht - El - Ghar dans le cadre de la néolithisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991.
- LA BOISSIERE, G. de. - *Monographie des Ahl Tiznit*, Mém., Archives Diplomatiques, Nantes, 1940.
- LA CHAPPELLE, F. De. - *Histoire du Sahara occidental*, in *VIIème Congrès de l'I.H.E.M sur l'histoire du Sahara occidental*, Rabat, 1930.
- LA CHAPPELLE, F. De. - *Une cité de l'Oues Dra*, Hesp., IX, 1929.
- LACOMBE, J.P. - EL HAJRAOUI, M.A. - DAUGAS, J.P. - *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolithiques de la grotte d'Elmnasra, Témara Maroc*, Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W., T. 26, 3ème tri., 1991.



- LA COURBE, - *Premier voyage du Sieur La Courbe*, Ed. par P. Cultra, Paris, 1913.
- LAMRANI, N. - *Prolétarisation de la paysannerie marocaine : évolution et forme*, Th. 3ème cycle, Grenoble, 1980.
- LAOUINA, A. - *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.
- LAOUST, E. - *Le dialecte berbère du Rif*, *Hesp.*, 2ème trim., 1927.
- LARRIBAUD, J. - *Tindouf et le Sahara occidental*, *Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Sept. 1952.
- LAYACHI, A. - *La Formation professionnelle*, Mémoire, cycle Sup. ENAP, Rabat, 1971 - 77.
- LAZAREV, G. - *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaina*, *R.G.M.*, n° 9, 1966.
- LEBLANC, M. - *Etude géologique et métallénégique du Jbel Bou-Arhous, et de son prolongement oriental, Haut Atlas oriental*, *Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.
- LEBLANC, M. - *Ophiolites précambriennes et gites arséniés de Cobalt, Bou Azzer, Maroc*, *Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 1981.
- LE BRETON, J. - *La Modernisation rurale du Maroc, 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.
- LEBRUN, A. - *La Question du Rio de Oro*, A.F., 1929.
- LECOINTRE, G. - *Recherches géologiques dans la Meseta marocaine*, *Mem. Soc. Sc. Nat.*, n° 14, 1926.
- LE TEMPLIER, - *L'Enseignement supérieur au Maroc*, *B.I.M.*, Sept. 1954.
- LENOIR, M. - *Les Etablissements militaires romains d'Afrique*, Rome, 1980.
- LENOIR, M. - *Lixus à l'époque romaine*, in *Lixus, Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P.*, Larache, 8 - 11 Nov. 1989, Rome, 1992.
- Lettre pastorale aux fidèles et prêtres repandus dans le royaume du Maroc*, Paris, 1936.
- LEVI-PROVENÇAL, E. - *Al-Maghrib, vie intellectuelle*, *E.I 2*, Vol. 5.
- LEVRAT, J. - *Une expérience de dialogue : les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, 1987.
- LHOTE, H. - *Les Touareg du Haggat*, Paris, 195.
- LIMANE, H. - *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles : étude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Th. Univ. Aix-Marseille, 1988.
- LIMANE H. - REBUFFAT, R. - *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua*, in *118ème Congrès national des sociétés historiques et scientifiques*.
- LOPES, D. - *Bentafut, alcaidemouro eo servico de Por* in *Textos em aljama portuguesa, estudio filologico e historico*, Lisboa, 1940.
- LUCCIONI, J. - *Les Fondations pieuses au Maroc*, *Habous*, Rabat.
- LUQUET, A. - *Prospections puniques de la côte atlantique du Maroc*, *Hesp.*, XLIII, 1956.
- MACHRAFI, M. - *A propos de la réorganisation de l'enseignement supérieur au Maroc*, [s.l.], 1966.
- MAIGRET, J. - *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea Delphinidae) de la côte ouest africaine*, *B.I.F.A.N. (A)*, 1980.
- MAIMONIDE, M. - *Epîtres*, trad. J. de Hulster, Paris, 1983.
- MALVAL, - *Le Secteur sud-ouest du front marocain*, *A.F.R.C.*, Août 1924.
- MARCY, G. - *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon*, *Hesp.*, XX, 1935.
- MARCY, G. - *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M.J. Carcopino*, *J.A.*, 1943 - 45.
- MARGAT, J. - *L'Alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet*, *Notes Mar.*, n° 13, 1960.
- MARGAT, J. - *Données sur l'habitat au Tafilalet : contribution à l'étude démographique des palmeraies du Sud marocain*, *Notes marocaines*, n° 11 - 12, 1959.
- MARTIN, H. - *Les Tribus du Sahel et du Rio de Oro*, *B.I.F.A.N.*, 1, 1939.
- MASSIGNON, L. - *Sahara Espagnol, Rio de Oro*, *R.M.M.*, 1925, 1er fasc.

- MAUNIER, R. - *La Construction collective de la maison en Kabylie : étude sur la coopération économique chez les berbères du Djurdjura*, Paris, 1928.
- MAURA, G. - *La Question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921.
- MAXWELL, G. - *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966.
- MAYEUX, M.R. - *Cours internationaux d'été de Toumliline, 1956, 1957, 1958, 1959*, Arch. Soc. Rel., n° 9, 1960.
- MECHERFI, A. - *Les Devoirs du fonctionnaire, R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987.
- MEDCOF, J.C. : *Oyster farming in the maritimes*, Fish. Res. Canada Bull., 131, 1961.
- MEDIONI, R. - *Le Chott Tigri*, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc, T. 30, n° 225, 1970.
- MEDIONI, R. - *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains*, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc, T. 19, n° 149, 1960.
- MENCHIF KADDOUA, - *Etude comparative de développement des centres ruraux de service dans le pays Zamour*, INAO, 1984.
- MERROUNI, M. - *Le Problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993.
- MESSIER, R. - *The Almoravids, West african gold and the gold currency of the Mediterranean bassin*, J.E.S.H.O., 17.
- MESSIER, R. - *Quantitative analysis of Almoravid dinars*, J.E.S.H.O., 23.
- MICHAUX-BELLAIRE, E. - *Description de la ville de Fès*, A.M., Vol. 11, 1907.
- MIEGE, J.L. - *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle*, Hesp., 1er sem. 1954.
- MILLOT, L. - *Démembrement des Habous*, Paris, 1948.
- MILLIES-LACROIS, A. - *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc*, S.E.G.M, n° 13, 1967.
- MINEYEV, D.A. - *Geochemical differentiation of the rare earths*, Geochemistry, 12, 1963.
- MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPEMENT AGRICOLE. - *Lutte contre la désertification au Maroc : réalisation et perspectives*, Rabat, 1984.
- MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE. - *Le Mouvement éducatif au Maroc, 1975 - 1984*, Rabat, 1977, 1981 - 1984, 3 Vol.
- MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1986 - 1988*, Rabat [s.d].
- MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1988 - 1990*, Rabat, [s.d].
- MINISTERE DE L'HABITAT ET DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE. - *Etude urbaine de Tiflet*, Rabat, 1983.
- MINISTERE DE LA SANTE. - *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 1992.
- MINISTERE DE LA SANTE. - *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.
- MINISTERE DES AFFAIRES ADMINISTRATIVES. - *La Fonction publique*, Rabat, 1981.
- MINOT, J. - *L'Entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.
- MOHIB, A. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M de Sidi Abderrahman, Famille Neuville et Ruhlman*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
- MONTEIL, V. - *Notes sur le Sahara Espagnol*, Tiznit, 1944.
- MORAES FARIAS, P.F. de - *The Almoravides*, BIFAN, 23, 13, n° 3 - 4, 1967.
- MORDOCHE ABI SEROUR. - *De Mogador au Djebel Tabayoudt : Le Rabbin Mordoché Abi Serrou, résumé du journal de voyage par Henri Duveyrier*, B.S.G., Déc. 1875.
- MOSDIK, K. - *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993.
- MOUETTE, G. - *Histoire des conquêtes de Moulay Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Moulay Ismael ou Semeïn son frère*, Paris, 1682.
- MOUGIN, G. - *Les Premiers sultans saadides et le Sahara*, R.O.M.M., 1975.
- MOUGIN, G. - *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976.
- NAIMI, M. - *American expansionist aims in South Western Morocco during the Nineteenth Century : The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan - American relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

- NAIMI, M. - *L'Apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*, (étude inédite).
- NAIMI, M. - *Cinétique des leffs : flexibilité et mobilité sociale*, étude inédite.
- NAIMI, M. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du niveau D2 de Cap Chatelier, Famille P. Biberson*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
- NAIMI, M. - *The evolution of the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans Saharian trade*, in *Tribe and state : essays in honour of David Montgomery Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Cambridge - line, 1991.
- NAIMI, M. - *Nomades et sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna*, B.E.S.M., n° 157, 1986.
- NAIMI, M. - *Nul Lamta : tableaux édifiants*, étude inédite.
- NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : centre ou périphérie*, Colloque international sur le Devenir de la Société rurale au Maroc, Rabat, 1986.
- NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in Actes du colloque : *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.
- NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Etat et société : quelles perspectives ? Al-Bayane*, 12 Juin 1992.
- NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Régionalisation : Les impératifs du découpage*, *L'Economiste*, 8 Oct. 1992.
- NASRI, Z. - *Le Droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984.
- NEUVILLE, R. - RUHLMAN, A. - *La Place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 (Coll. Hespéris, n° 8).
- NICOLAS, F. - *Contribution à l'étude Twareg de l'Air, Paris, 1950* (Mémoires de l'IFAN, X).
- NICOLAS, F. - *Tamesna : Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950.
- NIOLAISEN, J. - *Ecology and culture of the pastoral Tuareg*, National Museum (Copenhagen), 1963.
- NOIN, D. - *La Neige au Maroc, Notes marocaines*, n° 5, 1961.
- NORRIS, H.T. - *Saharian myth and Saga : the Touaregs*, Warminster, 1975.
- NORRIS, H.T. - *The Tuaregs*, Middle East Studies, 1975.
- NORRIS, H.T. - *Yemini scholars of Timbutoo*, J.A.H., III, 1962.
- NOUSCHI, A. - *La Ville dans le Maghreb pré-colonial*, in *Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.
- OFFICE AGRICOLE DU TAFILALET. - *Etude de la salinité des sols*, Juin 1980.
- OULD CHEIKH, A. - SAISON, B. - *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami : autour de la postérité saharienne du mouvement almovaride, 11ème - 17ème S*, *Atabica*, 34, 1987.
- PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Hijos de San Francisco en Marruecos*, *La Cruz*, 1982, t. 2.
- PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Misiones en Marruecos*, *Revista Fransiscana*, T. 3.
- PAILLET, P. - *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974.
- PALLARY, P. - *Recherches paléolithiques, ethnologiques sur le littoral du Maroc*, *Anthropologie*, T. XI, 1908.
- PALMER, H.R. - *Notes on Some Asben Records : Agades Chronocles*, J.A.S., 9, 36, July, 1910.
- PAQUES, V. - *L'Arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N.O africain*, Paris, 1964.
- PASCON, P. - *La Main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel*, B.E.S.M., 1978.
- PAYE, L. - *Enseignement et société musulmane : introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992.
- PEREDA, C. - *Estudios geograficos de Gomara*, Ceuta, 1940.
- PERGNIER, M. - *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction*, Th. : Rennes II, 1976.
- PEYRONNET, C. - *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara occidental*, B.S.G.A, 1928.
- PIGNOL, [et al...] - *Costumes et parures dans le Monde Arabe*, [s.], 1987.
- PLATEAU, H. - *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952.
- PLATON, P. - *Le Palmier nain*, B.E.P.M, n° 221, 1953.

- POMPONIUS MELA. - *De Situs Orbis*, Leypzig, 1880.
- PONS, Mgr. A. - *La Nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930.
- PONSICH, M. - TARRADELL, M. - *Garum et industries de salaison en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965.
- PONSICH, M. - *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, 15, 1960.
- PONSICH, M. - *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane*, B.C.T.H., N.S., 4, 1968.
- PTOLOMÉE, - *Geographike Uphegenisis*, Paris, 1901.
- QNINBA, Z. - *La Mosaique d'Orphée de Volubilis*, Th. 3ème cycle, Univ. Laval, 1988.
- RACHIK, H. - *Le Sultan des autres : rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.
- RACLOT, G. - *La Vallée du Todra*, R.G.M., n° 20, 1936.
- RAMADE, F. - *Eléments d'écologie appliquée*, Paris, 1976.
- REBUFFAT, - *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane*, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord (A paraître).
- REDOUANE, B. - *La Fonction marocaine face au changement*, in *Les services publics marocains face au changement*, Toulouse, 1987.
- REDOUANE, B. - *Le Fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983.
- REINACH, S. - *Medicus*, in Daremberg Saglio, *Dictionnaire des antiquité grecques et romaines*.
- RENAUD, H.P.J. - *L'Enseignement des sciences exactes au Maroc*, Hesp., XIV, 1932.
- RENAUD, H.P.J. - COLIN, G.S. - *Tuhfat al-Ahbab*, Paris, 1934.
- Les Ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz*, R.G.M., n° 17, 1970.
- RICARD, P. - *Les Arts marocains : Les broderies*, Alger, 1918.
- RICARD, P. - *Reliures marocaines du 13ème S. : notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade*, Hesp., XVII, Fasc. 2, 1933.
- RICARD, P. - *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925.
- RICARD, P. - *Le Souq El Merktan et les broderies de Fès*, F.M., Vol. 1, 1917.
- RICARD, P. - *Sur un type de reliure des temps almohades*, *Ars Islamica*, I, pat 1.
- RICARD, P. - *Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la période portugaise, 1415 - 1550*, A.I.E.O, T. 3, 1937.
- RICHARDSON, J. - *Travels in the Great Desert of Sahara*, London, 1985, 2 Vol.
- RICHER, A. - *Les Ouilliminden*, Paris, 1924.
- RIVAS, A. - *La Presa del Lau*, Tetuan, 1943.
- ROCHE, J. - *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan*, B.A.M., T. 1, 1956.
- ROCHE, J. - *La Grotte des contrebandiers, Témara*, B.A.M., T. 12, 1978 - 1980.
- ROCHE, H. - *Premiers outils taillés d'Afrique*, Th. 3ème cycle, Paris, 1981.
- ROSENBERGER, B. - *Yahya U Tafuft, 1506 - 1513 : des ambitions déçues*, H.T., 31, 1993.
- ROUILLARD, P. - *Le Commerce grec du Vème et IVème siècles avant J.C. dans les régimes de Lixus et Gadès*, in *Lixus : Actes du colloque organisé pour l'I.N.S.A.P.*, Larache, 8 - 11 Nov. 1989, Rome, 1992.
- ROUSSEAU, G. - *Le Costume au Maroc*, Paris, 1938.
- ROUX, G. - *La Neige au Maroc*, *Mem. Soc. Sc. Nat. Maroc*, n° 11, 1935.
- ROUX, G. - *La Variation annuelle des précipitation au Maroc*, *Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, T. 27, 1947.
- RUELLAN, A. - *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes*, Mém. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.
- RUHLMAN, A. - *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain*, B.S.P.M., n° 2, 1948.
- RUHLMAN, A. - *Le Paléolithique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble*, B.S.P.M., n° 2, 1948.
- RUNGS, C. - *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, Rabat, 1981, 2 Vol.

- RUSSO, P. - *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux, Maroc oriental, Annales Univ. Lyon, nouv. série, fasc. 46, 1926.*
- SAAIDI, M. - *Histoire de la recherche minière au Maroc : des origines à nos jours, Rabat, 1967.*
- SAAIDI, M. - *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult, Mines et géologie, n° 28, 1969.*
- Le Sahara espagnol, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2570, Sept. 1959.*
- SAAIDI, - *Palmier dattier : maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc, Rabat, 1976*
- SAIB, J. - *A phonological study of Tamazight Berber, Ph. D. Univ. of California, 1976.*
- SALIH, A. - *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc, Th. Univ., Aix-en-Provence, 1990.*
- SALIH, A. - *Recherche sur l'épépéolithique dans le Moyen Atlas, D.E.A., Aix-en-Provence, 1986.*
- SALMI, J. - *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc, Casablanca, 1985.*
- SALMON, G. - *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : de l'association agricole et de ses différentes formes, A.B., III, 1905.*
- SALVY, G. - *Tawdanni, Le Monde, 31 Janv. 1976.*
- SAMSON, P. - *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc, n° 242, 1973.*
- SARRE, F. - *Islamic book-binding, London, 1923.*
- SARRIONDIA, P. - *Gramatica de la lengua rifeña, Tanger, 1905.*
- SASSON, A. - *Développement et environnement, Paris - La Haye, 1974.*
- SCHMITT, P. - *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée, Th. 3ème cycle, Tours, 1973.*
- SCHROETER, D. - *Merchants of Essaouira, Cambridge, 1988.*
- SCHUTZ, H. - *Le Rôle et l'organisation du Centre National de Documentation dans un pays en voie de développement, Paris, 1975.*
- SEDJARI, A. - *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc, Rabat, 1981.*
- SEFRIQUI, A. - *Le Costume marocain, G.E.M., Vol. 2, 1987.*
- SEKKAT, A. - *La Politique de l'enseignement au Maroc, 1956 - 1977, Grenoble, 1977.*
- SIRE, M. - *Le Document et l'information, Paris, 1975.*
- SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc, A.M., VI, 1905.*
- SLOUSCH, N. - *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc, A.M., Vol. IV, 1905.*
- STAMBOULI, F. - *Système urbain et développement, in Système urbain et développement au Maghreb, Tunis, 1980.*
- SYLVESTRE, P. - *Rapport B.R.P.M., 1976, Rabat, 1976.*
- Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris, A.F.R.C, n° 1, 1909.*
- TAG, B. - *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental, Th. Doct., Toulouse, 1987.*
- TAIFI, M. - *Dictionnaire tamazight français, Paris, 1993.*
- TANGI, O. - *Aspects de la phonologie d'un parler berbère au Maroc : Ayth Sidhar, Rif, Th. Doct. Univ., Paris VIII, 1991.*
- TARRADELL, M. - *El Benian : Castellum Romano entre Tetuan y Tanger, Tamuda, I, 1953.*
- TARRADELL, M. - *Breves noticias sobre las excavaciones, Tamuda, VI, 1958.*
- TARRADELL, M. - *Datos sobre la guerra de los romanos contra Aedem, in El Primero congreso arqueológico del Marruecos español, Tamuda, II, 1955.*
- TARRADELL, M. - *Estado actual de nuestros conocimientos sobre Tamuda y resultados de la campaña 1948, Archivo Español de Arqueología, 74, 1949.*
- Les Tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb in Actes du Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb, Rabat, 1992.*

- TERMIER, H. - OWODENKO, B. - AGARD, J. - *Les Gîtes d'étain et de tungstènes de la région d'Oulmès, Maroc central : étude géologique, pétrographique et métallogiques, Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc, n° 82, 1950.*
- TERRASSE, H. - HAINAULT, J. - *Les Arts décoratifs au Maroc, Paris, 1925.*
- Les Territoires espagnols, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2951, Janv. 1963.*
- TEXIER, J.P. - *Les Pièces prédonculées de l'Atérien, Lybica : Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie, T. VI - VII, 1958 - 1959.*
- TEXIER, J.P. - *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B.A.M., T. 16, 1985 - 86.*
- Textes administratifs, Fonction publique et réforme administrative, Casablanca, 1987.*
- THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Mautétanies, R.E.A. 64, 1992.*
- THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la route du Sous, Hesp., 33, 1946.*
- THOUVENOT, R. - *Promenade archéologique au Musée de Tétouan, R.E.A. LII. 1950.*
- THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *La Mosaique du Navigum à Volubilis, Rev. archéologique, I, 1977.*
- THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *Les Thermes de Banasa, Rabat, 1951, (P.S.A.M, IX).*
- TIBI, C. - *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc, Paris, 1976.*
- TOLEDANO YA'AQOB MOSE, - *Ner Hamma 'arab, Jérusalem, 1911.*
- TOLEDANO, J. - *Le Temps du Mellah, Jérusalem, 1982.*
- TOMICHE, N. - *La Littérature arabe traduite : mythes et réalités, de l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française en anglaise, Paris, 1978.*
- TORTOCHAUX, T. - *Rapport B.R.P.M., Rabat, 1954.*
- TOURI, A. - *Les Oratoires de quartiers de Fès : essai d'une typologie, Th. Paris, 1980.*
- TOUTAIN, G. - *Sur une évolution économique de la vallée du Draa, Al-Awamia, n° 53, 1974.*
- URVOY, Y. - *Chronique d'Agades, Journal Soc. Afr., IV, 1934.*
- VAJDA, G. - *Un recueil de textes historiques judéo-marocains, Hesp., 3ème - 4ème trim. 1948, 1er - 2ème trim. 1949.*
- VALEE, N. - *Mammifères d'Europe, Paris, 1972.*
- VAUFREY, R. - *Préhistoire de l'Afrique, Paris, 1955 (Publ. Inst. Hautes Et., Tunis, Vol. 4).*
- VERGERO, S. - *Rapport B.R.P.M., Rabat, 1942.*
- Villes et sociétés au Maghreb, Paris, 1974.*
- WILLIAMS, J. - MKADMI, A. - *Possibilités d'expansion dans l'ostréiculture dans la lagune de Oualidia, Maroc.,*
- WILLCOS, H.C. - *Exploration of the Rio de Oro, Geogr. Review, 1921.*
- ZAINABI, A.T. - *L'Homme et la montagne en milieu sub-aride : le pays de Taznakht, Anti - Atlas, Th. 3ème cycle, Poitiers, 1989.*
- ZELTNER, F. de. - *Les Touareg du Sud, Journal of the Royal Anthropological Institute, XLIV, 1914.*
- ZERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé : ressources en eau du Maroc, Rabat, 1977.*
- ZHAR, M. - *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya, Revue Fac. Lettres Sc. Hum. Oujda, n° 1.*
- ZHIRI, K. - *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement, Rabat, 1969.*

## Liste des principales abréviations des périodiques

- A.A.N** : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*  
**Acad. Sc. Col.** : *Académie des Sciences Coloniales.*  
**A.E.S.C** : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*  
**A.F** : *Afrique Française.*  
**A.F : R.C** : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*  
**A.I.E.A** : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*  
**A.I.E.O** : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*  
**A.M** : *Archives Marocaines.*  
**A.M.S** : *Archives Marocaines de Sociologie.*  
**And.** : *Al-Andalus*  
**Ann. Rech. Forest. Maroc** : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*  
**Ant. Afr.** : *Antiquités Africaines.*  
**B.A.M** : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*  
**B.A.R** : *British Archeological Reports.*  
**B.C.T.H** : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*  
**B.E.P.M** : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*  
**B.E.S.M** : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*  
**B.I.F.A.N** : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*  
**B.M.S.A.P** : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*  
**B.L.O.A.B** : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*  
**B.L.S** : *Bulletin de Liaison Saharienne.*  
**B.S.G** : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*  
**B.S.G.A** : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*  
**B.S.G.A.O** : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*  
**B.S.H.M** : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*  
**B.S.O.A.S** : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*  
**B.S.P.M** : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*  
**Bull. Archéol.** : *Bulletin Archéologique.*  
**C.A.A** : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*  
**C.A.T.A.N** : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*  
**C.B.E.T** : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*  
**C.C.E.J** : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*  
**C.E.A** : *Cuadernos de Estudios Africanos.*  
**C.H.I** : *Cuadernos de Historia del Islam.*  
**C. Méd.** : *Cahiers de la Méditerranée.*  
**C.R.A.I.B.L** : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
**C.R.A.S** : *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*  
**C.T** : *Cahiers de Tunisie.*  
**E.I.1** : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*  
**E.I.2** : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*

**E.T.A.M** : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*  
**Et. Medit.** : *Etudes Méditerranéennes.*  
**F.M** : *France - Maroc.*  
**F.S.S.A.N** : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*  
**G.E.M** : *Grande Encyclopédie du Maroc.*  
**Hesp** : *Hespéris.*  
**H-T** : *Hespéris-Tamuda.*  
**H.T.E** : *Hommes, Terre et Eaux.*  
**I.G** : *Information Géographique.*  
**I.H.E.M** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**I.H.E.M** : **N-D** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*  
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar.** : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*  
**I.S.C** : *Institut Scientifique Chérifien.*  
**Isl. Cult.** : *Islamic Culture.*  
**I.S.P.M** : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*  
**J.H.S.N** : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*  
**M.A.J.B.L** : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
**Medit** : *Méditerranée.*  
**N.A.M.S.L** : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*  
**P.I.H.E.M** : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**P.S.A.M** : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*  
**P.S.H.M** : *Publications de la Section Historique du Maroc.*  
**R.A** : *Revue Africaine.*  
**R.A.P** : *Revue de l'Action Populaire.*  
**R.C.C** : *Revue de la Chambre de Commerce.*  
**R.D.M** : *Revue des Deux Mondes.*  
**R.E.A** : *Revue des Etudes Anciennes.*  
**R.E.I** : *Revue des Etudes Islamiques.*  
**R.E.L** : *Revue des Etudes Latines.*  
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn.** : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*  
**R.G.M** : *Revue de Géographie du Maroc.*  
**R.H.E** : *Revue d'Histoire Economique.*  
**R.H.M.C** : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*  
**R.M.D.E.D** : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*  
**R.M.E** : *Revue Maroc-Europe.*  
**R.M.F** : *Revue Militaire Française.*  
**R.M.M** : *Revue du Monde Musulman.*  
**R.P.P** : *Revue Politique et Parlementaire.*  
**S.G.L** : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*  
**S.I** : *Studia Islamica.*  
**S.I.H.M** : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*  
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.** : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*  
**Trav. Inst. Sc.** : *Travaux de l'Institut Scientifique.*





## تارودانت (\*)، مدينة عريقة في سوس، توصف في

النصوص التاريخية بأنها "قاعدة السوس الأقصى"، جاء اسمها على صيغة الأسماء الأمازيغية. ويعرب بصيغة رودانة، والنسبة روداني. توصلنا إلى أن لفظ تارودانت قد يعني مكاناً مرتفعاً من الأرض كحاجز للماء أو غيره، حيث إن مذكوره هو أرودان، ويعني في المنطقة "الحاجز" وانطلاقاً من هذا، فإن تارودانت تعني المدينة المحاطة بالحواجز الترابية، أو المدينة المسورة، أو الأقرب من هذا كله : المكان الذي عند حاجز الماء في الوادي..

ترجع مدينة تارودانت إلى العهود القديمة من تاريخ المغرب، حيث كانت تسمى "قالا". ولعلها تدخل ضمن المراكز الحضرية التي تأسست خلال الفترة المغربية الفينيقية كمركز "قادين" على وادي نون، ومركز "فاكنا" على وادي درعة. وهي مراكز ارتبطت بالتعامل التجاري بين الفينيقيين والمغاربة حوالي القرن التاسع قبل الميلاد (846 ق. م). وانقطعت الأخبار عن منطقة سوس طيلة تلك القرون إلى القرن السابع الميلادي حيث اقترن ذكر سوس ومراكزه الحضرية بدخول الإسلام إلى المنطقة، ومدينة إكلي هي التي تتحدث عنها المصادر وتعتبرها "قاعدة بلاد السوس" (البكري، 161 ؛ الاستبصار، 213)، رغم أن ابن خلدون أشار إلى أن تارودانت كانت موجودة أيام عقبة ابن نافع الفهري (690 م).

لم تحظ مدينة تارودانت بأهمية بالغة في نصوص العصر الوسيط إلا ابتداءً من القرن الخامس الهجري (11 م)، عندما كانت فيها الحركة الشعبية البجلية التي استمرت هنالك منذ القرن الثالث الهجري (9 م) إلى القرن الخامس الهجري (11 م) حيث "قاتلهم الأمير أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم تارودانت عنوة..." وأصبحت منذئذ توصف بأنها "قرية كبيرة" (الاستبصار، 212) واتسع مجالها الحضري، خاصة وأن المرابطين اتخذوها مقراً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن، ويعتبر المرابطون أول من بدأ في تحصين المدينة بأسوار في بعض جهاتها.

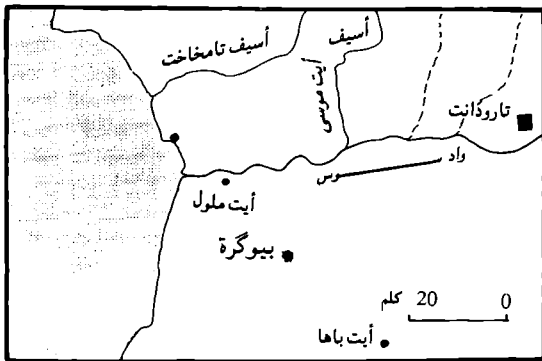
(\*) سقطت تارودانت من موضع ترتيبها في الجزء السادس، فتداركتها هنا.

زارها عبد الواحد المراكشي في القرن السادس (13 م) ووصفها بأنها "حاضرة سوس وإليها يجتمع أهله" وأصبحت في الفترة الموحدية أكثر تحصيناً وأكثر أهمية اقتصادياً وإدارياً، حيث تم تعيين ممثل المخزن الموحدى بها، بينما بدأت مدينة إكلي - التي كانت قاعدة السوس خلال القرون السابقة - تتراجع لحساب المدينة المخزنية الجديدة.

وخلال ثورة علي ابن يدر الزكندري حوالي عام 650 / 1252 عرفت المدينة خراباً ودماراً نتيجة سيطرة الزكندري عليها ومحاولات الموحدين إخضاعها. وتوالى الحملات على المدينة من طرف المرينيين، بهدف انتزاعها من سيطرة علي بن يدر، ولم يتمكنوا من ذلك إلا حوالي عام 735 / 1334 م.

وخلال الفترة المرينية التي توافقت فترة الاضطرابات بسوس 735. 861 / 1334. 1456. وطيلة حكم بني وطاس 877. 917 / 1472. 1511، دخلت مدينة تارودانت عهداً غامضاً، عمته الفوضى والتخريب والحكم المحلي، حيث فرض العرب المحيطون بالمدينة، عليها ضرائب وإتاوات، ولم تثر ضدهم إلا بعد نهوض الحركة السعدية، حسب ما أشار إلى ذلك الحسن الوزان.

ولقد أشار ابن عذاري إلى حالة تارودانت خلال تلك الفترة بقوله : "تارودانت الشهيرة ذات الخيرات الكثيرة، لكنها استولى عليها الخراب من ابن يدر حتى صيرها كالقفر درساً (...). ولم يبق منها إلا جامع الخطبة في قسبة الحسن المذكور (...). وعانت الناس من هذا الخراب" (ابن عذاري، البيان، 1).



موقع تارودانت

ومع مطلع القرن العاشر (16 م) استرجعت تارودانت دورها الاقتصادي وإشاعها الثقافي، مع ظهور السعديين، واتخاذها عاصمة لهم بعد إعادة بنائها. ويشير التامنارتي بأن "محمد الشيخ أذن للناس عامة وقت تخطيطها (تارودانت) في إحيائها بالبناء والغرس قصداً لعمارتها حتى حكى عنه أنه قال: "كل من بنى موضعاً أو غرسه فهو له...." (التامنارتي، فوائده، 266). ولم يكن التامنارتي هو الشاهد الوحيد على اهتمام السعديين بهذه المدينة، بل هناك آخرون تركوا بصمات شهادتهم عن ذلك الاهتمام مثل ديبكو دي توريس (Diego de Torres) ومارمول والبرتغالي المجهول صاحب كتاب *Chronique de Santa Cruz de Cap de Gué*، الذي زار المدينة حوالي سنة 1541 ويقول: "دخلنا إلى مدينة تارودانت التي هي مقر السلطان، وخرج لاستقبال أبنائه والقائد مومن بن العليج" (Chronique, 134).

هكذا عرفت المدينة في عهد السعديين أوج ازدهارها اقتصادياً حيث بنيت معامل السكر بتازمورت غير بعيد عنها، وتنقل إليها القوافل التجارية الآتية من السودان أنواعاً شتى من المواد السودانية تباع في أسواقها بقبسارياتها التي أشار إليها الفقيه عيسى السكتاني. وكانت تصل إلى المدينة المواد الأوربية المتنوعة انطلاقاً من موانئ أكادير. وتبين لنا رسالة مؤرخة بـ 5 يناير 1542 من البرتغاليين إلى خوان الثالث يقول فيها: "تلقت تارودانت خلال تسعة وعشرين يوماً حمولة تسع سفن، متكونة من نسيج متنوع، وتصدر السكر والصبغ والجلود، والمدينة مليئة بالتجارة لكنها تعرض بشكل سيء لأن المجاعة سائدة وناتجة عن جفاف سابق 1541" (S.I.H.M., D. Saadienne, 6). وصفوة القول أن تارودانت أصبحت في الفترة السعدية قطباً حضرياً كبيراً، فقد أعيد بناؤها وضحمت أسوارها، وشيدت قصباتها، فهي كما وصفها الفشتالي "قاعدة بلاد السوس وأم القرى والأمصار وملاك باب السودان... وما شئت من توطيد وتشبيد وبرك مستجدة..." (الفشتالي، مناهل الصفا). وبعد أن ضعفت الدولة السعدية، أصبحت تارودانت مجالاً للصراع بين القوى المحلية، حيث سيطر عليها أبو زكريا الحاحي حوالي سنتي 1020. 1021 / 1611. 1612، فوجد القصبة مهدمة ومعطلة، والفوضى منتشرة (الفوائد الحجة، 159)، وعين بها عبد الرحمان التامنارتي قاضياً للجماعة، بغية تنشيط الجبوس والأمور الدينية. واستقرت الوضعية بالمدينة منذ 1029 / 1619 إلى 1036 / 1626 حيث انتشر الأمن والعدل رغم ركود اقتصادي من جراء طرد اليهود منها.

وبعد قتل أبي زكريا الحاحي من طرف بعض عملاء السلطان زيدان في ربيع 1036 / 1626 تولى ابن أخيه أحمد ابن محمد بن عيد الله بن سعيد، لكن الأمور ما فتئت أن تدهورت، مما دفع عبد الرحمان التامنارتي الذي ترك المدينة بسبب نزاع بينه وبين الحاحي إلى مكاتبة بودميعة السملالي

يطلب منه احتلال تارودانت لقطع دابر الفوضى (الفوائد الحجة، 233). ولم تمر إلا سنتان عن موت الحاحي حتى أصبحت المدينة تحت حكم السملاليين. ولم تكن المدينة في العهد السملالي إلا مدينة ثانوية، حيث كان اهتمام بودميعة منصباً على توسيع مدينة إليغ التي انتقل إليها يهود تارودانت فساهموا في نشاطها الاقتصادي، وأصبح دورها مقتصرًا على الوظيفة الإدارية.

ولما توفي بودميعة دخلت المدينة مرحلة غامضة لمدة عشر سنوات (1070. 1080 / 1659. 1669) بسبب نزاع أبناء بودميعة حول السلطة، واستمرت تلك الأوضاع إلى أن احتلها المولى رشيد سنة 1080 / 1669.

لم يتمكن المولى رشيد من ربط تارودانت بالمخزن الجديد إذ عادت إلى الثورة في السنة الموالية وبعد وفاته وتولية المولى إسماعيل، ثار بالسوس أحمد بن محرز الذي استمرت ثورته حوالي أربع عشرة سنة (1083. 1099 / 1672).

محتلاً المدينة، وبعد اندحاره عين عليها المخزن الاسماعيلي الباشا عبد المالك، وثار بدوره مدعماً بالأمير زيدان حوالي 1106 / 1694. واستمر الوضع بالمدينة مضطرباً إلى أن عين السلطان المولى إسماعيل ابنه محمد العالم في صيف 1698. ويمكن أن نستخلص أن تارودانت كانت خارجة عن السلطة الاسماعيلية مدة ست وعشرين سنة (م. حندين، تارودانت). ولقد دفعت ثورات تارودانت المخزن الإسماعيلي إلى التخلي عن حصار سبتة لإعادة الأمن إلى سوس وتارودانت.

وعرفت المدينة في عهد الأمير محمد العالم مرحلتين :

1 - مرحلة التبعية للمخزن (1110. 1112 / 1698. 1700) حيث استعادت المدينة والمنطقة عامة هدوءاً ونشاطها الاقتصادي والثقافي، وهذا ما تؤكده رسالة القنصل الفرنسي بسلا (سبيللا Estelle) والمؤرخة بـ 5 ماي 1698 ويقول فيها بأن إقليم سوس يستعيد الهدوء حسب ما يقال. لكن هذه المرحلة لم تدم إلا ثلاث سنوات حيث ثار بعدها ضد أبيه.

2 - مرحلة محمد العالم (1112. 1118 / 1700. 1706).

تشير المصادر (القادر والناصر) إلى ثورة محمد العالم بسوس دون أن تذكر أسباب هذه الثورة. وعرفت مدينة تارودانت خلال عهده ازدهاراً ثقافياً يذكّر بما عرفته أيام الدولة السعدية، صوره لنا أحد كتاب عصره والمجهول صاحب كتاب *نفحات الشباب* الذي يصف جلسات الأمير مع علماء سوس (المعسول، 18 : 288).

لم يستطع الأمير محمد العالم أن يستمر مدة طويلة إذ انهزم أمام أخيه المولى زيدان حوالي 1706، ونقل إلى مكناس حيث مات.

وعندما دخل زيدان تارودانت استباحها، لكن ما لبث أن ثار بدوره في السنة الموالية، وأعلن أن كل من يرغب في الاستقرار بأكادير أو تارودانت فيانه سيحصل على امتيازات، وبهذه الوسيلة صارت المدينتان عامرتين في وقت

قصير". ورجعت تارودانت إلى الانفصال مرة أخرى عن المخزن. واستمر الوضع هكذا إلى أن قتل المولى زيدان.

ويعد موت المولى زيدان عين المولى إسماعيل المولى بناصر الذي مكث بالمدينة ست سنوات (1120 / 1126 / 1708). حيث ثار بدوره سنة 1124 / 1712 ضد أبيه (الاستقصا، 7 : 76)، وانتشرت الفوضى قتل خلالها الأمير من طرف عرب أولاد دليم وبعثوا برأسه إلى مكناس. وعين المولى إسماعيل القائد أبا عزيز لمدة خمس سنوات. وتولى بعد ذلك أمور المدينة وسوس الأمير المولى عبد المالك، واستمر حوالي عشر سنوات، إلى أن استدعاه عبيد البخاري لبيعه (الاستقصا، 7 : 119) بعد وفاة المولى إسماعيل. وخلال فترة الاضطرابات التي استمرت منذ وفاة المولى إسماعيل (1140 / 1727) إلى بيعة سيدي محمد بن عبدالله، كانت المدينة وسوس خارجة عن السلطة المركزية. وكثرت الثورات حيث ثار الكرسيفي (1150 / 1737) الذي احتل أكادير وتارودانت وقتل من طرف هوار، كما ثار ثائر آخر وهو الشريف الكثيري بوتغلا (1168 / 1754)، ولعل تارودانت آنذاك كانت تحت سلطة المولى سرور الذي سارع إلى قتل ثائر آخر ادعى المهدي وهو المولى المكاوي (خلال جزولة، 1 : 52). وكان المولى سرور هذا يمثل الأمير سيدي محمد بن عبد الله الذي كان نائباً لأبيه المولى عبد الله بمراكش وكافة القطر السوسي (التحاف، ...، 3 : 152).

وقد نهج السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 - 1205 / 1757 - 1790) تجاه تارودانت وسوس سياسة جديدة لقطع دابر الثورات التي تتكرر بها، تتمثل في تحويل الحركة الاقتصادية من مرفأ أكادير إلى الصورة التي بنيت من أجل منافسة ذلك المرفأ الذي يشكل المركز الاقتصادي للحركات الثائرة بسوس، (الاستقصا، 8 : 20).

كما قرر المخزن تعيين عمال على سوس من حاحا، إذ انتقلت الإدارة المحلية من تارودانت التي كانت مركز السلطة المحلية منذ عهود سابقة إلى حاحا. حيث لم تكن المدينة إلا مركز عامل تابع لممثل المخزن في حاحا، وهو الفقيه عبد المالك باشا الصورة وحاكم قبائل سوس وحاحا.

وهكذا أصبحت تارودانت في هذا العهد مدينة ثانوية مخزنية، ومتدهورة اقتصادياً، لحساب الصورة التي جلب إليها تجار النصارى الذين كانوا في فونتي (الناصري، ج. 8، ص. 21)، وعرفت جموداً ثقافياً.

وقبل وفاة السلطان بسنتين عين بتارودانت ابنه المولى عبد السلام وبقي هنالك إلى أن توفي السلطان عام 1205 / 1790.

وفي عهد السلطان المولى سليمان، كانت تارودانت تحت حكم المولى بناصر بن عبد الرحمان، لكنها ظلت تعيش جموداً اقتصادياً وثقافياً، وكانت في عهد السلطان الحسن الأول إحدى المصالح الباشوية الرئيسية التي قسم إليها المغرب، في إطار "الإصلاح الإداري"، لكن الوضع بالمدينة في العهد الحسني تأثر بالأوضاع العامة بسوس التي تميزت

بالرغبة في الاستقلال مما جعل السلطان يقوم بحملاته العسكرية إلى سوس (1882 - 1886) ويؤسس مركزاً مخزنيةً آخر في مدينة تيزنيت، وعين بها عاملاً.

وأثناء فترة المولى عبد العزيز، عين الباشا حمو وأولاده على باشوية تارودانت، لكن تصرفاته القاسية جعلت الناس ينفرون منه ويغادرون المدينة، وفي ذلك قال قاضي تارودانت سيدي موسى :

اتى حمو الاحم لسوس ببغي كئوزاً إذ به قد صار كنتزا  
يربع به الشراء فنال فيه ترى قد ماظ عن كنفه عزا

وبعد أن فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 كانت تارودانت تحت نفوذ الباشا أحمد بن علي الكابا، الذي تنكر لأحمد الهيبه بعد انهزامه في مراكش، واعترض طريقه في قرية تالكجونت، لكنه انهزم وقتل وعلق رأسه بساحة أسراگ بالمدينة، ومكث الهيبه في تارودانت مقاوماً للفرنسيين الذين حاولوا استمالته بشتى الطرق والوسائل، حيث وجدوا في القائد حيدا بن ميس الذي تنكر بدوره للهيبه، خير معين على تقويض حركته، ف وقعت معارك ضارية بضواحي المدينة اضطر على إثرها أحمد الهيبه إلى مغادرة المدينة نحو شتوكة، ومن قبيلة إلى أخرى. وأصبح حيد بن ميس باشا تارودانت تابعاً للفرنسيين، وأصبحت المدينة في عهد الحماية مركزاً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن والقبائل السهلية.

ع. المراكشي، المعجب، تح. م. سعيد العريان وآخر، طبعة الرباط 1973 : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 1، تح. كولان وليفي بروفنسال، ط. 2. 1980، دار الثقافة بيروت، ص. 260 : ابن أبي زرع الفاسي، القرطاس، ص. 129 : ع. التامنارتي، الفوائد الجمة، مخطوطة خاصة، ص. 266 : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 4 : 152 : محمد كسير، أضواء على تاريخ تارودانت، خزنة معهد محمد الخامس بتارودانت، ص. 5 : محمد حنداين، تارودانت ومحيطها التاريخي (1607 - 1790)، ر. د. ع. التاريخ كلية الآداب، الرباط، 1993.

D.J. Meunier, *Le Maroc saharien* 1, 161 ; S.I.H.M., *dynastie saâdienne*, 1ère série, T. IV, Portugal, p. 6, *Letres de Sebastio Alvarès à Jean III, France*, 2ème série, T. IV, p. 611, 596, 687 ; T. VI, p. 322, 325.

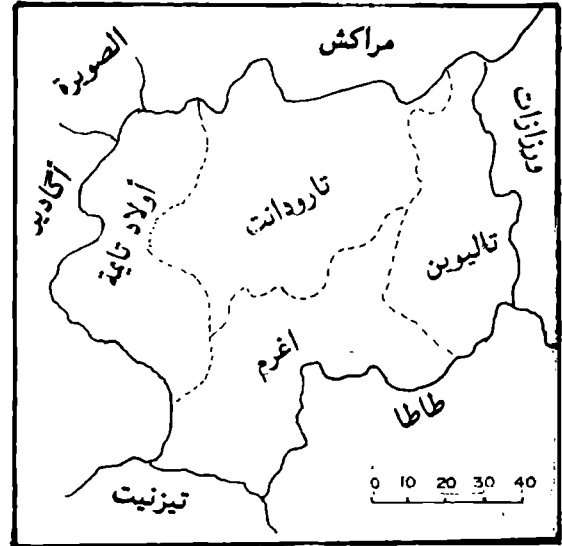
محمد حنداين

\* \* إقليم تارودانت إقليم حديث أنشئ سنة 1981، وحسب التقسيم الإداري لإحداثه في هذا التاريخ. كان الإقليم يضم أربعة دوائر وأربع عشرة قيادة وتسعاً وثمانين جماعة منها جماعتان حضريتان وخمسة مراكز مستقلة.

يحد الإقليم من الشرق إقليم ورزازات ومن الغرب إقليم أكادير والصورة ومن الشمال إقليم مراكش ومن الجنوب إقليم تيزنيت وطاطا.

وبناء على القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على الشكل التالي :

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
	أولاد تايمة	أيت عبد الله المكرت	أولاد برجيل (البلدية) تاليوين (البلدية)
		أضار أرگانة	إيمان تيندين سيدي بوعل أملو تتاوت
		عين اشعيب	سيدي بوموسى أسن سيدي أحمد أو عمر لكفيقات سيدي موسى الحمري الدير
	أولاد محلة	أهل الرمل اصاص	أهل الرمل اصاص
		أولاد محلة	تيدسي نسدالن الكدية البيضاء الخنافية مشرع العين لمهادي
		أحمر أفريجة	سيدي دحمان سيدي بورجا أفريجة تزمورت بونوار تبيوت سيدي أحمد أو عبد الله أيت أكاس أولاد عيسى
	تارودانت	سيدي عبد الله أوموسى	أولاد عيسى
		أولاد عيسى	أولاد عيسى
		أولاد عيسى	أولاد عيسى
	أولاد عيسى	أولاد عيسى	أولاد عيسى
		أولاد عيسى	أولاد عيسى
		أولاد عيسى	أولاد عيسى



### إقليم تارودانت

أربع دوائر : دائرة إغرم، دائرة أولاد تايمة، دائرة تارودانت، دائرة تاليوين.  
ثلاث عشرة قيادة : أيت عبد الله، المكرت، أضار، أرگانة، عين اشعيب، أولاد محلة، أحمر، أفريجة، سيدي عبدالله أوموسى، تافنكولت، أولوز، إسكاون، سكتانة.  
أربع وخمسون جماعة، منها سبع جماعات حضرية وهي : تارودانت (البلدية)، أولاد تايمة (البلدية)، إغرم (البلدية)، الكردان (البلدية)، أيت يعزة (البلدية)، أولاد برجيل (البلدية)، تاليوين (البلدية). أما الباقي فهي جماعات قروية وهي : إيمان، تيندين، سيدي بوعل، أملو، تتاوت، سيدي بوموسى، أسن، سيدي أحمد أو عمر، لكفيقات، سيدي موسى الحمري، الدير، أهل الرمل، اصاص، تيدسي نسدالن، الكدية البيضاء، الخنافية، مشرع العين، لمهادي، سيدي دحمان، سيدي بورجا، أفريجة، تزمورت، بونوار، تبيوت، سيدي أحمد أو عبد الله، أيت أكاس، أولاد عيسى، إكلي، أرزن، توغمرت، إكودارامنايها، إداوغيلال، تنزرت، لمهارة، أولوز، إداوغمّاض، الفيض، تيسراس، أوزيو، أزرار، أگادير، ملول، تزكزاوين، سيدي احساين، تسوسفي، أسايس، زاكوزن، أساكي.

### التقسيم الإداري الجديد لإقليم تارودانت

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
تارودانت	إغرم	تارودانت (البلدية) أولاد تايمة (البلدية) إغرم (البلدية) الكردان (البلدية) أيت يعزة (البلدية)	

## تأريفييت ← تأريفييت تأشليحييت ← تأشليحييت

**التاكشيتي، إبراهيم بن محمد الصوابي، فقيه** متمكن من فروع المذهب المالكي، مشارك في غيره من العلوم اللغوية والشعرية. تكوّن في فاس أخذاً عن أعلام عصره، كمحمد بناني صاحب الحاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، والتاودي ابن سودة، وجسوس وغيرهم من فرسان التدريس في القرويين.

استقر إبراهيم بعد رجوعه من فاس في مسقط رأسه تاكشيت متصدراً للفتوى، ترد عليه الاستفتاءات من مختلف أرجاء سوس وأحكام الخصومات فيبين وجوه الفقه فيها، وعلى فتاواه الاعتماد عند القضاة والمتقاضين، وكان يأخذ الأجرة من المستفتين لأنه - كما قال رداً على من انتقده من معاصريه الفقهاء - كان له حق في بيت المال لم يصل إليه. وقد وقف المختار السوسي على آثاره الفقهية وقال: قال في حقه عبد الجشتيمي: "كان - رحمه الله - عالماً بارعاً ديناً خيراً صالحاً مفتياً في عصره، وهو في عصره قطب قطره في الفقه، فعليه تدور الفتاوى والمسائل". ومحركات يراعه في الفتاوى كثيرة تزخر بها جبال أيت صواب وما إليها.

توفي في ويا عام 1214 / 1799 - 1800.

ع. الجشتيمي، الحضيكيون، مخطوط: م. المختار السوسي، المعسر، 8: 74؛ جامعة القرويين في ذكراها، 116 رقم 135.

**التاكشيتي، أحمد بن علي الرموكي ثم الصوابي.** من أسرة علمية متفرعة من آل المضاء الرموكيين، انتقل جدهم الحسين بن علي إلى جبال أيت صواب واستقر عقبه في قرية تلال نرضيم من قبيلة تاكشيت فنُسبوا إليها. فقيه أديب مشارك أخذ عن علماء قومه السوسيين "فذاعت له شهرة طنانة بعلمه وديانته وثروته".

اشتغل أحمد التاكشيتي بالتجارة مع السودان، فكان يذهب إلى تنبكتو حاملاً إليها بضائع مغربية وترجع قافلته محملة بمنتجات السودانيين وبخاصة العبيد الذين حرر منهم عدداً وافراً ماتزال رسوم إعتاقهم محفوظة.

حج أحمد التاكشيتي ثلاث مرات، وكان أبوه علي قد حج قبله خمس مرات، إلا أنه لم يقتف أثر والده في التدريس بمدرسة قريته مصروفاً عن ذلك بالتجارة. وله مراسلات مع أهله من أسفاره داخل المغرب وخارجه، وأخرى وردت عليه من شخصيات معاصرة مرموقة، ماتزال كل هذه المراسلات عند حفدته. ومنها رسالة من الفقيه أحمد الصوابي نزيل ماسة يهنئه بالحج ويعتذر عن عدم حضوره لهنته.

توفي أحمد التاكشيتي بمسقط رأسه عام 1149 / 36.

1737.

م. المختار السوسي، المعسر، 8: 79.

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
	تاليوين	اسكاون سكتانة	تيسراس أوزبوة
			إزرار أگادير ملول تزكزاوين سيدي احساين تسوسفي أسايس زاگموزن أساكي

تبلغ مساحة الإقليم 16.460 كلم<sup>2</sup>، ووصل تعداد سكانه سنة 1982 إلى 558.501 ن. أما الكثافة السكانية فتتراوح بين 935 ن في كلم<sup>2</sup> كأعلى كثافة والتي تمثلها مدينة تارودانت إذ تبلغ مساحتها 40 كلم<sup>2</sup> وعدد ساكنتها 37.894 ن. أما أضعف كثافة في الإقليم فتوجد بجماعة أگادير ملول التي تبلغ مساحتها 919 كلم<sup>2</sup> وعدد سكانها لا يتجاوز 7.051 نسمة.

يزخر إقليم تارودانت بشروات طبيعية مهمة ومقومات بشرية وكذا ثروة حيوانية لا بأس بها.

ونظراً لتوفر الإقليم على مرتفعات منها أعلى قمة في المغرب (قمة تيكال) فإن المنطقة عرفت طفرة سياحية مهمة أنعشت اقتصاد المنطقة بعض الشيء خاصة الأهالي الذين يقطنون الجبال.

أما باقي الأنشطة المتداولة في الإقليم فهي الزراعة والرعي والتجارة التي كونت جزءاً مهماً من موردها المالي من عائدات المهاجرين، لكن تبقى نسبة الهجرة أقل حدة بالمقارنة مع باقي الأقاليم الجنوبية كطاطا وتيزنيت وورزازات. وتبقى الهجرة الداخلية نحو المدن الوطنية الكبرى هي التيار الهجروي النشط خلال مواسم محددة ومتقاربة. ورغم أهمية موقع إقليم تارودانت فإن إشعاعه لا يتعدى حدوده نظراً لمحاذاته لأقاليم ذات إشعاع واسع كإقليم مراكش وأگادير. وأمام هذا الوضع فقد وضع المسؤولون تصميماً مديرياً للنهوض بالإقليم وتنميته، وهكذا شهد إقليم تارودانت تشييد شبكة طريقية ثانوية وثلاثية مهمة تقوم مقام المسالك الوعرة الحالية، كما ستعرف المنطقة بناء عدة فنادق متوسطة لرفع الطاقة الإيوائية للسياح وتشييد محطة طريقية جديدة في مستوى سمعة الإقليم السياحية.

وزارة الداخلية، وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية: الجريدة

الرسمية، العددان 4164 و4165؛ وزارة السكنى والتعمير، تعداد

السكان، 1982.

محمد بلعربي

**التاكشتي، أحمد بن محمد الظرفي الصوابي.** نسبة إلى ظرفية (انظرف) في تاكشت بجبال آيت صواب. فقيه صالح منقطع للتدريس والإرشاد. أخذ عن محمد بن يحيى الشبي، وعاصر محمد الحضيكي الذي دعاه في طبقاته "صاحبنا ومحبتنا" وقال عنه: "كان فقيهاً مدرساً ديناً خيراً فاضلاً مباركاً ينتفع الناس به، ذا سيرة حسنة وشيم كثيرة". ووصفه تلميذه عبد الله التيكناتيني - بنقل المختار السوسي - بصفات عالية علماً وسلوكاً وإفادة، وقال إنه كان عالماً بالنحو واللغة والتصريف والحساب والفرائض والفقه، يستحضر الجواب بديهياً إذا سئل لشدة تمكنه في الفقه واستيعابه لمسائل مختصر خليل. اعتكف على التدريس بمسقط رأسه نحواً من ست وثلاثين سنة. "اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره: الفقه البارح، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتحسين في الملبس والمطعم. وكان مع هذا متواضعاً قليل التصنع كريم الأخلاق حسن الأدب سالم الصدر شديداً على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم".

توفي في مسجد إقرانه وسط الليل بعد أن صلى العشاء قائماً في الركعتين الأولى والى وجالساً في الأخيرتين حذاء المحراب، وقد أرى على مائة سنة، يوم الخميس الأخير من شوال 29 عام 1195 / 18 أكتوبر 1781.

م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة رقم 129: م. المختار السوسي، رجالات العلم، 62: المعسر، 8: 76.

محمد حجي

**ابن تاكفت، محمد بن يحيى المسوفي** من أشيخ الموحدين. كان والياً على سبتة وقصر كتامة أيام الخليفة الناصر الموحدي (595-610). وإذا عرفنا أن أعمال سبتة كانت زمن الموحدين في غاية الاتساع بحيث يصل طولها إلى ما يقرب من اثنتي عشرة مرحلة وتحكم في مجال يمتد على كل بلاد غمارة، إضافة إلى الأهمية الاستراتيجية التي كانت تتميز بها المنطقة كمعبر ومنطلق لعمليات الجهاد نحو الأندلس، يمكن فهم المكانة التي كان يحظى بها ابن تاكفت لدى الخليفة الناصر كممثل له على إحدى أهم المناطق الاقتصادية في الأبراطورية الموحدية والتي تفرر لبيت مال الدولة مداخيل في غاية الأهمية، مما يجعل المهمة صعبة والمسؤولية خطيرة في الحفاظ على هيبة المخزن ومراقبة الثغور والسهر على الأمن.

لكن يظهر أن ابن تاكفت لم يكن في مستوى تلك المسؤولية حيث قام بعدة تجاوزات وخروقات أغضبت سيده وغيّرت عليه. فقد ذكر ابن عذاري أثناء حديثه عن استعدادات الموحدين قبيل خوضهم معركة العقاب وتحرر من واستنصار المسلمين بالأندلس للجهاد، أن الخليفة كان يسوم بعمليات تطهير من الفساد الذي تفشى حينذاك في بعض أجهزة الدولة بالمناطق الشمالية، وما زاد الطين بلة ما لقيه الناس هناك من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة التي ضربت البلاد فانعدمت الأقوات وارتفعت الأسعار، الأمر الذي لم

يعهده الناس ولا علموه في أسفارهم القاصيات ولا عارضهم مثلها... ( البيان، قسم الموحدين، 259). ومن أجل السيطرة على الموقف وبث الطمأنينة والأمان في النفوس، والوقت وقت جهاد، بادر الخليفة إلى تطبيق إجراءات حاسمة باسطة سطوته على عماله بالمناطق التي كانت تعبرها محلته معتبراً إياهم مسؤولين على تدهور الأوضاع. فأمر الوزير أبا محمد ابن أبي علي بن مثنى صاحب الأعمال المخزنية والمفوض إليه الأشغال العملية بالقبض على عامل فاس وهو عبد الحق بن أبي داود أكبر عماله ومعه حاشيته. ولما وصل الناصر إلى قصر كتامة كان ابن تاكفت "قد طابقت أحواله أحوال أمثاله" ( البيان، قسم الموحدين، 260) فاعتقله هو الآخر وأصحابه وأرسلهم مصفدين إلى وزيره ابن مثنى بفاس آمراً إياه بإعدام كل من عامل فاس الآنف الذكر وابن تاكفت. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مقتلهم، فقيل في أواخر سنة 608 هـ وأخر ذي الحجة، وقيل كذلك في أوائل محرم من سنة 609، تم إخراج المذكورين إلى الساحة يوم جمعة بعد الصلاة بحضور الآلاف من الناس "فضربت أعناقهما صبراً، عبرة للمعتبرين وذكرى للغافلين" ( البيان، قسم الموحدين، 263).

وبعد فتح الموحدين لقلعة شلبطرة بالأندلس، شاع خبر مقتل عاملي فاس وسبتة وسط الجيش وخاصة بين أشيخ الموحدين. وقد اعتبر ابن عذاري هذا النبأ سبباً رئيسياً فيما أصاب الموحدين بعد ذلك من تصدع صفوفهم وتدني معنوياتهم وبالتالي نكوصهم بموقعة العقاب إذ "لم يجدوا في تلك الغزوة ولا نصحوها فيها لأجل نكبة أميرهم الناصر لأشياخهم وقتله واستئصاله لهم على يد المفوض ذلك إليه ابن مثنى" حتى إن خبر موتها أصبح حديث العامة حيث كان بعضهم يقول بعد الهزيمة "مدها قل لابن المثنى يردها"، يعنون بذلك صاحب الأشغال الذي نكب أشيخ الموحدين ( البيان، قسم الموحدين، 263). بينما يرى عبد الواحد المراكشي سبباً آخر لتخاذل الموحدين وانكسار شوكتهم، وهو تأخير رواتب الجند وأعطياتهم، ونسبوا الأمر إلى الوزراء، فرفض كثير منهم سل سيوفهم ومحاربة النصارى مما جعل الهزيمة على الموحدين أسرع وأقسى (المعجب، 457)، وإيذاناً ببداية مرحلة جديدة من المشاكل التي سيعاني منها المخزن الموحدي كثيراً سواء في المغرب أو الأندلس والتي ستكون أيضاً من أهم أسباب زوال دولتهم.

ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تج. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985: ج. المراكشي، المعجب، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، د. ت. ع. ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، بيروت، 1968: ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973: أ. الناصري، الاستقصا، ج. 2، الدار البيضاء، 1954: م. بن تاويت، تاريخ سبتة، الدار البيضاء، 1982.

**ابن تاكفت، يحيى المسوفي**، من زعماء قبيلة مسوفة الصنهاجية، وأحد أبرز أشيخ المرابطين أيام الأمير علي بن

يوسف. ويعد وفاة هذا الأخير سنة 537 هـ برز خلاف ونزاع شديداً بين قبيلتي مسوفة وملتونة حول الزعامة والرياسة. وقد تزامن هذا مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كل من المغرب والأندلس فانتشرت الفتن وعمت الفوضى، وتفشى الغلاء وامتنع الرعايا عن أداء المغارم وتكالب النصارى على الثغور الإسلامية في الأندلس (العبر، 6 : 474). ووعياً من زعماء مسوفة بعدم قدرتهم على مجابهة قوة لمتونة التي تستحوذ على مقاليد السلطة، ونظراً لتغيير موازين القوة التي أصبحت تميل لصالح الموحدين وهم في طور النشوء، فضلوا الانحياز إلى الموحدين ومناصرة دعوتهم للاستفادة من الوضع الجديد وانتقاماً من سطوة لمتونة. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء يحيى بن تاكغت وبرايز بن محمد ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار (أنجمار) الذي كان والي المرابطين على تلمسان وغيرهم من إخوانهم ورجال قبيلتهم. وقد ساهمت هذه الانسحابات في ارتفاع معنويات الجيش الموحدى ومكنت عبد المومن بن علي الكومي من استغلال الفرصة التي لا تعوض لضرب قوة صنهاجة في الصميم، فقد استفحل الخلل وزادت متاعب جيش المرابطين، ولم يعد أميرهم تاشفين بن علي يتحكم في زمام الأمور فأدى ذلك إلى تصاعد وتيرة الصراع بين لمتونة ومسوفة وقتل بعضهم بعضاً. ومن مظاهر ذلك المواجهة التي وقعت بين يحيى بن تاكغت وقائد لمتونة محمد بن زجو (زكُو) بظاهر تلمسان، فأسفرت المعركة عن مقتل زعيم مسوفة وابنه وقطع رأسيهما ووجه بهما إلى الأمير تاشفين الذي أمر بحملهما إلى سجلماسة حيث كانت أخت يحيى المذكور. وذكر ابن عذاري أن هذه الأخيرة حزنت كثيراً لمقتل أخيها وتوعدت بالانتقام له إذ قالت "إن كان لنا رجال فسيأخذون بثأرنا" (البيان، قسم الموحدين، 17). وقد بلغ هذا الكلام عبد المومن فانتصر لها ووعدها برأس تاشفين فكان له ذلك عندما قتله عام 539 هـ. وبهذا يمكن القول إن تاريخ مقتل يحيى بن تاكغت يقع بين سنة 537 هـ، تاريخ وفاة علي بن تاشفين ونشوب الخلاف على إثره بين لمتونة ومسوفة، وسنة 538 هـ التي شهدت المواجهات العنيفة بين عبد المومن وتاشفين بأحواز تلمسان حيث قتل يحيى.

يوسف. ويعد وفاة هذا الأخير سنة 537 هـ برز خلاف ونزاع شديداً بين قبيلتي مسوفة وملتونة حول الزعامة والرياسة. وقد تزامن هذا مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كل من المغرب والأندلس فانتشرت الفتن وعمت الفوضى، وتفشى الغلاء وامتنع الرعايا عن أداء المغارم وتكالب النصارى على الثغور الإسلامية في الأندلس (العبر، 6 : 474). ووعياً من زعماء مسوفة بعدم قدرتهم على مجابهة قوة لمتونة التي تستحوذ على مقاليد السلطة، ونظراً لتغيير موازين القوة التي أصبحت تميل لصالح الموحدين وهم في طور النشوء، فضلوا الانحياز إلى الموحدين ومناصرة دعوتهم للاستفادة من الوضع الجديد وانتقاماً من سطوة لمتونة. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء يحيى بن تاكغت وبرايز بن محمد ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار (أنجمار) الذي كان والي المرابطين على تلمسان وغيرهم من إخوانهم ورجال قبيلتهم. وقد ساهمت هذه الانسحابات في ارتفاع معنويات الجيش الموحدى ومكنت عبد المومن بن علي الكومي من استغلال الفرصة التي لا تعوض لضرب قوة صنهاجة في الصميم، فقد استفحل الخلل وزادت متاعب جيش المرابطين، ولم يعد أميرهم تاشفين بن علي يتحكم في زمام الأمور فأدى ذلك إلى تصاعد وتيرة الصراع بين لمتونة ومسوفة وقتل بعضهم بعضاً. ومن مظاهر ذلك المواجهة التي وقعت بين يحيى بن تاكغت وقائد لمتونة محمد بن زجو (زكُو) بظاهر تلمسان، فأسفرت المعركة عن مقتل زعيم مسوفة وابنه وقطع رأسيهما ووجه بهما إلى الأمير تاشفين الذي أمر بحملهما إلى سجلماسة حيث كانت أخت يحيى المذكور. وذكر ابن عذاري أن هذه الأخيرة حزنت كثيراً لمقتل أخيها وتوعدت بالانتقام له إذ قالت "إن كان لنا رجال فسيأخذون بثأرنا" (البيان، قسم الموحدين، 17). وقد بلغ هذا الكلام عبد المومن فانتصر لها ووعدها برأس تاشفين فكان له ذلك عندما قتله عام 539 هـ. وبهذا يمكن القول إن تاريخ مقتل يحيى بن تاكغت يقع بين سنة 537 هـ، تاريخ وفاة علي بن تاشفين ونشوب الخلاف على إثره بين لمتونة ومسوفة، وسنة 538 هـ التي شهدت المواجهات العنيفة بين عبد المومن وتاشفين بأحواز تلمسان حيث قتل يحيى.

ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تج. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، بيروت، 1968 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973 ؛ السبذق، أخبار المهدي، الرباط، 1971 ؛ الناصري، الاستقصا، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**تاگّا** أو **تاگّا** = **تیسگّی** = **تیقّی**. يعيش بالمغرب نوعان من العرعر ذي الأوراق الإبرية وهما : العرعر الكادي (Genévrier oxycedre) أو علميا يونيبيروس أوكسيسيدروس Juniperus oxycedrus والعرعر العادي

السرويات. تاگا أو العرعر العادي نوع شجري من الممكن أن يبلغ علوه عشرة أمتار أو يزيد. قطر جذعه يمكن أن يتجاوز المتر الواحد، لكن غالباً ما يصادف على شكل شجرة قصيرة القامة أو شجيرة.

إنه جد متفرع، يبلغ طول أوراقه الإبرية من واحد إلى ثلاثة سم. ويظهر على وجهها العلوي ختان أبيضاض وعلى وجهها السفلي كُطُرُ منفرج غير محدود. تظهر الأزهار في الربيع، الذكورية على شكل قِدَّة طولها خمسة سم، والأنثوية مكسوة بعدة دُورات من الحراشيف. الثمار لبية وكروية الشكل ذات لون أسمر يميل إلى الاحمرار، يتم نضجها في غضون السنة الثانية.

يعيش العرعر الكادي في كل الجبال المغربية من البحر المتوسط في الشمال إلى الأطلس الصغير في الجنوب، لكنه نادر في السهول. إنه يصادف حتى ارتفاع 3.200 م فوق سطح البحر، أي من الطابق المتوسطي الدافئ حتى الطابق فوق الجبلي المتوسطي. أما من حيث البيومناخ فهو يوجد في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة، والرطوبة وشديدة الرطوبة ذات الأشكال المعتدلة والباردة والقارسة والقارسة جدا.

لا ينظم العرعر الكادي غابات مثل العرعر الفينيقي (انظر أيفس) أو العرعر الفواح (انظر أوال) بل يصادف ممثلاً بأفراد منتشرة في غابات البلوط الأخضر أو الأرز أو العرعر الفواح.

أما فيما يخص نطاقه الجغرافي فهو متوسطي إذ أنه يمتد من جزيرة مادير إلى بلاد الفرس.

يعطي العرعر الكادي القطران النباتي الذي يستعمل في التطبيب الشعبي لمعالجة بعض الأمراض الجلدية وأمراض أخرى ومعالجة الحيوانات.

وتستخرج هذه المادة بتقطير الخشب أو الجذور للأشجار المعمرة من العرعر الكادي. كما يستعمل الخشب من طرف الأهالي كجسور لدعم الجدران وكركاثر لدعم السقوف.

تاگا أو العرعر العادي، إن هذا النوع نادر جدا بالمغرب غير أنه يكثر في جبال المناطق المعتدلة من آسيا وأوروبا وأمريكا. ففي المغرب، كما هو الشأن بالجزائر، لا يصادف إلا على بعض قمم الأطلس المتوسط (تيشوكت : للا أم البنت على علو يفوق 2.700 م، ويوناصر على علو 3.300 م) والأطلس الكبير (جيل إغيل فوق عينون وادي العبيد). أما من حيث التوزيع البيوجغرافي فهو يقطن في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب ذوي الشكل القارس جدا، أي في الطابق النباتي فوق الجبلي المتوسطي.

العرعر العادي، شجيرة قزمية ذات أوراق إبرية دائمة الاخضرار لا يتعدى طولها 2 سم. والصفات النباتية الأخرى التي تميز هذا النوع عن النوع السابق هو وجود خط واحد أبيض على الوجه العلوي للورقة، واللون الأزرق الداكن للثمرة.



تستخدم ثمار العرعر العادي في البلدان التي يكثر بها في تطيب الطيور وتطيب اللحوم المختلفة وبصفة خاصة في الجبن، ويستخرج زيت طيار من الثمار المسحوقة يستخدم لإعطاء نكهة للجبن ولدرجة محدودة في الطب.

أبحاث ميدانية : أ. هيل، النبات الاقتصادي، تر. د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; P. Quezel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

**تَاكَّاتٌ**، تعني الكانون، وهي حفرة صغيرة مستديرة على أرضية المكان الذي يقوم مقام المطبخ توضع حولها ثلاثة أحجار على شكل مثلث، وهي الأتافي التي تحمل أواني الطبخ عندما توضع على النار، ومن ثم تطلق تاكات على الأسرة لاشراكها في طبخ الطعام.

ويرى جاك بيرك J. Berque أن تاكات في عرف سكساوة تطلق على الأسرة التي لا يتجاوز عدد أفرادها خمسة (1952)، وإذا كانت الشراكة في المطبخ تشكل تعريفاً لمدلول تاكات، فإن الشراكة في السكن تشكل من جهتها تعريفاً لمدلول تيغمي (أي المنزل - الدار). وبالفعل فإن عدة تاكاتين (جمع تاكات) تربط بينها أوامر القرى، تتساكن وتقتسم غرف منزل واحد. وتتسع دلالة تاكات عند بعض القبائل المجاورة لسكساوة حيث تقتضي شراكة التساكن وشراكة الاستفادة من نفس المطبخ، أن تفسح المجال لهذا الغرض في وجه العائلات. وهكذا فإن النساء يقمن فيه بالتناوب بكل ما يهيم أشغال المطبخ. بالإضافة إلى ذلك، ترى العائلات وهي تشترك في استغلال الأراضي وامتلاك قطائع الأنعام. وفي هذه الحال، فإن تاكاتين (الكوانين) تشكل وحدة تقوم للاستهلاك والسكن واستثمار الأرض والامتلاك.

وجود هذه الوحدات وارد أيضا عند سكساوة، لكن هنا لا يعبر عنها بلفظة تاكات. ويلاحظ أن عدداً من تاكاتين توجد كذلك بصورة شائعة بين العائلات التي تشترك هي الأخرى في الانتفاع بربع التراث الذي خلفه الأجداد. لكن تدبير هذه الموروثات وتوزيع المحصولات غالباً ما يكونان منوطين برجل واحد، هو الأب أو الأخ الأكبر. وفي هذه الظروف أيضاً فإن نمط العيش يبقى مثل ما ذكر إلا أن تاكاتين المعنية بالأمر، تستهلك كل واحدة منها على حدة، محصول جهود وأعمال أفرادها.

ويؤكد هارت D. Hart من جهته أن قبائل أيت عطا الصحراوية تسمي الأسرة تاكات ولا يمكن أن يكون رئيساً عليها إلا الرجل المتأهل الذي يستطيع أن يضحى في الأضحى، ويضيف هارت أنه في حالات نادرة، تشمل لة تاكات عائلة أوسع، تضم والدي الزوج وبناته المتزوجات. وعندها يتقلص مدلول تاكات إلى كانون واحد في المطبخ. ويبقى أن المعطي الأهم في الموضوع، أن الأب، إذا كان على قيد الحياة وغير مصاب بعجز، هو الذي يتحمل مسؤولية

التدبير الاقتصادي والإشراف المعنوي على تاكاته. وفي هذا النسق، ينطبق معنى تاكات على أسرة زوجية واحدة كما ينطبق على عدة أسر من هذا الصنف تكون تحت سيادة شخص واحد.

ويبدو إلى حد الآن أن تاكات تختلف في تطبيقها عما يسمى بالعائلة الخلوية - (رجل + امرأة + أبنائهما) والعائلة ذات الحجم الكبير. من ذلك، فإن تاكات لا يناسب تطبيقها على وحدة ثنائية يشكلها زوج وزوجته يسكنان في جناح خاص في منزل والد الزوج الذي يشتغل مع أبيه، فيسلم هذا الأخير إلى ابنه نصيبه من مردود العمل. في هذه الظروف، لا يتوفر الابن على السلطة وهي العامل الأساس في تحديد مفهوم الأسرة - لذلك، قد يفهم من العائلة، تاكاتين خاضعة لسيادة شخص واحد يتمتع بصلاحيه تدبير شؤون الممتلكات الجماعية الموروثة وتوزيع المحصول الفلاحي على ذوي الحقوق. إذن، رغم ما قد يلحق بوحدة المطبخ من تفكك - يرجع، حسب بيرك، إلى تنطع النساء - ورغم الجنوح إلى الانفرادية - وليس إلى الاستقلال - في السكن، فلا شيء من هذا يعرض إطار الأسرة إلى العبث والتلف، لأن الأسرة تتشكل في عدد من الحالات من عدة تاكاتين لا انفصام لها، تحت قيادة رجل واحد (1952).

وليس تاكات حدثاً اجتماعياً بشرياً فقط، ولكنها قد تكون أيضاً وحدة سياسية قانونية. من ذلك، يلاحظ أن بعض المجموعات بمناطق الأطلس الكبير وبعض الجماعات البشرية التي تشكل عائلة من الناحية الاجتماعية، لا تعتبر تاكات. وينطبق هذا الاستثناء على عائلة غريب مثلاً، حتى ولو أنه كان يقيم باستمرار في حدود تراب المنطقة، وله منزل، فلا يعد عضواً في الجماعة - وهي الهيئة التي تقرر في قضايا تدبير الممتلكات الجماعية .. وكذلك الشأن فيما يتعلق بالابن الذي له منزله الخاص وميزانيته الخاصة، فلا يمكنه أن يؤسس تاكات إلا بعد وفاة والده. وعند عملية إحصاء تاكاتين لغاية استخلاص ما عليها من واجبات مادية لفائدة الجماعة، فإن عائلات العزباء، وعائلات الأرامل والأبناء المتزوجين، تستثنى من الإحصاء. وقد يحدث أن تنشطر تاكات وتنفجر إلى عدة بيوت، لكن بيت الأب وحده يُعتبر تاكات.

وباعتبارها وحدة ابتدائية أساسية للجماعة، يمكن لتاكات أن تقابل الخلية العائلية، ولا تقتضي وجود عنصرين متزوجين - كما يفرضه مدلول الأسرة لإنشاء تاكات. وقد يوجد ابن عازب، وله مشروع الزواج، يعيش مع أمه الأرملة، وهو رئيس لتاكات.

إن تحديد المجموعات البشرية العائلية لا يخلو من صعاب لأن عدداً من تاكاتين تجمع بينها روابط الدم، تشكل وحدة مجتمعية تسمى إخس أو إغس (أي العظم) حسب ما كتبه بيرك ومونطاني وهارت، والأسرة على حسب تعبير التوفيق الذي يرى أن "إخس" تجمع بين عدة تاكاتين. وفي هذه الحال، فإن الصلة بين "إخس" وبين الأسرة تبقى

ويرجع أصل هذه الجماعة إلى أحد أفخاذ أيت سخمان نسبة إلى جدهم المسمى "علي سخمان" الذي أنجب خمسة أولاد، تفرعوا إلى القبائل التالية :

- عبيدي أُوَلي كُونُ جماعة تيزي نيسلي.
- حمامة أُوَلي كُونُ جماعة أغبالة.
- داود أُوَلي كُونُ جماعة تاكلفت.
- سعيد أُوَلي كُونُ جماعة فم العنصر.
- حقي أُوَلي مجهول الاتجاه.

وقد أنجب داود أُوَلي خمسة أولاد يرجع إليهم أصل السكان المستقرين بمنطقة تاكلفت، وهم :

- أنداح الذي شكل مشيخة أيت تمجوط.
- إسماعيل شكل مشيخة أيت إسماعيل.
- بولمان كون مشيخة أيت بولمان.
- خويا شكل كذلك مشيخة أيت خويا.

- حمزة استقر مع أخيه بأيت بولمان وكان فقيهاً. وعلى إثر بعض النزاعات التي وقعت بينه وبين أخيه هاجر إلى منطقة تيفرت بالأطلس الكبير، حيث استقر بها وشكل مشيخة أيت حمزة.

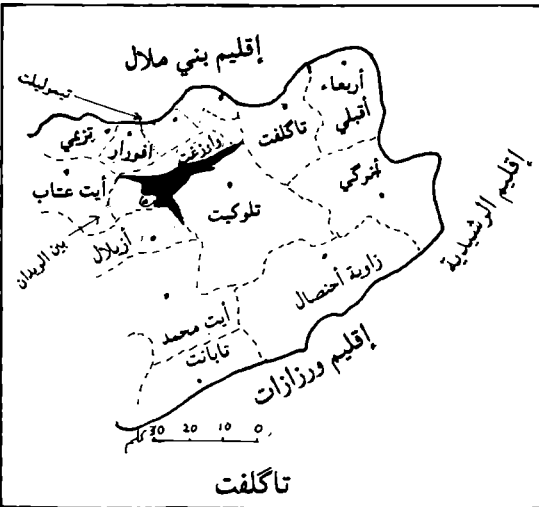
هكذا قسمت منطقة تاكلفت إلى أربع مشيخات متحدة

تحت اسم أيت داود أُوَلي وهي كالتالي :

- أيت خويا يشكلون مركز الجماعة ويمثلون حوالي 33٪ من مجموع السكان.
- أيت إسماعيل تقع شرق الجماعة وتشكل حوالي 25٪ من مجموع السكان.

- أيت تمجوط وأيت بولمان : يتركزون غرب وجنوب الجماعة ويمثلون حوالي 42٪ من مجموع السكان.

بالإضافة إلى هذه المجموعات استقبل فرع أيت خويا عنصراً بشرياً آخر في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وهو من شرفاء زاويتي أسكار وأيت سيدي عزيز أي ما يعرف محلياً "إكرامن" وهم من الأدارسة الذين قدموا إلى المنطقة من زاوية أحنصال.



تشكل منطقة تاكلفت من الجانب الطبغرافي مجالاً

مسألة اتفاق، كما أنه قد يحدث أن تقابل مجموعة من تاكاتين المسماة "إخس" محلياً، عائلة تضم عدداً كبيراً من الأفراد، غير أن هذه الحالة نادرة، اعتباراً للبعد الديمغرافي الهام إخص.

وبالجملية فإن تاكات قد تعني العائلة أو الخلية العائلية كما يمكنها أن تنطبق على وحدات بشرية قائمة بذاتها ولكنها ملتفة حول سلطة رب عائلة. وعلى عكس ذلك، ولأسباب مرتبطة بالتنظيم المجتمعي، فإن بعض الخلايا العائلية وبعض العائلات، لا تسمى تاكات. وينبغي التذكير بأن مفاهيم الأسرة والعائلة التي تترجم معنى تاكات، يمكنها أن تنطبق في بعض الظروف، على جماعات بشرية أكثر عدداً وأوسع رقعة من إخص.

أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن 19 :

أينولتان، 1850. 1950. الرباط، 1978.

A. Adam, *La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Paris, 1951 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1978 ; D. Hart, *Dadda 'Atta and his Forty Grandsons. The Socio-Political Organization of the Air 'Atta of Southern Morocco*, Middle East & North African Studies Press, 1981 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; H. Rachik, *Le sultan des autres. Rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.

حسن رشيق - ترجمة : أحمد بنجلون

**تاكوت أو تاكوت،** باختلاف نطق الجهات الدرعية

والأطلسية. شجرة الفوريون التي تستعمل في الدباغة، وهي نوع من الأثل ذكرها أصحاب كتب النبات والجغرافيون وكان لها أهمية لاستعمالها في دبع الجلود. وقد تستعملها النساء في معالجة الشعر. ذكرها ابن البيطار وصاحب الروض المعطار. كما ذكرها البكري بدرعة وقال : "يدبع بها الجلد الغدامسي". وقد استمرت تشير انتباه الرحالين إلى قرننا هذا، وكانت تستعمل على نطاق واسع من لدن الدباغين والصباغين في جميع العصور.

أ. البكري، المغرب : ع. الحسيري، الروض المعطار : ي. التادلي، الشوف : الادريسي، نزهة المشتاق : ابن أبي زرع، القرطاس.

Dozy, *Supplément*.

محمد حجاج الطويل

**تاكوت أو تَكُوت،** أسرة تطوانية كل ما نعرفه عنها

أنها كانت موجودة بالمدينة سنة 1257 / 1841 حيث نجدها تملك داراً بحومة الترنكات.

م. داود، تاريخ تطوان، 8، 313 : مختصر تاريخ تطوان، 2، 338 :

م. ابن عزوز حكيم، عائلات تطوان.

Delegacion, *Familias ; Vademecum* (año 1931), 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاكلفت،** موقع تاريخي في إقليم أزيلال بالأطلس

الكبير الأوسط، أحدثت فيه سنة 1976 جماعة قروية تحمل اسمه وتناهد مساحتها 250 كلم<sup>2</sup> يحدها من الشمال جماعتا أريعاء أو قبلي وفم العنصر ومن الشرق جماعة تيزي نيسلي ومن الغرب فم أودي ومن الجنوب جماعتا تيلوكيت وأنرغي (انظر الخريطة).

منخفضاً إذا امتداد مهم، تتراوح ارتفاعات سطحه ما بين 500 و600 م تقريباً. أهم ما يميزه هو طابع التقطع الشديد بفعل شبكة كثيفة من المسيلات المائية الموسمية وبعض الروافد المغذية لوادي العبيد.

أما الطبيعة الجيولوجية لهذا المنخفض فتغطيه صخور ضعيفة المقاومة كالصلصال والطين والبليت الأحمر للجوراسي الأوسط القاري.

تحيط بهذا المنخفض مجموعة من الاعراف تتعدى قممها 2000 م، منحوتة في صخور كلسية دولوميتية لياسية، أغلبها يتخذ اتجاهها أطلسيا وتنتهي بسفوح وعرة وذات أشكال مركبة، غالباً ما تطورت بها شعاب وخوانق كما هو الحال بالنسبة لخوانق واد العبيد التي يطبعها بشدة تعمقه. أما باقي مجال المنخفض فيخترقه هذا الواد برسمه لمجموعة من المنعطقات الحبيسة.

تمتاز المنطقة بانخفاض درجة الحرارة بمعدل 10 درجات وارتفاعها خلال شهري يوليو وأغسطس لتصل إلى 42 درجة، غير أن كمية التساقطات نسبياً مهمة حوالي 465 ملم وسط المنخفض وتعرف تذبذبات تختلف من سنة إلى أخرى حيث إنه في بعض السنوات تسجل فقط حوالي 150 ملم. أما القمم العليا التي يزيد ارتفاعها على 2000 م فتتلقى كميات لأبأس بها من التساقطات الثلجية ابتداء من شهر نونبر إلى غاية شهر ماي.

يرتبط وجود هذه الصفات المناخية بعوامل محلية كالمرق العرضي والقارية والوضعية الطبوغرافية التي تميز المنطقة.

ويقدر عدد سكان جماعة تاكلفت حسب إحصاء 1982 بحوالي 8012 نسمة، بكثافة سكانية تقترب من 32.04 نسمة في الكم. هذه الساكنة تغلب عليها فئة ذات بنية شابة، تتراوح أعمارها ما بين 15 و30 سنة.

يعيش هؤلاء السكان على أسلوب ريفي ويمارسون النشاط الزراعي والرعي، ويعتبر سوق الأحد بمركز الجماعة الجهاز التجاري الأساسي بالنسبة للسكان، بالإضافة إلى سوق السبت بأسكار وسوق الخميس بأيت تمجوط.

وتقدر مساحة الأراضي المستغلة بالجماعة بحوالي 17.626 هكتار موزعة كالتالي :

20 هكتار مسقية انطلاقاً من مجرى وادي العبيد وبعض العيون و12.000 هكتار بورية و5.606 هكتار أراضي رعوية.

أهم المنتجات الزراعية الشعير في المرتبة الأولى، يليه القمح، ثم هناك زراعة ثانوية تسمى محلياً "أرتكو" وتعرف بالسلت. أما المغروسات الشجرية فتتخصص في أشجار الزيتون والتفاح والتين. وتبقى مردودية هذه المنتجات ضعيفة ومنذ بذبة من سنة إلى أخرى.

يعاني هؤلاء السكان من قلة التجهيزات الأساسية ومن خطورة التعرية المتمثلة في ظاهرة انجراف التربة بسبب تراجع الغطاء النباتي الذي يحمي السطح، إضافة إلى

انعدام التجهيزات الفلاحية. فبالرغم من إحداث مركز فلاحي بهذه الجماعة سنة 1980 فإنه لم يتم بالدور المنوط به تجاه هؤلاء السكان، لذا فضل معظمهم الهجرة إلى قطاع تادلا المسقي للعمل داخل الضيعات الكبرى أو إلى المراكز الحضرية المجاورة لمزاولة التجارة. وهناك من فضل الاستقرار بالجماعة وتفرغ لميدان الكسب الذي يعد حالياً المورد الرئيسي في التجارة داخل الأسواق الأسبوعية، ويأتي على رأسهم كسابو أيت تمجوط الذين يصدرون مواشيتهم خارج نفود الجماعة إلى مدن تادلا كيني ملال والفييه ابن صالح، كما يتعاملون مع مدن أخرى كمراكش وسلا وتاونات وأكادير.

ويبقى النشاط السائد المفضل لدى معظم سكان تاكلفت هو النشاط الرعوي، الذي يعتبر أهم مورد حقيقي لعيش معظم السكان فمثلاً الأغنام تأتي في الدرجة الأولى وتمثل حوالي 40.000 رأس بليها الماعز 23.500 رأس وفي المرتبة الثالثة الأبقار 460 رأس.

ويتم هذا النشاط الرعوي على حساب المجال الغابوي بسبب العدد المرتفع للمواشي إذا قورن بالمساحة المخصصة للرعي 5.606 هكتار. هذا في الوقت الذي تعتبر فيه الغابة من أهم الموارد الطبيعية والتي يمكن استغلالها لتنمية الجماعة من الناحية الاقتصادية، فهي تغطي ما يناهز 36.169 هكتار، يشرف على محافظتها أعوان غابويون، كما يوجد بمقر الجماعة إدارة للمياه والغابات، لكن عكس ذلك نجد أن 80٪ من مجموع سكان الجماعة يعيشون كلياً أو جزئياً من هذا المجال الغابوي المتنوع الأصناف (البوط الأخضر - العرعار - التوية ...) وتتجلى ممارستهم في مظاهره الاجتثاث لريح المجال الفلاحي والخشب للتدفئة أو لاستعماله في البناء وكأدوات منزلية وفي جني الحطب. وأخطر ظاهرة تتم داخل الغابة هي عملية الرعي الجائر خصوصاً وأن صنف البوط الأخضر يوفر غداً مفضلاً لدى معظم الماشية وخصوصاً صنف الماعز. إضافة إلى أن هناك عدداً مهماً من السكان يتاجرون في الحطب وفي صنع الفحم.

تشتهر هذه الجماعة بصناعة الفخار وإنتاج الزرابي كما تتوفر على مواقع استراتيجية مهمة تدعو إلى خلق مرافق حيوية سياحية للتعريف بهذه المنطقة لاسيما المكان المعروف بـ"والوس" الذي يبعد عن مقر الجماعة بخمسة كيلومترات والذي بنفرد بمناظر خلابة ومآثر تاريخية ترجع إلى العهد البرتغالي. ثم هناك زاوية "أسكار" المعروفة بقصورها القديمة ومياهها وطبيعتها الخلابة على طول الطريق المؤدية لمركز "تنكارف" المنفردة بموقها وطبيعتها الساحرة التي تستمر إلى قيادة أنرغي.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

**تاكما** (أهل -)، فرقة من قبيلة بني ورشم من بني إزناسن، وقد تسموا باسم الموقع الذي استوطنوه على

السفوح الشمالية الغربية لجبل بني إزناسن غير بعيد عن قرية تافوغالت في اتجاه مدينة أبركان (إقليم وجدة)، وينقسم أهل تاكماً إلى أربع فصائل، وهم : أولاد يعقوب، وأولاد عبد الصادق، وأولاد بالخير، وأولاد بن مشعل. ومن الملاحظ ان اسم الفرقة الرابعة يذكر بقصة اليهودي ابن مشعل مع المولى الرشيد، ولعل هذه التسمية تزكي الرواية التي حددت موطن ابن مشعل بجبل بني إزناسن. ق. الوطاسي، بنو بزنانس، ص 22، 68، 92؛ عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي، ص 58، 59.

عكاشة برحاب

**تاكما**، عين ماء جارية بجنوب مدينة مكناس على بعد سبعة كيلو مترات منها، وقد اكتشف المرحلون أهمية مائها في عهد عبد المؤمن بن علي وعملوا على إدخاله للمدينة، وأصبح منذئذ الماء الشروب للأهالي، عوض مياه الآبار ووادي بوفكران، وبعد ذلك تم إدخاله إلى المرافق الدينية كالمساجد كما يذكر ابن غازي في *الروض الهمتون* (ص 28): "وزيد بعد الستماتة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة، وجلب إليها الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال له تاجما... وهذا كله في أيام الموحدين..." كما أدخل المرينيون مياه عين تاكما للمدارس التي بنوها بمكناس، وانتشرت في عهدهم سقايات السبيل، وزودت الحمامات بنفس الماء أيضا.

واهتم السلطان المولى إسماعيل في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) بمياه عين تاكما الذي حبس جزءا منه على المسجد الأعظم، وأمر المكلف بالبناءات السلطانية محمد الكاتب الأندلسي بالوقوف على مد قنوات مياه تاكما، وسماها عين البيضاء، من منبعها إلى المسجد المذكور (*الإتحاف*، 1: 153) وحبس المولى إسماعيل على مياه عين تاكما أوقافا داخل المدينة شملت الدور والحوانيت والحمامات، وخارجها مجموعة من الأراضي، وجعل إيرادها مخصصا للإنفاق على صيانة ماء عين تاكما وحرصته وإصلاح ما فسد من مجراها، وأداء واجب حراستها، لأن ماء هذه العين كانت تجري في قناة خصوصية، تمتد من منبعها إلى الجامع الكبير.

بقيت مياه تاكما محط عناية الملوك العلويين خاصة بعدما صارت تزود الدار العالية بمكناس بما تحتاجه من الماء العذب الصالح للشرب، إلى أن لحقها الإهمال في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه، وخرّب مجرى ساقيتها، واختلط ماؤها بماء وادي بوفكران. فلما بسطت فرنسا حمايتها على المغرب اهتم الحاكمون بهذه المياه من جديد، وحولوا مجراها سنة 1913 إلى هضبة حمرية التي كان يربط فيها جنود دولة الحماية وبنيت فوقها المدينة الجديدة التي سكنتها العناصر الأوربية المتوافدة على مكناس، مكونة بذلك النواة الأساسية للمجتمع العصري الأوربي، فجاء الاهتمام بمياه عين تاكما التي صارت الممول الرئيسي للأجانب من المياه العذبة، "ثم لما طال استيطان الفرنسيين

بمكناس، أنتج البحث المدقق من عرفائهم أن أحسن ماء يوجد بالبلد خفة وصفاء وعذوبة هو ماء عين تاكما... وأدخلت الدولة الحمامية ماء عين تاكما للمدينة الجديدة... ثم يعد هذا أدخل ماء عين تاكما للمدينة الأهلية المكناسية واتخذت له سقايات عمومية بأزقتها وأبيح إدخاله للدور" (*إتحاف*، 1: 52).

أجرى التقنيون الفرنسيون عدة دراسات على مياه تاكما أسفرت عن نتائج جيدة، وهكذا توصلوا سنة 1932 إلى التعرف على الصيب الحقيقي لتاكما الذي يبلغ ل35 / ث أي 3000 م، وهي كافية لتزويد سكان المدينتين القديمة والجديدة بالماء الشروب، والاستغناء عن مياه الآبار ووادي بوفكران.

م. ابن غازي، *الروض الهمتون*، الرباط، 1988؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الأول؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، 1، 2 شتنبر 1937، الرباط 1990.

بوشتي بوعسرية

## تاكما ← تاضا

**تاكما دارت**، تطلق على المدخل الشمالي لواحة فزواطة بدرعة، وتمتد هذه المنطقة على طول بضع كيلو مترات من فم زاكورة (إيمي نتزاكورت) شمالا إلى حدود قُطة قصر تيمتتيك جنوبا. وتشتمل على مجموعة من القصور تقع كلها في الضفة الشرقية لنهر درعة، ومن هذه القصور: أمزرو وإذكراط، وأغلا ودرار وأكروور وسارت ثم أسيرير. وقد استحدثت بالمنطقة في العصور المتأخرة قصور أخرى أقل أهمية مثل قصبية أيت هككو وزارية أمزرو وزاوية أيت خدو وقصر بني عثمان، وتشترك هذه القصور في الأراضي الزراعية وسواقي الري التي كانت تتطلب جهدا جماعيا لحمايتها وصيانتها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وعلى غرار غير مناطق وادي درعة، استعارت تاكما دارت اسمها من أحد القصور المهمة كما هو الحال بالنسبة لجهات أخرى بواحة فزواطة مثل تامكروت وبني علي وتيمتتيك التي أخذت أسماءها من أهم قصورها.

ونستفيد من كتاب *إفريقيا* لمارمول الذي زار بلاد درعة في السبعينات من القرن السادس عشر الميلادي أن تاكما دارت عبارة عن قصر عامر، يقدر عدد سكانه بحوالي ألف وخمسمائة نسمة، وأنه كان يزخر بالأدباء والعلماء (*إفريقيا*، 3: 149)، إلا أنه لا يوجد اليوم أي قصر بمنطقة تاكما دارت بهذا الاسم. ويظهر من إشارة طوماس پيلو T. Pellow الذي زار درعة ضمن الجيش الاسماعيلي سنة 1135 / 1723، لوضع حد لعصيان قبائل محاميد الغزلان، أن قصر تاكما دارت كان لا يزال قائما خلال العقود الأربعة الأولى من القرن الثاني عشر (18 م) (*La Relation*, 118).

ولا نستبعد أن يكون قصر تاكما دارت قد تخرب وفقد أهميته مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر

(18م)، فقد ذكر محمد المكي الناصري أن الغلاء اشتد بدرعة سنة 1152 / 1739 م "فأُتلف من أهله كثيرا وعُفي من محاسنه قصورا ودورا" (طليعة، 18). وقد كان هذا الغلاء الفاحش بدرعة وما صحبه من اضطرابات اجتماعية واقتصادية نتيجة مباشرة للأحداث التي عرفتتها واحة محاميد الغزلان (التاريخ الاجتماعي لدرعة، 190-192).

كان موقع قصر تاغمادارت، مشار نقاش بين عدد من الباحثين في تاريخ وادي درعة، فاعتقد غاتفوسى Gattefossé أن هذا القصر كان قائما بالسفح الشمالي بجبل زاغورة على يمين الطريق الرابط بين تازرين وزاغورة، حيث لا تزال هناك بعض الأطلال القديمة إلى اليوم (Juiifs et Chrétiens du Dra, 57) إلا أن الحفريات التي أجريت بعين المكان في أواسط الخمسينات من القرن الحالي، أثبتت أن هذه الأطلال من بقايا حصن تازاغورت المرابطي (La Forteresse de Zagora, 309) الذي استولى عليه الموحدون في بداية أمرهم (نظم الجمان، 195). ورجح سيلممان Spillmann أن يكون قصر أمزرو الحالي هو نفسه قصر تاغمادارت القديم (Districts et tribus, 151) خاصة أن سيلممان قد أدرك، في الثلاثينات من هذا القرن، بعض بقايا لبنا قديم خارج أسوار قصر أمزرو، وقد اختفت هذه البقايا على إثر التوسع العمراني الذي عرفه قصر أمزرو، بعد تعبيد الطريق الجديد بين زاغورة وتامگروت. أما دو لا شاپيل De La Chapelle فقد رجح أن يكون موقع قصر تاغمادارت في مكان ما من الخربات التي لا تزال قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر سارت (Une cité de l'Oued Dra, 30) ولعل ما يرجح ما ذهب إليه دولا شاپيل، أن سكان قصر سارت وسكان منطقة تاغمادارت بصفة عامة، لا يزالون يعرفون هذه الخربات بدار السلطان إشارة إلى كون الأشراف السعديين، كانوا قبل توليهم ملك المغرب، مستقرين بقصر تاغمادارت.

اشتهرت واحة فزواطة كغيرها من واحات درعة، ومنذ القرون الوسطى، برّطها العلمية والصوفية مثل رباط تافگروت ورباط سارت، ورباط بني علي (مذكرة المزريوي: 5). ومنذ القرن الثامن الهجري بدأت الزوايا تحمل محل هذه الربط. وتدل كل القرائن على أن كثيرا من ربط واحة فزواطة قد تحولت إلى زوايا، من ذلك على سبيل المثال رباط تافگروت ببني علي، وقد حلت محله زاوية سيدي بلال، وزاوية تاغمادارت التي حلت محل رباط سارت، وصارت الزوايا تقوم بكل الوظائف الاجتماعية والتعليمية والصوفية التي كانت تقوم بها الربط في العصور الوسطى. ونستفيد من غير ما مصدر تاريخي، أن محمد بن مبارك، أحد متصوفة سوس، نصح أهل سوس بأن يستقدموا شريف تاغمادارت ويبايعوه على الجهاد، لرد عائلة المسيحيين الذين كانوا قد احتلوا بعض سواحل المنطقة (الدوحة، 10، 11؛ الاستقصا، 5: 7). والذي يهمنا من هذه الإشارة أن الطريقة الجزولية التي يعتبر سيدي محمد بن

مبارك من أبرز شيوخها في مطلع القرن العاشر (16 م)، ليس بسوس فحسب وإنما في مجموع أنحاء الجنوب المغربي، قد نجحت خلال القرن السابق في تدعيم نفوذها بواحات درعة عامة وواحة فزواطة بصفة خاصة، وذلك من خلال تأسيس سلسلة من الزوايا التي مهدت للشرفاء الزيدانيين انطلاقا من زاوية تاغمادارت لتسلم السلطة بالمغرب. ومن الزوايا التي صار لها شأن كبير بواحة فزواطة منذ مطلع القرن العاشر (16 م) زاوية سيدي علي بن محمد البكري وزاوية تامگروت، وزاوية تاغمادارت (الحركة الفكرية، 2: 538، 541، 545).

وقد اشتهرت زاوية تاغمادارت بمن أنجبتهم من علماء أذذ من عائلات العنابي والعثماني والمضغري والشرفاء الزيدانيين خلال القرن العاشر وردحا من القرن الحادي عشر (16-17 م) (الحركة الفكرية، 2: 538، 539، 540، 541).

وبالرغم من ذهاب عز زاوية تاغمادارت بنهاية الدولة السعدية، فإن بعض قصورها قد عرفت نبوغ عائلات علمية أخرى، كعائلة سيدي عبد الله بن مسعود بزاوية أيت خدو، وعائلة الرگيبي بقصر أغلا ودرار؛ وقد كان آخر علماء هذه العائلة سيدي الحسن الأغلاودراري المتوفى عام 1339 هـ (المعسول، 16: 339؛ العقود الجهورية، 18-19)، بالإضافة إلى عائلة الدليمي التگمدارتي الوردازي، التي نبغ منها عدد من العلماء بدرعة وورزازات ومراكش وتطوان، حيث لا يزال أبنائها يعرفون إلى اليوم بالوردازي.

ويكفي تاغمادارت فخرا أنها قدمت للمغرب الدولة السعدية حيث نجح ملوكها في تدعيم وحدة البلاد وحمائتها من الاحتلال المسيحي في مطلع العصور الحديثة.

ح. ابن القطان، نظم الجمان؛ أ. الناصري، الاستقصاء، ج 5: م. الإفرائي، نزهة الحادي؛ م. المختار السوسي، المعسول، ج 16: مارمول كاربخال، إفريقيا، ج 3: م. المكي الناصري، الدر المرصعة، مخطوط؛ طليعة الدرعة؛ محمد بن لحبيب التمنوكالي، العقود الجهورية في الأبناء الدرعية، مخطوط؛ عبد الكريم المزريوي، مذكرة المزريوي، مخطوط.

J. Meunié et Ch. Allain, La Forteresse de Zagora, Hesp., 33, 1956; J. Gattefossé, Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam, B.S.P.M., 3 et 4, 1935; F. De La Chapelle, Une cité de l'Oued Dra, Hesp., IX, 1929; G. Spillmann, Districts et tribus de la haute vallée du Dra, A.M., Vol. 9, Tome II, 1931; T. Pellow, La Relation de Thomas Pellow, Trad. Magali Morsy, Paris, 1983.

### التاغمادارتي، عبد الله بن محمد بن مسعود، أحد

الفحول الكبار، لا نعرف شيئا عن ولادته، أخذ العلم عن عهله درعة في وقته محمد بن مهدي الجراري ولازمه في زاويته حتى تخرج عليه، وقد طبقت شهرته العلمية الآفاق، فحله الحضيكي في طبقاته بأستاذ العلماء ورئيس الفقهاء والفضلاء (طبقات، 2: 213).

عاد عبد الله بن مسعود بعد تخرجه إلى تاغمادارت فتصدر للتدريس وإفادة المتعلمين، فأقبل عليه طلاب العلم من كل جهات درعة والمناطق الجنوبية، وقد تخرج عليه جم

غفير من علماء وادي درعة من أمثال أحمد أذفال دفين أكتاوة وغيره (حضارة وادي درعة، 140). وخلف ابن مسعود مؤلفات قيمة في الفقه والنحو، من ذلك الشرح الجامع على مختصر الشيخ خليل والروض البانح في أحكام التزويج وأداب المجامع وشروح على ألفية ابن مالك ولامية الأفعال، والمقدمة الأجرومية ( الحركة، 2 : 550).

أقام عبد الله بن مسعود في أخريات أيامه زاوية (زاوية آيت حدو) بالقرب من قصر إنكزاظ بتاگمدارت. ولا يزال حفدته بهذه الزاوية إلى اليوم. وقد توفي هذا العالم الجليل بعد الثمانين من القرن العاشر الهجري، ودفن بزاويته، حيث أقام حفدته قبة على قبره لاتزال مقصداً للزوار إلى اليوم.

### التاگمدارتي، محمد بن أحمد بن عبد الله.

فحول العلماء وكبار الحفاظ في زمنه، حلاه صاحب الدرر المرصعة بالحفاظ المتفتن والعلامة الماهر. ينحدر أسلافه من قبيلة أولاد دليم الصحراوية، وقد نزلوا بأغلاودرار من تاگمدارت في زمن غير معروف. نبغ من بينهم ثلة من العلماء الفضلاء، تجاوزت شهرتهم بلاد المغرب إلى الشرق خلال القرن الثاني عشر (18 م). ومن درعة هاجر بعض العلماء من أهله إلى ورزازات، حيث غلبت عليهم كنية الورزازي، ومنها إلى مراكش وتطوان. لا نعرف شيئاً عن ولادة محمد بن أحمد، فلما شب رحل إلى سجلماسة، فأخذ بها عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي، ولازمه مدة طويلة، ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن الفقيهين أحمد بن الحاج الفاسي وأبي عبد الله القسنطيني. وبعدهما ملأ وطابه علما عاد إلى وادي درعة، فاستهوته الطريقة الناصرية، فأخذ الورد عن الشيخ أحمد الخليفة، ثم ما لبث أن استقر بتامگروت التي كانت آنذاك تزخر بقطاحل العلماء، من أمثال أحوزي وابن فتوح التلمساني وعبد الكريم التدغي وغيرهم، فتصدر بمدرسة الزاوية الناصرية للتدريس، خاصة أن الشيخ أحمد الخليفة اعتنى به عناية خاصة فتكفل له بكل لوازم الحياة من مأكول وملبس وغير ذلك ( الدرر، 371). تألق نجم التاگمدارتي بالزاوية الناصرية، فصال وجال في الفقهيات، وكان كثيراً ما يذكر لطلبته أن الزرقاني شارح المختصر قد أخطأ في عدة مسائل في الفقه المالكي، وكان يحث الطلبة على الاعتماد على الخطاب والمواق لأنهما يسوقان المشهور في المذهب المالكي.

رحل محمد بن أحمد التاگمدارتي، صحبة الشيخ أحمد ابن ناصر إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ثم عاد بعد ذلك إلى وادي درعة. وبعد وفاة أحمد بن ناصر سنة 1717 / 1129 اضطر أمر الزاوية الناصرية نتيجة الصراع على المشيخة، فاضطر محمد بن أحمد التاگمدارتي إلى مغادرتها ورحل إلى المشرق في حجة ثانية، فأراً بنفسه من غوائل أبناء الدنيا ( الدرر، 369). وبعد تأدية مناسك الحج، طاف التاگمدارتي في بعض مدن الحجاز ومصر، ففرز قبولاً

عظيماً، وانتهى به المطاف بالقاهرة، حيث انتدب للتدريس بالجامع الأزهر إلى أن وافته المنية هناك سنة 1725 / 1138 فدفن بمشهد الإمام ابن القاسم، حيث مقابر عدد من أئمة المذهب المالكي بالقاهرة.

### التاگمدارتي، محمد بن أحمد العثماني، نشأ

في قصر بني عثمان، المجاور لأغلاودرار، أحد المراكز العلمية القديمة بتاگمدارت. لا نكاد نعرف أي شيء عن ميلاده ومرآحل تعليمه، إلا أننا نصادف توقيعاته وفتاويه بدرعة وجهاتها في أواخر القرن العاشر (16 م) ومطلع القرن الحادي عشر (17 م) مما يدل على طول باعه في الفقه المالكي أصولاً وفروعاً ( الحركة الفكرية، 2 : 541).

ترجم له صاحب الدرر المرصعة، وحلاه بالعلامة الناقد الفهامة، كان مقصداً لطلاب العلم من أهل درعة خاصة، والجنوب عامة. وقد طارت شهرته كفقيه مفت في جوابه حول مسألة اشتراط المرأة على زوجها أن يلتزم لها بالطلاق في حالة الزواج عليها من امرأة أخرى. وقد سئل عن هذه المسألة، فأفتى بوجوب التزام الزوج بوقوع الطلاق في حالة إخلاله بكل شروط زوجته. وقد ساق التاگمدارتي جملة من النقول الفقهية من فروع وأصول الفقه المالكي، مما يدل على طول باعه في الفقه، وسعة اطلاعه وفهمه العميق للمذهب الإمام مالك، وقد نقل صاحب الدرر هذه الفتوى رغم طولها في ترجمة صاحبنا ( الدرر المرصعة، 357). وقد أثارت هذه الفتوى بجرأتها، ردوداً قوية عند فقهاء درعة وشنقيط وسجلماسة، وانقسموا إلى مؤيد ومعارض، وهكذا حاول كل من محمد الحبيب ابن الأمين الشنقيطي، وأحمد بن مبارك السجلماسي وأحمد بن يوسف من بني علي بدرعة، الرد على التاگمدارتي بتفنيد فتواه، إلا أن هذا الموقف الذي قاده الشنقيطي جعل علماء آخرين من درعة وتافيلالت، يمعنون النظر في فتوى التاگمدارتي، ويستغربون من خرافات وضلالات الشنقيطي ( الدرر، 361) وجهله بأصول الفقه المالكي وفروعه، وقد خرج التاگمدارتي من هذه المنافسة العلمية منتصراً، فاعترف له الكل بالفضل والنباهة وطول الباع. وقد توفي التاگمدارتي بمسقط رأسه مع بداية العقد الثالث من القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

### التاگمدارتي، محمد بن الحسين، فقيه جليل

وعالم فاضل، لا نعرف شيئاً عن نشأته ومرآحل تعليمه، إلا أنه يظهر أنه تعلم وتخرج بأحد المراكز العلمية بتاگمدارت خلال العقود الأولى من القرن الحادي عشر (17 م). له جولات وحضور في ميدان الإفتاء وتوثيق الرسوم العقارية بدرعة خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن. وكثيراً ما كان يمهر فتاويه بعبارة "قاله محمد ابن الحسين التاگمدارتي". وتنطوي هذه العبارة على الثقة بالنفس وعلو الكعب في الفقه والعلوم الشرعية.

(الاستقصا، 5 : 8). ولما اشتدت وطأة المسيحيين على شواطئ سوس مع بداية العقد الثاني من القرن العاشر، انتدب محمد بن مبارك الأقاوي، محمد بن عبد الرحمان لقيادة القبائل السوسية في العمليات الجهادية. وهكذا انتقل محمد بن عبد الرحمان إلى قرية تيديسي قرب تارودانت سنة 1510/916 (النزهة، 16) فبايعه الناس "بقلوب متففة وأهواء على الجهاد مجتمعة" فاجتمع إليه جم غفير من المجاهدين من أهل سوس ودرعة، فقصد بهم ميناء تَفْتَنَة على المحيط الأطلسي. ويذكر صاحب النزهة أن محمد بن عبد الرحمان الذي تلقب بالقائم بأمر الله، عمد إلى النصرى فناوشهم القتال، فأتاح الله له النصر. فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته، وتفاءلوا بطائر ميمونه، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيما لمكانته (النزهة، 16). كان هذا الانتصار تحربة أولى بالنسبة لمحمد بن عبد الرحمان، ذلك أنه سمح له بالكشف عن مشروعه السياسي لعموم الناس، بعد تداوله بين أقطاب الطريقة الجزولية بسوس ودرعة، ويرتكز هذا المشروع على إقامة دولة قوية تقوم على الجهاد وتحرير ثغور المغرب كله. إلا أن مشروعا كهذا يتطلب أموالا ضخمة لتجيش الجيوش وشراء الأسلحة.

يبدو أن بداية تنفيذ هذا المشروع لقيت معارضة من بعض شيوخ سوس، فاضطر محمد بن عبد الرحمان إلى العودة لوادي درعة لإحكام أمره وضبط ما تبقى من ثغرات في النسيج العام لمشروعه السياسي. وفي سنة 1512/918 عاد إلى تيديسي، فاطمأنت به دارها وأزال إليه عنه ما كان أزعجه عنها (الاستقصا، 5 : 13).

كان من شروط محمد بن عبد الرحمان إلى تيديسي، مبايعة الناس لابنه أحمد الأعرج، فاستجاب أهل سوس لهذا الشرط، وبايع الناس الأعرج دون معارضة تذكر. وصلت أخبار القائم بأمر الله إلى ما وراء الأطلس شمالا فبادر أشياخ قبائل حاحة والشياظمة إلى مبايعة على الجهاد، فاجتاز جبال الأطلس إلى أفوغال بعد تنصيب ابنه محمد الشيخ خليفة على سوس. ومن أفوغال بدأ محمد بن عبد الرحمان بناوش البرتغاليين القتال بشواطئ حاحة وسوس إلى أن وافته المنية سنة 1517/923، ودفن بضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. وقد نقل أحمد الأعرج رفات أبيه ورفات الجزولي إلى مراكش في حدود عام 1523/930.

م. المكي بن موسى الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : محمد بن لحبيب التامنوكالي، العقود الجهرية، مخطوط خاص : وثائق محلية في حوزة الكاتب : م. جحي، الحركة الفكرية، الرباط، 1977 : أ. الناصري، طلعة المشتري، فاس، 1310 : الاستقصا، 1955 : م. الإفرائي، نزهة الهادي، طبع السنة 1988 : م. المنوني، حضارة وادي درعة، دعوة الحق، السنة 18، العدد الثاني، 1393/1973.

أحمد البوزيدي

وبعد دخول وادي درعة تحت حكم محمد بن الشريف العلوي ابتداءً من سنة 1640/1051، اضطلع الفقيه محمد بن الحسين التاگمدارتي، بمهمة القضاء بدرعة دون أن يصرفه ذلك عن التدريس (الحركة، 2 : 541)، وقد جلب عليه منصب القضاء عدة انتقادات من فقهاء درعة، ونخص بالذكر انتقادات الشيخ محمد ابن ناصر الذي كتب إلى التاگمدارتي رسالة، ينتقد فيها أحكامه، خاصة فيما يتعلق بمسألة شهود التدمية، ويحذر الناصري قاضي تاگمدارت من قبول شهود العامة في هذه المسألة، وتعجب كيف يقبل الشهادة من أناس "لا يعرفون المسنون من المفروض، كما لا تقبل فيها شهادة من يأكل أموال الخراج ويأخذ المغارم بالإبط" (طلعة، 1 : 144). وبالرغم من أن الناصري اقتصر في رسالته إلى التاگمدارتي على الشهود في المسألة ولم يسق الحثيات التي ارتكز عليها القاضي، فإن محمد بن الحسين التاگمدارتي استشاط غضبا من ابن ناصر، ورد عليه رداً قاسياً، واتهمه بالرجم بالغيب وقول الباطل، وهدده بأنه إذا لم ينته عن التشويش على أحكامه فإنه سيبليغ أمره إلى السلطان محمد ابن الشريف العلوي، وقد ترددت بين الرجلين عدة مكاتبات، حاول كل واحد منهما تبرير موقفه من الآخر. وقد خلف محمد بن الحسين التاگمدارتي عدة مؤلفات، أهمها أرجوزة في قواعد الإسلام، ودرة العلائق في توجيه الصبيان لدين الخالق، وهما أرجوزتان تعليميتان لصغار التلاميذ (الحركة، 2 : 541). وقد توفي محمد بن الحسين التاگمدارتي في أواسط العقد الثامن من القرن الحادي عشر ودفن بمنطقة تاگمدارت.

### التاگمدارتي، محمد بن عبد الرحمان، المكنى

القائم بأمر الله. ينحدر محمد بن عبد الرحمان من أسرة شريفة يتصل نسبها بالحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هاجر جده زيدان بن أحمد من ينبع النخل بالحجاز إلى وادي درعة بدعوة من بعض سكان الوادي تبركا بنسبه الشريف. ونزل زيدان بقصر تيديسي بواحة ترناتة حيث لاتزال آثار قصر تيديسي قائمة إلى اليوم (النزهة، 7). ويرجح أن تكون أسرة هذا الشريف قد انتقلت من تيديسي إلى تاگمدارت في بحر القرن التاسع (15 م)، حيث استقرت بقصر سارت أحد القصور الشهيرة آنذاك بواحة فزواطة.

وبقصر سارت نشأ محمد بن عبد الرحمان، فحفظ القرآن ثم أقبل على أخذ العلم على علماء تاگمدارت، فتخرج عالما مشاركا، ثم تصدى لتعليم القرآن وتدرسي العلم كدأب جل علماء تاگمدارت آنذاك، واشتهر باطلاعه الواسع على تاريخ الجنوب عامة وتاريخ درعة بشكل خاص. وفي مطلع القرن العاشر (16 م)، انضم إلى الطريقة الجزولية على يد الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي. ويذكر الناصري أن محمد بن عبد الرحمان اشتهر بالصلاح والفقر

## تاگموت ← إمارغن

**تاگموت**، رأس ونهر بالشمال. يقع رأس تاگموت على الضفة اليمنى من مصب نهر سيدي الفتوح بمرسى تامساشك الواقعة بشاطئ قبيلة متيوه البحر الموالي للبحر المتوسط.

وينبع نهر تگموت، بجبل تايدة بأرض قبيلة متيوه البحر التي تُسقى بمياهه، ويعد أن يقطع مسافة سبعة كيلو مترات تصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى المعروفة بتامساشك.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 ; J. Cabello Alcáraz. *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

## تاگموت (منطقة أعالي وادي نون). المقصود

يتاگموت هو الصيغة التشبيهية التي تفيد شكل الحفرة حيث تموضع عادة المداشر والحصون. تجثم قرية تاگموت بمحاذاة تاغاجيجت أيت إبراهيم بأعالي وادي نون على أساس تحكم شامل في حيوية المعالم الفلاحية والتجارية والحضارية المحلية. فحجم بقايا العمران القروي الكثيف يدل بكل وضوح عن حركية تاريخية حافلة بالأنشطة المختلفة.

لا شك أن الارتباط العضوي البين بين تاريخ تاگموت الذي نكاد نجهل عنه كل شيء في الواقع الراهن للأبحاث وتاغاجيجت عاصمة القسم الأعلى من قصبات نول لمطة تجسده الروابط السلالية التي تربط مجمل فصائل أيت إبراهيم بعثمان ابن مندى، عامل عبد الله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11 م) (انظر مادتي أيت إبراهيم وتاغاجيجت بالمعلمة). لقد تسبب الغزو الموحدوي في مغادرة أيت إبراهيم لمنطقتهم هذه لكي يقضوا أزيد من ثلاثة قرون في الترحال الرعوي بين واحات توات ومنطقة الساقية الحمراء. وقد كانت عودتهم التدريجية إلى تاغاجيجت عن طريق تاگموت التي استقروا بها لمدة استمرت إلى حدود القرن التاسع (15 م) حيث أعادوا للمنطقة ماضيها المرابطي. وإذا كانت أسواق تاگموت المتعددة تشهد على أهميتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإن وفرة مدارسها العتيقة وزوايا ترسخ دورها التاريخي في تأطير المنطقة دينيا وثقافيا وعلميا. لقد عزز ماضي تاگموت لدى قرى ومدامر أعالي وادي نون تصور العلاقات الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القرابية والقبلية التكنية. أما فيما يخص تكريس سلطة العلماء والزوايا، فقد أبقت إلى حدود القرن الماضي على نفس التوزيع الذي كان ما يزال قائما خلال القرن العاشر (16 م).

وإذا انتقلنا إلى مستوى مساهمة تاگموت في تطوير صناعات المعدنية والصياغة وجدنا دور صناعات تاگموت ما يزال يحتل موقعا متميزا في الرواية الشفوية بسوس ووادي نون. فقرب عمارة النحاس والفضة جعل حي تاگموت الصنعي مرتبطا بالأواصر بأسواق الصياغة بمراكش

والصحراء وصانعيها الساهرين على حيوية هذا القطاع الخاص. على أننا وضعنا في اعتبارنا ما كان يسود المجتمع آنذاك من مناوئة لكل من يحيد عن ممارسة شعائر الإسلام، فيتضح دور تاگموت في التوفيق بين دورها الديني ودور يهودها في تطوير قطاع التعدين والصياغة. تبدي هذه الملاحظات الأولية للتأكيد على ما تكلفت به تاگموت من أعباء التوفيق بين المسلمين واليهود وبين أهل الزوايا والمحاربين من الفصائل القبلية التكنية.

بالنظر لما عليه تاگموت من شدة التحام أهلها وصلابة اندماجهم بباقي فصائل أيت إبراهيم، ندرك أنهم قد قاموا بأدوار دينية وسياسية تضاهي من حيث أهميتها ما قام به كل من كان له إشعاع اقتصادي واجتماعي باهر.

م. المختار السوسي، *المسول*، 18، 227، 228 : أيت إبراهيم وتاغاجيجت، معلمة المغرب.

La Ruelle, *Id Brahim*.

مصطفى ناعمي

## التاگموتي، أحمد بن محمد الأساوي، فقيه

محدث، وصوفي محقق. أخذ عن جماعة من فقهاء سوس ولازم الشيخ محمد الحضيكي صاحب *الطبقات* فأجازه وأذن له في تعليم العلوم الشرعية ماعدا تحفة ابن عاصم، وفرائض الرسموكي وأضرابها مما يستعين به الطلبة على طلب الدنيا.

انقطع طوال حياته للتدريس في رباط تاگموت وزاوية أجداد في فم تلت. ومن المتخرجين على يده بلديه أبو بكر بن أحمد التاگموتي، وعبد الرحمن التفرغرتي الذي أثنى عليه الثناء العاصر في كتابه عن تراجم بعض علماء سوس، وما قاله فيه : أحبى الله تعالى به البلاد والعباد بنشر السنن وإخماد البدع".

كانت الوفود من مختلف أنحاء سوس تقصد أحمد التاگموتي للتبرك فتجد لديه الاستقبال الحسن "فإذا خرج ليودعهم ينصب لهم مجلساً يعظهم فيه بما في الجامع الصغير للسيوطي من الأحاديث يقرأه قارئه ويبين لهم معاني الحديث بلغتهم ويبالغ في نصحتهم وذم بدعهم ويحرضهم على أداء الصلاة في المساجد". - التفرغرتي - كما كان يحرضهم على تعليم أولادهم ونسائهم وبناتهم كتاب الله وما لا يد منه من أحكام الدين، وعلى ملازمة ذكر الله والصلاة عن رسوله عليه السلام عن كل حال في الدور والشوارع والفدادين.

توفي بمسقط رأسه في آخر جمادى الثانية عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 14 يوليوز 1779.

ع. التفرغرتي، تراجم بعض علماء سوس، مخطوط : م. المختار السوسي، *المسول*، 18 : 228.

## التاگموتي، أحمد بن محمد نزيل زاوية تاسيوين.

فقيه مشارك لم تذكر كتب التراجم مشيخته، إلا أنه يعد أول قومه التاگموتيين نزولاً بهذه الزاوية بعد صدر القرن



الثالث عشر (19 م) فنال بها حظوة كبيرة، وزوجه شيخ الزاوية إبراهيم بن محمد بنته فاطمة وأسكنه عنده طول عمره وجعله إمامه ومعلمه للقرآن ومدرس العلوم في مسجد الزاوية، وعنه أخذ أولاد الشيخ عبد السلام ومحمد وأحمد وأبو بكر الذي تولى شؤون الزاوية بعد والده إبراهيم. توفي حوالي عام 1260 / 1844 م. المختار السوسي، المعسول، 16 : 98-99.

**التاگموتي، أبو بكر بن أحمد،** نحوي لغوي فقيه محدث مشارك في مختلف ضروب العلوم الإسلامية، ومتصوف صالح، ناسك. أخذ عن الشيخين أحمد بن محمد الأساوي، ومحمد بن أحمد الحضيكي. أما المتخرجون على يده في القرآن وتجويده، والعلوم اللغوية والشرعية، فعددهم لا يحصى، ومنهم عبد الرحمن التفرغرتي الذي خصه بترجمة مطولة حافلة في كتابه عن تراجم علماء سوس. وقال إن دروسه كانت لا تخلو مهما كان موضوعها من السيرة النبوية وتاريخ الإسلام واستخراج العبر منه. "وكان رضي الله عنه - حريصاً على كسب الحلال : يعمل في أرضه بيده حرثاً وغرساً وسقياً وحصداً وقطع الثمر ويستعين بطلبته في جميع أشغاله، فالنصح منهم في أشغاله تظهر البركة في حفظه وفهمه وعلمه" - التفرغرتي -.

وكان يقرأ - كمعظم شيوخ سوس - صحيح البخاري في شعبان ويختمه في رمضان إلى أن توفي في بلده بالوفاة الجارف في ذي القعدة عام أربعة عشر ومائتين وألف / مارس - أبريل 1800، وقبره يزار بمقبرة إغبر في تاگموت.

ع. التفرغرتي، تراجم علماء سوس، مخطوط : م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 228-232.

**التاگموتي، محمد بن أحمد الصنهاجي اليعقوبي.** فقيه كبير وصالح شهير، أخذ بمسقط رأسه عن والده القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والشرعية ثم تنقل طالبا للعلم في مدارس سوس قبل أن يتوجه إلى فاس حيث أخذ عن محمد بن المدني گنون وطبقته، ثم ارتحل إلى الشرق فأخذ عن علماء تونس وليبيا ومصر، ورجع إلى قريته بعلم غزير، فتزوج ابنة شيخ الزاوية أبي بكر بن إبراهيم، وعلا شأنه وانتشر ذكره، وصار إلى جانب التدريس يخطب أيام الجمع في مسجد إيفريسين. ومن كان يعتقده ويوره في الزاوية القائد محمد إبيبيض والد الباشا الحاج التهامي الأكلاري ويقبل أخص قدميه. وإلى ذلك كان الناس يضعون عنده الأمانات ولا سيما القواد، وله في ذلك حكايات وكرامات. توفي عام 1312 / 1895.

م. المختار السوسي، المعسول، 16 : 99-100.

**التاگموتي، محمد بن يعقوب السوسي.** فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي. "كان يستظهر مختصر ابن الحاجب الفرعي، وكان رجلاً صالحاً" (درة الحجال).

وليس هذا المترجم هو الشيخ محمد بن يعقوب التتلي آتي الترجمة. وقد نبه صاحب المعسول على أن اليعقوبيين في سوس ثلاث فرق، منهم آل محمد بن يعقوب في قم تتلت، وآل عبد الله بن يعقوب السملاليون، وآل علي بن سعيدن القائمون على المدرسة المبنية على مشهد يعقوب الإيلاتي. ولم يعرف يعقوب والد المترجم. إلا أنه افترض أن يكون الشيخ الذي تنتسب إليه البلدة، إذ يقال لها تاگموت تايت يعقوب.

توفي في حدود 960 / 1553.

أ. ابن القاضي، درة الحجال، 2 : 37 رقم 481 : م. المختار السوسي، المعسول، 16 : 146.

محمد حجي

**التاگموتيون أو التكموتية،** هم صناع الخناجر أو الكميّات من معدن الفضة (النقرة). وقد كانت صناعة الحلبي والمجوهرات في سائر مدن المغرب لا تنفصل عن صناعة اللباس، لأن اللباس كان عند المغاربة ذكوراً وإناثاً لا ينفصل عن الزينة رديفه الثاني. لذلك كانت أماكن بيع الأقمشة والملابس ملامسة أو قريبة من قيصريات الحلبي والمجوهرات، ومازال هذا الازدواج قائماً إلى اليوم في بعض المدن.

وكان صناع الحلبي الذهبية والفضية وباعتها في معظمهم من اليهود المغاربة لعدة اعتبارات من بينها الاعتبار الديني الذي ظل راسخاً عند سائر المسلمين وجعلهم ينفرون عن تداولها في الصناعة والتجارة بحكم أنها معادن منهي عنها بالنسبة للذكور. لكن ارتداء معدني الذهب والفضة كان مسموحاً به للمسلمات علماً بأن مستوى الثراء العام لم يكن يخول للسواد الأعظم منهن ارتداء غير الفضي منها، فساد انتشار الحلبي ووسائل الزينة الفضية مما يفسر أسباب ازدهار مهنة التاگموتية في عدة مدن مغربية.

كان تقلد الكميّات (الخناجر) كسلاح وحلية في مغرب القرون السابقة أمراً عادياً. وقليل ما كان المرء يتحرك داخل المدينة أو خارجها دون سلاح. وإذا علمنا أن تقلد السلاح الأبيض والحصول على غشاء فضي له كان الأمل الذي يراود كل الرجال دون اختلاف بين الفقير والموسر والحضري والبدوي، أدركنا الدور الأساسي الذي كانت تلعبه حرفة التاگموتيين أو التكموتية الذين لم يقتصروا فقط على صياغة الكميّات والخناجر بل تعدوها إلى الدمالج والأقراط والأساور وغيرها من حلي النساء. وهذا أمر شهد به كل من زار المغرب في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث كانت الحلبي النسوية الفضية هي السائدة بالإضافة إلى الخناجر (الكميّات) المختلفة الأحجام والأشكال وأساليب التوشية والتنميق. وقد لاحظ معظم الواقدين على المغرب من الزوار أن تقلد الذكور المغاربة للجرب الجلدي (الشكارة) لم يكن ينفصل إلا نادراً جداً عن الكمية.

ع. ابن الهيثم، البغية في ترتيب أحاديث الحلبي، مخطوط خ. ع.

رقم 2842 ك : ع. أمهان، الفنون المغربية الأصيلة، مجلة أبعاد فكرية، ع. 2 السنة الأولى 1989 : أ. التوفيق، ابنولتان، (1850). 1912)، الدار البيضاء 1978 : ع. زمامة، فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، السنة 1980-1981 : أسماء الحرف المعروفة بفاس، مجلة اللسان العربي، سنة 1966 : مؤلف مجهول، المرأة المغربية والحلي، جريدة العلم عدد 8706 بتاريخ 28 أبريل 1974.

J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, s. d. ; M.M. Barde, *Coffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990 ; A. Barthelemy, *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate*, Aix-en-Provence, 1990 ; Belhomme, *Les poignards du Sous*, F.M., n° 5, 15 mai 1917 ; *Les armes dans le Sous occidental*, A.B., vol. 2, fasc. 1, 1917 ; H. Clouzot, *Les bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906 ; A. Delpy, *Les divers types de poignards marocains*, C.A.T.A.N., n° 6, 1960.

محمد بوسلام

### تاكنة (التحادية قبلية صحراوية) ← تَكْنَه

**تَاكُنْتَاة**، كلمة أمازيغية مركبة من "ءاك" ومعناها أن يكون الشيء فوق شيء آخر أعلى منه أو مشرفا عليه، كما تعني مجازاً المراقبة والحراسة. ومن "ضاف" ومعناها كذلك الحراسة والمراقبة. وبين الكلمتين "ن" الإضافة. وبها تصبح الكلمة على الشكل التالي : "ءاك - ن - ضاف" التي تعني حرفياً "المكان المشرف المستعمل للمراقبة والحراسة". ثم أضيفت للكلمة المركبة "ءانضاف" "تاء" التانيث أو التصغير أو الإشارة، فأصبحت "تاكنضاف" وانقلبت "الضاد" في الاستعمال الشفوي إلى "دال" فنطقها الناس "تاكنتاف" أو إلى "تاء" فنطقوا بها "تاكنتاف".

ويبدو أن الكلمة دخلت في تكوين أسماء الأعلام البشرية والجغرافية منذ القدم. وهكذا نلاحظ أن البيذق ذكر اسم شخص من مكناس اسمه " يحيى ابن كنداف"، ولا شك أن أصل "كنداف" هذا هو "أكنداف" إذا اعتبرنا أن شعوب زناتة بصفة عامة يحذفون عادة في نطقهم الهمزة التي تكون في أول الاسم. كما ذكر القبيلة السوسية المعروفة إلى اليوم "بنو ونيطيف" والتي تسمى اليوم "إيدانكنيضيف". غير أن الكلمة بصيغة "تاكنتاف" وجمعها "تايكنتافين" لا توجد على ما يبدو إلا في وادي نفيس بأطلس مراكش، وأيت مالا قرب تافينگولت جنوب تيزي - ن - تاسنت.

وقد اشتهرت "تاكنتاف" النفيسية لأنها انتسبت إليها منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) عائلة أيت لحسن التي ينتمي إليها واحد من أكبر قواد الأطلس المراكشي هو الحاج الطيب الكنتافي نسبة إلى تاكنتاف.

كانت كلمة "تاكنتاف" تطلق أصلاً على مجموعة من القرى الصغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس إلى الجنوب من تينمل الموحدية بين تاسافت شرقاً ومولديخت غرباً. وتحمل أسماء مختلفة هي : أرتاتأين وإيسقالن وگوگتت وويگيت، وإلى هذه الأخيرة ينتمي مؤسس أسرة

إيگنتافن أو كندافة التي حكمت وادي نفيس وبعض المناطق المجاورة له مدة تقرب من مائة سنة، حتى إن اسم المنطقة تغير وأصبحت تسمى "كندافة" أو "قبيلة كندافة"، مع أن سكان وادي نفيس لا يجمعهم اسمياً إلا انتماءهم الجغرافي لمنطقتهم، وإلا فكل مجموعة من المجموعات البشرية المتساكنة فيه تحمل اسمها الخاص بها.

وإذا كان موقع قرى تاكنتاف مشرفاً فعلاً ويسمح بمراقبة المسلك الجبلي الذي يؤدي إلى مراكش وسوس عن طريق وادي نفيس وتيزي - ن - تاسنت، والذي يعتبر طريقاً هاماً ومطروقاً منذ القدم، فإن "أكادير - ن - تكتنافت" أو قسبة تاكنتاف التي بنيت حوالي عام 1287 / 1870، غير بعيد عن القرى المذكورة، تعتبر فعلاً برجاً للمراقبة يجسد القوة الصاعدة للعائلة الكندافية التي أسسته ليكون حصنها الحصين وملجأها الذي تحتمي به من الأخطار.

"تاكنتاف" الحصن أو أكادير رمز السلطة الكنتافية في عهد محمد نايت لحسن المؤسس وابنه الطيب الكندافي بصفة خاصة، ليست اليوم إلا أطلالاً مهجورة تشهد على ماض يتأسف البعض لزوجاله ويستهنئ البعض بآثاره : جل هؤلاء من سكان وادي نفيس، لا يعرفون اليوم عن تاكنتاف إلا ما سمعوه عنها من خلال الحكايات المتأسفة أو المستهزئة، لأنهم لم يكونوا كندافيين بالجملة ويستثقلون طراً كل سلطة.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T. I., p. 381 - 382 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 72 ; E. Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928, texte, p. 66, 37 ; E. Destaing, *Vocabulaire Français-Berbère*, Paris, 1920, p. 270, 290, 139 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 276, 277, 301 sqq ; C. Justinard, *Un grand chef berbère, Le Caïd Goundafi*, Casablanca, 1951, pp. 38, 51, 55 et passim.

علي صدقي أزيكو

**تَاكُنْزَالَت**، قرية وواحة تقع جنوب ورزازات، تحيط بها أسرار وتوجد بها قصبات جميلة الهندسة والشكل، يهتم أهلها بصيانتها والمحافظة على رونقها وعلى سلامة الأبراج التي تعلوها. إلا أن النمو الديمغرافي واكتشاف المناجم بالمنطقة لعبا دوراً كبيراً في تغيير عادات الأهالي. وواحة تازناخت غنية بمنتجاتها الفلاحية المتنوعة، دفعت السكان إلى الاعتماد على أنفسهم خصوصاً وأن تاكنتال تعاني اليوم عزلة قاهرة، بحكم بعد موقعها عن الطريق الثانوية الرئيسية الرابطة بين تادلا وتازناخت، وهي المركز الإداري الوحيد الذي يقوم بالخدمات العمومية لصالح القبيلة المتساكنة بالمنطقة، وهي قبيلة أيت دوشن.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Gentil et de Gonzac, *A travers le Maroc*.

أحمد بنجلون

**تَاكُوْزُولَت**، التي يمكن أن تترجم بـ "الجزولية" أو "النزعة الجزولية" أو "النحلة الجزولية"، اسم علم يطلق على القبائل السوسية التي كانت منتمية إلى الحزب الجزولي. والكلمة كما هو واضح مأخوذة من اسم الشعب المعروف

تاريخيا ألا وهو "جزولة" أو "إبگوزولن".

وكان الحزب المقابل لها في المنطقة يحمل اسم "تأحكات" أو "تأسكتيت" حسب الجهات داخل المنطقة نفسها. (انظر مادة تأحكات).

كان سكان سوس من وادي نون إلى جبل سيروان ومن وادي درعة الأوسط إلى وادي سوس منقسمين على هذين الحزبين المتنافسين انقساماً يكاد يكون متوازناً، الشيء الذي يوحي للباحث المتأمل بأن الهدف الجوهرى لهذا الانقسام "النصفى" هو تحقيق نوع من التوازن الدائم بين مختلف الجماعات المتساكنة في المنطقة.

غير أن نشأة نحلة "تاگوزولت" التي تعرف عليها المعاصرون على أرض الواقع بدأت في رأي بعض المهتمين في القرن الثامن (14 م). ويربط تلك النشأة بسبب موضوعي معروف تاريخياً هو الطاعون الأسود الذي أتى على نسبة كبيرة من السكان في المنطقة المذكورة وفي غيرها من النواحي.

ويذكر المختار السوسى الذي هو صاحب هذا الرأي أن الجزوليين هم السكان الأصليون في القسم الغربى من الأطلس الصغير، ونتيجة لذلك فإن نحلة "تاگوزولت" هي التي تمثل هؤلاء السكان الذين قصم الطاعون الأسود قسماً منهم. أما النحلة المقابلة، وهي "تأحكات" فإنها تمثل الطائرتين الذين استغلوا ضعف الأوائل وأخذوا يتسربون إلى بلادهم يحتلون ما أمكنهم منها. ومن هنا تولد النزاع بين الحزبين. غير أن هناك رأياً آخر يناقض هذا يقول: "وما يلاحظ أن لفظ تاگوزولت يدل عرفاً عند أهل المنطقة على الشرف والرفعة، بينما لفظ تأحكات يجيئ دون ذلك، ولهذا يستبدل اسم هذا اللف في بعض النواحي خصوصاً الجبلية بلفظة سكتانة التي هي في أصلها اسم لقبيلة تضاد كزولة. وهذا ما جعل بعض المفسرين يفترضون ويرجحون أن المنخرطين في لف تاگوزولت هم من سلالة الرعاة الفاتحين والغزاة الظافرين. أما المنخرطون في لف تأحكات فهم ينحدرون من قداماء الفلاحين المستوطنين بالبلاد قبل مجيئ كزولة..." (أصول المغاربة، البحث العلمى، 27 ص 235).

وبما أن الوجود الجزولى في المنطقة ثابت منذ القرن الخامس (11 م) على الأقل (البكرى، 161)، وبما أن منطقة سوس بجبالها وسهولها، كانت حسب نفس المصدر أهلة بالفلاحين المستقرين من غير الجزوليين، فإن التحزب الثنائى للسكان كان واقعا قبل القرن الثامن (14 م)، إذا أخذنا بعين الاعتبار الرأي القائل بأن الجزوليين هم الطائرتون. وتلاقيا للدخول في تفاصيل الموضوع المتشعبة، التي أثرت بعضها في مادة "تأحكات"، نذكر فقط بأن صيغة "تاگوزولت" و"تأحكات" تمثل الصورة الأخيرة من صور متنوعة اتخذتها ظاهرة الانقسام الثنائى عبر العصور المتغلغلة في الزمن الماضى، ونتيجة لذلك فإن التفسير الذي يوحي به تأمل الصورة الأخيرة لا يمكن أن ينسحب بشكل آلى ومطلق على الظاهرة كلها في كل زمان ومكان،

خصوصاً إذا تذكرنا أن وجود الثنائية الحزبية لا يقتصر على منطقة سوس وحدها.

لم يقع لحد الآن إحصاء كل القبائل المنتمة لنحلة تاگوزولت، ويبقى رويبر مونتاني الذي اهتم بالموضوع في كتابه البربر والمخزن المرجع الوحيد الذي يشفى بعض الغليل. ومن خلال هذا الكتاب يتبين أن الجماعات التي كانت تنسب إلى تاگوزولت هي الجماعات الآتية: أيت باعمران وأيت الساحل وأيت المعدر وماست وإيدأگورسموكت وإيدأوسمالات وإيلالن وتازروالت وإمجاض وأيت رخا ولاخصاص وإيدأوكرى وإيدأوكنسوس وأيت صواب وإيدأوكتير... وغيرها.

ويبدو أن مراكز نحلة تاگوزولت كانت هي إبليغ وتامنارت وأگلميم وتيبوت، وأن جبل لكست (انگيست) كان هو المحور الطبيعى الذي استقرت حوله أهم الجماعات البشرية المكونة لنحلة "تاگوزولت".

لا يقتصر الدور التاريخى للنحلتين على المحلى المحدود فقط، بل يتجاوز ذلك أحياناً إلى ما هو وطنى أو إقليمى. وهكذا نرى أن نحلة "تاگوزولت" مثلاً لعبت دوراً هاماً في معاضدة المرابطين ومعارضة الموحدىن (أصول المغاربة، البحث العلمى، عدد 27 ص 233)، كما كانت وراء تأسيس الدولة السعدية وإمارة تازروالت فيما بعد. وبهذا الخصوص كتب المختار السوسى ما يلى: "وقد علمنا أن إثارة الدولة السعدية كان من السوسيين أتباع تاگوزولت وكذلك تأسيس دولة إبليغ التي كان لها في سوس والصحراء إلى غينية وراء الصحراء صولة وسيادة زهاء خمس وستين سنة (1018هـ)..." (الغيات، 3: 169).

وفي الأخير نشير فقط إلى أن القرن الثامن (14 م) يمكن اعتباره فعلاً نهاية لـ"جزولة" القبيلة القوية المهيمنة على المنطقة وأنشطتها، وبداية لـ"تاگوزولت" النحلة التي عملت على تقوية نفسها بإلحاق "قبائل" أخرى غير جزولية بصوفها، ومن أجل ذلك التجأت إلى أساليب أخرى غير الأساليب "القبيلية" الأصلية. وقد لخص التقي العلوي هذا الانحدار في العبارات الآتية: "وحيثما جاء القرن العاشر الهجرى لم تعد جزولة تُذكر كقبيلة، وإنما يعرفها الناس كمقاطعة جغرافية تحمل اسم قبيلة اضمحلت وبقي اسمها للذكريات والاعتبار".

وحيثما أطل على الناس عصر الزوايا والطرق الشاذلية كان للمنحدرين من سلالة جزولة النصيب الأوفر من هذه الروح الجديدة، فوجدوا فيها بلسماً وتضميداً لجروحهم، وتناسياً لمحتتهم وفراراً من واقع العبودية والشقاء الذي كانوا يعيشون فيه. وتلك نتيجة حتمية للجماعات والأفراد الذين ينحدرون من قمة المجد إلى حضيض الهوان. وإذا ذاك انقطعت الأواصر التي تربطهم بالأصول الجزولية، وهبت ريح الانتساب إلى الشخصيات اللامعة في المغرب والمشرق والأندلس بدل الانتماء إلى جزولة فراراً من وصمة الضعف والهوان. وبذلك لم يعد لها ذكر إلا في أسماء المواقع

الجغرافية والأحلاف والتكتلات القبلية" (نفسه ص 233 . 234).

وفي انتظار تحقيق دراسة جدية شاملة لظاهرة الانقسام الثنائي على المستوى المحلي والوطني، يمكننا أن نقول دون تردد كبير، واعتمادا على قرائن عديدة، إن الانقسام الثنائي هو تعبير عن واقع تنعدم فيه التكتلات البشرية الكبيرة والقوية وليس العكس. وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره أداة مثلى لتحقيق التوازن الضروري داخل إطار واقع متجزئ بالضرورة لا بالطبيعة.

أ. البكري، المغرب، ص. 157، 1965؛ ش. الإدريسي، نزهة، ص. 39، 1957؛ أ. البيدق، أخبار المهدي، ص. 41، 43، 1928؛ م. المختار السوسي، خلاصة جزولة، ج 3، ص. 93، 94، 20؛ ج 7، ص. 9؛ الإلغيات، ج 3، ص. 166 وما بعدها؛ إيلينغ قديما وحديثا، ص. 238 وما بعدها، 57، 1966؛ التقي العلوي، أصول المغاربة، البحث العلمي، العدد 27، ص. 231 وما بعدها، 1977.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 1930, pp. 182 sqq, 201 sqq ; C. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, pp. 59, 72 sqq et passim ; B. Rosenberger; *Tamdult, Hesp*, 1970, pp. 105, 1027, 129, 131, 133, 134 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas*, 1955, pp. 224 sqq.

علي صدقي أزيكو

**تاكونت**، رأس يقع بشاطئ قبيلة بني بوغافر الكرتية (إقليم الناظور) الموالي للبحر المتوسط، ويعرف أيضا باسم رأس بني بوغافر، وأما الإسبان فقد أطلقوا عليه اسم Punta Negri.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 ; J. Cabello Alcaraz. *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاكونيت** أو **تاكنيت**، تعني بالأمازيغية نوعاً من التضاريس المقعرة أو حفرة مائية بدون روافد. ويطلق هذا الاسم على مركز صحراوي حديث أنشئ في نونبر سنة 1932 على أثر احتلال واحات اكتاوة، وعيّن الملازم الأول "سانت بون" Saint Bon كأول ضابط للشؤون الأهلية بتاكونيت نظراً لمعرفته الجيدة لواحات درعة، حيث كان ملازماً للقبطان سبيلمان Spillmann في احتلال هذه الواحات.

تعتبر تاكونيت مركزاً حضرياً وإدارياً لاكتاوة، وهي عبارة عن مجموعة من القصور الصحراوية تنيف على الخمسين وتنتشر على ضفاف نهر درعة في واحة مستطيلة من النخيل. ويبعد مركز تاكونيت عن زاغورة بخمسة وخمسين كيلو ميترًا إلى الجنوب.

وأما بالنسبة للقبائل التابعة لمركز تاكنيت فمعظمها من أيت عطا. ثم استقرت بواحات اكتاوة إلى جانب أيت عطا قبائل عربية ويهود يعود تاريخ استقرارهم بدرعة إلى فترة ما قبل الإسلام، إلا أنهم لم يبق لهم أثر اليوم بعد هجرتهم الجماعية خاصة في النصف الثاني من القرن الحالي. ثم هناك دراوة من أصل إفريقي في الغالب وهم الذين يطلق عليهم محلياً اسم الحراطين.

كانت تاكنيت وأكتاوة على العموم أيام السعديين

وقبلهم مركزاً تجارياً مهماً باعتبارها إحدى المحطات الكبرى في طريق القوافل الصحراوية الرابطة بين السودان وشمال إفريقيا تسكنها جالية يهودية كبرى تشتغل بالتجارة والصياغة، ولما أعلن أحمد بن أبي محلي الثورة على زيدان ابن أحمد المنصور الذهبي في قرى بني عباس بتوات انتقل إلى اكتاوة فتزود بالذهب وضرب السكة باسمه قبل أن يزحف على مراكش ويستحوذ على خزائن قصر البديع.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، بيروت 1983، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر؛ م. حجي، الحركة الفكرية: إقليم ورزازات، مونغرافيا منجزات وآفاق، مارس 1986، نشرة لعمالة ورزازات، 1986؛ احتلال درعة، مراحل وحياثاته، أعمال ندوة كلية الآداب بأكادير نونبر 1992.

P. Azam, *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard, La Koumia, Bulletin de liaison de l'Association des goums marocains en France*, Déc. 1989, n° 115, p. 49 - 52 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du haut Dra*, Rabat, 1936.

عبد القادر بوراس

**تالابادس**، أي عين بادس، إذ كان منها مشرب المدينة، يتألف مصدر مياهها من التقاء عدد من المجاري المحلية المتصلة بمجري إگنان، رافد واد بادس (اليوم: إزلافن). يحتل المكان المنخفض الذي يجري فيه واد إگنان، ويشرف عليه من الجهة الجنوبية الشرقية جبل معمول (564 م) بقبيلة بني يطف، إذ أن تالابادس كانت في بداية القرن العاشر (16م) جماعة مكونة من عدة مداشر، تضم أهل تلا، وعمائر وتغالين وبني شكر والعرص، الذين منهم أولاد أعرأص، قواد حوز بادس والجيش السعدي.

يعود أول معرفتنا بوجود الاسم ومكانه إلى ما ذكره المجهول، صاحب تقييد نسب قبيلة قلعية المؤرخ في 939 / 1533، وإلى السوارث بوثائق دوکاستر، وإلى ما أشار إليه صاحب تاريخ الدولة السعدية وعبد الكريم الريفى في زهر الأكم. وازدادت معرفتنا بالمكان منذ أن أصبح مركزاً للقوات المخزنية السعدية والعلوية.

والحديث عن تالابادس مرتبط ببناء قصبتها. ويعود التصريح بينائها إلى المجهول، صاحب تاريخ الدولة السعدية، طبقاً لأمر عبد الله الغالب الصادر إثر الاحتلال الإسباني لجزيرة بادس وتخريب مدينتها في 29 محرم عام 972 / 6 شتنبر 1564. والاطلاع على المصادر الإسبانية يقرب لنا تاريخ تأسيس القصبة. فهو مرتبط بوصول منصور بن إبراهيم، مبعوث عبد الله الغالب إلى حوز بادس منذ جمادى الثانية عام 972 / يناير 1565 لوضع ترتيبات حراسة قارة تجاه الوجود الإسباني بالجزيرة.

فيعد تخريب مدينة بادس والتحكم الإسباني بجزيرتها، لم يعد هناك مكان للقوة المخزنية السعدية، مما حتم تراجعها إلى تالابادس، التي اتخذتها مركزاً لانطلاق محاولات تحرير المدينة خلال الحريف من نفس السنة. وخلال فصل الشتاء تأكد لدى قائد السعديين بحوز بادس فشل المحاولات الحربية. وتبعاً لذلك تلقى أمراً ببناء قصبة بتالابادس أثناء

مدة إجراء مباحثات بنود الهدنة مع حاكم الجزيرة. وآخر علمنا باستمرار وجود منصور بن إبراهيم بتلابادس يعود إلى رمضان عام 972 / أبريل 1565، لذا فإن تأسيس القصبية يعود إلى ما يقرب من هذا التاريخ.

شيدت القصبية بقلب بني يطفت على الضفة اليسرى من واد إكتان عند التقائه بواد أكوغور، على مساحة مربعة الشكل تصل إلى 14.400م<sup>2</sup>. بابها الرئيسي جنوبي، أسوارها متوسطة الارتفاع صممت مرافقها الداخلية لإيواء قائد القصبية ورجال الحامية الفرسان.

والظاهر أن قيادة قصبية تلابادس قد وضعت بيد أبناء القائد على أعراص، إذ أن الأسرة كانت لها الزعامة بحوز بادس منذ أواخر أيام الوطاسيين وبداية السعديين بالريف، وحظيت بقيادة الجيش السعدي (معلمة المغرب، 2 : 514). وأولى الأخبار التي بلغتنا عنها هي التي أنبأتنا بحلول محمد المتوكل السعدي بها، فراراً من ملاحقة عمه عبد الملك، مكث بها ما بين رمضان 985 / نونبر 1577 ومحرم 986 / مارس 1578. في انتظار وصول إذن ضون سبستيان للإبحار إلى لشبونة (المعلمة، 2 : 453).

لم نعلم بأخبار قصبية تلابادس إلا بعد أن سرد علينا عبد الكريم بن موسى الريفى الأحداث التي أدت إلى تخريبها على يد مولاي الرشيد بعد محرم عام 1075 / يوليوز - غشت 1664. خلال الحرب الأخيرة مع القائد أحمد أعراص (المعلمة، 2 : 514) إلى أن تم تجديد بنائها في نطاق تشديد الحصار على جزيرة بادس مع بداية القرن الثاني عشر (أواخر 17 م) على عهد مولاي إسماعيل. ربما كانت سنة التجديد هي 1091 / 1680.

مجهول، نسب قبيلة قلعية، مخطوط : عبد الكريم بن موسى الريفى، زهر الأكم، 129 : مجهول، تاريخ الدولة السعدية، 37، الرباط 1934 : معلمة المغرب، 2 : 453. 514 : الطيبي عبد الرحمن، المجتمع الريفى قبل الحماية، 2 : 437 : ضابط الأمور الوطنية، 84 : خريطة طبوغرافية سنة 1921، أخرى سنة 1935 : النشرة الأثرية المغربية، 14 : 259. 261.

S.J.H.M., Espagne, 3 : 43 ; A. Ghirelli, Apuntes sobre la Cabilia de Beni Iteft, p. 47, Madrid, 1956.

حسن الفكيكي

**تالات**، كلمة أمازيغية، وجمعها تالاتين تعني أرضاً منخفضة بالنسبة للأراضي المجاورة لها. كما تعني الشعب والمسيل أو مجرى المياه. وتطلق مجازاً على حالة الانزلاق والتدرج التي يقع فيها الانسان المنهار أخلاقياً أو المصاب بالانفلاس مادياً أو معنوياً، فيقال له : "فلان وصل تالات" أي الدرجة السفلى. وهناك في منطقة تدغة مثال شائع يقال للانسان الذي يرفض استلهام الدروس من أخطائه للتراجع واصلاح اعوجاجه وانحرافه، فيقال عنه : "كأند الك، مدن تالات، أمخيب (أي المنبوذ) إيقيمن ديس" بمعنى : كل الناس في يوم من أيام حياتهم تدرجوا إلى الأسفل (تالات) لكنهم تمكنوا من الافلات والصعود من جديد إلى

وضعهم العادي، إلا المشؤوم والمنبوذ والمتعرج فهو وحده يظل في تالات (الأسفل).

واسم تالات أو تالاتين شائع الاستعمال في المغرب ويطلق عادة على القرى والمدائير التي تقع في الوادي ويجري فيها عادة مسيل، وقد تم إحصاء حوالي ثمانين قرية ومدشر ومكان تحمل اسم "تالات" أو "تالاتين".

وتتمتع هذه القرى بتحسين طبيعي، يقيها من الرياح مثلاً، ومن مدهامتها بسهولة من طرف المغيرين الأجانب. كما أن أهالي تلك القرى يقيمون زراعات كثيفة غالباً في المدرجات، والمساحات الضيقة، ويعيشون على اقتصاد القلة.

### تالات - ن - وامان، مركب منجمي يتشكل من عدة

استغلاليات منجمية وتعدينية نحاسية، ويوجد الموقع بشرق إغرم (إقليم تارودانت) في منطقة جبلية تتراوح ارتفاعها ما بين 1809 م بتالات - ن - وامان و1739 م بأمانيو و1715 م بأگونى ن الخيسر و1580 م بإيمى نيكري (انظر الخريطة الطبوغرافية لإغرم 1 / 100.000). وتشهد الطبونيميا بالنشاط المنجمي والتعديني للمنطقة، إذ يوجد بالقرب من قرية أكونى مرتفع يسمى أفران وناس، وآخر يوجد بالشرق يعرف بأفرنى.

وتتخلل المنطقة آثار منجمية وتعدينية مهمة، فمثلاً حُفر بموقع ورناداز دهليز لاستغلال الترسبات المعدنية النحاسية بسلك مترين، وعلى طول ثلاثمائة متر، توجد بقايا دهليز ردمت بعدما تم استغلال كل العروق المعدنية، وهذه طريقة كانت تطبق في جل المناجم المغربية القديمة، إذ يُعمد مباشرة بعد الانتهاء من استغلال العرق المعدني، إلى حشو كل التجويفات بالردم المعدني مخافة من الانهيارات. وتم العثور على آثار للاشغالات المنجمية القديمة بمنطقة أكونى. وبأفرنى توجد مجموعة آبار جفرت لاستغلال العروق المعدنية النحاسية الباطنية.

وتقع أهم الآثار المنجمية بتالات - ن - وامان، بالأماكن التي يتجاوز سمك الترسبات المعدنية بها ستين سنتيمتر، وتنتشر الآبار المنجمية على طول كيلومتر واحد.

وتغطي الاستغلاليات المنجمية لتالات - ن - وامان إجمالاً مسافة 3.7 كلم باتجاه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

الخريطة الطبوغرافية لإغرم 1 / 100.000.

S. Vergero, Rapport B.R.P.M., Rabat, 1942 ; Gorichon, Rapport B.R.P.M., Rabat, 1953 ; T. Tortochaux, Rapport B.R.P.M., Rabat, 1954 ; L. Gay, Rapport B.R.P.M., Rabat, 1957 ; M. Saadi, Mines et géologie, N° 26, 1968 ; B. Rosenberger, Anciennes exploitations minières, R.G.M., t.17, pp. 71 - 102. 1970.

المرساوي العجلوي

### تالات - ن - يغشى، منخفض يخترقه أحد روافد نهر

غريس، وهي منيعة تحيط بها الجبال من الجانبين وأصبحت عبارة عن مضيق جبلي وفج عميق. وتكمن أهميتها في كونها المر الأساسي من آيت هاني "بأمدغوس" نحو

"الريش" مروراً "بأسول". وكذلك من إميلشيل "بأسيف ملول" نحو الريش عبر أسول.

وتعتبر ثلاث ن يغشى، من المواقع المشهورة في أعالي نهر غريس بسبب المعارك البطولية التي كان هذا الموقع مسرحاً لها يوم 5 و6 غشت 1933. إذ تمكنت جماعة من المقاومين الشجعان من أيت مرغاد وأيت حديدو (أيت يافلما) وغيرهم، من الوقوف في وجه طوابير تكاد لا تنتهي من جيوش الاستعمار، مجهزة بمختلف الأسلحة العصرية التي تطورت بأوروبا آنذاك. ويفضل ذكاء المقاومين العسكري تمكنوا من استغلالهم للموقع والمسالك الوعرة لمحاصرة القوات الاستعمارية المغيرة على "تالات ن يغشى". هذا على الرغم من الاستعدادات الدقيقة والإمدادات الضخمة اتخذها الاستعماريون لاحتلال منطقة "أمدغوس" التي تعد من آخر معاقل المقاومة بمنطقة الأطلس الكبير الأوسط.

وهكذا فعلى إثر إخماد المقاومة التي تزعمها "سيدي المكي أمهاوش" يوم 14 شتنبر 1932، بعدما تدفقت القوات الاستعمارية من جميع الجهات لتحاصر المقاومين في تازكزاوت اضطر المقاومون إلى الاستسلام بعد قتال مرير تكبد العدو خلاله خسائر فادحة في الأرواح والعتاد منها سبعة ضباط من رتب عالية وأكثر من مائتي جندي بالإضافة إلى مئات الجرحى.

زحفت الجيوش الاستعمارية بعد هذه المعارك، خاصة فوج مكناس بقيادة الجنرال غودو (Général Goudot). نحو أسيف ملول واستقر بجيشه بإميلشيل، وأخذ يزحف بالتدريج نحو أمدغوس حيث تم احتلال أگدال نايت ابراهيم. وفي نفس الوقت تم شق الطريق عبر ممر تيزي - ن - تفرغوزين. الشيء الذي مكن الجنرال دوبيسون (De Buisson) من الزحف نحو أگدال السابق الذكر، ومحاصرة قرى أمدغوس بقوات ضخمة، قوامها أربعة فيالق وثلاثة مدافع بعيدة المدى وبفوجين من الكوم بالإضافة إلى قوات تم تجنيدها من القبائل التي أخضعها الاستعمار والتي يعبر عنها بالقوات الإضافية. وتم تجميع هذه القوات خلال الفترة الممتدة ما بين 18 و27 يوليوز 1933 في إطار الاستعدادات لاحتلال أمدغوس انطلاقاً من الشمال.

وأما من جهة الغرب، فقد أدى إنهاء المقاومة بجبل صاغرو يوم 25 مارس 1933، بعد استسلام بطل المقاومة عسو أْبْسْلَامْ، أدى ذلك إلى تجميع القوات الاستعمارية التابعة لمراكش في مركز بومالندادس بقيادة الجنيرال كاترو Catroux منذ يوليوز 1933. وتم الشروع في شق الطريق في بومالندادس نحو أعالي نهر دادس بإمدغاس Imdghass وتم احتلال قرية مسمرير وتامتوش، وتمت محاصرة أيت هاني وقرى أمدغوس من ناحية الغرب.

ومن ناحية الجنوب، حل الجنرال هوري Gl. Huré القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب بتغيير تدغة التي حولها إلى مركز قيادته، وأخذ يسيّر العمليات العسكرية من

هناك.

من جهة الشرق، قامت القوات الاستعمارية التابعة لمكناس وتادلة باحتلال المواقع الاستراتيجية والقرى حيث واجهتهم مقاومة أيت يحيى بكردوس، وتمكنوا من تطويق أعالي نهر غريس. وشرعت القوات الاستعمارية في تمهيط المنطقة للقضاء على جيوب المقاومة بأيت هاني.

وفي هذا الوقت أخذ المقاومون ينظمون أنفسهم ويعدون العدة لمواجهة الزحف الاستعماري المغير في مواجهة المصيرية، وقد اتخذوا الزوايا مقراً وملجأ لهذا التنظيم، وخاصة زاوية سيدي بويعقوب بأسول التي ساندت الجهاد ودعت الجماهير للالتحاق بصفاقها، وزاوية سيدي محمد أويوسف وهي فرع لزاوية سيدي بويعقوب، وزاوية قصر أيت سيدي بتلمي على مقربة من إميلشيل... وكانت خطة المقاومة مدبرة أحسن تدبير، بحيث أسندت قيادة المعارك إلى شخصيات معروفة بخصالها الحربية وتجربتها لمقاومة الاستعمار في معارك سابقة، هذا إلى جانب توفرها على رصيد من التقدير لدى رجال المقاومة. ومن بين هذه الشخصيات نذكر على سبيل المثال فقط :

زايد أوسكونتي من أيت عيسى إزم، وعلي أوطرمون، وموحى أوعرجي، وكلهم من أيت مرغاد. وكذلك سيدي حماد نايت سيدي العربي، والراضي مولاي امحمد بقصر إطوقزُو، وسيدي محمد المصغر وأخاه سيدي الطيبي الهواري وباسو أوعدي أمهاوش...

كما أصدر العلماء والفقهاء وأعيان الزوايا المذكورة فتاوي من أجل إعلان الحرب على الغزاة والحث على الجهاد. وكانت هذه القيادات تشرف على مجموع العمليات وتقاتل أحياناً في الصفوف الأمامية، ولهذا سقط الكثير منهم في ساحة الوغى.

وفي أوائل غشت 1933 أصدر الجنيرال هوري انطلاقا من تينغير أمره لقواد مختلف الوحدات من أجل تطويق المقاومين في معاقلهم الجبلية خاصة في فج تيزي نحمدون وجبل أيوب وجبل كردوس وذلك لمنع المقاومين من الالتحاق بجبل بادو الذي جرت فيه المعارك الحربية في أواخر غشت 1933. وفي كل موقع أخذت كتائب المقاومة تتمركز ليل نهار في خنادق وتحصينات من الأحجار تستر بها أغصان الأشجار، كما وضع حراس في المرتفعات يتتبعون تحركات الجيوش الاستعمارية. كما كانت أسر المجاهدين تتحصن نهاراً داخل سراديب محفورة تحت الصخور، ولم تكن ضربات الطائرات والمدافع تصيب سوى قطعان الغنم في أغلب الأحيان ! (الأرض المحروقة).

وقد كانت القيادة الاستعمارية تدرك أن قبائل الأطلس الكبير الأوسط لن تستسلم بسهولة إلا بعد استنفاد وسائل المقاومة عن آخرها. وإلى هذا يشير الجنيرال ثيفيني Théveny في المجلة العسكرية *La revue militaire* بتاريخ 29 يوليوز 1933 :

"... ومثل منشقي تازكزاوت في 1932، وصاغرو في

1933، فإن منشقي الأطلس الكبير سيمنتعون أولاً عن التفاوض، ولن يقع استسلامهم احتمالاً إلا بقوة الضرورة، وذلك بواسطة أسلحتنا الأتوماتيكية، ومدافعها المركزة في المواقع المختارة، وطيراننا المداوم على الارتباط بتحركات جنودنا. وأمام اشتداد الخناق عليهم، وانهاكهم بالجوع والعطش، وإبادتهم بالنيران، ويعد أن يكونوا قد أنقذوا الشرف، إلى الاستسلام أخيراً آنذاك سنجردهم من أسلحتهم ونكون بذلك قد أخذنا فتنة الجبل بأكملها".

وقد أصدر الجنرال هوري أمره لاحتلال تالات ن يغشى الذي يعد أحد روافد نهر غريس وذلك لإحكام الخناق على المقاومين الذين بدأوا يعتصمون بجبل بادو.

وتم تكوين فرق عسكرية من المشاة والمدفعية وذلك لاحتلال تالات - ن - يغشى لقطع الطريق أمام المقاومين نحو جبل بادو وأيوب، وساهم فوج مراكش ومكناس تحت قيادة الجنرال جيرو Giraud بالنسبة لفوج مراكش والجنرال دو لا بوم De la Baume بالنسبة لفوج تادلة في تلك العملية.

وفي هذا الوقت أخذ قواد المقاومة يعدون العدة للقفز بقبائل أيت مرغاد وأيت حديدو الأشاوس، في وجه الفرنسيين المغيرين على منطقتهم. وهكذا في ليلة 5 غشت 1933، اشتبك المقاومون مع القوات الاستعمارية المغيرية، وأخذوا يستدرجونها إلى المسالك الوعرة "بتالات - ن - يغشى" وفي هذا الصدد يقول أحد أبطال مقاومة "تالات - ن - يغشى" وهو من منطقة أيت هاني ويدعى "امبارك أو المعطي" يقول :

"كنا قد وضعنا حراساً في قمم الجبال المطلة على مدخل "تالات - ن - يغشى" لإرشادنا عن تحركات طوابير الجيوش الاستعمارية، فكان عليهم أي الحراس أن يتقدموا نحونا إذا تقدمت جيوش الاستعمار وأن يتوقفوا إن توقفت إلخ... ولما شاهدنا الحراس يقتربون منها، استشعرنا نوعاً من الذهول لأن الأمر يتعلق بالمعركة المصيرية، وكنت في مقدمة الصف وكان علي أن أطلق الرصاصة الأولى إيذاناً ببداية المواجهة... وهذا ما تم بالفعل وأخذنا نمطر القوات الاستعمارية بوابل من الرصاص من كل جهة ولم ينج منها إلا الفارون وغنمنا أسلحة كثيرة وعدداً كبيراً من الخيل والألبسة العسكرية" (راوية شفوية مؤرخة بـ 24 مارس 1974).

وإلى هذه المعركة يشير العقيد فوانو (Le colonel Voinot) في كتابه المشار إليه في المراجع صفحة 466 :

"ويعد تكوين وتنظيم القوات المكلفة باحتلال "تالات - ن - يغشى" تقدمت هذه القوات نحو هدفها يوم 6 غشت، إلا أنها فوجت بهجمات مباغته للمنشقين القادمين من بادو وأرغمت هذه الغارات قواتها للتراجع نحو ضفاف أحد روافد وادي تالات ن يغشى... وكانت خسائرنا في معركة "تالات - ن - يغشى" قد بلغت أربعة وأربعين قتيلًا وواحدًا وخمسين جريحاً ومقتل أربعة ضباط من رتب متفاوتة بين عقيد ومقدم ونقيب..."

وقد أثارَت هذه المعركة البطولية للمقاومين معارضة داخلية في فرنسا، رغم أسلوب التعتيم الذي اتبعته إدارة الحماية عن العمليات العسكرية في المغرب بحيث أوهمت الرأي العام خاصة بعد حرب الريف أن المغرب تم احتلاله ولم يبق إلا عمليات محدودة ضد المنشقين وقطاع الطرق، فجاءت معارك أمدغوس وخاصة معارك "تالات - ن - يغشى" لتفجير الوضع من جديد، وهكذا كتبت جريدة لوپوبيلير *Le Populaire* بتاريخ 18 يوليوز 1933 :

"لا يزال الدم يسيل في المغرب". وفي عدد 14 يوليوز 1933 قالت : "عشرة قتلى آخرين واثنان وعشرون جريحاً في المغرب!". وفي عدد 11 غشت 1933 أي بعد معارك تالات - ن - يغشى، كتبت الجريدة المذكورة :

"... إن التوغل السلمي المزعوم في المغرب ليس شيئاً آخر سوى مشروع لصوصية كبيرة لفائدة الرأسمالية الاستعمارية، ومناسبة لبعض ذوي الرتب العسكرية لكي يربحوا شارات ونياشين بدم الجنود الفرنسيين والاهالي التمساء... إن صمت الحكومة ذو دلالة وسنرغمها على الخروج من هذا الصمت سواء أرادت ذلك أم لم ترده..." (جورج أوفيد، اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905. 1955، ص. 255، مطبعة دار تويقال).

وقد شكلت معارك "تالات - ن - يغشى" عقبة كأداء لتقدم الجيوش الاستعمارية، كما أعطت نفسها للمقاومة التي قامت بها قبائل أيت مرغاد بقيادة زايد اسكونتي بجبل بادو من 22 إلى 26 غشت 1933.

محمد المعزوي وهاشم العابدي العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935، مطابع الأنباء، الرباط، 1986 ؛ جورج أوفيد، اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905. 1955، دار تويقال، 1988.

L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 ; Lançon, *Les dernières étapes de la pacification dans le Grand Atlas marocain 1931 - 1933*, R.M.F., Août - Sept. 1934 ; B. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1946.

عبد القادر بوراس

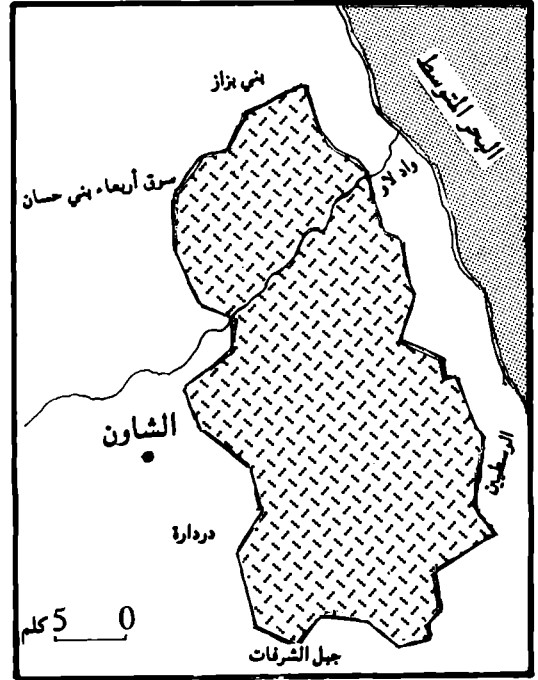
## تالبرجت ← أكادير

**تالسمطان**، منتزه في منطقة جبلية تقع شمال شرقي مدينة شفشاون. مازال مشروع خلق منتزه تالسمطان في طور إنجاز الدراسة التي بدأت في نهاية سنة 1993.

يقع المنتزه الطبيعي لتالسمطان لمنطقة شفشاون حيث يعطي 60.000 هكتار من السلسلة الكلسية للريف التي استعير منها اسم المدينة شَفْ شَاوْنْ أو أَشَاوْنْ بالأمازيغية أو القرون والقمم بالعربية، إذ تشتمل منطقة المنتزه جبال الأقرع (أو الأشهب) وتيسوكا وبوسليمان وخروش وتازاوت وكلتي.

يتميز منتزه تالسمطان بتضاريسه ومناظره الخلابة من صخور ووديان غارقة ومنحدرات تجلب الأنظار، ويومناخاته الرطبة جدا والرطوبة وشبه الرطبة، كما يزخر بتنوع نباتاته التي تشمل العديد من القيسيات.

وأهم الأهداف المتوخاة من خلق هذا المنتزه هو الحفاظ على غابة الشوح المغربي *آبِيَسْسُ مارُوكَانَا* Abies maroccana أو Sapin du Maroc بالفرنسية. وهذا النوع الشجري قبسي أصيل خاص بهذه المنطقة، وهو يغطي ثلاثة آلاف هكتار، ويضفي على المنطقة رونقاً وجمالاً لا مثيل له إطلاقاً. كما تصادف بالمنتزه غابات من الأرز وبلوط الزان، والبلوط الأخضر والبلوط القرمزي والعرعر البربري، وبعض أشجار القسطل الطبيعية.



منتزه تالسمطان

إلى جانب هذه الأشجار المذكورة يتمتع زائر المنتزه بمشاهدة أزهار جميلة فاتقة في الرونق، منها القيسية، كما يتمتع بأصوات عدد وافر من الطيور. ويمكنه أن يصادف القردة وهي تتسلق الصخور أو أشجار الشوح.

أبحاث ميدانية.

Benabid et Mahe, Plan de gestion du Parc Naturel de Talasemtane. Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1994.

عبد الملك بنعبيد

### تالسينت، مركز تابع لعمالة فكيك على بعد نحو

مائة كيلومتر من بوذنيب وثمانين كيلومتراً من ميسور على ارتفاع 1300 م. تسكنه قبيلة أيت حمو أُسعيد من قبائل أيت سفروشن. وقد اشتهر أيت حمو أهل تالسينت بمقاومتهم العنيفة للاستعمار الفرنسي، بدءاً من معارك بوذنيب عام 1325 / 1907 إلى سنة 1353 / 1934. وشكلت تالسينت أحد المعاقل الهامة للمقاومة لدرجة أن الكتابات الاستعمارية خصصت لها حيزاً كبيراً وأطلقت عليها "ملاحم أيت حمو".

- انضم أيت حمو القاطنون بتالسينت منذ الوهلة الأولى إلى المقاومة التي قادها مولاي أحمد أُلحسن السباعي منذ

سنة 1907. ولما اقتحمت جيوش الاحتلال بوذنيب سنة 1916 عاد أيت حمو إلى تالسينت حيث أعادوا تنظيم المقاومة فواجهوا الجيوش الاستعمارية بقيادة الكولونيل دوري Doury يوم 17 يوليوز 1916 وكبدها خسائر فادحة. وعند اندلاع المقاومة بتافيلالت سنة 1918 بقيادة مبارك بن الحسين التوزونيني انضم إليه أيت حمو وأعلنوا العصيان ضد سلطات الحماية واضطر الكولونيل هوري إلى القدوم إلى تالسينت على رأس جيش ضخم يوم 14 فبراير 1919. وبدأت المعركة من جديد لكن المقيم العام ليوطي أمر بوقف القتال في منطقة بوذنيب وتافيلالت والاحتفاظ بالوضع القائم بأقل التكاليف، وذلك لتجميع القوات الفرنسية لمواجهة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.

أدرك أيت حمو النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي وخطته في عزل الريف عن بقية المناطق ليتفرغ بعد ذلك لإخماد المقاومات الأخرى، لهذا رفضوا الهدنة التي أعلنتها الاستعمار من طرف واحد. وتجملى ذلك يوم 13 جمادى الأولى عام 1344 / 16 دجنبر 1925 على إثر الحملة التي قامت بها السلطات الفرنسية لنزع السلاح من أيدي السكان، حيث استدعى الضابط الملازم الأول دي سباكس De Spax رئيس مكتب تالسينت جماعة من أيت حدو أ بلحسن وعلى رأسهم حمو أحمو وأخوه محمد أحمو من قصر أبار فرقة أيت الخندوف، وكانت خطتهم ترمي إلى الاجتماع في السوق أولاً قبل التوجه إلى مكتب الضابط، لكن هذا الأخير كان على علم بخطة القبائل التي تنوي الهجوم على مركز السلطة بتالسينت لاسترجاع السلاح. وقد أمر الضابط باللقاء القبض على حمو أحمو، ولكن سرعان ما تدخل شقيق هذا الأخير وأطلق الرصاص فقتل الضابط وتم قتل عشرة من الجنود والمخازينة. وكان مقتل الضابط "دي سباكس" بمثابة الشرارة التي أشعلت ثورة أيت حمو بتالسينت، حيث تم الاستيلاء على الأسلحة الموجودة في مركز السلطة الاستعمارية بتالسينت بعد السيطرة عليه. واستمرت المجابهة بين أيت حمو مع من انضم إليهم من القبائل المجاورة في منطقة تالسينت مثل أيت مريم وكذلك في بني تبيجيت من جهة والجيوش الاستعمارية مدة قتل خلالها الضابط الذي خلف دي سباكس على تالسينت يوم 26 أبريل 1926، وبلغ عدد الأسر التي غادرت تالسينت وأعلنت قردها على الاستعمار ثلاثمائة أسرة سنة 1928.

كانت أساليب مقاومة أيت حمو تقوم على حرب العصابات ومواجهة الجيوش الاستعمارية عن طريق نصب الكمائن والمباغثة للتغلب على التفوق العددي والأسلحة المتطورة لدى الجيوش الاستعمارية، وكان من نتائج الانتصارات التي حققها أيت حمو سنة 1928 حسب الكولونيل صولاي في كتابه الكوم المغاربة (ص. 238) : مقتل سبعة وثلاثين جندياً في منطقة بوبرنوس، وإبادة طابور من المشاة في عطشانة مع مقتل ثمانية وثلاثين جندياً، ومقتل خمسين جندياً تابع للفيلق في منطقة جبهاني.



الموحدي (المنوني، إماره، ص. 27) فنمت إليه هجرة كثيفة كثيفة قبل الاستقرار النهائي للسكان، اعتباراً لموقعه كطريق للمقاول التجارية، على أن الماء كان الباعث الأساسي لاستقرار أولاد جرار بأزغار تيزنيت، حيث تجمعوا في قرى كبيرة حول العيون في الرگادة وإغرم وتالعينت. كان لظهور "عين حسون" بتالعينت أثر كبير في استقرار جزء من أولاد جرار بها، بل إن الدفاع عن الطريق التجارية وحماية مصادر المياه والغلال خلق تلاحماً أكبر بين أزغار في إطار حلف "تأحكات" الذي تنزعه تالعينت ضد حلف "تاگوزلت" الذي ترأسه تازروالت. هذا التلاحم لا ينفى الصراع بين الأزغار بين عامة وبين الأسر والفخذات الجارية حول مصادر المياه.

ذكر الأگراي أن حفر العين كان منذ بداية القرن الثاني عشر (18 م) استناداً إلى وثائق مكتوبة، وأن الذي عشر على مكان العين الحالي هو أحد السگرايين المسمى قيسوم بن أحمد السگراي، في فدان للشیخ محمد بن علي الحسوني الذي تسمت العين باسمه، وأشرف على الحفر أیت همان بأیت بریم (روضة الافنان، ص. 4).

مرت الدورة المائیه "عين حسون" بثلاث مراحل :

- المرحلة الأولى تبدأ منذ ظهور العين على سطح الأرض في الثلاثين من القرن الثاني عشر، حين قسم الأطراف الثلاثة الذين شاركوا في الحفر مياهاها فيما بينهم بالتساوي (أولاد حسون، أیت همان وإسگراي). وحسب أول وثيقة مؤرخة بعام 1331 فإن الدورة المائیه كانت على مدار شتاء اثني عشر يوماً صيفاً وشتاءً في كل يوم توزع فرديتان (نويتان) فردية بالليل وفردية بالنهار (روضة الافنان، ص. 7) وفي كل فردية ستون طاسة وفي كل طاسة اثنتا عشرة دقيقة، ويشرف على توزيع الماء أشخاص يتوارثون حرفتهم يدعون "العبارة" ويحصلون مقابل عملهم على طاسة واحدة عن كل فردية.

- في المرحلة الثانية، تغيرت الوضعية القانونية للدورة المائیه وذلك أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ليصبح عدد أيام الدورة أربعة عشر يوماً، وارتفع عدد المستفيدين إلى عشرين أسرة.

- وفي المرحلة الثالثة، أصبحت الدورة المائیه واحداً وعشرين يوماً بزيادة سبعة أيام بتدبير من القائد عياد بتاريخ 11 ذي الحجة عام 1343 / 3 يوليوز 1925، وقد برر ذلك بقوله "اشترت هذا الثلث عند سگراي ولذلك زدتها وتبرعت للقبيلة بإصلاح العين وقمنا احتاج إلى الإصلاح" (روضة الافنان، ص. 7). بازدياد حصة أسرة بورحيم من مياه العين ازدادت المساحة المزروعة التي تمتلكها فكان لزاماً عليها تحصين القرية لمواجهة الأخطار المحدقة. وهكذا أمر القائد عبد السلام وخليفته عياد بتسويرها سنة 1318 / 1901، كان علو السد 4.80 م وسمكه 0.80 م. له بابان كبيران يعتبران مدخل القرية حيث الدور والساحات ورياضان كبيران بداخل أحدهما منبع العين، فاكتسبت تالعينت سمة

وهذا كله على الرغم من نهاية حرب الريف وإقام تهدة منطقة تازا، الشيء الذي مكن من تجميع القوات في منطقة تالسينت ودائرة كرانندو. ومع ذلك لم تتمكن القوات الفرنسية من القضاء على أیت حمو رغم استعمال مختلف الأسلحة بما فيها الطيران، الأمر الذي استدعى إعادة تنظيم الجيوش الاستعمارية. وفي هذا الصدد كتب الكولونيل فوانو في كتابه (248, *Sur les traces*) : "لقد استدعى الأمر إعادة التنظيم وإنشاء قيادة موحدة للتخوم الجزائرية المغربية بقيادة الجنرال هوري وذلك خلال فبراير سنة 1930. والسبب في إعادة هيكلة هذا التنظيم يعود بالأساس إلى النتائج الهزيلة وغير المرضية التي أسفر عنها الصراع المسلح ضد "لصوص" أیت حمو.

قامت القوات الاستعمارية بحرب إبادة ضد أیت حمو حيث كانت تترصد أماكن خيامهم أثناء تحالهم فتهاجمهم بالطيران الحربي. وأما في تالسينت فقد وجهت اتهامات لبعض الأعيان بمشاركتهم في العمليات العسكرية وتم إعدامهم، وبلغ عدد من أعدم ستة عشر شخصاً. ومن الذين توجهت إليهم التهمة موحى أزگاغ العيساوي من أیت وزاك واستطاع الانفلات وتمكن من تنظيم المقاومة في ضواحي تالسينت ثم انضم إلى بقية قبائل أیت حمو الذين شاركوا في عدة معارك في تادرة قرب كلميمة خلال غشت سنة 1930، وفي صغرو خلال فبراير - مارس 1933، وفي معارك أخرى بالأطلس الكبير الأوسط.

وقد هجرت قبيلة أیت حمو تالسينت ورحلت بخيامها وماشيها إلى المناطق الغير محتلة، فوجدها الجيش الفرنسي فرصة سانحة لهدم قصور أیت حمو بخنك الصفاص قرب زاوية تالسينت وقصر غزوان.

انتقل أیت حمو إلى تافيلالت ودرعة حيث انضموا إلى جيوش بلقاسم النگادي لمحاربة الاستعمار. ثم استقروا في الصحراء حيث واجهوا الجيوش الاستعمارية في عدة معارك منها معركة طنطان والزاک ومعارك أخرى قرب الساقية الحمراء سنة 1934. وهناك تكتلت القوات الاستعمارياتان الإسبانية والفرنسية للقضاء على مقاومة أیت حمو في شهر أكتوبر سنة 1934.

م. المختار السوسي، العسول، الجزء 16 : م. المعزوزي وهاشم العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935، الرباط، 1986.

J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, T. 1, Paris, 1931 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; M. Bernard, *La pacification du Maroc, 1907 - 1934* ; Alphonse, *L'achèvement de la pacification marocaine, méthodes et programme*, R.M.F., 1935 ; A. Haddou, *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint*, Lamalif N° 143, février - mars 1983, p. 44.

عبد القادر بوراس

**تالعينت**، تصغير العين "بأزغار" واقعة على بعد 20

كلم جنوب مدينة تيزنيت. يذكر أن هذا المجال عبارة عن مرعى استقطب موجات بشرية مختلفة من الجبال المجاورة والصحراء ووفد عليه أولاد جرار المعقليون منذ العصر

الحاضرة، فقصدها العلماء والأعيان والتجار والحرفيون للاحتماء بسورها الذي صد عنها غارات الجيبيين وحملات الكنتافي سنة 1918، بل إنها استرعت انتباه سلاطين الوقت، فزارها السلطان مولاي يوسف سنة 1926، وأصبحت قاعدة سوس الأقصى بعد تيزنيت بل إنها سعت إلى مناقستها محتفظة بمكانتها تلك حتى أقول نجم أسرة بورجيم (انظر المعلمة، ج 5).

• 'لاكراري، روضة الأفتان في وفيات الأعيان، تح حمدي أنوش، ر. د. د. ع. الرباط 1989؛ م. المختار السوسي، المسول، ج 19؛ خلافاً جزولة، ج، 1؛ م. المنوني، إمارة بني يدر بسوس، مجلة دراسات، كلية الآداب أكادير، العدد 1، 1987، ص. 27-29. H. Dugard, La colonne du Sous 1917, Paris, 1918 ; Justinard. Un grand chef berbère : Le Caïd Goundafi, Casablanca, 1951. حمدي أنوش

**تالغمت**، اسم مواقع متعددة في كثير من جهات المغرب، وخاصة في المناطق التي تسود فيها الأمازيغية. نجدتها مثلاً، علماً لقرية في سكتانة وأيت ووزكيت وكدميو، ويعني الناقة (E. Laoust, 96).

يشتهر ممر تالغمت (تيزي - ن. تالغمت) على الطريق الرئيسية الرابطة بين ميدلت والرشيديّة، وهي طريق مطروقة بكتافة منذ القديم. يقع هذا الممر شرقي جبل العياشي، وهو أشهر ممرات الأطلس الكبير الشرقي.

أما زاوية تالغمت، فهي مرحلة من المراحل التي كان ينزل بها ركب الحج الناصري، وتقع بين سجلماسة والقنادسة. ولعل تطورها في القرنين الحادي عشر والذي يليه (17-18 م) يرجع بالأساس إلى نشأة فرع للزاوية الناصرية بها (الرحلة الناصرية، 2: 196). فقد تتلمذ أحد أبنائها، وهو محمد أكرام للشيخ أحمد ابن ناصر. ترجم له الخليفتي، نقلاً عن الرحلة الناصرية، فقال:

"تم تتابع الناس أرسالا، وتلاحقوا أفواجا، وفيهم بلدينا المحب سيدي محمد أكرام به لقب، التكمدرتي". (الدرّة الجليلية، 240).

وتكمن أهمية تالغمت بالنسبة للركب الناصري، في كونها مرحلة في الطريق، ينزل بها الحجاج للاستراحة واقتناء الرواحل.

وظلت زاوية تالغمت الناصرية، قائمة بعد ذلك، فقد توقف بها ابن عبد السلام الناصري في بداية القرن الثالث عشر (19 م) في أثناء قفوله من الحج. (الرحلة، 62). وماتزال حتى اليوم دار صلاح وعلم.

أحمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، ط. ح؛ م. الخليفتي، الدرّة الجليلية، تح. أ. عمال، 1986؛ م. ابن عبد السلام الناصري، الرحلة، م. خ. س.، 5658.

E. Laoust, Contribution..., 1942.

أحمد عمالك

## تالكوتاوت ← بني سمكين

**تالكجونات**، بكاف معقودة أو بكاف عادية. اسم يطلق على مجموعة من القرى تقع على السفح الجنوبي

للأطلس الكبير الغربي شرق مدينة تارودانت، ما بين مركزي تافينغولت وءايت برجيل. ويقع جل قرى تالكجونات على أحد روافد الضفة اليمنى لنهر سوس، المعروف باسم أسيف - ن. تالكجونات الذي ينبع من الجدار الجنوبي والجنوبي الغربي من الكتلة الجبلية تيشكا.

أهم قرى تالكجونات إِنْضُرْمَاسْ، إِبْكَرْ - ن. أُوْفْلَا، إِيدَاوِيْلَالْ، تَلَاتْ - ن. حَقِّي... وتحيط بها المجموعات البشرية التالية: تاوينخت وإيفوزان وإيداكوايس وإيغصاشن وأيت يوش وأزازن وتالامت...

تعتبر تالكجونات من المواقع الجميلة في المنطقة نظراً لخصب تربتها ووفرة مياهها، وقد عرف سكانها كيف يستغلون هذه المعطيات، فجعلوا من الأراضي المجاورة لمجرى النهر جنات متصلة من أشجار الزيتون واللوز والتين وغيرها، ومزارع للقمح والشعير والذرة وأنواع الخضر.. وينوا للنحل وللمختلف الحيوانات الأليفة.. كل هذا أنجز وسط غابة كبيرة محيطة من شجر أركان الخالد الذي تشتهر المنطقة بإنتاج أحسن زيت منه، كما تشتهر بعسلها المعطر.

ينتمي سكان تالكجونات حسب ما ورد عند روبرير مونتاني وجان دريش، إلى لف إيداوزدأغ الذي يقابله في المنطقة لف ءايت زوليط. ونتيجة للصراع الدائم بين هذين اللغين برزت سلطة أيت بازي بتالكجونات منذ منتصف القرن التاسع عشر، واحتفظت أسرة أيت بآزي بالمشيخة (إمغارن) ثم بالقيادة (لقبياد) منذ ذلك الوقت إلى نهاية فترة الحماية، وكان المرحوم القائد الحاج لحسن بآزي آخر قائد منها.

معلومات شخصية؛ خرائط جان دريش.

R. Montagne, Les Berbères et le Makhzen.

علي صدقي أزابكو

**تالمبوط**، أو تالنبوط، قرية تقع بفرقة بني شداد من قبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والغالب على الظن أنه كان بها في عهد الرومان مركز لحراسة الطريق الرابطة بين مركز وادي لاو ومركز إغاروزيم بالقرب من شفشاون، بدليل أنه ما زالت هناك آثار قنطرة رومانية قائمة الذات.

وهناك سد تالمبوط ويعرف أيضاً بسد وادي لاو Presa del Lau، وهو السد الوحيد الذي بناه الإسبان في عهد الحماية وجعلوا عليه معملاً لتوليد الكهرباء؛ ويقع بالقرب من القرية التي يحمل اسمها بقبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والطاقة الكهربائية التي يُنتجها معمل هذا السد كانت تغطي حاجيات الناحية الغربية من شمال المغرب بما في ذلك مدينة سبتة السليبية.

ع. بنعبد الله، الموسوعة، 131.

A. Rivas, La presa del Lau. Tetuan, 1943 ; Martinez Campos, España Belica, 292.

محمد ابن عزوز حكيم

\* \* ويذكر في التاريخ أن قرية تالمبوط شهدت في القرن العاشر (16 م) وما تلاه، نهضة علمية ملحوظة فأصبحت تشكل مركزاً علمياً هاماً، اجتمع فيه من أبنائها ومن

الطارئين عليها علماء أعلام ومتصوفون كبار، منهم الشيخ عبد الله الغزواني وعبد الله الهبتي والحسن ابن عرضون وأبولقاسم بن خجو وموسى الوزاني ومحمد النالي الخالدي وعبد الوارث الياصوتي وغيرهم، ورد هؤلاء الشيوخ على هذه القرية فبنوا بها مساجد غدت مدارس للعلم وموتلا للإرشاد والإصلاح، وكان لقدم الشيخ الهبتي إليها أعظم الأثر على ازدهار العلوم الدينية بها ...  
ع. الجيدي، ابن عرضون الكبير، حياته وآثاره، ص. 50-51.

عمر الجيدي

**تالمست**، واحدة من بين زوايا رگراگة الثلاث عشرة المنتشرة على عدوة وادي تانسيفت الجنوبية وهي اكرات - تالمست - أقرمود - رتنانة - أيت بوطريطش - توريرت - أيت بوالاعلام - مراصر - تكتنت - امزيلات - سگياط.

وتسمى تالمست كذلك زاوية سيدي عبد الجليل نسبة إلى دفينها سيدي عبد الجليل بن منصور بن عبد النعيم والد سيدي مگدول دفين الصويرة، وهو أحد العلماء العارفين بالله، تلقى العلم بالأندلس والتحق بمصر حيث درس على الشيخ خليل صاحب المختصر وذلك سنة 774 هـ ثم عاد إلى غرناطة بالأندلس فشاع خبره وذاع صيته حتى وصل إلى ملك مراكش أبي الحسن المريني الذي قابله بالأندلس حين جوازه إليه وأمره بالرحيل إلى بلاد رگراگة ولم تثن المتفرقين منهم في قبائل المغرب بعد أن فروا من بطش ابن خزر المغراوي وتفرقوا في سوس وأغمات وتادالا في بداية العقد الرابع من القرن الخامس الهجري (432/ 1040 م).

ويعود الأصل في تسمية تالمست بهذا الاسم إلى روايات متضاربة لعل أرجحها تلك التي تنسب الاسم إلى الكلمة البربرية "تلمس" التي تعني النبع أو البئر، ذلك أن تالمست - سواء الزاوية أو المركز القروي القريب منها - يرتبط موضعها بواد دائم الجريات يحمل نفس الاسم تغذيه العيون والينابيع الكثيرة الموجودة على طول مجراه، ويرجع أن يكون هذا الاشتقاق صحيحاً نظراً لكون قبيلة رگراگة التي ينتسب إليها سكان تالمست هي قبيلة أمازيغية الأصل.

دراسة ميدانية.

محمد گلاذ

**تالمغت**، تكتب أيضا "تالمغت" و"تالمخت" بالخاء، كما ترد أحيانا معربة هكذا "لمآغة". تطلق تالمغت من جهة على منطقة زراعية غنية تقع الآن بزعر جنوب مدينة الرباط، ومن جهة أخرى على فرقة من قبيلة زعير ما تزال معروفة حتى اليوم. وتجدر الإشارة إلى أن جل المعلومات المتوفرة حول هذا الاسم غالبا ما يقصد بها الموضع وأحيانا الموضع والقبيلة معا.

ارتبط ذكر تالمغت في المصادر المغربية ببعض الأحداث التاريخية التي ترجع إلى فترات مختلفة من تاريخ المغرب.

ولعل أول إشارة وردت في هذا الباب هي التي جاءت عند البيهقي حيث ذكر في معرض حديثه عن فتنة يحيى بن أبي بكر الصحراوي بدكالة، والذي تعاضدت معه قبائلها وكذلك قبائل رگراگة وحاحه ضد الموحدين بعد فتحهم مراكش سنة 541 هـ، أن الخليفة عبد المومن بعث إلى يحيى جيشاً بقيادة يصلان بن المعز لإخماد ثورته والقضاء عليه، بينما أخذ هو طريقا آخر إلى سلا عبر تالمغت لمواجهة بقايا المرابطين هناك (أخبار، 68).

أما الإشارة الثانية فوردت عند ابن الزيات عندما ترجم لأبي محمد عبد الله ابن الخير الزياتي كأحد رجالات التصوف والصلاح الذين ينتمون إلى موضع قريب من تالمغت بتامسنا وعرفوا بكراماتهم واستجابة دعواتهم (التشوف، 296).

وقد كان للسان الدين بن الخطيب أفدنة بمنطقة تالمغت يقوم على حرثها، وهي من إهداء السلطان أبي زيان المريني حسب ما جاء في ظهير له مؤرخ في سنة 763 هـ حيث يصرح أنه أعفى ابن الخطيب من الوظائف وأن "تحرر له الأزواج التي يحرثها بتالمغت من كل وجيبة، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحريم التام" (نفع، 6: 7)، كما منحه امتيازات أخرى كتخصيصه مرتبا شهريا له ولولده يؤخذ من محبي مدينة سلا يقدر بخمسائة دينار من الفضة العشرية، إضافة إلى الإدم والأقوات من حيوان وعنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ولا يطالب في كل هذا بمغرم أو وظيف.

أما في العهدين السعدي والعلوي فتتوفر معلومات أكثر عن تالمغت كموقع استراتيجي تعبره المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش إلى مكناسة وفاس عبر الرباط أو العكس، وذلك إما لتنقل السلطان بين عواصمه بهدف الاستقرار وتغيير مكان الإقامة، أو لإخماد فتن القبائل الثائرة هناك أو لقمع تمرد بعض قبائل زعير نفسها، كما كانت المنطقة مكانا مناسباً لتخميم المحلات السلطانية.

ففيما يتعلق بالقرن العاشر الهجري تذكر بعض المصادر أنه في سنة 989 هـ أقطع السلطان أحمد المنصور الذهبي بلاد تالمغت لفرقة من عرب حوز مراكش هم أولاد مطاع (مناهل، 112). لكن في سنة 997 هـ وقع نزاع بين قبيلتي أولاد حسين وأولاد مطاع حول النفوذ على أرض تالمغت، فكانت الهزيمة على أولاد مطاع. وعندما وصل الخبر إلى أحمد المنصور سرح إليهم جيشاً بقيادة أبي اسحاق إبراهيم بن محمد السفيناني الذي وضع حدا لفتنة أولاد حسين وقرض عليهم مغارم ثقيلة (مناهل، 51).

وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18-19 م) كانت تالمغت مسرحا للعديد من المواجهات إما بين قبائل المنطقة أو بينها وبين السلطة المركزية نجمها فيما يلي :

- في سنة 1157 هـ وقعت مواجهة بين السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل وأخيه مولاي المستضيء الذي ثار

**تالنفوت** أو تانلوفت، مادة مستعملة في البناء، هي عبارة عن نوع من التراب أبيض اللون. يوجد ببعض الأماكن في السفح الشمالي والسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط (منطقة دادس على الخصوص). ويستعمله السكان لطلاء جدران منازلهم. ويضيفون إليه التبن ليكتسب القوة والمناعة التي تجعله صقلا ومقاوما للأمطار. ويعد مزجه بواسطة الماء يترك المزيج ليختمر مدة قصيرة ويعدّه يصبح جاهزاً للاستعمال. ومن مزايا هذا التراب أنه إلى جانب مقاومته للأمطار والرياح والشمس (مختلف عوامل التعرية) يعطي المنازل رونقا يزيد جمالاً وبهاء.

تجربات ميدانية.

محمد حمام

**تالريات** (Talubath)، عدها بينيني (Besnier) من المدن التي ورد اسمها عند الجغرافي بطليموس (Ptolémée) (القرن 9 م)، وقد وطنها عند منابع نهر سبور (Subur) الذي يوافق حسب معظم الدارسين واد سبو الحالي. النهر الرائع والصالح للملاحة على حد قول عالم الطبيعة اللاتيني بلين القديم (Pline L'ancien) (القرن 1 م). وتطابق تالريات عند الباحث بينيني مدينة تانيت (Tanebet) المذكورة حسب نفس المؤلف بمصادر الجغرافيين العرب.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane*, A.M. I. 1904, pp. 301 - 365.  
البضاوية بلكامل

## تاليت، كاهنة ← حاميم

**تاليليت**، مركز جهادي في حرب الريف يقع بقبيلة تمسمان بإقليم الناظور على بعد حوالي تسعين كيلومتراً من هذه المدينة.

استطاع الجيش الإسباني احتلاله يوم 3 / 6 / 1921 وأقام فيه معسكراً من بين تلك المعسكرات الأمامية المحيطة بالمركز الرئيسي الذي كان موجوداً "بأنوال" قبل احتلاله من قبل المجاهدين في الحرب الريفية الثالثة، أيام عبد الكريم الخطابي. وكان السبب في إحداث هذا المركز مثل غيره من المراكز القريبة، أنه عندما وجدت قوافل التموين الإسبانية صعوبة كبيرة في تنقلاتها من مركز إلى آخر، أمرت الحكومة الإسبانية الجنرال سيلفبستري قائد القوات الإسلامية بالإقليم "أن يقوم باحتلال أكبر عدد ممكن من المراكز الثانوية حتى يتمكن من التغلب على المشاكل، ويؤدب الشوار بما يستحقونه من تأديب" (م. بن عزوز حكيم، معركة أنوال، ص. 59).

وتنفيذاً لهذا الأمر قام باحتلال عدة مراكز في بني أوليشك وتمسمان من بينها "تاليليت" فيما بين ثالث ورابع يونيو 1921.

في هذا الموقع، جرت "معركة تاليليت" الأولى، عندما قام المجاهدون يوم 16 يونيو 1921 على الساعة السادسة صباحاً بمحاولة اقتحام هذا المركز، في نفس اليوم الذي

عليه بسلا حيث بايعه أهلها وساندته قبائل بني حسن وفرقة من عبيد دكالة في حصار مدينة الرباط مدة أربعة عشر شهراً. وكانت من نتائج هذه الواقعة التي تعرف بأزبيدة انهزام الأمير الثائر وفراره إلى ناحية مسفيوة (الضعيف، 1 : 263).

- في سنة 1193 هـ نشبت حرب ضروس بين عرب الصباح وزعير بتالماغت على رأس مرسى أكدور (الضعيف، 1 : 338).

- وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله مجموعة من الحملات العسكرية إلى تالماغت لردع بعض قبائل زعير المتمردة على المخزن وتأديبها، وكانت أهم تلك الحملات وقعة سنة 1201 هـ و1203 هـ (الضعيف، 1 : 352، 360، 372).

- حملات السلطان مولاي سليمان لإخماد فتن قبائل زعير بتالماغت خاصة سنة 1209 هـ (الضعيف، 2 : 457، 460).

- في سنة 1225 هـ أمر الباشا الغازي الشاوي قبائل زعير ببناء قصبه في مشرع المسناوي بتالماغت وأن يقيموا فيها سوق الأحد (الضعيف، 2 : 649).

من جهة أخرى شكلت تالماغت إحدى المحطات الأساسية التي تعبرها المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش وفاس واليهما، كما تتخذها أحياناً للراحة والاستجمام. في هذا الإطار نشير إلى :

- الطريق الذي سلكه سيدي محمد بن عبد الله انطلاقاً من مراكش لردع قبائل شراكة شمال فاس سنة 1202 : مراكش - قنطرة تانسيفت - وادي أم الربيع (أحمري) - أزبيدة بتالماغت - تنويرت ببلاد السهول - المبيت بقصبه الجياد - المبيت بزهرهون - مكناسة (الضعيف، 1 : 359).

- رحلة السلطان مولاي سليمان من مكناسة إلى مراكش سنة 1217 هـ : مكناس - المبيت بعين العرمة - بهت - ضاية رومي - المبيت بگلنتة الفيلا - أزبيدة بتالماغت - مراكش (الضعيف، 2 : 605).

- رحلة مولاي سليمان من مراكش إلى مكناسة سنة 1228 هـ : مراكش - قصبه تادلا - عين الليل - تالماغت - مكناسة الزيتون (الضعيف، 2 : 698).

- رحلة من فاس إلى مراكش سنة 1229 : فاس - مكناسة الزيتون - المبيت بالخميسات - أزبيدة بتالماغت - وادي أم الربيع - مراكش (الضعيف، 2 : 717).

أ. البيذق، أخبار المهدي، الرباط، 1971 ؛ ي. ابن الزيات، التشوف، تج. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ أ. المقرري، نفع الطبيب، ج 6، تج. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ ع. الفشتالي، مناهل الصفا، تج. عبد الله گنون، الرباط - تطوان، 1964 ؛ الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ج 2، تج. محمد البوزيدي الشخي، الدار البيضاء، 1988.

رشيد السلامي

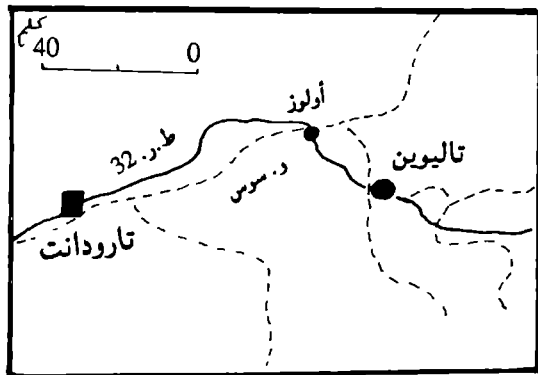
والمكان في الوقت الراهن محطة تشرف عليها شركة ماروست (Marost) القائمة بتربية الأسماك النادرة، وتوليد الطحالب بالبحر الصغير.

ح. الفكيكي، قلعية ومشكل الوجود الاسباني بليلة، 1 : 118. 125. 152. 189. 2 : 302 : خريطة طبوغرافية 1935 : زيارة ميدانية.

حسن الفكيكي

**تاليوين**، (بالجنوب) مركز استراتيجي وإداري قديم يقع بهضاب وجبال شمال الأطلس الصغير، ولهذا يتلقى أمطاراً لأبأس بها في هذا الوسط القاحل : 205 ملم / سنة. وتقطنه اليوم جماعة قروية زاد عدد سكانها سنة 1982 على عشرين ألف نسمة.

تنتشر أراضي تاليوين على طول واد إزغموزن والجبال المحيطة به وهي جبال ترجع صخورها إلى ما قبل الكامبري، كلس وحت ورصيص، وهي صخور جرداء نادرة التربة. ويتميز وادي إزغموزن هنا باتساعه وظهور مياه سطحية بمجره وظهور بعض العيون بهوامش سريره مما وفر مجالا ضيقا لزراعة مسقية بساتينية لأشجار الزيتون واللوز والنخيل والتين والحبوب والعلف وبعض الخضز للاستهلاك الذاتي. لكن الملكية صغيرة جداً ومفتتة، وبدأ يشاع استعمال الضخ الميكانيكي في إطار تجديد الأساليب الفلاحية والتوسع في زراعة الخضز والعلف لتغذية الأبقار. وأما الزراعة البورية للشعير فإنها نادرة لقحولة الأراضي خارج الوادي، وتشتهر بعض الأودية العالية بسكتانة وأسكاون بإنتاج الزعفران الذي يعتبر أهم ثروة زراعية بالمنطقة. وتوفر البراري الواسعة مرعى فقيراً للمواشي الصغيرة تحقق مداخيل مهمة في بعض السنوات الوفيرة المطر. وينتمي سكان الجماعة إلى قبيلة سكتانة. ويفسر البعض اسم تاليوين بكونه جمعاً لتلات أي الشعبة بلهجة سوسية جنوبية.



موقع تاليوين

كان بمركز تاليوين قبل الاستعمار قيادة سكتانة وحصن يشرف على الطريق الصحراوي الواصل بين سوس ووادي درعة والقبلة أي الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير المشرفة على الصحراء، به بقايا أبراج المراقبة ومخازن جماعية التي يدعى الواحد منها أكادير.

هاجموا فيه مركز "بومجان" وذلك عندما أرادت حامية المركز الأخير سقي الماء من وادي أنوال. فقوبلت بوابل من الرصاص الذي أحدث الرعب في صفوفنا بسبب العدد الهائل من الجنود الذين ذهبوا ضحية سقي قطرة من الماء لأنه لم تمر إلا دقائق حتى تحول الاشتباك إلى معركة عنيفة" (الملازم كسادو الذي كان شاهد عيان، في كتابه (غربياً)).

وورد في سجل العمليات الحربية اليومية للإقامة الاسبانية العامة بتطاون أن المجاهدين أغاروا على مركز "تاليليت" يوم 16 يونيو 1921 ومركز بومجان القريب منه وأن المعركة استغرقت النهار كله، نجم عنها ستة عشر من القتلى في صفوف الجيش الإسباني وخمسة وأربعون من الجرحى".

وفي يوم 21 يوليوز 1921، وقعت "معركة تاليليت" الثانية وذلك عندما قامت القوات الريفية بمحاصرة هذا المركز في نفس اليوم الذي سقط فيه مركز إغريباً وشُرع في محاصرة "أنوال". وفي اليوم التالي 22 يوليوز تم طرد حامية "تاليليت" بعد مصرع أربعة وثلاثين جندياً من أفرادها، فالتجأت إلى مركز "سيدي ادريس" على شاطئ البحر، إلى أن حان دور هذا المركز الأخير يوم 25 من نفس الشهر، فاقتحمه المجاهدون وقتلوا خمسمائة وثمانية وعشرين جندياً من حاميته.

م. ابن عزوز حكيم، أنوال، 21 يوليوز 1921 : معارك الثورة الريفية ومضات مضيئة عن الحرب الريفية.

عبد الله عاصم

**تاليوين**، (بالشمال) تل مرتفع (87 م) متقدم في مياه البحر الصغير (سبخة بوغرگ) على شكل شبه جزيرة صغيرة، بارزة في شمال البحر على ساحله الغربي. توجد به في الوقت الحاضر قبة ضريح سيدي علي تيمكارت (تامكارت أيضا) ولذلك يُعرف تل تاليوين في الوقت الراهن باسم صاحب الضريح.

وتاليوين جمع تالا أو تلا، بمعنى عين الماء في اللهجة الأمازيغية. وينطبق الاسم على المكان نظراً لوجود سابق لعدة عيون لا وجود لها في الوقت الراهن. قيل إنها كانت موجودة، وعددها ثلاثة، على السفح الغربي من البرزخ الصغير الرابط بين التل وكتلة جبل قلعية.

عرفتنا الوثائق الإسبانية خلال القرن السادس عشر بتاليوين باسم Talayon، وكان التل آنذاك نقطة مراقبة (أي الناظور) من طرف القلعين للسفن الإسبانية الآتية إلى مليلة المحتلة، لسفن الإيالة الجزائرية الداخلة إلى البحر الصغير. وكان لتل تاليوين أثناء حصار سيدي محمد بن عبدالله للمليلة دوره الاستراتيجي.

وقد اتخذت السلطات الإسبانية، أثناء فترة الحماية، تاليوين مركزاً لتطهير معدن حديد جبل وگسان، قبل أن يتم نقله إلى مرسى مليلة للتصدير، وماتزال آثار التطهير في حقل اصطناعي واقع بجانب التل.

يقع المركز الحديث لتاليوين عند معبر لواد إزگموزن أحد الروافد العليا لواد سوس على الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين تارودانت وورزازات على علو 1020م. ويتكون من مركز إداري وتجاري حديث مفتوح على الطريق الرئيسي وعدد من الدواوير تمتد على مقطع من الوادي بالضفة اليمنى والطريق الرئيسي الموازي له على طول ستة كيلومترات. وأهم التجمعات هي زاوية تاكركوست حيث يسكن الموظفون وتوجد معظم المصالح الإدارية وتامليلت ويولگا وإدودو وأوزرو. ذات بناء تقليدي يتخللها سكن متشتت حديث معظمه للمهاجرين والموظفين والتجار. لم تظهر المنشآت الاستعمارية هنا إلا بعد سنة 1929 حيث أنشئت ثكنة للمخازنية ومركز نائب المراقب المدني إلى جانب قايد سگتانة وتحول إلى مركز دائرة حظي بمنشآت عمومية كثيرة : قيادة مركز درك ومحكمة ابتدائية ومستشفى وإعدادية، الخ. وينعقد به سوق أسبوعي على طريق قديم بالضفة اليسرى يومي الأحد للمواشي والاثنين للتبضع، وهو سوق قديم ينعقد بمكان ضيق يتوفر على تجهيزات مهمة تصل إليه البضائع والخضر من تارودانت وأگادير ويزود السكان بالحاجيات الأساسية، وتعرض به منتجات محلية قليلة، أهمها المواشي والجلود والزعفران والزرايبي التي تشتهر بها تاليوين، ويتوفر المركز على سويقة دائمة بها متاجر كبيرة حديثة إلى جانب دكاكين بقالة بمختلف الدواوير وتجهيزات أساسية ومولد كهربائي محلي يزود المنازل والأرقة بالإنارة. وتقرر ربط المركز بالشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1991. كما يتوفر على برج مياه يزود الإدارات وسكن الموظفين. ولوقوع تاليوين على طريق سياحي مهم لجولات الجنوب الصحراوي فقد أنشئ به فندق سياحي كبير مصنف في أربعة نجوم طاقته ستون غرفة إلى جانب فندق آخر صغير.

بحث ميداني في خريف 1990 : خرائط طبوغرافية وجيولوجية تقفي المنطقة.

أحمد هوزالي

**تامازيرت**، وتجمع على "تيميزار" كلمة أمازيغية تعني بهذه الصيغة الأرض والحقول والمخيم والمقام والموطن والوطن. هذه المعاني تردُ كلا أو بعضها عند ذكر الكلمة حسب المناطق وحسب السياق.

غير أن المعنى الغالب اليوم في القسم الجنوبي من المجال الأمازيغي المغربي هو معنى الوطن بالمعنى المحدود أو الوطن بالمعنى الواسع. والذي تقابله في مناطق أمازيغية أخرى كلمة "تامورْت".

وإذا استعملت الكلمة بصيغة المذكر : "أمأزير" فإنها تعني السماد الحيواني أي ما يسمى في كلامنا الدارج "لغيار" وهو الدّمَال.

وهكذا نلاحظ أن الكلمة شديدة الارتباط بالأرض والحيوان وترجم العلاقة بينهما وتجسم أهمية هذه العلاقة بالنسبة إلى الإنسان المزارع.

وقد استعملت الكلمة بصيغة المفرد أو الجمع أسماء أعلام جغرافية في الأطلس الكبير الغربي بصفة خاصة. وفي هذه الحالة غالبا ما تعني الحقول أو المزارع.

م. شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، الجزء الأول، الرباط، 1990، ص. 174. 179.

Ch. de Foucauld, Dictionnaire.... t. II, p. 638 ; E. Laoust, Contribution.... p. 68 ; Id., Mots et choses.... p. 2, n. 2 ; E. Destaing, Vocabulaire.... p. 215, 137 ; J. Berque, Structures.... p. 356, n 1.

علي صدقي أزيابكو

## تاماست ← ماسة

**تاماسينت**، قرية تقع بفرقة المرابطين من قبيلة بني ورياغل (إقليم الحسيمة) ؛ وإلى هذه القرية نفي بطل المقاومة المسلحة المغربية بناحية جباله والهبط وغمارة الشريف مولاي أحمد الرسوني عندما ألقى الأمير الخطابي القبض عليه بتازروت، وقد توفي الرسوني بالقرية المذكورة يوم 9 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925.

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20 ماي 1926.

Nomenclator cabilas, 1953 ; Martinez Campos, España belica.

محمد ابن عزوز حكيم

## تامامآيت ← الطرفة

**تاماوُست** أو تاماوُشت، كلمة أمازيغية جمعها تيماوُسين. هذا في الأطلسين الكبير والصغير، ويسمى نوع منها في الأطلس المتوسط "تاماوْت". تطلق على لون من ألوان المحاورات الشعرية وتكون مرتجلة وذات مستوى رفيع، سواء من حيث الشكل والإيقاع الصوتي المميز أو من حيث المضمون الذي كثيراً ما يتستر وراء الرمزية والإلغاز.

- يتحاور فتيان قرية ما وفتياتها أو فتيان قبيلة وفتياتها في موسم أو في عرس أو عند زيارة رجالات قبيلة لجارتها، ويتناولون الحب العذري والحياة الزوجية كما يرونها، إضافة إلى تأملات في الطبيعة وفي البيئة الاجتماعية بإيجابياتها وسلبياتها...

كانت تمارس هذه المباراة الشعرية بكثرة في القديم خلال فصل الشتاء في ساحات خاصة بكل قرية تسمى "أسوك" وهو عبارة عن عمر بين الدور قد يكون مغطى يصنع به موقد طبيعي بجانبه أحجار منحوتة "تيسوراگ".

- تأتي الفتيات بالأخشاب بالتناوب كل ليلة للإنارة وللتدفئة من قساوة البرد، يجلس الفريقان متكئين على الجدارين المتقابلين وبينهما الموقد وألسنة النار تتراقص... يجلس على بعد أمتار قليلة جمهرة من العزاب المؤيدين والمؤيدات قد تشاركهم قلة من الرجال والنسوة ممن اشتاقوا لذكريات عزوبتهم ومحاوراتهم الإبداعية.

بعد الجلوس الذي حاولت التعريف به زمنياً ومكاناً، ينتدب الفتيان أذكاهم وأقواهم ملكة شعرية ليحاور المنتدبة من طرف الفتيات ويصوت جد عال يسمع خارج القرية. حيث المفروض أن يكون الجواب مقنعاً وبأقصى سرعة بعد

أن يطلق العنان لحنجرته وينفس الإيقاع الصوتي والعروض للطرف الآخر فور سماعه (رَأْرُ إِمَائِكَ تُنْبِغُ) (أجب عما قلته لك) متبوعاً بقول الجماعة وبصوت واحد (هَيْي) وكلمة (هَيْي) عبارة عن إيقاع صوتي تميزه نغمة خاصة وهي تَأْمَاوُوشْت. وتردد الكلمة كلالاة على استحسانهم للتدخل وتشجيعهم للمنتدب المتدخل، وفي نفس الوقت تعني نهاية التدخل مطالبة الطرف الآخر بالإجابة الفورية.

تتناول المحاوره غالباً الحب العذري الصادق صدق الطبيعة وسكانها كما تتناول نظرتهم للحياة الزوجية كعالم يسعون لولوجه بمجرد أن يجد كل واحد من تراتح إليه نفسه، وما أكثر النماذج التي يرددها الرواة وهي تتغنى بالطبيعة وبافتخار كل جانب بما يميزه عن الآخر، مما يؤدي إلى هجاء هذا الطرف كذلك، لكن ليعودوا في النهاية إلى المصالحة وإلى ملء كؤوس الصفاء والثناء ليرشف هذا الجانب وذلك قبل أن يتفرقوا ليذهب كل إلى بيته بعد أن يضربوا موعداً لمسامرة مماثلة.

ولهذا النوع من اللقاءات عدة مزايا منها التعارف قبل الخطبة والمساهمة في إغناء الرصيد الشعري بهذا اللون الرفيع من الأدب الشعبي. وما زالت قبائل إغرم بدائرة تارودانت وغيرها من قبائل الأطلسين الصغير والكبير تردد روايات (تاماووست) المأخوذة من أفواه الرواة المسنين والمسنات.

ولكي يتلمس القارئ نوعية الشكل والمضمون أضع أمامه نماذج معربة :

الجماعة :

هي :

يَبُويدُ إِبْرُكُ تَبْسُكْرِينِ يَاوِيدُ أُمَالُوا لَابَوَازِ. ءَارِي سُولُوگَارِ.  
رَأْرُ إِمَائِكَ تُنْبِغُ  
جَادُ الْحَقْلُ بِالْقَطَا وَجَادُ الظِّلُ بِالْبَزَاةِ جَادُ اللّهِ بِاللِقَا !  
أَجِبْنِ مَقَالَتِي !

هو :

يَانِ إِبْرِكَانَ وَيَسُوْجِيْغِ وَيَنْسُ مَقَارِدَ إِيْرَدُوْ فُوْسُ أَفَاسِي نَرْيَضْرَ مَارْدَ إِيْبِي  
رَأْرُ إِمَائِكَ تُنْبِغُ  
مِنْ هَوَانِي هَوِيْتَهُ إِنْ فِي مَيْتَايَ رِضَاهُ تَصَبْرْتُ أَنْ تُبْتِرَا  
أَجِبْنِي عَنْ مَقَالَتِي

هي :

يَانِ إِبْرِكَانَ وَيَسُوْجِيْغِ وَيَنْسُ مَقَارِدَ ءَابْرَادَ وَأَمَانَ نِ وَالنَّ إِيْتَرُ نَرْيَضْرَ مَارْدَ أَكْمَنْ.  
رَأْرُ إِمَائِكَ تُنْبِغُ  
مِنْ هَوَانِي هَوِيْتَهُ إِنْ فِي مَقْلَتِي رِضَاهُ تَصَبْرْتُ أَنْ تُوْخِذَا  
أَجِبْ عَنْ مَقَالَتِي

هو :

بُوغْلُوْ بُوغْلُوْ أَرْمَانَ نِ. لِحُوْبُوْسِ مَانْرِيْتِ تَارُوْا مَارْسُوْمُوْ مِنْ أَدِيْفِ  
رَأْرُ إِمَائِكَ تُنْبِغُ  
أَلَا مَا زَلْتُ يَا نَعَا أَيُّهَا الرَّمَانَ الْمَوْقُوفِ دَعْ عِنْدَكَ ذَا الْإِيْتِمَارِ  
أَجِبْنِي عَنْ مَقَالَتِي

هي :

لَهُمْ أَلْهَمُ الْهَمُومُ ءَبِسْمَدُونُ إِمَا تَارُوا لَانْتَن تودادين  
رَأْرُ إِمَائِكَ تُنْبِغُ

إنما تنحل الهموم إنفا تنحل الهموم

أجب عن مقالتي

محمد مستاوي

ابن **تَامْتِيْتِ**، **أحمد** بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. ولد عام 548 هـ بفاس حيث نشأ وتعلم، وتنقل في كثير من بلاد الإسلام كإشبيلية وإفريقية ومصر ثم المشرق حيث بلغت شهرته أوجها كفقهاء عالم ذي باع طويل في رواية الحديث وحفظه وفي مسائل التصوف.

شكلت هذه الرحلة فرصة سمحت لابن تامتيت بأن يلتقي مع كثير من علماء عصره ويتلمذ على بعضهم، نذكر من بينهم أبا الحسين يحيى بن محمد ابن الصانغ (نيل، 63) وأبا الوقت الذي أخذ عنه بالإجازة العامة، ومحمد بن رشيد الشافعي الملقب بشرف الدين. روى الحديث عن ابن تامتيت ثلثة من علماء المشرق والمغرب كالحافظ أبي بكر بن سيد الناس اليعمري الذي روى عنه كتاب *الشفاء للقاضي عياض* (أزهار، 4 : 340)، وإبراهيم ابن الكماد المرادي الفاسي الذي كان يعتبر من أحفظ أهل زمانه للحديث النبوي (جدوة، 85)، وعلم الدين الدواداري وغيرهم.

توفي بالقاهرة يوم الرابع من شهر محرم عام 657 / فاتح يناير 1259 بعد أن عمّر طويلاً إذ تجاوز المائة سنة تاركاً مجموعة من التصانيف جلها في علم الحديث.

أ. ابن القاضي، جدوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 116. 117 :  
ابن الأبار، التكملة، مصر، 1955، ص. 129 : أ. المقرري، أزهار الرياض، الرباط، 1978، ج 4 : الحنبلي، شذرات الذهب، د. ت، 5 : 288. 289 : أ. باب، نيل الابتهاج، بيروت، د. ت : العبدري، الرحلة، تح. م. الفاسي، الرباط، 1968، ص. 246 : ع. ابن منصور، أعلام المغرب العربي، الرباط، 1986، 4 : 145.

ابن **تَامْتِيْتِ**، أبو الحسين يحيى بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. لا نعرف إلا القليل من أخباره عكس والده أحمد الآنف الذكر. وإذا كانت جل كتب التراجم قد أغفلت الحديث عنه، فإن الإشارة الواردة عند ابن غازي في فهرسته تفيد أنه كان من بين المغاربة الذين اهتموا بعلوم الحديث بمصر ويرعوا في حفظه وروايته وتدرسه، فقد تتلمذ عليه كثير من علماء مصر وغيرهم، كما قرأ عليه ابن غازي بالرواية كتاب *الشفاء للقاضي عياض*. لم نقف على تاريخ وفاته.

ابن غازي، التعليل برسوم الاسناد، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 46، 153.

رشيد السلامي

**تَامَجَاتِ**، موضع يقع في الطريق بين مدينة درعة

"تيومتين" ومدينة "سجلماسة" وهو على بعد مرحلة من المدينة الأولى، سمي المكان بالاسم الأمازيغي لنوع من الأشجار كان موجوداً فيه بكثرة وقامت على أساسه صناعة نشيطة لنحت الأواني الخشبية التي كانت تصدر إلى كافة أنحاء المغرب وخارجه خلال العصر الوسيط الأعلى، إذ يعد الوصف الذي قدمه لنا البكري في كتابه المغرب (ص. 156) لم يرد ذكر للمكان ولا للأشجار في المصادر اللاحقة.

لم يعط البكري على غير عاداته تفسيراً ولا مقابلة لكلمة تامجانت مما يناسبها باللغة العربية، بل قال إن الموضوع ينبت فيه شجر يسمونه تامجانت مما يقوي الاعتقاد أنه اسم محلي أطلق على ذلك النوع من الأشجار لخاصية تتميز بها عن غيرها. أما لماذا سميت تلك الشجرة هكذا، فلأنها نوع من العرعار القديم المتخلف عن الزمن الجيولوجي الرابع تكيف مع التغيرات المناخية فأصبحت الشجرة ذات تكوين خاص "جذع ضخم عليه أغصان قليلة قصيرة، رقيقة ومتفرقة مكللة بقليل من الأوراق التي تشبه أوراق الطرفاء وترسل مثلها عند فترة الإزهار ذرات من الغبار الأبيض فتبدو للرائي آنذاك شعشاء قرعاء" (تشبيهه بأمجوض).

لم يعد لهذا النوع من الأشجار وجود في المنطقة التي ذكرها البكري بل قريب منها وعلى السفوح الشرقية لجبل درن يمكن مشاهدة المنظر المثير لبقايا هذا النوع من الأشجار وخاصة في مجال قبيلة مگونه، ويمكن للزائر أن يشاهدها في محطات التزحلق على الجليد في مركز أوكيمدن وامتداده في مجالي قبيلتي أوربكة وغيغاية.

قرأ البارون دو سلان (De Slane) - مترجم كتاب البكري - الفقرة المتعلقة بهذه الشجرة قراءة خاطئة عندما قال : "Tameddjathet localité qui produit une espèce d'arbre ainsi nommée dont les feuilles sont larges et persistantes comme celle du tamarisc. (Description..., p. 295 - 296)" والحقيقة أن جذع الشجر الذي يعظم وليس أوراقه لأنها من النوع المعروف عند الجغرافيين وعلماء النبات بالأوراق الإبرية، فكيف تعظم ؟ وهذه هي القراءة الصحيحة للفقرة :

"... وهو موضع ينبت شجراً يسمونه تامجانت وهو شجر يعظم، ورقه هذب كورق الطرفاء..." (المغرب، 156).

ينطبق موضع تامجانت في تقديرنا على موضع أگندز الحالية الواقعة ما بين مدينة زاگورة ومدينة ورزازات، ولم يحتفظ موقع أگندز بما يذكر بالفقرة التي تحدث عنها البكري، ولعل ذلك راجع لتسارع وتيرة التغيرات المناخية وأساساً لكثافة استغلال تلك الأشجار، فالبكري نفسه ذكر " ... ومنه لا أي الشجر - آنية سجلماسة ودرعة وما والاهما... " ؛ أما صناعة الأواني الخشبية خاصة الصحاف (القصاع) فلا تزال نشيطة بالمناطق المجاورة (الأطلس الكبير) وتعتمد على تلك الأشجار وعلى شجرة الجوز.

تعتبر شجرة تامجانت من أنواع الأشجار القليلة في المغرب التي وصلتنا من الزمن الرابع مثل البطم وأركان وغيرها وتتمتع بحماية مصالح المياه والغابات.

أ. البكري، المغرب، باريس 1965 ؛ خريطة المغرب الطبيعية (بالفرنسية)، مقياس 1/2.500.000 ؛ تحريات ميدانية.

A. El Bakri, Description de l'Afrique septentrionale. Trad. Mac Guckin De Slane, Paris, 1965.

محمد حجاج الطويل

**تامجُتْ**، زاوية تقع بقرية تحمل نفس الاسم شمال شرقي مدينة بني ملال، وينطقها أهل المنطقة حسب ثلاثة أشكال : تَمَجُتْ، وتامجوط، وتامُدجُوتْ. وهي أمازيغية، تدل على المكان الأجرد أو الأقرع الخالي مما تنبت الأرض من كلاء. ومن ثم يتكرر ذكر تامجُتْ في جهات أخرى. نجد مثلاً في الأطلس الكبير كعلم لموقع : تيزي - ن - تَمَجُتْ، وهو أحد الممرات الموازية لتيزي - ن - تاست. (Reconnaissance, 99). ونجده كذلك كعلم لإحدى قرى سوس، الواقعة في أراضي قبيلة أيت تاملدو، على السفح الجنوبي للأطلس الكبير. (Reconnaissance, 323 - 338) ولعلها هي المقصودة في رحلة الوافد (91، هامش 460).

تامجُتْ المقصودة بهذا التعريف مكان أجرد بالرغم من وقوعه في منطقة كثيرة النبات، وهذا مما يلفت الانتباه. تبعد عن مدينة بني ملال بحوالي ثلاثين كلم، عند قدم جبل باب - ن - گُتُوزْ، في أراضي فخذة أيت بوبكر من قبيلة أيت محند، المنضوية تحت لواء اتحادية أيت سري الصنهاجة. (De La Chapelle, Le Sultan My Ismail..., 31 - 32 note 3; J. Drague, Esquisse..., 169) وقد اشتهرت بعدما حل بها الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي (الدراري)، المتوفى عام 1091 / 1680. ( الدرر المرصعة، 300 ؛ نشر الثاني، 2 : 290-292). وهو متصوف تتلمذ على أيدي شيوخ مشهورين كعبدالله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، كما لازم الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي، طوال سنين إلى أن توفي، فورث عنه السر، ثم انتقل إلى تامجُتْ حيث أسس زاوية هناك، وتصدر للمشيخة الصوفية (دوحة البستان، 30؛ الإعلام، 9 : 209).

اشتهرت زاوية تامجُتْ منذئذ، فقصدها الناس من أجل الانخراط في سلك طريقة شيخها، وأصبحت مركزاً لطريقة صوفية جزولية - زروقية، يُلقن شيخها وردا معلوماً؛ يفصله صاحب الإعلام كما يلي : "ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأبرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين.... ووظيفة الصبح حزب الفلاح أيضاً، ثم المسبغات العشر، ثم الحزب الكبير..." (الإعلام، 9 : 211).

وشهدت هذه الزاوية توسعاً، فتكونت طائفة تابعة لها في بعض المدن كمراكش والرباط ومكناس وتطوان (الإعلام، 9 : 210). أما بفاس فكانت الطائفة المنتسبة إلى تامجُتْ تجتمع بالزاوية المنسوبة لسيد رضا، بعدوة



القرويين (النشر، 2 : 292).

وما تزال تامُجَّتْ تستهوي أفئدة الزوار إلى اليوم،  
وينعقد بها موسع سنوي في فصل الصيف، تقصده بعض  
فرق قبيلة أيت سري، وغيرها من القبائل المجاورة.

أ. الولايلي، مباحث الانوار...، تج. بوعصاب، 1987 : م.  
الافرائي، صفوة، ط. حجرية : التاسفتي، رحلة الوافد، تج. علي  
صدقي، 1992 : م. المكّي الناصري، الدرر المرصعة، تج. محمد  
الحبيب نوحى، 1988 : الزياي، دوحة البستان... مخطوط خ. ع.  
390 د : القادري، نشر، 1982 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام... المطبعة  
الملكية، 1980 : م. حجي، الزاوية الدلائية، 1964 : التحري  
الميداني.

De La Chapelle, *Le Sultan My Ismail...*, A.M., 1927 : G.  
Drague, *Esquisse...*, Paris, 1951 : M. Morsy, *Les Ahansal...*, La  
Haye 1972.

أحمد عمالك

### تامدة ← الجديدة (إقليم).

**تامدة**، مكان ونهر ومدينة مندثرة. فالمكان يقع بين  
وادي المخازن ووادي وأرور بقبيلة الخلط الهبطية (إقليم  
العرائش)، وبه جرت المعركة التي كانت تعرف عند  
معاصريها باسم معركة تامدة، حسب ما جاء في بعض  
الوثائق القديمة. ويؤكد الحسن ابن ريسون في كتاب فتح  
التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد في كناشته التي لم  
تنشر بعد، كما يؤكد المؤرخ الإسباني خوان دي سيلفا  
(Juan de Silva) الذي شارك في المعركة في كتابه عنها  
حيث قال إن اسم المكان الذي جرت به هو "تاميدا"  
(Tamida). وكلمة تامدة معناها في اللهجة الأمازيغية  
المستنقع.

وأما نهر تامدة فيوجد منبعه بجبل توسيفت بقبيلة بني  
يظفت (إقليم الحسيمة) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قبالة  
جزيرة بادس، ولذلك يعرف أيضاً باسم وادي بادس.  
وتامدة أيضاً هو الاسم الذي كان يعرف به وادي مرتين  
في القديم عند سكان الناحية، كما يشهد بذلك الجغرافيون  
اللاتينيون القدماء حيث سموه بوادي Tamuada و Tamuda  
وThamouda وهو نفس الاسم الذي أطلقه الرومان على  
المدينة التي أسسوها على ضفة النهر المذكور وتوجد  
أنقاضها حالياً بالمكان المعروف بالصويار.

الحسن ابن ريسون، فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد،  
تطوان (د. ت) ص. 98 : كناشة، مخطوط : م. ابن عزوز حكيم.  
مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، الرباط، 1989.

Plinio el Viejo, *Naturae historiarum*, Leipzig, 1906, V, 18  
: Pomponius Mela, *De Situs orbis*, Leipzig 1880, I, 20 - 24 :  
Ptolomeo, *Geographike Uphegenesis*, Paris, 1901, V, 1.

محمد ابن عزوز حكيم

### التامدري، الحسن بن مبارك ← الواسلامي

**تامدغارت**، مركز استراتيجي شهير في حرب الريف،  
يقع في بني توزين على بعد كيلومترات يسيرة من ميضار  
وحوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. دارت فيه معركة  
حامية بين قوات عبد الكريم الخطابي وجيش الاحتلال

وهكذا شدد الرجال إلى زاوية تامُجَّتْ، من الحواضر  
والبوادي بسبب ما عرف عنها، وخاصة في ميدان إتمام  
الطعام للوارد والصادر كما يتضح من هذه الفقرة : "وربما  
أطعم في الليلة الواحدة سبعة عشر ألفاً" (الإعلام، 9 :  
210). بل إن الشيخ علي بن عبد الرحمن كان قد خص  
اليتامى والأرامل بنزل خاص بهم، وأجرى النفقات على  
الطلبة المنقطعين بزوايته (إلتقاط الدرر، 219). وهذا يدل  
على تعدد مريديها وأتباعها، كما يشير إلى ذلك صاحب  
الإعلام. فقد ذكر أن عدد تلاميذها قد نيف عن ثمانين ألفاً  
(الإعلام، 9 : 215). فصارت تامُجَّتْ قبلة يؤمها عامة  
الناس من أجل التلمذة والتلقين، ويقصدها المتصوفة  
للاستزادة من المدد الصوفي. تشير بعض المصادر إلى أن  
كثيراً من أعلام التصوف قد زاروا تامُجَّتْ، من بينهم  
الحسن اليوسي، وعلي المراكشي، وأخذ عن شيخها آخرون،  
أمثال محمد بن محمد العكاري، وأخوه الحسن، وأحمد بن  
يعقوب الولايلي، وسعيد الخصالي (الإعلام، 9 : 213 ;  
Reconnaissance, 62). ومن المدفونين بها محمد بن أحمد  
المغزالي، ويعقوب التواتي وعلي الملقب بالجلب، لعل هؤلاء  
كانوا من بين المنقطعين بتلك الزاوية (الإعلام، 9 : 214).

وبالرغم من أننا لا نعرف شيئاً عن مواردها، فإنه من  
خلال تعدد الوافدين إليها، وعدد تلاميذها (ثمانون ألفاً)  
يمكن القول بأن زاوية تامُجَّتْ قد عرفت بسطة في الرزق  
نتيجة "الفتوحات" والهبات والهدايا التي كانت تحمل إليها  
من قبل أتباعها ؛ وإلا كيف يتأتى لها أن تنفق على  
اليتامى والأرامل، وتطعم الأعداد الهائلة من الزوار  
والمنقطعين ؟ (الإعلام، 9 : 210-215).

لذلك كله طارت شهرة تامُجَّتْ، فمدحها الشعراء  
وتغنوا بها، وقد ذكر صاحب الإعلام بعضهم كمحمد  
العكاري ومحمد بن عبد الله الدادسي وأحمد الحلبي. وما  
أنشد فيها قصيدة مطلعها :

عَرَجَ بِتَادِلَةِ الْهَيْضَابِ الْوَرْدِ وَأَنْحَ مَطَايَا الْعَزَمِ عِنْدَ الْفَدَقِدِ  
(الإعلام، 9 : 215)

إلا أن هذه الشهرة سرعان ما أثارت شكوك المخزن فقام  
المولى الرشيد بإخلائها، وشتت مريديها عدة مرات، كما  
حاول اعتقال شيخها علي بن عبد الرحمن. لكن لم يمنع -  
حسب الافرائي - (الصفوة، 184) من إعادة بنائها، بل إنها  
قد استقطبت مزيداً من المريدين والأتباع.

ويذهب الزياي - وهو من بين تلاميذها - إلى أن زاوية  
تامُجَّتْ، قد دمرت تماماً، وأن مؤسسها قد اعتقل من قبل  
السلطان بضعة أيام (دوحة البستان، 213). ومهما يكن من  
أمر فإن المصادر تجمع على أن شيخ تامُجَّتْ قد امتحن من  
قبل سلطان الوقت بسبب ما رأى من اجتماع الناس عليه  
(الصفوة، 184). لذلك ليس من المستبعد أن تتعرض زاويته  
للنهب أو التخريب، كما كان ذلك شأن زاويتي الدلاء  
وتازروالت.

الاسباني على ما يعرف حينئذ "بالجبهة الشرقية". وذلك خلال الأسابيع الأخيرة من انتهاء الثورة الريفية يوم 8 ماي 1926 أي أثناء الهجوم المشترك الفرنسي والاسباني على الثورة. وقد انتهت المعركة المذكورة باحتلال مركز تامدغارت من قبل الجيش الاسباني. وفي اليوم التالي 9 ماي 1926 وقعت معركة ثانية بسوق ثلاثاء أزلاف المجاور انتهت أيضاً باحتلاله من طرف الجيش الاسباني.

وفي أزلاف الذي هو السوق الأسبوعي لتامدغارت التقى الجيشان المتحالفان الفرنسي والاسباني ضد الثورة الريفية، وتصافح جنود وقادة الدولتين الاستعماريتين، إذ يقع على رافد يعتبر الفاصل بين المنطقتين المحتلتين الشمالية والجنوبية من المغرب.

تتبع اليوم تامدغارت لجماعة "أزلاف" القروية. فيها مجموعة مدارس، وتشتهر بعين "تستثات" أو "عين الشفاء" كما تسمى اليوم، وهي عبارة عن مياه معدنية حارة فيها الكبريت والحديد، صالحة لمعالجة البثور والدمامل والأمراض الجلدية. وربما قاومت الإمساك والبواسير وأمراض الجهاز الهضمي أيضاً. أقيم بها مسبح عمومي ومرشات للاستحمام.

معلومات شفهية عن جماعة أزلاف : م. ابن عزوز حكيم، الثورة الريفية : معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

**تامدولت**، مدينة تاريخية مندثرة من مدن المغرب الصحراوي في العصر الوسيط كانت لها صلات مع بلاد السودان، تقع على بعد حوالي ثلاثة عشر كلم جنوب غربي أقا، وما تزال أطلالها بادية حتى اليوم على مرتفع جبلي صغير. وقد أثارت هذه الاطلال فضول عدد من الذين زاروا المنطقة، فجمعوا ما تيسر لهم من الروايات حولها، حتى قام الاستاذ روزنبرجي (Rosenberger) بجمع النصوص القديمة والمعاصرة حول المدينة وأطلالها، إضافة إلى مشاهداته وتجرباته الشخصية، محاولاً وضع تاريخ متسلسل ومنطقي لهذه المحطة التجارية والمعدنية الهامة.

يذكر أبو عبيد الله البكري - القرن الخامس (11 م) - أن مؤسس مدينة تامدولت هو عبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر في منتصف القرن الثالث (9 م)، وكانت عاصمته إكلي، على مسيرة ستة أيام من موضع المدينة التي استمرت تحت سلطة الإدارة حتى نهاية هذا القرن. إلا أن عدة قرائن قد تسمح باحتمال كون هذا المؤسس إنما أعاد بناء موضع ربما كان معموراً قبله، فهناك رواية يهودية تشير إلى احتمال استقرار يهود مشاركة في واقا Waqqa منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولعلها واحة أقا التي تنسب إليها مدينة تامدولت اليوم، إضافة إلى ما قد تفيدته عملية استقرار معاني المدينة في اللغة الأمازيغية السوسية في هذا الباب، وهي عملية لم تتم بعد. ومن بين هذه القرائن أيضاً ما ذكره البكري من وجود آبار على الطريق

بين تامدولت وأودغشت، يقع بعضها (بشر الجمالين) على بضع مراحل فقط من تامدولت، وهذه الآبار من استنباط عبد الرحمان بن حبيب، عامل الأمويين على إفريقية سنة 128 / 745 م، وفي هذا دليل على اهتمام الأمويين بهذه المنطقة المتصلة ببلاد السودان موطن الذهب.

لاشك إذن أن الموقع الذي تشغله تامدولت كانت له أهمية بالنسبة للمواصلات مع بلاد السودان عبر الصحراء، وإن لم توجد دلائل مصدرية قاطعة على وجود تيار تبادل بين تامدولت وبلاد السودان قبل القرن الثالث (9 م) إلا أن اهتمام الأمويين بهذه الجهة بشكل ملحوظ يزكي مثل هذا الاحتمال، إضافة إلى ظاهرة بروز كيانات سياسية مستقلة ومراكز تجارية هامة على ضفتي الصحراء خلال هذه الفترة (سجلماسة، تاهرت، وأودغشت، غانا ...) الأمر الذي يدل على دينامية التبادل عبر الصحراء آنذاك.

وقد وصف اليعقوبي - القرن الثالث (9 م) - المدينة ورکز على وجرد الذهب والفضة بها. أما ابن حوقل - القرن الرابع (10 م) - فقد اكتفى بالإشارة إليها في معرض حديثه عن المسالك الرابطة بين جنوب المغرب وبلاد السودان دون أن يقدم مزيداً من المعلومات حول أهمية المدينة وأنشطتها، حتى إذا جاء أبو عبيد الله البكري - القرن الخامس (11 م) - قدم معلومات أشمل وأهم من سابقه ووصف المدينة بقوله: "... وعلى ست مراحل منها (مدينة إكلي) مدينة تامدولت، أسسها عبد الله بن إدريس بن إدريس، وهي سهلية عليها سور طوب وحجر، وبها حمامات وسوق عامرة، ولها أربعة أبواب، وهي على نهر عنصره من جبل على عشرة أميال منها، وما بينهما بساتين، وعلى هذا النهر أرحاء كثيرة...".

من الواضح أن تأسيس تامدولت في الموضع والموقع اللذين تحتلتهما، كان استجابة لدوافع مختلفة، منها ما له طابع عسكري دفاعي (جبل يشرف على سهل واسع) ومنها ما هو اقتصادي (وجود سهل خصب ومياه معدن فضة). وربما كان للمدينة كذلك دور ديني كنقطة متقدمة في اتجاه الصحراء. رغم أن المصادر لا تشير إلى هذا الجانب، إلا أن وقوع المدينة على طريق التجارة العابرة للصحراء يظل بدون شك هو العنصر الأساسي المتحكم في تأسيسها أو إعادة تأسيسها، كما يفسر إلى حد بعيد تطور اقتصاد المدينة ووظائفها التي تعكس تطور خطوط مسالك القوافل العابرة للصحراء.

ذكر ابن حوقل أن المسلك الرابط بين بلاد السودان ومصر قد تحول نحو سجلماسة لأسباب طبيعية (زوابع رملية) وأمنية، هذا في وقت ما زال فيه أحد المسالك الرابطة بين سجلماسة وأودغشت يمر عبر تامدولت رغم وجود مسلك مباشر بين المدينتين! وقد زاد هذا التحول من أهمية المحاور الغربية الرابطة بين ضفتي الصحراء: الطريق الساحلي من نول لمطة إلى أودغشت عبر ملاح أوليل، وطريق درعة الأوسط عبر تامدولت، وبذلك تكون مدينة

تامدولت من بين أهم مراكز الفرع الغربي للتجارة العابرة للصحراء آنذاك، وذلك بناءً على ما يتضح من أوصاف كل من البعقوبي والبكري للمدينة وغناها وأنشطتها الاقتصادية، وذلك في وقت كان فيه الذهب هو محرك التبادل التجاري مع بلاد السودان.

وقد ازدادت أهمية المحور التجاري الغربي ومسالكه مع صعود المرابطين في القرن الخامس (11 م). وكان لوقوع مناجم الملح (أوليل وتغازي) في هذه الجهة دور أساسي في تفوق هذه المحاور الغربية آنذاك.

وإذا ارتبط موضع تامدولت بوجود معدن فضة مجاور لها وبنشاط التعدين بها، فإن وقوع المدينة على أحد المحاور التجارية الغربية كان طيلة القرنين الهجريين الثالث والرابع هو العنصر المتحكم في ازدهارها وفي تنوع أنشطتها حيث كان هذا المحور يتوفر على مادتين ظلتا أساسيتين في عملية التبادل التجاري عبر الصحراء طيلة قرون، وهما النحاس والملح.

فرغم ارتباط تامدولت في المصادر الوسيطية بمنجم الفضة الذي بجوارها في اتجاه الجنوب الغربي، (يستخرج منه اليوم رصاص لم يعد يحتوي أجوده إلا على 12% من الفضة) فإن المدينة كانت بدون شك تقوم بتصدير كميات هامة من النحاس في اتجاه بلاد السودان، لما لهذا المعدن من مكانة خاصة لدى سكان إفريقيا جنوب الصحراء وارتفاع أسعاره لديهم. فقد أثبت التحليل المختبري أن خبث المعدن المنتشر بكميات هامة حول موضع تامدولت هو لمعدن النحاس الذي كان بدون شك يستخرج من ضواحي المدينة ويصنع ليصدر في شكل سبائك، إضافة إلى النحاس المصنع في مدينة إكلي الذي كان يصدر في عصر البكري عبر تامدولت في شكل أوان أو سبائك.

من جهة أخرى، لا تخفى أهمية مادة الملح في عملية التبادل بين ضفتي الصحراء، حتى إن مواقع الملاحات كانت من بين أهم العناصر المتحكممة في اتجاهات المسالك الصحراوية وانعطافاتهما. وقد ساهم وقوع أهم ملاحات المنطقة (أوليل، تغازي) بالجهة الغربية، في إعطاء محاور هذه الجهة دينامية خاصة. وتنعكس أهمية الملح كمادة تبادل أساسية في ارتفاع أسعاره كلما اقتربنا من الغاية الاستوائية، حيث تكثر الحاجة إليه. ومما لاشك فيه أن استعمال ملح تغازي منذ منتصف القرن الخامس (11 م) قد ساعد على توفر هذه المادة ببلاد السودان بشكل انعكس فيما بعد على قيمتها في الأسواق، كما يتضح ذلك من تتبع سعر تبادل الملح بالذهب من خلال مصادر الفترة. وقد ساهم ذلك في تحويل الثقل الاقتصادي تدريجياً نحو الجهات الشرقية، بسبب مرور القوافل عبر هذه الملاح، ولايستبعد أن يكون لهذه الوضعية انعكاس على مدينة تامدولت وضاحتها.

لاشك أن توفر تامدولت على سهل خصب ومياه وافرة وظهر غني (سوس) مكّنها من أن تصدر نحو بلاد

السودان كميات من المواد الفلاحية كالحبوب والتمر، كما يوحي بذلك وصف البكري للمدينة، خاصة إذا علمنا حاجيات الجالية الأجنبية الموجودة في مدن السودان الغربي مثل أودغشت أو غانا. لكن البحث الأركيولوجي وحده هو الكفيل بتقديم مزيد من التفاصيل حول النشاط التبادلي لمركز تامدولت وحول الممارسات التجارية بها (عملة، مكابيل، مخازن...).

وتتفق مصادر الفترة على جعل الذهب في طليعة قائمة المواد التي تستوردها تامدولت من بلاد السودان، حتى إن البعقوبي اعتقد أن هذه المادة تستخرج من أرض المنطقة. وقد ساهم ازدياد الطلب في الغرب الإسلامي (الأندلس) على الذهب في تزايد الكميات المجلوبة منه مقابل مادة الملح أساساً. أما العبيد فالمصادر عادة ما تقرنها بمادة الذهب المستورد من السودان، ولاشك أن وجود مناجم النحاس والرصاص ووجود صناعة تعدين ونشاط فلاحي في ضواحي المدينة كان يتطلب بدأً عاملة هامة ربما جلبتها القوافل من بلاد السودان (لا تزال تعيش في قرية تُوَوزِين وريثة تامدولت طائفة من أحفاد العبيد، تعمل أساساً في استخراج معدن الرصاص الموجود بجبل العدانة، وبوسائل غير مختلفة كثيراً عن وسائل العصر الوسيط).

ولا تشير المصادر المتوفرة إلى ساكنة مدينة تامدولت ولا إلى عناصر تعميرها بما فيه الكفاية. يقول البكري في معرض حديثه عن رجوع عبد الله ابن ياسين من الصحراء: "... ونزل موضعاً يقال له تامدولت، حصن فيه مياه ونخل كثير، يشرف عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك، فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سرطمة وتبرجة، ولهم هناك حصون...". وقد سبق للبعقوبي أن أشار إلى بني تارگا وبني درا من بين ساكنة المنطقة. ومما لاشك فيه أن هذه ساكنة كانت، منذ هذه الفترة، خليطاً من البيض والسود كما هي حتى اليوم، وأن مدينة تامدولت كانت تضم إبان ازدهارها أعداداً من التجار من سوس وسجلماصة وربما من مراكز تجارية أخرى خارج المغرب علي غرار مثيلاتها من المدن التجارية بالمنطقة.

لعل إشارة جمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (1285-1318 م) في كتاب *مباهج الفكر ومناهج العبر* إلى حصن تامدولت ومعدنها تعتبر آخر إشارة مصدرية مكتوبة حول هذه المدينة، ولكن الراجح أن ما أورده الوطواط إنما هو تكرار لما جاء عند البكري أساساً، ولا يمكن الاطمئنان إلى اتخاذه وصفاً للمدينة معاصراً لكتابه. ومهما يكن الأمر، فقد اختفى بعد ذلك ذكر المدينة من المصادر المكتوبة وبقي في الرواية الشفوية فيما بعد ونُسجت حول المدينة و"قصة خرابها" حكايات مثيرة يصعب تبين ما هو تاريخي منها. لكن حيوية هذه الروايات واستمراريتها وذيوها بين الكثير من سكان الأطلس الصغير وسوس لا يمكن إلا أن يشير فضول الباحث ويجعله أميل إلى تفحص هذه الروايات لعله يعثر في ثناياها على نواة تاريخية، وهذا ما قام به، بعد

آخرين، برنار روزنبرجي في مقالته حول المدينة، حيث استعرض مجمل الروايات الشفوية التي تحدثت عن "خراب تامدولت" بسبب حملة القائد محمد بن علي أمنصاگ عليها، ورأى أن هجرة سكان تامدولت قد تكون بسبب حملة عسكرية عليها أو اقتتال طويل بين أهلها... الخ، وأرخ هذه الهجرة بأواخر القرن الثامن (14 م) أو بداية الذي يليه اعتماداً على عدة قرائن، منها العثور في أنقاض المدينة مؤخراً على قطعة نقدية مرينية، وكون القائد أمنصاگ الذي ينسب إليه تدمير تامدولت قد عاش في هذه الفترة التي شهدت طاعونا جارفاً في المنطقة تسبب في تحركات قبلية ربما كانت سبب اقتتال سكان تامدولت وهجرتهم. وقد ظلت هذه الهجرة حية في الذاكرة الشعبية حتى اليوم، إلى درجة أن العديد من قبائل سوس الأطلس الصغير تنسب نفسها إلى هذه المدينة وتعتبرها موطنها الأصلي.

ومن غير المستبعد إذن أن تكون تامدولت قد تلقت الضربة القاضية خلال القرن الثامن (14 م) وأن يكون تراجع المدينة وانحطاطها قد بدأ قبل هذه الفترة بكثير، حيث يمكن تلمس بوادر هذه الوضعية منذ النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، بل من المحتمل أن وصف البكري للمدينة في الفقرة المشار إليها أعلاه، إنما يعود إلى ما قبل سنة 1068 / 461 م، أي تاريخ الانتهاء من كتابة البكري للممالك والممالك، خصوصاً إذا علمنا مدى اعتماد البكري على استاذة محمد ابن يوسف الوراق في الكثير من أخباره وأوصافه.

ويمكن إجمال بعض عوامل هذا التراجع، الذي هو في الحقيقة تراجع للمحور الغربي من طرق التجارة العابرة للصحراء في الانتقال إلى استعمال ملح تغازي الواقعة إلى الشرق عوض ملح أوليل الواقعة على المحيط الاطلنطي في أرض غدالة، وذلك منذ منتصف القرن الخامس (11 م) على أرجح تقدير، وقد ساهم ذلك في تغيير الكثير من معطيات التبادل التجاري بين ضفتي الصحراء، فقد كانت مراكز مثل نول لمطة وتامدولت مثلاً مرتبطة بملح أوليل الذي لم يعد له في القرن السادس إلا دور محلي حسب ما يتضح من وصف الإدريسي لهذه الملاحه. وقد أثر هذا التحول على مدينة أودغشت نفسها، ومن الطبيعي أن يؤثر كذلك على تامدولت التي تقابلها في الضفة الشمالية من الصحراء، خصوصاً بعد أن عمل المرابطون على ربط سجلماسة بمنطقة النيجر عبر مركز تابلبلأ مروراً بملاحه تغازي، فأثر ذلك على المدينتين معا في حين ازدهر مركزاً سجلماسة وولاتة فيما بعد. وقد زاد قيام الدولة الموحدية وتوحيدها لمنطقة الشمال الإفريقي من حدة التنافس بين المحورين الغربي والشرقي إن لم نقل عمل لصالح هذا الأخير.

زادت التفاعلات السياسية خلال القرن السابع (13م) سواء في بلاد المغرب أو في بلاد السودان، من تهميش دور تامدولت، خصوصاً بروز دولة مالي الذي غير بعمق خريطة

المبادلات الإفريقية، حيث عمل سلاطين هذه الدولة على إعادة تنظيم المجال الاقتصادي لأمبراطوريتهم بشكل أكثر فعالية بالنسبة لهم، وتندرج سيطرة مالي المحتملة على ملاحه تغازي في منتصف القرن الثامن (14 م) في هذا الإطار، ويرى كثيرون أن لرحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان الغربي آنذاك صلة ما برغبة المرينيين في استعادة مكانة المغرب في التجارة العابرة للصحراء بعد اشتداد منافسة الجهات الشرقية، وانتقال الثقل الاقتصادي ببلاد السودان الغربي إلى منعطف نهر النيجر.

لم يبق اليوم من مدينة تامدولت التي وصفها المصادر الوسيطية إلا قطع من سور على وشك الاندثار، فوق شرف من الأرض تغمره الرمال، وهو مبني بالطابية (الطين المضغوط) على أساس من حجر، وتعلو المكان قبة متواضعة تنسب للولي سيدي محمد بن عبد الله أو سيدي الشناوي كما يسميه البعض. وتوجد بداخل السور وحول الموضوع كميات هامة من خبث معدن يعتقد أنه النحاس ومن شظايا أوان فخارية متنوعة. وتمكن نظرة سريعة إلى هذه البقايا من ملاحظة كون القبة والسور الحالي مستحدثين، ولعل هذا الأخير إنما استحدثت مع بداية الدولة السعدية التي كان لقيامها صلات بهذه المنطقة. هذا في حين يغلب على الظن أن ما يضمه هذا السور إنما هو مجرد حصن متواضع الأبعاد، وأن تامدولت التي وصفها البكري، ربما تمتد على مساحة أكبر وتشمل مناطق أسفل الربوة التي تحمل ما تبقى من المدينة اليوم.

م. المختار السوسي، خلال جزولة، 3 : 86 ومابعدا : مادة أقا، في حرف الهمزة من معلمة المغرب.

M. Delafosse, *Les relations du Maroc avec le Soudan Occidental à travers les Ages*, Hesp., 1924, 2, pp. 153 - 174 ; Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème S.*, A. M. XXIX, p. 1230, Paris, 1930 ; B. Rosenberger, *Tamdult : Cité minière et caravanière présaharienne, IX- XIVème s.*, H.T., 1970, XI, pp. 103 - 139 ; S. Daveau, *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost*, Tegdaoust, I, 1970, pp. 33 - 38 ; J. Devisse et S. Robert, *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970 ; J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique en relation avec la Méditerranée : un essai sur le commerce africain médiéval du XIème au XVIème S.*, R.H.E., 1972, vol. I, pp. 42- 73 et vol. II, pp. 357- 397.

محمد الحبيب نوحى

✳ \* ومن الناحية المعدنية عرفت تامدولت بمنجم الفضة، وقد وصف روزنبرجي Rosenberger في مقالته حول تامدولت الآثار التي عاينها، وأشار بالخصوص إلى انتشار الأشكورية (الخبث المعدني) وقطع الفخار والخزف بالموقع وينتهي إلى الإقرار بوجود أفران لصهر المعادن. ويتخلل منطقة الأشكورية عدد من القبور القديمة، ويقول روزنبرجي إن القبة البيضاء "لسيدي شناويل" (سيدي محمد بن عبد الله) تهيمن على فضاء الموقع الأثري، وعشر روزنبرجي على بقايا سور يمكن أن يوفر بعض العناصر لمعرفة طريقة البناء في هذا الموقع. ولاحظ أيضاً وجود قطع خزفية تتغير ألوانها من البني القاتم إلى الأخضر، بالإضافة إلى وجود فلزات نحاسية، وهذا ما يطرح تساؤلات حول صناعة الخزف بتامدولت من خلال استعمال الفلزات المعدنية. وعشر

روزنبرجي على قطعة فضية موحدة وهو تأكيد لمعثورات نقدية فضية موحدة وجدت في عين المكان (V. Monteil, 1933; J. Justinard, 1946). وقد حاول روزنبرجي حصر وظائف مدينة تامدولت في الوظيفة العسكرية والفلاحية والمعدنية والتجارية.

ونعتقد أن تامدولت اشتهرت بالأساس بوظيفتها التجارية والمعدنية، فهي تقع على الخط التجاري الفاصل بين سجلماسة وأودغشت، فهي بذلك محطة لكل البضائع القادمة من سوس، خصوصاً المصنوعات النحاسية والزجاجية، بالإضافة إلى الفضة الموجودة بعين المكان، وهذه بضائع رددتها المصادر التاريخية عند الحديث عن التجارة الصحراوية.

وتعود شهرة تامدولت المنجمية والتعدينية أساساً إلى مناجم العدانة للفضة وبعض مناجم النحاس ثم منجم تمزكدوين لاستغلال الزنك (التوتيا).

وتقع مناجم الفضة لتامدولت على امتداد جبل عدانة، حوالي عشرين كلم جنوب جبل باني، وتنتشر الآثار المنجمية القديمة من جبل كليز إلى تلعدانت على مسافة أربعين كلم باتجاه الجنوب الغربي، وقد استغل المنجميون القدامى جل الترسبات المعدنية، وتوجد بموقع بودادن مئات الآبار ذات فوهات مربعة أو مستطيلة الشكل ولا يتجاوز قطر الفوهة منها متراً واحداً وتشكل تلعدانت أهم منطقة منجمية، وتوجد على بعد ثلاثين كلم إلى الجنوب الغربي من تامدولت. وتوجد الآثار المنجمية القديمة على مرتفع منعزل يمتد بحوالي ثلاث كلم باتجاه الجنوب الغربي.

ولعبت الانكسارات الجيولوجية دوراً مهماً في عملية التنقيب والاستغلال المعدني القديم وبالخصوص في جبل تاشليف وتيوريرن وبوتازلت وتلعدانت.

تبين الآثار المنجمية القديمة تقنيات الحفر والاستغلال التي عرفتها تامدولت في عهد ازدهارها، وكانت الركازات المعدنية تحصل إلى تامدولت حيث يتم صهرها كما يدل على ذلك وجود الأشكورية. وبناءً على شهادتي اليعقوبي البكري، يمكن حصر النشاط المنجمي والتعديني لتامدولت ما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9-11 م). ومهما يكن من حقيقة تأسيس عبد الله بن إدريس لتامدولت أو أنها ازدهرت في عهد إمارته لسوس، فإن النشاط التجاري والمنجمي والتعديني كان وراء شهرة تامدولت ما بين القرن الثالث والخامس الهجري. إلا أن هذا لا يعني أن النشاط المنجمي قد توقف بعد ذلك، فإلى عهد قريب جداً كان سكان دوار إيگلي وإبوافلوس يستغلون العروق المعدنية ببودادن بالطرق التقليدية. وأغلب الظن أن الاستغلال استمر بطريقة متقطعة حسب الظروف التاريخية للمنطقة. وربما عزز هذا التفسير ما ورد عند الحسن بن محمد الوزان (ليون الأفريقي) في القرن العاشر الهجري (16 م) عن جبل إيلاكن حيث يقول "لا يبتدئ هذا الجبل غرباً عند تخوم الجبل السابق (جبل هنكيسة) وينتهي شرقاً في ناحية

جزولة وجنوباً في سهول سوس، وسكانه نبلاء شجعان عندهم خيول كثيرة ويتحاربون فيما بينهم باستمرار من أجل منجم فضة يوجد في الجبل ويستغله الغالبون منهم..." (المصدر، الجزء 1، صفحة 96).

وعرفت تامدولت أيضاً تعدين النحاس، وكانت تحيط بها مجموعة من المناجم القديمة المتنوعة المعادن كإفراكن وناس (مغارات النحاس) وإستواناس (ذوات النحاس)، بالإضافة إلى منجم تمزكدوين والذي كان يستغل في تبييض النحاس، وهو ما اشتهر في النصوص التاريخية بالنحاس الأصفر أو النحاس السوسي أو الصيني، والذي كان يصدر بالخصوص نحو ممالك السودان. وقد أحصينا ما يقارب من خمس وعشرين استغلالية منجمية وتعدينية تحيط بموقع تامدولت.

اليعقوبي، كتاب البلدان، ليدن 1891؛ ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت 1979؛ البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس 1965؛ الطواط محمد بن إبراهيم، مناهج الفكر ومناهج العبر، تح. E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs à l'histoire*, du Maghreb, Alger, 1924, pp. 41 - 68. ح. الوزان، وصف إفريقيا، ط. م. حجي وم. الأخضر، الرباط 1980.

O. du Puigadeau, *Arts et coutumes des Maures, H.T.*, IX, pp. 329 - 458, 1968; B. Rosenberger, *Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne du IXème au XIVème siècle. H.T.*, X, pp. 103 - 104; *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc, essai de carte historique, R.G.M.*, N° 17, pp. 71 - 102; N° 18, pp. 59 - 108, 1970; M. Saadi, *Histoire de la recherche minière au Maroc, des origines jusqu'à nos jours*, Rabat, 1967; *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdult. Mines et géologies*, N° 28, 1969.

الموساوي العجلاوي

## تأمديازت، مصطلح أمازيغي شائع الاستعمال في

الأطلس المتوسط وفي الناحية الوسطى للأطلس الكبير ووحدات الجنوب الشرقي. ويعني هذا المصطلح الأبيات الشعرية أو القصيدة الشعرية (المقناة؟)، وقد يطلق على بيت شعري واحد أو على مجموعة من الحكم والأمثال والأقوال المأثورة. وأما الشاعر الذي ينشد أو ينظم تأمديازت، فيطلق عليه "أمدياز" وجمعه "إمديازن" وهم شعراء جوالون بين القبائل المختلفة لنقل الحكم ونشر القصائد الشعرية. وقد لعب هؤلاء الشعراء دوراً أساسياً في نقل الأخبار المهمة، وتوعية القبائل بالقضايا الوطنية على الخصوص كفضح الاستعمار وعلامته والدعوة للجهاد ومحاربة الفساد كما كانوا يقومون بتمجيد الأبطال وذكر مناقبهم. وقد كان أمدياز يستخدم قدرته لابتكار الشعر بل وقدرته على ابتكار "النكت" المؤثرة في جماهير المواطنين من أجل تعبيثهم للمساهمة في المقاومة مثلاً، ولذلك فأمدياز بمثابة ضمير القبائل والمعبر عن همومها وقضاياها.

وكانت القصائد "تمديازين" سريعة الانتشار بسبب بساطة أسلوبها ودقة المعاني التي تحملها بالإضافة إلى أنها موجهة للتغني والطرب، الشيء الذي جعل الجماهير الشعبية تُقبل على حفظ "تامديازت". وكان الشعراء

الجوالون "إمديازن" يحظون باستقبال حار في كل القبائل التي يحلون بها. فكانوا يكرمون وتقدم لهم المكافآت المادية، ولا يغادرون القبيلة إلا بعد مدح أعيانها وتمجيد أجوادها، في حين لا تفوتهم فرصة هجاء بعض القبائل التي ترفض إيواهم واستقبالهم بدون عذر، وخوفاً من هذا الهجاء الذي ينتشر على شكل "تامديازت" لدى القبائل المجاورة فإن الاعتذار يتم أحياناً بشكل يروق الجوالين "إمديازن" إذ تقدم لهم مكافأة مادية مع تبرير لعدم الاستقبال كوجود مأم في القبيلة مثلاً أو انشغال القبيلة والأسرة المقصودة باستقبالهم بمشاكل طارئة وحاسمة. ويلاحظ في قصائد "تامديازت" تساكُن (تصالح) إدراكين مختلفين أحدهما خلفيته دينية والآخر خلفيته دنيوية أو مادية.

فالقصاصد الدينية تتناول جانب الوعظ والإرشاد والتذكير بأركان الإسلام والآخرة، ويوم الحساب والأوامر والنواهي والمحرمات وتمجيد الأنبياء والرسل والصلحاء والأولياء، إلى غير ذلك من الجوانب الدينية. أما القصاصد الجدلية أو الدنيوية فتتناول مختلف المواضيع حيث تتعرض للاستغلال وللربا والمحسوبية، واستبداد الأعيان، وهي كذلك تحرض الجماهير على المقاومة. وتكمن أهمية "تامديازت" في قدرتها على اختراق الحراسة الشديدة للحكام مثل ما وقع للإدارة الاستعمارية التي كانت تدعي القدرة على ضبط تحركات القبائل ومنع الاتصال بين القبائل التي تم إخضاعها والقبائل التي لازالت تحمل راية الحرية والجهاد، ومن ذلك هذه القصيدة "تامديازت" التي تهجو القبائل التي استسلمت للاستعمار أثناء مقاومة أيت عطا للقبائل الفرنسية بجبل بوغافر في فبراير - مارس سنة 1933 :

- فُرُخَ الحَاكِمِ كَانَاكْ وَأَرَاؤُ تَيْنُكْ كَامِينْ  
- فُرُخَ الحَاكِمِ كَانَاكْ وَأَرَاؤُ تَخْدَامِينْ  
- فُرُخَ الحَاكِمِ كَانَاكْ وَأَرَاؤُ تَيْنُكْ زِدَامِينْ  
- فُرُخَ الحَاكِمِ رَانُكْ أَيْتْ وَرَأْسُنْ إِبْلِينْ أَرَاكَالْ  
- إِذَا السَّنْبِي دُ تَوَارِينْسُنْ إِمَانْ دِي إِمَزُورْ  
- نُقْبِيْمْ إِمُكُورَا إِبُولِيْسْ "دَبُولَانْ"  
ومعناه :

- افرح أيها الحاكم أصبح فتياننا سقاة لك  
- افرح أيها الحاكم أصبح أبناؤنا خداما لك  
- افرح أيها الحاكم أصبح أهلنا مقتورين لك  
- لقد أحببك أصحاب العمامات والملابس الفاخرة  
- لقد ذهببت عنا الكرامات مع الأولين  
- وبينا نحن في هذا الزمن المتأخر تحت رحمة حكام طغاة أمثال دبليس وبولان المقصود هنا Les capitaines Duplex et Paulain.

ويمكن اعتبار "تامديازت" من الروايات الشفوية التي يمكن اعتمادها في استكشاف بعض أحداث الماضي، وقد اعتمدت عليها الباحثة جانين دروان (Jeanine Drouin) ضمن الوثائق التي استثمرتها لتأليف كتابها حول الصلحاء

والزوايا بالأطلس المتوسط، حيث جاء الكتاب حافلا بقصاصد من نوع "تامديازت" تتناول مختلف المواضيع كمقاومة موحا وحمو الزباني للاستعمار في معركة الهري سنة 1914 ومقاومة سيدي المكي أمهاوش في تازكراوت سنة 1932. كما أن هذه القصائد يمكنها أن تمد المؤرخ والباحث بمادة هامة تتعلق بالأعراف والمصطلحات والمعارك وبعض الشخصيات، كما أن "تامديازت" يمكن تحويلها إلى مادة للتحقيق والتقابل خاصة وأن الشعراء (إمديازن) هم أفضل من عرف التمثلات والتطلعات الجماعية للقبائل، لدرجة أنهم يبدون معها وكأنهم لسان حال هذه القبائل، ولهذا فقصاصد "تامديازت" جديرة بالاهتمام في ميدان البحث واستعمال الرواية الشفوية.

أولمدن محمد، المقاومة المغربية من خلال الرواية الشفوية، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1982.

M. Meraud, *Histoire des A. L. La Koumia*, Paris, 1990 : J. Drouin, *La tradition orale hagiographique, ou un cycle oral hagiographique* : S. Guennoun, *La montagne berbère*, Rabat, 1929.

عبد القادر بوراس

**التامراوي، محمد بن محمد**، فقيه نوازلي له باع طويل في الفتاوى في القدر السوسي في عصره، وكان مولعا باقتناء الكتب وملاقة العلماء واستجارتهم، وقد أدى فريضة الحج سنة 1242 / 1826 ودون رحلته التي نقلها محمد المختار السوسي في *المعسول* (8 : 198 - 213) وهي تحتوي على معلومات تاريخية واجتماعية ووصف للمدن التي مر بها، وفيها يتحدث عن أحد العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين، وهو الشيخ محمد الحبيب بن عبد القادر الفيلاي الذي جمع بين التدريس والإفتاء للمغاربة المجاورين، ويخبرنا بأن هذا الشيخ سبق له أن درس بزاوية سيدي أحمد أموسي.

توفي محمد التامراوي عام 1285 / 1868.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 8 : م. ماگامان، أدب الرحلة عند المغاربة، د.د.ع، الرباط.

محمد ماگامان

**تامراكشت** أو **تمراكشت**، أحد القصور الثلاثة التي ذكرها الحسن الوزان في معرض حديثه عن منطقة الخنك، وهي حسب تتابعها من الشمال إلى الجنوب : زعبل، وكستريير وتامراكشت. والخنك الذي يغلب اسمه على هذه المنطقة معناه الخانق في اللغة العربية الفصحى أي الشَّعب الضيق (وصف /أفريقيا، ج 2 هامش 11، ص. 122)، لعب دورا بارزا في ربط الاتصال بين مدينة سجلماسة ومناطق شمال المغرب باعتباره الممر الطبيعي الوحيد الذي يسمح باختراق جبال الأطلس الكبير الشرقي عبر مجرى وادي زيز بين فم غيور شمال سد الحسن الداخل وغار زعبل على مسافة عشرين ميلا.

يقع قصر تامراكشت على الضفة اليسرى لوادي زيز كما هو الحال بالنسبة لكستريير. أما قصر زعبل الذي

**تامرا كشت**، مدينة صغيرة من مدن دكالة القديمة، كانت توجد على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع. وهذا الاسم صيغة تصغير بالأمازيغية للفظ مراکش. وليس هناك ما يدل على صحة القول بأن مؤسسها هو يوسف بن تاشفين، إذ كون هذه المدينة تحمل اسم مراکش الصغيرة لا يقتضي تأسيسها من قبل باني مراکش.

كانت تامرا كشت حتى أوائل القرن العاشر (16 م) أهلة بالسكان تحتوي على أربعمائة كانون، كما كانت خاضعة لأزمور رغم وجودها في تراب تامسنا، إذ أن بعض قرى تامسنا القريبة من دكالة وحتى بعض قرى هسكورة كانت كثيرة الارتباط بما يحدث في دكالة.

احتل البرتغال تامرا كشت في السنة التي احتلوا فيها أزمور (919 / 1513)، فخربت في ظروف غامضة وانتقل أهلها إلى مدينة الغربية القريبة منها. وكانت تامرا كشت محاطة بأسوار وأبراج على الشكل القديم، لم يبق اليوم منها أي أثر. ويخبرنا مارمول أن أعراب شراكة كانوا ينتقلون في وقته عبر بواديهما التي كانت غنية جدا بالقمح والمراعي، ويبدو أنها كانت كثيرة السكان وأن البنائيات كانت من عمل البربر، لذلك كان اسمها بربريا كسائر الأماكن التي تبدأ بالتاء، مثل تادنست وتازروت وغيرها. ونظراً لموقع تامرا كشت بين إقليمي دكالة وتامسنا وإقليمي هسكورة وتادالا التي هي أراض خصبة كثيرة القمح والمرعى، فإنه يبدو أن تامرا كشت هي مراکش القديمة التي يذكرها التاريخ الروماني، لأن مراکش الحالية إنما أسسها يوسف بن تاشفين ولتونه بعد عهد الرومان بكثير كما هو معلوم.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج 1: مارمول، إفريقيا، ج 2: أ. بوشرب، دكالة: م. الشياطي، حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة، مخطوط.

محمد الشياطي

**تامرثوت**، رابطة كانت تجتمع فيها طائفة من الأولياء الصالحين في أسفي. وتذكر مختلف الشهادات أنها كانت معروفة منذ النصف الأخير من القرن السادس (12م)، وربما رجع تاريخها إلى ما قبل ذلك بكثير.

كان هذا الموضع الوارد ذكره في المنهاج الواضح موجوداً بالقرب من الموقع الحالي لضريح الشيخ أبي محمد صالح، وقد اندثر الآن ولم يبق له أثر. وعن هذه الرابطة يقول **\*الفقيه الكانوني**: "كان يقصدها الصلحاء وأهل الخير، وكان الشيخ أبو محمد صالح يأوي إليها، وموقعها برباط أسفي فيما بين برج كدية لعُغو وجرف البحر. ولعل السيدتين عائشة ومريم المدفونتين على الجرف كانتا بنفس هذه الرابطة".

وتعتقد الأستاذة حليلة فرحات بأن موقع رابطة تامرثوت قد يكون أحد المساجد التي هدمها البرتغاليون عام 1507 لما احتلوا المدينة، وهو مسجد "باب البحر" الذي أتى ذكره وذكر مساجد أخرى هدمت كذلك كمسجد "باب

اندرس ولم يعد له وجود بالمنطقة فيحتمل أن يكون موقعه عند غار زعبل على الطريق الرئيسية رقم 21 الرابطة بين مكناس والريصاني، وهذا الغار يمثل الحد الشمالي للخنك. وقد ظهرت تجمعات سكنية حديثة نسبياً بهذه المنطقة اتخذت مواقعها على الضفة اليمنى لوادي زيز خلافاً لمواقع القصور القديمة، ويتعلق الأمر بقصر إفرى وأيت عثمان اللذين تقطنهما عناصر من قبيلة أيت إزدك التي تشغل هذا المجال بأكمله.

لا يسمح ضيق المساحة في تامرا كشت وسائر مناطق الخنك بوجود أراض شاسعة، لذلك يقتصر ما يتم استغلاله في المجال الزراعي على أشربة ضيقة بضفتي النهر لا يبلغ عرضها أحياناً مرمى حجر تخصص لزراعة الشعير، كما يقوم السكان بتربية الأغنام خاصة قطعان الماعز (وصف إفريقيا، 2: 122، 123).

استفادت قصور الخنك من موقعها على طريق التجار الصادرين أو الواردين من سجلماسة وقاس في العصر الوسيط، ومع حلول القرن العاشر (16 م) أصبح سكانها من عرب المعقل يراقبون هذا الطريق التجاري ويستخلصون واجبات المرور من التجار، وهو ريع مثقال عن كل حمولة جمل مستغلين حصانة هذا المر وما يوفره من وسائل دفاعية بحيث يستطيع شخصان منهم أن يصمداً أمام هجوم الإقليم بأكمله (وصف إفريقيا، 2: 122، 123).

اختصت قبائل أولاد حسين بسكنى تامرا كشت وكل قصور الخنك في القرن العاشر (16م) وكان شيخهم يقيم بمدينة غرسولين أو قرسلين عند ابن الخطيب (معيار الاختيار، 179) التي لا تعرف موقعها بنوع من التدقيق لكن لا يستبعد أن يكون في المنطقة التي تحمل اليوم اسم الكرس والواقعة شمال الخنك ما بين قصر كركندو وأيت حوجمان عبر قصر تيعلاين الذي يسميه المحليون كرس تيعلاين. عرفت مدينة غرسولين تراجعاً واضحاً في نشاطها الاقتصادي في القرن العاشر بسبب ضعف التبادل التجاري بين تافيلالت وقاس خلال هذه الفترة، الناتج عن تحكم قبائل ذوي منصور من عرب المعقل في أغلب مراحل هذا الطريق الرابط بين المنطقتين. بحيث كان العصارنة يتحكمون في تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة ومنطقة تيزمي وكان المناهبة يتحكمون في الرتب ومضغرة، وكان أولاد حسين يتحكمون في الخنك والكرس. فصار هذا الطريق ما بين قصور تافيلالت وقصر تيزمي - ن - تالغمت تحت رحمة شيوخ هذه القبائل الذين كانوا يمنحون التجار رخص مرور بمقابل مالي وإن عثر رجالهم على قافلة دون رخصة نهبها على الفور (الوزان، 1: 45، 46 و 2: 123 ومارمول، 1: 108).

ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، الرباط، 1980، ج ح، 1982؛ مارمول كاريخال، إفريقيا، ج 1، الرباط، 1984؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار، المحمدية، 1976.

حسن حافظي علوي

الشعبة" ومسجد "القبور" ومسجد "أورير" في الرسالة التي بعثها عام 1509 أهل أسفي إلى ملك البرتغال "إيمانويل".  
محمد الكانوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال، القسم الثاني (مخطوط).

H. Ferhat, *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles : Les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

عبد الرحيم الطعوي

**التامري**، مركز قروي يقع على الطريق الرئيسية بين أكادير والصويرة عند نقطة 40 كلم شمال أكادير قرب مصب وادي آيت أمر المشهور بزراعة الموز منذ عهد الحماية لأن مناخه شبيه بمناخ جزر كانارياس الواقعة في نفس الخط من المحيط الأطلسي، والشهيرة كذلك بإنتاج وافر من الموز الجيد، لذلك اشتهر (التامري) بتسويق الموز الطبيعي إلى مختلف المدن والأسواق المغربية قبل ظهور زراعته في الحقول المكيفة بالمغرب. وينعقد فيه سوق أسبوعي كل يوم اثنين يحج إليه سكان القبيلة والقبائل المجاورة.

ورغم أن مركز التامري ينمو نمو بطيئاً كغيره من المراكز الفلاحية، إلا أنه يتوفر على تجهيزات لا بأس بها، أهمها : مجموعة مدرسية حديثة، ووكالة بريدية، ومركز فلاحي ومقر للدرك إلى جانب مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة، ومساكن اقتصادية تتوسطها محلات تجارية على جنبات الطريق الرئيسية إلى أكادير.

**التامري**، أسرة تنتسب إلى قبيلة آيت أمر الحاحية، وهي الرابعة والأخيرة جنوباً في الصف الساحلي من بين قبائل حاحة الاثنتي عشرة ( المعلمة، 1 : 220). وعلى أراضي هذه القبيلة تتوسع مدينة أكادير على سيف البحر شمالاً، وخاصة مشروع خليج أكادير. واشتهرت القبيلة بكثرة علمائها ورؤسائها المرموقين في الأوساط العلمية والسياسية، ومعظمهم اشتهر بهذا النسب (التامري) فأطلق حتى على سوقهم المركزي. وفيما يلي التامريون المشهورون بهذا النسب :

**التامري، أحمد بن محمد المتوفى بمراكش عام 1200 /**

1785. ذكره عباس بن إبراهيم في كتابه الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام قائلاً بأنه كان علامة مشاركاً حريصاً على التحصيل، صالحاً جليلاً، ذكره الشيخ الطالب بن الحاج في بعض مقدماته (عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج. 2، ص. 394).

محمد آيت الحاج

**التامري، الحسن بن إبراهيم،** باشا أكادير. ينتمي

إلى قبيلة آيت تامر بايادوتنان تخرج من مدرسة سيدي الحاج الحسن الكزوي، وصاحب الشيخين سيدي الحسن التاموديزتي، والشيخ الحاج علي الإلغي، وعمل كاتباً خاصاً للقائد مبارك الكيلولي بتامنار، وبعد ذلك التحق بمسجد قرية إيمي وأسيف شارطاً، حيث بقى هنالك، غير مهتم بالسلطة والجاه، وقد عليه صدقة رسول من الحاج

الحسن الكيلولي بأكادير، في طريقه إلى تامنار لإخبار القاييد مبارك الكيلولي بنياً وصول حركة الهيبة إلى سوس وعزمه الانتقال إلى مراكش حوالي سنة 1912، واقترح عليه أن يكون كاتباً خاصاً للحاج الحسن الكيلولي بأكادير. (خلال جزولة، 1 : 39)، ولم يمانع الفقيه في ذلك، حيث عين كاتباً خاصاً للحاج الحسن الكيلولي، بدعم من القاييد مبارك الكيلولي بتامنار. وتولى الفقيه الكتابة والخطابة بمسجد أكادير، إضافة إلى القضاء بين الناس في الشرعيات. وبقي هنالك إلى أن مات الحاج الحسن الكيلولي، حيث انتقل إلى مدرسة عبد الرحمان بأيت تامر. ومن هنالك استُدعي ليكون قائداً لقبيلة من غير أن يحلم بذلك. وبعد موت عبد المالك الإنزگاني عين باشا أكادير حوالي سنة 1930 / 1931. وكان حكمه حكماً مزاجياً حسب ما يذكره الناس، واستمر في مهمته إلى أن أصابه مرض نقل على إثره إلى مراكش حيث توفي ونقل جثمانه إلى مقبرة سيدي سعيد للدراركة بناوحي أكادير وذلك حوالي 1934 / 1944.

م. المختار السوسي، خلال جزولة، ج. 1، تطوان، د. ت. ص. 38.

40. 39 : الرواية الشفوية، عن محمد مونيبي موظف سام بعمالة أكادير.

محمد حنداين

**تامزوشنت**، موقع فلاحي خصب من بلاد مطالسة

القريبة من دريوش بإقليم الناظور، محاذية لرافد صغير يصب في وادي كرت، على مقربة من الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة. فيه ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن الحسين.

يحد تامزوشنت من الجنوب موقع فلاحي آخر يدعى بُويرقان (أي الحنازير) وكان الراحلون من بني توزين يتخذونها عزيزاً لهم حتى أصبحوا يشاركون المطالسة في امتلاك حقولها.

من جملة من سكنها من بني توزين : الحاج ميمون بن الطاهر بن الحاج عمرو، والد العالم التوزاني الحاج محمد الذي أقام فيها رداً من الزمن بعد عودته من فاس (راجع ترجمته لاحقاً) وقد تفرعت أملاك الحاج ميمون فيها إلى ثلاثة فروع تقاسمها أولاده من بعده.

مزروعاتها الأساسية : الحبوب، خاصة القمح والشعير والخرطال... وبعد الحصاد تتحول إلى مراعى للحيوانات.

رسوم عقارية : روايات شفوية : معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

**تامساسگ**، مرسى بشاطئ قبيلة متيوية البحر على

البحر المتوسط حيث تصب مياه نهري تاگموت وسيدي الفتوح بالقرب من رأس تاگموت. وتعرف هذه المرسى عند الإسبان باسم Ensenada de los Traidores أي مرسى الغدائرة، وسبب ذلك أن قراصنة قرية الجبهة كانوا يختبئون بالمرسى المذكورة للالتقاض على السفن العدو الأجنبي.

A. Domenech, *Apuntes ...*, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes ...*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم



**تامسكُرت**، لفظة مبنها أمازيغي، لا نجزم بمعناها. ويسمىها أحمد بلقاسم الزياني تاسكارت (تاريخ خنيفرة، 32) وهي مدشر يقع جنوب غربي مدينة خنيفرة، على بعد حوالي ثمانية كلم منها على الضفة اليمنى لواد أم الربيع، ضمن قبيلة زيان من صنهاجة الظل (أيت أُمالو).

ولعل نشأة هذا المدشر، أو توسعه على الأقل، يرتبط بانتقال الشيخ الكبير بن امحمد ابن ناصر الدرعي إليه. فعلى إثر وفاة الشيخ امحمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674، وتصدر خليفته أحمد لشؤون زاوية تامكروت، غادر محمد الكبير درعة. فألقى عصا التسيار بتامسكرت، حيث أسس زاوية ناصرية. ( الدرعة الجليلية، 80.74؛ البستان الظريف، 30.32.36) ويظهر أن أتباعه قد كثروا بمجرد استقراره بها. ولعل ذلك راجع كذلك إلى كون تامسكرت إحدى منازل الناصريين في الطريق الواصلة بين درعة وفاس. وذلك أنه يوجد غير بعيد منها مدشر أرگو، وبه مريدون ناصريون أخذوا عن الشيخ امحمد ابن ناصر قبل ذلك الأوان (رسائل الشيخ ابن ناصر). وقد استقطبت تامسكرت، بدورها، عدداً كبيراً من سكان المنطقة. فتعددت أتباعها حتى أثار ذلك انتباه السلطان، الشيء الذي اضطره إلى استخدام شيخها إلى مكناس واختياره ( الدرعة الجليلية، 74). ولعل هذا الاختيار الذي لم يكن يخلو من ضغط على الشيخ الناصري، كانت من ورائه توجهات سياسية، ذلك أن تامسكرت تقع في مجال صنهاجة الأطلس الذين شكلوا أحد مشاغل السلطان الكبير (16 - 14) (De La Chapelle).

بالإضافة إلى ذلك فقد وجدت علاقات وثيقة بين شيخ الناصريين هناك. وبين أحد حفدة الدلائيين. في هذا الإطار يشير محمد المكي الناصري إلى مراسلة بين الشخصين يواسي فيها محمد الكبير صديقه الشرقي بن أبي بكر الدلائي في المصاب الذي كان ألم بالزاوية الدلائية (الروض الزاهر، 116). لذلك قد يرجع ضغط السلطان على شيخ تامسكرت إلى تخوف هذا الأخير من تكرار تجرمة الدلائيين، خاصة وأن ذكريات ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي كانت ما تزال عالقة بالأذهان. كما لا يستبعد أن السلطان كان يحاول استمالة زاوية تامسكرت لخدمة أغراضه السياسية في المنطقة، وذلك غير بعيد لأنه يدخل في إطار سياسة السلطان العامة إزاء الزوايا (مقدمة تحقيق الدرعة الجليلية، 76.75). وقد ظلت تامسكرت قائمة كزاوية ناصرية حتى بعد وفاة شيخها محمد الكبير في 29 صفر 1126 / 1714 ( الدرعة الجليلية، 78). وقد بنى ابنه محمد على قبره ضريحاً صار مقصوداً بالزيارة من طرف سكان تلك الجهات.

قامت زاوية تامسكُرت بأدوارها في المنطقة، كإطعام الطعام ونشر تعاليم الإسلام والثقافة العربية، كما أسهمت في فض بعض النزاعات والتحكيم في الخلافات التي كانت تنشب باستمرار في وسط تميز بعدم الاستقرار لأن معظم سكانه كانوا يعيشون حياة التنقل والرعي. بالإضافة إلى

وقوع المنطقة في مجال تنقل القبائل بين مراعي الصيف في الأعلى ومراعي الشتاء في البساتن (تاريخ خنيفرة، 18). ولعل تامسكُرت غدت ذات قيمة روحية لدى الناصريين أنفسهم. فحين توفي الشيخ موسى الناصري بزاوية الفيض (زاوية الشيخ) "حمل بعد موته من الزاوية المذكورة" ليدفن بتامسكرت ( الدرعة الجليلية، 135) و"صلى عليه كثير من الخلق لا يحصي عددهم إلا الله" ( الدرعة الجليلية، 135) كما دفن بها كذلك أخوه أحمد ابن محمد الكبير (نفس المصدر، 182).

ولا يرد ذكر تامسكُرت في المصادر حتى بداية القرن العشرين؛ حيث يشير إليها أحمد بن قاسم الزياني، قائلاً: "تاسكارت، يمين خنيفرة، وهي مداشر يسكنها شرفاء علويون، فإنهم يتخذون البساتين على مائهم، فتصلح عندهم الفواكه كالإجاص والتفاح والمشمش والخوخ..". (تاريخ خنيفرة، 32.34) أي أنها كانت تشكل تجمعاً سكنياً مزدهراً، ذا بساتين غناء، يكثر بها الخصب والنماء.

وصنفت تامسكُرت حسب إحصاء سنة 1936 كقصر بلغ عدد سكانه أربعة ومائة نسمة، مما يدل على أنها قد اعتورها الاضمحلال، وهو ما رأيناه بادياً للعيان اليوم.

م. الدرعي، الرسائل: م. المكي الناصري، الدرر المرصعة: الروض الزاهر: م. الخليفتي، الدرعة الجليلية: أ. الزياني، البستان الظريف: أ.ح. الناصري، طلعة المشتري: أ. الزياني، تاريخ بلدة خنيفرة، تج. محمد أمحزون، الدار البيضاء، 1986.

De La Chapelle, Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères sanhaja: Répertoire alphabétique.  
أحمد عمالك

**تامسنا**، منطقة اقترن اسمها في كتب تاريخ المغرب الوسيط بإمارة برغواطة، جعل هذا الاقتران بعض الدارسين يجعلون منطقة تامسنا مطابقة لإمارة برغواطة التي تأسست سنة 123 / 41 - 742 حسب ما جاء في الاستبصار (ص. 197) وعرفت فترات من التوسع والتقلص، فقد وصل مجالها الترابي أحياناً إلى طنجة شمالاً ووادي تانسيفت جنوباً.

أما تامسنا كعلم جغرافي فلا يرتبط في كل العصور بإمارة برغواطة بل تعاقبت عليه قبائل أخرى قبلها وبعدها. تامسنا اسم بربري أُطلق على المنطقة كما أُطلق نفس الاسم، (بصيغة المذكر) وغير بعيد عن المنطقة، على إحدى البحيرات (أمسنا). وتعني راحة اليد وماشابهها من بسيط الأرض. ونجد نفس الكلمة اليوم لكن بصيغة التصغير تطلق على قرية في السهل الصغير لوادي نكوروغيس في الريف الشرقي = تامسنيت. ولعل الاسم أخذ من المنبسط الصغير الذي يجري فيها النهران. لم تذكر المصادر العربية الأولى التي تحدثت عن المغرب المنطقة باسمها بل صنفتها ضمن المغرب. وكلمة المغرب آنذاك أطلقت على المنطقة الممتدة من شمال دَرَن (الأطلس الكبير) إلى عمر تازا ثم المحيط الأطلسي - (العبر، 6: 174) وعند بعضهم السوس

الأدنى (ابن الفقيه ضمن نشرة حاج صادق، صفة المغرب، 40. 30) وبعد العصر الوسيط صنفها آخرون كصاحب الاستقصا وابن زيدان في العز والصلوة ضمن الحوز وأحيانا الحوز نفسه. على أن الحسن الوزان في وصف إفريقيا (ص. 156 وما بعدها) هو الذي تناول المنطقة بوصف مسهب وتفصيل أكثر من غيره.

اسم تامسنا متداول منذ العصر الوسيط الأوسط إلى بداية القرن العشرين رغم التغييرات التي عرفتها المنطقة على المستوى العمراني والسياسي، فأصبح البعض يغلب لفظة الشاوية أي يستعمل اصطلاحا اقتصاديا وعمرانيا (تاريخ الضعيف، 3: 57) إلا أنه استعمال غامض لأن لفظة الشاوية المشتقة من النشاط المرتكز على رعي الشاء - لم تكن خاصة بالمنطقة، لذلك وقع خلط عند بعض الدارسين الأجانب على وجه الخصوص، إذ استعملت الكلمة أحيانا كمرادف لتامسنا. وبعض النابهين من المؤرخين والفقهاء تحدثوا بلغة أكثر وضوحا ودقة فقالوا: "أهل تامسنا" وهم يعنون كل سكان تامسنا. أو قالوا: "الشاوية أهل تامسنا" أي المشتغلون برعي الشيا من أهل تامسنا أو "عرب تامسنا" جزء من سكان تامسنا لأن في هذا البسيط غير العرب، إلى غير ذلك من التعابير.

جعل الحسن الوزان في وصف إفريقيا (ص. 156 وما بعدها) لتامسنا حدودا طبيعية هي أبو رقرق شمالا وأم الربيع جنوبا والمحيط الأطلسي غربا والأطلس المتوسط شرقا. فالمنطقة بهذا التحديد شاسعة تضم الشريط السهلي الساحلي ومعظم الهضبة الوسطى: الهضاب الداخلية (هضبة الفوسفاط وهضبة بني مسكين وقسما من سهل تادلا) (الضفة اليمنى لأم الربيع). كل هذه المنطقة كان يطلق عليها في خرائط الفترة الاستعمارية اسم الشاوية، ومركز إدارتها الدار البيضاء.

موقع تامسنا وسط المغرب، وبالذات وسط ما عرف (بالمغرب النافع)، موقع استراتيجي هام يربط ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتضاريسه وبنيتته متدرجة في الارتفاع والتعقيد من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، ويتبع هذا التدرج تدرج على مستوى المناخ والغطاء النباتي والوحش نسبيا. شكل هذا الموقع الاستراتيجي بهذه المواصفات وغيرها كخصوبة التربة وكثافة الشبكة المائية، عبر عدة قرون مصدر قوة لسكان المنطقة، وأكبر نموذج تقدمه لنا إمارة برغواطة التي عمرت أزيد من أربعة قرون (ق 2 هـ - ق 6 هـ)، أما الحسن الوزان الذي شاهد، بعض معالم تدهورها، فيذكر في معرض حديثه عن تامسنا، أنها كانت تتوفر على أزيد من أربعين مدينة وثلاثمائة قصر، ويسكنها عدد كبير من قبائل البربر وأن هذه المنطقة هي زهرة الناحية كلها (وصف إفريقيا، 1: 153).

اهتم المرابطون وبعدهم الموحدون باستئصال إمارة برغواطة نظراً إلى أهمية منطقة تامسنا الاقتصادية

والاستراتيجية الحربية، فالبرغواطيون استخدموا تضاريس المنطقة ومعطياتها الطبيعية أحسن استخدام في السلم والحرب، ففي حالة الخطر ينسحبون بأهلهم إلى أدغال الهضبة الوسطى حيث يستأنف النشاط الاقتصادي ويقوم الرجال بحاربة العدو بجميع الوسائل. ولم يتمكن الموحدون من القضاء عليهم إلا في عهد يعقوب المنصور باتباع ما يمكن تسميته عسكرياً "سياسة الأرض المحروقة"، فنتج عن ذلك إفراغ المنطقة من ساكنتها وإخراجها من دائرة الإنتاج الاقتصادي في المغرب. وربما اعتبر الخليفة الموحد مسؤولاً عن الوضعية المتدهورة التي آلت إليها تامسنا باعتباره هو نفسه (الاستقصا، 2: 205. 206) فقد جاء بالقبائل العربية وأنزلها المنطقة لإتمام مخطظه في القضاء على البرغواطيين، وحاول إعادة تعميرها واستغلالها ففشل، وفشل مشروعه الكبير في تعويض ما فقدته المنطقة من مدن وقرى، ببناء مدينة تشبه الاسكندرية هي الرباط. فلم تعمر الرباط في عهده - حتى بعد الموحدين - رغم الإغراءات المقدمة من طرفه، ولم تسترجع تامسنا نشاطها وعهدها الزاهر، فالقبائل الهلالية استمرت تعيش على غط حياتها القديم، معتمدة على التنقل والترحال والرعي لم تؤثر فيها خصوبة المنطقة ولا تغيير المجال بالنسبة لهم. هذه الفترة من تاريخ تامسنا، وهي الفترة الانتقالية ما بين إفراغها من البرغواطيين وإحلال العرب الهلاليين بها، هي التي وصف فيها الإدريسي تامسنا (نزهة المشتاق، 3: 237. 238. 239. 240. 241) فلم يشاهد إلا قرى قليلة ومدنا ومناطق معمرة في تامسنا وهي: قرية ايفيسيل (كيسر؟) وقرية أنقال وقرية مكول وفضالة وأنفا. ومن قراءتنا للإدريسي نخرج بإعجاب بالأوصاف المقدمة عن النشاط الاقتصادي من فلاحية وتصدير. ولا يخامرنا شك في أن تلك النقط المستغلة، والتي تبدو كجزر متناثرة وسط محيط من الأراضي الفارغة ما هي إلا نماذج متبقية مما كانت عليه المنطقة من قبل، ذلك المحيط الفارغ استغلته الكثير من الحيوانات التي تألف العمران، وصف الإدريسي منها ثلاثة أنواع: السلاحف العملاقة، وطيور النعام التي أعجب بكثرتها وكثرة بيضها والأسد الكثيرة التي فصل الحديث عنها وعن صيد الأهالي لها دون سلاح.

دخلت تامسنا بعد القضاء على البرغواطيين في عهد جديد لا علاقة له بالعهد السابق امتد أزيد من سبعة قرون وتم خلاله تعريب المنطقة واختلاط ساكنتها وتنوع عناصرها، فلم يعد البربر إلا قلة. فالمعطيات الطبيعية والاستراتيجية استغللت في اتجاه سلبي: فساد الرعي والترحال وكثرت عصابات قطع الطرق والصراعات القبلية: عرب ضد عرب وعرب ضد بربر - وعرب وبربر ضد عرب أو ضد بربر وهكذا...

ففي سنة 1278 / 677 هـ كثر عيث عرب جشم بتامسنا (الاستقصا، 3: 50) وفي عام 1308 / 707 هـ اجتاز السلطان المريني "ببلاد تامسنا فتلقاه بها عرب جشم من

قبائل الخلط وسفيان وبنو جابر والعاظم فاستصحبهم معه إلى مدينة أنفا، ولما احتل بأنفا دعا بأشياخهم فحضرُوا عنده فقبض على ستين منهم وأودعهم سجن أنفا وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبيل... " (الاستقصا، 3 : 107) وغلبت تلك الحال على تامسنا في القرون التالية فنجد الضعيف الذي عاش إلى عام 1193 / 1778. 1779 يقول "... ركبت البحر من سلا بقصد زيارة سيدي أبي شعيب، وفيها كان لا يقدر أحد أن يذهب لمراكش على بلاد تامسنا، وكان من جاز عليهم أكلوه ونهبوه حتى إن السلطان أطلق الإعلام أن كل من جاز على الشاوية فلا يلوم إلا نفسه..." (تاريخ الضعيف، 3 : 57).

هذه أمثلة متباعدة سقناها قصداً لتبيان ما آلت إليه منطقة تامسنا إذ أصبحت مخوفة حتى إن الأمثال أصبحت تضرب بها : "قالوا فين تامسنا قالوا احنا فيها" (أمثال مغربية) ولأخذ نظرة عن الصراعات المشار إليها، يرجع إلى الحسن الوزان الذي تتبعها بتفصيل بندر عند غيره (وصف إفريقيا، ج 1 و 2) وكذلك المصادر السعدية والعلوية.

كان فقدان تشببت السكان في الأرض وربطهم بالزراعة والتعمير في القرون الأخيرة من المشاكل المستعصية التي عرفتها منطقة تامسنا وأبقت على تهميشها بالنسبة لإمكاناتها الهائلة، فالقبائل العربية ومعها قبائل بربرية كبرى ألفت منذ العهد الموحيدي الأخير - بعد يعقوب المنصور - التذبذب والتقلب في مواقفها تجاه السلطة، كما ألفت الاضطراب والتقلب في الأرض وبث الفتق والصراعات، وستكون مهمة الحكام - مركزيين ومحليين - صعبة تجاه هؤلاء، فتارة يأخذونهم باللين وتارة بالإغراء وأخرى بالشدّة، فلم تنفع تلك الوسائل إلا جزئياً وبصفة مؤقتة تنفق وسلطاناً أو حاكماً قوين، أو مجاعة أو قحطاً يضطر معها هؤلاء للخضوع. وخير نموذج تمكن الإشارة إليه في العهدين السعدي والعلوي هو عهد أحمد المنصور الذهبي، ومولاي إسماعيل. فالأول ضاق درعاً بسلك قبيلة الخلط، فنقل جزءاً منهم إلى أزغار (الغرب) وأبقى على جزء منهم في الرعية وأدخل نصفهم في الجندية، لقاء الدور الذي قاموا به في معركة وادي المخارن. لكن هؤلاء لم يستقيموا فكثرت عيشتهم في البلاد وتناولت أيديهم على قبائل أخرى فانتقم منهم المنصور السعدي شر انتقام إذ شتتهم في المغرب والسودان وأفرغ المنطقة منهم. ونفس السياسة اتبعها المولى إسماعيل مع الخلط ومع غيرهم، خاصة تحرك القبائل البربرية وقبائل معقل باتجاه السهول الغربية ومنها تامسنا، فنجحت سياسة الملكين جزئياً، لكن بعد وفاتهما عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه، فقد استمر زحف القبائل الأطلسية نحو السهول الغربية حتى أصبحت ساكنة الهضبة الوسطى من تامسنا تحتلها قبائل من معقل (زعير) وقبائل بربرية (بني ورا).

استرجعت تامسنا نشاطها الاقتصادي تدرجياً منذ العهد العلوي إذ تقاربت فترات الاستقرار والأمن وتنوعت

ساكنة تامسنا وامتزجت القبائل العربية (هلالية ومعلبية) بقبائل بربرية (زناتية ومصمودية وصنهاجية). ففي الفترات المناخية الجيدة يكون الانتاج الفلاحي وفيراً، فكانت تامسنا، حسب ما يتوفر لنا من إشارات تاريخية ترجع إلى القرن الثاني عشر (18 م)، مقصداً للتجار وسفن الأجانب بحثاً عن المنتجات الفلاحية التي في مقدمتها القمح. فاستعادت موانئ أنفا وفضالة وسلا / الرباط وأزمور نشاطها التصديري، فعبّر هذه المراسي كانت تامسنا تصدر إنتاجها وغلاتها. ويمكن أن نقول عن هذه الفترة إن تامسنا عادت لتكون هري المغرب ومخزنه للحبوب، وقد تعزز هذا النشاط وتجذّر في الفترة الاستعمارية، إذ كانت تامسنا سباقاً إلى إدخال التقنيات الزراعية الحديثة وسجلت أرقاماً قياسية في الإنتاج والمردودية، وازداد نمو قطاع زراعة الحبوب بها إلى جانب قطاعات أخرى بعد الاستقلال. إلا أن انتاج الحبوب (القمح، الشعير، الذرة) والقطناني يأتي في الدرجة الأولى وعلى المستوى الوطني.

أ. ابن الفقيه، كتاب المسالك في معرفة الممالك، مقتطفات منه

نشرها وترجمها حاج صادق تحت عنوان صفة المغرب واروبا إلى القرن 3 هـ / 9 م، 1949 : أ. البكري، المغرب : ش. الإدريسي، نزهة المشتاق : مجهول، الاستبصار : ي. التادلي، التشوف : ع. ابن خلدون، العبر : ح. الوزان، وصف إفريقيا : م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة : أ. الناصري، الاستقصا : ع. ابن زيدان، إتحاف : العز والصلوة.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*; J. Lècoz, *Le Rharb - fellahs et colons*; J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*.

محمد حجاج الطويل

**تامسوقت**، أي السوق باللسان الصنهاجي، من المعروف أن أي تجمع بشري سواء أكان بلدة كبيرة أم صغيرة تكون له عادة وظائفه الذاتية والأساسية لتأمين ما يستطيع تقديمه من الخدمات. هنا نسجل بأن نتائج المسح الميداني الأولي لقرية تبيغمرت حيث موقع نول لمطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) بوادي نون قد كشفت عن الدور المحوري للسوق المركزي المسمى حالياً تامسوقت (انظر مادتي تبيغمرت وأسرى بالمعلمة). فعلاوة عن كون كلمة تامسوقت تفيده باللغة الإزناكية (الصنهاجية) اسم السوق، فإن التوزيع المكاني يظهر الدور المحوري لهذا المحي التجاري من خلال تصدده الامتداد الفعلي لتبيغمرت. يظهر دور هذا السوق من خلال طوله الممتد كشارع تجاري رئيسي ينتهي كل دكان منه بدار للسكن. يظهر ترتيب هذا الشارع من خلال خريطة تبيغمرت كمجموعة أساسية سكنية تتفرع عن دكاكين قديمة متراسة تربط الاستيطان المستقر بالتجارة. من هنا يبدو واضحاً وجود علاقة سببية بين حجم حي تامسوقت وباقي الأحياء متيحة فرصة النظر إلى تبيغمرت مرة واحدة في الخريطة. على أساس هذه العلاقة العضوية، فإن أي زيادة في عدد الدكاكين يعتبر رهيناً بإمكانية توفر المجال اللازم الذي يمكن توظيفه في عملية

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20  
ماي 1926.

*Nomenclator cabilas, 1953 ; Martinez Campos, España belica.*

محمد ابن عزوز حكيم

**تامصلوحت**، مركز وزاوية بدائرة تاحناوت جنوبي  
مراكش على بعد اثنين وعشرين كيلومترا منها. وتحمل هذا  
الاسم اليوم جماعة قروية مساحتها 282 كلم<sup>2</sup> وسكانها  
16.057 ن (1982). تنتشر أراضيها فوق سهل الحوز جنوبي  
مراكش ومخروطي وادي نفيس وغيغاية. تتلقى حوالي 250  
ملم من الأمطار في السنة لكنها تستفيد من مياه خطارات  
تاريخية عديدة تقع جنوبها ومن فيض بعض المسيلات  
والوديان أهمها غيغاية، كما تستفيد من الضخ  
الميكانيكي. ورغم قربها من مراكش فإن التمليك القديم  
للزاوية وورثتها حال دون توسيع الملكية بأراضيها الزراعية.  
تشتهر تامصلوحت ببساتين الزيتون التي كانت تستفيد  
من مياه السقي من وادي غيغاية ومن الخطارات وعمل  
الخماسة. تعطي إنتاجا جيدا من الحبوب إن كانت الأمطار  
كافية، وتكون أراضيها، خاصة تلال سكتانة ومخروطي  
الواديين، مراعي واسعة للمواشي الصغيرة. وكان قطع  
الغنم لمولاي الحاج الأمغاري يضرب به المثل في الكثرة  
والنمو بالحوز، لكن البنية العقارية القديمة التي جعلت  
حوالي عشرة آلاف هكتار بها ستون ألف شجرة زيتون تمتد  
على مسافة أربعة كلم وصعوبة تقسيمها بين الورثة وفقدتها  
لنصيبها من مياه وادي غيغاية التي حولت لصالح أراضي  
الاستعمار بأغواطيم أدى إلى بوار البساتين وتراجع  
إنتاجها. كما أن سنوات الجفاف المتوالية قضت على قطعان  
الأغنام الكبيرة وقلصت إنتاج الحبوب. وتجري حاليا محاولة  
من طرف ورثة أيت أمغار لتجديد أساليب الاستغلال  
والقيام بزراعات جديدة كقصب السكر والخضر وتكوين  
تعاونيات زراعية.

اشتهر مركز تامصلوحت بزواية يرجع تاريخ إنشائها إلى  
عام 934 / 1528م عندما أسسها المولى عبد الله بن حسين  
الأمغاري قصد إحياء الأرض وإصلاح شؤونها الفلاحية  
والاجتماعية، ومن هنا أتى اسمها تامصلوحت فهو صيغة  
بربرية لكلمة المصلوحة العربية والراجع أن معناها : الأرض  
التي يصلح بها الزرع. وهناك من يكتبها "تمسلوحت"  
وتعني الأرض المنخفضة المستوية، أو تامشلوحت أي بلدة  
تعيش نمط حياة الشلوح. وقد عبأ المرابط المذكور السكان  
لخدمة أراضي الزاوية مقابل منحهم ثلث إنتاجها. ولقيت  
الزاوية دعما من الملوك لدرورها الاقتصادية والسياسي  
خاصة أحمد المنصور الذهبي الذي سهل عملية توسيع  
أملكها ونفوذها مما جعلها تكسب رصيذا اقتصاديا هاما  
ووصلت إلى قمة ازدهارها في آخر القرن الثالث عشر  
(19م) في عهد مولاي الحاج شيخها، وتحولت منشأة الزاوية  
خلال تطورها إلى مركز عمراني يتكون من قصر محصن

توسيع السوق. كما أن العامل الأساسي المحدد لهذه  
الامكانية هو تصد تاسموقت لباقي الأحياء المجاورة في  
تخطيط تصعب معه الزيادة في حجم السوق. مهما يكن  
فإن المنسح الميداني الأولي أشار إلى أن القصباء المجاورة  
للحي التجاري والمكونة لقسط أساسي من نول لمطة تحتوي  
على عدد من الخدمات قد يتعدى بقليل مجال خدماتها  
سكان القصباء نفسها. في حين أن الأهمية المطلقة لتبغمرت  
في وظائفها التجارية التي يمكن ترتيبها في مرتبة أعلى  
في سلم الخدمات التجارية. هنا ندرك أن ارتباط معمل سك  
الدينار المرابطي (انظر مادة تبشيشت بالمعلمة) بالحي  
التجاري جاء لدور تاسموقت كقطب تجاري أولي متميز من  
بين معالم نول لمطة الممتدة يومها على مراحل طويلة حوالي  
ضفتي وادي نون.

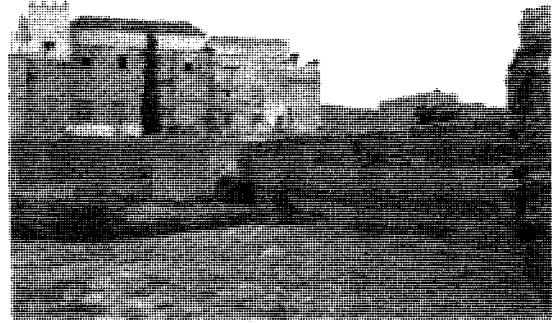
تاسموقت اليوم عبارة عن مجموعة من بيوت السكن  
المتراصة والمتلاصقة وهي موجهة إلى الداخل (فتحاتها  
الواسعة داخل البيت والفتحات الخارجية إن وحدث لا  
تتعدى الباب الرئيسي) مبنية من قوالب الطين المخلوط  
بالتبن ويدور أرضي في الغالب. معظم طرقاتها ضيقة  
متعرجة ومغلقة في نهايتها. كانت دكاكين الحي تمثل شكلا  
نموذجيا لتسلم وبيع مختلف السلع. فتركيبه المورفولوجي  
ما يزال يشهد على تناسق أحجام الدكاكين المصطفة بجوار  
أحد روافد وادي نون. كما أن شارع الحي الرئيسي واسع  
وشبه مستقيم ينتهي في ساحة واسعة فيها المسجد ومكان  
السوق الأسبوعي. ومن خلال سوق الخميس الأسبوعي  
يتميز الحي عن باقي تبغمرت بوضوح أكثر، لقد كان الماء  
متوفرا خلال القرون الثمانية الأولى للإسلام بهذه المنطقة  
الجافة. وبالرغم من أن هذه الوفرة تعد نسبة فالما يبدو  
يومها عنصرا إنتاجيا متوفرا وغير نادر. فهو يرتبط بمجزرة  
السوق وبالحي المتخصص في إنتاج جلود اللطم المميزة  
لبنية نول لمطة الصناعية. لاثبات صحة هذه الفرضية يتعين  
على علماء الآثار أن يوجهوا اهتماماتهم إلى أرجاء هذا  
الحي. ذلك أن الكشف عن المميزات الخاصة لكل منزل بحي  
تاسموقت يبين أنه يتألف من أقسام متباينة منها ما كان  
صالحا للسكن ومنها ما كان يشخص دور المعمل الصغير  
المرتبط مباشرة بدكان مظل على الشارع الرئيسي. هذه  
الصورة رغم عدم وضوحها في الواقع الراهن للأبحاث تجعل  
من هذا الحي حيا تجاريا ومهني للخدمات التي هي بنية  
نول لمطة التجارية والاقتصادية.

M. Naïmi, Nul Lamta, Tableaux édifiants, étude inédite.

مصطفى ناعمي

**تاسمينت**، قرية تقع بفرقة إمرابطين من قبيلة بني  
ورياغل (إقليم الحسيمة)؛ وإلى هذه القرية نفي بطل  
المقاومة المسلحة المغربية بناحية جباله والهبط وغمارة  
الشريف مولاي أحمد الريسوني عندما ألقى الأمير الخطابي  
القبض عليه بتازروت، وقد توفي الريسوني بالقرية المذكورة  
يوم 9 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925.

ومساكن الشرفاء ومسجد ومدرسة دينية وملجأ لإيواء المعوزين واللاجئين.



وفي بداية الاستعمار كانت تامصلوحت بلدة صغيرة تنطوي على عمارة تدينية تقليدية تتمثل في تجهيزات أساسية من مساجد وسقايات وأفرنة وحمامات وسويقة وأنشطة غير فلاحية : من فخار ونسيج ومعاصر زيتون، إلا أنها عرفت جمودا بسبب سياسة التهميش التي سلكها الاستعمار تجاه المراكز الدينية ولموقفه من أيت أمغار الذين طلبوا الحماية الإنجليزية، ولوضعيتها العقارية الشبه إقطاعية.

ولم تتغير هذه الوضعية كثيرا في السنوات الأولى للاستقلال ولم تحظ بمؤسسات إدارية واجتماعية واقتصادية جديدة إلا في عقد الثمانينات عند تطبيق اللامركزية وتدعيم تدين بعض المراكز القروية. وكانت تتميز بمنظر حضري يتجلى في كثافة نسيجها العمراني وانقسامها إلى دروب وأحياء تعرف بالحومات. وأحصيت سنة 1982 كمجموعة دواوير هي :

تامصلوحت الزاوية	سكانها	نسمة
حومة القصري	1071	"
حومة تخرين	628	"
حومة البيسر	1195	"

فهي تتكون من سبع حومات تقطعها زنقة رئيسية تسمى شارع المسيرة تنطلق من ساحة الضريح بوسط المركز إلى ساحة المحطة التي تحولت إلى ساحة عمومية جديدة بني حولها حي إداري يتكون من مساكن الموظفين ومنشآت إدارية : قيادة دار الجماعة القروية ومعرض تعاونية حرفية ومدرسة ومنشآت أخرى تابعة لمختلف الوزارات. تتخلل الأحياء دروب مسدودة ملتوية. ويلاحظ بالمركز وجود عدد كبير من المنازل القديمة والمتهدمة بسبب هجرة ذويها أو امتلاكها من طرف ورثة لايعتنون بها، وهي كلها مبنية بالتراب المدكوك الهش. ومازالت المنشآت الخدمانية التقليدية بارزة تؤدي دورها : ستة أفرنة، ثلاثة حمامات، اثنا عشر مسجدا، تسع قباب لأضرحة أولياء أيت أمغار، بالإضافة إلى المنشأة الكبرى وهي ضريح مولاي عبد الله ابن حساين الذي يحظى بزيارات دائمة. ويقام بتامصلوحت موسم ديني سنوي يفد إليه الزوار من مراكش والحوز والأطلس الكبير الغربي. وجل المنازل التقليدية من طابق

أرضي يتوفر على بئر ومطمورة المياه المستعملة، ومازال بها بعض الملاكين العقاريين والكثير من الحرفيين يمارسون أنشطتهم في مشاغلهم العتيقة وهي خمسون فرنا لصنع الفخار بهوامشها يعمل بها مائة واثنان عشر حرفيا، ومشاغل لنسج الأغشية الصوفية التي اندثرت ولم يبق منها سوى عشرة يعمل بها ثلاثون حرفيا يسعون لتحويل الإنتاج إلى الاستهلاك السياحي في إطار تعاونية حديثة للنسيج. وهناك ثلاثة وعشرون معصرة تقليدية للزيتون بالإضافة إلى أربع معاصر حديثة يعمل بها موسميا مائة وخمسون شخصا وست مطاحن للحبوب.

تتوفر تامصلوحت على سويقة دائمة بساحة الضريح وعدد من الدكاكين بمختلف الأحياء. ينعقد بها سوق أسبوعي يوم الجمعة، وقد انتقل من حومة السوق وسط البلدة إلى موقع قرب المحطة خارج البلدة، وهو يعرف رواجا محليا لا بأس به : يزود السكان بالحاجيات اليومية وبيع به بعض المصنوعات التقليدية خاصة الفخار وفائض الحبوب والاعناب في السنوات الممطرة. ومن التجهيزات الأساسية التي حظيت بها البلدة ربطها بالشبكة الكهربائية سنة 1963 وإنشاء شبكة للماء الشروب تزود السوق والحي الإداري وسبع سقايات، لكن هذه المنشآت لم تنفذ تامصلوحت من الركون الاقتصادي والاجتماعي والتهميش، ويرجع ذلك إلى قرب مدينة مراكش التي تجتذب الشباب للعمل إما في حالة الاستقرار أو حالة الترقص اليومي.

وخلاصة القول إن تامصلوحت لم تبق مدينة تقليدية ولم ترق إلى مستوى مركز حضري حديث، ومازال تسعى للتخلص من قيود الماضي وتبحث عن دور في ضاحية مراكش.

أبحث ميداني.

أحمد هوزالي

**التامصلوحتي، أحمد الغزواني، أبو العباس، من رجال التصوف، أصله من تامصلوحت، الزاوية المشهورة، الواقعة جنوبي مدينة مراكش. انتقل إلى قرية ابزو في وقت مبكر من عمره، واستقر بها.**

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، صاحب زاوية تامكروت. وقد عدّه صاحب الدرّة الجليلية (ص. 274) "من أجل تلامذة الشيخ أبي العباس ابن ناصر".

اشتهر أحمد التامصلوحتي بالزهد والتقوى والكرم، بالإضافة إلى شرف نسبه. فكان حسن الأخلاق، موطأ الأكناف، كثير المحبة لأهل النسبة وطلبة العلم، مجتهداً في دينه، ملتزماً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالرغم من أن الخليفة الذي ترجم له، لم يذكر تاريخ وفاته، فمن الممكن أنه توفي قبل عام 1182 هـ / 1768 أي قبل وفاة والد المؤلف، لأن هذا الأخير نقل الترجمة عن تحفة الأسرار الذي صنّفه والده. وما يزال مشهد التامصلوحتي معروفا إلى اليوم، بقرية أغبالو جنوبي غربي ابزو.

م. الخليفتي، الدرّة الجليلية في مناقب الخليفة، تح. أحمد عمالك،  
1986 : التحري الميداني.

أحمد عمالك

**تامعروفات**، قرية صغيرة لعبت أدواراً اقتصادية وسياسية مهمة بالنسبة لمحيطها. تقع في الجنوب الشرقي من وهدة تازخارت على بعد ثلاثة وخمسين كيلومتراً جنوب مدينة ورزازات على ضفاف أحد روافد أسيف نايت داوود أزكمرزي، ويقطن بها حسب إحصاء 1982 حوالي 475 نسمة ينتمون في غالبيتهم إلى قبيلة زناكة فخذة أيت ولن. تحملت قرية تامعروفات أعباء قيادة قبيلة زناكة في أشخاص عديد من المشايخ الذين انتخبوا منها، كما كانت مركزاً اقتصادياً مهماً لقبيلة زناكة وللقبائل المجاورة. ومما كان يسهل قدوم القبائل الأخرى للسوق وجوده في أقصى المنطقة الشمالية الشرقية من مجال قبيلة زناكة الشيء الذي جعله أكثر انفتاحاً وقرباً من قرى قبائل أيت أحمدني وأيت دوسن وأيت عمرو. إلا أن إشعاع سوق تامعروفات تراجع في الآونة الأخيرة بفعل الأهمية المتزايدة التي أُعطيت لسوق تازناخت ونتيجة كذلك لخلق أسواق أخرى جديدة بالمنطقة كخميس كركدة.

دراسة ميدانية.

أحمد توفيق الزيني

**تامغارت**، كلمة أمازيغية مفردة جمعها تيمغارين وتعني لغة "المرأة" كما تعني الكبيرة والعظيمة "ولا يطلق أمغار" بمعنى الكبير والعظيم إلا على من تولّى مشيخة القبيلة. ولعل هذا اللفظ الذي يحمل معنى تعظيم المرأة يرجع إلى عهد أميسي في حياة البربر حيث كانت المرأة هي صاحبة الدور الأخطر في المجتمع. وماتزال وظائفها في ذلك المجتمع تستحق الإكبار، فهي :

- تتكيف مع طبيعتها القاسية طفلة فشابة فامرأة ثم مسنة، وتقاوم الحرارة والظماً والجفاف مقاومتها للبرد القارس.

- تكون والدة مربية تلقن صغارها الحنان والصمود والصبر على شظف العيش ونكران الذات والدوؤ عن القيم الدينية والخلقية والوطنية والانسانية وتزودهم بثقافتها الشفوية.

- تحرث وتحصد وتحطب وتغزل وتنسج وتطحن الزرع قبل وصول الطاحون العصري، وتطحن حالياً اللوز وثمار أركان وترمم سطوح بيتها شتاء وترعى غنمها إذا اقتضى الحال متحدية ظروفها القاسية تلك بالزغردة والصيحة وبأصوات شعرية معبرة كشاعرة مبدعة أو حافظة مردهة.

- يؤولها تكوينها الاجتماعي لأن تتعاون مع غيرها فيما يسمى بـ"تيريزي" العمل الجماعي التطوعي في الحرث والحصاد وسقي التربة للبناء والمساعدة في الطهي لموكب الزفاف، وفي جلب الحطب لأهل العروسين وفي التقاط ثمار اللوز وثمار أركان وكسره وما يتبع ذلك من مراحل جد

شاقة للوصول إلى عصيره أملو فزيت أركان إضافة إلى جلب الحشائش في فصل الربيع قصد خزنها للماشية كغذاء لها في باقي الفصول.

- تصنع الزرابي والملابس الصوفية حيث تتجلى مهارتها الإبداعية وروعة فنونها التشكيلية وإن لم تعرف للمدرسة باباً.

- لعبت دوراً هاماً أثناء المقاومة الشعبية للزحف الاستعماري في الجنوب، حيث كانت تشحن البندقية الثانية عندما يكون المقاتل صاعداً للبرج ليفرغ البندقية الأولى، وكانت تحمل المؤونة ليلاً إلى أعالي الجبال ودخل الخنادق وتشجع بالزغردة والصيحة وتلطف الهارب بالحناء ليكون مميّزاً كي يحاكم من طرف الجماعة، إضافة إلى كونها تعتبر ممرضة مقتدرة تضمد الجراح وتتقن التداوي بالأعشاب. ولنا على سبيل المثال معركة أيت عبد الله (1928 . 1934) بقيادة الحاج عبد الله زاكور، وهي من أشهر معارك الجنوب ما زال العديد من مقاتليها على قيد الحياة يتحدثون عن دور (تامغارت) المرأة وهو دور كان موازياً لدور الرجل. وبالتالي لم يتعرف عليها إلا مجتمعها الذي أطلق عليها اسم (تامغارت) أي الكبيرة والعظيمة. ليلازمها من لحظة زواجها كمسؤولة إلى لحظة وفاتها.

تحريّر ميداني في جنوب المغرب.

**تامغرا**، معناه حفل الزفاف. واشتقاقها من فعل مقور الذي تعني الكبر والإكبار. تتنوع طقوس تامغرا بتنوع جهات المغرب، وميدان البحث الذي أخذنا منه معلوماتنا هو بلد إغرم بالأطلس الصغير جنوب المغرب.

يعتقد الأبوان أن من واجبهما وحقهما اختيار زوجة لابنهما وأنه لا حق للابن في الاعتراض على اختيارها، وهم يراعون في ذلك تقديم مصلحة العائلة المجتمعة كمؤسسة إنتاج تحتاج إلى أيدٍ عاملة. غير أن تغلغل الأفكار الإسلامية أدى إلى تليين هذه العوائد المتعلقة بالإكراه سواء بالنسبة للولد أو للبت.

تتم خطبة موقته بطلب يتم بزيارة الخاطبين للمخطوب عندهم، ويتوج القبول بقراءة سورة الفاتحة، حتى صارت كلمة "الفاتحة" مرادفاً لإمضاء صفقة. وهدية الخطبة التقليدية قبل اليوم هي في العادة خروف وتمر وحناء. وعلى أسرة الخاطب تجديد الهدية كل عيد إلى أن يتم العرس.

أما العرس فيتقدمه جمع نساء القرية وفتياتها في خدمة تطوعية يجمعن فيها اللوازم المجانية للعرس كالحطب والماء ويقمن بخدمات، منها تهييب الحنطة وتنقيتها، ويسمى ذلك اليوم بيوم أفران أي "الحنقية"، ولا تتم تلك الأشغال في صمت بل يضيء عليها طابع الطقوس بتريدي أشعار موروثية معروفة تسمى "ناسوغالت".

وفي ليلة الزفاف تجتمع الجماعة الممثلة لأهل العريس ووفد جماعة أهل العروس ويتناولون عشاء العرس الذي يختم بدعاء الإمام ويسمى عادةً "الفاتحة"، إذ يقوم وفد

الجماعة مقام الشهود، ولكن كتب العقود دخل إلى كل الجهات منذ قرون وإن لم يكن عاما.

ويتخلل جو اللقاء بين أهل العروس الذين تقرأ عنهم "الفاحة" ووفد أهل العريس القادم لأخذ العروس تبادل العبارات المتضمنة للتبريك من جهة وللعنف اللفظي من جهة أخرى حيث يهدد أهل العروس بالإكثار من الضيوف مثلا ويلمح أهل العريس إلى أنهم يطالبون "بالأمانة" تعبيراً عن بضاعة مودعة يريدها صاحبها وأن الأمر يوشك أن يشبه امتحاناً لهم.

وقد يكون لفظ طلب الخطبة الرسمية بحضور المحتفلين بأن يقول والي العروس لوالي العريس ما ترجمته: "جئت أطلب بنتك فلاتة لابني فلان على سنة الله ورسوله" فيجيب المخاطب: "طلبك مقبول بشرط أن يعلمها ابنك ما لا تعلمه من أمور دينها".

وإذا حضر شاهداً عدل رسميان فقد يتوجهان بالسؤال إلى العروس عن رضاها، وهذا نادر في القديم. وينص على مبلغ الصداق أمام العدلين أو أمام المسجد، وهو في الجملة قدر لا غلو فيه، ثم تذكر التجهيزات التي ستنقلها العروس، وإذا كان الكتب كتبت.

يذهب الوفدان بالعروس بعد أن تهيأ في مراسم تقوم بها النساء، ويراعى في الوقت أن تصل إلى بيت العريس قبل الفجر. وتكون معها أمتعتها المسماة بـ"أكريس" أي المحزوم حتى ولو كانت صناديق.

ومن العوائد أن تبدي العروس حسرة على مغادرة أهلها وتعبر عن ذلك بنحيب وعويل عند تهيئتها وعند خروجها. وتذكر في تلك الحسرة خسارة أمها في الخدمات التي كانت تعتمد عليها فيها.

ترد العروس عادة على بغلة وأمامها أحد أقاربها الفتيان. وتلبس فوق ملابسها النسوية برنوسا وعمامة بيضاء. وتودعها النساء بأناشيد مخصصة للمناسبة وعتيقة في أسلوبها وأصواتها، فيها شوق ووصايا.

ولا يخلو قطع الطريق بين دار العروس ودار العريس من طقوس تتعلق بأداء مبالغ رمزية عند اجتياز ممرات الماء، ويكون السير مشحوناً بتوتر لأن أهل العروس يعملون على تحضين العروس والدابة التي تركبها من أعمال سحرية من قبل "عدو" محتمل يتمثل في أهل العريس الخ.

وعند وصول الموكب إلى بيت العريس تقام طقوس مختلفة، وفي الأطس الكبير يحاول العروس من السطح الذي على باب دخولها أن يضربها بقصبة طويلة، بينما يعمل الأصدقاء من أهلها على أن تمر من هذا "الصراف" بدون أذى، وقيل ولوجها يطالب أعضاء الموكب بما يسمونه "العوائد" فيلقي إليهم العروس بحبات اللوز والجوز. وفي جو من اللغظ يقع التراضي والتفاوض، خصوصاً إذا طالب أهل العروس بعجل أو بقرة تملكها العروس أول ما تملك في دارها الجديدة، فيلبى طلبهم وتقطع أذن ذلك العجل أو تلك الأُرخة.

ولما كانت الأعراس في عدد من القبائل مناسبة لإظهار المزاي، فإنها في الغالب تؤدي إلى إفلاس العائلات حيث ترهن الأملاك أو تباع أو تقع الاستدانة. وفي مكث الضيوف أياً ما بدار العريس اختيار لنخوة أهل تلك الدار.

بحث ميداني.

محمد مستاوي

**تَامَغْرَاوْتْ**، اسم كان يطلق قديماً على منطقة ميسور (ملوية الوسطى)، ويطلق حالياً على مكان هناك يتبرك به الناس، ويدعى "لالة تامغراوت" يقع فوق ربوة يفوق ارتفاعها 900 متر، تُعرف محلياً بالعرغوب، ويوجد بسفحها الغربي ضريح الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري.

كانت تامغراوت في القرن العاشر (16 م) خلوة يتعبد فيه الأولياء والصالحون، كما ورد عند اليوسي على لسان محمد بن علي بن طاهر في كتاب *المحاضرات*. وتحتل موقعا ممتازا حيث تشرف على الحقول والبساتين التي تُسقى إما بمياه واد ملوية أو بمياه واد شوف شرگ. ومن الطرائف التي تذكر عن هذا المكان، أنه بالرغم من وجوده فوق أرضية رصيصية صلبة، ورغم جفاف المنطقة، فإن أرضيته شديدة الرطوبة من أثر مياه وضوء الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري ومن أتى بعده من الصالحين.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تج. م. حجي، الرباط 1976، ص. 44؛ دراسة ميدانية ومعلومات شفوية.

محمد أزهار

**تَامَقْشَرْتْ**، نوع من الأحذية الأهلية التي كانت تلبس في المناسبات وخاصة مناسبات الأعراس. كانت ترتديها العروس ليلة زفافها دون غيرها من المدعوات في المناطق الجنوبية من المغرب في حاحا والحوز وسوس. وهي في حد ذاتها لا تختلف في طريقة صناعتها عن البلغة المغربية المعروفة لكنها تكاد تكون بدون رقعة سفلى. لذلك فهي بلغة ناعمة رطبة تتخذ من جلد رقيق جداً لا تحتذى في غير المناسبات المذكورة لأنها سريعة التلف والتلاشي. ومازالت بعض المشرفات على شؤون العرائس (النكافات أو المشاطات) في مدينة مراكش تحرصن على أن تلبس عرائسهن هذا النوع من الأحذية على الرغم من غزو ملابس الأعراس الحديثة. ولا ندرى هل الكلمة أمازيغية الأصل، كما يبدو من نبرتها وكتابتها أم أنها لفظة عربية من جذر القشر والقشور أو التقشير وتحولت إلى الأمازيغية ثم إلى اللهجة الدارجة على غرار تاخرازت وتاعطارت وتابقلت وغيرها. ما نعلمه هو أنها تبدو في مظهرها الخارجي وكأنها طبقة رقيقة قشرت من الجلد المعد لصناعة البلغة أو تفسير الكتب أو غيرها كما نعلم بأن طريقة التقشير كانت من بين أشهر تقنيات صناعة الجلد في جل الحواضر المغربية. ويروي بعض العارفين بميدان الجلد من الطاعنين في السن بأن حذاء تامقشرت كان أكثر رطوبة ونعومة ودقة

من بعض التقاشير المخصصة للعجزة وبعض المرضى مما كان يلبس كجوارب تحت البلغة قبل انتشار الجوارب الحديثة في البلاد.

R. Guyot, *Les arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946; L. Chadai, *Langages d'artisans à Marrakech*, Université de Paris 4, Doctorat nouveau régime, 1986.

محمد بوسلام

**تَامِكا** (زاوية)، أو تامكة - بكاف معقودة - تقع بموضع يدعى إمي ن وَرْكَ، على الضفة اليسرى لأسيف ن حَنْصَال، على بعد حوالي ثلاثين كلم شمالي زاوية أَكْدِيم الحنصالية، وعند حدود قبيلتي أيت إِسْحَا وأيت بُوَيْكْنِيْفَن أهل تالمست، وتنتمي أراضيها لقبيلة أيت شخمان الغريين، جنوبي سد بين الودان. (Esquisse, 173 ; Répertoire, 472)

تأسست هذه الزاوية على إثر وفاة يوسف أَسْعِيد أحْصَال سنة 1732 / 1145، حيث انقسم مرابطو إْحْصَالن إلى ثلاثة فروع، من بينها فرع تامكا، الذي صنّفه دراك Drague من ضمن الفرع الثاني. وتضم زاوية تامكا بدورها خمس زوايا هي :

- زاوية أيت ويسْعَدَن عند قبيلة أيت داود أَعْلِي.
- زاوية أَسْكَار عند أيت خويا وهم فرقة من قبيلة أيت داود أَعْلِي أيضا.
- زاوية سيدي علي أْحْسَاين عند أيت وَتَرْكِي وهم أيضا فرقة من أيت داود أَعْلِي.
- زاوية سيدي عزيز بالقرب من تَكْلَفْت.
- زاوية تامكا على حدود أيت إِسْحَا وأيت بوَيْكْنِيْفَن (Drague, 181).

مؤسس هذه الزاوية هو علي أْحْسَاين الحنصالي في القرن الثاني عشر (18 م) إثر نكبة إْحْصَالن. معنى ذلك أن طائفة إْحْصَالن لم تنقرض - بالمغرب - كما زعم كل من Rinn وCoppolani وMichaux-Bellaire (المعلمة، 1 : 189).

فقد ظلت زاوية أَكْدِيم قائمة، بل تأسست فروع تابعة لها، مثل زاوية كَرْوَل قرب دمنات وزاوية تامكا وغيرها.

لكن يبدو أن تأسيس زاوية تامكا كان ناتجا عن نوع من الانشقاق أكثر مما هو راجع إلى عامل التوسع في الطائفة الحنصالية وتذكر الرواية الشفوية أن سبب الانشقاق راجع إلى الانحلال الذي طبع سلوك إْحْصَالن الصوفي، فقد كان هؤلاء يتعاطون الكلام في الحدثنان والسحر، ويجتمع مريدوهم على الذكر والسماع. والأدهى من ذلك في نظر منتقديهم أنهم أباحوا المشاركة في "أحيدوس" (الطرب الشعبي المحلي)، مع ما يؤدي إليه ذلك من اختلاط بين الرجال والنساء. وقد حرمت زاوية تامكا تلك الممارسات، واعتبرتها ضلالا يبعد عن السلوك الصوفي الصحيح. وقد ترجع أسباب الخلاف بين الزاويتين أيضا إلى أمور أخرى تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب. ورغم انسلاخ زاوية تامكا عن زاوية أَكْدِيم فإنها بقيت تقر بالانتماء إلى

مؤسس طائفة إْحْصَالن سيدي سعيد أَعْمَرُو.

وقد صارت زاوية تامكا تنافس الزاوية الأم في استقطاب المريدين والأتباع، لذلك ما أن تأسست حتى بادرت إلى نشر الطريقة بين سكان قبائل أيت شخمان ؛ لكنها سرعان ما انسلخت عن إْحْصَالن لتنضوي تحت لواء طائفة ذرقاوة التي كانت في أوج توسعها في بداية القرن الثالث عشر (19 م)، الشيء الذي أدى إلى انشطارها بدورها إلى شطرين، ففرعت عنها زاوية أَسْكَر.

وبما أن مواطن زاوية تامكا وفروعها توجد ضمن تراب قبائل أيت شخمان وأيت عطا نومالو وأيت بوزيد وأيت سري - وهي قبائل كلها تقع في منطقة اعتبرت نائية بالنسبة للعواصم - فقد تمتعت بحصانتها وتمكنت من الاستمرار، فلعبت نفس الأدوار التي دأبت الزوايا على الاضطلاع بها، كإطعام الطعام، والتوسط في النزاعات التي كانت تنشب باستمرار بين الأفراد والجماعات ؛ لا سيما وأن المنطقة كانت معبرا بالنسبة للقبائل بين الشمال والجنوب، كما أن معظم قبائل المنطقة كانت ذات نمط اقتصادي رعوي ميني على التنقلات الموسمية بالقطعان، فلعبت دورا حيويا في الحد من العنف الذي ساد أحيانا تلك الجهات، الشيء الذي دعم حركة الاستقرار وسهل تأطير السكان وتعبئتهم لمواجهة أي تدخل أجنبي.

ولم يكن المخزن يتوغل في تلك المناطق إلا قليلا، بسبب بعدها ووعورة مسالكها. أما موقف زاوية تامكا إزاء المخزن فلم يختلف عن موقف زاوية أَكْدِيم، حيث طبع بطابع الحذر، فلما عرج السلطان مولاي الحسن على منطقة إْحْصَالن سنة 1894 / 1311، أثناء قفوله من مراكش إلى تادلا لم تُبد زاوية تامكا أي رد فعل ضد الحركة السلطانية (Drague, 175). وحين زار دوفوكو وأويزغْت في شتنبر سنة 1883، لم يتحدث عن زاوية تامكا رغم قربها، مما قد يدل على أن نجمها بدأ آنذاك في الأفول - (Reconnaissance, 69-70). وبعد حوالي عشرين سنة زار دو سيغونزاك De Segonzac المنطقة، فأقام هذه المرة بزاوية أَسْكَر يومي 15 و16 يناير سنة 1904 ؛ الشيء الذي يفضي إلى الاعتقاد بأن فرع أَسْكَر قد علا شأنه أكثر من الزاوية الأم ؛ (Au cœur de l'Atlas, 40) قبل أن تصير تامكا فيما بعد مجرد مقبرة يتردد إليها سكان المنطقة من أجل زيارة الصلحاء المدفونين بها، ويعقدون بها موسما سنويا يوم ثالث شتنبر من كل سنة. ويصف دو سيغونزاك رئيسها الحسين أْتْمْكا قائلا : "هو رجل قصير بدين، على الرغم من أنه لا يفهم جيدا اللسان الدارج فقد كان يقرأ اللغة العربية بطلاقة، ويفهمها بسهولة، هذه اللغة التي كان عارفا بها. وإذا كانت معلوماته العامة واسعة، فإنها تبقى مع ذلك سطحية." (Au cœur de l'Atlas, 40)

وقد لعبت زاوية أَسْكَر التي غدت المركز الصوفي الرئيسي لزاوية تامكا، دورا مهما في مقاومة التوغل الفرنسي في تلك المنطقة، حيث تزعم رئيسها الحسين أْتْمْكا



المقاومة منذ سنة 1917. فقد قضى جل أوقاته متنقلاً بين زاوية تامكا وتگلفت وأسكر وأغبالة للتحريض على الجهاد وعقد التجمعات واختيار زعماء الجهاد. فاستطاع تنظيم مواجهات عنيفة ضد جيش الاحتلال منذ سنة 1924 (ألمعلمة، 1 : 132). وقد فشا خبره وعلاصيته حتى تجاوز المنطقة ليصل إلى تافيلالت والريف. وتحت يدنا نسخة من رسالة بعث بها المقاوم النكادي إلى الحسين أتمكا يحرضه على متابعة الجهاد، مستدلاً على ضرورة التصدي للمحتلين بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومبيناً ما ينتظر المجاهدين في سبيل الله من ثواب في الآخرة، ومعلناً تضامنه المطلق معه. كما عثرنا على نسخة من رسالة وجهها إليه المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، تتضمن أربع نقط :

- (1) يحثه على مواصلة الجهاد، ويدعوه إلى الصمود وعدم الانخداع بالعدو المهزوم لا محالة.
  - (2) يقترح عليه سبل التنظيم وتدابير شؤون أعمال الجهاد، وينبهه إلى عدم التفريط في المحافظة على السلوك الإسلامي القويم، ويصد ذلك يسدي إليه عدة نصائح.
  - (3) بصدد طلب تعيين عامل على المنطقة، يعتقد الخطابي أنه لا يوجد رجل تتوفر فيه تلك الشروط، لأن العامل في نظره "يكون دائماً في الرباط وفي القتال ولا يذهب إلى داره إلا في الأوقات اللازمة، ومهما حاد عن هاته الطريقة فالعامل معزول عندنا ولا عذر له بعد ذلك".
  - (4) يجيبه عن طلب الإعانة التي التمسها منه بإرسال "رقاص" خاص إليه للنظر في الموضوع.
- هكذا لعب رئيس زاوية أسكر الحسين أتمكا دوراً مهماً في مقاومة الفرنسيين في تلك المنطقة، حتى بعدما أنبثت مراكزهم هناك وأصبحت تحاصر القبائل غير الخاضعة (Drague, 177). فظل يحمل السلاح حتى وفاته سنة 1930، على الرغم من عدم تكافؤ قواته مع قوات الفرنسيين ذات التدريب العصري والعتاد الفتاك. وقد واصل ابنه علي، من بعده، أعمال الجهاد، حتى اضطر إلى الاستسلام سنة 1933. وبذلك يُعدُّ أيت أتمكا من أواخر مقاومي البادية المغربية (Drague, 178).

وثائق زاوية أسكر : معلمة المغرب : التحري الميداني.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas ; Répertoire* ; G. Drague, *Esquisse*.  
أحمد عمالك

**تامكروت أو تمكروت** - جغرافياً، تجمع سكني يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة وسط حوض واحة فزواطة التي تُكون مع خمس واحات أخرى (من العالية نحو السافلة : واحات مزگيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، اکتاوة ومحاميد) - شكل 1. ما يسمى بدرعة الأوسط، وهي الواحات المشهورة المكونة لوادي درعة.

تبعد تامكروت عن مدينة زاغورة بحوالي ثمانية عشر كلم، وسط منطقة ذات مناخ حار جاف صيفاً، وبارد جاف شتاءً، حيث الحرارة المفرطة خلال الصيف (معدل شهر

يوليوز : 43.6 درجة) والمنخفضة خلال الشتاء (3.3 درجة خلال شهر يناير). أما الأمطار فجدٌ ضئيلة (62 ملم / سنوياً) وهي تسقط في الغالب على شكل أمخات مطرية.

تامكروت هي مقر جماعة تامكروت التي تضم اثنين وستين قصراً وقصبة وقصراً - زاوية، بالإضافة إلى عدد من الدور المشتتة وسط الحقول.

توجد تامكروت وسط منطقة ذات فلاحية سقوية عتيقة، تعتمد أساساً على المياه الجارية بوادي درعة إضافة إلى مياه الفرشة الباطنية. وتتركز ساكنة تامكروت في منطقة تعرف انتشاراً هاماً للزوايا (14 زاوية في واحة فزواطة)، ذات تاريخ متميز بالصراعات والتطورات المستمرة مما جعل من زاوية تامكروت (الناصرية) زاوية متميزة فرضت وجودها بالمنطقة.

يمارس التامكروتيون عدة أنشطة يمكن تلخيصها في كون 46% منهم يعملون في الفلاحة و54% يشتغلون بالتجارة والحرف التقليدية وغيرها. وبالرغم على أن الفلاحة بقصر زاوية تامكروت لا تشغل سوى أقل من واحد من اثنين إلا أنها عماد الاقتصاد بالمنطقة. فهي فلاحية معاشية بالدرجة الأولى، تتركز على طول الوادي أي الأراضي التي يسقيها واد درعة. هذا المجال المزروع مستغل منذ القدم، بل إنه يعرف في بعض المناطق تراجعاً بسبب زحف الرمال، كما أنه بين الصدِّ والجزر من سنة لأخرى حسب كثرة أو قلة المياه المتوفرة بالوادي.

يعتبر النخيل أساس الفلاحة الدرعية، وهو يحتل المستوى الأعلى في الغطاء النباتي. نجد تحته بعض الأشجار المثمرة كالرمان واللوز والتفاح... تحت هذين المستويين نجد زراعة الحبوب : القمح والشعير اللذين يشكلان المادة الأساسية في معيشة السكان. إلى جانب الحبوب هناك زراعة البقول وبعض المزروعات العلفية كالفضة والبرسيم...

تتنوع الملكية بالتمييز بين ملكية أسس الانتاج الفلاحي المتمثلة في الماء والأرض وبين ملكية الأرض والنخيل الموجود فوقها.

وتتميز الملكية بوادي درعة بنفس مميزاتاها على المستوى الوطني : التنوع (ملكية خاصة وملكية عامة : أحباس المساجد، أحباس الزوايا، الأراضي الجماعية)، التشتت : فهذه الزراعة التقليدية المغللة تقام على مشارف مشتتة.

يمارس سكان تامكروت - كما سبق ذكره - مهناً مستقلة أو شبه مستقلة عن الفلاحة يرثها الأبناء عن آبائهم، لذلك فالهجرة الموسمية أو الدائمة جد محدودة داخل الوسط التامكروتي حتى خلال فترات الجفاف بالمقارنة مع باقي واحات فزواطة أو وادي درعة.

يقام بتامكروت سوق أسبوعي كل يوم سبت، يعرف أكبر رواج له خلال فصل الخريف بسبب بيع وشراء التمر. أما أكبر فترة ركود له فهي خلال فصل الشتاء، كما يعرف حركة مهمة قبل أيام الأعياد وخصوصاً قبيل عيد الأضحى

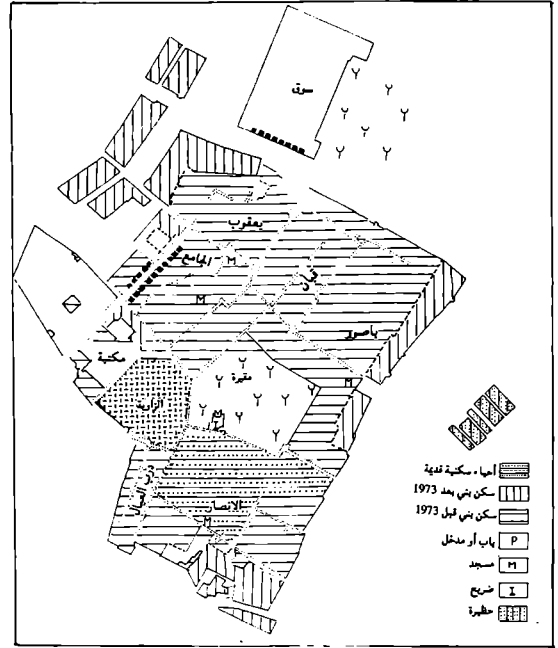
1918 ; G. Drague, *La zaouia de Tamegrout et les Nasiryne*, in *Esquisse de l'histoire religieuse du Maroc*, Paris 1951 ; A. Hammoudi, *Pouvoir et société, Tamegrout aux XVII et XVIII siècles*, A.E.S.C., Mai-Août, 1980 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670, vie politique, économique et sociale*, Doctorat d'Etat 4 vol., Paris I, 1975 ; Michaux-Bellaire, *Essai des confréries marocaines, Hesp.*, XVII, 1927 ; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc, tribus berbères*, T. II, *districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1930.

عبد الكبير باهني

\* \* ومن الناحية التاريخية، تعني تامغروت منطقة جنوب مدينة زاغورة الحالية بإقليم ورزازات، تشتمل على مجموعة من القصور القديمة التي لا تزال قائمة إلى اليوم، مثل بني خلوف وتازروت وتمكاربة وأغني وقصر تامغروت الذي تحمل المنطقة اسمه.

تعني تامغروت - حسب الرواية المتداولة محلياً - الأخيرة. وتجد هذه الرواية ما يدعمها في المصادر المكتوبة، فقد ورد في كتاب *طليعة الدعة* (ص. 6) أن القائد البردعي السردوني حين وصل إلى المنطقة عرض على سكانها من اليهود وغيرهم الإسلام فأبوا، وحاصره عشرة أشهر ثم قتل منهم خلقاً كثيراً، ثم سكن المسلمون ديارهم وسموا البلاد تامغروت لأنها آخر ما ملك المسلمون من درعة. وقد تكررت نفس الرواية في الوثائق اليهودية (*Juifs et Chrétiens*, 42). وإذا كانت إفادة هذه المصادر، تفتقر إلى البعد الزمني، ويغلب عليها الطابع الأسطوري، فإننا نعتقد أن هذه الأحداث التي وقعت بتامغروت ترجع إلى زمن الصراع على وادي درعة بين المرابطين والموحدين. نستشف من رواية البيهقي أن الموحدين واجهوا معارضة قوية بوادي درعة (أخبار المهدي، 77) فاضطر عبد المومن بن علي الكومي سنة 1132/528، إلى أن يقود بنفسه حملة قوية إلى درعة فقتل من سكان المنطقة حوالي عشرين ألفاً (نظم الحمان، 195) وقد أكد ذلك أبراهام بن عزرا في حوادث عام 1132 م، حيث ذكر أن اليهود بدرعة كانوا ينظرون إلى دمانهم وهي تهرق كما يهرق الماء (Archives Marocaines, 124) : 6 فهل يمكن القول إن البردعي السردوني كان قائداً من قواد الموحدين بدرعة ؟ وهل هو الذي عرض الإسلام على سكان المنطقة في إطار الحركة التصحيحية التي نادى بها المهدي ابن تومرت ضد المرابطين الذين اتهمهم بالتجسس ؟ وهل يمكن اعتبار منطقة تامغروت آخر منطقة خضعت لنفوذ الموحدين، خاصة أن لفظ تامغروت ذو صيغة مصمودية فيما يبدو ؟

ولهذا الصراع الذي عرفته منطقة تامغروت خلال العصر الوسيط ما يبرره اقتصاديا، فالمتحكم في هذه القصور يتحكم في الواقع في أهم الممرات التجارية، ليس في واحة فزواطة فحسب، وإنما في كل واحات وادي درعة، ذلك أن تامغروت تفتح على شرق المغرب عبر تيزي ن تافيلالت، وهو الطريق الذي أصبح يعرف بطريق الحج في أوج الزاوية الناصرية (الرحلة الكبرى، 13) وتفتح على بلاد السودان عبر إمي ن تاقآت، وهو ممر لا غنى للقوافل التجارية المتوجهة إلى السودان عن المرور منه، وتفتح على



تامغروت

وفي موسم عاشوراء. فيما يخص سوق عاشوراء أو البخاري (كما يسمى محليا) فقد تبنته الطريقة الناصرية. كان لهذا الموسم طابع ديني، يحج إليه الناس من عدة جهات بالمغرب من زوار وتجار، لكن هذا الموسم تطور مع الأيام من دوره الديني إلى موسم يطغى عليه الطابع التجاري. يستفيد الناصريون من مداخيل الهبات: "الربيعة" التي هي عبارة عن هدايا وعطايا يقدمها الزوار من أجل التبرك بالشيوخ مؤسسي الزاوية الناصرية.

ولوجود مقر السوق بتامغروت آثار على استمرارية طبيعة الحرف التي يزاولها السكان إضافة إلى الأصول التاريخية للسكان. وهي حرف كالفخارة والنجارة والحداة (11.2%) والجزارة (5.5%) والتجارة وخصوصا البقالة (5.4%) والمتاجرة في التمر (6.7%) والوظيفة العمومية (5.8%) والمستأجرين (11.7%)...

وبصفة عامة، يحتل قصر الزاوية الناصرية في تامغروت دوراً طلائعياً في منطقتها، وقد جمعت بين الطابع الواحي التقليدي ومكونات المدينة الإسلامية، رغم أنها لم ترق إلى مرتبة المدينة. لقد فرضت وجودها في منطقة عرفت تكديسا سكانيا منذ القدم كما لعبت دوراً مهماً في تعمير المنطقة بل أصبحت تملك قسطاً كبيراً من الماء والأرض (394.66 خروية و48.015 هكتار بفزواطة). رغم الإشعاع الذي كان لتامغروت فهي لا تحافظ حالياً سوى على دور نشر العلم باستقبالها لبعض الطلاب، لكن هذا الدور هو الآن في تراجع مستمر نظراً لمشاركتها فيه من طرف التعليم العصري.

P Azam, *Sédentaires et nomades dans le sud marocain, le coude du Drâa*, Archives du CHEAM le 16 Mai 1946 ; A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation, palmeraie de Fezouata-Drâa, Moyen-Maroc*, Thèse de Doctorat, Rouen, 1990 ; M. Bodin, *La zaouia de Tamegrout, A.B.*, fasc. 4

الشمال عبر إيمي نَ تَزَاكُورُتُ الذي يفصل بين واحتى فزواطة وترناتة. إذن، فلا عجب إن وجدنا اليهود قد تمركزوا في قصر بني خلوف منذ القديم إلى غاية السنوات الأولى من عهد الاستقلال في هذا القرن.

وإذا كنا لا نعرف أي شيء عن تامكروت في العهد المريني لهيمنة قبيلة أولاد حسين التي استبدت بسكان درعة وخرجت عن طوق السلطة المركزية، حتى أصبحت هذه المناطق ضاحية من ظل الدولة ( العبر، 6 : 92 )، فإننا نلاحظ أن منطقة تامكروت بدأت تسترجع مكانتها خلال القرن الثامن (14 م) بعد تأسيس زاوية سيد الناس، فقد أصبحت هذه الزاوية مركزاً لاستقطاب رجال العلم والتصوف بالإضافة إلى كونها أضحت مركزاً تجارياً تتجمع فيه القوافل قبل انطلاقها نحو السودان.

وفي نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر (15 م)، اشتدت وطأة الهجومات المسيحية على سواحل سوس، سيما وأن البرتغاليين قد نجحوا في احتلال أكادير، فألحقوا أضراراً فادحة بقبائل المنطقة التي كانت تستفيد من التجارة الصحراوية بسوس. وقد تضايق أهل الصلاح والعلماء من الوجود المسيحي بالمنطقة فهاجرت ثلثة منهم إلى وادي درعة، واستقر بعضهم بتامكروت كما هو الحال بالنسبة لأبي القاسم الشيخ الذي استقر بزاوية سيد الناس، فتقاطر عليه طلاب العلم من كل الأصقاع، وعلي بن محمد الشيخ الجزولي، الذي أسس زوايته بقلب تامكروت والتي لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم ( الحركة الفكرية، 2 : 545 )، وقد عرفت هذه الفترة أيضاً تأسيس زاوية سيدي عمرو خارج قصر تامكروت، واتصل بناؤها ببناء تامكروت على إثر التحول العمراني الكبير، الذي عرفته هذه الزاوية، بعد أن تولى الناصريون تدبير شؤونها ابتداء من أواسط القرن الحادي عشر (17 م).

وبفضل هذه الزوايا الثلاث، تحولت منطقة تامكروت إلى أهم مركز علمي وصوفي بدرعة منذ القرن العاشر (16 م) ويؤكد ما ذهبنا إليه أن سلاطين الدولة السعدية المنحدرين من زاوية تاكبادارات القريبة جدا من تامكروت، باتوا يعتمدون على علماء تامكروت في تدبير بعض شؤون الدولة، فاتخذوا الكتاب الخاصين من علماء أسرة العنابيين بقصر تازروت، والدبلوماسيين ومؤدبي الأمراء من علماء أسرة البكريين من زاوية سيدي علي بن محمد الشيخ (حضارة وادي درعة، 138).

وفي إطار توفير ظروف الأمن والاستقرار وحماية الممرات التجارية بواحة فزواطة أقام السعديون حامية عسكرية قوية بقصر تامكروت. ونستشف من إشارة مارمول أن سكان قصر تامكروت من دراعة، أي من العناصر السوداء التي يعتبرها جل الباحثين من السكان الأصليين بدرعة (افريقيا، 3 : 150). وبعد فتح السودان في نهاية القرن العاشر (16 م)، ساهم سكان قصر تامكروت بدور فعال في مد الدولة السعدية بالرجال، إن على المستوى

العسكري أو الإداري، واستقرت طائفة كبيرة منهم بمدنتي تنبكتو ودينبي (بداية الحكم المغربي، 386)، وبفضل هذه الطائفة تدفق الذهب على واحة فزواطة ككل وأصبح سكانها من أثرياء درعة. وفي هذا الإطار يذكر صاحب الدرر أن رجلا من زاوية علي بن محمد الشيخ الجزولي، أراد أن يذهب إلى الحج في أواسط العقد الثالث من القرن الحادي عشر (17 م) فاستصحب معه ثلاثين قنطارا من الذهب ( الدرر، 261). وبالرغم من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها بلاد درعة بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي عام 1012 / 1603، فإن رجال زوايا تامكروت نجحوا في توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان المنطقة نظرا لما كانوا يتمتعون به من نفوذ معنوي ومادي بين قبائل الرحل التي تخلصت من كبسها بوفاة المنصور، فظلت تامكروت محافظة على دورها كمحطة لاستقبال القوافل التجارية وزرافات المسافرين قبل دخولهم في المهامه الصحراوية (أنس الساري، 27). إلا أن الظروف المضطربة ما لبثت أن عصفت بالوفاق الهش الذي كان قائما بين سكان قصر تامكروت وزواياها.

أ. البيذق، أخبار المهدي، الرباط، 1971؛ ابن القطان، نظم الجمان، تطوان، د.ت.؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج 6، بيروت، 1981؛ م. ابن عبد السلام الناصري، الرحلة الكبرى، مخطوط خ. ع. 2327؛ ابن مليح السراج، أنس الساري والسار، فاس، 1968؛ م. المكسي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط؛ أ. الناصري، طلعة المشتري، ط. حجرية د. ت.؛ م. حجي، الحركة الفكرية، الرباط 1979؛ م. الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الكويت، 1982؛ طليعة الدرعة، مخطوط؛ م. المنوني، حضارة وادي درعة، دعوة الحق، أكتوبر 1973.

J. Gattefossé, Juifs et chrétiens du Draa avant l'Islam, B.S.P.M., 1935 ; G. Spillmann, Districts et tribus de la haute vallée du Draa, A.M., n° 9, 1931 ; N. Slousch, Notes sur l'histoire des juifs au Maroc, A.M., VI, 1905.

أحمد البوزيدي

\* \* زاوية تامكروت الصوفية أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري (ت. 1010 / 1602) في منطقة تامكروت بدرعة لتلقين الطريقة الغازية. ويعد آل أمرها إلى الشيخ عبد الله بن حسين الرقي المعروف بالقباب فانتقل إليها من زاوية سيد الناس القريبة منها، وخلفه بعد موته عام 1045 / 1635 أحمد بن إبراهيم الأنصاري حفيد المؤسس، إلا أنه لم تمض سبع سنوات حتى اغتيل هذا الشيخ على يد رئيس أحد القصور المجاورة المتنازعة، فانتقل أمر زاوية تامكروت إلى الشيخ محمد بن محمد ابن ناصر الدرعي الذي كان على صلة بهذه الزاوية كمدرس وإمام وخطيب. وبعد فترة اضطراب بسبب منافسة الأنصاريين، تزوج الشيخ محمد ابن ناصر بحفصة الأنصارية أرملة الشيخ أحمد بن إبراهيم فأصبح إمام الزاوية وعالمها بدون منازع، وأصبحت تعرف بالزاوية الناصرية (انظر الناصرية).

Le Marquis de Segonzac, Au cœur de l'Atlas ; M. Bodin, La Zaouia de Tamagrouit ; Répertoire Alphabétique des tribus ; G. Drague, Esquisse d'histoire religieuse.

أحمد عمالك

**التامكروتى**، أسرة علمية، علا شأنها ونبه أمرها، ينبوغ علمائها بدرعة خلال القرن العاشر (16 م) وردحاً من القرن الحادي عشر الهجري (17 م). يتصل نسب هذه الأسرة، حسب مشجر الأنساب المتداول عند ذرية هذه الأسرة وحفدتها، بأبي بكر الصديق عن طريق يعزى ويهدى دفين زاوية أسا بسوس (المعسر، 10. 184). انتقل جد الأسرة سيدي علي بن محمد الشيخ من بلاد جزولة إلى وادي درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (14 م) فنزل بواحة فزواطة التي كانت آنذاك تزخر بالزوايا العلمية والصفوية مثل زاوية سيد الناس وزاوية سيدي عمرو الأنصارية (زاوية تامكروت فيما بعد) وزاوية تاكمدارت وغيرها. وعلى غرار علماء ومتصوفة عصره، قام سيدي علي بن محمد الشيخ بتأسيس زاوية لاتزال تحمل اسمه إلى اليوم (زاوية سيدي علي) بقلب تامكروت (الحركة الفكرية، 2: 545). وقد أنجبت هذه الأسرة ثلثة من العلماء، كان لهم ذكر بين أهل الفضل والعلم والسياسة على عهد السعديين. ومن علماء هذه الأسرة :

**التامكروتى، عبد الله بن علي بن محمد**، تلقى تعليمه بزاوية أبيه، وتصدر فيها للتدريس إلا أنه لم تكن له شهرة أخيه، وقد برع بشكل خاص في علم الفلك على يد عبد الرحمان التاجوري (حضارة وادي درعة، 139) ثم استهواه التصوف، فرحل إلى تونس ولازم الشيخ عبد العزيز القسنطيني حتى أدركته الوفاة هناك في تاريخ غير معروف.

**التامكروتى، علي بن محمد بن علي**، ولد بزاوية سيدي علي، نشأ وترى في كنف والده إلى جانب أخيه سيدي محمد بن محمد، كما أخذ عن عدد من الأعلام والمشايخ، فتخرج عالماً فقيهاً وأديباً بارعاً، أخذ التصوف عن قومه وشيوخهم، وهكذا يصفه صاحب الدرر المرصعة بأنه "إمام المعارف وروضة الأدب والصلاح الناعمة الأفتان والمطارف" (الدرر، 217).

تصدر علي التامكروتى للتدريس في زاوية أسلافه فتألق نجمه وطبقت شهرته الآفاق فاستدعاه السلطان أحمد المنصور إلى القصر الملكي بفاس (النفحة، 4) وأرسله سفيراً عنه إلى الأستانة، وقد دون أخبار هذه الرحلة ضمن كتابه *النفحة المسكية في السفارة التركية*. وقد عاد التامكروتى إلى مسقط رأسه بتامكروت بعد نجاحه في هذه السفارة، فرجع مرة أخرى إلى كرسي التدريس والتعليم.

انتقل علي في أخريات أيامه إلى مراكش، وبالرغم من أننا لا نعرف بالتدقيق أسباب انتقاله إلى مراكش، فإننا نعتقد أن المنصور كان قد استدعاه إلى مراكش للقيام بمهام رسمية. إلا أن المنية عاجلته فدفن بضريح القاضي عياض بمراكش سنة 1003 هـ.

**التامكروتى، محمد بن إبراهيم**. ولد بزاوية سيدي علي، وتخرج على علماء أسرته وفقهاتها. وقد وصفه

صاحب الدرر بالولاية والصلاح شأنه في ذلك شأن أسلافه من آل التامكروتى (الدرر، 261). برز محمد بن إبراهيم كعالم مرموق في زمن زيدان السعدي (1012. 1037)، ولاشك أنه قد استفاد من وضع أسرته العلمي والاجتماعي ومن موقعها بالنسبة للدولة السعدية، فأصبح من أغنياء واحة فزواطة وأثريائها في وقته، وفي هذا الصدد ذكر صاحب الدرر، أن محمد بن إبراهيم، عزم على الحج مرة، فاستحصب معه حوالي ثلاثين قنطاراً من الذهب، خصص منها عشرة قناطير لاقتناء الكتب، فأنشأ مكتبة عظيمة نهبها السلطان زيدان السعدي (الدرر، 261). فهل كان محمد بن إبراهيم يخوض في السياسة مثل بعض المتصوفة من أهل تافيلالت وسوس المعاصرين له ؟ وإلا لماذا تعرضت الزاوية للنهب ؟

وبالرغم من أن عدداً من المؤرخين قد تناولوا بالبحث والتدقيق علاقة الدولة السعدية بالزوايا سواء في مرحلة أوجها أو في فترات انحطاطها، فإن أحداً منهم لم يتطرق لحادثة نهب زاوية سيدي علي، وقد انفرد بذكر هذه الحادثة في عبارة جد مقتضية، محمد المكي الناصري في الدرر المرصعة، حيث ذكر أن زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامكروتى بسبب أمور يطول سردها (الدرر، 261). وبالرغم من أننا لا نتوفر على كل المعطيات التي تساعدنا في تحديد الأسباب التي تحاشى محمد المكي الناصري ذكرها، فإن الشيء الأكيد أن زيدان السعدي قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامكروتى لأسباب سياسية. فهل كان محمد بن إبراهيم مثلاً يعارض وجود زيدان بدرعة بعد عودته من تلمسان ؟ هل كان محمد بن إبراهيم ينوي تأسيس إمارة على غرار ما قام به ابن أبي محلي وأبي حسون السملالي ؟ وعلى كل فإننا لا نستبعد أن يكون زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامكروتى أثناء مجيئه إلى درعة سنة 1015 / 1606 م، فقد كان شغل زيدان في هذا التاريخ هو الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأموال ليلبى رغبات أتراك الجزائر، ولحشد الجيوش لاسترجاع مراكش من يد أخيه. فلم يجد أمامه إلا زاوية سيدي علي ودار محمد بن إبراهيم التامكروتى بالذات. وقد توفي محمد بن إبراهيم في تاريخ غير معروف ودفن بزاوية جده بتامكروت.

**التامكروتى، محمد بن علي بن محمد**، لا نعرف شيئاً عن ولادته، ولا المكان الذي ولد فيه وهل ولد بدرعة أم بسوس قبل هجرة والده إلى فزواطة. وقد اشتهر أمره بعدما أصبح مسؤولاً عن زاوية والده منذ أواسط القرن العاشر الهجري (16 م). ونستفيد من إشارة صاحب الدرر، أن سيدي محمد بن علي هذا قد أخذ العلم على عدد من المشايخ إلا أنه عول فيما يتعلق بطريق القوم على الشيخ عبد العزيز القسطنطيني (الدرر، 257). ويحدد لنا ابن عسكر الشفشاوني طبيعة العلاقة بين محمد ابن علي

وشيخه القسطيني، حيث يوضح أن صاحبنا كان تلميذاً لهذا الشيخ، وأن الشيخ كان يراسله بعد استقراره في زاوية سيدي علي بدرعة (الدوحة، 133).

تصدر محمد بن علي للتدريس وتربية المريدين في إطار الطريقة الجزولية، فأقبل عليه الناس من كل الأصقاع، للانتفاع بعلمه وأخذ التصوف من زاويته، فتجاوزت شهرته بلاد درعة إلى جهات أخرى من المغرب وخارجه، وهذا ما جعل ابن عسكرو الشفشاوني يحليه بأنه كان من العلماء العاملين، وأولياء الله المتقين شيخاً فاضلاً من العارفين بالله تعالى.. وله مناقب ومآثر، فانتفع الناس بعلمه، وشأنه كبير، وقدره جليل (الدوحة، 93). ولاشك أن هذه المكانة العلمية والصوفية التي بلغها محمد بن علي هي التي جعلت عبد الرحمن التاجوري، شيخ الفلكيين بمصر، يهيب في رسالة له، بـمحمد بن علي، أن يتدخل لدى السلطان محمد الشيخ السعدي، لتعديل انحراف القبلة في عدد من مساجد المغرب (الحركة الفكرية، 2: 547).

وبالرغم من كوننا لا نعرف هل تم تنفيذ اقتراح التاجوري أم لا، فإننا نستفيد من هذه الإشارة، أن أسرة التامگروتيين، كانت تتمتع بنفوذ خاص عند سلاطين الدولة السعدية، وأن هذا النفوذ سيعرف تطورات خاصة على عهد السلطانين عبد الله الغالب، وأخيه أحمد المنصور، حيث كان كل من هذين السلطانين يختار سفراءه من أسرة التامگروتيين (حضارة وادي درعة، 138).

وقد تخرج علي يد محمد بن علي جم غفير من علماء درعة وفضلائها نذكر منهم علي سبيل المثال لا الحصر ابنه محمد بن محمد وعلي بن محمد، والشيخ محمد بن مهدي الجراري دفين زاوية امحنا بترناتة، وأحمد أذفال دفين واحة اکتاوة في درعة الوسطى. وقد توفي محمد بن علي بزواية أبيه سنة 965 هجرية.

**التامگروتية، محمد بن محمد بن علي، من** أفاضل هذه الأسرة التامگروتية، ولد ونشأ بزواية سيدي علي، تربى في كنف والده الذي سهر على تعليمه حتى امتلاً وطابه علما وفقها، فتألق نجمه في أصقاع وادي درعة، فتصدر للتدريس، فتهاقت على مجلسه طلاب العلم من كل حذب وصوب لمعرفته بطرق التدريس وترقية معارك المتعلمين (الحركة الفكرية، 2: 547). وعلى عادة أهل قطره من أهل الخير والفضل، شرّق التامگروتية، فأدى مناسك الحج، ثم تطلع إلى الاستزادة من التعلم، فكان يحضر مجالس العلماء من أمثال نجم الدين الغيطي، ومحمد بن أبي بكر العلقمي وابن فهد وغيرهم، فروى عنهم الحديث ولم يعد إلى بلاده إلا ومعه إجازة عامة من شيخ الشافعية بمصر محمد بن أبي بكر العلقمي، وشيخ المالكية بنفس القطر محمد بن أحمد الفيشي. وما هذه الإجازة من هذين الشيخين الجليلين إلا اعتراف بحصول ملكة العلم للتامگروتية وتأهله لنقل الحديث رواية وسندا للآخرين.

ولاشك أن هذه الرحلة لبلاد المشرق، قد مكنت التامگروتية من التعرف على العالم الإسلامي، الأمر الذي جعل السلطان السعدي عبد الله الغالب (965.981 هـ) ينتدبه سفيراً للدولة السعدية عند السلطان العثماني سليم الثاني (الحركة الفكرية، 2: 547). ويظهر أن التامگروتية، قد نجح في هذه السفارة، إذ لم يكذب استقراره به المقام بزواية سيدي علي، حتى استدعاه السلطان إلى مراكش، وعهد إليه بتربية الأمراء السعديين والإشراف على تعليمهم، ويذكر السلطان أحمد المنصور السعدي (986.1012 هـ) في فهرسته أنه أخذ جملة من الأحاديث عن سيدي محمد بن محمد التامگروتية، وأن هذا الأخير قد أجازه ليروي عنه بكل ما أجاز به العلقمي (الحركة الفكرية، 2: 547). وقد انتقل التامگروتية في أخريات أيامه بأمر من السلطان المنصور إلى فاس وظل يعلم الأمراء ويؤم بمسجد المشور الملكي إلى أن توفي عام 988 هـ.

م. ابن عسكرو، دوحة الناشر: ع. التامگروتية، النفحة المسكية؛ م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط؛ م. المختار السوسي، العسول، ج 10؛ م. المنوني، حضارة وادي درعة؛ م. حجي، الحركة الفكرية، ج 2.

أحمد البوزيدي

**التامگروتية، ميمونة بنت عمرو، من** صالحات درعة، متعبدة خدمت فقراء الناصريين وشهد لها بالتصوف على نهج الزهد الذي عُرف به الناصريون.

خدمت السيدة ميمونة زاوية تامگروت طيلة حياتها وساهمت بشكل فعلي في تنظيم وتسيير أمورها، فقد تولت حيازة أحباس سيدي أحمد بن إبراهيم، وتفريقها على طلبية العلم، والزوار، والأضياف، وأبناء السبيل إلى أن ماتت (ح. ابن ناصر، فهرس، 8).

وتبين من إشارة الشيخ الحسين ابن ناصر أنها لم تكن خاملة أو منزوية بل تحمّلت المسؤولية إلى جانب ولدها الشيخ أحمد بن إبراهيم الذي انتدب للسهر على شؤون هذه الزاوية، فأشرفت إلى جانبها على خدمتها، ورعاية نشاطها، كما اشتهرت بإقبال الزوار عليها من ذوي الحاجات، والراغبين في الصحة، أو التبرك وطلب الدعاء الصالح. توفيت عام 1051 / 1641. 1642 عن سن تناهز السبعين عاماً.

ح. ابن ناصر، فهرس، مخطوط؛ م. الاقراني، صفوة، 75؛ م. القادري، نشر، 2، 8؛ الإكليل والتاج، مخطوط.

نفيضة الذهبي

**تامگاروت،** يوجد هذا الاسم بكثرة في جنوب المغرب، وهو أمازيغي، يُذكر تارة ويراد به العنق، ويؤنث أخرى كما هنا ويعني الرقبة. والمصطلح يطلق على تضاريس توافق ثنية محدبة بين مقعرين، فتبدو للناظر كأنها رقبة بين منكبين، ثم تضاف إلى اسم لتعرف أو تخصص. والذي يهمها هنا هو تامگاروت - ن. الشيخ همو

الواقعة بوسط قبيلة أيت إخلف، على ارتفاع 250 م فوق مستوى سطح البحر، وتُنسب أحيانا لأمزيل (الحداد) لأن القبيلة كانت تصنع من الحديد أدواتها الفلاحية وأسلحتها النارية البسيطة. وفي تامكارت هذه تصرفت مشيخة قبيلة أيت بويكر الكبرى إلى أن انقسمت بظواهر السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1299 هـ فصار مركز قيادة قبيلة أيت النص (النصف) في إقارص (الحوض) عند تعيين القائد إبراهيم الوجداري الحوضي. بينما رقي الشيخ أحمد بن الشيخ همو إلى رتبة القائد في نفس السنة، بعدما أمر بالتخلي عن نصف القبيلة الكبرى، فكان للقائد إبراهيم قبيلة أيت النص، وللقائد أحمد هذا قبيلة أيت إخلف.

كانت تامكارت عبارة عن حصن منيع، تُودع فيه القبيلة أماناتها وعقودها العقارية، وخاصة عندما جمعت ولمدة طويلة بين السلطة القضائية التي كان يشخصها القاضي علي بن الشيخ همو، تلميذ عبد الرحمن الجشتيمي ثم من بعده ابن أخيه محند، وكلاهما من أسرة القائد أحمد الخلفي الذي يمثل السلطة المخزنية حتى وفاته عام 1316 هـ. كما كانت هذه العائلة مشهورة بالتدريس وإتقان الروايات السبع مثل الراويين لحسن أوضارصور وعلي تابركات ولهما في ذلك ظواهر من السلطان الحسن الأول سنة 1303 هـ.

كان السلطان الحسن الأول يثق بالقائد أحمد هذا وهو الذي كلفه بحراسة الشواطئ عندما ظهرت أطماع الاستعمار في ناحية أيت باعمران، وهذا القائد هو الذي أسس أول حراسة مخزنية في سيدي إفني، في موضع إدوُفقير، وهو الذي أسند إليه السلطان نفسه شراء أرض مخزنية عندما نزل عند قائده هذ التغزي سنة 1303 هـ. حيث بنيت محلة المخزن المعروفة حتى الآن، وهي بخط القاضي سيدي أحمد بن الحسن المرسي الباعمراني سنة 1304 هـ.

وفي سنة 1316 هـ استدعي القائد أحمد هذا كشاهد في قضية أحمد ندياكو في قبيلة اصبويبا الذي اتهم بإخراج الضابط الإنجليزي كورطيس (كاريتيت) لكن الأحداث جرت قائد تامكارت في عهد السلطان عبد العزيز، فتوفي في مراكش وعمره ينيف على الثمانين، وذلك بتدبير من الوزير أحمد بن موسى وقائد تيزنيت الكيلولي. وقد حاول هذا الأخير أن يجمع سلطة قبيلة أيت بويكر في يد القائد محمد بن القائد إبراهيم الوجداري، فتعرضت عائلة إدالشيخ همو بتامكارت للنفي، وتسلط هذا القائد بضرائب ثقيلة تنفيذا لأوامر باشا تيزنيت حتى أفر تلك الجهات، كما غدر القائد محمد بأعيان أيت إخلف فقتلهم شنقا وعين مكانهم رجاله، لكن عائلة إدالشيخ همو، رجعت من جديد إلى تامكارت، فقامت حرب قبلية قتل فيها القائد محمد نفسه وكل من ولاه بدون رغبة قبيلة أيت إخلف.

رجعت مشيخة القبيلة إلى آل الشيخ همو، في شخص الشيخ الحسن بن القاضي علي، ولما استقرت الأمور عيّن

أخوه القائد محند من طرف السلطة المركزية، وكان القائد محند هذا في مقدمة المقاومة الباعمرانية ضد الحماية الفرنسية، فشارك بجانب أحمد الهيبية انطلاقا من معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 م إلى معركة إيكالفن ضد حملة حيدا بن مّايس سنة 1917 م. وفي نفس السنة تزعم القائد محند هذا بجانب القيادة العامة لأيت باعمران المقاومة ضد الجنيرال دولاموط حيث استشهد في معركة تيزي وكذلك أخوه الشيخ محمد وغيرهما.

وفي تامكارت هذه ظهرت شخصية الشيخ مبارك بن القائد أحمد الذي لعب دوراً هاماً في أحداث القبيلة وحصار الفرنسيين بتيزنيت إلى أن قتل بالسم كما يشاع، فتولى أخوه الشيخ محمد، وكانت إسبانيا تضغط على المخزن المغربي لتحتل أيت باعمران، تطبيقاً لمعاهدة تطوان، ولم يقبل الباعمرانيون أي استعمار في بلادهم.

والخلاصة أن تامكارت تمثل مركزاً مخزناً وسط القبائل الباعمرانية منذ أجيال طويلة، ولذلك مازالت القبيلة تنظر إليها بعين التقدير والاحترام.

خريطة طبوغرافية لسيدي إفني؛ وثائق عائلة ادالشيخ همو (ظواهر سلطانية)؛ ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران.

الحسين جهادي

## تاملاكوت، قرية تمثل نموذجاً من نماذج التجمع

السكاني في الجنوب المغربي. تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة ورزازات على بعد ثمانية وثلاثين كلم وتتمركز وسط واد ضيق يحمل محليا اسم أسيف - ن - تامزيغت.

بنيت في ظروف تاريخية يغلب عليها عدم الاستقرار، فطريقة تصميم نواتها يغلب عليها الطابع الدفاعي المحض. فإضافة إلى السور الذي يسيج السكن العائلي تنتصب بقايا خمسة أبراج على القمم المجاورة لمراقبة محيط القصر ومجاله الزراعي.

وتوفرت القرية الأم لفترات طويلة من تاريخها على مدخل وحيد موجه باتجاه المجال الزراعي. وقد عمل السكان على تقسيم المجال السكني القديم تقسيماً وظيفياً محكماً، فمباشرة بعد المدخل الرئيسي تمتد الساحة العمومية ومنها تنطلق مجموعة من الأزقة لربط المجموعات السكنية فيما بينها، وزيادة في الاحتياط عمل السكان في الماضي على تخصيص جزء ملاصق للساحة العمومية كبيدر احتياطي يستعمل في أوقات عدم الاستقرار.

ويعتبر المخزن الجماعي (إغرم - أكادير) أحد المعالم الأساسية للقرية المسماة بالقصر، فهو يحتل مساحة مربعة ويضم اثنتين وستين غرفة صغيرة موزعة على ثلاثة مستويات إضافة إلى باحة داخلية، والكل محاط بسور سميك مدعم بأربع قلاع صغيرة. يبلغ طول الغرفة الواحدة ثلاثة أمتار في حين يصل عرضها إلى مترين، ولا تتوفر على أي نافذة. وكل غرفة تتوفر على مدخل وحيد يبلغ طوله متراً واحداً ويمتاز بابه بزخرفته ونقوشه المليحة. أما

سطح المخزن الجماعي فهو مغطى باستثناء جزء بسيط، وذلك من أجل ضمان التهوية والإنارة. ويتوفر المخزن على مدخل وحيد يقابل الساحة العمومية من أجل ضمان مراقبة شديدة لعمليات الدخول والخروج من المخزن الجماعي وإليه. كانت تتم حراسته من طرف حارس معين على يد الجماعة يحمل محلياً اسم "أدواب".

ومباشرة بعد الاستقلال عرف السكن بقصر تاملاتوك تطوراً سريعاً دخل به في تطور التفسخ، إذ تزايد في مرحلة أولى عدد المداخل الرئيسية وانفتح القصر على جميع الجهات، وفي مرحلة ثانية بدأ السكان يشيدون دورهم بعيداً عن النواة القديمة إلى الشمال والشرق منها، وقد تفادت عمليات التوسع هذه الجهة الجنوبية حيث تمتد الواحة. وبموازاة مع حركة البناء هذه، تراجع الاهتمام بالبنائيات الجماعية وفي مقدمتها المخزن الجماعي وبالبنائيات ذات الصيغة الدفاعية المحضة (الأسوار - القلاع) التي تصدعت وأصبح أغلبها في طريق الانهيار.

يعيش بقرية تاملاتوك 343 نسمة حسب إحصاء سنة 1982، ينتمون في غالبتهم إلى قبيلة أيت تماسين ويقومون باستغلال واحة مجهرية تناهز مساحتها حوالي عشرين هكتاراً. وقد ارتبط وجود هذه الواحة منذ البداية بالجران التحتي لأسيف - ن. تامازيغت وسهله الفيضي. وقد عمل السكان في البداية على استغلال الجريان التحتي للنهر بواسطة تقنية الخطارات. ونتيجة للندرة النسبية للمياه اعتمد الفلاحون على ساعة شمسية محلية لضمان تقسيمها، حيث يقسم النهار إلى 24 وحدة. وانطلاقاً من سنة 1966 وبموازاة مع بناء تاملاتوك، وما رافقه من غمر المياه للخطارات، تغيرت طريقة السقي المتبعة لتركز أساساً على استغلال المجرى السطحي للواد. ففي هذه السنة عملت الدولة على بناء سد تحويلي صغير علوه 6 أمتار وطوله 16,5 م وتكمن وظيفته الأساسية في جمع مياه الفيضانات والينابيع قبل إعادة توزيعها على قنوات الري. ويتم إقبال بوابة السد مع غروب شمس كل يوم ليتم فتحها من جديد مع بزوغ شمس اليوم الموالي.

وترتكز الزراعة بالأساس على أشجار الزيتون واللوز والتفاح والجوز وعلى الحبوب وبعض الخضروات.

وبموازاة مع استغلال الواحة يقوم السكان بمزاولة تربية المواشي حيث يتشكل القطيع أساساً من الماعز (فصيلة الرحالي) والغنم (فصيلة سروا). ويقوم الأهالي باستغلال المراعي المجاورة للقصر في حدود شعاع يصل إلى خمسة عشر كلم.

إضافة إلى الفلاحة تشكل الصناعة التقليدية مورداً إضافياً مهماً لسكان تاملاتوك حيث تقوم النساء بإنتاج الزربية الواوزكيتية اعتماداً على الصوف المحلي وعلى نباتات طبيعية أخرى تستعمل في أعمال الصباغة. وإذا كان طول النموذج التقليدي متبايناً فإن عرض الزربية المحلية لا يتجاوز مترين وفي أقصى الحالات مترين

ونصفاً، وتختلف الزرابي حسب المواد المستعملة في صنعها من جهة وعدد العقد في كل عشرة سنتيم. تتميز الزربية المحلية بصورها التي تعكس الواقع اليومي للسكان. إلا أن انفتاح القرية على الأسواق الجهوية والوطنية أدى إلى تغيير محسوس في طبيعة الإنتاج بحيث أصبح الاعتماد يتم بالأساس على المواد الأولية المستوردة والمحضرة سلفاً وذلك ربحاً للوقت نظراً لما يتطلبه تحضير المواد المحلية من جهد جهيد.

أ. ت. الزينبي، واحات المناطق الجبلية وملاحم التأزم، منطقة تازناخت نموذجاً، المجال والمجتمع بالرواحات المغربية، سلسلة الندوات رقم 06، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1993، ص. 113 - 125.

أحمد توفيق الزينبي

## التأملي ← التأملي

**تامانار**، مركز فلاحي مهم يقع وسط قبائل حاحة بين الصويرة وأكادير على بعد مائة كيلومتر شمال أكادير واثنتين وسبعين كيلومتراً جنوب الصويرة، على الطريق الرئيسية بعيداً عن ساحل البحر بحوالي ثلاثين كيلومتراً إلى الداخل. كان، قديماً، مجرد قرية صغيرة بقبيلة ايدأكول لا يميزها عن غيرها إلا قصبة من بناء البرتغال على الطريق (تابريدا) كانت تسكن فيها نصرانية تدعى تامانار، فسميت القصبة باسمها على ما يحكى، وقد ورد ذكرها في تاريخ الضعيف الرباطي حيث قال في الصفحة 343: "خرج السلطان من تارودانت لناحية الصويرة واستهل عليه هلال ربيع الأول عام 1221 في قصبة تامانار بين حاحة واشتوكة فوق الصويرة بيوم". وحينما عين السلطان الحسن الأول القائد المحجوب الكيلولي في طريق حركته إلى سوس عام 1299 / 1881، أمره ببناء مقر قيادته بتامانار، فأعد القائد عدته وشرع في البناء مع بداية عام 1301 / 1883، وتعاقب على الحكم في هذا المركز خمسة قواد من أسرة الكيلولي وتبعهم القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية، ثم القواد النظاميون في عهد الاستقلال.

كان الكيلوليون الأوائل يحكمون من تامانار إلى تيزنيت في بعض الفترات، مما جعل أهل تامانار يفتنون بالأموال والذخائر النفيسة المجلوبة من سوس، فذاع صيتهم بين القبائل الجنوبية، وعلا شأنهم بالدوائر المخزنية في العهد العزيري (المعسول، 15: 196). فزدهر العمران والتجارة بتامانار، وأخذ أعيانها يتنافسون في تشييد الأبراج وبناء الرياض واقتناء أجود الخيول، وبيدلون الغالي والنفيس في سبيل الحصول على أحسن وأجمل ما في البلد من العبيد والإماء، فازدهرت تامانار في عهدهم ازدهاراً عمرانياً واقتصادياً وثقافياً، إذ كانوا يزينون مجالسهم بالعلماء أمثال محمد بن القائد الكيلولي (ت. 1324 / 1906) وإبراهيم الاكدورتني الإيسي الذي استقدمه رؤساء تامانار فاهتبلوا به وهياؤوا له داراً في "تسيلا البكرت"، فلم

يزل هناك ينشر العلم إلى أن توفي في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

وقد اعتنى رؤساء تامنار الكيلوليون بتعمير مدرسة سيدي حسا أوساين المجاورة لقصبتهم وفرضوا لها ثلاث أعشار القبيلة فقصدها الطلبة من حاحة وسوس وغيرها، فازدهرت بذلك الحركة التعليمية بهذا المركز في عهد الكيلوليين. ومنذ ذلك الحين أصبح مركز تامنار ينمو نمواً بطيئاً، لأنه لم يعتمد إلا على إمكانياته الفلاحية المحلية، حتى أصبح اليوم مقراً لدائرة قيادات حاحة إلى جانب الجماعة الحضرية لقبيلة إيدأكيلول. وفي صيف سنة 1989 تم تدشين مركب ثقافي ضخم بتامنار أطلق عليه اسم قرية أركان نظمت فيه جمعية حاحة أول مهرجان ثقافي لأركان، فأصبحت تامنار اليوم تحتل الدرجة الثانية بعد مدينة الصورة من بين المراكز الحضرية في حاحة. فعدت من الجماعات الحضرية إذ تبلغ مساحتها 15.80 كلم مربع فقط بينما بلغ عدد سكانها 1500 نسمة، فارتفعت كثافتها السكانية إلى حوالي 95 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. تتوفر جماعة تامنار الحضرية على كل التجهيزات الأساسية من شبكة الإنارة وشبكة الماء الصالح للشرب وشبكة الوادي الحار، وبها مدرسة علمية عتيقة بناها القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية وعمرها وتدعى الهاشمية أو تيمزگيدان - الرمى (مسجد الرامة) إلى جانب مجموعة من المكتاتيب القرآنية. ومن تجهيزات التعليم الحديث بها مجموعة مدرسية وإعدادية واحدة.

م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أحمد العماري ؛ م. المختار السوسي، المعسول، ج 15 ؛ دورية أصدرتها عمالة الصورة بمناسبة عيد العرش مارس 1986 ؛ تحريات ميدانية.

محدد أيت الحاج

**تَامَنَارَتُ** أو تَمَنَارَت، نهر ينبع من الأطلس الصغير ويصب في واد درعة. وتتناثر على ضفاف المجرى الأسفل لواد تامنارت في واحة تيملت قرى صغيرة غلب عليها اسم تامنارت، وسكنها منذ القرون الإسلامية الأولى العلماء والصالحون، ومنها خرج - حسب بعض الروايات - عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين.

عرفت تامنارت في القرن العاشر (16 م) نشاطاً علمياً ملحوظاً بوفرة من عاش فيها من الأساتذة والمقرئين والفقهاء المدرسين والطلبة والمريدين، وفي مقدمتهم العالم الصالح المجاهد الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي الذي آتاه الله بسطة في العلم والمال فسخر كل ذلك لصالح موطنه وقومه، وخلفه من بعده أولاده وأحفاده العلماء العاملين.

**التامنارتي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشيخ،** درس في مسقط رأسه على أساتذة قريته، وبخاصة على والده، فتخرج مشاركاً في التوحيد والنحو، واشتغل، إلى

جانب والده بالتدريس في مسجد تامنارت وباصطخاب والده في حركاته الجهادية، وألف عدة كتب، منها : شرح منظومة ابن زكري وشرح منظومة الضرير المراكشي وشرح الجمل للمجراد السلوي. يقال إن هذا لم يتم. وقد عاجلت المنية إبراهيم التامنارتي فمات قبل والده ببضعة أشهر عام 971 / 1563.

ع. التامنارتي، الفوائد، مخطوط، 73-74 ؛ م. البعقلي، مناقب، 19 ؛ م. الحضيكي، طبقات، 1 : 116 ؛ م. المختار السوسي، سوس، 179 ؛ المعسول، 7 : 46-47 ؛ م. حجي، الحركة، 2 : 618.

**التامنارتي، أحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ محمد بن إبراهيم آتي الترجمة.** درس في مسقط رأسه على أساتذة تامنارت وفقهائها، ولازم مجالس أخيه الأكبر محمد بن إبراهيم وعليه اعتماده، ثم حل محله، بعد وفاته، في القيام بمهام التدريس والتربية. كان بارعاً في الفقه وأصوله وقواعد اللغة العربية، مشاركاً في غيرها من العلوم الشرعية واللغوية. طالت مدة تدرسه أكثر من نصف قرن، وكان من طلبته المتخرجين على يده العالمان السوسيان الكبيران عبد الرحمان التامنارتي مؤلف الفوائد الجمّة، وعبد الله بن يعقوب، محيي مدرسة الكراميين في تازموت. توفي أحمد بن إبراهيم عام 1048 / 1639.

ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، 44 ؛ م. الحضيكي، طبقات، 1 : 47 ؛ م. المختار السوسي، المعسول، 7 : 52 ؛ م. حجي، الحركة، 2 : 619.

**التامنارتي، عبد الرحمن بن محمد الجزولي** المغافري. ولد في تامنارت وبها حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم اللغوية والدينية على يد والده محمد بن أحمد التامنارتي وأحمد بن إبراهيم التامنارتي، ومحمد بن عبد الله التامنارتي قبل أن يرحل إلى المحمدية (تارودانت) عام 992 / 1584 وهو ما يزال طفلاً ذا ذؤابة، ف قضى فيها بقية حياته طالباً ثم عالماً مدرساً، وقاضياً مفتياً، ومؤلفاً مصلحاً. درس في المحمدية على علمائها المتوافرين، وهي يومئذ المدينة العلمية الثالثة بعد مراكش وفاس، فأخذ عن قاضيه كبير الفقهاء في قطره سعيد بن علي الهوزالي، ونابغة عصره محمد بن علي الهوزالي، والبعقيليين عبد الرحمان ومحمد، وسعيد بن عبد الله العباس (لازمه خمس عشرة سنة). ويحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي، ومحمد بن أحمد ابن الوقاد التلمساني دفين تارودانت الفقيه الخطيب المفوه (لازمه عشر سنين) وولده عبد الرحمن وغيرهم ممن اشتمل عليهم كتابه الفوائد الجمّة.

تكون عبد الرحمن التامنارتي تكويناً متيناً في فروع المذهب المالكي وأصوله، لغوياً أدبياً عارفاً بخبايا لسان العرب وأيامهم وأشعارهم، مشاركاً مشاركة تامة في الحديث والتفسير والعلوم العقلية، مدرساً ماهراً في إفادة طلبته تارودانت ومن يرد عليها من سوس والأطلس ومشارف الصحراء. ويكفي أن نذكر من بين تلاميذه اللغوي



المعقولي الحسن اليوسي صاحب المحاضرات والقانون،  
والمحدث الفلكي محمد بن سعيد المرغيتي مؤلف المقنع  
وشرحه في التوقيت.

ولما رام يحيى الحاحي الملك واستولى على سوس في  
حدود عام 1022 / 1613 عين عبدالرحمن التامنارتي قاضياً  
بتارودانت، فبقى قاضياً للجماعة بها حتى بعد وفاة يحيى  
وسيطرة أبي حسون بودميعة السملالي على المحمدية وسائر  
شمال سوس.

وإذا كانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مر بها  
المغرب بسبب ضعف بل تدهور السلطة المركزية في مراكش  
فإن عمل عبد الرحمن التامنارتي تميز فيها بالوعي والحمية  
الدينية والوطنية والعمل الدؤوب على رأب الصدع  
واستتباب الأمن والطمأنينة. ونذكر من أعماله في هذا  
الصدد نموذجين، أولهما مساندته لمطلب السلويين الذين  
التجؤوا إلى الأمير يحيى الحاحي حين اشتد عليهم تهديد  
الإسبانيين بعد أن احتلوا المهديّة القريبة من سلا، وعلموا  
الأطاقة لهم بالقوات المسيحية البرية والبحرية التي يعدها  
ملك الإسبان لاحتلال نفوهم الذي ظل حراً على الساحل  
الأطلنتي، ومنطلقاً لأسطول الجهاد الذي يعترض السفن  
الإسبانية المتجهة إلى أميركا، ويقض مضجع المراسي  
الأندلسية السلبية. كتب عبد الرحمن التامنارتي رسالة  
حماسية باسم الأمير يحيى وجهت إلى جميع الجهات  
الحاضعة لنفوذه تدعو إلى الجهاد وإصراخ السلويين. وأنشأ  
أيضاً خطبة حماسية لتلقى في جموع المجاهدين المتجمعين  
في إيمي ن تانوت، عززها بقصيدة تاريخية طويلة تذكّر  
بأمجاد دول المغرب المتعاقبة من الأدارسة إلى السعديين  
منها :

أيجمل بالأبطال من سوسنا التي لها الفخر قدماً في الهياج تعود  
وبالضارين الهام من كل فاتك من الغرب ذي الوثيق ركود  
بلى ! نحن كُنّا أهلها سنشدّها ونحسم يوماً ما بنته قرود  
وثاني مواقف التامنارتي المتميزة مناهضته للشائير  
محمد بن عبد القادر التاهرتي (انظر ترجمته في «علمة  
المغرب» الذي ادعى المهديوية في تيزنيت في فترة قد تكون  
امتدت من عام 1035 إلى 1039 / 1626. 1630 وانتشر نفوذه  
على عدد غير قليل من قبائل الساحل بسوس، فزاد في  
طين الانحلال والتمزق بلكة. كان موقف التامنارتي منه  
حازماً، راسله ووعظه نثراً ونظماً داعياً إياه إلى التخلي عن  
هوس المهديوية الباطلة سالكاً معه سبل الترغيب والترهيب.  
ولما لم يرعو التاهرتي عن غيه أغلظ له التامنارتي القول،  
ووصفه بالكذب والدجال وأخي الشيطان، وأعذر له مرة  
أخرى قبل أن يعلن السوسيون قاطبة الحرب ضده فبسأصأ  
شافته ويفرقوا جموعه.

ألف عبد الرحمن التامنارتي في التوحيد والفقه والأدب  
والتاريخ. ومن مؤلفاته كفاية المريد في العقائد شرح بها  
لامية أحمد الزواوي، انتهى من تبييضها في ثامن قعدة عام  
1048 وخرجها من مبيضة المؤلف تلميذه محمد بن أبي بكر

الصوابي (مخطوط خ.ع.2079د) ؛ وأجوبة فقهية، ودويان  
شعري (مخطوطا خ. ح. 5623 و8841) على أن أهم مؤلفات  
التامنارتي هو : الفوائد الجمّة في اسناد علوم الأمة  
(مخطوط خ.ع. 1420 د) الذي يعدّ المصدر الغني  
الأساسي لتاريخ تارودانت الديني والعلمي والاجتماعي في  
القرن الحادي عشر (17 م). وفيه إلى ذلك إشارات تاريخية  
مفيدة تهم علماء سوس والجنوب المغربي عموماً.

وصحح التامنارتي كتاب النور الباهر في نصرة الدين  
الظاهر الذي ألفه أحد أجبّار اليهود الذي أسلم بعد عام  
1020 / 11. 1612 وسمي يوسف بن عبد الله الإسلامي، ساق  
فيه عن التوراة أموراً تدلّ على صحة الإسلام، فهذب  
عريبته وأتمه في 24 جمادى الثانية عام 1053 / 9 شتنبر 1643  
وقد وقف على هذا الكتاب المختار السوسي في تارودانت  
في نسخة جيدة ودعا بالتحاح إلى نشره.

توفي عبد الرحمن التامنارتي في تارودانت يوم الأحد  
خامس شوال عام 1060 / 2 أكتوبر 1650.

ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، مخطوط : الرسموكي، وفيات، 24 ؛  
م. الإفرائي، صفوة، 155 ؛ م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. يومزكو،  
الترجمة رقم 528 ؛ م. الأزهري، البواقيت، 193 ؛ ع. الكتاني،  
فهرس الفهارس، تج. إ. عباس، 2 : 922-925 ؛ م. المختار  
السوسي، إلبغ، 3.2 وهامش 7 : خلال جزولة، 4 : 177 ؛ سوس  
العالمة، 181 ؛ ع. گنون، التبوغ، 1 : 259 ؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو  
الشرفاء، تر. ع. الخلادي، 181 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 43 ؛  
وفي مواضيع متعددة.

### التامنارتي، عبد الله بن علي حفيد محمد بن

إبراهيم الشيخ آتي الترجمة. فقيه صالح درس على يد  
علماء قومه، إذ لم تعرف له رحلة، واشتغل مثل أبيه  
وأجداده بالتدريس وتربية المريدين بتامنارت، بالإضافة إلى  
القيام بمهمة القضاء.

توفي عام 1074 / 63. 1664.

الرسموكي، وفيات، 18 ؛ م. المختار السوسي، رجالات العلم، 41 ؛  
المعسول، 7 : 54 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 619.

### التامنارتي، علي بن أحمد اللحياني أو الحمياني

الدرعي من العلماء التامنارتيين الذين هاجروا الواحة،  
وانتقل إلى درعة يدرّس فيها طوال حياته بعد أن درس في  
فاس. وقد اختاره السعديون لمنصب القضاء في حاضرتهم  
مراكش وجاؤوا به إليها لذلك، لكنه امتنع وفر راجعاً إلى  
درعة ليتابع عمله في التدريس. ولعله أخذ أيضاً في بداية  
طلبه على الشيخ إبراهيم ابن هلال السجلماسي إذ هو الذي  
رتب نوازه الفقهية الشهيرة.

توفي علي التامنارتي بدرعة في حدود عام 980 / 1572.

ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، 47 ؛ الرسموكي، وفيات، 12 ؛ م.  
الإفرائي، صفوة ؛ م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، تج. ح.

النوحى. د.د.ع. الرباط : م. الحضيكي، طبقات، تح. أ. بومزكو،  
الترجمة رقم 726 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 9 : 187 : م. المختار  
السوسي، رجالات العلم، 20 : المعسول، 7 : 51 : جامعة القرويين  
في ذكراها، 116.

محمد حجي

**التامنارتي، محمد بن إبراهيم بن عمرو اللكوسي**  
المعروف بسيدى محند أ. إبراهيم الشيخ دفين تامنارت.  
تخصه كتب المناقب والتراجم هو وسيدى أحمد بن موسى  
صديقه وصهره بقطني سوس المميزين. إذا كان فقهاء  
وأهالي تازروالت يعتبرون سيدى أحمد بن موسى قطب  
سوس الأول ( المعلمة، 1 : 161. 165)، فمقولة أبناء سيدى  
محمد بن إبراهيم تنضاف إلى مناقب البعقيلي الذي كان  
شاهد عيان وإلى فوائد التامنارتي وإلى ما أورده الديباني  
في روضة التحقيق نقلا عن الرواية الشفوية لتخص المترجم  
بمركز القطبانية الأولى بسوس ودرعة. مع ذلك لم تتعدد  
أساليب السرد بشأن هذه الشخصية مما يقتضي مسألة  
خصوصيات علاقتها بالمحيط القريب والبعيد. فنحن نعلم  
أن المصادر تجعل من سيدى محمد بن إبراهيم الشيخ نموذجاً  
فعلياً للقطب الذي ألزم نفسه ضرورة المجاهدة من أجل  
تعميم دور الزوايا في الحياة اليومية خلال القرن العاشر  
(م. 16).

إذا كان الشيخ قد توفي سنة 1564 / 971 وهو يربو على  
الثمانين، فإنه يكون قد ولد خلال الثلث الأخير من القرن  
السابع (15 م). (مناقب البعقيلي ؛ طبقات الحضيكي، 2 :  
9، Fawaid). ترمى في أحضان والد مات بدوره كهلاً  
مسناً منقطعاً إلى التدريس في مدرسة إذا أوزدوت حيث  
أصبح قرية مزاراً ومقراً لموسم تجاري هام (المعسول، VII :  
10). كل ما نعلمه عن والدته أنها عاشت بمجتمع ما يزال  
يوميها يتميز بتداخل نظامي القرابة الأميسي المتآكل  
والأبوي الذي خطا خطوة في السيطرة بفعل الزوايا والفقهاء  
(إعزي ويهدى، المعلمة، 2 : 517. 518). قد يكون محمد بن  
إبراهيم ولد بقرية إيمي أو أكادير حيث يجثم أكادير ترسوط  
غير بعيد عن وادي لكوسة من قبيلة أمانوز على أن الرواية  
الشفوية ماتزال تؤكد على قرية إزدغ القريبة من إيمي  
أو أكادير ببلاد تاهلة من منطقة فم الحصن.

تؤكد روضة التحقيق أن والد الشيخ محمد بن إبراهيم  
عمل على توفير جو المصاحبة بينه وبين أبنائه، فأخذوا عنه  
العلوم الشرعية والنقلية. كان هذا هو الوالد يمثل مقياساً  
لمدى انصهار شيوخ الزوايا الذين جمعوا علمي الظاهر  
والباطن ضمن علاقات مجتمعية تستهدف بلورة القيم  
المعيارية. وقد يكون تأثر بهذا الوالد كما تدل على ذلك  
تسمية أول أولاده بإبراهيم وحضور مجملهم مجالسه  
العلمية كما تشير إلى ذلك تراجمهم المختلفة. ولا أدل على  
مدى ربط محمد بن إبراهيم بين سابقه ولاحقه من  
استشهاده الدائم وهو شيخ مسن بأتمته وأساتذته القدامى  
(مناقب البعقيلي ؛ طبقات الحضيكي، 2 : 9. 8).

نلاحظ فيما يخص المرحلة التعليمية من حياة المترجم،  
أن التطور السريع بفعل آليات طلب العلم الظاهر والباطن  
بسوس ودرعة يتماشى تماماً مع الصورة التي تضيفها  
الرواية الشفوية والمصادر على شخصية متميزة من هذا  
الحجم. فبعد أن تتلمذ على الكراميين وأبناء عبد العزيز في  
حجر عيسى وفقهاء رسموكة وسملالة وغيرهم حسب ما  
سمعه منه البعقيلي (طبقات الحضيكي، 2 : 8)، لازم لمدة  
طويلة وحيد عصره الحسن بن عثمان التلملي. ولن نحول  
سلطة هذا الأستاذ العلمية دون انتقاد المترجم بعض  
ممارساته فيما بعد. على أن هذه المرحلة الدراسية لم تلبث  
أن انتهت بالشيخ محمد بن إبراهيم إلى ولوج ميدان  
التدريس في مجموعة من قرى ومدائر الأطلس الصغير  
ويبرز علامات تقربه إلى حد كبير من عبد الله بن ياسين  
ابن بلده.

لقد انتزع محمد بن إبراهيم الشيخ وهو عائد إلى بلدته  
اعتراف مرافقيه بالولاية حين سقاها ماءً بارداً أتى به على  
وجه الكرامة في عز الصحراء وشدة العطش حسب ما أورده  
الحضيكي (طبقات، 2 : 8. 9). هذه المقاربة بينه وبين  
مؤسس دولة المرابطين تنتقل بالرؤيا من مجرد إطار عام  
للمقارنة إلى اعتبارها أداة تنوعت فاعليتها الدينية  
والإيديولوجية لتثبيت سمعة الشيخ المبكرة. على أن هذا  
العائد المتميز لم يستطع الاستقرار ببلدته كمدرس إلا لمدة  
محدودة، انتقل بعدها إلى "عناق الرمال" وأيت منصور،  
قريتين على وادي إيسي حيث قد يكون استقر سبع سنوات  
(المعسول، VII : 12) ليتنقل بعد ذلك ربما إلى إيليج ومنها  
إلى إيكلي حيث يمتلك بهما أملاكاً باسمه.

في هذه الأثناء كان موقع تامنارت أم المداشر التي تقع  
ببسيط الوادي الذي يحمل نفس الاسم، قاعدة لتجمع المياه  
الجبلية. أهمية الموقع هذه كانت تتمثل خاصة في كونه حداً  
فاصلاً بين الصحراء وما عداها من جهة (تاكجكال أيت  
تيكني، المعلمة، 2089. 2090) وفي تجسيده لنية تجارية  
وفلاحية فاعلة في الحياة الاجتماعية القروية من جهة  
أخرى. هذان المعطيان كانا بمثابة إطار لتقاطع الروابط  
الترابية وللتنافس من أجل اقتسام المنافع بين الغور الحبشي  
الأقدم (الحراطين) والنازلين عليه من مرتفعات الأطلس  
الصغير (إكزولن). ندرك من هنا أن الخطوط العريضة  
التي كانت تضمن للأحباش القدرة الفعلية على مواجهة مد  
إكزولن ذوي النجعة الجبلية تقتضي اعتماد التحالفات  
المرحلية مع ذوي السلطة الدينية كمنطلق نحو المزيد من  
التماسك والقدرة على الثبات في عين المكان. هذا الإطار  
العام الذي كان سائداً حول أهم المداشر سيجسد هنا  
التحالف العملي الذي أهل محمد بن إبراهيم الشيخ للدخول  
في مسلسل من التحالفات الميدانية مع الأحباش قصد  
توطيد أسباب الإبقاء على ممتلكاتهم وتهيبه مراقبته  
الفعلية لقسم من الأراضي المسقية. على أن تنظيم المجال  
وتقسيم مياه الساقية وبساتينها ستجعل بدايات المترجم

بتامنارت تعرف بعض الصعوبات.

كان من شأن النزاعات التي أفرزتها الفترة على امتداد الضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية أن زادت من التقاطع الحاد بين المداشر والفصائل المتصارعة. وسيتمجلى الجديد مع بداية القرن العاشر (16 م) في تحول السلطة السياسية من الفصائل والوحدات القبلية إلى الزوايا والشرفاء. كانت قبيلة إذا أوبلال ماتزال تنتجع يومها بين الساقية الحمراء ووادي نون. أما إمجاطن (مجاظ) ذوو النجعة الجبلية فقد طردوا فصائل أولاد بوعيطه من تيزلي محدثين بذلك اضطراباً كبيراً لن تتمكن من تهدئته إلا سلطة محلية قوية بحجم سلطة سيدي أحمد بن موسى. في وادي نون لم تكن قدرة تكنة الحربية قد أهلتهم بعد لإبعاد إذا أوبلال والمعتقلين عبدة واحمر. ولعل أول ما يلفت الانتباه بهذا الضدد هو الوضعية القائمة بين بلاد تكنة وبسيط تامنارت المجاور. فقد آلت هذه المنطقة منذ غزو الجبليين (إيبودران) من جهة والأعراب من جهة ثانية إلى حالة من التفكك العشوائي دون اتضاح ما يمكن أن تخضع له قواعد التحالفات من معايير جديدة تنظم سيرها. لقد اتخذ الصراع صيغة تناقض للمصالح المحلية بين لفي تاحكات وإكزولن حيث يفصل التنافس بين أسواق الطرفين (السوسي، من خلال جزولة، 3: 493). هذا المعطى بما يستند إليه من تصادم وتحالف يكشف عن فعالية الدور التوفيقى الذي سيضطلع به المترجم. فمجيئ هذا الصالح يعد بداية فعلية للتساكن والتعايش ضمن مجال ترابي مشترك وأساساً لإعادة التوازن وضمان الاستقرار الاجتماعى. استطاع هذا الصوفي أن يبلور تكنات ومواقف تضامنية تكشف لنا عن سر الاستقبال المتناقض الذي ميز موقف كل طرف من أطراف النزاع (السوسي، من خلال جزولة، 3: 15؛ المعسول، VII: 16-17).

أصبحت على المدارس والزوايا يومها ضرورة استخلاص الأعشار لمواجهة النفقات المتزايدة وظهور مقتضيات جديدة. فنجد هذه المؤسسات الدينية وقد أصبحت تتوفر على ممتلكات جاءت على شكل هبات أو إقطاعات أو أراض مستصلحة قد يتجاوز اتساعها ومكانتها اتساع ومكانة باقي الممتلكات. هذه المداخل كانت تمثل أداة للتراكم يتسع حجمها أو يضيق حسب قدرة الشيخ على تكريس مكانته الاجتماعية. فهي تدعم نفوذه وتدفع بسلطته المحلية إلى حدودها القصوى كاستراتيجية مستقلة لمواجهة المصاعب ودفع التحديات. بذلك يكون تحديد موارد المؤسسة الدينية أصبح خاضعاً لمقاييس تعتمد التراكم والسعي إلى مردودية تقتضى تنمية المداخل والبحث المستمر عن ممتلكات جديدة وأعشار.

انعكست هذه المرامي المتنامية في ممارسات محمد بن إبراهيم الشيخ قبل رحيله إلى تامنارت على ما يمكن أن نستخلصه من روضة التحقيق. فقد جاء نزوع الشيخ إلى استخلاص الأعشار وتثبيت بنية تراكمية كأساس واضح

جسد خلفاته مع أهالي أملمن مثلاً. ولربما كان هذا العامل نفسه هو الذي أدى باحباش تامنارت إلى مفاوضته على أساس إمداده بما لم يعجب منافسيهم في عين المكان. فتقديراً لدوره البارز وكفاءته بالمدارس التي مر منها قبل تامنارت يبدو أن الأحباش قد أقطعوه ما هيباً له أسباب النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب منافسيهم، فكان لهم بذلك خير حليف استقر كشخصية عززت وجودهم وكمدرس ذي خبرة وجرأة لم يتجاوز بعد الخمسين سنة. كانت سمعته المبكرة من الأسباب التي رفعت من شأن تامنارت باحتضانها ثاني قطب محلي يعد عبد الله بن ياسين. فلم تلبث بعد ذلك مجمل مدارس سوس وغيرها أن استنارت بطلبته وإشعاع مدرسته. ندرك إذن أنه ما أن تأسست الدولة السعدية حتى أسند إليه القضاء مرغماً سنة 1521/928. ومع أن هذه المأمورية كانت تشكل تهديداً لألمعته كعالم وصوفي كبير، فإن تحاشيه المشاركة في أي شكل من أشكال التعامل مع المخزن السعدي رفع من شأنه وزاد من كرامته لدى ذوي علم الظاهر وعلم الباطن. وهو أيضاً ما كان يتماشى مع المنظور القبلي الذي لا يسمح بمركزة السلطة ولا بظهور قائد مطاع وحيد. إذا كان توليه القضاء لم يتجاوز خمس سنوات، فإن وفاة أستاذه التلمي سنة 1526/932 قد زامت فترة أصبح خلالها من ألمع الوجوه التي تفيض في وصفها الألسن. جاء نزوعه إلى السلم كعامل استقرار وتهدئة اتسعت على إثره دائرته تدريجياً واتجه أسلوبه في التسيير نحو استخلاص الأعشار واحتواء أكبر قدر من الأراضي المسقية والمستصلحة. ولا شك أن مهادنة إكزولن التدريجية واستقطاب الأحباش قد أسهما بشكل أساسي في تقوية نفوذ المدرسة التي جعلت منه "علامة القرن العاشر ومدرسة تامنارت ومحي جزولة بمعارفه" (السوسي، من خلال جزولة، 3: 13؛ مدارس، 51.

52؛ الحضيكي، طبقات، 2: 8؛ التامنارتي، *Fawa'id*، 75. 80-81) فما موقع هذه المساهمة الكبرى من مقارنة الشيخ التامنارتي وسيدي أحمد بن موسى؟  
تصل بنا الصورتان اللتان تواجهان الدارس إلى نموذجين متباينين لصلحاء هذا القرن. يبلور سيدي أحمد أو موسى من جهته نموذجاً للصوفي الأمي الذي يضرب المثل بقدره مجموعته على مراقبة الطرق وتطويق القوافل ومعاينة المسافرين. جسد قبل أرقائه في علم الباطن رمزاً لرعب القبائل والمسافرين. وإذا كانت مسيرته حسب المقولة الشفوية قد أهلته لكي يصبح قطب سوس الذي يحمي القوافل ويعزز سلامة الطرق، فإن أمان سوق ومواسم تازروالت قد سهل عليه مأمورية تحصيل مؤونة أتباعه ومريده. ندرك إذن لماذا لم يكن في بسيط تازروالت بحاجة إلى ما يكفي من إلبساتين والأراضي لانتاج كل ما يحتاجه أتباعه ومريده مكتفياً بثلاثة بساتين أهديت إليه (معلمة، 1: 161-165). أما إذا انتقلنا إلى محيط العلاقات العامة ما بين الشيخ التامنارتي والوافدين عليه

من سوس وخارجها، فإننا نجد أوصافاً وتصورات تتطلب تعزيز البنية الإنتاجية لمؤونة الطلبة والمريدين. فعلى أساس الاستقلالية النسبية عن أهالي تامنارت يكون لزاماً على المؤسسة الدينية تعزيز قوتها الإنتاجية. وكان طبيعياً أن يسعى الشيخ الذي ترعرع في وسط الفقهاء والمتصوفة إلى تحديد العلاقة العضوية بين المؤسسة ومداخلها وأملاكها. وهو منظور سنجد في نطاقه المبادئ الرئيسية التي وظفها في سعيه إلى تحديد البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فعلاوة على كون حجم مساكن الطلبة قد تجاوز بكثير مرافق زاوية سيدي أحمد أو موسى، جاءت ممارسات الشيخ التامنارتي الدقيقة لتجسد دوره كحاكم محلي. ولم يكن سيدي أحمد أو موسى أقل من ذلك بتازوالت ونواحيها، إلا أنه لم يكن ينهض بمهام استخلاص الأعشار وإخضاع باني ووادي نون وبسيط تامنارت لسلطته بأبعدها الدينية والسياسية والمالية. تلك كانت قدرة الشيخ التامنارتي الفعلية على تنظيم حياة الجماعات (المعلمة، أيت إبراهيم، IV : 1130. 1127 ؛ تاغاجيجت، V : 2035. 2037). هذا ما يمكن أن نستشفه أيضاً من رسالة التامنارتي معتذراً للسلطان السعدي عن رفضه مهمة القضاء (الحضيجي، طبقات، 3 : 8 ؛ Tamanarti, Fawa'id, 81 - 80). وإذا كانت معارضة هذا الاعتذار لن تحول دون السلطان أحمد الأعرج سنة بعد ذلك من أن يكتب بخطه شخصياً رسم إقطاع باسم الشيخ التامنارتي (12. 4. 933 / 16. 1. 1527)، فذلك لأن المخزن السعدي لم يكن يجهل وهو في عز قوته مدى استقلالية الزوايا وقدرتها على الثبات والتحكم الميداني. تعددت أشكال الحضور الفعلي لمحمد بن إبراهيم الشيخ خارج بسيط تامنارت وأصبحت تتمثل عموماً في قدرته على تنظيم الأشغال العمومية وتطوير المرافق العامة (مناقب البعقيلي، 25. 26 ؛ الحضيجي، طبقات، 2 : 7) ولم يعد يكتفي بدعم أهالي واحات وادي تامنارت وأقاً ووادي نون الذين أصبحوا يدينون له بالولاء السياسي الواضح، بل نجده يلجأ إلى توسيع نفوذه الفعلي باستخلاص الزكاة وتجرمه النابتة بمنطقة ماسة حادا بذلك من مجال التضارب والنزاع حول قضايا ومشاكل تمس القيم الشرعية. هذه القنوات بقدر ما كانت تسمح له بتملك الأرض والساقية، كانت تؤهله لتعبيد الطرقات ومد الجسور وتهذئة الخلافات والحد من الزعامات المحلية (البعقيلي، مناقب، 26. 25 ؛ Tamanarti, Fawa'id, 109).

جسد محمد بن إبراهيم الشيخ خير أداة لمد الجسور بين الفصائل المحلية والمخزن السعدي. ولا أدل على ذلك من دوره التوفيق في الخلاف الذي حدث بين الطرفين حول استغلال مناجم عدانة بتمادولت حسب ما كشفت عنه روضة التحقيق. فقد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك احتكاره لكل أشكال ممارسة السلطة المحلية. يفيد الديماني بأن عجز ستة آلاف جندي مخزني أمام تحالف الأعراب والغور السكاني الصنهاجي عن استخلاص جبايات العدانة قد ارتبطت

بسلطة الشيخ التامنارتي كواقع سياسي أساسي قائم الذات. وإذا كانت هذه السلطة الأساسية لا تتردد في الاعتراف بمشروعية أمير المؤمنين (البعقيلي، مناقب، 25. 26 ؛ الحضيجي، طبقات، 2 : 8 ؛ 80 ؛ Fawa'id)، فخلال جيشه أمام تحالف القبائل وسلطة الطاعون المنتشر لم تكن لتغير من مواقف المترجم، فمسألة الأعشار تأتي هنا لتحدد بكامل الوضوح نصيب المخزن السعدي ونصيب الشيخ الذي لم يكن يتردد في تهديد المعتنقين عن دفعها له بشر العواقب (المعلمة، أيت إبراهيم، IV : 1130. 1127 ؛ تاغاجيجت، V : 2035. 2037).

إذا كان هذا التفصيل في المهام يبرز مظاهر التجانس بين مواقف الزوايا إزاء المخزن السعدي الذي كان يمثل في بدايته بحق قوة إكزولن، فإن أبعاد الوظيفة الاجتماعية والسياسية لقطبي سوس محمد بن إبراهيم الشيخ وسيدي أحمد أو موسى تطرح الزوايا في سياق الربط بين القبيلة وأمير المؤمنين. ويقدر ما يسمح هذا التفصيل بالتمييز بين السلطتين المحلية والمخزنية فإنه يفسح المجال أمام ارتفاع المترجم فوق التعارضات الاجتماعية (Tamanarti, Fawa'id, 77). فإذا كان سيدي أحمد أو موسى قد عمق التصوف السوسي، فإن محمد بن إبراهيم الشيخ كان بشهادة معاصره البعقيلي إمام الطريقة، قد "صار يسوس الفقراء ويربهم ويؤدبهم بالأدلة الشرعية المحضة" (الحضيجي، طبقات، 2 : 6). إن اتفاق كتب التراجم والمناقب على هذا الحكم لا يقتصر فقط على مساهمة القطب في ميداني العلم الظاهر والباطن بل يبرز سمات حكمه في البنية القبلية. فقد كانت آليات هذه البنية لا تتحرك فقط ضمن السياق الداخلي للمصراعات المحلية، بل أيضاً في مواجهة المد المسيحي على الشواطئ. من هنا فتدخل الشيخ التامنارتي كهلاً مسناً إلى جانب المخزن السعدي بالبريجة معناه أن مهمته لم تقتصر فقط على التوازنات المحلية والجهوية ولكن تنحو كذلك وربما بصفة أوكد، إلى المهام الجهادية (البعقيلي، مناقب، 26. 25). واضح أيضاً من خلال ما سمعه البعقيلي مشافهة منه أنه كان يمثل تطلعات سوس والصحراء إلى المحافظة على أصالتهما. ففي سياق نكرانه لتقبل أيدي الزوايا والفقهاء وتلقيهم بلفظة "سيدي" نجده يؤكد بأن الظاهرتين "محدثتان في بلادنا، جلبهما الفقيه الحسن بن عثمان التملي من بلاد الغرب" (مناقب، 26). نرى من هنا بعض الشروط الضرورية لظهور دواعي إصلاح جهوي وصلابة الدفاع عن الذات. وإذا كانت تلك هي المواصفات التي ميزت المترجم، فإن إصلاحه وتقويمه ما كان يراه جديراً بالتقويم قد حتم عليه تدريس الأدب العربي كمقامات الحريري باعتبار أنها "أصل لا يتوصل إلى شيء من العلوم إلا بها" (الحضيجي، طبقات، 2 : 9 ؛ Tamanarti, Fawa'id, 109).

عندما توفي سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ (9. 12. 1971 / 7. 19. 1564) كان أتباعه ومريده ومناصروه يتحدرون

رقم 325 : م. المختار السوسي، رجال العلم، 42 : المعسول، 3،  
324 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2، 566.

### التامنارتي، محمد بن أحمد الرسموكي، فقيه

مشارك، التحق في عهد الطلب بحاضرة مراكش ودرس على مشيختها ثم رجع إلى باديتة في تامنارت واستقر بقرية عنق تاسكدلت منقطعاً للتدريس والإفادة. وكانت دروسه متنوعة متينة، شملت قواعد اللغة والحساب والتوحيد والفقه. وأخذ عن عبد الرحمان التامنارتي في سفره قبل أن ينتقل إلى المحمدية (تارودانت). وقال في حقه : "وهو عالم عزيز مثله في البادية". توفي حوالي عام 1020 / 1611.

ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، 44 : م. الحضيكي، طبقات، 2، 48.  
49 : م. حجي، الحركة، 2، 620.

### التامنارتي، محمد بن عبد الله بن عيسى الجزولي،

عالم مدرس نفاع صالح، ناصح، متخصص في الحديث، وله فيه سند عال. أخذ عنه عبد الرحمن التامنارتي الحديث المسلسل بالأولية، وحديث المصافحة بسند عال، وحديث الضيافة، وأثر السبحة.

توفي ببلده تامنارت في ربيع الأول عام 1039 / أكتوبر -  
نوفمبر 1629.

ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، 44 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ.  
بومزكو، الترجمة 334 : م. حجي، الحركة، 2، 620.

### التامنارتي، محمد بن محمد بن إبراهيم الشيخ،

الابن الأكبر لشيخ تامنارت والقائم مقام أبيه بعد موته بأمر التدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تخرج بأبيه ومن في طبقتهم من علماء سوس، فكان فقيهاً صالحاً لا تأخذه في الله لومة لائم، واشتهرت فتاويه بالدقة، بل بلغ فيها درجة الاجتهاد، حسب قول القاضي عبد الرحمان التامنارتي في الفوائد الجمّة. وهو من الفقهاء الذين استشارهم قاضي الجماعة بالمحمدية سعيد الهوزالي حين أراد منع بيع الثنبا ببلاد سوس، فاجتهدوا وأفتوا بمنعها خلاف المشهور في المذهب المالكي، وذلك لدرء مفسدة تحايل الناس للوصول إلى الربح المشروع شرعاً، واتفقوا على أن الثنبا إن كانت شرطاً في صلح العقد فسد البيع إلا أن يفوت بما تفوت به البيوعات الفاسدة. وبهذا الرأي أصدر القاضي الهوزالي منشوراً إلى جميع القبائل السوسية (نص المنشور مخطوط بخزانة تامكروت رقم 1644. ثالث في مجموع). توفي محمد التامنارتي عام 976 / 1569.

م. البعقلي، مناقب، 19 : ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، 73، 74 :  
م. الحضيكي، طبقات، 2، 9، 11 : م. المختار السوسي، المعسول،  
47، 48 : م. حجي، الحركة، 1، 314 : 2، 615، 616، 617.

محمد حجي

عن قبائل مختلفة. لقد استطاع أن يشكل عبر التنافس القبلي دائرة من التكتل الاجتماعي والسياسي تغطيها الصبغة الدينية والصوفية. وإذا كانت هذه الدائرة قد انحسرت بعد وفاته واتجهت تدريجياً نحو التلاشي فذلك لأن حفدته لم يكونوا قادرين على إعادة إنتاج نفس الهيكل.

ابن عسكو، دوحه، 82، 83، 111، 112 : مناقب البعقلي، 1987، 17.  
18 : م. الأفراني، صفوة، 63، 64 : م. الحضيكي، طبقات، 2، 5، 9 :  
م. المختار السوسي، المعسول، VII، 10، 33، 35، 46 : X، 46 :  
XII، 279، 280 : من خلال جزولة، 1، 3، 13، 34 : III، 15.  
493 : سوس العالمية، 156، 178 : مدارس سوس العتيقة، 121 : م.  
حجي، الحركة، II، 617، 618.

A. Tamanarti, *Fawa'id Al Ğamma*, 75 - 80 - 81 - 109.

مصطفى ناعمي

### التامنارتي، محمد بن إبراهيم بن محمد حفيد

الشيخ، درس في مسقط رأسه على أبيه وأعمامه، فكان مثلهم علماً وصلاً وإقبالاً على إفاضة الطلبة وإرشاد المريدين المتوافرين في مسجد تامنارت، وأحيا سنة جده في الإنفاق على المرافق العامة من إصلاح الطرق والسواقي والقناطر وغيرها. توفي بتامنارت عام 1004 / 1596.

م. البعقلي، مناقب، 19، 20 : م. الحضيكي، طبقات، 2، 52.  
وكرر الحضيكي ترجمة محمد بن إبراهيم في صفحة 108 من نفس  
الجزء، وتبعه في ذلك محمد المختار السوسي فعقد له ترجمتين  
رغم أنه تنبه للتكرار : م. المختار السوسي، المعسول، 7، 52 رقم  
13، و53، 52 رقم 14 : م. حجي، الحركة، 2، 619.

### التامنارتي، محمد بن أحمد بن إبراهيم المغافري

الفيجي والد عبد الرحمن متقدم الترجمة. صوفي ناسك صالح، أخذ عن بلديته محمد بن إبراهيم الشيخ وأحمد بن موسى السملالي ومحمد بن ويسعدن السكتاني وغيرهم من أقطاب عصره. روى عنه ولده في الفوائد الجمّة أخباراً وحكماً صوفية عديدة تدل على تمكنه في طريق القوم. ولا يُذكر له اشتغال بالتعليم ولو أنه عاش فترة من حياته في زاوية شيخه ابن ويسعدن في جملة سبعمئة طالب كانت تؤويهم هذه الزاوية الجبلية وتقوم بتعليمهم وإطعامهم. وكان محمد التامنارتي - بتكليف من الشيخ - هو القيم على خزائن الزاوية الساهر على شؤون رفاقه الطلبة.

حلاه الحضيكي بقوله : "وكان... رجلاً صالحاً خيراً ديناً متعبداً ورعاً زاهداً في الدنيا معرضاً عن أهلها طوال عمره ذا دين متين ويقين وصبر، وذا كرم وقلب صميم وخلق حميدة وسيرة حسنة".

توفي بالطاعون في تارودانت عند غروب الشمس يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة عام 1007 / 21 يونيو 1599.

ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، في مواضع عديدة : م. الإفرائي، صفوة، 133، 134 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة

ابن **تامَنقَارَت**، أو **تمنقارت** (الحاج-) عامل بني مرين على سجلماسة. ورد ذكره عند ابن مرزوق في *المسند*، وقال إنه كان يشغل أيام حكم أبي الحسن المريني منصب الوالي على سجلماسة ودرعة. وساق حوله حكاية تفيد بأنه كان قد زار تلمسان والتقى بمخدومه أبي الحسن المريني، ويبدو أن هذه الزيارة كانت بسبب ما رفع عن هذا الوالي من أمور أوجبت مطالبته بأموال استظهر بها عليه وقُدِرت بأحد عشر ألفاً. إلا أن السلطان أمر بالعفو عنه، وهو ما أدخله ابن مرزوق في باب كرم السلطان أبي الحسن.

م. ابن مرزوق، *المسند*، ص. 189.

عمر بنميرة

**التامنوگالي** (أيت القائد)، أسرة وجيهة مارست السلطة بواحة مزكيطة انطلاقاً من قصبة تامنوگالت على مدى قرون من الزمن. وتكتب في بعض الوثائق المخزنية بالجيم ويدون مد التاء والنون هكذا "التمنجالي". تنحدر هذه الأسرة، تبعاً لما أثبتته الفقيه محمد بن لحبيب، من أسرة عربية هاجرت من أنجاد بالمغرب الشرقي إلى درعة (العقود الجوهريّة، 73) وإذا صح أن هذه الأسرة قد هاجرت إلى درعة من أنجاد، فهل يمكن القول بأن الجمد الأعلى لأسرة التامنوگاليين قد يكون من الجماعة التي انضمت إلى السلطان مولاي رشيد العلوي بعد انتصاره على أخيه ببسيط أنجاد سنة 1075 / 1664 م، وأن مولاي رشيد قد عهد لهذا الأنجادي بضبط أمور مزكيطة لدرعة؟ ولعل الراجح لما ذهبنا إليه أن علاقة أسرة التامنوگاليين كانت وطيدة بالمخزن العلوي، منذ تأسيس الدولة العلوية إلى غاية العقود الأولى من القرن الرابع عشر (20 م) (وثائق دار *القائد التامنوگالي*).

**التامنوگالي، القائد بو بكر بن عبد الرحمان.** تولى قيادة تامنوگالت بعد وفاة أخيه القائد محمد مباشرة، فدخل عهده بالإعلان صراحة عن معارضته القوية لنفوذ عائلة الكلاوي بوادي درعة، وقد انفرد بهذا الموقف من بين شيوخ وقواد وادي درعة الذين كانوا يداهنون أسرة الكلاوي، التي عادت إلى المسرح السياسي وهي أقوى ما تكون بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1912.

ويتضح من هذا الموقف المتسرع للقائد بو بكر التامنوگالي تجاه أسرة الكلاوي، أن القائد التامنوگالي، لم يكن على بينة من التطورات السياسية التي طرأت على مستوى السلطة المركزية، حيث عولت فرنسا على إخضاع المغرب واستعمارها بالاعتماد على بعض العائلات المخزنية الكبرى مثل عائلة الكلاوي. ونعتقد أن هذا الموقف المعادي للكلاوي من القائد بو بكر التامنوگالي له ما يبرره محلياً

فقد انفجر الوادي كله من أفلان درا إلى محاميد الغزلان، في حالة من الغليان الاجتماعي والفتن بين القبائل، فاختلط الحابل بالنابل، وتعدد الداعون إلى الجهاد ضد النصارى. وفي خضم هذه الاضطرابات، قام القائد حمو الاكلاوي بإرسال مجموعة من الخلفاء عنه إلى مختلف الواحات بالوادي في محاولة لوضع حد للغليان الاجتماعي، وكان يوجه رسائله إلى خلفائه وشيوخ القبائل باسم المخزن والسلطان، إلا أن مجيئ هؤلاء الخلفاء زاد من إثارة الفتن لتشدهم في استحلاب أموال الناس والتركيز على الحركات الانتقامية ضد من نُعتوا بكونهم من القبائل العاصية والسائبة.

اعتقد القائد حمو الاكلاوي، أن مجيئه إلى درعة سيضع حدا لمظاهر الفتن والغليان الاجتماعي، لذلك جهز حركة قوية بمباركة فرنسا ومشاركة بعض ضباطها ومدافعها، فتوجه إلى وادي درعة وأناخ بجيشه على قصبة تامنوگالت يوم 22 محرم عام 1343 هـ / غشت 1924 م وأمر قواته بإرسال بعض الطلقات المدفعية لإرهاب السكان وإجبارهم على التخلي عن القائد بو بكر. وفي صباح اليوم الموالي خرج سكان تامنوگالت يطلبون الأمان من القائد حمو يتقدمهم الصبيان بالواحه وبعض الطلبة من الصالحين والناصريين الساكنين بالقبصة، فقبل القائد حمو شفاعتهم بعدما أمر بعزل القائد بو بكر، وحدد مؤونة الحركة التي يجب على سكان تامنوگالت دفعها في "ألف مد من الشعير وأربعمائة مائدة من الخبز، ومائة شليف من التين وأربعمائة كبش، ومائة صاع من السمن ومائة صاع من الزيت، ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم والحضرة" (تاريخ درعة، 46).

وهكذا يكون القائد بو بكر قد دفع الثمن غالياً لمعارضته. وقد ظل القائد بو بكر التامنوگالي بعد عزله، فيما يشبه الإقامة الإجبارية إلى أن توفي سنة 1350 هـ / 1931 م.

**التامنوگالي، القائد الحسن.** اضطرت أحوال قيادة تامنوگالت بعد وفاة القائد عبد الله مباشرة، وكاد الأمر أن ينفلت من أيدي التامنوگاليين بسبب التنافس على القيادة، وقد استطاع محمد بن عبدالقادر الفاسي، صهر آل القائد، أن يضع حداً لهذه الاضطرابات، وحتى تظهر لأصهاره ولغيرهم من المتنافسين أنه لا رغبة له في قيادة تامنوگالت، فقد استقدم الطالب الحسن من محل دراسته فسلم له قيادة أسلافه.

عمل القائد الحسن على تهدئة الخواطر، وأحمد نار الفتن، مرة بالتفاوض وأخرى بالترغيب والترهيب، فانقاد الناس لطاعته، وصالح القائد الكدزي، وقد تطورت المصالحة إلى مصاهرة بين العائلتين، ثم ما لبث القائد الكدزي أن توفي، فضم القائد الحسن التامنوگالي منطقة

أَقْلَانُ دُرَا (درعة العليا) إلى مجال نفوذه، لكون قائد أكَدز لم يخلف ذكراً يتولى القيادة، وبذلك يكون القائد الحسن قد وسع نفوذ آل تامنوگالت على كل واحة مزگیطة من أَقْلَانُ دُرَا إلى فم تانسِيخْت. ويصف لنا الفقيه بن الحبيب، القائد الحسن فيؤكد أنه كان حسن السيرة، محبباً لأهل العلم والصلاح (العقود الجوهريّة، 74). ويظهر أن القائد الحسن كان بحاجة إلى عنصر ثالث بقصبة تامنوگالت يضمن له نوعاً من التوازن بين القيادة ورعيّتها لذلك استقدم بعض مرابطي الزاوية الصالحة والزاوية الناصرية، فأسكنهم إلى جانبه وأفاض عليهم من نعمته.

وإذا كانت عملية استقدام هؤلاء المرابطین تظهر وكأنها أمر عادي جداً، فإن الواقع يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه، من كون القائد الحسن التامناگالي كان يعمل لتعزيز عوامل التوازن بمجال قيادته، إذ ما كاد هؤلاء المرابطون يستقروا بتامنوگالت، حتى أسرع القائد الحسن إلى وضع قانون غير مكتوب يهدف به إلى تنظيم أمور القيادة على أسس تحول مستقبلاً دون انفجار صراعات داخلية حولها، وهكذا أحدث منصب الخليفة، وحدد مهامه في النيابة المطلقة عن القائد، في حالة غيابه عن قصبة تامنوگالت، والخليفة هو الذي يقود المهنتين والهدية إلى القصر السلطاني في الحفلات الرسمية والأعياد الدينية. والخليفة هو الذي يقود المفاوضات مع القبائل. وحسب هذا القانون العرفي، فالولد الأكبر للقائد هو الذي يتولى هذا المنصب ويتولى القيادة بطريقة مباشرة بعد وفاة القائد (Les pays inaccessibles، 24). وحتى يضمن نوعاً من المشروعية على منصب الخليفة، فإن علماء مرابطي الصالحين والناصرين يشكلون جزءاً من الهيئة الاستشارية عند اختيار وتنصيب الخليفة، وليس من حق أي كان من أبناء عمومة القائد أن يناقش هذا التنصيب للخليفة مادام العلماء من المرابطین قد زكوه بدعواتهم الصالحة ومباركتهم للشخص المعين. وقد ذهب القائد الحسن بعيداً في تعزيز سلطته وسلطة أبنائه من بعده، ذلك أنه ربط مصاهرة واسعة مع المرابطین الصالحين، الذين باتوا يدافعون عن مصالحهم من خلال دفاعهم عن دار القيادة بتزيكتهم للقواد التامنوگاليين أمام السلطان إبان حمل الهدية إلى القصر أو تقديم التهاني في الأعياد الدينية، وهذه التزكية من المرابطین للقائد أمام السلطان ضمان لاستمرار ولاء دار القيادة للسلطان. وقد توفي القائد الحسن بعدما نجح في توطيد أركان قيادة تامنوگالت في تاريخ غير معروف من نهاية الستينات من القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

**التامنوگالي، القائد عبد الرحمان،** تولى القيادة بعد وفاة أخيه، وقد عرفت دار القائد التامنوگالي تطورات هامة على عهده. فمن جهة، عاد القائد عبد الرحمان إلى الطريقة القديمة في تولي القيادة بتامنوگالت، وتعتمد هذه الطريقة على الغلبة والقوى، فألغى بذلك القانون العرفي

الذي وضعه القائد الحسن، وبهذه الخطوة التي أقدم عليها القائد عبد الرحمان، عرفت دار القائد التامنوگالي سلسلة من النزاعات كادت أن تخرج الأمر من أيدي التامناگاليين. أما التطور الثاني الذي عاصره القائد عبد الرحمان فيتجلى في صعود عائلة الاگلاوي. ذلك أن هذه العائلة كانت تتطلع لبسط نفوذها على منطقتي دادس ودرعة، منذ أن أصبح الاگلاوي محمد إبيبيض، قائداً على تلوات بمقتضى ظهير سلطاني بتاريخ 1273 هـ / 1856 م. إلا أن قواد وشيوخ أيت واوگيت، وأيت بن حدو وأهل ورزازات حالت دون وصول الاگلاوي إبيبيض إلى منطقة الأودية (Le Haouz، 313). كان القائد عبد الرحمان التامنوگالي يتتبع عن كثب ما يجري بتلوات، لذلك أرسل ابنه العباس إلى قائد تاوريرت بورزازات، محمد أُوغبو، فتحالف معه ضد الاگلاوي، وبهذه الخطوة يكون القائد عبد الرحمان التامنوگالي قد حدد موقعه في الصراعات السياسية التي تضطرم آنذاك بين قواد وشيوخ الجنوب وعائلة الاگلاوي.

لم يكد القرن التاسع عشر يشرف على النهاية، حتى كان المدني الاگلاوي قد حسم الصراع لصالحه حيث نجح في فتح طريق الأودية، بإخضاعه لشيوخ أيت زينب، وأيت حدو وأهل ورزازات. وقد حاول القائد عبد الرحمان التامنوگالي عقد تحالف واسع مع قبائل إِمغْران المتحكمة في الطريق الرابط بين ورزازات ودرعة في محاولة جديدة للتصدي لتوسع عائلة الاگلاوي، إلا أن هذه التحالفات الجديدة لم تجد شيئاً أمام تعاضم نفوذ المدني الاگلاوي، إن على المستوى الجهوي أو على مستوى السلطة المركزية، لذلك قرر القائد عبد الرحمان التامنوگالي في أخريات أيامه إنقاذ ما يمكن إنقاذه بقيادة قصبة تامنوگالت فأعلن ولاءه للمدني الاگلاوي (71، Districts). وقد توفي القائد عبد الرحمان التامنوگالي، بعد مسيرة حافلة بالدسائس والتحالفات للحفاظ على قيادة أسلافه سنة 1322 هـ / 1904 م.

**التامنوگالي، القائد عبد الله،** لا نعرف أي شيء كذلك عن القائد عبد الله، وقد وصفه الفقيه ابن الحبيب بأنه صنيدي وحازم (العقود الجوهريّة) ويرجح أنه مارس السلطة بتامنوگالت خلال العقود الأولى من القرن الثالث عشر (19 م).

**التامنوگالي، القائد علي،** تولى قيادة تامنوگالت بعد عزل أخيه سنة 1343 هـ / 1924 م بأمر من القايد حُمو الاگلاوي الذي بات يتصرف في شؤون وادي درعة، باسم المخزن. ويظهر أن القائد علي، لم يستطع نسيان ما لحقه من هوان على يد أسرة الاگلاوي التي صارت تتصرف تصرفاً مطلقاً في تلك الجهات، فاكتفى بقبول القيادة حفاظاً على ما تبقى بدار آل التامنوگالي حتى لا تندثر بشكل نهائي إلى أن يدبر أمره، وهكذا لم تمض إلا بضعة

شهور على تنصيبه قائداً بتامنوگالت، حتى قام برحلة سرية إلى منطقة أزيلال للاتصال بالفرنسيين طالباً منهم التدخل إلى جانبه بدرعة وانقاذ المنطقة من براثن القائد حمو وأتباعه، إلا أن الفرنسيين لم يكونوا ليضحوا بدور الاكلاوي من أجل قيادة تامنوگالت المتراجعة، فحملوا القائد علي إلى مراكش لطلب الأمان من الباشا التهامي الاكلاوي، ولم يكن باستطاعة الباشا أن يرفض هذا الطلب، فأظهر الرضى عن القائد علي الذي عاد إلى قصبته تامنوگالت، وهو يقدر أن الأمر قد انتهى بالنسبة لقيادة تامنوگالت، مثلها في ذلك مثل مشيخات تداخت وأيت ابن حدو وأهل ورزازات التي أنهت أمرها عائلة الاكلاوي من قبل. وبالرغم من هذا الإحساس فإن القائد علي لم يستسلم للركون في قصبته، بل حاول الاتصال بالقصر الملكي لتجديد عهد أسلافه بالدولة العلوية، إلا أن عيون الاكلاوي على القائد علي، أبلغته بسفره للرباط عن طريق أزيلال، فأبلغ الاكلاوي الفرنسيين الذين تمكنوا من ضبط القائد علي وأحد خدامه المقيمين بمدينة الرباط فأعيد إلى درعة.

تزامن تنصيب القائد علي وما قام به من محاولة للتخلص من هيمنة أسرة الاكلاوي بتركيز الفرنسيين عملياتهم العسكرية والسياسية في المناطق الجنوبية وظهور سلسلة من مكاتب الشؤون الأهلية بورزازات وقلعة مكنة وتزناخت (90, Districts)، وهذه المناطق لها اتصال مباشر بوادي درعة، وفي نفس الوقت كانت القوات العسكرية وشبه العسكرية تشق الطرق لربط هذه المراكز ببعضها البعض، وفي هذا الإطار شق الطريق الذي يربط بين تزناخت ومزگيطة، والطريق الرابط بين ورزازات ومزگيطة عبر أيت ساوون. وقد كانت فرنسا تسعى من وراء هذه الأعمال إلى اقتحام منطقة الأودية بدادس وتدغة ودرعة والتي كانت تعج بالثائرين على فرنسا (بلقاسم النكادي، علي التازرني) والمعارضين لسلطة آل الاكلاوي بالجنوب.

وكتأكيد من فرنسا على عزمها في بسط سيطرتها على مناطق الأودية، قام الجنرال هوري (Huré) بزيارة لمزگيطة يوم 15 ماي 1930 حيث نزل بطائره في بسط من الأرض بالقرب من مركز أگدز الحالي، وقد وجد في استقباله القائد علي التامنوگالي، قائد أهل مزگيطة، والقائد العربي بن عثمان، قائد أولاد يحيى، وقد التزم القائد علي التامنوگالي للجنرال هوري؛ بتسهيل مهمة القوات الفرنسية بمزگيطة، والتزم بنفس الموقف قائد أولاد يحيى (91, Districts) ويبدو واضحاً أن موقف القائد علي في إعلان رغبته في التعاون مع السلطات الفرنسية كان الدفاع من ورائه الانقلابات من قبضة آل الاكلاوي والحفاظ على استمرار القيادة بتامنوگالت. وقد رحبت فرنسا بموقف القائد علي وكانت تتطلع إلى خلق تحالف قوي بين قبائل أولاد يحيى وقبائل مزگيطة لمواجهة قبائل أيت عطا والمتحالفين معها في الواحات الجنوبية، خاصة لكتاوة

ومحاميد الغزلان حيث وصل إلى الواحيتين أتباع بلقاسم النكادي بعد تراجعهم أمام القوات الفرنسية بتافيلالت. وفي فاتح يناير من عام 1931، قام القبطان سبلمان (الذي يعرف محلياً بالقبطان سليمان) بالوصول إلى موقع أگدز الحالي، فشرع في بناء مقر مكتب الشؤون الأهلية. وقد جاء القائد علي التامنوگالي صحبة أعيان أهل مزگيطة للسلام عليه والتأكيد على الوفاء لما التزم به الجنرال هوري في السنة الفارطة. إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن بالنسبة للقائد علي، ذلك أن الباشا التهامي الاكلاوي دخل في صراع سياسي مع القبطان سبلمان، خرج منه الباشا الاكلاوي منتصراً حيث تم نقل سبلمان من وادي درعة (Souvenirs, 127) وكان سبلمان متعاطفاً مع القيادات المحلية، لذلك ما كاد سبلمان يغادر المنطقة حتى وجد القائد علي نفسه وجهاً لوجه مع الاكلاوي من جديد. وبالرغم من أن الباشا الاكلاوي لم يستطع اتخاذ أي إجراء ضد القائد علي، فإن سياسة الإهمال التي وجه بها القائد علي جعلته يلتزم منزله إلى أن وافته المنية في تاريخ لم نتسكن من تحديده.

#### التامنوگالي، القائد محمد بن عبد الرحمان، تولى

قيادة تامنوگالت بعد وفاة إبيه مباشرة بعهد منه. ويصفه صاحب العقود الجهورية بأنه كان يتلو كتاب الله (العقود الجهورية، 76)، اقتفى أثر أبيه في تدبير شؤون أهل مزگيطة. حاول القائد محمد التامنوگالي تحسين مركزه عند عائلة الاكلاوي، لذلك نجده قد وجه كتيبة من أهل درعة سنة 1907 / 1325 م للمشاركة إلى جانب قوة الاكلاوي في نصرة السلطان مولاي حفيظ في صراعه مع مولاي عبد العزيز. وبالرغم من هذه المشاركة، فإن قيادة تامنوگالت تبقى بالنسبة لعائلة الاكلاوي القيادة المعارضة، ويجب التعامل مع آل التامنوگالي على هذا الأساس، لذلك ما كاد المدني الاكلاوي يعين وزيراً أكبر حتى عين ابن أخيه القائد حمو الاكلاوي، قائداً على الجنوب كله من قصبته تلوات بالأطلس الكبير إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء الكبرى، وكان على القائد محمد التامنوگالي أن يخضع للأمر الواقع إن هو أراد البقاء في قيادته والحفاظ على مكتسبات أسلافه.

كان المدني الاكلاوي يعرف جيداً عمق المعارضة لعائلته بوادي درعة والمناطق المجاورة، إلا أنه أجل البث في أمر رؤوس المعارضة من القواد والشيوخ إلى حين، متذرعاً بانشغاله بأمور الوزارة الكبرى وما تتطلبه السلطنة الحفيفية من حيلة وحذر في تدبير شؤون الدولة، فكان يكتبني بإرسال أوامره إلى قواد الجنوب مذيلة باسمه كوزير أكبر، وفي هذا التذييل دلالة واضحة على سلطته الجديدة، وإشارة بليغة إلى المناوئين لنفوذ عائلته وسلطتها، ليس بوادي درعة فحسب، وإنما في كل المناطق الممتدة جنوب وشرق ورزازات. إلا أن عزل المدني الاكلاوي من منصبه سنة



1911، خفف من الضغط النفسي على القائد محمد التامنوگالي الذي كانت أسرته تشكل أقوى معارض لآل الاگلاوي بدرعة، ومن حسن سياسة التامنوگالي أنه لم يتسرع في اتخاذ مواقف معادية صريحة من الاگلاوي، بل فضل الانتظار، واكتفى بتدبير شؤون واحة مزگيطة إلى أن وافته المنية سنة 1334 هـ / 1915 م.

**التامنوگالي، القائد محمد الكبير، لا نكاد نعرف عنه أي شيء، اللهم ما كان من إشارات خفيفة عند الفقيه ابن الحبيب، فقد ذكر أن القائد محمداً هذا كان معاصراً لسيدي أحمد بن صالح الاكتاوي (توفي 1149 / 1736 م) وعلى هذا، فإن القائد محمد قد يكون معاصراً للسلطان مولاي إسماعيل العلوي.**

**التامنوگالي، القائد المدني،** كان خليفة لأبيه القائد الحسن، فلما توفي هذا الأخير، تولى المدني قيادة تامنوگالت، فاقتفى أثر والده في حسن السيرة والمساعدة مع أهل مزگيطة (العقود الجهرية، 76). ويبدو أن القائد المدني، نجح إلى حد كبير في الحفاظ على استقرار مزگيطة وضبط أمورها بتصديه لمثبري الفتن والتشغب، والقضاء عليهم، وقد كان المخزن يبارك أعمال القائد المدني ويشجعه على ضبط أمور منطقتة لضمان استقرار سكانها، فقد ورد في إحدى الرسائل المخزنية من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ما يلي: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما أنهيت إلينا من شيطنة عبد العزيز بن عبد الرفيق، وصار ذلك منا على بال. ولا بد احتل عليه حتى تقبضه كما قبض أبوك على جعفر التمزري ووجهه لمراكشة والسلام في 6 شوال عام 1273 / 1856.

بصريحه  
وطلبه على سبيل زناون بمانامو والبر...



منه والاراضى الى مال الجدي من التيجالا ونذا انه وسلم علينا رفقنا الله تعالى وكما نرى في هذه الرسالة كتابا وعرضا ما به وعلما ان البيت اليت من بيت عبد العزيز بن عبد الرفيق وداره الا ساعا بالزناون برامه من عليه حتى تقبضه كما قبض ابو دى جمع من التمزري وارج منه كتابا ووجهه لمراكشة والديلم، ما شواك على  
1273

ولما اشتدت الضغوط الاسبانية على السواحل المغربية سنة 1277 / 1860، توصل القائد المدني التامنوگالي برسالة طويلة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، يحض القائد على استنفار أهل درعة للمشاركة في الجهاد وحماية بيضة الإسلام بهذه الديار. ونستشف من عدد من المراسلات المخزنية التي توصل بها القائد المدني التامنوگالي، أن واحة مزگيطة كانت تتمتع بنوع من الاستقرار على عكس باقي الواحات الجنوبية بدرعة والتي كانت تعيش حالة من الفراغ

السلطوي نتيجة تشغب قبائل أيت عطا على العمال المخزنيين.

وإذا كان القائد الحسن استقدم المرابطين من زاوية سيدي صالح وزاوية بناصر إلى تامنوگالت، فإن القائد المدني قد استقدم بعض الأشراف العلويين من قصر تمتيگ بفزاوطة، لخلق توازن جديد داخل قصبه تامنوگالت بعد أن أصبح الصالحيون يكونون جزءاً من البنية السياسية الداخلية بتامنوگالت على إثر مصاهرتهم مع آل القايد. وقد توفي القائد المدني سنة 1295 / 1878.

الفقيه محمد بن الحبيب التامنوگالي، العقود الجهرية، مخطوط خاص: الطيب بن الحبيب، تاريخ درعة، مخطوط خاص: مجموعة وثائق وظهائر توجد في حوزة حفدة وأبناء القائد التامنوگالي.  
G. Spillmann, Les pays inaccessibles du Haut Draa ; Districts et tribus de la haute vallée du Draa ; Souvenirs d'un colonialiste ; P. Pascon, Le Haouz de Marrakech.

**التامنوگالي، محمد بن الحبيب،** عرف هذا الفقيه بنفسه، فذكر بأنه تامنوگالي النشأة، تيرسوتي الأصل، رگراگي النسب (العقود، 31). وهكذا يتضح أن أصل هذا الفقيه هو قصر تيرسوت بواحة ترناتة على بعد حوالي سبعين كيلومتراً جنوب قصبه تامنوگالت.

وجده محمد بن الحاج هو الذي انتقل من ترناتة إلى مزگيطة، فنزل بقصبه تامنوگالت تحت حماية ورعاية القايد الحسن التامنوگالي، وذلك في أواسط القرن الثالث عشر (19 م). فقد وهب القائد الحسن داراً تعرف بدار سيدي محمد بن الحاج، وأقبل على تعليم القرآن بالمسجد الكبير بقصبه تامنوگالت "فنفع إليه به الخاصة والعامة، وانتهت إليه الراسة القرآنية، وقصده الناس من كل فج" (العقود، 75).

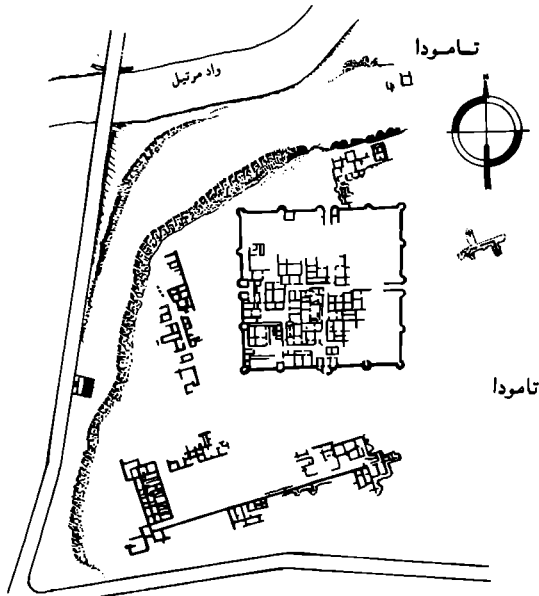
نستشف من هذه الإشارة أن محمد بن الحاج التيرسوتي انتقل إلى تامنوگالت بقصد تعليم القرآن لأبناء القايد وغيرهم، وهي المهمة التي ظل أبناء التيرسوتي وحفده يتحفظون بها إلى اليوم.

ولد محمد بن الحبيب بقصبه تامنوگالت عام 1323، فتعلم مبادئ القراءة على بني قومه بمساجد القصبه، فلما استد عوده أقبل على تعلم العلم، فبدأ بعلم القراءات على يد صهره محمد بن علي الغرغري الذي كان يدرس الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع، وعن هذا الفقيه أخذ المبادئ الأولية في الفقه وعلوم الشريعة، ودرس كتب الصحاح في الحديث (العقود، 32-45) إلا أن تخرجه النهائي على يد عالم تامنوگالت وقاضي مزگيطة في وقته محمد المكي الناصري أجازة عامة.

توجه محمد بن الحبيب بعد تخرجه إلى ممارسة التدريس، فسافر إلى مراكش، وعلم القرآن الكريم في بعض كتاتيبها بجامع المواسين وزاوية مولاي عبد الملك (أعلام درعة) وكان يستغل وجوده بمدينة مراكش ليحضر بعض الحلقات العلمية بجامع بن يوسف، إلا أنه لم يدون لنا

التالية : Tamudensis épiscopus. وبالإضافة إلى هذه المجموعة من الإشارات التي وردت في حق هذه المدينة، هناك مجموعة أخرى من الوثائق التي حملت هي أيضا إسم تامودا وهي النقود وخاصة النقود المعروفة باليونانية أو البونيقية الجديدة، التي ربما ضربت أو سككت بالمدينة نفسها. نقرأ على هذه النقود غالباً العبارات التالية : J. Mazard كالتالي : تامودا، أو تاموكتا. وتضاف إلى هذه المجموعة من الإشارات عبارات أخرى هي : (J. Mazard, 1955, p. 178 - 179, N° 581 à 588 ; tadha, tomt) وهناك نقش حجري واحد باللاتينية يحمل اسم تامودا على صيغة المفعول به (J. (T)amudam Gascou, 1982, p. 47 - 48).

تم اكتشاف موقع تامودا سنة 1920، وسمي إذاك بالصوير، وبوشرت الحفريات بعد ذلك بقليل تحت إشراف لويس سيزار دو مونتالبان (L.C. De Montalban) ويعد ذلك تحت إشراف كنيطيرو P. Quintero من سنة 1940 إلى سنة 1944 (Tarradell, 1966, p. 440). لقد كشف دو مانتالبان عن المحيط الخارجي للصور، وكذلك عن الربع الجنوبي من نفس البناء، إلا أن نتائج هذه الحفريات لم يتم نشرها بل اكتفى الباحث بالإشارة إليها في تقرير حرر عام 1933 بطريقة حكائية، يستحيل استعمالها، لانعدام الوثائق والرسوم التي تطابق مختلف التوضيحات المستعملة، (Lenoir, 1980, p. 169).



وفي سنة 1943 كشف كنيطيرو P. Quintero عن داخل الباب الغربية، كما أنه بادر بالتنقيب عن المقبرة (P. Quintero, 1943, p. 12 - 13 ; Tarradell, 1953, p. 28) ومن بين الأوائيل الذين اهتموا بمعسكر تامودا نجد موران (P. Cesar Moran) الذي قام بمجموعة من التنقيبات الأثرية بموقع تامودا التي تم نشر نتائجها بمجلة تامودا (P. Cesar Moran, 1948).

أي شيء عن الحلقات العلمية التي كان يحضرها والشيخ الذين أخذ عنهم.

خلف محمد بن الحبيب عدة أراجيز في التوحيد والمديح والثناء، إلا أن أهم إنتاج له هو كتاب العقود الجوهري في الأنباء الدرعية، من القطع المتوسط عدد صفحاته حوالي 85 ص ولا يزال الكتاب مخطوطا وتوجد بعض النسخ منه عند أبناء المؤلف بمراكش وتامنوگالت. وقد ألف هذا الكتاب بإشارة من محمد المختار السوسي كما جاء في مقدمة الكتاب، وهو الأمر الذي أكده المختار السوسي في الترجمة القصيرة التي كتبها لمحمد بن الحبيب الذي يعتبر واحداً من مریدی الطريقة الدرقاوية.

توفي محمد بن الحبيب بقصبة تامنوگالت بواجة مزگیطة سنة 1362 / 1943.

محمد بن الحبيب نفسه، العقود الجوهري، مخطوط؛ المهدي الصالحي، أعلام درعة؛ م. المختار السوسي، المعسول، 16 : 344. أحمد البوزيدي

**تامودا**، مدينة أثرية تقع على سهل مارتيل الضيق على الضفة اليمنى للواد الذي يحمل نفس الاسم (مارتيل). يحدها جبل الحوز من الشمال، والمنحدرات الأولى لجبل كلتي من الجنوب. تبعد عن مدينة تطوان من ناحية الجنوب الغربي بخمسة كيلومترات، وعن شاطئ النهر الأبيض المتوسط بخمسة عشر كيلومترا.

واسم تامودا محرف عن "تامدا" الأمازيغي الذي يعني الغريد أو المستنقع العميق (واد مرتيل)، (Besnier, 1904, p. 28) ورد هذا الاسم في مؤلف بلينيوس، الذي يشير إلى اسم مدينة واسم نهر بعبارة "Flumen Tamuda navigabile" (Pline, 5, 18) "quondam et oppidum". أي : "واد تامودا صالح للملاحة والمدينة القديمة التي تحمل نفس الاسم". لكن المدينة لم تكن توجد في وقت بلينيوس، لهذا يقترح C. Muller أن تقرأ هذه الإشارة الواردة عن مدينة تامودا كالتالي : واد تامودا، الذي كان صالحا للملاحة من قبل والمدينة تحمل نفس الاسم. ويكتفي بطليموس بالإشارة إلى الواد (النهر) الذي يسميه (Ptolémée, H. Xnoux, 4, 1, 3).

وكذلك الشأن بالنسبة ليمبيوس ميلا، إذ يشير إلى تامودا في إحدى فقراته الغامضة. اقترح (Besnier, 1904, p. 28) عوض أن تقرأ Goldavo du Britania والتي لا معنى لها، أن تستخرج مجموعة من الإشارات الدالة على بعض المواقع المعروفة وهي (Gilda, Vobri, Tam(ud)a) أما ما نسميه (La notitia dignitatum) (بداية القرن الخامس بعد الميلاد) في إحدى الفقرات الخاصة بموريطانيا الطنجية (26.0)، حيث يشير إلى وجود فرقة عسكرية من الفرسان المعروفة "بهركيلاي بتموك". هذا الاسم الأخير يجب كما أشار إلى ذلك R. Cagnat أن يقرأ أو يصحح بتمودا (R. Cagnat, 1912, p. 763).

أما لوائح الاپيسكوبال فتشير إلى تامودا بالعبارة

مكنت من إظهار مجموعة من المقابر الرومانية، وبالضبط غربي الساحة المستطيلة للمدينة. أباتت هذه الحفريات عن جبانة ذات مستويين من المقابر (Tarradell, 1953, p. 32). وفي سنة 1963، أجرت مصلحة الآثار تنقية دقيقة للموقع، مكنت من العثور على قطعتين نقديتين ذهبيتين وأخرى من البرونز، تؤرخ بفترة الامبراطور أونوريوس Honorius (N. El Khatib, 1964, p. 367) وآخر بحث أجري بالموقع قام به لونوار (Lenoir) وذلك سنة 1979 في إطار دراسة عامة، موضوعها "المؤسسات العسكرية بإفريقيا"، مكنته من جمع الكثير من الملاحظات حول معسكر تامودا (Lenoir, 1980, p. 169 - 176).

يمكن أن نستخلص من خلال هذه المعطيات الأثرية المتفرقة المشار إليها، أن مدينة تامودا هي مدينة يونانية موريطانية، أسست خلال القرن الثاني قبل الميلاد. إلا أننا لا نتوفر على كثير من الأدلة الأثرية عن هذه الفترة، وذلك لأن مستويات هذه المدينة لم يتم التنقيب عنها. لقد تم تحطيم هذه المدينة خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد بدون شك، خلال الحرب التي دارت بين العاهلين الموريطانيين بوغود وبيوكوس حوالي 38 قبل الميلاد (Euzennat, 1976, p. 876) وقد تم إعادة بنائها بعد ذلك بقليل (Tarradell, 1966, p. 344).

فيما يخص هذه المدينة، تساءل Thouvenot حول تصميم مدينة تامودا العمراني المنظم إذ اقترح أن يقربه من تصميم المستعمرة الرومانية "بناسا"، وأن يدخل ذلك ضمن إنجازات "يوبيا الثاني" في بداية حكمه (Thouvenot, 1950, p. 140).

لقد وقع تحطيم مدينة تامودا ثانية، وذلك حوالي الأربعينيات بعد الميلاد، خلال ثورة أيديمون الشهيرة، التي كانت كنتيجة لاغتيال الملك بطوليمي، وضم موريطانيا للامبراطورية الرومانية. وحسب بعض الإشارات الواردة في أحد أبحاث طراديل (Tarradell, 1954, p. 237 - 344)، فإن انعدام اللقى الأثرية التي يمكن أن تؤرخ هذه الفترة تحمل الدليل القاطع عن التحطيم النهائي الذي عرفته المدينة خلال هذه الفترة. وهذا يعني انعدام التعمير أو الاستقرار خلال القرن الأول بعد الميلاد.

والتساؤل الذي يطرح هو: هل بعد تحطيم موقع تامودا كنتيجة لثورة أيديمون، استمر التعميم والاستقرار بهذا المركز؟ إذا كانت المعلومات التي أوردها مختلف الباحثين الذين اهتموا بالموقع لم تشر إلى هذه الفترة، فإن دراسة مختلف اللقى الأثرية وخاصة الفخار المستورد (H. Limane, 1988, p. 560) قد حملت الدليل على الاستقرار بهذا الموقع وخاصة خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. ويكمن هذا الدليل في وجود مجموعة لا بأس بها من الأواني الفخارية المستوردة والتي تؤرخ بهذه الفترة.

Plinie, *Histoire naturelle*, V, 18 ; Ptolémée, *Géographie*, éd. Carl Muller, 4, 1, 3 ; Pomponius Mela, *Geographia*, éd. C. Frick, 3, 107 ; Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, A.M., 1904 ; N. El Khatib,

أما الباحث الإسباني طراديل (M. Tarradell) فلم يأخذ على عاتقه الحفريات بموقع تامودا إلا سنة 1948، وذلك لمدة عشر سنوات، أي إلى غاية 1958. فهو أول من أشار إلى أن هناك مرحلتين في حياة المدينة. المرحلة الموريطانية التي حظي فيها الموقع بمكانة أو بوضعية المدينة.

- ثم المرحلة الامبراطورية السفلى التي حظي فيها الموقع بأهمية عسكرية أكثر من المدينة - (Tarradell, 1949, p. 86 - 1953, p. 28) يعتبر طراديل قلعة أو معسكر (Castellum) تامودا إحدى منجزات الامبراطور ديوكليتيان (Diocletian) وخاصة بعد أزمة القرن الثالث بعد الميلاد (Tarradell, 1955, p. 90 ; 1956, p. 84).

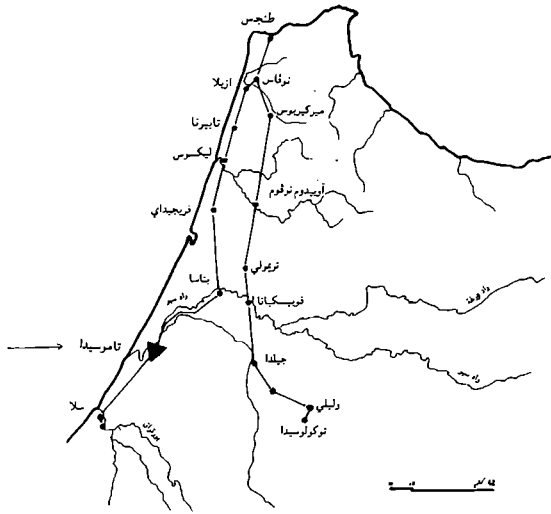
في سنة 1958 عندما زار سيسطون (W. Seston) موقع تامودا لاحظ بأن المعسكر قد بني على أنقاض المدينة الموريطانية المؤرخة بالقرن الثاني قبل الميلاد (M. Euzennat, 1960, p. 534) أما المعسكر نفسه فيؤرخ بالقرن الثالث بعد الميلاد. وقد شجعت ملاحظة سيسطون الباحث طراديل على إجراء مجموعة من الاستبارات للمراقبة ومحاولة تدقيق وتحقيق المعطيات الأثرية. أجريت هذه الاستبارات سنة 1958 وعددها ثلاثة يقدم نتائجها كالتالي: "سمحت لنا هذه الاستبارات بأن نبين كما افترضنا ذلك قبل، بأنه يوجد مستوى بالمعسكر سابق لما هو بارز على السطح. وهكذا وجدنا بقايا بعض الجدران وبعض اللقى خاصة الفخارية المؤرخة بالقرن الثاني وبداية القرن الثالث بعد الميلاد. نتوفر إذن على أدلة تبين أن معسكر تامودا ينتمي إلى فترتين مختلفتين. الأولى أسست في إحدى الفترات غير المضبوطة من القرن الثاني، وبدون شك في بدايته. وإلى هذه الفترة ينتمي السرر خاصة في حالته البدائية، وبروجه وزواياه، كما يظهر من خلال مميزات المعسكرات التي تنتمي إلى الامبراطورية العليا. أما الفترة الثانية، فهي تنتمي إلى القرن الثالث بعد الميلاد، ودام التعمير بها غاية القرن الرابع بعد الميلاد، ممثلة بالمستوى الأعلى من هذا المعسكر" (Tarradell, 1958, p. 379). ويشير الباحث فيما بعد إلى مجموعة من الفرشات الأثرية التي تتدرج ما بين القرن الأول والثاني بعد الميلاد إلى غاية انتهاء السيطرة الرومانية (Tarradell, 1966, n° 16, p. 440).

لقد بينت الحفريات خارج المعسكر، وبالضبط فوق المدينة الماقبل رومانية، على مجموعة من البنايات التي تنتمي للفترة الرومانية، بدون أن يتم تأريخ الفترات التي تنتمي إليها بدقة. لا يستبعد أن تكون مجموعة من المنازل (Canabae) قد أسست أو أقيمت بجوار المعسكر (Lenoir, 1980, p. 171). يضاف إلى هذا وجود حمامات بجوار الباب الجنوبية، وكذلك خزان للمياه بمركز المدينة (Tarradell, 1953, p. 31).

أما الحفريات التي أقيمت في المدينة الموريطانية، فقد

**تاموسيدا** أو **تموسيدا** (Thamusida) موقع أثري، كان لشارل تيسو السبق في اكتشافه ومطابقته بضريح سيدي علي بن أحمد على الضفة اليسرى لنهر سبو مستنداً في ذلك على "مسلك أنطونان". وقد أعيد النظر في هذه المطابقة من طرف الباحث لكنه وقع في خطأ حيث خلط بين تاموسيدا التي يتحدث عنها بطليموس جنوب سلا (IV, 1, 2) والتي طابقتها كل من فيفيان دوسان مارتان وتيسو بالصورة، وبين تاموسيدا التي توجد شمال سلا، إلا أن الباحث روني ريفا عاد ليؤكد على المطابقة التي قام بها شارل تيسو ولكنه أضاف بأنه "لا يمكن أن نقرأها بصفة نهائية إلا بعد أن تكشف الحفريات عن شهادة إبيغرافية تدعم ذلك (IAM, 2, p. 159).

توجد تاموسيدا على الضفة اليسرى لنهر سبو حيث تبعد عن القنيطرة بأحد عشر كلم وقد اقترن موقعها باسم ضريح يحتل إحدى القمم وهو ضريح سيدي علي بن أحمد. وقد ورد ذكر تاموسيدا في النصوص القديمة تحت



أشكال مختلفة، ففي مسلك أنطونان، 7 نقرا Thamusida وأنها توجد على مسافة متساوية بين بناسا وسلا. أي 32 ميلا = 48 كلم تقريبا، (R. Roger, *Le Maroc...*, p. 40). وعند جغرافي راقينا، نجد الأشكال التالية : Tamadisa و Thamusida و Tamudisa.

فعند سرده لمدن الساحل الطنجي من الجنوب نحو الشمال (V, 4) نجد شكل Thamusida. وفي الفقرة (3.11) تيول في موريطانيا توجد عدة مدن سأذكر بعضها :

"... Tremulas, septem Fratres, Thamusida, Sala..."

أما الجغرافي بطليموس (IV, 1, 7) فيوطنها بين خطي (7° 34' و 15° 34')، يعني شمال شرق سلا وجنوب غرب بناسا، وقد حدد موقعها بالمقارنة مع إحداثيات باقي المدن. وكتبت عند بطليموس تاموسيدا بالحروف اللاتينية. إذن هناك اختلاف بين الكتاب القدماء حول كتابة

*L'archéologie marocaine de 1961 à 1964, B.A.M., V, 1964 ; M. Euzennat, Tamuda. The Princeton Encyclopedia of classical sites, R. Stillwell éd., Princeton, 1976 ; L'archéologie marocaine de 1958 à 1960, B.A.M., IV, 1960, p. 534 ; J. Gascou, Inscriptions antiques du Maroc, 2, Inscriptions latines, Paris, 1982 ; M. Lenoir, Les établissements militaires romains d'Afrique, mémoire de l'École Française de Rome, Rome, 1980 ; H. Limane, Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles, Etude du matériel de Lixus, Bana, Tamuda, Thèse présentée à l'Université d'Aix-Marseille, 1988 ; J. Mazard, Corpus Numidiae Mauretaniae, Paris, 1955 ; P. Cesar Moran et C. Gimenez Bernal, Excavaciones en Tamuda, 1946, Tétouan, 1948 ; P. Quintero, Excavaciones en Tamuda, 1943, p. 12 - 13 ; M. Tarradell, Estado actual de nuestros conocimientos sobre Tamuda y resultados de la campaña, 1948, Archivo Español de Arqueología, 74, 1949, p. 86 - 100 ; Guía arqueología del Marruecos español, Tétouan, 1953 ; Datos sobre la guerra de los romanos contra Aedem, El primero congreso arqueológico del Marruecos español, Tétouan, 22 - 23 Juin 1953, p. 237 - 244 ; Tamuda II, 1955, p. 90 ; Excavaciones de Tamuda, 1949 - 1955 ; Tamuda IV, 1956 ; Breves noticias sobre las excavaciones, Tamuda, VI, 1958, p. 379 ; Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tétouan, B.A.M., VI, 1966 ; R. Thouvenot, Promenade archéologique au Musée de Tétouan, R.E.A., LII, 1950, p. 140.*

حسن ليان

## تامودا Tamuda، مجلة للأبحاث المغربية باللغتين

الإسبانية والعربية، أحدثتها نيابة التربية والثقافة التابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شهر يوليوز سنة 1953 حيث صدر العدد الأول منها، وكانت تصدر مرتين في السنة، فقد صدر العدد الثاني منها في ديسمبر من نفس السنة، ثم صدر في السنوات الخمس التالية عشرة أعداد (المجموع اثنا عشر عدداً).

وإبتداء من سنة 1959 توحدت مع مجلة هيسبريس *Hespéris* الرباطية فأصبحت المجلة المنبثقة عنهما تحمل اسم هيسبريس *Tamuda* (Hespéris Tamuda). وكانت هيئة تحرير مجلة تامودا مؤلفة من نائب التربية والثقافة كرئيس (من عدد 1 إلى 7) ثم خلفه نائب وزير المعارف بالشمال السيد محمد عزيان الذي كان من قبل عضواً بهيئة التحرير، وأما الكاتب فكان هو مدير الخزنة العامة بتطوان، وتضم هيئة التحرير إسبانيين ومغاربة، منهم : عبد الله گتون ومحمد ابن تاويت التطواني.

وكان للمجلة ملحق أدبي يصدر مرتين في السنة تحت

عنوان كتامة (Ketama).

*Tamuda, Revista de investigación Marroquí, Tetuan ; Ibn Azzuz Hakim, La prensa del Norte de Marruecos, Tetuan, 1956.*

## تَامُورُوتْ، أهم قرية بقبيلة بني خالد الغمارية (إقليم

شفشاون) يعقد فيها سوق كبير كل يوم خميس، سميت باسمها جماعة قروية. وقد لعبت هذه القرية دوراً مهماً في المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني في عهد الحماية، ولم تسقط بيد الجيش الإسباني إلا يوم 27 غشت سنة 1926 واسترجعها المجاهدون يوم 7 شتنبر من نفس السنة، واستطاع الإسبان الاستيلاء عليها مرة ثانية بعد يومين. وقد قام المغاربة بعدة محاولات من أجل استرجاعها دون جدوى.

ع. بتبعيد الله، الموسوعة، 108، 132، 133.

*Comiston historica, 40, 46, 95, 166 ; Martinez Campos, España belica.*

محمد ابن عزوز حكيم

اهتمت بالأماكن التي تم حفرها وقامت باستبارات أخرى فأسفرت النتائج عن العثور على مدخل كبير (Grand exherdre) ومجمع المياه (Grand egout collecteur). إن أهمية هذه الحمامات تكمن في كونها تعتبر من "أوسع حمامات المغرب القديم" حسب الباحث توفنو (BCTM, 1959 - 60, p. 150) كما أنها تنفرد بخصوصيات أخرى على المستوى المعماري.

اهتمت الأبحاث ابتداءً من سنة 1935 بالمعسكر وعملت على كشف تخومه الجنوبية والشرقية إلى جانب أبراجه وبعض الغرف المجاورة للبريطوار (Braetorium).

ونظراً لأهمية الاستبارات، فقد ارتأت المدرسة الفرنسية القيام بمجموعة اختلقت من حيث أشكالها وأحجامها، نذكر على الخصوص Sondage en croix واستبار النهر لكن أهمها هو الاستبار على شكل V الذي أقيم سنة 1960 جنوب الحمامات، ويمكن هذا الاستبار من اكتشاف أولى الأواني الكامبانية ومواد خزفية وبرونزية ونقود بالإضافة إلى بعض النقائش ساهمت في الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بالعلاقات في إطار التبعية لروما أو مع مدن موريطانيا الطنجية.

مكنت إحدى المستويات الأثرية أثناء البحث عن تاريخ المدينة من اطلعنا على وجود سكن للأهالي لا يمكن أن يتجاوز القرن الثاني ق م. وقد اقتصر مجتمع تاموسيدا في هذه الفترة على المقايضة وعرف نوعاً من الانكماش وظل نشاط المدينة ضعيفاً إلى حدود إلحاق موريطانيا من طرف الامبراطور كلوديوس (القرن I م) ثم أصبحت مدينة بكل مقوماتها فيما بعد.

عرفت تاموسيدا كقاعدة عسكرية (Garnison) على الفرق كما تطلعنا أيضاً على الفرق التي كانت في حالة عبور فقط.

أما الجانب الديني فيبدو أقل حضوراً يظهر ذلك من خلال العدد القليل من النقائش التي عشر عليها فلا تتوفر سوى على نقيشتين مهدتين للآلهة، الأولى موجهة إلى الربة جوتون (IAM, 2, 247) مؤرخة بالقرن I م والثانية عبارة عن صفيحة برونزية ذات طابع عسكري موجهة إلى جوستير الكابتولي من طرف إحدى الفرق العسكرية التي تطلب حمايته.

يمكن القول إجمالاً بأن أهم مجموعة ابيغرافية هي تلك التي أفرزتها حفريات 1959 - 1962 والتي تم نشرها من طرف J. Marion, Euzennat في النشرة الأثرية المغربية لسنة 1960 ومن طرف Rebuffat و Morel, J.P. Callu في مؤلف تاموسيدا I.

M. Euzennat, J. Marion, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2 - *Inscriptions latines*, CNRS, Paris, 1982 ; M. Euzennat, Les voies romaines du Maroc dans l'itinéraire d'Antonin, *Hommages à A. Guier*, II, p. 595 - 610 (partie. p. 598) ; Thamusida, *BAM*, IV, 1960, p. 544 - 550 ; J. Marion, Notes sur le peuplement de Thamusida à l'époque romaine, *Hespéris*, XXXVIII, 1950, p. 178-180 ; J.P. Callu, Remarques sur le trésor de Thamusida III, les Divo-Claudien en Afrique, *MEFR*, LXXXVIX, 1974, p. 523-547 ; J.P. Callu, J. Marion, Rebuffat, *Thamusida I*, Paris, ed. de

اسم الموقع إلا أن الشكل Thamusida يبدو أكثر قبولاً خاصة وأتينا نجد مدناً أخرى في شمال إفريقيا تقترب إليها في طريقة الكتابة مثل : Thamugadi و Thamallula كما أنه يمكن تسجيل كثرة الأسماء التي تبتدئ بحرف Th. على المستوى الابيغرافي لا تتوفر على أي نص منقوش يزيل هذا اللبس في الكتابة، كل ما لدينا هو نقيشة مبتورة (IAM, 266) تحمل حروف [Th...] والتي رُمِّمها الباحث ريفا على أنها بقايا كلمة Th (amusida) إلا أنها تبقى فرضية فقط في انتظار إثبات ابيغرافي أكثر ضبطاً.

أما ما يخص تاريخ الحفريات بالموقع : فقد سبقت مراحل التنقيب، مرحلة تميزت بمحاولات للبحث عن الموقع انتهت سنة 1932 حيث عرفت تاموسيدا زيارة عدد من الباحثين في إطار مهمات مثل بعثة سنة 1913 تحت إشراف ضباط المصلحة الطبغرافية وهم Toutain, Fossard و Vallassez، كما أرسلت بعثتان أخريان سنة 1914، الأولى تحت إشراف المراقب المدني G. Rouger والثانية تحت إشراف Le Dautéc الذي قام بوضع أول تصميم للمدينة.

لقد اقتصرت الفترة الأولى على ملاحظات عامة كالتركيز على مطابقة ضريح سيدي علي بن أحمد بتاموسيدا والمطالبة بحماية الموقع من النهب وكذا وضع التصاميم الأولى التي استغللتها البعثات الأثرية اللاحقة. لكن الحفريات المنتظمة لم تبدأ بموقع تاموسيدا إلا سنة 1932 تحت إشراف A. Ruhlman و L. Chatelain وانتهت سنة 1935. ولحقتها حفريات ثانية ابتدأت مع سنة 1952 تحت إشراف M. Euzennat و R. Thouvenot وانتهت سنة 1955. أما المرحلة الثالثة والامتدة من 1959 إلى 1962 فقد كانت تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما وقيادة كل من J.P. Callu, Euzennat و R. Rebuffat و J.P. Morel، وشكلت نتائج هذه الحفريات المادة الخام لمؤلف هام حول هذه المدينة صدر في 3 مجلدات (Thamusida I, II, III) تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما.

أسفرت حفريات 1932 عن نتائج هامة حيث تم الكشف عن عدد من المباني منها المعبد المربع والمذبح والمنزل المعروف تحت اسم منزل L. Nigidius Albanus وفي سنة 1933 شرع البحث في الحي الشرقي حيث عشر على عدد من الغرف المقامة على طول الطريق الرئيسي (Decumanus Maximus).

وفي سنة 1962 تم الكشف عن المنزل المبلط Maison au dallage ومكنت الاستبارات من التعرف على الطريق الرئيسي، ووسعت حركة الاستبارات حيث رأت النور عدد من المعالم الأخرى كالحمامات التي أثار فضول Le Dautec والمراقب المدني G. Rouger.

أما تنقيبات سنة 1952 فقد اتخذت كمنطلق لها تنقيبات سنة 1932 ووسعتها نحو الشرق أسفرت عن إثبات وجود حمامات كبيرة. أما بعثات المدرسة الفرنسية التي ركزت أيضاً على الحمامات خلال فترة 1961 - 1962 فقد

شكل قدة متهدلة أسطوانية، يبلغ طولها من ثلاثة إلى ستة سنتم. أما القدة الأثنية فهي قصيرة، إذ لا يزيد طولها عن سنتيمترين.

لا يوجد التامول في إفريقيا إلا في المغرب حيث يعيش على ضفاف العيون والوديان الرطبة والباردة من المنطقة الوسطى من سلسلة جبال الريف، أي في البيومناخات الشديدة الرطوبة والرطوبة الباردة والقارسة، في الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. ولا يُصادف إلا فوق أترية غير كلسية.

إن الوجود الطبيعي للتامول و"جار الماء" (Alnus glutinosa) بالمغرب، حتى وإن كانا يشكلمان حالياً باقات قليلة الانتشار بالريف الأوسط، دليل على أن هذين النوعين يمثلان بقايا التشكيلات النباتية التي كانت تسود هذه المنطقة في الحقب الباردة من العصر الرباعي، والمعلوم أنهما يكونان حالياً غابات جد شاسعة في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية حتى الحدود القطبية الشمالية للأشجار. تحتوي قشرة جذع التامول على دباغ ومادة راتنجية تعطيه لونا أبيض جميلاً وتجعله مقاوماً للتغفن، وغير منفذ للماء.

يتميز خشب التامول بمتانته وصلابته وتعريقه الدقيق المتوج، وحسن منظره وقابليته الفائقة للتلميع. وتمثل استعمالات خشب التامول في البلدان التي يكثر بها، في صناعة البلاكاج والصناديق والمقايض وقوالب الأحذية وصناعة الزوارق وأدوات الزينة، كما يستعمل كوقود للتقطير.

والجدير بالذكر أن التامول كان يعتبر في القرنين العاشر والحادي عشر (17.16 م) من النباتات الطبية الرئيسية في أوروبا وأمريكا وآسيا.

أبحاث شخصية : أ. هيل، النبات الاقتصادي، 1962، تر. د. ع. زاهر وآخرون، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

### تَامِيسِين، موقع دافق المياه في قبيلة بني توزين بين

ميضار الأعلى وتافرسيت على بعد حوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. تحيط به جبال تعرف بالكدي الحمراء "تيسورين تيزوأغين"، اشتهرت تاميسين بمعركة حامية بين قوات المجاهدين والجيش الاسباني أيام عبد الكريم الخطابي، يطلق عليها الأهالي معركة "الكدي الحمراء"، وذلك يوم عاشوراء 23 / 1342 غشت 1923 م، في الزحف الثاني لحيش الاحتلال الاسباني.

استشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين، منهم القائد حمو بن محمد بن قدور، قائد المجاهدين الملكف بإدارة مركز اغبال الذي يبعد بحوالي ثلاثة كيلومترات من هذا الموقع، والمجاهد أبضارس بن علال بن الطاهر، وهما من أبناء عمومة الصوفي العالم الحاج محمد التوزاني

Boccard, 1965 ; J. Marion, Briques estampillées, *BAM*, IV, 1960, p. 480 ; A. Ruhlman, A propos d'une plaquette à caractère militaire trouvé à Thamusida. *CRAI*, 1935, p. 67 - 78 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Index de Topographic antique du Maroc, *PSAM*, 1938, p. 78 - 79 ; R. Rebuffat et autre. *Thamusida II*, ed. de Boccard, 1970 ; *Thamusida III*, ed. de Boccard, 1977 ; Les fouilles de Thamusida et leur contribution à l'histoire du Maroc, *BAM*, 1968 - 72, p. 51 - 65 ; Le bâtiment à barrages du quartier du fleuve à Thamusida, *BCTH*, N.S, 1965 - 66, p. 169 - 186 ; 4 ans de fouilles à Sidi Ali ben Ahmed, *MEFR*, LXXV, 1963, p. 67 - 78 ; R. Thouvenot, Rapport de 1950 - 1952, *BCTM*, 1959 - 90, p. 150.

بل الفايدة عبد العزيز، بنعبيد عطييل

### تاموسيجا (Tamosiga)، مدينة على المحيط الأطلسي،

لا نجد لها ذكراً إلا عند الجغرافي بطليموس، فهو يحدد موقعها حسب الإحداثيات التالية (8° - 29° - 55) بين رأس هرقلس (Heraklés) (رأس الحديد) في الشمال ورأس أوساديون (7° - 30° - 29° - 15) الذي يطابق رأس سيم في الجنوب.

يتفق الباحثون قيثيان دوسان مارتان وتيسو ويسنيي (Besnier) على مطابقة موقع تاموسيجا لموگادور حيث تحيط بها الجزر وتشكل حصناً منيعاً لها. إلا أن بسنيي ذهب إلى أبعد من ذلك حيث حاول أن يوطن لموگادور كذلك مستعمرة جيطي (Gytté)، المستعمرة الثانية التي أسسها حانون جنوب رأس الشمس - رأس سوليس (Cap Soleis ou Solis) وبالتالي ستكون جيطي مطابقة لموقع تاموسيجا حسب رأيه.

إن اللوائح الأسقفية حملت اسم أسقفية بهذه المدينة وإن كان مؤلف كتاب أفريقيا النصرانية لم يذكر شيئاً عن هذه الأسقفية. ويبدو أن هذا المركز الأسقفي الذي وجد في وقت من الأوقات في مدينة موگادور هو من الأسقفيات التي كانت موجودة في أفريقيا الرومانية والتي لم يرد اسمها عند المؤلفين القدامى ولا في وثائق الجامع الدينبية (Conciles) وإن وردت فإنها ترد بتغييرات لحقتها من طرف الناسخين عند كتابة أسمائها، ويمكن أن يتصور أيضاً أن أسماء تلك المواقع لحقتها تغييرات من طرف الكتاب الذين لُتَّوَّها. وهكذا فإن البعض يقولون تاموسيجا (Tamusiga) وآخرون يقولون تاموزيگا (Tamuziga).

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, A.M. I, 1904, p. 342 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, *PSAM*, 1938, p. 76 - 77 ; *Mauritania Tingitana, Mauritania n° 1*, Mayo, 1928, p. 130 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 253.

عبد العزيز بل الفايدة

### التامول، Le bouleau، يسمى خطأ عند المغاربة

بالصنصاف (Le saule) نظراً لكونه يشبه الحور (Le peuplier) وأسمه العلمي هو بتولا سلتا|بيريكا Betula celtiberica، وهو ينتمي إلى فصيلة البتوليات.

إنه نوع شجري يشبه الحور الأبيض، جذعه أبيض اللون يتقشر اعتراضاً وهو مشقق في أسفله. أغصانه لينتة ومتهدلة شيئاً ما. أوراقه ثلاثية الشكل مسننة مزغبة ولزجة نبي سغرها ومرطء عند بلوغها. أزهاره الذكرية على

والمجاهد قُطاط بن يزمار من قرية إبادة عن المجاورة.

ويقع بالقرب من تاميسين مركز حربي آخر يعرف بأزرو، احتله الاسبان يوم 1920/8/5، اشتهر بمعركة أخرى فاصلة تعرف في الأدبيات الاسبانية بمعركة "أزرو" وذلك يوم 22 يوليو 1921 بعد سقوط مركز "أنوال" مباشرة. وفي اليوم التالي 23 يوليو، انتهت المعركة باحتلال المركز المذكور من قبل المجاهدين والقضاء على حاميته المكونة من ستة وثمانين رجلا.

روايات شهود عيان : مقال عن العالم التوزاني في المعلمة : رباتد  
وزارة الدفاع الاسبانية : م. ابن عزوز حكيم، معارك الثورة الريفية  
: معركة أنوال ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

**التأمين،** عقدة بين المؤمن والمؤمن له يتعهد فيها المؤمن بتعويض ما قد يتعرض له المؤمن له هو نفسه أو جهة ثالثة تذكرها العقدة من الخسارة أو العجز بشرط أن يؤدي المؤمن له قسطا من المال معيناً للمؤمن الذي تتوازن لديه أسباب الربح والخسارة بناء على حساب الاحتمالات بتعدد هذا النوع من التعاقد. ولئن كانت ظاهرة الاحتياط من الآفات قديمة فإن أساليب التأمين العصري انبثقت عن انتشار الاقتصاد النقدي في العصر الحديث وتكاثر المعاملات التجارية والصناعات الثقيلة وكثافة الرواج والتنقل وتضخم المدن وتفاقم الأخطار والأضرار الاجتماعية حيث بات من الضروري أن ترصد بعض الأموال لمواجهة كل الأعراض، ولذلك يعتبر التأمين تقنية من تقنيات الاقتصاد الراسمالي العصري، ولقد دخلت المغرب بعد انفتاحه على السوق العالمية بقوة الاستعمار، ودليل حادثة العهد بها في البلاد دخولها أول الأمر بأسمائها الأوربية إذ ورد ذكرها سواء لدى التجار أو الفقهاء أو في العهد الأول من الصحافة العربية بالمغرب، بل وحتى في بعض النصوص القانونية بالمصطلح الإسباني "السيگورطا" (Seguridad) أو بالمصطلح الفرنسي "لا سورانس" (Assurance) مع ترجمتها تارة "بالضمان" وتارة أخرى "بالتأمين" إلى أن تغلب لفظ التأمين بعد الاستقلال في النصوص المكتوبة على الأقل، أما في اللغة الدارجة فمازال لفظ "لا سورانس" هو الذي يتبادر على الألسن...

ويمكن الاستدلال على كونها دخيلة على المجتمع المغربي من جهة أخرى بما قام حولها من الجدل في العشرينات والثلاثينات في البلدان الإسلامية بين مؤيد للتأمين على أنه من ضرورات التكافل الاجتماعي ومناوئ له على أنه ضرب من المخاطرة ورجم بالغيب. وكان الفقه محمد بن الحسن الحجوي قد استفتي في الموضوع سنة 1936 من قبل تاجر من الدار البيضاء جاء في سؤالهما: "المرجو منكم جوابكم الشافي بالنصوص الواردة في مسألة "السگرتة" (الضمان)، فأجاب قائلا: "لم أف على ما يمنع ذلك كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ولا قياساً ولا اجتهاداً

وإنني قد عالجت التجارة وحلبت أشطرها مدة ليست يسيرة ووقفت على حاجة التجارة للمعاملة على الضمان بل ضرورتها في الوقت الحاضر للسكورتاة (لاصورانس)". ولعل هذا الجدل هو ما دعى الإمامة المغربية إلى تفويض أمر التشريع للتأمين البري للمصدر الأعظم إذ صدرت النصوص في هذا المضمار سواء القانوني منها أو التطبيقي بصيغة القرار الوزيري وليس بصيغة الظهير.

ومن علامات حادثة العهد بالتأمين في المغرب أيضاً أن أول ما تأسس من شركات التأمين على تراهه كان مجرد وكالات تنوب عن بعض الشركات الأوربية مع تخصص معظمها في التأمين البحري مثلاً "لا إسبانيولا" (La Española) المنشأة سنة 1879 وهي إسبانية، ولا سانترال (La Centrale) ولا ريباراسيون (La Réparation) المنشأتين سنة 1883 مع تأمين هذه الأخيرة للحريق وكلاهما من فرنسا، ولا كالبين (The Calpean) المنشأة سنة 1887 وهي إنجليزية ومانهام (Manheim) المنشأة سنة 1886 ولويدس ألمان (Lloyds Aleman) المنشأة سنة 1893 وهما من ألمانيا.

أما أول شركة مغربية للتأمين مما كان مركزها الاجتماعي في المغرب وبالضبط في مدينة طنجة فإنها لم تؤسس إلا سنة 1916 تحت اسم "المغرب"، لكن سرعان ما تم حلها مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، وظل التأمين في المغرب موقوفاً على الشركات الأجنبية إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية وانقطعت سبل التواصل مع أوروبا فعندئذ تكاثرت الشركات القائمة على التشريع المغربي للتأمين وإن أقيم جلها على الرسمال الأجنبي باستثناء "الشركة الملكية المغربية للتأمين" المنشأة سنة 1950 من أموال مغربية صرفة، بحيث عندما استرجع المغرب استقلاله سنة 1956 كان عدد شركات التأمين لا يقل عن 230 شركة جلها في الأيادي الأجنبية، ولذلك تدخلت الدولة لتقليص هذا العدد الذي كان لا يطيقه السوق المغربي، كما تدخلت لفسح مجال التأمين أمام المغاربة فجعلت حداً أدنى للضمانة الواجبة على شركات التأمين، فتقلص عدد الشركات إلى أربع وخمسين في الستينات، ثم لما صدر قانون الاستثمار سنة 1973 بقصد مغرية المقاولات والمؤسسات الاقتصادية المخصوصية، انتقل قطاع التأمين برمته إلى أياد مغربية وانحصر عدد الشركات فكان لا يتجاوز ثلاثاً وعشرين شركة في طليعة التسعينات.

ومع أن التأمين دخيل على البلاد، فإن التشريع المغربي لم يتأخر عن باقي المعمور في هذا الشأن إذ أن أول قانون متكامل للتأمين وضع في بلجيكا سنة 1908، وأول من سبق إلى التشريع في التأمين البري من البلدان الإسلامية دولة تركيا وكان ذلك سنة 1926، أما المغرب فإنه شرع أول الأمر للتأمين البحري بظهير 31 مارس 1919 الذي كان بمثابة مدونة للمبادلات والنقل عبر البحار، كما شرع لتأمين العمال من آفات الشغل في المصانع وذلك بظهير صدر في تاريخ 25 يونيو 1927، ثم كان التفويض للمصدر الأعظم

بالتشريع للتأمين البري فصدر القرار الوزيري بتاريخ 28  
نونبر 1934 وكاد يكون نسخة شبه حرفية للقانون الفرنسي  
بشأن التأمين البري الصادر بتاريخ 13 يوليوز 1930. وبعد  
هذا القرار الوزيري صدر ظهير 8 يوليوز 1937 المتعلق بأداء  
المصارف والتعويضات المستوجبة بعد وقوع حوادث  
السيارات مع تحديد المسؤولية المدنية وأدوار المؤمن إزاء  
المتضررين وكيفية التعويض ومداه، ثم كان القرار الوزيري  
ليوم 6 شتنبر 1941 وهو من الأهمية بمكان لأنه فرض مراقبة  
الدولة على مؤسسات التأمين وإعادة التأمين وتكوين  
الرسامال مع إقرار إجبارية تأمين المسؤولية المدنية الناجمة  
عن استعمال العربات ذات المحرك، وكان المغرب بذلك من  
أول من سبق من الدول إلى إقرار إجبارية التأمين في هذا  
الميدان وتعزز هذا النص بقرار وزيري آخر بتاريخ 20 مارس  
1942 بشأن كيفية التعاقد في التأمين البري. وحرصاً على  
المسؤولية المدنية وحتى لا تضيع حقوق المتضررين، أحدثت  
الدولة صندوق مال الضمان للتعويض عن حوادث السيارات  
وذلك بظهير 22 فبراير 1955 ليتم تعويض المتضررين من  
الحوادث لدى استحالة التعرف على مرتكب الحادثة أو عدم  
توفر المرتكب لها على التأمين اللازم.

ولقد ازدادت هذه القوانين تعمقا وتدقيقا غداة  
الاستقلال حيث اشتدت مراقبة وزارة المالية على قطاع  
التأمين بكامله فوضعت أساليب محصورة للتعاقد ألزم  
المؤمنون بأن يسيروا على نهجها (قرار وزيري ليوم 25  
يناير 1965) ووضعت شروط نموذجية لعقد تأمين المسؤولية  
المدنية في حوادث السير وتعزز جانب التأمين الإجباري  
للسيارات بظهير 20 أكتوبر 1969، كما صدرت عدة قوانين  
بشأن كيفية إصدار شهادات التأمين الإجباري ألغى بعضها  
بعضاً بقصد التصحيح ومواكبة تطور تقنيات التأمين في  
باقي العالم، وكان من أهم هذه القوانين ظهير 9 أكتوبر  
1977 والقرار الوزيري ليوم 21 دجنبر 1977 المتعلقان بكيفية  
عرض عمليات التأمين وإعادة التأمين وتأسيس رأس المال  
ومزاولة وظيفة الوسيط في التأمين، وأيضاً الظهير بمثابة  
قانون ليوم 2 أكتوبر 1984 المتعلق بطرق تعويض ضحايا  
الحوادث الناجمة عن العربات ذات المحرك.

وجدير بالذكر من جهة أخرى أن المغرب وافق بظهير 8  
دجنبر 1959 على اتفاقية جنيف بتاريخ 19 شتنبر 1949 حول  
السير الدولي مما اضطره إلى إصدار قرار وزيري بتاريخ 21  
أكتوبر 1969 المتعلق بتأمين الحدود وهو التأمين الخاص  
بالسيارات الأجنبية التي تحتاز حدود البلاد دون أن تكون  
حاصلة سلفاً على التأمين المعمول به في المغرب، كما وافق  
أيضاً على أوافق لندن لسنة 1952 التي وضعت بمقتضاها  
البطاقة الخضراء وهي بطاقة للتأمين الدولي وأدخل ذلك في  
التشريع المغربي بظهير 20 أكتوبر 1969 وتبنى المغرب كذلك  
البطاقة البرتغالية وهي بطاقة التأمين بين الدول الغربية  
وذلك بظهير 19 شتنبر 1977.

وغني عن البيان أن الأخطار التي يتعرض لها الإنسان

في المجتمع العصري لا تقف عند أحداث السير ولذلك يميز  
الفقهاء في التأمين بين الأخطار الشخصية وأخطار  
الممتلكات وأخطار المسؤولية. والشخصي من الأخطار هو  
ما يقع للإنسان منها مباشرة في حياته أو صحته أو سلامة  
أعضائه مثل الحوادث الشخصية أو المرض أو البطالة أو  
الشيخوخة أو الوفاة، وأخطار الممتلكات ما تتعرض له  
ممتلكات الإنسان من الحريق أو السرقة أو الضياع أو  
الهلاك إن كانت الممتلكات ماشية مثلاً، أما أخطار  
المسؤولية المدنية فما يصيب الغير في شخصه أو ممتلكاته  
ويكون المسؤول عنها أمام المحاكم الشخص الذي تسبب  
فيها بشكل من الأشكال، من ذلك المسؤولية المدنية الناجمة  
عن حوادث السير وأسباب النقل العمومي أو عن امتلاك  
مصنع أو متجر أو قاعة للعروض المسرحية أو السينمائية  
وكذلك المسؤولية المدنية الناجمة عن ممارسة بعض المهن  
كالطب والصيدلة والبيطرة والهندسة التي قد يترتب عليها  
أخطاء تؤدي إلى آفات جسدية أو خسارات مادية للغير، مما  
يبيد تشعب التأمين العصري ويثبت التحامه بأدق أسباب  
الحياة في المجتمع لدرجة أنه تطور إلى نوع من الاذخار  
الصارخ في شكل التأمين على الحياة الذي يكاد لا يختلف  
في بعض جوانبه عن صندوق للتقاعد، ولذلك فإن للتأمين  
أدواراً متميزة منها ما هو قانوني ومنها ما هو اجتماعي  
ومنها ما هو اقتصادي مالي.

أما الأدوار القانونية فإنها تترتب على المسؤولية المدنية  
من جهة وتتصل من جهة أخرى بمدونة العقود والالتزامات  
مما يدخل في نطاق القضاء والمحاكم. وأما الأدوار  
الاجتماعية والاقتصادية والمالية فدلليها رعاية الدولة  
للتأمين ومراقبتها لأسباب ممارسته وذلك بواسطة إدارة  
متخصصة في هذه الأمور داخل وزارة المالية تدعى إدارة  
التأمين والوقاية الاجتماعية (مرسوم 22 نونبر 1978) التي  
لها ثلاث مهام، أولها صيانة مصالح المؤمن لهم والأغيار  
المستحقين من عقد التأمين، وثانيها صيانة المصالح المالية  
للبلاد بالحرص على قدرة شركات التأمين وإعادة التأمين  
في الأداء وتدعيم هذا النوع من الاذخار وتوجيهه، وثالثها  
تقوية السوق الوطنية للتأمين على أمل أن تنفتح على  
السوق العالمية ويتعزز بذلك الرسامال الوطني وأسباب  
الاستثمار في البلاد، وتستعين الإدارة المذكورة نهوضاً  
بأعبائها باللجنة الاستشارية للتأمينات الخصوصية المحدثة  
بمقتضى الفصل 15 من القرار الوزيري ليوم 6 شتنبر 1941  
وتتركب من وزير المالية أو نائبه ووزير الأشغال العمومية أو  
نائبه وممثلين عن شركات التأمين وتؤدي هذه اللجنة وظائفها  
بواسطة عشر لجان تقنية متخصصة في مختلف جوانب  
التأمين وهي لجان الإدارة والتنظيم ثم إعادة التأمين ثم  
السيارات ثم حوادث الشغل ثم النقل البحري ثم الطيران ثم  
البناء في حدود عشر سنوات ثم الحريق ثم الحياة وأخيراً  
لجنة الأخطار المختلفة.

وإلى جانب هذه اللجنة هناك الفيدرالية المغربية



لشركات التأمين وإعادة التأمين أقامت شركات التأمين وإعادة التأمين العاملة في المغرب حماية لمصالحها وصونا لسمعتها في سوق التأمين وهي تعمل كذلك بواسطة عدة لجان متخصصة هي لجان الحريق فالأخطار التقنية فحوادث الشغل فمختلف الآفات فتأمين الأشخاص فالنقل فالطيران فالسيارات فالدراسات القانونية والجبائية، ولجنة أخيرة للإحصاء والإعلاميات، وأهم ما شغل بال الجميع التأكد من كفاءة شركات التأمين المالية ومن قدرتها في كل وقت وحين على تعويض المستحقين، ولهذه الغاية فإن شركات التأمين ملزمة بأن يكون لها رصيد من الأموال في الاحتياط ويكون هذا الاحتياطي من الأموال على وجوه تقنية يميز بينها القانون فمنها ما هو رصيد الضمان الذي هو القاعدة الأولى لإقامة شركة للتأمين ومنها ما يدعى بالاحتياطي التقني ومنها الاحتياطي الحسابي ومنها الاحتياطي لما بقي بذمة المؤمن من التعويض والاحتياطي للآفات الجارية، ثم من هذا الاحتياطي ما هو معم على جميع أنواع التأمين ومنها ما هو خاص ببعضها فقط، فالاحتياطي الحسابي مثلاً خاص بالتأمين على الحياة وحوادث الشغل وذلك لاعتماده حساب الاحتمالات وجداول الحياة التي تمكن المؤمن من تحديد قيمة أقساط التأمين بكل دقة كما تمكنه من أن يتوقع عدد الوفيات في سنين معينة على الإجمال بآتم وجوه المقاربة، ولذلك حرص المشرع على أن لا يرخي العنان للشركات في هذا المضمار فقيدها بهذا النوع من الاحتياط المالي.

على أن للمجتمع فائدة أخرى من حصر هذه الأموال في احتياطي الشركات وذلك لأن هذه الأموال وسيلة من وسائل الاذخار الوطني فلا يمكن الاستخفاف بها لا في الدول الراقية ولا بالأخرى في الدول النامية التي تعوزها الأموال القابلة للاستثمار وبناء على ذلك فإن الأموال المرصدة للتأمين تعتبر مؤشراً من مؤشرات النمو العام، فعلى سبيل المثال لقد صرف الياباني والسويسري سنة 1988، 2320 دولاراً في التأمين وصرف الأمريكي في الولايات المتحدة 1751 دولاراً والفرنسي 933 دولاراً بينما لم يصرف المغربي من ذلك سوى 17 دولاراً، وهذا دليل على البون في النمو من خلال كثافة التأمين، ومع ذلك فإن السوق المغربية للتأمين لا تفتأ تتقدم ويقدر أنها نمت في الثمانين بنسبة 15٪ سنوياً مع تقدم مطرد في الاحتياطي التقني الذي ارتفع من 5.93 مليون درهم سنة 1983 إلى 11.345 مليون درهم سنة 1988، وهذه الأموال مما يغذي حركة الاستثمار في البلاد إذ تساهم شركات التأمين بإيعاز من الدولة إما في الاستثمارات العقارية وإما في سندات الخزينة العمومية وإما في الأسهم المعروضة في البرصة. ولكن السوق المغربي يبقى مع ذلك معرضاً لسوء التوازن من جراء كثرة حوادث الشغل والسير وتعويضات الضمان الاجتماعي التي تزداد تفاقماً لما يشهد من آفات في ساكنة متواضعة الدخل فقيرة. وهكذا ليس التأمين مجرد مقياس للنمو فحسب

وإنما هو أداة من أدواته بما يستثمر من الأموال المذخرة في صناديقه في القطاعات التي تحظى بالأسبقية.

*الجريدة الرسمية المغربية* : عبد العزيز فهمي هيكل، مقدمة في التأمين، دار النهضة العربية، بيروت، 1980 ؛ إدريس الضحاك، التأمين الاجباري للسيارات، الطبعة الثانية، الرباط، 1989 ؛ سعيد بن سعيد العلوي، الاجتهاد والتحديث : دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب، منشورات مركز دراسات العالم الاسلامي، 1992.

Z. Nasri, *Le droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984 ; *Annuaire des assurances du Maroc*, 1991, Casablanca, 1992.

إبراهيم بوطالب

**تَانَاَسَة**، أسرة أصلها من الأندلس، كانت بتطوان وانقرضت سنة 1144 / 1732، وهي غير أسرة تَنَاسَة.

م. داود، تاريخ تطوان، 8 : 212.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanas de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَانَانْت**، موقع بدائرة أزرؤ إقليم أزيلال، يقع بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط، وتستقر به جماعة قروية تنتشر فوق منخفض واسع يمتد بين سفوح الجبال المتوسطة للأطلس الكبير ومتون مقدمة الأطلس، تشرف على الحوز الشرقي وسهل السراغنة. يتميز المنخفض بتوالي طبقات كلسية نافذة بالأعلى وطبقات غير منفذة من الحث الجوراسي والطفل بالأسفل مما ساعد على ظهور عيون خاصة عند الحافات المشرفة على الوديان والمسيلات، تبلغ مساحة الجماعة 267 كلم<sup>2</sup> لكنها نقصت بعد تعديل إداري جديد سنة 1992 أدى إلى تكوين جماعة جديدة : أيت تاكلة التي كانت مشيخة بهذه الجماعة بعد ضم أراضي مشيخات أخرى لجماعات مجاورة.

ينتمي السكان إلى قبيلة هنتيفة إحدى قبائل اتحادية هسكورة الظل. وقد كانت مكونة منذ أيام الموحدين لكن ما عرفته المنطقة من أحداث صعبة وتوالي فترات رخاء ومجاعة وما ترتب عنهما من حركات توافد ونزوح أدى إلى اختلاط سكاني واللهجة البربرية المستعملة خليط من تاشلحيت وتامزيغت. وينعكس الاختلاط البشري على توزيع الأراضي والأنشطة، فالسكان القدامى يمتلكون الأراضي الزراعية وخاصة الرساتيق المروية بينما يحترف الوافدون الجدد تربية المواشي وأنشطة غير فلاحية.

ويواجه النشاط الفلاحي ظروفاً طبيعية صعبة تتمثل في فقر التربة الزراعية التي توجد على شكل رقع رقيقة بقعر الأحواض واستفحال الجفاف مما أدى إلى تدهور البيئة وتقلص المساحات الغابوية المتبقية على السفوح الوعرة والأراضي المحجرة. ويطرخ الماء مشكلاً حاداً، فالأمطار قليلة وغير منتظمة 250.400 ملم / سنة. وباستفحال ظاهرة الجفاف خلال عقد الثمانينات جف الكثير من العيون والآبار القديمة بالكثير من الأحواض فتحول كثير من البساتين إلى

أراض بورية جرداء، كما تناقص عدد قطعان المواشي كثيراً. ويمارس السكان زراعة بورية خفيفة للحبوب وزراعة أشجار اللوز البوري وفي بعض المنخفضات، خاصة منخفض تيرست بجوار مركز تانانت، حيث توجد تربة أغنى وفرشات محلية صغيرة ظهرت ضيعات صغيرة تهتم بزراعة القمح والخضر والأشجار المثمرة، خاصة اللوز والتفاح الذي عرف توسعاً كبيراً في السنوات الأخيرة، كما تربي بعض الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة، ومازالت تربية الأغنام والماعز تكتسي أهمية كبيرة إذ تقدم السفوح والأراضي الكلسية المحجرة والأحراج مراعي واسعة، وهناك تباين كبير في ملكية الأرض، فحوالي 35٪ من القرويين لا يملكون أرضاً، مما يوجههم لتربية المواشي الصغيرة وزراعة مشاركات بالمشاركة ويدفع هذا الوضع الكثير من الشباب إلى الهجرة، وهذا ما جعل عدد سكان الجماعة ثابتاً بين إحصائي 1971 و 1982 إذ بلغ خلال الإحصاءين على التوالي: 13.617 نسمة و 13.629 نسمة. يتوزعون في خمس عشرة قرية منها عدد من القرى الكبيرة مثل بوحزران 2.789 ن وتانانت بلغت الكثافة بها 51 ن / كلم<sup>2</sup> لكن السكان يتجمعون فوق جزء ضئيل من المجال : المناطق المستوية المروية بحواشي الحافات وضفاف الوديان وقبور الأحواض.

لقد اعتاد الشباب على الهجرة منذ عهد الحماية حيث هاجر بعضهم إلى العمل بفرنسا كما تجند الكثيرون بالجيش الفرنسي "الگوم"، ويوجد اليوم بالجماعات مات المتقاعدین العسکرین. وما زال هذا التقليد مستمراً إذ يعمل الكثير من الرجال كجنود بالجيش وكعمال أو موظفين وأصحاب خدمات بالمدن الكبرى. ومع أن الكثير من المهاجرين لا يرجعون للاستقرار الدائم بقراهم فإنهم يرسلون أموالاً إلى ذريهم مما جعل آباءهم يهملون زراعة المشارات الضعيفة المرودية. ويستثمر بعضهم أموالهم في إنشاء ضيعات خاصة بمنخفض تانانت حيث حفر أربعة عشر بئراً بمضخة وغرست الأشجار مما قلص مجال الرعي، وترتب عن هذا تفكك الهياكل القبلية وضعف التآزر العائلي ونمو مسلسل التمدين الاجتماعي المحتمل في تطور السكن بظهور منازل مبنية بالإسمنت وسكن متشتت ومراكز قروية جديدة بجانب طرق المواصلات المعبدة.

أنشأت سلطات الحماية مركز تانانت سنة 1916 كقاعدة عسكرية إدارية لمراقبة السكان والطرق، كان السكان المحليون يعرفونه باسم القشلة، وذلك بمنفس غابوي كان يصنع به الفحم الخشبي غير بعيد عن قرية تعرف بنفس الاسم كانت في فترة ما مركزاً لقائد تنيفة. ويفسر السكان لفظ تانانت بمعنى الغابة أو منفس غابوي. وكانت في المركز ثكنة لجنود الگوم وبه أيضاً ضابط عسكري فرنسي أياً "لاستعمار للشؤون الأهلية ومطار عسكري صغير وسكن جنود وبعض الموظفين.

يشرف المركز من موضعه الهضبي المرتفع على أحواض منخفضة وملتقى طرق مهمة ولا يبعد عن الواد الأخضر إلا

ببضعة كيلومترات. واستفاد المركز مبكراً من تجهيزات إدارية كمقر القائد ومنازل الموظفين مازال بعضها محافظاً على سقفه المزدوج الميل المصنوع من الآجر الأحمر ومدرسة ومستوصف ومركز بريدي ومحطة لبيع البنزين... وأقيم به مؤخراً مركز فلاحى ومركز الجماعة القروية كما زود منذ عدة عقود بالماء الشروب جلب من بئر عميقة مجهزة ببرج مياه وبالكهرباء وارتبط بطرق معبدة بدمنات وابزو وأزيلال، وأخيراً سد أيت شواريت "الحسن الثاني" الذي يبعد عنه باثني عشرين كلم.

وحافظ المركز على أهميته الإدارية في عهد الاستقلال لكن دون أن يكتسب أهمية تجارية، فمازالت دكاكين سوقيته قليلة (20 دكاناً) لا يفتح معظمها سوى يوم السوق، وربما يرجع هذا إلى قرية من مراكز مهمة عديدة كدمنات وقم الجمعة ومركز أيت ماجطن. وينعقد به سوق أسبوعي يوم الأربعاء نقل من مكانه القديم مؤخراً من سافلة المركز حيث أنشئت تجزئة سكنية إلى موضع بعاليته لا يتوفر على أي تجهيز فمازال السوق ينعقد فوق مساحة فارغة بها أكواخ بسيطة وتقام بها خيام يوم السوق.

بلغ عدد سكان المركز 1.055 نسمة (1982) منهم حوالي 120 موظفاً، لكن المنازل مازالت قليلة يتجمع جلها بجانب الطريق الثانوي المعبد الذي يكون ثنية حادة صاعدة بالإضافة إلى مقهى ومحطة بنزين ومنشآت إدارية ودكاكين تجارية ومهن مما يعطي للمركز منظرًا حضرياً. وكثير من الموظفين والتجار وأصحاب المهن يسكنون بدواوير مجاورة ويمتازل مشتتة بين المركز والدواوير على طول الطرق والمسالك، ويبدو أن المركز يعاني أزمة سكن مما دفع المسؤولين إلى تجهيز تجزئة سكنية بنيت بها منازل على الطراز المعماري الحضري، لكن معظمها في ملك المهاجرين وبعض الموظفين، كما أنشأ البعض سناً وسط ضيعات صغيرة حديثة بجوار المركز.

بحث ميداني ! معلومات من المرشد الفلاحي بتانانت : بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافية، كلية الآداب، مراكش.

أحمد هوزالي

\* \* \* ترجع بداية ذكر تانانت في التاريخ إلى القرن الثاني عشر (18 م)، حيث غدت مركزاً صوفياً وعلمياً على أيدي بعض الأعلام الذين تتلمذوا على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي منهم إبراهيم أشخر السوسي المتوفى سنة 1147 / 1735 (الدرة الجليلة، 266)، وإبراهيم الزينبي الذي لم ينادرها إلا تحت وطأة المجاعة التي ضربت المنطقة في السنة المذكورة (الدرة الجليلة، 267)، والعالم محمد بن أبي القاسم الهوزالي المتوفى بالبويا الواقع في تلك الجهات سنة 1155 / 1642 (الدرة الجليلة، 270). وربما تأسست في تانانت زاوية تابعة للناصرين، ومحطة في طريقهم بين دمنات وباقي المراكز الصوفية الناصرية بكل من قم الجمعة وبزو وتاعزيت، قبل مواصلة الطريق نحو شمال البلاد. وظلت تانانت منزلة في الطريق السلطانية المارة عبر

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري، 2 : 433.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 139 - 141 - 145 - 341 ;  
Damiao de Gois, *Cronica de Rei D. Manuel*, 2 : 10.

**تاندافل** أو تنداقل، قرية مازالت محتفظة بنفس الاسم والموضع منذ أن عرفنا بها صاحب حوليات أصيلا البرتغالي برناردو روبريكس في بداية القرن العاشر (16 م)، حينما كانت القرية ضمن ما كان يدعى بحوز أصيلا. والقرية واقعة جنوب أصيلا ضمن فرقة قبيلة الساحل الشمالي، بجوار قريتي الحُمر والعقبة. كانت قرية تاندافل، قبل استقرار البرتغاليين بأصيلا (1471 / 876) تحت نظر أسرة أحد أشياخ الخلط المدعو الشيخ ناصر. وفي سنة 1514 / 920 كان الشيخ بالمكان تحت حماية أصيلا البرتغالية. وعدّ حكام أصيلا قرية تاندافل (Tendefl) إحدى الطلائع الهامة المستغلة لاستطلاع ميدان قبيلة الساحل الجنوبي الذي منه مطلع رجال القصر الكبير لغزو أصيلا، كما أن المغاربة اعتادوا الوصول إليها لمراقبة ميدان أصيلا المتصل بواد الحلو ورافده بوگونون.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 51 : ح. الفكيكي،

مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة، 2 : 354.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 107 - 108 - 143 - 145 - 178 - 201 - 204 - 2 ; 2 : 37 - 53 - 154 - 218 - 262 - 266.

حسن الفكيكي

## تاندافلين ← تينزولين

**تانسيسة**، إمارة قامت بدرعة في مطلع القرن العاشر (16 م) وتتنسب إلى بقايا الهسكرة، كما كانت تستند إلى قبائل آيت وأوزكيت التي كانت مجالات انتشارها آنذاك تتداخل مع القبائل الهسكورية في المناطق الممتدة من ورزازات شمالا إلى فم زاغورة جنوبا.

وردت أول إشارة إلى إمارة تانسيسة في كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان (ج 1 : 136 - 137)، والسؤال الذي يفرض نفسه هو كالتالي : أين وجد مقر هذه الإمارة ؟ هل يمكن القول إنها كانت توجد بترناتة على اعتبار أن قصرين من قصور هذه الواحة لا يزالان يحملان اسم تانسيسة إلى اليوم ؟ وهل كان موقعها بواحة تينزولين على اعتبار أن إحدى العائلات القديمة بقصبة المخزن ورباط تينزولين لا تزال لها بقية مزوارية بهذين القصرين ؟ وقد أفادتنا الوثائق التي جمعناها من العائلة المزوارية بهذين القصرين أن أسلافها كانوا يتوارثون حكم واحة تينزولين منذ القرن العاشر (16 م) ولم يخرج الحكم من حفدة المزوارين إلا مع بداية الاستقلال، إلا أن هذه العطيات لا تسمح لنا بالخروج برأي قاطع حول وجود إمارة تانسيسة بواحة تينزولين. وأخيراً هل يمكن القول بأن مقر إمارة تانسيسة كان يوجد بواحة مزكيسة كما توحى بذلك بعض القرائن المحلية ؟ يذكر الحسن الوزان أن جبل تانسيسة يقع بين جبل دادس شرقا وجبل آيت وأوزكيت غربا، ويعج بالسكان، ويشتمل على خمسين قصرا مبنيا بالصلصال والآجر النيء، أُقيمت

دمنات نحو تادالا. فقد نزل بها السلطان مولاي الحسن في نهاية سنة 1304 / 1887، وخيم بتيرست أطار، حيث استمع إلى شكاوي أعيان قبيلة آيت ماجطن، حول اعتداء هنتيفة الساكنين بتانانت عليهم، الشيء الذي جعله يصدر ظهيرا يقطع بمقتضاه البلدة المذكورة لآيت ماجطن (المجتمع المغربي، 132). ولعل في هذا العهد أصبحت تانانت مركزاً لقيادة عائلة أشطو.

وبعد توقيع الحماية توقف بها الاكلاوي أثناء حركته الكبرى على المنطقة. وبها قدمت عليه أيضا وفود القبائل التي تم تطويعها (المجتمع المغربي، 610). ومن ثم صارت تانانت مركزاً لقيادة المنطقة، فتم نقل مقرها، تحت تأثير العامل الأمني، إلى المركز الحالي الموجود شرقي الموقع القديم - حيث منزل القائد أو شطو - بسبب إشراف الموقع الجديد على كل المنطقة تقريبا. وأسند النظر في أمورها إلى ضابط للشؤون الأهلية، تابع لمنطقة أزيلال العسكرية (Répertoire, 750).

كانت قرية تانانت المقام الذي مكث به "إميل لاووست"، حيث جمع معظم مادة كتابه كلمات وأشياء بريرية (Mots et choses berbères)، في السنوات الأولى للحماية (المجتمع المغربي، 38). وصنفت تانانت حسب إحصاء 1936 كقصر معظم سكانه من اليهود. ولعل المقصود هنا هو قصر تانانت القديمة. وماتزال تانانت إلى يومنا هذا تتكون من مركزين : النواة القديمة الكائنة في الغرب، والمركز الإداري الجديد، الواقع عند ملتقى الطرق، وهو الذي تم تأسيسه من طرف الفرنسيين لإدارة المنطقة. (Répertoire, 467).

ح. الوزان، وصف إفريقيا : م. الخليفتي، الدرة الجليلة : أ.

التوفيق، المجتمع المغربي.

Répertoire.

أحمد عمالك

## تانتايش، قرية مندثرة تحدثت المصادر البرتغالية عن

غزوها ووجودها بحوز القصر الكبير بين مجرى واد اللكوس وواد وأرور، وذلك خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، وأنداك كانت تانتايش قرية أهلة وواقعة بالجانب الشرقي من حوز القصر، بجوار كدية عالية، تدعى اليوم سيدي أحمد الحداجل (165 م)، مشرفة على واد وأرور، عند أول انحرافه نحو الغرب، مما يقابل أولاد الطليغ من جهة وأولاد الحارثي من ناحية أخرى. تعرضت القرية للغزو البرتغالي بتعاون بين جنود كل من أصيلا وطنجة خلال سنة 1515 / 921، وبمساعدة من المنتصرين : الفكاك و"كُنْزَالُو دي فاز والغرفطي وبيرو دي منيسس العروسي"، فتم أسر خمسة وخمسين ساكناً وجمع أكثر من ألف رأس بقر، مما حث أحمد بن طلحة العروسي قائد القصر الكبير (1511). (1530) وأميين الغرناطي (1510 - 1516)، قائد العرائش لتنظيم غارة على أصيلا في محاولة للحصول على الأسرى البرتغاليين لاستبدالهم بأسرى القرية.

على طول نهر درعة لكنها تبعد عنه. وبنيت النخيل في معظم هذا الجبل (وصف إفريقيا، 1 : 136-137).

وانطلاقاً من هذه المعطيات ندرك أن موقع إمارة تانسطة، يوجد بنقطة ما بواحة مزكيطة الواقعة في أعلى درعة، حيث لا تزال الجهة الشمالية من هذه الواحة تعرف إلى اليوم بأفلاتدري (أعلى درعة)، بل إننا إذا ما حللنا المعطيات التاريخية وقارناها بالمعطيات الطبيعية لواحة مزكيطة نلاحظ أنه بالرغم من كل العناصر التي ترجح أن يكون موقع إمارة تانسطة في قصر ما من قصور مزكيطة، فإننا لا نستبعد أن يكون مقرها أيضاً بواحة تينزولين، ذلك أننا إذا ما أخذنا المواصفات التي حددها الحسن الوزان لجبل تانسطة نلاحظ أنها قريبة الشبه أيضاً بواحة تينزولين التي يحفها جبل بوزروال من الناحية الشرقية ويتصل كذلك بجبل دادس، كما يتصل من الناحية الغربية ببلاد آيت واوذكيت، ويقدر عدد قصورها بحوالي خمسين قصراً. ويجد هذا الافتراض ما يدعمه عند مارمول الذي ذكر بأن هذه الإمارة تحد من الجنوب بصحراء درعة.

هكذا يتضح أنه من الصعب الخروج برأي قاطع في تحديد موقع القصر الذي كانت تتخذه إمارة تانسطة مقراً لها في مطلع القرن العاشر (16 م)، لكن الشيء المؤكد أن هذه الإمارة كانت تمارس نوعاً من السلطة على سكان واحات ترناتة وتينزولين ومزكيطة. وقد كانت على قوة عسكرية يقدر عدد محاربيها بحوالي ألف وخمسمائة فارس ومثل ذلك من المشاة (وصف إفريقيا، 1 : 136)، وهو جيش قوي كاف لإخضاع كل واحات درعة. كان رئيس هذه الإمارة في مطلع القرن العاشر (16 م) تربطه بالسلطان محمد الوضائي علاقة ولاء شكلية، إذ كان هذا الرئيس يبعث إلى سلطان فاس بالهدايا السنوية وتحديد البيعة، وبالمقابل كان محمد الشيخ الوضائي يمدّه بالسلاح والنخيل والبروج المظعمة بالذهب.

ونستفيد من إشارات الحسن الوزان أن إمارة تانسطة كانت تتمتع برخاء اقتصادي كبير (وصف إفريقيا، 1 : 137) مما يدل على أن رئيسها كان يتحكم في الطريق التجاري الذي يربط بين وادي درعة وبلاد السودان في مطلع القرن العاشر (16 م).

أما فيما يتعلق بعلاقة إمارة تانسطة بالدولة السعدية فلا بد من الإشارة إلى أن السعديين كانوا يعيشون بواحة فزواطة قبل انتقالهم إلى سوس، ومن الصعب جداً استبيان ما إذا كان للسعديين قبل رحيلهم من درعة علاقة بإمارة تانسطة أم لا، كما أننا لا نعرف أي شيء عن موقف أمزوار تانسطة تجاه الحركة السعدية في بداية أمرها، وكل ما نعرفه أن المزوار ابن عمرو، رئيس إمارة تانسطة، قد حاول مقاومة نفوذ السعديين بدرعة ووصل به الأمر إلى حد التحالف مع برتغاليين أكادير ضد الدولة السعدية الفتية (L'Afrique, 1 : 446). وليس من المستبعد أن يكون لموقف ابن عمرو وتحالفه مع البرتغاليين علاقة بولاء الإمارة

لوطاسي فاس، إذ يكون القصد من هذا التحالف هو التشويش على السعديين وإرغامهم على العودة إلى الجنوب لتخفيف وطأتهم على المتسلطين بفاس. كما أنه ليس من المستبعد أن يكون بدافع فردي للحفاظ على مصالح الإمارة بدرعة، أو أن البرتغاليين قد تحالفوا مع ابن عمرو للتشويش على السعديين بوادي درعة لصرف أنظارهم عن التفكير في محاصرة أكادير (التاريخ الاجتماعي لدرعة، 151). وكيفما كانت الأسباب والدوافع التي جعلت إمارة تانسطة تحاول مقاومة السعديين بدرعة، فإن المزورين قد أعلنوا ولاهم في نهاية الأمر لسلطين الدولة السعدية. ويظهر من بعض إشارات مارمول أن السعديين قد حاولوا الاستفادة من خبرة العائلة المزوارية في الميدان الإداري، حيث نجدهم قد عهدوا لحمو بن علي المزوراني بإدارة مدينة تارگالة نظراً لموقعها بباب الصحراء ولأهميتها التجارية (إفريقيا، 3 : 150).

ح. الوزان، وصف إفريقيا؛ مارمول، إفريقيا، ج 2 و 3؛ أ. البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، د.د.خ. الرباط، 1988.  
D.J. Meunié, Le Maroc Saharien : Marmol, L'Afrique.  
أحمد البوزيدي

**تَانَسِيفْتْ**، اسم نهر وحوض نهري واسم جهة اقتصادية بالجنوب المغربي الاطلنتي. وتانسيفت في لهجة الشلوح هي مؤنث أسيف أي النهر أو الوادي. تبلغ مساحة حوض تانسيفت 17.600 كلم<sup>2</sup> وطول الوادي 270 كلم، ومعدل تصريف النهر السنوي 760 مليون م<sup>3</sup> ينبع من شرق الحوز برأس العين، ويتلقى أهم روافده بصفته اليسرى من السفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي الذي تتميز بنيته بتنوع صخور الزمن الأول وما قبل الكمبري وهي إما صخور صلبة اندفاعية وكرانيت وحث وتكوينات بركانية وبلورية تكون القمم والسفوح العليا 2000-4000 م وإما صخور هشة : طين وطفل وشيست ورضيص قاري تُكون الأحواض ومقاطع الأودية العريضة. وتكون صخور الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين الهوامش الجبلية ومعظمها صلب : كلس وحث وشيست وكوارتزيت. وبسبب تهديل سهل الحوز في النيوجين تعمقت الأودية في مجاريها مكونة خنادق تنتهي عند خروجها إلى السهل بمخاريط انصباب واسعة تتلاقى غالباً مكونة حادورا ومنطقة فلاحية هي التي تعرف بالدير. والأودية هي اللارة الذي يعتبره البعض منبع تانسيفت الأصلي باعتباره أبعد مجرى عن مصبه، وأودية غدات والزات وأوريكا وإسيل وغيغاية ونفيس والمالح وشيشاوة، وهي أهم مغذ له لأن مجاريها الجبلية تتلقى أمطاراً كافية : 500-600 ملم / سنة. وتساعد الثلوج المتراكمة فوق القمم والغطاء الغابوي والصخور المسامية والمفتتات المتراكمة على بعض المنحدرات على ضمان تصريفات صيفية لا بأس بها. ويجتهد السكان في ابتكار أساليب استغلال مياهها في الري بحيث لا يصل منها شيء إلى تانسيفت صيفاً. أما بالضافة اليمنى

الشمالية فلا يتلقى سوى مسيلات أهمها واد بوالروس الذي ينبع من الجبيلات وهي سلسلة هرسينية قديمة : شبيست وكوارتزيت.. لا يتجاوز علوها 1000 م.

أما سهل الحوز، وهو أوسع جزء من حوضه، فإنه تغطيه رواسب قارية رباعية وسحنات من الكلس المستنقي فوق طبقات رسوبية ترجع إلى الكريطاسي والأوسين توضع فوق ركيزة هرسينية من الشبيست والكوارتزيت وتظهر في بعض الأماكن كجبل كيلز بمراكش. ولا يتلقى واد تانسيفت هنا سوى مسيلات قصيرة تجري مياهها بعد سقوط الأمطار عدة ساعات أو أيام لأن أمطاره قليلة : 200. 300 ملم. بل إن الوديان الجبلية تفقد جزءا مهما من مياهها بالتبخير لجفاف الجو والتسرب، إذ تغذي مياهه الجوفية. ويظهر بحافة الضفة اليسرى بعض العيون التي تساهم في تغذيته صيفا إن لم تستغل في الزراعة. والواقع أن كل مياه الوديان والعيون بالحوز تستغل في الزراعة صيفا وفي تزويد المراكز الحضرية، وأقيمت عليها منشآت مائية متنوعة، إذ تحولت البراري السهبية للحوز إلى منطقة زراعية منذ أجيال، فلا يبقى بتانسيفت أي جريان صيفي إذ يتحول إلى برك متقطعة. ولم يعد يصل من مياهه إلى البحر سوى مياه الفيضانات الشتوية والربيعية القوية. وتتميز مياهه هنا صيفا بملوحته نظرا لوجود سحنات ملحية بضاف مجراه بسهل الحوز الأوسط.

ونظرا لفيضاناته القوية وكثرة الرواسب الذي يتلقاها من الوديان الجبلية فإن مجراه يتميز بسرير عريض (500 إلى 1000 م) تغطيه الرمال والحصى وتنبت به شجيرات "الطارفة" وغيرها على طول 130 كلم، من بنساسي إلى مركز جماعة العروسي. وعند خروجه من سهل الحوز يقطع هضبة الشياظمة : كلس جوراسي يتعمق فيه الوادي، ثم يعبر جزءاً من سهل عبدة وتلال ساحلية متحجرة أو متحركة، ولا يتلقى هنا أي رافد باستثناء مسيلات صغيرة ذات جريان عرضي لأن حوضه هنا ضيق والأمطار قليلة، (300 ملم)، والتبخير والتسرب كبير عبر سحنات مسامية ثلاثية ورباعية. ويصب تهر تانسيفت جنوب مدينة أسفي قرب قصبه الحمدوشية بمصب عريض تغلقه الرمال غالباً بشاطئ رملي منخفض تكتسحه أشجار غابوية، تحول إلى مصطاف لأهل أسفي في الصورة القديمة.

تانسيفت جهة اقتصادية : أحدثت بالمغرب سنة 1971 في إطار تقسيم جهوي يهدف لتكوين وحدات مناسبة للتدخلات الاقتصادية والانتعاش الإقليمي. تتكون جهة تانسيفت من أربعة أقاليم هي مراكش وقلعة السراغنة وأسفي والصويرة، تبلغ مساحتها 38.445 كلم<sup>2</sup>، وتضم مائة وعشر جماعات قروية وسبع جماعات حضرية. تتكون من أربعة مجالات جغرافية : منطقة جبلية تشمل معظم السفوح الشمالية والغربية للأطلس الكبير الغربي وسهلي الحوز والبحيرة وجزء من سهل تادالا، وجزء من الهضاب الأطلسية والسهول الساحلية حيث يشرف على واجهة بحرية

(230 كلم). وباستثناء المناطق الجبلية التي تعرف تساقطات معتدلة (400. 600 ملم) فإن الجهة يسودها مناخ شبه جاف حار صيفا قليل الأمطار (200 إلى 400 ملم)، يضم أكثر مناطق المغرب الأطلننتي جفانا (قعر الحوز : 150. 200 ملم). فهي جهة تتميز بتباين طبيعي كبير سواء من حيث الارتفاع أو الأمطار أو المؤثرات الصحراوية والمحيطية مما ينعكس على الموارد الاقتصادية والحياة الاجتماعية. ويكون حوض تانسيفت بروافده العديدة العنصر الموحد تضاريسيا للجهة، وإن كان أم الربيع يمثل كذلك عنصرا حيويا لأن الجزء الأكبر من الحوز الشرقي وتادالا يدخل ضمن حوض أم الربيع.

وتضم جبة تانسيفت مجموعات قبلية ضعيفة التجانس هي عبدة والشياظمة وحاحة بالغرب واحمر والرحامنة بالشمال والسراغنة بالشرق ومجموعات قبلية مجزأة من البربر بالجنوب الجبلي هي متوكة وكندافة وأوريكا ومسفيوة وفتواكة. يبلغ سكان جهة تانسيفت 3.345.000 نسمة (سنة 1988) بكثافة 87 ن / كلم<sup>2</sup> وهي كثافة تعرف تباينا كبيرا ما بين 150 ن / كلم<sup>2</sup> في الجماعات القروية بالدير والمناطق المسقية سواء بالسهول الداخلية أو الأطلننتية وضواحي المدن الكبرى خاصة مراكش إلى 30 ن / كلم<sup>2</sup> أو أقل بالتلال والسهول الجافة : الرحامنة واحمر والجبيلات وبعض المناطق الجبلية العالية. وتتميز الجهة بهيمنة مدينتين كبيرتين هما مراكش (440.000 ن) وأسفي (197.000 ن) (1982) ومدينتين متوسطتين : الصويرة والقلعة، وأربع عشرة مدينة صغيرة تكون شبكة حضرية غير مترابطة. وتبلغ نسبة الحضريين 31.77٪، وهي دون المعدل الوطني (42٪) مما دفع السلطات إلى تدعيم حركة التمدين وتحويل عدد من القرى إلى مراكز حضرية تلي حاجيات السكان إلى التمدين أملا في كبح جماح الهجرة الريفية نحو المدن الكبيرة أو خارج الجهة.

يعتمد اقتصاد الجهة أساساً على الزراعة التي عرفت انتعاشا بنطاقات الري الحديث وعلى تربية المواشي الصغيرة بالمناطق الجافة والجبال والأبقار بالمناطق المسقية. أما الزراعة البورية للحبوب فإنها تعاني من شح الأمطار وتذبذب كمياتها من سنة لأخرى، وهناك نشاط معدني لا بأس به : فوسفات باليوسفية وبنكرير، وباريتين بالأطلس الكبير والجبيلات ومعادن أخرى قليلة.

أما الصناعة العصرية فمازالت ضعيفة وهي تتمثل في الصناعات الغذائية بكل من مراكش : معالجة الفواكه والخضر، ومن الأسماك بأسفي والصويرة، والصناعات المرتبطة بالفوسفات باليوسفية وبنكرير وأسفي حيث بني مركب مهم للصناعات الكيماوية. وتعاني الجهة بصفة عامة من ضعف إمكاناتها الطبيعية واضطراب أوضاعها الاقتصادية بسبب تعرضها لأزمات الجفاف وقلة المياه وانعدام موارد الطاقة وضعف التصنيع وضعف مستوى التكوين المهني. وقد كانت هذه المنطقة سابقا تابعة إداريا لمراكش : عاصمة الجنوب، لكن لوحظ أنه لم يبق بين

أطرافها علاقات قوية بعد تطبيق سياسة اللامركزية الإدارية وانفصال إقليم أسفي عنه سنة 1967، والصورة سنة 1973، وقلعة السراغنة سنة 1975. إذ تتجه الأقاليم المكونة حديثا إلى ربط علاقات اقتصادية مع العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء مباشرة. ولخلق نوع من الاندماج الاقتصادي الإقليمي والجهوي.

تتكون جهة تانسيفت من أقاليم طبيعية متنافرة : أودية جبلية ودير مسقي وسهول داخلية شبه جافة وهضاب أطلنتية وسهول ساحلية تتميز برطوبة نسبية وذلك بهدف خلق تبادل وتكامل بين الأقاليم، ولكن يلاحظ أن عملية خلق التيارات الاقتصادية بين أطراف الجهة لازالت تتعثر بين اجتذاب قطب الدار البيضاء وقطب الجنوب النامي : أكادير، كما أن شبكة المواصلات الحديدية والبرية ينقصها الطول والاندماج، فمحاورها الرئيسية تتجه إلى الدار البيضاء.

وعلى المستوى الفلاحي فإن تخلف أساليب الزراعة واضطراب أحوال الطقس من سنة لأخرى يؤدي إلى ضعف الاستثمارات بها وبالتالي ضعف الإنتاج الذي لا يسد الحاجيات المحلية في المواد الأساسية اللهم إلا في الفواكه والخضر التي يختص في إنتاجها، ضمن زراعة تسويقية، عدد من النطاقات المسقية الحديثة والتقليدية : 300.000 هـ، إذ يتميز كل من إقليم مراكش وقلعة السراغنة بتوفرهما على نطاقات مسقية واسعة ومنشآت ري مهمة : خطارات وسدود وشبكة القنوات وضخ ميكانيكي. وتتوفر الجهة على 1.5 مليون هـ من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب البورية، إلا أن قلة الأمطار وعدم انتظامها يجعل إنتاجها ضعيفا. لكنها توفر بالإضافة إلى المناطق الجبلية مراعي واسعة للمواشي الصغيرة : 3.5 مليون رأس.

وهناك تبادل تجاري مهم على مستوى المنتوجات الغذائية، وباستثناء الصناعات الاستخراجية المنحصرة بالمناجم فإن الصناعات العصرية وكذلك التقليدية تتركز في المدن الكبيرة والمتوسطة. فمدينة مراكش وحدها تستأثر بنصف عدد عمال الجهة لكنها تقتصر على صناعات غذائية وخفيفة وتقليدية كما تستأثر أسفي بثالث عدد العمال وهم يتركزون في نشاط رئيسي هو معالجة الأسماك، خاصة السردين وفي الصناعات الكيماوية. أما الصورة فنسبة عدد عمالها في هذه الجهة هو الثمن وهم يعملون في معالجة الأسماك والصناعة التقليدية ومنها صناعة الجلود. وكل هذه الصناعات هشة وموسمية، لا تحتاج إلى خبرة عالية وهي تدر على العمال أجورا زهيدة، وتفتقر لسلسلتها إلى حلقات مهمة كالصفيح بالنسبة للتعليب وحامض الفوسفور المستورد لصناعة الأسمدة الفوسفاتية والنسيج للخياطة ومواد متنوعة للصناعات الخفيفة. وتبذل جهود لتقوية التيارات التجارية بين الجهة ومينائها الكبير أسفي حيث صارت توجه إليه كل معادن الجهة.

وتعرف الجهة نشاطا سياحيا متزايدا لكنه يتركز أساسا

في مدينة مراكش وجبالها ونسبة بسيطة في مدينة الصويرة. وحقق هذا النشاط توسعا مهما في السنوات الأخيرة خاصة بمراكش حيث بلغت قدرتها الإيوائية 11.350 سريرا و59 مؤسسة مصنفة (1988) وهذا مقابل 368 سريرا بالصويرة و562 سريرا بأسفي. ويلاحظ أن السياحة الداخلية بدأت تلعب دورا متزايدا : اصطيف المراكشيين بالصويرة والوليدية، وزيارة مراكش وبعض المراكز الجبلية : مولاي إبراهيم وأوريكا وأوكايمدن من طرف سكان السهول والسواحل. لكن هذه الحركة لازالت تنحصر في معظمها بين الحضريين. ولازالت الجهة تعاني من تباين المعطيات الطبيعية، فهي تتكون من قطبين اقتصاديين مهمين بهامتها الغربي الاطلنتي والجنوبي الشرقي بالدير يفصل بينهما نطاق انتقالي شبه جاف قليل السكان، إلا أن تنوع المؤهلات والمنتجات يربط جهات المنطقة بعلاقات تبادل تكاملية تنمو باطراد، كما دعمت الجهة بعدد من الأجهزة الإدارية والقوانين لخلق شخصية إقليمية جهوية.

بحوث السنة الرابعة (جغرافية) لطلبة كلية الآداب بمراكش.

Région économique de Tensift, Ministère de l'Habitat, Rabat, 1981 ; O.R.M.V.A.H., Les ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz, RGM, n° 17, 1970 ; Bellaoui, Un exemple de régionalisation au Maroc, la région économique du Tensift, Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech, n° 4, 1989 ; J. Pégurier, Espaces urbains en formation dans le Tensift, Rabat, 1981.

أحمد هوزالي

\* ذكر تانسيفت في التاريخ القديم ثلاثة مؤرخين بأسماء مختلفة، وأخص بالذكر بلين القديم وفلاقيوس جوزيف ثم بطليموس.

يقول بلين القديم في الكتاب الخامس، الفقرة 13 من التاريخ الطبيعي : "إن الأهالي يحكون أنه يوجد على الساحل وعلى بعد 150 ميلا من وادي سلا (Salat)، نهر أسانا، ثم مجرى مائي يسمونه فُوت "Fut" بعيد عن ديريس (الأطلس) بحوالي 200 ميل".

ظهر اسم "فوت" في نفس الفترة في مؤلف المؤرخ اليهودي فلاقيوس جوزيف (Flavius Josephc) ولكن بشكل مغاير بحيث نجد اسم Phoutés، وهذا الأخير حسب نفس المؤرخ، من أبناء هام ومؤسس ليبيا، ويقول أيضا إن هناك نهرا يحمل نفس اسم Phoutés في بلاد المورين.

أما الجغرافي بطليموس فيعطينا اسم "فُتوت" Phtout ويحدد موقعه حسب الاحداثيات التالية (7° و30' - 30° و30') ويقول إنه يوجد جنوب رأس الشمس والذي قد يكون النسخ الاغريقي "لرأس سوليس"، وبما أن رأس سوليس يطابق عادة برأس كانتان، فسيكون من الطبيعي مطابقة "فوت" بأول نهر كبير يصب في البحر إلى الجنوب من هذا الرأس وتعني بذلك "تانسيفت".

وحسب الباحث دوزانج، يكون نهر تانسيفت قد حمل اسما مزدوجا، كوسة "Koucs" والذي يمكن مطابقته بنهر Kouz وهو اسم تانسيفت عند المصب ثم "فوت" الذي يطلق على المجرى المائي ككل. أما بطليموس فيرى أن الأمر

يتعلق بنهرين مختلفتين.

وفيما يخص المسافة التي تفصل بين "فوت" والأطلس فهي تقدر بحوالي 200 ميل وهي مسافة قدرت من المصب إلى رأس غير وهي أكبر مسافة بين تانسيفت والأطلس، ويبدو أن فيها مجازفة لأنها لا تتجاوز في الواقع 205 كلم أي 140 ميلا تقريبا. ويظهر أن الأهالي قد قدروا هذه المسافة حسب السير على الأقدام وبالتالي فرحلتهم كانت تعرف نوعا من الانعراج في اتجاه الداخل.

وكيفما كان الاسم الذي أطلق على النهر من طرف القدماء، فتجب الإشارة إلى أن الأمر يتعلق بواد تانسيفت أحد أكبر أودية المغرب الجنوبي.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 252 ; Dessau, *Real Encyclopedia*, S.V. "Fut", Coll. 406 ; Plin l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, ed. J. Desanges, 1980 ; Ptolémée, IV, 1, 2, p. 578, edit. Muller ;

Flavius Josephus, *Antiquités Judaïques*, I, 6, 2, I, 133.

عبد العزيز بل الفايذة

**تَانْغَايَة**، جبل توجد أعلى قمته بالمدشر الذي يحمل اسمه بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) ثم يمتد من باب تازا إلى ثلاثاء قبيلة بني أحمد، وارتفاعه فوق سطح البحر 1712 متر.

Cabello, *Géo.*, 70 ; Domenech, *Zona Norte*, 29 ; Martinez Campos, *España belica*, 348, 352.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَانْغَمَلْت**، وتكتب أيضا تانغملت وتنعملت (متمتع الأسماع، 161 ؛ دوحة البستان، 58 ؛ مباحث الأنوار، 144 ؛ الدرّة الجليلية، 2 : 258 ...). وعلى الرغم من أن مبناها جاء على صيغة بربرية مألوفة، فإننا لم نستطع تفسير مدلولها. وقد تكون لفظة عربية مشلحة. ففي مادة غمل في اللسان، قال ابن منظور : "وقيل الغملول، هو الوادي الضيق الكثير الشجر والنبت الملتف، وقيل هو الوادي الطويل القليل العرض الملتف". يبدو هذا الوصف قريبا جدا من منظر الوادي الذي تشرف عليه زاوية تانغملت وفيه أيضا "الغملة: الأرض الكثيرة النبات التي يوارى النبات وجهها". ويكاد هذا الوصف ينطبق أيضا على تانغملت، بما حواليتها من أشجار وغابات، لعلها كانت أكثر كثافة مما هي عليه الآن. أما المعنى البربري القريب من وصفها فهو من إغمر وهو الكتف والموقع الذي على كتف سفح جبل أو واد. أما قلب الرء لا ما فهو أمر وارد عندهم حيث تأتي كلمة تانغملت من تانغمرت.

وتانغملت قرية تأسست حول زاوية، وهي تقع في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير والأطلس المتوسط على بعد حوالي مائة وأربعين كلم شرقي مراكش. أما من الناحية البشرية فإنها تقع على حدود ثلاث قبائل كبرى هنتيفة غربا، وأيت عتاب شمالا وأيت مصاض شرقا. وينتمي جل سكانها لأيت أنْل وُيكونون أحد أخماس هنتيفة الجبل. وكلهم من البيض باستثناء بعض العناصر الملونة المنحدرة من عبيد سود كانوا مرتبطين بخدمة الزاوية.

ويعتبر هذا الموقع الوسط ذا أهمية بالغة بالنسبة للزاوية، لأنه المكان المواتي لقيام مثل تلك "المؤسسة". ومن الناحية الثقافية والسكانية تقع تانغملت في منطقة الاتصال أيضا، بين مجالي الأمازيغ والشلوح. ويظهر ذلك من خلال لغة السكان اليوم، إذ هي خليط من تامزيغت وتاشلحيت. وتقع من حيث الموضع، غرب شلالات أزوض، على السفح الشرقي لجبل تَغْسَوَادْ، عند ملتقى واد أمرصيد بواد العبيد.

وعلى الرغم من قربها من منطقة تادلا، التي تمر عبرها الطريق التقليدية الواصلة بين فاس ومراكش والتي وقعت فيها أغلب المواجهات بين جيوش الدول الناهضة وجيوش الدول الآفلة، فإن ذكرها لم يرد في أي نص من النصوص القديمة المعروفة أمثال البكري والادريسي والبيدق وابن عذاري وابن الزيات وابن خلدون وابن عسكرو والوزان وغيرهم، خاصة وأن بعض هؤلاء يعرف المنطقة كالبيدق، والبعض الآخر قد تنقل في تلك الجهات. ولعل أشهر من زار تلك المناطق هو الحسن الوزان الذي وصف قرى أيت عتاب وهنتيفة ولتانة...

وتذكر الرواية الشفوية أن تاريخ تأسيس تانغملت يرجع إلى القرن الثامن الهجري (14 م)، ولا يوجد لهذا الرأي أي صدى في النصوص المعروفة لحد الآن ؛ ولعله وهم من الأوهام. وأول من ذكر تانغملت هو محمد المهدي الفاسي، في كتابه متمتع الأسماع.. فقد ارتبط ذكرها عنده بوفاة موسى البوگمازي دفينها ( متمتع الأسماع، 161). لعل تأسيسها كان على يد هذا الأخير، وكان قد تتلمذ على يد الشيخ أبي عثمان سعيد بن علي الهشتوكي دفين واوزغت (دوحة البستان، 58) وانتقل البوگمازي أو البوجمازي بعد وفاة شيخه إلى تامصلوحت حيث أخذ الإذن عن الشيخ عبد الله بن حسين، ليتصدر للقيام بشؤون زاوية شيخه الأول (متمتع، 162) ؛ إلا أن مجيء الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي إلى زاوية أبي عثمان بواوزغت جعل البوگمازي يغادرها. وقد كان الدادسي المذكور من أصحاب شيوخ من مؤسسي الزوايا أمثال عبد الله بن حسون السلاسي وعبد الله الهبطي وأبي بكر الدلاتي. وأخذ عن هؤلاء الشيوخ وتلمذ عليهم (متمتع، 188) مما رفع مقامه الصوفي في نظر البوگمازي الذي كان ما يزال مجرد مريد، الأمر الذي أفضى به إلى الهجرة ضاربا في الأرض وباحثا عن مستقر جديد، إلى أن ألقى عصا التسيار بتانغملت. كان ذلك حوالي الثلث الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) ؛ على وجه التقريب. وتتحدث النصوص بعد ذلك عن ابنه عبد العزيز. كان هذا الأخير من جملة من لقيهم علي بن عبد الرحمن الدراري المتوفى سنة 1091 / 1680.

يبدو أن حركة الاستقرار بالمنطقة بدأت تتوطد في عهد عبد العزيز بن موسى البوگمازي. وفي هذا الصدد يذكر محمد بن عبد الله الخليلي أن هذا الرجل قام بمبادرتين في غاية الأهمية. ففي زمن إحدى المجاعات، لعلها مجاعة

سنوات 1070 / 1072هـ، بعث بأحد أبنائه - وهو محمد بن عبد العزيز - إلى درعة لجلب التمر. يقول الخليلي: "وأما بالتمر وجعل يطعم الناس بالحساء مع التمر" ( الدرّة الجليلية، 305) أي أنه قام بإرفاق الناس في زمن المسغبة. ومن شأن الإطعام في مثل تلك الظروف أن يرفع مكانة القائم به في أعين سكان المنطقة. كما عمد إلى غرس شجر اللوز بالمنطقة، الأمر الذي أفاد السكان حينما حلت بهم المسغبة خلال العقد الموالي، حيث قام أحد فضلاء ذلك البلد بصنع حساء من ثمر اللوز وتقديمه للجياح ( الدرّة الجليلية، 306).

وبناء على ذلك يمكن القول إن عبد العزيز بن موسى هو المؤسس الفعلي للزاوية التي بدأ أمرها ينتشر بين الناس لاسيما وأن شيخها اعتبر قضية إطعام الطعام نوعاً من الغزو والجهاد، واتخذ شعاراً. يشير الخليلي إلى أن عبد العزيز بن موسى قد صار مقصوداً بالزيارة "لكونه من كبار الأولياء". بل لقد قال على لسان أحد مترجميه: "رأيت بتأفيلت كتاباً كبير الجرم، ضخماً مملوءاً بمناقب الشيخ عبد العزيز بن موسى، بالغ فيه مؤلفه وأطنب" ( الدرّة الجليلية، 277). وهكذا صارت تانغمت مقصودة بالزيارة، وأمدها الزائرون بالهبات والصدقات. وهذا من شأنه أن يدعم مكانتها في ذلك الوسط، ويهيئ للسكان شروط الاستقرار، عن طريق الوساطة والتحكيم في النزاعات، وترسيخ التعاليم الإسلامية، مما مكن للزاوية هنالك، وجعلها قطباً جاذباً بالنسبة لطلبة العلم وحملته. وفي هذا الإطار قدم إليها الفقيه المتصوف محمد بن مسعود المراكشي، تلميذ الشيخ محمد بن عبد الله السوسي، حيث اشتغل فيها بتدريس الحديث والتفسير حتى وفاته بالطاعون الجارف الواقع سنة 1090 / 1679 (مباحث الأنوار، 111-114؛ إعلام المراكشي، 46-47). ارتحل إلى تانغمت على إثر اضطرابه إلى فراق صاحبه علي بن عبد الرحمن الدراوي الذي امتحن بدوره من قبل السلطان مولاي الرشيد في إطار الحملة التي شنّها هذا السلطان على مختلف الزوايا (دوحة البستان، 213).

تفيد هذه الإشارات أن زاوية تانغمت أضحت ملاذاً بالنسبة لبعض من يطلبون الملجأ في زمن المحنة؛ ربما لأنها ما تزال لم تثر بعد انتباه حكام الوقت أو لأن الوصول إلى موقعها الجبلي كان يتطلب استعداداً خاصاً. كما أن سوق العلم بها بدأت تروج، ومن ذلك أن ابن مسعود المراكشي أقام فيها مجلساً للتفسير والحديث.

إلا أنها سرعان ما الفتت انظار المخزن. وفي هذا الصدد وردت وثيقة مؤرخة في حادي عشر رمضان سنة 1090 / 1679، تشبه تقريراً يوضح نظرة المخزن إلى مرابط تانغمت حيث تقول إن محمد بن عبد العزيز بن موسى - الذي قد يكون هو متولي شؤون الزاوية بعد أبيه - "مرابط خير"، وأنه "من أهل الجود والخير والوفاء، وفيه حسن الخلق للطائع والعاصي والرحمة والشفقة للمسلمين وإخوانه..."

"وباب دارهم مفتوح للطعام : من جاءهم يأكل ويشرب لوجه الله ورسوله...". وفي هذا دليل قاطع على أن تانغمت أصبحت زاوية، تضطلع بمختلف الوظائف المنوطة بباقي الزوايا، خاصة وأن الوثيقة شهادة عدلية، ربما جاءت لتبرئة الذمة من التوق إلى الخوض في الشؤون السياسية وتنص على ذلك صراحة حيث تصف المرابط بالقول: "والفضول تركهم، بينهم وبين الفضول ما بين السماء والأرض". لعل هذه التبرئة كانت بطلب، استصدرها مقدم لإثبات بعده عن الخوض في الشؤون السياسية، الأمر الذي يفرضي إلى الاعتقاد أن أمر تانغمت كزاوية بدأ يفشو، وأن حكام الوقت قد علموا بوجودها.

تذهب هذا المذهب ونحن نستحضر السياق التاريخي وموقف سلطان الوقت من الزعامات المحلية. كما يظهر من خلال الوثيقة المشار إليها أن زاوية تانغمت قد عرفت بسطة في الرزق، إذ توفرت فيها الزروع والمواشي والأموال وأصبح لها عبيد أي أنها اكتسبت دعامة مادية أهلتها لأن تصير مركز إشعاع في المنطقة، يتوافد عليها المعوزون والمنقطعون واللاجئون من طلبة العلم وغيرهم. فاضطلعت بتلقين السكان العلم والتعاليم الإسلامية؛ بل صار مختلف تقبائها سداة الإرشاد إلى الشعائر الدينية يدعون إلى الحفاظ على السنة المحمدية.

وقد تبلور ذلك حين تتلمذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز التانغمتي المتوفي سنة 1168 / 1755 على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وعلى الرغم من أننا لانعرف الكيفية التي تم بواسطتها الاتصال بين الشيخين المذكورين، فإنه يمكن الجزم بأن الصلات بين تانغمت ودرعة ترجع إلى عهد عبد العزيز بن موسى، على الأقل. فقد أشرنا إلى أن هذا الأخير كان بعث بابنه محمد لجلب التمر إلى تانغمت من أجل إرفاق الناس زمن المسغبة.

هكذا دخلت زاوية تانغمت في بداية عزها لما انخرط شيوخها في سلك الطريقة الناصرية. فقد استناب شيوخ الناصريين محمد بن إبراهيم التانغمتي، في تلقين الذكر، وأذنوا له في إعطاء الورد، "وشهدوا له بالصلاح". يقول الخليلي في ترجمة التانغمتي: "وسلك الطريق حق السلوك على نحو طريقة الأشياخ، على سبيل السنة المحمدية... ونسج على منوالهم..." ( الدرّة الجليلية، 278). أي أن تانغمت قد أصبحت منذئذ فرعاً للزاوية الناصرية ذات الشهرة الفائقة آنذاك. فصارت ذات سند روحي دعم مكانتها في المنطقة. فقد صار شيخها يشتشهد بالرؤية، ويعقد المحبة مع شيوخ آخرين، مما يدل على أنه بلغ درجة معينة في سلم الصوفية. بل تواترت عنه المناقب والكرامات والخوارق. وينبغي أن نشير إلى أننا لا ندري هل تمسكت تانغمت بالطريقة كما تلقنها شيوخها من الناصريين أم أنها أحدثت ورداً جديداً؟

ومهما يكن من أمر فقد توطدت مكانتها بين سكان تلك المنطقة، كما يشهد على ذلك الخليلي وهو معاصر



لمحمد بن إبراهيم التانغملتي. فقد لعب هذا الشيخ دورا حيويا في تلك المنطقة النائية وهي منطقة عبور واتصال وعدم استقرار، كثيرا ما سادها العنف والاضطراب لاسيما في فترات ضعف السلطة المركزية، مما جعلها أحيانا شاغرة من القائمين بالأحكام السلطانية، لذلك تصدر شيوخ تانغملت للتحكيم في النزاعات والإشراف على عقد الصلح والوساطات بين الناس الشيء الذي هيا ظروف الأمن وبالتالي خدمة الأرض وتوسع حركة الاستقرار فصار محمد بن إبراهيم التانغملتي "كثير العطاء للإخوان والشرفاء وأولاد الأشياخ وذوي الحاجات" بل كان "يعطي البقر والبيغال والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك .." ( الدرّة الجليلية، 278). مما يدل على أن تانغملت حققت نوعا من التراكم في الثروة، فصارت مركزا لجمع الثروة وإعادة توزيعها. وتشهد بطاقة من نفس الزاوية على أن الناس كانوا يقترضون منها المال، ومن الناس من كان يلتمس من شيوخها قضاء دينه.

ومن خلال عقد نكاح الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي يبدو من الممكن تصنيف هذا الرجل ضمن الموسرين. بالإضافة إلى ذلك كان بعض موظفي المخزن يلتصقون من نفس الشيخ أن يتدخل لدى بعض من امتنع من القبائل لدفع مانابهم في خدمة السلطان.

لكن من خلال ترجمة عبد الرحمن التانغملتي المتوفى سنة 1182 / 1769، قد نستنتج أن زاوية تانغملت قد عرفت نوعا من التراجع في هذا العهد، حتى إنها لم تنج من أعمال النهب التي اشتغل بها أيت تاغلا جيرانها، فقد اتصلت بعض القبائل من التبعية لزاوية تانغملت، كقبيلة أيت وُرْطَا، بل إن هذه القبيلة قد خرقت الهدنة التي عقدت على يد شيخ الزاوية. كما أن سوق العلم عندهم قد اعتورها بعض الكساد. ويتضح ذلك من رسالة بعث بها الشيخ التانغملتي إلى ابنه، ومن جملة ما جاء فيها: "وإن قدرت أن تجلس في موضعك وقراءتك فهو أحسن إليك، وإلا فالبلد هذه الساعة ما فيه من يقول أعوذ بالله..." "ولاتقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة".

لا نستطيع استجلاء مختلف الأسباب التي أدت إلى هذا التراجع في النفوذ دون وضعها في إطار الظرفية العامة التي طبعت المغرب آنذاك. وتتلخص بعض الأسباب فيما يلي:

1 - رغم عودة الهدوء في عهد السلطان محمد بن عبد الله ابتداء من سنة 1170 / 1757 فإن المناطق الجبلية ظلت مضطربة.

2 - سلك هذا السلطان سياسة الشدة إزاء الزوايا.

3 - انعدام الأمن في منطقة تانغملت وما جاورها بسبب التحركات القبلية، وخاصة أيت عطا الذين كانوا يقومون في زحفهم العنيف بدفع القبائل الواقعة في مجال تنقلاتهم، مما كان ينتج عنه اضطراب في علاقات القبائل، ويخل بالتوازنات التي تعمل الزاوية على الحفاظ عليها، بسبب

وساطاتها.. ولربما تأثرت الزاوية بدورها من جراء الوضعية الجديدة. ولربما صعّب علي شيوخها أن يقوموا بأدوار الوساطة والتحكيم لدى العناصر الطارئة على المنطقة. ويروي لنا الخليفة الشيء الكثير عما أحدثه أيت عطا من أضرار وتضييق على السكان وعلى زوايا المنطقة، حيث كانوا ينهبون السكان ويغرمونهم ( الدرّة الجليلية، 354). ولعل العداة كان مستحكما بين أيت عطا وبين أتباع الزوايا الناصرية هنالك. ويرجع ذلك إلى أن أيت عطا كانوا أتباعا لخصالة المخالفين في الطريقة للناصرين.

وعلى الرغم مما طرأ على الزاوية من تراجع في الجانب المعنوي، وهو شيء ظرفي على ما يبدو، فإنها قد استرجعت نفوذها المادي وظل قائما في هذا العهد وفيما بعد. وأول ما يسترعى الانتباه أن الزاوية أصبحت لها خزانة تحوي عددا من مؤلفات ذلك العصر. ولعل مرد ذلك إلى كونها أضحت كحرم يستودع فيه طلبة العلم كتبهم خشية أن تتعرض للنهب. وما تزال خزانتها حتى الآن تحتفظ ببعض مئات من المخطوطات من بينها كتب أصلية نادرة.

ظلت الزاوية تتوصل بالهبات والزيارات المتنوعة من الخدام والأتباع الذين اتسع نطاقهم ليشمل أيت مصاض وأيت بوگماز وولتانة وأيت عباس بالإضافة إلى أيت عتاب وهنتيفة. فأصبحت الزروع تقدم بالأحمال ورؤوس الأغنام بالعشرات والنقود بمئات الريالات، كما تشير إلى ذلك وثائق الزاوية.

ولعل أوج النفوذ المعنوي بالنسبة لزاوية تانغملت قد أدركته في عهد الشيخ العباس بن محمد التانغملتي، هذا العهد الذي يصادف النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ إذ لم تقتصر وساطات شيوخ تانغملت على القبائل والجماعات بل أصبحت تتوسط بين المخزن والقبائل. وثيقة مؤرخة في تاسع ربيع الثاني سنة 1307 / 1890 إلى أن الشيخ قد توسط بين أيت إبراهيم وعامل إينولتان الجليلي الدمناتي الذي وجه لهم "أمانة" على يد الشيخ التانغملتي؛ طالبا منه بذل المزيد من المساعي الحميدة، قائلا: "ها الأمان عليهم يصلك، فلا بد بارك الله فيك ككلمهم، وأرشدهم للجادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاءهم على انحرافهم لا يفضي لهم بخير" الأمر الذي دعم مكانة الزاوية في تلك الجهات. حتى إن العامل المذكور قد لجأ طالبا الحرم بدوره، في أثناء ثورة إينولتان بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، بزاوية تانغملت. وظل هنالك مقيما مدة، لم يمسه أحد بسوء. ويشير الفجدامي إلى أن شيخ الزاوية آنذاك قد أكرم مثوى العامل المنفي ومكث هنالك معززا مكرما حتى انفرجت الأزمة ( التسلي، 55 و66).

لكنها إذا استرجعت - إلى حد ما - مكانتها العلمية في بداية القرن الثالث عشر، كما ألعنا إلى ذلك سابقا، فإن هذه المكانة لم تعد مواكبة لنفوذها المادي والمعنوي بعد ذلك إذ اعتور مكانتها العلمية بعض التراجع. فقد طاف الفجدامي أثناء طلبه للعلم على مختلف مراكز تلك الجهات

في كل من إينولتان والسرراغنة وأيت عتاب وهنتيفة وأيت ماجنن، ولم يعرج على تانغملت (الفجدامي، التسلي، 33) وعند ذكر مختلف شيوخ المنطقة لم يشر إلى أحد من أهل تانغملت (التسلي، 67.36).

لعل هذه مرحلة حتمية في تاريخ الزاوية على العموم : يصبح الجانب العلمي والروحي في تراجع لحساب تراكم الثروة وتوثيق الصلات مع المخزن ومثليه، لتلوح في الأفق مرحلة الأقول. وهكذا لم تقتصر العلاقات بين الزاوية والمخزن على مستوى العامل، بل تعدى ذلك إلى السلطان نفسه. وفي هذا الإطار يواجه السلطان مولاي عبد العزيز، بدوره رسالة إلى الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي في ثامن عشر رجب من سنة 1312 / 1995، يأمره بالتوسط بين عامل إينولتان وبين إبالته ؛ يقول فيها : "فأمرك أن تزيد على عملك حتى يتم صلحك معه ويزول ما بينهم وبينه من التنافر ويحصل الائتلاف وبذلك تزيد عندنا حظوة ومكانة...". يظهر أن الزاوية بدأت توظف ما تملك من نفوذ لخدمة المخزن على الرغم من أن هذا الموقف قد تستهجنه العامة أحيانا ؛ ذلك لأن المكانة التي استمدتها الزاوية من القاعدة صارت تسخرها ضدها، ومن ثم يشرع المخزن في توجيه الظهائر إلى القبائل في شخص ممثليه لتوقيع الزاوية واحترامها. وكان تلك الظهائر صكوك شهادة على مصادرة ما كانت تتمتع به الزاوية من نفوذ معنوي (البركة).

ولما قدم أحمد الهيبية إلى مراكش أثناء ثورته، بعد توقيع الحماية مباشرة ؛ بعث هو الآخر برسالة ثانية إلى أحمد بن العباس التانغملتي طالبا منه التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي يبدو أنه لم يكن مواليا لحركة الهيبية. فخاطبه قائلا : "فنجيك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه وشد عضد أهله... فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين، ولا نحتاج إلى التأكيد عليك في ذلك". بل إنه يعتمد على مكانته في تلك المنطقة لاستمالة القبائل فيقول له : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكن عند الظن بك وقف جهدي".

وسلك الفرنسيون نفس الاتجاه حين استيلائهم على مراكش، فقد وجه نائب الكولونيل مانجان إلى شيخ تانغملت رسالة يلح عليه في الانضمام إلى جانب المحتلين، وكان المرابط قد أظهر له عدم رغبته في التعامل معهم، معتذرا له بأنه "رجل مرابط ولا مدخل له في الأمور سوى أمور الديانة". إن إلهام الضابط الفرنسي نابع من تقديره لمكانة الزاوية في المجتمع المغربي. كما يتضح من العبارة التالية الواردة في نفس الرسالة : "لكن نعرف لك اليد والكلمة في بلاد هنتيفة وأيت مصاط وأيت عتاب". وسعى إلى إقناعه قائلا : "ولا يخفاك أن الدولة الفرنسية جري الاتفاق بينها وبين المخزن بأن تطوع جميع البلدان الفاسدة". لذلك يعمد إلى الضغط عليه بشتى الوسائل قائلا : "وعلى هذا نجيبك تعييننا على هذا الأمر" ؛ ما دام الفرنسيون عازمين على تطويع مختلف القبائل بدون تكاليف كبيرة :

"ونحبوا الدخول إليها دخول الأخ عند أخيه من غير بقاء ولا إهراق دم، وتكون ملاقاتنا معكم بالفرح والسرور". من أجل ذلك حاول أن يستقطبه ويستعمله لأنه كان يدرك مكانة زاويته وتأثيرها على سكان تلك الجهات ؛ فيحشه على تهيئتهم . كما حدث في مناطق أخرى . وهو لا يخفى مقاصده : "فيسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد نؤمن بأنك تستطيع أن تمهد إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا إليها بالفرح وغاية السرور" وفي مقابل ذلك يعده ويمنيه : "وإنما أتكلم مع أحد الرجل ذي عقل وفطنة وسياسة وخياره، الذي ستكون له مكافأة على خدمته...".

يتبين من خلال مقاطع هاتين الرسالتين أن زاوية تانغملت كانت في صدارة الأحداث بتلك المنطقة. لكن نجد شيخ الزاوية يلتزم الحذر إزاء الحالتين، مما يدل على سلوكه بمراعاة الأمر الواقع. فهو لم يعلن بعد عن موقفه الصريح مادامت الأمور لم تستتب لأي أحد.

لكن حين أصبح المخزن الجديد يسيطر على الوضع مال شيخ تانغملت إلى التعامل مع هذا الوضع بلباقة، نستفيد ذلك من رسالة وجهها القائد عبد الله أوشطو إلى شيخ الزاوية يدعوه فيها إلى زيارته من أجل الاستجمام ويلوح إليه بالتوسط لدى بعض القبائل التي "ما تزال خارجة عن الطاعة".

وبعد وفاة الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي سنة 1350 / 1932، دخلت الزاوية مرحلة واصلت فيها وظائفها في سياق الظروف الجديدة تحت سيطرة الاستعمار. ولعل ذلك راجع إلى الوضعية الجديدة التي عاشها المغرب عامة. فقد ذكرها جورج دراغ، فيما بعد، من بين الزوايا التي "استمالها" الفرنسيون (6 note 107, *Esquisse*, Drague). وعلى الرغم من أن الوثائق والمستندات تصبح نادرة بعد سنة 1350 / 1932، وهو شيء يشير أكثر من تساؤل ؛ فإن الرواية الشفوية تفيد أن تانغملت عرفت نشوب نزاع بين بعض أبناء سيدي أحمد ألبعاس وإخوته من أجل ولاية شؤونها. لكن يبدو من خلال ملاحظة ممتلكات الزاوية حاليا، وما يتوافد عليها من زوار من مختلف قبائل الأطلس . من إينولتان إلى أيت بوجماز . أنها ما تزال تتمتع بنفوذ كبير. فالوفود تترى عليها طوال السنة، حتى تضيق بمن فيها، بصفة خاصة خلال شهري شتنبر وأكتوبر من كل سنة، فترى عشرات الرجال والنساء . يتقدم كل جماعة مقدهما . يمثلون في السبعينات والثمانينات بين يدي الشيخ سيدي اليزيد بن الأمين بن العباس، في "المصرية" المعدة للاستقبالات ؛ من أجل التبرك واستمطار دعوات الشيخ وطلب الاستشفاء . ويستشف مما يحكيه الشيخ المذكور أن نجم الزاوية لم يأفل في عهد الحماية، خاصة لما استيقن الفرنسيون من "حيادها" تجاه الشؤون السياسية. وهذا الحياد . في نظره . هو الذي جعله من رفقاء القائد أوشطو، يتردد بين الحين والآخر على بعض الشخصيات المخزنية

المرموقة.

يتضح من هذه الرواية إذن أن جانب تدبير شؤون المؤسسة ذات الدور الاجتماعي قد صار مهيمنا على زاوية تانغملت - في هذا العهد - مما قد يدفع إلى الظن أن الجانب الروحي / الصوفي بدأ يتراجع، وهو أمر طبيعي في تطور الزوايا بصفة عامة.

وماتزال - اليوم - تتلقى هبات وزيارات متنوعة ومختلفة ؛ ومقابل ذلك تؤوي وتطعم كل من يلوذ بها أو يلجأ إليها أو يزورها. وماتزال تحسم في بعض القضايا اليومية التي تعرض على شيخها، بين الحين والآخر، وما يزال مسجدها الجامع بكل مرافقه - ومنها الحمام - يقوم بدوره على أحسن وجه. إلا أن دورها التعليمي قد اندثر، منذ انتشار التعليم الرسمي ؛ شأنها في ذلك شأن معظم زوايا المغرب ؛ على الرغم من أنها تحتفظ بعدد من المخطوطات النفيسة.

ومن شيوخ زاوية تانغملت : موسى البوغماري (بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر) وعبد العزيز بن موسى بجان بقيد الحياة عام 1090 هـ ومحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز، توفي عام 1168 هـ وعبد الرحمن بن محمد بن محمد توفي عام 1182 هـ ومحمد بن محمد بن محمد (النصف الأول من القرن الثالث عشر) ؛ العباس بن محمد توفي حوالي 1311 هـ ؛ أحمد بن العباس توفي عام 1350 هـ. وما زال منهم أحياء اليوم.

وثائق زاوية تانغملت وزاوية كروال ؛ أحمد الولاوي، مباحث الأنوار؛ م. م. الفاسي، تمتع الأسماح ؛ محمد المنالي الزبدي، دوحة البستان ؛ محمد بن عبد الله الخليفتي، الدررة الجليلية؛ م. الفجدي، التسلي... .

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse.*

### التانغملي، أحمد بن العباس بن محمد بن محمد

ابن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى، البوغماري. يعرف بـ "سيدي أحمد ألعباس". لا تعرف تاريخ ميلاده، إلا أن أقدم وثيقة تذكره - حسبنا نعلم - ترجع إلى العشرين من شوال سنة 1296 / 1879، يستفاد منها أنه كان مقدما على مرابطي تانغملت. وأنه كان في مرحلة من العمر تؤهله لأن يخاطب من طرف رجال المخزن. أي أنه بلغ الحلم على الأقل. وإذا كنا نعرف أن والده توفي حوالي 1311 / 1894، يمكن القول إنه كان ينوب أحيانا عن والده في شؤون الزاوية أو أن أباه قد أشركه في تدبير أمورها في حياته. إذ تكررت الإشارات إلى أنه كان خليفة والده.

ويظهر من خلال بعض الوثائق - وبعضها موقع بيده - أنه نال نصيبا من العلم، وقام ببعض الرحلات، وخاصة إلى مراكش. كما يستفاد من وثيقتين عدليتين أنه كان "مشارطا" لدى بعض القبائل لمدة سنتين وسبعة أشهر، أي أنه حافظ لكتاب الله وبعض المتون المتداولة. ويرجع له الفضل في بذل مجهودات محمودة من أجل المحافظة على

كتب خزانة الزاوية ؛ كان يقوم بالإشهاد على كل من استعار بعض كتبها. وما يدل على غنى تلك الخزانة أن الطلبة كانوا يترددون عليها لاستنساخ بعض المؤلفات. ورغم ذلك يبدو أن مكانة الزاوية العلمية ظلت متواضعة في عهده، كما يتضح ذلك من رسالة وجهها المدعو علي ابن أبي جمعة إلى التانغملي، قال فيها : "فحامله تلميذنا الفقيه... أحمد بن إبراهيم الهشتوكي وجهناه لحضرتكم بقصد عمارة مدرستكم بالتعليم والإرشاد، وغير ذلك مما له تعلق به... واجعلوا خمسين ربالا له شرطا..."

لكن مكانة أحمد التانغملي كمتصوف كانت أبرز من مكانته العلمية، كما يستفاد من مختلف الرسائل الموجهة إليه. ومعظم هذه الوثائق تنعت به "ولي الله"، "البركة العظمى"، "الخير البركة" والأمثلة متعددة. كما تفيد أن صيته قد علا أكثر من بعض أسلافه، ولاسيما في الفترة الممتدة بين 1312 / 1894 و 1338 / 1919، حتى يمكن القول إن زاورته قد تصدرت الأحداث على مستوى تلك الجهات. ولعل السبب في ذلك راجع - إلى حد كبير - إلى ظرفية المغرب عموما.

فبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894 انتفضت عدة قبائل، ولاسيما في المناطق الجبلية ؛ ومن ضمنها القبائل المجاورة لزاوية تانغملت مما جعل مترجمنا يضطلع بأدوار بالغة الأهمية. ولما انصب غضب المنتفضين على الحاج الجليلي الدمناتي ممثل المخزن في إينولتان، لم يجد بدا من اللجوء إلى زاوية أبي العباس التانغملي، طيلة مدة نفيه. فبذل هذا الأخير مساعي حثيثة لإصلاح ذات البين بين العامل وإيالته، وهذا ما يستفاد من رسالة بعث بها السلطان عبد العزيز إلى المرابط المذكور شاكرا له جميل صنيعه.

وظل التانغملي يتبوأ المكانة المرموقة حتى بعد فرض الحماية على المغرب، فحين دخل أحمد الهيبة مدينة مراكش، كان مرابطنا من جملة من وجه إليهم المكاتب. فقد استحثه على التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي لم يكن مؤيدا لحركة الهيبة حسيما يبدو، لذلك نجده يخاطبه قائلا : "فنجيك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه... فمثله لا يناسبه ولا يليق به إلا العمل للأخرة وإعانة المسلمين. فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين".

وحاول الهيبة استعمال نفوذ التانغملي لاستمالة قبائل المنطقة، قائلا : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكُن عند الظن بك، وقف جهدك..."

لكن يظهر أن أحمد التانغملي لم يكن يبدي كامل الاستعداد لمساندة حركة الهيبة، لأن هذا الأخير قد استهل رسالته بعباته على تأخير الجواب عن رسالته السابقة. وقد أبدى نفس التحفظ إزاء محاولات الكولونيل مانجان (Mangin) حاكم مراكش معتذرا "بأنه رجل مرابط ولامدخل

له في الأمور سوى أمور الديانة". غير أن مانجان ألح عليه إلحاحا قويا، لأنه اعتقد أن له اليد الطولى "في بلاد هنتيفة وأيت مصاض وأيت عتاب" ولأن فرنسا كانت تسعى إلى تطويع القبائل بدون كلفة. وفي هذا السياق خاطب مانجان التانغملتي قائلا: "وعلى هذا نحك تعيننا على هذا الأمر غاية، فبسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد (تهسى) إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا (ندخل) إليها بالفرح وغاية السرور".

ولعل موقف التانغملتي قد سائر الأمر الواقع. نستنتج ذلك من خلال العلاقة الحميمة التي أصبحت تربطه مع المخزن المحلي. فقد كتب إليه القائد عبد الله أوشطو رسالة يدعو فيها للقدوم إلى بلده من أجل الاستجمام، ويوميء إليه بالتوسط لدى أيت عباس الذين ما يزالون "خارجين عن الطاعة".

وفي عهد أحمد بن العباس التانغملتي تضاعفت موازدة الزاوية، حيث ظلت الهدايا والزيارات تترى على شيخها. فقدم إليها السكان النقود والغلال والزروع والأغنام. وقدم الشيخ بدوره للسكان الدواب والمواشي والزيت واللوز والأكسية، وناب عن البعض في تسديد الديون. يمكن القول ببناء على ما تقدم إن الزاوية في عهد الشيخ أحمد بن العباس قد أدركت أوجها فيما يخص جمع الثروة.

توفي أحمد التانغملتي سنة 1350 / 1931 ودفن بصريح الشيخ أبي عمران موسى البوگمازي.

وثائق زاوية تانغملت.

### التانغملتي، العباس بن محمد بن محمد بن محمد

ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى البوگمازي، أبو جعفر. تشير وثيقة مؤرخة في ربيع النبوي من سنة 1269 / 1853، إلى أن العباس التانغملتي كان ما يزال تحت تقديم أخيه، ولا يعني ذلك بالقطع أنه ما يزال قاصرا. وهذه الوثيقة عبارة عن عقد شراء جاء فيها: "اشترى المرابط... السيد محمد البشير.. لنفسه ولأخيه... ولأخيها".

وفيها خصه الموثق بالمرابط وجعله يتصدر المشتريين. ومعنى ذلك أن الأخوين كانا أصغر من أخيهما، ولعلمها كانا ما يزالان قاصرين. وخاطب أحدهم العباس التانغملتي في وثيقة ثالثة مؤرخة في سنة 1276 / 1860، بـ"المرابط الحير البركة السيد العباس بن محمد... سلم مني على أخاك [كذا] السيد عبد الرحمان...". ولا تذكر الوثيقة محمد البشير. أي أنه قد توفي قبل ذلك وأن العباس قد صار هو المتصدر لشؤون الزاوية. وانطلاقا من سنة 1302 / 1885 تتعدد الوثائق التي تؤكد أن العباس هو الذي أصبح متصدر أمور زاوية تانغملت.

ويستفاد من تلك الوثائق أن علمه لم يكن يتعدى علم طالب عادي. فقد عثرنا على رسالتين برسم خط يده: الأولى وجهها لأخيه عبد الرحمان، والثانية بعث بها لابنه

أحمد. ويبدو أن الزاوية في عهده لم تكن خالية من طلاب العلم، فقد وجه إليه أحد الغرباء رسالة يلتمس منه أن يكسوه، ويخيره برغبته في متابعة دراسته بالزاوية التي كانت ماتزال مركزا له شهرة علمية.

والمؤكد أن الشيخ العباس لعب دورا بارزا للتوسط في النزاعات والتحكيم، والأمثلة متعددة في هذا المجال. فالأشخاص والقبائل يطلبون تدخل الشيخ التانغملتي لدى ممثلي المخزن، وهؤلاء لا يوثق في "أمانهم" إلا بعدما يوجه عن طريق الشيخ. وقد خاطبه أحدهم - في هذا السياق - قائلا: "ونحن استرحمنا بأولادك صغارا وكبارا أن لا تخيب ظننا بك... وأن القائد السيد محمد (أوشطو) ملأوا سمعه وبصره بما لا يليق عنا حتى جفا بنا ولم يسمع منا". فكل المحاولات التي بذلها هذا الشخص ليتفادى ملاحقة القائد، لم تجد فتيلًا إلا بعدما توسط في النزاع مرابط تانغملت.

ووجه العامل الجيلالي بن علي الدمناطي رسالة إلي العباس التانغملتي تفيد أن فخذة أيت إبراهيم من أيت بوولي استكتبوا قائدهم عبد الله أوشطو ليوجه لهم "الأمان" على يد نفس المرابط. ويصده ذلك قال القائد الجيلالي: "ها الأمان عليهم يصلك فلا بد ببارك الله فيك كلمهم وأرشدهم للجدادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاهم على انحرافه لا يفضي لهم بخير...". (الرسالة مؤرخة في ربيع الثاني سنة 1307 / 1890).

لكل ذلك حظي التانغملتي بمكانة مرموقة لدى سكان تلك الجهات. فتعلقوا بأذياله واسترحموا بزأوته في أوقات الشدة، لاسيما وأن هذا العهد صادف نوعا من الضغط

المخزني على سكان الجهات، تجلّى ذلك في محاولات السلطان المولى الحسن تطويع تلك القبائل، وجباية الضرائب بسبب حاجة المخزن للأموال.

في هذه الظرفية صارت الزاوية حرما يلتجئ إليه المظلومون والخائفون من عسف إخوانهم أو من عسف ممثلي المخزن. وفي هذا الإطار خاطبه أحد السكان قائلا: "فها نحن وأولادنا في عار الله وعاركما (العباس وأحمد) وعار أسلافكما...".

ولم نعر على ما يفيد في تحديد تاريخ وفاته بالضبط. لكن آخر رسالة - اطلعنا عليها - برسمه ترجع إلى سادس ذي الحجة سنة 1309 / 1892. وفي أثناء ثورة إينولتان ضد عاملهم الجيلالي الدمناطي سنة 1311 / 1894 على إثر وفاة مولاي الحسن، استرحم العامل المذكور بزاوية تانغملت والقائم عليها آنذاك هو الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي (العجدامي، التسلي، 55 و66). معنى ذلك أن الشيخ العباس توفي بعد سنة 1309 / 1892 وقبل وقوع الثورة في سنة 1311 / 1894. وتفيد الرواية الشفوية أن وفاته كانت في سنة 1311 / 1894 بتانغملت وبها دفن.

وثائق زاوية تانغملت.

التانغملتي، عبد الرحمان بن محمد بن إبراهيم بن

عبد العزيز، ترجم له محمد بن عبد الله الخليلي وجعله من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي ( الدرّة الجليلية، 281). والمرجح أنه أخذ عنه بواسطة والده محمد بن إبراهيم.

عبد العزيز، ترجم له محمد بن عبد الله الخليلي وجعله من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي ( الدرّة الجليلية، 282). ويظهر أن الزاوية في عهده عرفت بعض التراجع من الناحية المعنوية. وعلى الرغم من عدم توفر الوثائق حول هذا العهد القصير، الممتد على أربع عشرة سنة فإن وفرة الرسائل الموجهة لأخيه محمد بن محمد بن إبراهيم ولابن هذا الأخير محمد بن محمد بن إبراهيم توضح أن هذا العهد كان بمثابة مرحلة انتقالية، إن لم تتسم بالتراجع فقد تميزت بالركود.

ويبدو أنه لم يبلغ درجة أخويه أو بعض أبنائهما في الجانب العلمي؛ إذ لم يرد في ترجمته ما يفيد توبأه مرتبة علمية معينة. يقول الخليلي في ترجمته: "كان رحمه الله رجلاً صالحاً تالياً لكتاب الله تعالى، فاضلاً متواضعاً تقياً مجتهداً في دينه، مجتهداً في أمور الزاوية...". وقد اقتفى آثار أسلافه في تكريس الوظائف التي اضطلعت بها الزاوية كإرفاق الناس في زمن الأزمات، والتوسط في النزاعات. ويذكر الخليلي أنه كان.. صابراً لإذابة الخلق". مما يمكننا من أن نستشف ما أصبحت تتعرض له الزاوية من ضرر ناتج عن عدم الاستقرار الذي طبع ذلك العهد، قبل أن تستعيد البلاد بعض الهدوء مع تولية السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1171 / 1757.

توفي عبد الرحمان التانغلمتي في فاتح ذي الحجة سنة 1182 / 1769، ودفن بمقبرة زاوية تانغلمت.

وثائق تانغلمت: م. محمد بن عبد الله الخليلي، الدرّة الجليلية...

### التانغلمتي، محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن

موسى البوگمازي، ولد سنة 1089 / 1678 ( الدرّة الجليلية، 279) انفرد الخليلي بالترجمة له، لكنه لم يتعرض لنشأته ولا لسني حياته الأولى. لذلك لا نعرف شيئاً عن دراسته ولا عن مستواه العلمي؛ فقد يكون المترجم أمياً إلا أنه اشتهر كمتصوف، فقد حلاه الخليلي بـ "الشيخ الصالح الولي الناصح، الرباني، فريد عصره، ومصباح أهل زمانه" ( الدرّة الجليلية، 277).

أخذ الورد عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، وهو من أبكاره. مما قد يفيد أنه انخرط في سلك الناصريين في شبابه، كما يستفاد من عقد زواجه، إذ تزوج هو في سن السادسة والعشرين من عمره. ووسمه العدلان "بالمربط"؛ مما قد يفيد أنه تولى شؤون الزاوية قبل ذلك الأوان. والعقد المشار إليه محرر في عشرين من ذي الحجة عام 1115 / 1704.

استنابه الناصريون. لأنه عاصر خمسة من شيوخهم: أحمد وموسى وعبد الله وجعفر ويوسف. في تلقين الذكر

والورد. أي أنه حصل على الإذن المطلق. وشهدوا له كلهم بالصلاح، لأنه سلك طريقتهم حق السلوك، ونسج على متوالهم، في العبادة والتقوى والزهد؛ وهي أمور اشتهر بها شيوخ الناصريين الأوائل.

مثل ذلك جعل زاويته. تانغلمت. تستقطب العديد من المريدين والأتباع. ومن ثم أصبحت الهبات والزيارات تترى عليها. لذلك وصفه مترجمه بالسخاء وكثرة العطاء، حيث يقول: "يعطي البقر والبالغ والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك". ( الدرّة الجليلية، 278). مما قد يفيد أن الزاوية عرفت بسطة في جانبها المادي في عهده. ومن خلال عقد نكاح هذا الشيخ يمكن تأكيد ذلك. فقد تزوج محمد بن إبراهيم التانغلمتي بفاطمة بنت حمي اليوسفية على صداق "نهايته عشرون مثقالاً فضة سكة تاريخه". ويشير الخليلي إلى أنه كان "نفاعاً للمسلمين، فلا يبخل عنهم بماله ولا بنفسه".

بالإضافة إلى ذلك اشتهر التانغلمتي بوساطاته المتعددة بين الناس، فكان "مجتهداً في إصلاح ذات بين المسلمين، فمن أتاه يطلب منه القدوم لأمر يساعفه بخطواته".

لهذه الأسباب ما فتىء صيت التانغلمتي يعلو، حتى أصبحت تؤثر عنه المناقب والكرامات. ومن ذلك ما أخبر به عبد الله العتيقي، وهو "رجل صالح اشتهر بكثرة الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم". يشير الخليلي إلى أن العتيقي رأى النبي صلعم في قصة طويلة، ويعتبه إلى تانغلمت قائلاً له: "بلغ سلامي لسيدي محمد بن إبراهيم، وقل لسيدي محمد بن إبراهيم جعلناك وكيلاً، وفوضنا لك الأمر في كل ما تريد، جعل الله راحة المسلمين فيك، وجعل الحكمة على لسانك، لانتظر الدعاء عند أحد، أنت الذي تحتاج تدعو للخلق". ( الدرّة الجليلية، 278). يظهر هذا النص غنياً عن كل تعليق، لأن كل من تروج حول شخصه مثل هذه الأقوال في وسط كانت فيه الزاوية هي المؤسسة الوحيدة التي ترعى الشريعة الإسلامية وتعمل على نشرها، يعتبر من الصلحاء الكبار، مما يضيفي على سديتها. ومن بينهم مترجمنا. نوعاً من التبجيل والتقدير. لذلك أقبل الناس في تلك الجهات على الشيخ محمد بن إبراهيم التانغلمتي، حتى صار يلقن الأوراد ويعطي العهود، بل كان يستشهد بالرؤية. وقد عقد معه والد الخليلي. عبد الله بن محمد. "عقد المحبة العظيمة التي لاتنقطع بالموت، واستشهدته بالرؤية... فشهد لي بذلك، وكنت أقرب إليه... ورأيت له المناقب والكرامات والخوارق ما لا يدخل تحت الحصر". ( الدرّة الجليلية، 279). فصار يخطب وده ويطلب صحبته.

وقد استمد هذه المكانة. بالإضافة إلى معطيات المنطقة ومؤهلاته الشخصية. من انتخاته إلى الطريقة الناصرية التي كانت في أوج عزها آنذاك، فتوثقت العلاقات بين زاويته وبين تامگروت التي مر بعض شيوخها بمنطقة تانغلمت، لاسيما موسى الناصري (ت. 1142 / 1730) الذي كان كثير التردد على فروع الزاوية الناصرية بالمنطقة مثل

أُزَّوِضَ وَأَيْتَ خَلِيفَتَ وَغَيْرَهُمَا .

توفي الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي سنة 1168 / 1755 . ودفن بمقبرة زاوية تانغملت .

وثائق زاوية تانغملت ؛ م . الخليفتي ، الدرّة الجليلية .

الخطب . ولم نجد به شيئا . ويتوسل إليه أيضا عبد الله بن أحمد الهوزالي ، في رسالة ، أن يتدخل لدى السلطان ليطلق سراح إخوانه المسجونين في مراكش .

وعلى الرغم من إشادة مترجمه بمكانته العلمية ، فلم نعر على ما يفيد أنه خلف أثرا في ميدان التأليف . ولعل ذلك راجع إلى انشغاله بالتدريس ، واضطباعه ببعض مسؤوليات الزاوية . وقد يكون مرد ذلك ، أيضا ، إلى أن ما تزخر به تانغملت من تراث ما يزال غير معروف .

توفي محمد التانغملتي بزاوية تانغملت عام 1149 / 1737 ؛ وبها دفن خلف قبر عم والده محمد بن عبد العزيز .

وثائق زاوية تانغملت ؛ م . الخليفتي ، الدرّة الجليلية ...

**التانغملتي ، محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى وهو أكبر بني أبيه . تلقى دراسته الأولى بزاوية تانغملت ثم انتقل طالبا للعلم إلى مدينة مراكش ، حيث أخذ عن أشهر علمائها ، منهم أحمد بن سليمان الرسموكي بجامعة المورسطين وعبد الله بوخريص ومحمد الصغير الإفرائني وعبد الله بن عبد الواحد الفيلاي .**

وقد عثرنا على رسالة بعث بها المترجم إلى المدعو محمد بن عبد الله يخبره بالقدوم إلى مراكش "قصد سرد الشفا والكلاعي في شهر رمضان" . فأجابته هذا العالم معتذرا حيث قال : "كما ذكرت أعزك الله أثقل علي .. لأمرين : أحدهما أنني لست أهلا لذلك .. وطول عهدي بالقراءة أكثر من أربعين سنة . والثاني ما بي من الضيقة وقلة الصحة .." . ولعله قد رجع إلى زاوية تانغملت بعدما أنهى دراسته ، فتصدر بها للتدريس . يقول الخليفتي : "ولم يقطع رحمه الله تدريس العلوم إلى أن مات مجتهدا في التعليم" ( الدرّة الجليلية ، 278 ) . يبدو أنه كان من بين علماء الزاوية الذين عملوا على ترسيخ التعاليم الإسلامية ونشر الثقافة العربية في تلك المنطقة البعيدة عن المراكز العلمية الكبرى آنذاك ، لذلك حلاه الخليفتي بـ "الإمام العالم التقوي ، الملازم لتدريس العلوم وبثها إلى أن مات" . وخاطبه أحدهم قائلا : "ركن السيادة المؤسس على التقوي ، والحصن الحصين الذي لا تخفر ذمة من تمسك بسببه الأقوي ، هذا ولا غرور أنه من جهابذة الوقت الذين قربهم الباري جل جلاله .." . وحلاه آخر بقوله : "الفقيه الأستاذ الأديب أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم بن إبراهيم التانغملتي..." .

**التانغملتي ، محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم** . أحد أعلام زاوية تانغملت ترجم له محمد بن عبد الله الخليفتي في كتاب الدرّة الجليلية ، وأشار إلى أنه درس بمراكش وتنقل بين بعض المدن والقرى في سبيل طلب العلم ، فلقي عدة من شيوخ العلم أخذ عنهم واستجازهم . وبعدما نال حظا من العلم رجع إلى زاوية تانغملت حيث تزوج وأنبرى لتدريس العلوم كما كان دأب والده . ولعل الزاوية قد شهدت قبيل رجوعه مرحلة من الركود ، كما يستفاد من رسالة وجهها إليه والده ، حين كان غائبا بمراكش من أجل الطلب . فقد استحثه على الاجتهاد في تحصيل العلم هنالك قائلا : إن "البلد هذه الساعة ما فيه من يقول أعوذ بالله غير طالبين (من) بوحسوسن ، وطالب من كرول" . ويضيف : "ولانقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة" .

وقد حلاه الخليفتي بـ "الأستاذ الفقيه العالم العلامة... له معرفة تامة في العلوم ، قرأنا وفقها ونحو وحديثا وغير ذلك من الأصول" "حجة في كل شيء" لذلك سرعان ما استعادت الزاوية ، في عهده ، سالف مجدها من الناحية العلمية . ومن ذلك يرجع له الفضل في جمع عدد كبير من الكتب في خزانة تانغملت .

تولى شؤون الزاوية بعد وفاة عمه عبد الرحمان سنة 1182 / 1769 ( الدرّة الجليلية ، 281 ) . تلقى الإذن بتلقيقن الورد الناصري من الشيخ يوسف الناصري ؛ فاجتهد في أمور زاويته حتى تعدد أتباعها ومريدوها ؛ وصارت قبلة لمن أراد الاستزادة من العلم ، من سكان تلك الجهات ، وفي هذا السياق يذكر الخليفتي أن صاحب الترجمة كان من جملة شيوخها ، بل لقد حصل على يديه كثيرا من العلوم . وفي ذلك يقول : "وهو الذي أخذنا عنه جل استفادتنا وعليه جمعنا كثيرا من نوازل العلم ، وهو عمدتنا في ذلك ، ( الدرّة الجليلية ، 285 ، 286 ) ، لذلك حين انتهى الخليفتي من تأليف الدرّة الجليلية ، قدمه والده إلى شيخه التانغملتي . فقام هذا الأخير بتقريظه في يوم 22 ذي الحجة سنة 1183 / 30 مارس 1770 ( الدرّة الجليلية ، 338 ، 339 ) ويوجد هذا التقريظ على ظهر الكتاب المذكور ، بخط التانغملتي هذا .

يظهر ، من خلال ما ذكر ، أن العلاقات بين زاوية

أما فيما يخص طريق القوم فقد ترجم له الخليفتي كواحد من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر . لكن يبدو أنه أخذ عنه بواسطة والده ، كما يستنتج من قول الخليفتي : "تلمذ رحمه الله على أبيه ونسج على منواله ، تابعا لطريقة الأشياخ الناصرية على نحو فعل أبيه" ( الدرّة الجليلية ، 280 ) .

لذلك يمكن القول إنه جمع بين العلم والتصوف ، إلا أنه - حسبما يبدو - لم يتصدر للقيام بشؤون الزاوية ، على الرغم من أنه خدمها بواسطة نشر العلم . وكان والده يكلفه أحيانا للقيام بالوساطة أو التحكيم بين أهل تلك المنطقة ( الدرّة الجليلية ، 278 ) ، ويستفاد من رسالة بعث بها إلى أحدهم أنه قد قام بنفس الدور الذي اضطلع به والده ، حيث توسل إليه ذلك الرجل أن يتدخل لدى بعض أيت مصاض لاسترجاع بعض ديونه ، مخاطبا إياه بهذه العبارات : "ولا نريد بذلك تعبك .. في هذا الأمر ولا في هذا الزمن حتى خبطنا كثير

تأنغملت وزاوية أيت خليف كانت وثيقة في هذا العهد. فقد نظم التأنغملتي مقطوعة شعرية في مدح عبد الله الخليفتي، وذيلها بالتوسل إليه في الدعاء له ولأولاده (الدرة، 339، 340). ولما مرض عبد الله الخليفتي مرض موته، استكتب ابنه للشيخ التأنغملتي ليوصيه بأولاده قائلاً: "فهو وصيي على أولادي، فأمره أن يستوصي بهم خيراً ماداموا أحياء، ودام حياً..." (الدرة الجليلية، 341). وحين توفي الخليفتي المذكور لم يتم دفنه إلا بعدما قدم التأنغملتي ليصلي عليه، الأمر الذي يجعلنا نظن أن الصلات الروحية بين الزاويتين كانت تتعدى مستوى نهلهما من منبع واحد، أي الاشتراك في السلوك وفي الطريقة. لم نقف على تاريخ وفاة محمد التأنغملتي، إلا أن وثيقة من تأنغملت تفيد أنه كان يقيد الحياة سنة 1210 / 1796.

وثائق زاوية تأنغملت : م. الخليفتي، الدرّة الجليلية.

أحمد عمالك

**تَأَنْقُوبُ**، مكان يقع بقبيلة الأحماس، وعلى إثر احتلاله يوم 4 غشت سنة 1926 أنشأ الجيش الإسباني ثكنة عسكرية بنيت حولها فيما بعد قرية لتكون في التقسيم الإداري الحالي مركز جماعة قروية تابعة لدائرة إقليم شفشاون.

*Nomenclator cabila*, 1953 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَانْكَارْفَا**، ممر طبيعي لطريق القوافل منذ أقدم العصور، وهو عبارة عن شعب تعمق فيه الوادي بشكل مفاجيء ليربط بين تاسيريت تازوگّاغت شرقاً، وبين تاسيريت تومليلت غرباً، أي الهضبة الحمراء والهضبة البيضاء بالنسبة لترية الحمري والتربة الجيرية. ومن هذا الممر وحده كان التجار يسلكون بالقافلة الرابطة بين مدينة سيدي إفني وثلاثاء الأخصاص في عهد الحماية.

يحتوي هذا المكان على آثار لحضارة قديمة، وتدل القرائن والمقابر ووجود المياه والموقع المنيح على وجود بقايا ترجع إلى عهد بعيد، وأقدم حصن في عين المكان يرجع إلى عهد المرابطين حسب الروايات الشفوية، وما يلفت الانتباه تركيز عدد مهم من الصالحين حول تانكارفا، منهم صاحب الضريح عبد الله بن يحيى، وهو والد الصالح بوكارفا حسب ما يدعى حفدته. وهناك الصالح وأملحّافْتْ، ومسعود أُرَايْنَا صاحب الموسم التجاري السنوي حتى الآن، وسعيد أُوعلِي .. وفي تانكارفا تقع دار القائد المشهور ببُوخْلَايْس وهو علي السيموري الباعمراني من قواد السلطان عبد العزيز، توفي عام 1340 / 1921، وكان مشهوراً بلعبة الشطرنج في تلك الجهات، وأبراجه في تانكارفا ما زالت تدل علي ما مر هناك من خير وشر.

وفي تانكارفا مدرسة عتيقة تعد من أقدم المدارس العلمية الباعمرانية، ومن أشهر أساتذتها صاحب الضريح

هناك عبد الله بن يحيى (ت. حوالي 950 هـ). ولعل معظم الصالحين هناك من تلامذته، ثم خفت صوتها إلى أن شارط فيها الفقيه المفتي أحمد أُمَيْش الذي ولد حوالي 1255 هـ وقضى عمره كله في التدريس إلى أن دفن هناك حوالي عام 1330 / 1911 وخلفه في تلك المدرسة الروائي لحسن بن محند العيلاوي الباعمراني، فصارت المدرسة متخصصة في تدريس القرآن وروايته، إلى حوالي عام 1357 / 1938 حيث خلفه ابنه إبراهيم منذ ذلك الوقت حتى الآن، وعلى يده تخرج كثير من حفظة القرآن. وتقام في تانكارفا سوق أسبوعية يوم السبت حالياً، وقد حلت محل سوق فيدود.

ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران، مرقون : م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 245 ؛ طاقة ربحان من روضة الأفنان، 29؛ رسالة سلطانية إلى القائد علي بوحلايس.

الحسين جهادي

**تَانْكَرْتْ**، اسم أمازيغي بمعنى النهضة من فعل (ء ينكر) بمعنى نهض. وتدعى بتانكرت منطقتان كبيرتان متباعدتان إحداهما في إفران الأطلس الصغير بناحية تيزنيت، وثانيتها بقبيلة إيداوتنان في الأطلس الكبير، لعل تسميتهما ترجع إلى خصوصيتهما وكثرة مياههما الجارية التي يترتب عنها نبات الزرع وقيامه. (خلال جزولة، ج 2، ص 252). وقبيلة تانكرت التنانية التي نحن بصدد التعريف بها هي الثالثة قبائل إيداوتنان، وتقع تانكرت بجهة الشمال الغربي من جبال إيداوتنان التي تشكل الجزء الغربي للأطلس الكبير المطل على المحيط الأطلنطي. وتتكون قبيلة تانكرت التنانية من عشر فرق أحصاها حاكم فرنسي بالكواين عام 1924 كما يلي :

- 1 - فرقة إيدا ومطاط : 110 6 - فرقة انجعا ف : 200
- 2 - فرقة إيدا أوعمران : 160 7 - أيت تيديلسي : 150
- 3 - أيت واعزري : 410 8 - أيت بوغدا : 150
- 4 - أيت يحيى : 170 9 - أيت واعلا : 080
- 5 - أيت إيمسكسر : 200 10 - أيت ناصر : 140

فيكون بذلك مجموع قبيلة تانكرت سنة 1924 هو 1770 كانوا، وكلها من أصل أمازيغي ينتمي إلى قبيلة مصمودة باستثناء بعض العائلات الإدارية المنتسبة إلى الشيخ إبراهيم بن علي التغانيني التنانني (989 / 1581). كما أن هناك عائلات أخرى في فرق إيداومطاط وتيديلسي وأيت بوغدا تنتسب إلى أولاد أبي السباع بشيشاوة بناحية مراكش، في حين نجد فرقة إيداعمران ينتسبون إلى قبيلة بني زروال بالغرب، ومع ذلك فإن أهل تانكرت انصهروا كلهم في قالب إسلامي فتوحدت لغتهم الشلحة الأمازيغية وتشابهت عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية.

وقد توحدت قبيلة تانكرت حول مدرسة علمية عتيقة تدعى إيسيمنا واقعة قرب دار شيخها (أمغار) بُونَاكَا، الذي تسلسلت رئاسة هذه القبيلة في أسرته منذ عصر محمد بن عبد الله. ولقبيلة تانكرت عدة أسواق مشهورة

تدل على نشاط حركتها الاقتصادية أهمها : سوق الأحد  
إيسسكرو - وسوق جمعة إيدا ومطاط فوق غددير أهدار -  
وسوق ثلاثاء تانكرت الواقع قرب مركز تافركانت للمياه  
والغابات، وهو السوق الرئيسي عند أهل تانكرت، فإنه  
يحملون جميع منتجاتهم الفلاحية، وإليه يرفعون جميع  
الخصومات لعرضها على شيخهم الكبير بوناكة الموجود  
باستمرار في هذا السوق منذ ما قبل الحماية إلى اليوم.  
ويقبله تانكرت مآثر تاريخية منها برج أهدار أحمد،  
والمكان المنسوب إلى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي  
(خلال جزولة، 4 : 89 ؛ الإعلام، 5 : 56).

ورغم ضعف الحركة التعليمية بنوعها التقليدي  
والحديث - مؤخرًا - بقبيلة تانكرت فإن أهلها قد رادوا الآفاق  
فهاجروا إلى الدول الأوربية وإلى المدن المغربية الكبرى  
فاشتهروا في أكادير والدار البيضاء والرباط وفاس  
بنشاطهم التجاري وخاصة في بيع الأقمشة والملابس ومواد  
الأناقة وما شابهها مما يناسب أذواقهم. وقد أشاد المختار  
السوسي بما عاينه لدى التانكرتية خاصة والتنانين عامة  
من أناقة حضارية وحسن تدينهم إذ قال (وقد وجدنا أرباب  
مثنانا) (أيت بلعيد التجار) يبنون بناءً حضارياً أنيقاً، ويا  
ما أحلى أناقة الحضارة في بحبوحة البداوة، وقد كنا عرفنا  
من قبيلة إداوتنان حبههم لحسن الرياش ولصقل الأواني  
وللأطعمة الفاخرة وللطيب فلا نكاد من قبل الاحتلال ندخل  
دار أحدهم إلا وجدنا عنده أناقة من ذلك على قدر ذات  
يده... زيادة على حسن نية وجميل اللقى وإكرام الضيف،  
فإن فيهم من السخاء ما يقل مثله في جبلي أُلْتَيْتَة وإنما  
الذي يسترعي النظر من التنانين خفة حركة وكثرة الهذر،  
خلق جبلوا عليه قد يواخذهم عليه من لا يعرفهم، فلا يعرف  
حسن نياتهم ومقاصدهم، وقد كان الدين فيهم راسخاً  
ولا يزال. (خلال جزولة، 4 : 83).

م. المختار السوسي، خلال جزولة، الأجزاء 4.2 : دراسة ميدانية  
أنجزها حاكم فرنسي بدائرة انزكان يدعى لاتيرون عام 1924 حول  
إداوتنان : محريات ميدانية : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 5 : 56.  
محدد أيت الحاج

**تَانِكْسْتَيْن** معدن. أصل الكلمة سويدي، وتعني  
"حجر ثقيل" ؛ رمزها الكمي هو "W"، ثقله النوعي 12.2  
ووزنه الذري 183.92. من أهم المعادن الخامات للتانكستين،  
الفلوراميت والشيليت :

1 - الفولفراميت : هو أكسيد الفولفرام (W) والحديد  
(Fe) والمنغنيز (Mn)،  $(Mn, Fe)WO_4$  ؛ تتركب من  $WO_4 =$   
 $76.46\%$  ،  $FeO = 11.70\%$  ،  $MnO = 11.70\%$  ، نظامها البلوري  
أحادي الميل، بلوراتها على شكل ألواح أو مواشير، أو  
ركامات ذات انفلاقات مصفحة ومتشعبة ؛ كثافتها 7.1-  
7.5 ؛ صلابتها 5.5 ؛ لونها أريد أسود إلى رمادي أسمر ؛  
لمعانها شبه معدني إلى معدني.  
تنفرد الفولفراميت بنقطة انصهارها البالغة 3390 سع

والتي تتجاوز نقط انصهار سائر المعادن الأخرى.  
افتراضياً، توجد سلسلة متكاملة من الفيريريت  
( $FeWO_4$ ) إلى الهوسنريت ( $MnWO_4$ )، تتوسطها  
الفلوراميت ( $(Mn, Fe)WO_4$ ). نجد الفولفراميت إما في  
العروق المروية ذات حرارة مرتفعة، حيث تكون مجتمعة إلى  
الشيليت أو الأركزة الحرمانية الموجودة إما في الأعبل أو  
في حلقتة التحولية.

2 - الشيليت : أصلها مشتق من اسم العالم السويدي  
"شيل" أول من اكتشف التنكستين ؛ أما تركيبها  
الكيميائية فهي  $CaWO_4$  حيث تمثل  $CaO = 19.47\%$  و  $WO_3 =$   
 $80.53\%$ . نظامها البلوري تربيقي، بلوراتها هرمية أو على  
شكل ألواح أو مواشير ؛ كثافتها 6.1-5.9 ؛ صلابتها 4.5-  
5 ؛ ذات لون أبيض أو أصفر ؛ مستشعة عند عرضها  
للأشعة ما فوق البنفسجية (U.V) ؛ لمعانها زيتي إلى  
الماسي. نجد الشيليت في الأركزة المروية المرتبطة بالأعبل أو  
بحلقتة التحولية، وبخاصة في الأحجار الجيرية التحولية  
("سكارن") حيث توجد مجتمعة إلى معادن القصدير  
والنحاس. كما تصحب الشيليت الفولفراميت في الأعبل  
والفلورين، والزبرجد في الأركزة الحرمانية العالية الحرارة.  
تتوزع أغلب رواسب التانكستين المعروفة بالمغرب على  
المجالات الآتية :

- المجال الأطلسي، حيث رواسب إحلالية حرارية في  
مناطق التماس، مرتبطة بالاعابل الهرسينية ونذكر منها  
رواسب أزكر بالأطلس الكبير الذي أنتج ثلاثين طناً من  
الشيليت قبل الانقطاع عن استغلاله، رغم أنه لا يزال  
يحتوي على احتياطات مرتفعة وهامة من الشيليت بنسبة  
0.3% من التانكستين ؛ وكذلك رواسب تيشكا (أخدود  
تغني) والذي لا نعرف عنه إلا القليل.

- مجال وسط المغرب، حيث يوجد به التانكستين على  
شكل فولفرام، مرتبطاً بكتل أعبل ألماس وبلاد زعير  
وملوية العليا، أو في رواسب الاحلال الحراري في مناطق  
التماس، وذلك في الأحجار الجيرية التحولية بجنوب أعبل  
المانت.

ونشير إلى أنه لوحظ وجود الشيليت في سيدي  
بوعثمان بالجبيلات والرحامنة وذلك في مجاورة كتل  
الصخور المتداخلة.

يستعمل التانكستين في الفحم الثنائي، وخليطة  
المعادن الخاصة الشديدة الصلابة، وفي أسلاك المصابيح  
الكهربائية وذلك لارتفاع نقطة انصهاره 3390 سع.  
عبد الله بوصحابة

**تَانِكْمَرْت** وتانيمرت وتانجمرت تعني بالريفية الصيد  
بنوعيه البري والبحري. ولها أعراف يمكن اعتبارها عامة  
في جميع القبائل. فالصيد خصصت له أيام معلومة خلال  
الأسبوع ما عدا يوم الجمعة ويوم السوق. ويعتبر إجبارياً



لجميع الرجال المؤهين لذلك، إذ أنه كلما كان العدد كثيراً، كانت الحصيدلة أوفر. وكل الغنائم المحصل عليها تصبح ملكاً جماعياً. ففي فخذة إزمورن من قبيلة بقوية خصص يوماً السبت والاثنين موعداً للصيد من طرف الجماعة، وأما في فرقة بني حديفة من قبيلة بني ورياغل فكان موعداً للصيد يومي الخميس والسبت، وهكذا فكل جماعة من قبائل الريف بصفة عامة لها وقتها المخصص للصيد البري وأماكنها الخاصة بها. وبخصوص أوقات الصيد ليس هناك وقت محدد، فالجماعة هي المسؤولة عن تنظيم الوقت، إذ تقوم بتحديد تاريخه ومكانه وهي المسؤولة أيضاً عن تقسيم الغنائم حسب الأعراف المتبعة لتفادي أي خلاف بين الأفراد، وغالباً ما يكون التوزيع بين المشاركين في حالة وفرة الصيد أما في حالة القلة فيكتفي بتنظيم مأدبة عشاء جماعية تضم المشاركين.

أما الوسائل المستعملة في الصيد فهي بسيطة وهي من صنع محلي كالفتح الذي ينصب في أماكن مختلفة لاصطياد مختلف الحيوانات البرية، وتستعمل الكلاب والبنادق التي تخصص لصيد الخنازير (إرْقُنْ). وفي حالة وقوع نزاعات بين الصيادين فإن الملكف بالمراقبة هو الذي يفصل بينهم. وإذا تعذر الأمر عليه ترفع القضية إلى شيخ القبيلة للفصل في المشكلة، بعد الأخذ برأي الملكف بالمراقبة. والغرامة المخصصة لمخالفة قوانين الصيد كانت تقدر في عهد الحماية بخمس وعشرين بسيطة حسب بلاتكو (E. Blanco E.I.). وأهم الحيوانات التي يصطادها الصيادون هي الأرناب البرية (أَيْرَزْزُ) والحجل (تِسْكْرِينْ) والثعلب (أوهَارْ).

ويختصص الصيد البحري فإن قبائل ساحل الريف عرفت هذا النوع من النشاط منذ القدم، فالوزان عندما تحدث عن مدينة بادس التاريخية أشار بأن السكان كانوا: "يقتاتون على الخصوص بالسردين وغيره من السمك لأن الصيادين يصطادون منه كميات وافرة". وكان بعض السكان يساعدون البحارة في جر شباكهم، فأغلب الفقراء من القبائل المجاورة يحضرون كل صباح لمد يد المساعدة للصيادين مقابل كمية من السمك لهم وللحاضرين من الناس. وما زالت هذه الظاهرة موجودة في منطقة الريف الأوسط إلى اليوم خاصة في مرسى "يليش" التي تعرف حالياً بـ"قوس قزح" (Cala Iris) الواقعة بمجال قبيلة بني بوفراج.

وتعتبر قبيلة بقوية من أهم قبائل الريف في مجال الصيد سواء في القرن الماضي أو في القرن الحالي، حيث تعددت فيها المراكب الصغيرة (تَغْرَبْتُوتْ ج. تَغْرَبْ) والتي غالباً ما كانت في ملك بعض الأعيان أو مشتركة بين بعض الأشخاص. وجل هذه المراكب استغللت في تجارة التهريب خلال القرن الماضي. وإذا كان الصيد البحري قد لعب دوراً أساسياً في اقتصاد قبيلة بقوية، فإن أهميته الاقتصادية بالنسبة لقبيلة بني ورياغل تبقى ضئيلاً في القرن الماضي وبداية القرن الحالي، ويرجع السبب في ذلك

إلى أن القبيلة كان ساحلها معرضاً لطلقات المدفعية الإسبانية المتمركزة في حجرة النكور مما حال دون تشجيع السكان على ولوج البحر واستغلال ثرواته السمكية، لكن لا يعني هذا أن الوريباغليين لم يستغلوا صيد السمك بل كان لهم نشاط مهم منذ بداية القرن الحالي حسب ما أشار الكتاب الاسبان مثل بلاتكو الذي أورد قانوناً خاصاً بالبحر حيث حدد فيه مسؤولية الصيادين، بالإضافة إلى الوسائل المستعملة في الصيد. والملاحظ أن الوريباغليين أقل جرأة لولوج البحر بخلاف أهالي قبيلة بقوية الذين كانوا أكثر شجاعة وجرأة في ولوجه. وهناك مثل شعبي يشير إلى أن البقيوي عندما يولد يأخذ الأب سمكة ويضعها قرب أنفه ليشم رائحة البحر وبذلك يصبح مولوعاً بالبحر بينما الوريباغلي عندما يولد يقوم الأب بإطلاق رصاص بندقيته قرب أذنيه ليصبح مقاتلاً.

ح. الوزان، وصف افريقيا، تر. م. حجي وم. الاخضر، ط. 2، بيروت، الرباط، 1983؛ م. شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، 1: 696؛ رواية شفوية.

E. Blanco Izaga, *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939; A. Ghirelli, *Monografia de la Kabila de Bani It-Tefi*, Madrid, 1956.

عبد الرحمان الطيبي

### تانگيت أو تانقيت، اسم امرأة أمازيغية من غمارة

بشمال المغرب، أول من تحدث عنها على ما يبدو، هو أبو عبيد الله البكري في كتابه المسالك والممالك. اشتهرت تانگيت، حسب ما نعرف عنها من خلال مصادر منوثة، بالكهانة. ويبدو أنها لعبت دوراً أساسياً في الحركة التنوئية التي تزعمها ابن أخيها حمو بن منو المعروف باسم "حاميم" والتي ظهرت إلى الوجود في بداية العقد الثاني من القرن الرابع (10 م)، وهي حركة مشابهة للحركة البورغواطية من جوانب متعددة.

كانت قبيلة مَجَكْسَة أو مَجَكْسَة (إيمَا جَكَا سَن) الغمارية، التي كانت تقطن بنواحي تيطاون هي أولى القبائل التي آمنت بمذهب حاميم وعمته تانگيت. وقد ورد اسمها عند البكري بهذا الشكل "تانقيت" بالقاف بدل الكاف (المعقودة) على عادته في مثل هذه الحالة. ورغم أن جل المصادر الأخرى التي كتبت فيما بعد نقلت عن البكري، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أخبار تانگيت، فإنها كتبت اسمها بأشكال مخالفة لما ورد في الأصل. وهكذا كتبها مؤلف كتاب الاستبصار "تاليت"، وكتبها مؤلف الاستقصا - نقلاً عن ابن خلدون - "تالية". ويبدو أن ابن خلدون نقل ما يتعلق بهذا الموضوع عن ابن أبي زرع أي من القرطاس. والذي كتبها "تاليت" كصاحب الاستبصار. والجدير بالذكر أن أحد أصحاب ابن تومرت العشرة كان اسمه هو يحيى بن تانگيت حسب ما ورد في كتاب الحلل المرشية.

أما عن معنى كلمة "تانگيت" فإن الحسم فيه يبدو الآن صعباً. ولكن هذا لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات التي قد تكون صالحة في تقريب المعنى المطلوب.

لقد وردت كلمة "تانقيت" عند ابن البيطار في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. وقال عنها : "اسم بربري بافريقية وما والاها لنوع من النبات شوكي لا يسمو عن الأرض وعليه شبهة ظاهرة في أوراقه، وهي مشرفة وله أصول غائرة في الأرض..." (قارن مع لاووست في كتابه كلمات وأشياء أمازيغية، ص. 491).

ووردت كلمة "تامگيت" (إبدال الميم نونا والعكس، واقع مألوف في الأمازيغية) عند شارل دو فوكو في معجمه بمعنى التي تشتهر بأعمالها المتميزة خيراً أو شراً. وأخيراً نشير إلى أنه لا يستبعد أن تكون كلمة "تانيت" التي هي اسم واحدة من الآلهة القديمة المعروفة في شمال افريقيا، هي نفس الكلمة "تانگيت"، إذا علمنا أن حرف الكاف (بثلاث نقط فوق) تنطق بـاء كذلك في مجموع اللهجات الأمازيغية.

أ. البكري، المغرب، ص. 100، 107، 1965 : ابن ابيطار، الجامع، ص. 134، 1291 هـ : ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 99، 1973 : مجهول، الاستبصار، ص. 191، 1985 : مجهول، الحلل الموشية، ص. 108، 1979 : الناصري، الاستقصا، ج 1، ص. 192، 1954 : التقى العلوي، مجلة البحث العلمي، عدد 27 ص. 222 : وعدد 31، ص. 29، 35 : شارل دو فوكو، معجم (بالفرنسية)، ج 1، ص. 379، 1951.

G. Marçais, *La Berbérie...*, p. 128, 1946.

علي صدقي أزيكوي

### تَانِكَيْسْتْ، قرية تقع بأراضي قبيلة

إيدأوكارسموكت، إلى الشرق من جبل وارزمن على وادي والفاس (ماسة). تتفق الروايات على أهمية القرية قديماً. وكانت مشهورة بغناها الزراعي بفضل ساقيتها الكبيرة واعتناء سكانها بعملية تصريف المياه. وتعتبر أيضاً من المراكز العلمية المعروفة بقبيلة رسموكة الجبل، وتعرف بعلمائها الزعنونيين، ومرابطيها من أهل تيلغات. أما عن أسباب خرابها، فقد لاحظ المؤرخ الحسين الوجيه أنها توالى عليها صراعات محلية. ويوجد جزء كبير من ترابها الحالي مغوراً تحت مياه سد يوسف بن تاشفين.

تاريخ الوجيه الحسين بن الحسن (مخطوط).

أحمد بومزكو

### تَانُوتْ، (أرض - ) بمكناس. يرجع أصل تسمية هذه

الأرض إلى الأمازيغية، ويعني اسم أنو، البئر في العربية، وجمعه أُنُوتَا، ويقال في الزناتية أنونين، وتصغيره تانوت، وعليه فأرض تانوت المحاذية لأرض لعويجة قرب حي الزيتون بمكناس - قريبا من الحي الجامعي الواقع أمام باب كبيش - تنسب إلى بئر صغير كان موجودا بها. وقد استولى أربعة معمرين فرنسيين على أرض تانوت التي قدرت مساحتها بمائة وخمسين هكتارا، وهؤلاء المعمرين هم فيكتور فرانس Victor France وبيير بيرري Pierre Perret ودوسطاديو Destadieu ولويس لرتيگ Louis Lartigue.

طالب المعمرين الأربعة السلطات الفرنسية بمكناس بمنهم 75 ل/ث من مياه بوفكران لسقي أراضيهم بتانوت، واستجابت الدوائر التقنية المسؤولة بمكناس لرغباتهم، وعملت على مد ساقية من حوض تجمع مياه بوفكران جنوبا سيدي بوزكري - قرب المعمل الكهربائي - إلى هذه الأراضي وصولا إلى قصبه غدارة. بعد ذلك قدموا طلبا جماعيا لنفس الدوائر يلتمس منها إضافة 1 ل/ث لسقي كل هكتار في ملكيتهم، ليصل مجموع ما طالبوا به 225 ل/ث من أصل 450 ل/ث الصبيب الكلي لوادي بوفكران أي النصف.

عقدت اللجنة التقنية المكلفة بتوزيع مياه بوفكران عدة اجتماعات للنظر في هذه النازلة - وفي توزيع مياه بوفكران بين المنتفعين بها - وكان آخرها يوم 28 أبريل سنة 1936 حيث رخص لثلاثة معمرين من تانوت بأخذ 20 ل/ث لسقي الأراضي التي استحوذوا عليها، وهي أصلا ملك للمخزن أو للأهالي، وهكذا أخذ Victor France 10.3 ل/ث من مياه بوفكران لري ملكيته التي سماها : أدولفين Adolphine والمسجلة بالمحافظة العقارية تحت رقم 42 ومساحتها 75 هكتارا، في حين منح لـ Louis Lartigue 5.5 ل/ث لسقي ملكيته المسماة Ferme Atou ورقمها العقاري 722K وتبلغ مساحتها 10 هكتارات، ويملك نفس المعمر أرضا ثانية بتانوت وتسمى Ferme des deux couteaux ورقمها العقاري 256K ومساحتها 20 هكتارا.

كما كان المعمر Pierre Perret يملك الضيعة المسماة Ferme Odette المسجلة تحت رقم 1052K ومساحتها 30 هكتارا، وقد وهبته اللجنة المكلفة بتوزيع مياه وادي بوفكران 4.2 ل/ث.

هكذا كان نصيب 145 هـ من مياه بوفكران 20 ل/ث لمصالح ثلاثة معمرين فقط، في حين أسفر البحث الذي أجراه التقنيون الفرنسيون بالأشغال العمومية عن منح سكان مكناس الذين تجاوز عددهم سنة 1936 اثنين وستين ألف نسمة، 150 ل/ث، مما يوضح الحيف الذي لحقهم، فكان رد فعلهم ما حصل في فاتح وثاني شتنبر سنة 1937 فيما أصبح يعرف بأحداث بوفكران، التي انفجرت بسبب تحويل جزء من ماء بوفكران إلى ضيعات المعمرين في أرض تانوت.

بو. بوعسرية، أحداث بوفكران بمكناس، فاتح، ثاني شتنبر 1937، الرباط 1990 : م. شفيق، في أن أسماء الأماكن في المغرب جلد 1 أمازيغية، البحث العلمي، السنة 24، العدد 27، يناير يوليو 1977.

بوشتي بوعسرية

### تَانُوتْ - الأطلس الكبير - ← إيمي نْ تَانُوتْ

تَانُوتْ الرَمَان، قرية تقع بفرقة بني فكلان من قبيلة بني سيدال (إقليم الناظور). وقد لعبت دوراً مهماً خلال الأيام الأولى من اندلاع الثورة الريفية بقيادة الأمير محمد

امحمد وتانيجوت وواد إيفلي والغرفة والسفالات (سجلماسة، 106).

تضم المنطقة التي تعرف اليوم بتانيجوت قصورا عديدة أهمها القصر الفوگاني - الذي يقع في العالية بالنسبة للمجال - وقصر مزكيدة وأولاد يوسف، ولا يوجد بها قصر مأهولاً كان أم مهجوراً يحمل اسم تانيجوت. وقد ذهب كل من Jacques Meunié و D. Jacques Meunié إلى القول بأن القصر الفوگاني هو قصر تانيجوت الذي تحدث عنه الوزان في القرن العاشر الهجري (16 م) (Abbar, 50). وقد مكنتنا زيارتنا للمنطقة مرات عديدة أثناء اشتغالنا بالبحث في تاريخ سجلماسة من الوقوف على القصر الفوگاني، وأثار إنتباهنا كثرة الأبراج به حيث يبلغ عددها أربعة عشر برجاً، وهو ما يؤكد أهمية هذا القصر بالمقارنة مع غيره من القصور الكبيرة بتافيلالت. وبهنا هنا أن لفظ تانيجوت لم يعد يدل اليوم على قصر من القصور وإنما يدل على منطقة شاسعة نسبياً يحدها مركز الريصاني وضريح مولاي علي الشريف من جهة الجنوب، والحد الشمالي لواجهة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة من جهة الشمال ووادي زيز من جهة الغرب والساقية المعروفة باسم الغربية من جهة الشرق (خريطة أرفود). وقد اختفى هذا القصر ليترك أثره في تسمية المنطقة التي وجد بها، كما هو الحال بالنسبة لسجلماسة نفسها التي كانت اسماً للمدينة وإقليمها.

يرجع تاريخ تأسيس قصر تانيجوت إلى تاريخ خراب مدينة سجلماسة حسب رواية الحسن الوزان الذي قال بأن المرينيين عهدوا بحكم هاته المدينة الأخيرة إلى أبنائهم وأقرب الناس إليهم، إلى أن مات أبو العباس أحمد فثار سكان الإقليم وقتلوا الوالي المريني على سجلماسة وهدموا سورها فبقيت خالية وافترق سكانها وسكنوا قصورا ضخمة محصنة (وصف إفريقيا، 2 : 121). وعليه فإن خراب مدينة سجلماسة قد تم مع ثورة أهاليها بعد موت أبي العباس أحمد المريني، أي في عهد خلفه أبي فارس عبد العزيز 796 هـ - 811 هـ / 1394 م - 1408 م بدليل أن آخر القطع النقدية التي تتوفر عليها والتي ضربت بمدينة سجلماسة تعود لفترة حكم هذا السلطان المريني (سجلماسة، 418) وما بعدها.

لقد انتقل سكان هذه المدينة بعد اندراسها إلى سكنى قصور كبيرة محصنة ذكر الوزان منها تانيجوت - وهو أقربها إلى موقع المدينة - وتبعصامت والمامون (وصف إفريقيا، 2 : 125). وقد أصبحت لهذه القصور أهمية كبيرة بعد اختفاء مدينة سجلماسة وصارت تمارس نشاطات تجارية وحرفية لم تكن من اختصاصها في السابق، خصوصا وأن القوافل التجارية الصادرة والواردة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي لم تنس مجالات سجلماسة حتى بعد خراب حاضرة هذا الإقليم (وصف إفريقيا، 2 : 125-126).

كان لكل من تانيجوت وتبعصامت والمامون في القرن العاشر الهجري (16 م) أمير يدير شؤون القصر ويعمل على

بن عبد الكريم الخطابي في شهر يوليوز 1921. ففي يوم 30 من الشهر المذكور وصل مجاهدو قبيلة بني ورياغل إلى ناحية مليلية من أجل اقتحام المدينة السليبية فتمكنوا من استرجاع مدينة الناظور يوم 2 غشت وقصبة سلوان في اليوم التالي، وهو اليوم الذي وصل فيه الخطابي إلى جبل ماورو بقبيلة بني سعيد الريفية، تم توجع في اليوم التالي إلى قرية تانوت الرمان ولم يبق الخطابي بالقرية المذكورة سوى عشرة أيام حيث ألم به مرض أرغمه على الرجوع إلى مسقط رأسه بأجدير يوم 15 غشت.

وكان الغرض من وجود الخطابي بتانوت الرمان الخيلولة دون اقتحام المجاهدين لمدينة مليلية خشية أن يقوم المجاهدون بأعمال عنف وتجاوزات في حالة دخولهم للمدينة المذكورة التي لم يكن يوجد بها سوى المدني؛ ويعترف الخطابي في مذكراته بأنه ارتكب بذلك خطأ كبيرا حيث ترك للجنرال بيرينجير (Berenger) فرصة إعادة تنظيم قواته التي مكنته من استرجاع مدينة الناظور يوم 19 شتنبر ومركز تينغمرت (تاوما) يوم 23 من نفس الشهر.

ولم يعد الخطابي إلى ناحية مليلية إلا يوم 29 شتنبر، أي بعد غياب طال أربعة وأربعين يوما؛ وقد حاول الخطابي استرجاع سوق سبت بني شيكر يوم 2 أكتوبر دون جدوى، فكان رد فعل بيرينجير أنه تمكن من استرجاع مركز أزغنغان يوم 8 ومن احتلال جبل غوروكو يوم 10 وقصبة سلوان يوم 14.

وظل الخطابي بتانوت الرمان إلى يوم 10 أبريل 1922 دون أن يتمكن من الوقوف في وجه الزحف العسكري الإسباني.

م. ابن عزوز حكيم، معارك الثورة الريفية، الرباط، 1983.

Berenger, Rif y Yebala.

محمد ابن عزوز حكيم

**تانيجوت أو تينجوت**، قصر قديم كان يجاور موقع مدينة سجلماسة بتافيلالت.. والقصر كلمة يقابلها لفظ الدوّار أو الدُشْرُ بباقي مناطق المغرب الأقصى، وتستعمل للدلالة على السكن القروي في واحات زيز وغريس ودادس ودرعة وتسمى بالبربرية إغْرَمَ جمعه إغْرَمَان. كما تستعمل بعض الكلمات الأخرى كمرادفات لها كالكُصْبَة والكُصْبِيَّة أي القصبة وصيغة تصغيرها أو الكُصِيرَة وهي القصر بصيغة التأنيث (سجلماسة، 101).

وتانيجوت أحد القصور التي كانت تجاور موقع مدينة سجلماسة. ولا نعرف الأصل في هذه التسمية ولا معناها فقد أثبت مترجم كتاب الوزان هذا اللفظ على الشكل التالي : تَنْجِيوت (وصف إفريقيا، 2 : 25) وينطقه المحليون بتافيلالت إلى اليوم تانيجوت، ويشمل بالنسبة لهم كل المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي لواجهة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة أي الواحات المحيطة بالريصاني. ثم إن تانيجوت اليوم هي إحدى المقاطعات الست التابعة من الناحية الإدارية للمركز المذكور أعلاه وهي : السيفة ويني

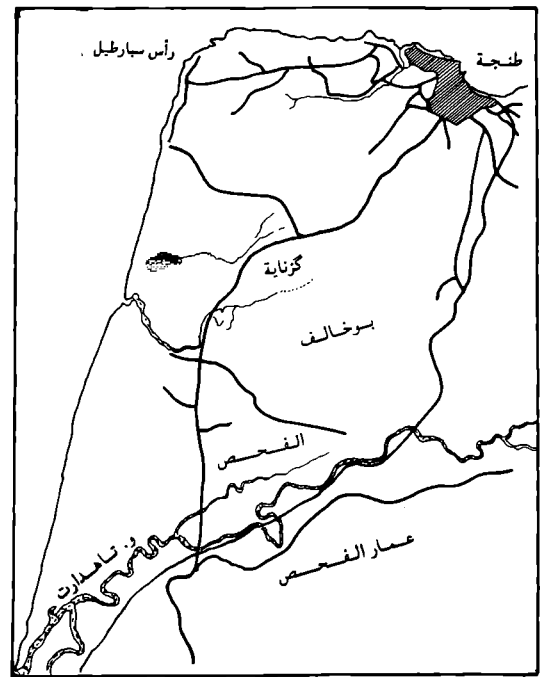
حمايته من غارات الأعراب. واستقر بهذه القصور الحرفيون والتجار المسلمون واليهود كما كان بكل منها دار سكة تضرب بها مثاقيل خفيفة من الذهب الرديء ونقود من الفضة، كان مثقال الذهب يساوي ثمانين قطعة منها. وقد ذكر الوزان أن بهذه القصور بعض الأغنياء الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان لجلب الذهب والعييد (وصف إفريقيا، 2 : 126) وأن عدد سكان تانيجوت نحو ألف كانون (وصف إفريقيا، 2 : 125).

ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، الرباط، 1982 : الخريطة الطبوغرافية لأرفود 1 / 100.000 : ح. حافظي، سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14 م، مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط، د. د. ع. فاس، 1989.

D. Jacques Meunié, et Jacques Meunié, *Abbar et le Tafilalet d'après les textes, Hesp.*, 1er - 2ème Trim., 1959.

حسن حافظي علوي

**تَاهَدَارْتْ**، نهر جنوب طنجة، تنحدر مياهه أصلاً من جبل وادراس، يخترق أراضي فرقة البقارة الوادراسية. وهو يتكون من نهرين : نهر المهر الذي يعرف في منبعه بفندق العين الجديدة (قبيلة وادراس) بالوادي الكبير، ونهر يعرف عند منبعه بجبل الريح (بني يدر) بوادي الخروب، ثم يتخذ اسم وادي الحشف عند لقائه بوادي المهر ليمر بفحص عمرو، من بني مصور، حيث يشكل مجراه منعطفات نهرية غير ثابتة المجرى، ثم تتجه مياهه نحو الجنوب الغربي إلى أن يصب في المحيط بالمرسی التي تحمل اسمه ماراً بقرية المرس بين بریش الشمالية واختها الجنوبية. وطوله خمسة وستون كيلومتراً.



تاهدارت

أول من ذكر تاهدارت أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) بمناسبة الإشارة إلى النهر وإلى القرى

المستقرة بحوضه الأدنى واصفا الطريق الرابط بين أصيلا وطنجة. وحينما ذكر البكري أهل تاهدارت لاشك أنه كان يعني قبل كل شيء التجمع السكاني الذي تمثله اليوم قرية حجرة النحل الواقعة على الضفة اليسرى، عند أول انحراف النهر نحو الجنوب الغربي، مما يقابل قرية هوارة الساحل. وقد أشار مصدر برتغالي إلى وجود خمس قرى، لذا يمكن أن يضاف إلى حجرة النحل، قرية المرس الواقعة على الضفة اليسرى وقرية بریش الشمالية الكائنة بالضفة اليمنى وأخيراً بریش الجنوبية المشرفة على المصب من الجهة الجنوبية.

وفي بداية النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) ازداد عدد سكان القرى بسبب ما تلقاه حوض تاهدارت من هجرة، أصلها من أهل قرى واد أليان الداخلة في أنجزة، وأهل طنجة البالية وفحصها، نتيجة الضغط البرتغالي انطلاقاً من القصر الصغير المحتل سنة 863 / 1458. ويعود تاريخ تلك الهجرة إلى سنة 868 / 1463. وإلى تلك القرى وصل العاهل البرتغالي الفونص الخامس في نفس السنة، بقصد استطلاع أحوال تاهدارت ومدينة أصيلا التي كان بها محمد الشيخ الوطاسي، متحصناً من ملاحقة السلطان عبد الحق المريني.

ومن المرجح أن يكون قد طرأ على عدد سكان قرى تاهدارت نقصان إثر احتلال البرتغال لأصيلا وطنجة سنة 876 / 1471، إذ أن الطريق العسكري البري الرابط بين المدينتين المحتلتين كان خطه ماراً بتلك القرى. وأول مكان يلجأ إليه السكان هو جبل الهوتة المشرف على الممر، وهذا مما أتاح لهم مراقبة تحرك جنود المدينتين. وحدث كذلك أن اتخذت سفن تطوان والعرائش مصب واد تاهدارت مخبأ لها لاعتراض السفن البرتغالية المتوجهة إلى أصيلا أو العائدة منها إلى طنجة. ولم يعد الهدوء والاستقرار إلى قرى تاهدارت إلا بعد انسحاب البرتغاليين من أصيلا سنة 957 / 1550، دون أن تكون آمنة من عدوان طنجة.

البكري، المغرب، ص 113 : ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الأيبيري بالثغور الشمالية المحتلة، 2 : 366.

حسن الفكيكي

\* \* \* وهناك مرسى تاهدارت تقع بشاطئ قبيلتي الفحص والغربية حيث يصب نهر تاهدارت مياهه بالمحيط الأطلسي وينتج عن ذلك تكوين شبه بحيرة لفتت أنظار الأقدمين حيث نجد رحلة سيلاس Periplo de Scylax تسميها ببحيرة سيفسياس Céphésias ؛ ويقول مويط Mouette (ص. 306) إن تجار مرسيلية أسسوا سنة 1683م وكالة تجارية بهذه المرسى التي سماها تاگدارت Taguedarte.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos sobre Marruecos*, Madrid, 1913 ; (*Periplo de Scylax*, p. 112) ; G. Mouette, *Histoire des conquêtes de Mouley Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Mouley Ismael ou Semein son frère...*, Paris, 1682, p. 306.

محمد ابن عزوز حكيم

التاهرتي، محمد بن عبد القادر (السوسي)، شخصية

مجهولة لم يذكرها - فيما نعرف - سوى عبد الرحمن التامنارتي. ولم يشر إلى أصله بغير نسبته إلى تاهرت ولا إلى متى قدم من بلاد الواسطة إن كان طارئاً على المنطقة. وإنما تحدث عنه كثائر قائم في مدينة تيزنيت يدعي المهديوية وينشر ناموسه في المناطق الساحلية الجنوبية. وقد حزرنا أن تكون ثورته امتدت من عام 1035 إلى عام 1626 / 1039. 1626 - موت يحيى الحاحي أمير تارودانت إلى استيلاء أبي حسون السملالي أمير إيليج على شمال سوس.

ومن أجوبة التاهرتي عن المراسلات التي كان يتلقاها من القاضي التامنارتي - على افتراض أنه منشئها - يبدو أنه شاد في اللغة العربية والترسل والجدل، لا يقل درجة عن قرينه في دعوى المهديوية الفقيه الأديب أحمد بن أبي محلي. كانت مراسلات التامنارتي للتاهرتي نثرية وشعرية، ترغيبية وترهيبية، لكن المترجم - كما يبدو من أجوبته - كان مصمماً على السير قُدماً في خطته الباطلة، يرى لنفسه الخصوصية وأحقية الحكم لإصلاح الفساد المنشور. يقول في أحد ردوده: "أنا حجاب النور، وسقف البيت المعمور. أنا هدية الرحمان، ومغضب الشيطان، وهازم السلطان" وهي طويلة أثبت نصها كاملاً التامنارتي في *الديوان*. وبعدها قصيدة رائية طويلة كذلك تنتقد القاضي التامنارتي ومن معه لتواطؤهم على إسناد الإمارة إلى من لا تتوفر فيهم شروطها، يعني الملك السعدي القابع في مراکش والأميرين الصوفيين في إيليج وتارودانت.

وأخر مراسلة بعث بها التامنارتي إلى التاهرتي يغلظ له القول وتنتهي بقصيدة رائية من بحر البسيط من تسعة وعشرين بيتاً جاء في آخرها :

نسجت بالهجر يا ضلّ الانام فخذ جواب هُجرك منا والتقم حَجراً  
ثم يُسدل الستار فلا نعرف شيئاً عن نهاية هذا المهدي  
الدجال.

ع. التامنارتي، ديوان، مخطوط، 17. 11 : م. حجي، الحركة  
الفكرية، 1 : 231، 235.

محمد حجي

**تاوِيَالْت**، قبيلة بمنطقة الدورة وطرفاية. يفسح فقهاء القبيلة المجال أمام محمد صالح بن واندلوس السوسي الصوفي الأسود اللون ليجعلوا منه الجدد الأعلى (م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). أفرد كتاب التشوف لهذا الصوفي ترجمة مطولة تثبت أن صاحب الكتاب قد عرفه حياً وأنه كان "من أعاجيب الزمان وأخباره كثيرة" (التشوف، 347، 349). إذا حاولنا أن نأخذ صورة مضبوطة عن هذا الصوفي من خلال ترجمته وجدنا المعطيات لا تفسح المجال إلا لبعض الاحتمالات. فقد توفي سنة 1194 / 591 بعد حياة مليئة بالكشوفات الباطنية. انتقل من موطنه بتارودانت إلى مراکش وأغمات أوريكة حيث استقر ليعود أخيراً إلى تارودانت حيث توفي. وواضح من مسانده

لجيوش المسلمين في معركة الأرك أنه كان يتبنى المواقف السائدة في وسط المتصوفة الأفراد المتجولين. كان أهله يتوفرون على خوابي المسكر مما يؤكد انتماءهم الفعلي المتقادم للوسط الروداني المتميز. فعلا فقد ورث عن أبيه من الأملاك ما يؤكد انتماء أهله للفئات الميسورة. كانت داره بمراكش حيث تعرف عليه صاحب كتاب *التشوف* مأوى الفقراء باستمرار. وما يدل على أنه لم يكن يفتقر إلى المال أنه كان يخرج بصدقات أو يرمي إليهم الدراهم من بين الأبواب.

على أن كتاب *التشوف* لا يذكر ما إذا كان هذا الجدد قد خلف فعلاً أولاداً. وإذا أضفنا إلى ذلك شهرة قبره حيث أصبح يعرف بسيدي أوسيدي، وجدنا أن انتماء تاوِيَالْت إليه قد يدخل في نطاق التركيب الاجتماعي للملتفين حول زاويته. إن نزوع الأتباع إلى الالتحام والتوحد تحت لواء الانتماء إلى الشيخ المؤسس يُخضع تاريخهم إلى كثير من البلورة. نجد أيضاً أن فقهاء تاوِيَالْت بالطرفاية يربطون نسبهم بالنسب الشريف مما ينقلنا إلى أوصاف لا تستجيب لمتطلبات الملاحظة المضبوطة. فقبيلة تاوِيَالْت قائمة الذات تماما كسلطة دينية متميزة بحملها الكتاب وابتعادها عن الصراعات الميدانية. فلا هي يخاضعة لسلطة المحاربين ولا هي مقطوعة الأواصر عنهم. يقوم إزرغيين مقام الساهرين على أحوال تاوِيَالْت حيث يقتصر هؤلاء على الاحتكام إلى حلفها مع لف أيت الجمل القريب. وإذا كان إزرغيين يعترفون بالمكانة الدينية لتاوِيَالْت كقبيلة لا تحمل إلا الكتاب، فإن فقهاء هذه القبيلة لا يتجاوزن ذلك إلى التعامل مع غير حلفائهم. وفي هذا الإطار جسد علي الليلي سلطة علمية بالصحراء استمرت شهرته وانتقلت بعد وفاته سنة 1300 / 1882 إلى أبنائه وأحفاده. اعتاد تاوِيَالْت مصاهرة حملة الكتاب الصحراويين وخاصة منهم أولاد أبييري. إلا أن تتبع مراحل تنقل علمائهم وفقهائهم خلال العقود الأخيرة يكشف عن اندماجهم بالمدارس العتيقة والكبرى داخل مدن المغرب كالصويرة وفاس وتارودانت وتيزنيت. (السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). وتعد الآن هذه القبيلة ضمن لوائح القبائل الصحراوية المشهود لها بالارتباط العضوي بالمحور الساحلي الرابط ما بين طرفاية والصويرة.

ي. التادلي ابن الزيات، *التشوف* : م. المختار السوسي، *خلال*

*جزولة*، ج 4.

P.Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 1914 ; F.C. De La Chapelle, *Les Tekna du sud ouest marocain* ; V. Monteil, *Les Tekna* ; A. Le Chatelier, *Les Tribus du sud ouest marocain*, 1891.  
مصطفى ناغمي

**تاوِجِدَات** أو تاوِجِطَات (عين ـ)، أهم مركز حضري في بادية سهل سايس، يقع بين مدن فاس (20 كلم) ومكناس (41 كلم) والحاجب (33 كلم)، وربما يرجع أصل التسمية إلى العين التي وجدت هناك، وهي تقع عند مدخل المركز على الطريق المتجهة إلى الحاجب.

ليس هناك ما يدل على أن موقع تاوجدات لعب دوراً تاريخياً ذا بال. فالآثار التاريخية الشاهدة منعدمة، والأرجح أن استقرار السكان بها يرجع إلى عهد الحماية الفرنسية، وهم في الأغلب ممن اجتذبهم الاستغلال الاستعماري في المجال الفلاحي، إذ اشتهرت المنطقة بانتاج الحبوب وزراعة الكروم. وزاد من أهمية تاوجدات سهولة اتصالها بالمدن والمناطق المجاورة عبر شبكة من الطرق الثانوية وخاصة مرور خط سكة الحديد بها.

ينعقد في تاوجدات سوق أسبوعي - من أهم أسواق سهل سايس - تستفيد منه الفرق التابعة لقبيلة بني مطير الشمالية. ويحتوي المركز حالياً على مجموعة من البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية، منها ما يعود إلى أيام استقرار الفرنسيين بها كمخزن الحبوب الضخم ومعصرة العنب والملاعب الرياضية والمسبح ومركز صحي، ومنها ما ظهر أو تطور في ظل الاستقلال كمعمل زيت الزيتون والفلفل الأحمر وغير ذلك.

لم تتوقف تاوجدات عن التوسع العمراني كنتيجة من نتائج التزايد المستمر في عدد السكان، ورافق ذلك توسع في مجال الخدمات حيث يوجد بها أربعة أطباء يشتغلون في القطاع الخاص وثلاث صيدليات وثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية وثانويتان إحداهما فلاحية.

استطلاعات ميدانية.

محمد أمين

**ابن تاودة، عبد الرحمن** العمراني هكذا أورد اسمه مؤلف الاستقصا، ووصفه بـ "القائد المجاهد الشاعر الفاضل". أما مؤلف تاريخ الدولة السعدية ومؤلف نزهة الحادي فقد نعتاه بـ "القائد علي بن ودة" وغير خاف أن الخلاف لفظي، ذلك أن أيا من هؤلاء المؤرخين لا ينكر أن المترجم كان على وشك استرجاع البريجة (الجديدة) من أيدي البرتغاليين، فقد كان قائدا مغوارا، حاجبا للسلطان السعدي عبد الله الغالب بالله (965. 981 / 1557. 1574) ووزيرا له ولولده ولي العهد محمد الذي حمل اللقب الملكي (المتوكل على الله) ثم اللقب الشعبي بعد خيانتة وموته (المسلوخ). إن هؤلاء المؤرخين أو غيرهم لا يلقون بملي حياة ابن تاودة وتصرفاته كثيرا أو مزيدا من الأضواء، لذا ظلت معلوماتنا عنه ناقصة إلى حد كبير.

برز اسم هذا القائد في معركة تحرير البريجة التي كان البرتغاليون احتلوا في عهد السلطان الوطاسي محمد الملقب بالبرتغالي (910. 931 / 1505. 1525) وزادوا في بنائها، وأحكموا تحصيناتها منذ سنة 914 / 1509. وقع احتلالها لها في عهد ملكهم إيمانويل (1495. 1521) الملقب بالمحفوظ.

بدأت حملة (الجديدة) التي تحولت إلى حصار دام أكثر من شهرين يوم 27 جمادى الآخرة 969 / 1562. 3. 4، وأسند السلطان القيادة الفعلية للقائد ابن تاودة، أما ابنه وولي عهده، الذي رافق الحملة، فكان عمره لا يتعدى العشرين

سنة، وكان حضوره يكتسى صبغة رمزية ليس إلا. استعمر أوار الحرب بين الفريقين : القوات المغربية من جهة، والقوات البرتغالية من جهة ثانية، وقد استعمل الأولون "الحراقيات" على اختلاف أنواعها، كما حصد رصاص رماتهم المهرة نفوس الذين كانوا يطلون من على السور، فيهبون إلى الأرض صرعى، أما الآخرون فكانوا يستخدمون "المينات" فكانت تقذف بالخلق إلى عنان السماء، أو تهوي بهم في باطن التري.

وأحس البرتغاليون بحرج موقفهم وتتفاقم الأزمة وقرب الهزيمة، واستيقنوا ان القائد المغربي ابن تاودة يكاد يستولي على المدينة، ذلك لأن جنوده يحتلون أبراج الجديدة بالفعل، ولم يبق في أيدي عدوهم إلا قليل صمم القائد علي أخذه في الغد.

وتختلف الروايات في نهاية هذا الحصار الذي ترأسه ابن تاودة، فالمؤلف المجهول لتاريخ الدولة السعدية يتهم عبد الله الغالب بأنه "باع" الحصن للبرتغاليين وأمر برفع الحصار عنه. بينما تقول روايات أخرى إن المجاهدين لم يتمكنوا من اقتحام الحصن لمناعته فاغتم السلطان الغالب لذلك غما شديدا، فأنشده أحد المجاهدين المتطوعين في الحصار، وهو الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي (ت. 971 / 1564) بيت امرىء القيس ليسري عنه :

وماجبت خيلي ولكن تذكرت مرابضها من برعيص وميسرا  
مجهول، تاريخ الدولة السعدية التاغماتية : ع. التامنارتي،  
الفوائد الجمة، 71. 73. م. الإفرائي، نزهة الحادي : أ. الناصري،  
الاستقصا.

عبد الله العمراني

**تاودني** والمغرب، هل يمكن القول بأن هذه الملاحظة قد شكلت تهديداً مباشراً لملاحات تغازي حتى قبل أن يرد ذكرها بمصادر القرن العاشر (16م) ؟. مرد هذا التساؤل إلى موقع تاودني الذي لا يفصله عن جنوب شرق تغازي إلا حوالي 150 كلم. فالمتتبع لحركة تغازي يلاحظ بأن الطريق التي تربطها بتبكتو عبر أروان تمر بموقع تاودني. كما أن كلمة سبخة التي تطلق على الملاحات توجد عادة على شكل بحيرات من الترسبات الملحية قد يتجاوز طول الواحدة 30 كلم وعرضها 12 كلم كما هو الشأن بالنسبة لتغازي وتاودني وإيجيل. من هنا فإن ملاحه تاودني الهامة لا بد أن تكون قد اكتست بالنسبة للمغرب منذ ما قبل القرن العاشر (16 م) صبغة استراتيجية غالبية. فهي أقرب إلى تنبكتو من تغازي علاوة عن كون لوحات هذه الأخيرة الملحية لم تعد خلال المرحلة الأخيرة من استغلالها بنفس السمك الذي وجدت عليه تاودني. ولا حاجة لنا هنا إلى التأكيد على ما نشأ من المبادلات بين تغازي وأروان وتبكتو. كما أن طريق الحجاج المنطلقة جنوبا من ولاته كانت تمر من تغازي في اتجاهها نحو توات وورگلثة ثم غدامس فليبيا ومصر (ابن بطوطة، تحفة، IV : 427 ؛ تاريخ

الفتاش، 34 / 37 / 59 / 64 : تاريخ السودان، 7 : 13 ؛ ابن خلدون، العبر، VI : 415 ؛ 112 : *Histoire des Berbères*).

تعد تيندوف التي أعاد بناءها العالم الجيكاني الكبير بلعمش استاذ الشيخ ماء العينين سنة 1857 منطلق الطريق الرابطة بين الضفة الشمالية للصحراء الأطلسية ومدينة تينكتو عبر تغازي ثم تاودني فأروان. تتجمع المسالك القادمة من الصويرة عبر وادي نون ومن مراكش عبر تامدولت وأقا ومن فاس عبر سجلماسة. ينطلق محور تندوف - تينكتو عبر تاودني موازيا لمحور تابلبالا - توات - تغازي فتاودني. إلا أن المحورين يقطعان منطقتي الحنك وإيگيدي. هذه الكلمة الأخيرة تفيد ما معناه منطقة الكتبان الرملية التي يصعب اقتحامها. ومع ذلك فإن دائرة هيمنة قبيلة مسوفة التاريخية كانت تشمل تغازي وجارتها تاودني إلى أن تتجاوز تيندوف شمالا خلال القرن الثاني (8 م). وإذا كان البرابيش قد تمكنوا قرنا بعد ذلك من الاستيلاء على تغازي (تاريخ السودان، 25 : 42 : H. T. Norris, Yeminis, 1962, 319 - 320)، فإن ابن حوقل لم يلبث أن وجدهم بنفس المواقع متميزين بقدرة خاصة على الممارسات التجارية. لن تتمكن الحركة المرابطية من إدماجهم بشكل حاسم حيث ظلوا بصحرائهم إلى أن أصبحوا أسياء محاور التجارة ومراقبي سلعتها وضرائبها (ابن بطوطة، تحفة، 338 : IV : *Histoire des Berbères*, II, 67). لذا نعتبر دور مسوفة في مراقبة هذا المجال قد ساعد نسبيا على تسليط الأضواء على أهمية تاودني قبل بداية استغلالها الفعلي من جهة وعلى دور قبيلة تيجكانت المسوفية من جهة ثانية.

إن المتتبع لنهج الإخوان المقرري خلال القرن السابع (13 م) يلاحظ بأنهم استقروا بسجلماسة وتلمسان وولاته. وهو ما يعني أن دور تلمسان وسجلماسة شمالا قد جعل منهما عاصمتين رئيسيتين لمراقبة محور تغازي. فمنذ انحطاط الموحديين ظهرت بتلمسان دولة بني عبد الواد حيث قام يغمراسن بمحاولة الاستيلاء على سجلماسة لمدة دامت أزيد من خمس عشرة سنة كما أوضح ذلك ابن خلدون. إلا أن منافسة الدولة الحفصية تسببت في ازدهار المحور الرابط بين تلمسان والنيجر عبر توات. هذا العامل أهل مملكة مالي لتمتين مراقبتها التجارية والظهور بمظهر الوسيط التجاري الفعلي بين ضفتي الصحراء. إذن هذه هي العوامل التي زعزعت الحركة التجارية بالمحاور الساحلية الرابطة بين الصحراء ووادي درعة. وقد زاد من حدة الأزمة أن أعادت مصر فتح محورها التجاري الذي يربطها بأدغال أفريقيا حوالي سنة 1320 م. فلم يبق إلا دور انعدام الأمن بسبب انتشار الأعراب لتعرف منطقة درعة وسوس وباقي المحاور الأطلسية اختناقا تجاريا كاملا. يتجلى من هنا الدور السياسي الذي قد يكون لعبه ابن بطوطة كرسول للمرينيين إلى مملكة مالي. لن تزيد الفترة الفاصلة بين منتصف القرن الثامن (14 م) ونهاية القرن العاشر (16 م) هذه الوضعية

المتأزمة إلا اختناقا. فدور مصر سينقل التجارة نحو المسالك الشرقية بينما تبدو الطريق الرابطة بين تندوف وتغازي كأنها فقدت سبب وجودها. هذه الطريق التي من أجلها أسس المرابطون تابلبالا لم يعد لها ذكر في المصادر رغم انفتاح المسالك الأفقية الواصلة بين الغرب والشرق.

ظهرت مملكة سنغاي لتوثق علاقاتها التجارية مع مصر وتونس على حساب الشمال الغربي للقارة. وباستيلاء هذه المملكة على ملاحات تغازي تكون قد أعلنت حرباً تجارية على جيرانها الشماليين. نقف هنا على أحد الأسباب الأساسية التي مهدت لحملة السعديين. لقد وصلت مملكة سنغاي من قوة تهميش محاور درعة وسوس لدرجة أن تجار هذه المنطقة لجأوا إلى الموانئ البرتغالية على السواحل لترويج سلعهم. فجاءت بذلك ضرورة التحرر من الهيمنة البرتغالية كدافع أساسي مكمل لضرورة فرض علاقات تجارية على مملكة سنغاي ابتداءً من سنة 1550 / 957.

يؤكد تاريخ السودان بأن مملكة سنغاي كانت تتسع شمالا لتشمل تغازي وتاودني (تاريخ السعدي، 73 / 84). وعندما أفضل الطوارق أول حملة للسعديين سنتي 950 / 951 / 1543 - 1544 ؛ فإن هؤلاء لم يترددوا مرغمين لإعادة المحاولة بعد سنتين، كانت النتيجة أن قُتل حاكم تغازي ومجموعة من أهلها فتركت مملكة سنغاي الموقع لتبدأ غير بعيد استغلال سبخة تغازي الغزلان (تاريخ السودان، ترجمة، 163 - 164). على أن أهم إشارة تنير فهمنا للأحداث تلتخص هنا في كون إنتاج ملاحه تغازي القديمة كان قبل هذا التاريخ قد صار ضئيلا إذ أصبح سمك اللوحات المستخرجة جد رقيق (Valentin Ferhandès, *Description*, 91). بل الأهم هو كونهم مملكة سنغاي كان كله في مراقبة ملاحه تاودني التي أصبحت تنتج ما يكفي لسد حاجيات أروان وتينكتو وموتي. وإذا كانت أهمية مادة الملح يومها قد أصبحت جد نسبية اعتباراً لتعدد الملاحات المنتجة (V.M. Godinho, *L'Economie*, 109)، فأهمية تاودني هي أكبر بكثير من ملاحه إيجيل مثلاً حسب ما أكد عليه P.H. Rey. فبينما كانت ملاحه إيجيل تنتج ما بين 20 و25 لوحة يومياً، كانت تاودني تعطي من 80 إلى 90 لوحة أي ما معدله 2.400 إلى 2.700 طن سنوياً. وقد اقتصر P.H. Rey على أئمنة ابن بطوطة لكي يصل إلى ما قدره 1.200 كلف من الذهب (Le Sahara français, 95).

عندما وصل قائد حامية أحمد المنصور السعدي إلى تغازي سنة 1585 / 993 اتضح بأن أهمية الموقع لم تعد تكمن في إنتاجية الملاحه بقدر ما تساعد على تسليط الأضواء على استراتيجية المنطقة (تاريخ السعدي، 193 - 194). هكذا وانطلاقاً عن تغازي وصلت جيوش أحمد المنصور سنة 1592 / 1592 إلى تاودني التي تفصلها حوالي 450 كلم عن أروان. سار القائد جودر باتجاه الجنوب ليصعد حمادة الخنشيش التي تتميز بوفرة الأمطار وبيثري عقلة والونان (O. Lenz, *Tombouctou*, 78). عند نهاية هذه الحمادة غادر طريق

أروان ليسلك مسلوكاً سرياً (تاريخ السعدي، 139). فقد اجتاز الجنوب الشرقي ليقطع 160 كلم قبل أن يسامت أروان حيث لم تعد تفصله عن بئر الجببية الوحيدة بالمنطقة سوى حوالي 90 كلم (الفتالي، مناهل؛ غنون، 136). لم يكن هذا القائد يجهد مدى وفرة الغذاء الحيواني الذي يجعل من هذه المنطقة مجالاً للإنتاج وتربية الإبل. من هنا فإن خطته كانت تقتضي إيهام مملكة سنغاي والأعراب برغبته في السطو على القطعان. كان من الواضح يومئذ أن ازدهار تجارة الملح بتاودني مرتبط أساساً بفصول السنة الباردة كما سرى. فقد كانت دائرة تنبكتو وحدها تستعمل ما يقارب خمسة وعشرين ألف رأس من الإبل في كبريات القوافل (أكبارج. أكوابير، انظر المعلمة، 2 : 598. 600) المتوجهة إلى تاودني عبر أروان. كانت السبخة تعرف علاوة على ذلك مقدم بضع مئات من الإبل القادمة من تيندوف وتاكونيت.

لم يكن بإمكان الطوارق (التوارك) السيطرة على كل مناجم تاودني المتعددة بحكم غط عيشهم الترحالي الذي كان يحد من أشكال المراقبة. فبدلاً من استخلاص الضرائب العينية إلى العمل الإلزامي المفروض على العبيد كان استغلال التوارك (كُل انتصار وكُل سيدي اعلي) سيتحول بالضرورة إلى شكل علاقات إقطاعية لفائدتهم ولفائدة فئات من التجار المرابين. غير أن التطورات التي عرفتها المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر (16. 15م) ارتبطت بما ينشأ عادة من صراعات بين أبناء القبيلة الواحدة، فسارت الفصائل التاركية في اتجاه معاكس لما من شأنه أن يزيد من سيطرتها على تاودني. لذلك فإن أنماط الملكية السائدة بتاودني ظلت متمثلة في استقلال الملكيات العائلية بعضها عن بعض. غير أن الجانب الاقتصادي لهذه التجارة لا يمكنه وحده أن يفيض في أسباب تعلق سكان الضفة الجنوبية وأدغالها بملح تاودني. ذلك أن الصراع والتنافس لا يسمحن بتفسير صمود حركية تاودني ومجابتها للملح البحري الذي أصبح يمثل سنة 1954 ربع الثمن العادي. فمن يتبع مراحل استغلال ملح تاودني عبر القرون الأربعة الماضية يدرك أن واقعها المحلي والجهوي يتضمن وحده عناصر الحسم. ذلك أن سبب القدرة الفعلية على المواجهة لا تعود إلى القدرة الغذائية أو الحرارية للملح سبخة تاودني بمقارنته مع الملح البحري بقدر ما تعود إلى المقدرة الاستيعابية للرموز العقائدية التي يختزنها ملح السبخة في حد ذاته.

إذا كان الذهب قد جسد دائماً مقدرة الضفة الجنوبية على جلب ملح السبخات، فإن هذه المادة الصحراوية كانت تؤكد باستمرار قدرة أهالي هذه الضفة على جلب منتجات الشماليين. كما أن استعمال لوحات الملح كعملة للتبادل يجسد قدرة هذه الضفة على مواجهة فقر الطبيعة وما كان يتهددها من مخاطر داخلية وخارجية. ندرك من هنا لماذا استعملت لوحات ملح تاودني كمهر خلال الزواج وكثيرة

يصعب اكتنازها من لدن كبار التجار المرابين. فقد كانت هذه اللوحات تشكل إسهاماً تقديماً ذا أهمية قصوى في أسواق تنبكتو وأروان ومويتى عاصمة ملح تاودني. واعتباراً لكون هذه العاصمة كانت محطة للتوزيع نحو الأدغال نجدها تشكل أهمية قصوى بالنسبة لتنبكتو شمالاً وجنوباً (دجنبي) جنوباً حيث كان سعر اللوحة الواحدة يصل ثلاثة أضعاف ثمنه.

وهنا تتدخل الرواية الشفوية لتجعل من تنبكتو رأس الشجرة الكونية ومويتى بطنها بينما تمثل جنة الرجلين. كانت مويتى تقوم بتوزيع بضاعتها في اتجاه وگادوگو وثولطا العليا حيث تكشف القيم الروحية المتداولة الأهمية الرمزية التي تتمتع بها مادة الملح كمصدر للقوة وكشكل مباشر من أشكال تداخل علاقات الشمال بالجنوب. فلا يوازي سيطرة الشماليين على الذهب إلا اقتران مادة الملح بالفاعليات الاقتصادية والدينية لمختلف الفئات الاجتماعية الجنوبية.

تتكون سبخة تاودني من عدة مناجم منها ما هو مهجور ومنها ما تم فتحه في فترات لاحقة. ويقيم أهل تاودني بقريتين متجاورتين هما سميرة وأگورگو. وإذا ما نحن وقفنا على إحصائيات 1957 وجدنا السلطات الإدارية لتنبكتو تحصي ما مجموعه 248 من السكان منهم 43 قاراً بعين المكان. يقيم هؤلاء السكان "الأصليون" بقرية سميرة حيث يولدون ويموتون ومن نسائهم من تقضي حياتها كاملة بعين المكان. على أن من السكان المتنقلين من جاء منذ 30 سنة ليقيم بأگورگو تتجاور مناجم الاستغلال. نلاحظ أن من بين 248 مقيماً ومقيمة 36.26٪ ينتمون إلى مجتمع البيضان بينما ينتمي 63.84٪ إلى المحررين من عبيد أهل أروان والبرابيش الساحليين (أولاعيش) وأهل الساحل (تجكانت وتكنة) وكذا من خدم الطوارق (التوارك) وسنغاي. يعود انتماء البيضان من أهل تاودني قارين كانوا أم متنقلين إلى القبائل المحيطة بتنبكتو بالإضافة إلى بعض تجار تجكانت وتكنة.

تعتبر الفصول الباردة من السنة فترة الاشتغال حيث يمتلئ المدشران ما بين منتصف شهر أكتوبر ومنتصف شهر ماي. أما الفترة الحارة فإن المتنقلين من أهل أگورگو يعودون إلى الضفة الجنوبية. واعتباراً لكون البيضان يحتلون سلم التراتبات الاجتماعية فإنهم لا يشتغلون باستخراج مادة الملح مكتفين باحتكار الإنتاج أو التجارة أو تعليم القرآن. وقد أكدت فيثيان باك (Viviana Pâques) بأن تملك المناجم خلال الستينيات ما يزال حكرًا على ثلاث عائلات، الأولى من أهل أروان والثانية من تجكانت والثالثة من تكنة (L'Arbre cosmique, 282). تشغل هذه العائلات خدامها في استخراج الملح، ويقوم خدام أصحاب القوافل بالمساعدة في مهمة الاستخراج هذه. وتعتبر عملة الأداءات هي الملح الذي يصلح في عين المكان لشراء كل شيء. إلا أن تجار قوافل تندوف لا يقبلون مقابل ما



يحملونه من أثواب وزراب وشاي وسكر مادة الملح كعملة. وتعتبر قبيلة تجكانت المسوفية أكثر القبائل تحكماً في المحور الرابط بين تاودني وتندوف (25 يوم من السفر). فهي تتحكم في قطاعي النقل والاتجار في آن واحد. كان منيرو القوافل جكانيين تربطهم عبر مختلف مراحل الطريق علاقات القرابة بأفراغ قبيلتهم في كل من بحر كليف وتافورين والترارزة وحمو الحاصل. على أن هذه المراحل تعد على صعوبتها أقل خطورة من تسعة أيام من السفر تفصل عادة بين تاودني وأروان. فتجكانت شأنهم شأن تجار تكنة لم يكونوا أقل حضوراً بتاودني من باقي بيضان أروان وتنيكتو نظراً لاستنادهم إلى روابط قرابية تجمعهم بتجار تنيكتو حيث تعتبر جالياتهم بالغة الأهمية إلى الآن. بهذا المعنى فإن بعض الوجهاء منهم كانوا ومايزالون يتوفرون على مناجم أوكلوا استغلالها إلى تابعيهم المحليين. ويكفي أن نذكر من بين أعيان تكنة أهل بركة وأهل عمار ولد أحماد أو المهدي البلدي (Rita Aouad, *Les réseaux*, 113 - 114).

على أنه في إطار هذا التغلغل التجاري والاجتماعي والسياسي لأهل وادي نون وأهل تيندوف ينبغي التمييز بين الحضور الذي ميز القرون الطويلة الماضية والفترات اللاحقة للسيطرة الإدارية الفرنسية. فهذه الإدارة سارت في اتجاه معاكس لم يعر أي اهتمام لطبيعة العلاقات بين المنطقتين عاملة على إجهاض كل الارتباطات القديمة. وباعتبار أن المسألة بالنسبة لهذه الإدارة لا تنحصر في مجابهة التماسك المجتمعي القائم بل تتجاوزها إلى محاولة إثبات قدرتها على تقسيم المجال والتحكم في من يخلون بأوضاعها الأمنية، كان عليها أن تعتمد مختلف أساليب التفرقة والتشتيت (R. Aouad, *Les réseaux*, 110).

تقايد ما اشتملت عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى، الرباط، المطبعة الملكية، 962؛ ابن بطوطة، تحفة، IV، 427؛ ابن خلدون، العبر، VI، 415؛ ابن المختار ومحمود كاتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، 1964، 34/37/59/64؛ ع. السعدي، تاريخ السودان، 84/73. 139؛ فاطمة الزهراء طموح، اكبار، معلمة، 2، 598. 600؛ الفشتالي، مناهل الصفا، ع. كنوت، 136.

Mougin, *Les premiers sultans saadides et le Sahara, ROMM*, 1975, 169 - 187 ; O. Lenz, *Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan*, Paris, 1886- 1887 ; R. Aouad, *Réseaux marocains en Afrique sub-saharienne, R.M.E.*, n° 4, 1993, 93 - 114 ; G. Salvy, *Tawdanni, Le Monde*, 31 / 1 / 1976 ; H.T. Norris, *Yemini scholars of Timbuctoo, J.A.H.*, III, 1962, 19 - 335 ; V. Pâques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N-O Africain*, Paris, 1964, 702 p.

مصطفى ناعمي

**التاودني**، محمد بن يعلى، من صلحاء فاس. يعرف بالمعلم وبالخياط. اختلف في نسبه فقبل إنه أندلسي الأصل. وقد رجحت أغلب المصادر نسبه إلى بني تاودا من أعمال فاس. ومدينة تاودا كانت واقعة على مقربة من جبال غمارة، شيدها المرابطون لمراقبة الغماريين، على مرحلتين من فاس شمال وادي سبو. ومعنى تاودا باللغة الأمازيغية :

الربيع والخوف.

أخذ التاودني التصوف عن شيخه علي بن حرزهم، كما صاحب أبا يعزى يلنور الذي كان يشهد له بالفضل والتقدم، ويطلق لسانه بالثناء عليه، كان للتاودني في طريق القوم قدم راسخ، قطع مقامات أبي يزيد البسطامي في أربعين يوماً. وأخذ عنه جمع من الأولياء والعارفين.

اشتهر الشيخ محمد التاودني بالبذل والجود، وكثرة الصدقات وهذه أهم خصوصيات التصوف المغربي في تلك الفترة. يقول عنه صاحب *التشوف* : "كان يعلم الصبيان، فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء. ويفسل أثواب الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب. ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك. ولا يأخذ على ذلك أجراً". وقد أشار سليمان الحوات، في *الروضة المقصودة* : "أن سكنى صاحب الترجمة فيما يقال بزقاق الماء عدوة فاس القرويين. وعمله في المكتب القائم بها إلى الآن. كان يعلم الصبيان، وخلوته التي كان يتعبد بها باقية في مسجدها قبلة مصونة عن كثرة الدخول بها يتبرك بها الخاصة ممن وصله خبرها".

توفي الشيخ التاودني بفاس سنة ثمانين وخمسائة (1184 م)، ودفن بخارج باب عجيسة، وقبره معروف يستشفى به الناس، ويقصدونه للزيارة في مهماتهم خصوصاً يوم السبت.

وقد ذكر صاحب *الروضة* في معرض حديثه عن سبب تسمية شيخه أبي عبد الله محمد ابن سودة بالتاودني : "أن أهل المغرب، وخصوصاً أهل فاس يتمنون في تسمية أبنائهم بالتاودني يطلقونه على من اسمه محمد وربما اقتصرُوا عليه في الغالب". جدد بناء مزارع الشيخ محمد بن يعلى التاودني، السلطان سيدي محمد بن عبد الله، حيث شيد عليه قبة في أبدع صنع ووسع رحاب الضريح.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984 ؛ الساحلي، بغية السالك في أشرف المسالك، م. خ. ع. 2630 ك ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 185 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، م. خ. س. رقم 647، ص. 311 ؛ م. الكتاني، *سلة الأنفاس*، 3 : 110 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 188.

عبد العزيز تيلاتي

**تَاوْرَا**، بفتح الواو والراء كما ضبط نطقها الأصلي ابن غازي ( *الاتحاف*، 1 : 52 )، متحدثاً عن تاورا مدينة مكناس، إذ أن المواقع التي تعرف بهذا الاسم كثيرة ؛ فيشير البكري مثلاً إلى قرية تَوْرَة ومرساها على الطريق بين طنجة وسبتة ( *المغرب*، 163 )، والإدريسي إلى قرية تَاوْرَتَ بالجزائر ( *نزهة المشتاق*، 163 ) بينما يتحدث لاوست E. Laoust عن قرية تاورا Tawâr بمسفيوة وقرية تاورت Tawart بتغانة، ويفترض كمدلول يحمله الجذر "اور" (Aur) عند الطوارق هو "الوجود إلى القرب من نقطة الماء" ( *Contribution*, 139 ) ؛ الشيء الذي قد يقبل بالنسبة لتاورا

القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983 : ل. ابن الخطيب، نقاشة الجراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي؛ م. ابن غازي، الروض الهتون؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس؛ ع. الريني، زهر الأكم، مخطوط؛ ع. ابن زيدان، إتخاف.

E. Laoust, Contribution, Paris, 1942.

محمد اللحية

**تاووارت**، إحدى قرى قبيلة الخلط الهببية، مندرجة ضمن فرقة ثلاثاء ريسانة الشمالية بجوار الزهانة وأولاد بوحميده، معروفة هناك بصوالح تاوارت، نسبة إلى المجموعة السكانية المستقرة بالبيسط الممتد بين واد البريري رافد واد المخازن، ودشر الجديد من قبيلة الساحل الجنوبي. وارتفاع السطح هو الذي يعبر عنه اللفظ الأمازيغي الأصل "توارت أو تاويرت".

ولتوارت الصوالح تاريخ يعود إلى فترة الوجود البرتغالي بمدينة أصيلا بين سنة 1471 وسنة 1550. إذ كانت القرية ضمن مجالات الخلط قبل الاحتلال البرتغالي للمدينة، وكانت إحدى محطات القوافل الآتية من القصر الكبير في اتجاه الشمال الغربي، تعرض أهلها للهجرة نحو جنوب واد المخازن، ولم يعودوا إلى موطنهم إلا بعد الجلاء البرتغالي عن أصيلا. وقد اعتاد مجاهدو القصر الكبير اتخاذ المكان طالعا لاستكشاف الطريق الواصل من تاوارت إلى قرية ميجلاو، من قبيلة الساحل الشمالي، بحثا عن جنود أصيلا، وأنداك كانت ضمن ما سماه البرتغاليون بحوز أصيلا.

ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية، 5.5؛ حسن الفكيكي، مقاومة الوجود اليبيري بالثغور الشمالية المحتلة، 2 : 352.

B. Rodrigues, Anais de Arzila, p. 1 : 29, 66, 83, 154, 204, 252, 244, 2 : 21, 57, 149, 229.

حسن الفكيكي

**التاورتي، إبراهيم بن أحمد.** لا نعرف عنه إلا الترجمة القصيرة التي خصه بها ابن القاضي في الجذوة حيث يصفه بمؤرخ الدولة المرينية على عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم وأنه ألف كتابا مؤرخ فيه لهذه الفترة (جذوة، 87). غير أن ابن القاضي لم يصرح بعنوان الكتاب كاملا بل ذكره مختصرا هكذا : "ذكره التاورتي في تاريخه"، أما المنوني فسماه "تاريخ أيام السلطان المريني أبي سعيد الثاني" (المصادر، 1 : 116). ومن حسن الحظ أن ابن القلاضي لم يقتصر فقط على ترجمة التاورتي بل يبدو أنه وكثف أيضا على كتابه واقتبس منه بعض التراجم مما يجعلنا نخرج بانطباع أولي قد يساعدا في معرفة طبيعة الكتاب ومحتواه. ومن بين هذه التراجم نذكر : ترجمة عبد الرحمن الزرهوني فقيه جامع القرويين وخطيبه (جذوة، 403)، و ترجمة أبي زكرياء يحيى بن أبي دلالة الكاتب وصاحب العلامة عند السلطان أبي سعيد المذكور (جذوة، 539)، و ترجمة الحاجب عبد العزيز بن أحمد اللبائي الزرهوني (جذوة، 451) و ترجمة قاضي فاس عيد

مكناسة الزيتون المتسمة في القديم بعيونها المنبجسة. لاسيما عين أبي الخير، وكان لها دور في سقي أملاك السكان وانعاش أزقتهم ودورهم (الروض، 11.12) ويعني هنا ارتباط اسم تاورا بخصوصية طبيعية بارزة، بأن اسمها كعلم، لا يمت بصلة إلى جماعة بشرية معينة ذات أصل مشترك، وأن تقسيماتها التي يعرف بها كتاب الروض وهي بنو عيسى وبنو يونس وبنو أبي نواس وبنو زغبوش وفاس الصغيرة، لا يفهم منها أنها فروع لوحدة بشرية كبرى بقدر ما هي أقسام سكنية تخفي وراءها أصولا مختلفة، من هذه الأصول ما أفصح عنه المؤلف، أي بنو زغبوش الذين كان يعتقد أنهم من بني عيسى (الروض، 12) ثم عبيد الحرمة الوافدين من السودان (الروض، 31).

كانت تاورا تحتل موقعا متميزا؛ فبالأعلى نقطة ينحدر منها ماء نهر فلفل (بوفكران) وتنساب منها العيون، كانت تبسط امتدادها على ضفتي النهر الشرقية والغربية بخلاف المراكز الأخرى التي لم تكن تحتل سوى إحدى الضفتين. وإلى جانب هذا الموقع الذي يتيح لها التحكم في مصدر المياه، كانت قريبة إلى قصر الأمير المرابطي المعروف بقصر تورزكين، كما أنها صارت أقرب مركز لتاوارت بعد تأسيسها (الروض، 11). وقد انعكس هذا الموقع على مظهرها وأنشطتها وتجلي ذلك من خلال كثرة أرحائها وحماماتها بالمقارنة مع بقية المراكز (الروض، 12)، ثم إنها بشهادة الإدريسي، كانت جامعة عامرة والأسواق بها نافقة (نزهة المشتاق، 147)، وليس هناك أكثر تعبيراً عن حيويتها ومكانتها من انتساب كثير من العلماء والفقهاء الذائعي الصيت إليها، لاسيما بنو زغبوش الذين علا شأنهم في عهد الموحدين (مدائن مكناسة، 181).

تضررت تاورا، في فترة الانتقال الموحدية / المرينية ونالها من التخريب والخلاء ما نال بقية مراكز مكناسة الزيتون الأخرى (الروض، 36)، غير أن النسبة إليها ظلت قائمة إلى أواخر الدولة المرينية في القرن التاسع (15 م)، وتعلم هذا من خلال اسمين يحملان النسبة إليها : طلحة التاورتي، وقد ذكره ابن الخطيب كأحد البارزين في أحداث مكناسة أيام ثورة عبد الحليم بها سنة 763 / 1362م (نقاشة، 1 : 324)، ثم إبراهيم بن أحمد التاورتي، مؤرخ أبي سعيد الثالث، في مطلع القرن التاسع (15 م) (الجذوة، 1 : 87). دخلت تاورا على عهد السلطان المولى إسماعيل، في نطاق المجال الذي حازه السور الوقائي الذي رفعه السلطان حول قسم كبير من المجال الزراعي لمدينة مكناس (تاريخ، 46)، وبأعلى تاورا، شيد السلطان قنطرة دَرْدُورَة الشهيرة (الإتحاف، 1 : 158)، ونقل في نطاق تعديلاته العمرانية وإعادة تنظيم أسواق المدينة إلى أسفل هذه القنطرة مقر صناعة الخنزف (الإتحاف، 1 : 225).

فحمل هذا المكان منذئذ، اسم الفخارين وهو مستمر الوظيفة والاسم إلى اليوم. أ. البكري، المغرب : ش. الإدريسي، نزهة المشتاق، نشر بعنوان،

الله بن الأشقر (جدوة، 424) ثم ترجمة الوزير صالح بن عمر (جدوة، 358) ولعله صالح بن حمو الياباني الذي ذكره ابن الأحمر ضمن وزراء عدد من ملوك بني مرين المتأخرين بدءاً بإحمد بن أبي سالم فعبد العزيز بن أحمد ثم عبد الله بن أحمد، وانتهاءً بعثمان بن أحمد المكنى بأبي سعيد، الذي عاش في أيامه المؤرخ التاورتي (روضة، 38-41؛ الاستقصا، 4: 94).

وإذا كان هذا الاقتباس هو كل ما وصلنا من كتاب التاورتي، الأمر الذي يؤكد أنه كان معروفاً حتى زمن ابن القاضي أيام السعديين ثم جهل مصيره بعد ذلك، فإننا لا نعرف لولادته ولا لوفاته تاريخاً محدداً. كل ما هنالك أن ابن القاضي ومن نقل عنه أشاروا إلى أن التاورتي بقي على قيد الحياة بعد المائة الثامنة للهجرة (800 هـ / 1398م)، مع العلم أن السلطان الذي أرخ لآيامه حكم المغرب بين سنتي 800 هـ و823 هـ وتاريخ وفاته. وما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أن الناصري ذكر اسم التاورتي في معرض حديثه عن واقعة استيلاء البرتغال على مدينة سبتة سنة 818 هـ، وأن كتاب هذا الأخير تحدث عن تلك الواقعة وتناول أخبار دولة أبي سعيد. لكن ذلك لا يعني أن الناصري وقف على هذا الكتاب ونقل عنه تلك الأخبار، فالأمر كان مجرد إشارة إلى وجود مصدر معاصر للأحداث، والدليل على هذا كون الناصري نقل جل معلوماته في موضوع احتلال سبتة وأيام السلطان أبي سعيد من مصادر متأخرة كجدوة الاقتباس وكتاب المؤرخ الإسباني منويل باولو القشتيلي وغيرهما (الاستقصا، 4: 93). كما يلاحظ من جهة أخرى أن معاصر التاورتي ابن الأحمر الذي كان أيضاً مؤرخ دولة أبي سعيد المريني لم يذكر زميله ولا كتابه فيه أي من مؤلفاته الكثيرة، فلا ندري سبباً لهذا الصمت!

ابن الأحمر، روضة النسرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962؛ ابن القاضي، جدوة الاقتباس، الرباط، 1973، 88 و451 و539؛ الناصري، الاستقصا، ج 4، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955؛ ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، الجزء الأول، ص. 250؛ المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الجزء الأول، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1983؛ ابن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، الجزء الأول، ص. 136.

رشيد السلامي

**تاورزا**، بالأمازيغية والعشار أو الكرنك بالعربية، نبات برّي يعرف علمياً بـ *Calotropis procera*، وهو ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات التي تنتشر أجناسها غالباً في المناطق المدارية. تبلغ شجرة أو شجيرة تاورزا من مترين إلى أربعة أمتار. جذعها ذو قشرة فلينية مشققة وسميكة. لها أوراق دائمة عريضة مستديرة خشنة، مكسوة بزغب قطني جد كثيف جعل لونها الأخضر المزرق يميل إلى البياض. أزهارها كبيرة الحجم (3.2 سم) ومزركشة، إذ نجد ألوانها

تختلف من الأبيض إلى الأزرق والبنفسجي والأرجواني. ثمارها كروية الشكل ومنتفخة لكونها تحتوي على ألياف قطنية تسهل انتشار البذور عند هبوب الرياح. تُصادف تاورزا طبيعياً في المناطق البيومناخية الجافة والصحراوية من المغرب حيث تنبت في الوديان بجانب أشجار الطلح والأثل، كما توجد في نفس الظروف البيئية من دول شمال إفريقيا وآسيا.

تنحصر استعمالات هذه الشجيرة بالمغرب وشمال إفريقيا في التطبيق التقليدي لكن يزرع في بعض المناطق من أميركا الجنوبية لإنتاج قطن حريري له بعض الأهمية ولو أن أليافه أقل جودة من الكابوك، إلا أن الناتج منها كثيراً ما يستعمل مخلوطاً.

أبحاث شخصية : أ. هيل، النبات الاقتصادي 1962. تر. د. ع.

زاهر وآخرين. المكتبة الأنجلو مصرية. القاهرة.  
P. Quézel et S. Santa, Nouvelle flore de l'Algérie, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

**تاورُصَة أو تاورُص**، بصاد مشمومة زايا على ما يبدو، قرية قديمة معروفة منذ العصر الإسلامي الأول بناحية تطوان، حسب البكري الذي هو المصدر الوحيد لمعلوماتنا عنها. ولم يبق لهذه القرية أثر اليوم إلا ما كان من لفظ تاورزا وهو نوع من الشجر القصير المزهري، ولعله كان سائداً هناك في ذلك الوقت.

ويمكن مقارنة موقع القرية مما جاء عند البكري الذي جعلها، أثناء التحدث عن الطريق البري الرابط بين سبتة وتطوان، في مرحلة وسطى بين رأس قَبْ مُنْت (الرأس الأسود الحالي) وبين تطوان، بعد اجتياز واد أيللى (الواد المالح) الذي لا يزال محتفظاً بهذا الاسم حتى اليوم. وقد حاول التعرف على موقعها جاك كاني ولكنه أخطأ الموضع، كما أن القراءة غير الدقيقة جعلته يقرأ لفظ "طور" بدل تاورص.

إننا متأكدون من أن موضع قرية تاورص لا يمكن أن ينطبق إلا على البقعة التي تحتلها أراضي جماعة الملالين، ولا يستند هذا التأكيد إلى الموقع فقط، بل إلى الأوصاف التي خصه به البكري، حين أخبر بتوفر القرية على أراضٍ ومياه جارية وعليها الأرحاء. فتفحص الخريطة ومعاينة المكان يجعلنا نوجه أنظارنا إلى قرية الملالين وواد الشجرة الحاليين، فهنا كانت تستقر. فيما نظن - قرية تاورصة التاريخية، بجوار مياه رافد واد أيللى الجنوبي والمسيلات العديدة المتصلة به.

كانت القرية في القرن الرابع الهجري تابعة لتطوان، وتشارك بالتحكم في الطريق التجاري البري الرابط بين تطوان وسبتة، ويشرف عليها أحد وجهاء بني سكين يدعى عبد الرحمن بن فحل، وواسطة العقد بين تطوان وقب منت فيما يخص أراضي بني سكين.

أ. البكري، المغرب، 106؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، 1: 247؛ ج.

كاني، المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري، مجلة  
البحث العلمي 1973، 130-143 : خريطة طبوغرافية لموز تطوان،  
1958 ؛ بحيث ميداني.

أحمد قدور

**تاويرت، مدينة بالمغرب الشرقي واقعة على واد**  
"زا"، وهي زاي مفخمة، وعلى الطريق الرئيسي الرابط بين  
وجدة وكرسييف، يعود أصلها إلى ما قبل القرن الثالث  
الهجري، بناء على الإشارة الواردة عند ابن حوقل  
البغدادي، والمستخلص من مصادر البكري. ويعني اسم  
تاويرت الأمازيغي الكدية، إشارة إلى إحدى الموائد  
الصخرية المتصلة بالمدينة وهي نوع تضاريسي منتشر  
بالمنطقة الشرقية، يميزها في الوسط الطبيعي ارتفاعها  
وإشرافها على واد زا.

يعود تأسيس مدينة تاويرت إلى قبائل زناتة المسيطرة  
على تلك الجهات منذ ما قبل الفتح الإسلامي للمغرب،  
ولاسيما قبيلة بني واسين. وفي أواخر القرن الثالث الهجري  
كان سكانها من بني مراسن، زعيمهم قاسم الواسناني.  
وحينما مر بها ابن حوقل البغدادي بعد عام 331 هـ. قال  
عنها: "مدينة صا (زا) صغيرة ولطيفة"، كانت مشيدة  
أسفل الكدية (تاويرت) من الجهة الغربية بمحاذاة مجرى  
واد زا. ويرجع أول تصريح باسمها الحالي إلى البكري. ولا  
شك أن المساعد على ظهور المدينة وتطورها خلال القرون  
الهجرية الأولى عائد إلى موقعها الذي أهلها للقيام بدورها  
في نطاق التجارة الصحراوية بمجرد وصول القوافل  
السجلماسية إليها، فهي محطة رئيسية لها في اتجاهها  
نحو الشمال الشرقي. ومدينة تاويرت نقطة اتصال مع  
وجدة شرقا، وفاس غربا عبر أكرسييف. ومنها تتجه القوافل  
نحو الشمال وجهة جراوة بني أبي العيش ببني إزناسن  
ومرساتها "تفرجتت"، ثم نحو قلعو كرت، ومليلة، ونحو  
النكور ومرساتها المزممة.

ويظهر أن الموحدون هم الذين خربوا تاويرت، أثناء  
جولات عبد المؤمن بن علي الكومي بتلك النواحي، عند  
ملاحظته لتاشفين بن علي المرابطي حوالي 536 / 1141،  
بدليل أن الشريف الإدريسي وجدها خرابا حين سجل  
أخبارها. غير أن تاويرت لم تلبث أن استعادت وجودها  
على العهد المريني، لتمر بأعنف لحظات تاريخها، كنتيجة  
من نتائج الصراع المريني العبد الوادي على تخوم المغرب  
الشرقي. فمدينة تاويرت كانت تخما بين المغرب المريني  
وتلمسان الزبانية. ففي منتصف القرن السابع (13 م) كان  
في جانبها الغربي عامل يعقوب المنصور المريني وفي جانبها  
الشرقي عامل يغمراسن بن زيان العبد الوادي. بقي الأمر  
كذلك إلى سنة 694 / 1294، حينما طرد يوسف بن يعقوب  
المريني عامل يغمراسن، واختط هناك حصن المدينة، بناه  
تحت إشرافه المباشر، وأنزل به بني عسكر من بني مرين،  
وعقد عليهم لأخيه أبي يحيى بن يعقوب، مما جر على  
المدينة سلسلة من الغارات الزبانية على يد خلفاء يغمراسن،

استغرقت سنوات الثلث الأول من القرن الثامن (14 م).  
وحينما مر أبو الحسن المريني بالمدينة اعتنى بشأتها وأنزل  
بها عسكره وعقد عليها لابنه تاشفين، بينما جعل حصنها  
إلى نظر وزيره منديل بن حمامة بن ترعين، غير أن ذلك لم  
يحل دون مهاجمة أبي تاشفين الزباني للمدينة سنة 733 /  
1332.

والى الفترة المرينية أشار الحسن الوزان في وصف  
إفريقيا إلى ازدهار عمران تاويرت وكثرة سكانها، إذ أن  
تقديره لسكان المدينة بلغ نحو ثلاثة آلاف كانون، أي ما  
يساوي بالتقريب خمسة عشر ألف نسمة. وهو الذي أخبرنا  
الخبر الأخير عن تخریبها سنة 780 / 1378، خلال النزاع  
الأسروي المريني والتدخل التلمساني في الصراع على عهد  
السلطان أحمد بن سالم بن أبي الحسن المريني (775.786)  
وأصبحت المدينة منذ ذلك الحين خالية بعد هجرة أهلها إلى  
ندرومة الجزائرية، وبقيت خرائب المدينة تحت نفوذ عرب بني  
معقل وإقطاعهم من الأحلاف وأشجع.

وعاد أمر تاويرت إلى الظهور مرة أخرى منذ العهد  
الإسماعيلي، حينما نقل إلى سهل أنجاد عرب زرارة  
والشبانات، قوم كروم الحاج من حوز مراكش، وذلك سنة  
1090 / 1683، إذ أنه في السنة الموالية أمر السلطان ببناء  
قصبة تاويرت على الضفة اليسرى من واد زا، على بعد  
أربعة كيلو مترات من موقع المدينة الحالي، ولاتزال آثارها  
قائمة إلى الآن، وأنزل بها مائة فارس من عبيده وعبالهم،  
في مهمة حراسة الحدود للحيولة دون التسرب التركي إلى  
المغرب الشرقي من تلك الجهة. كما تم في نفس الوقت نقل  
قسم من زرارة والشبانات إلى المدينة، وما يزالون إلى اليوم  
بضواحيها الجنوبية يعرفون بالكرامة.

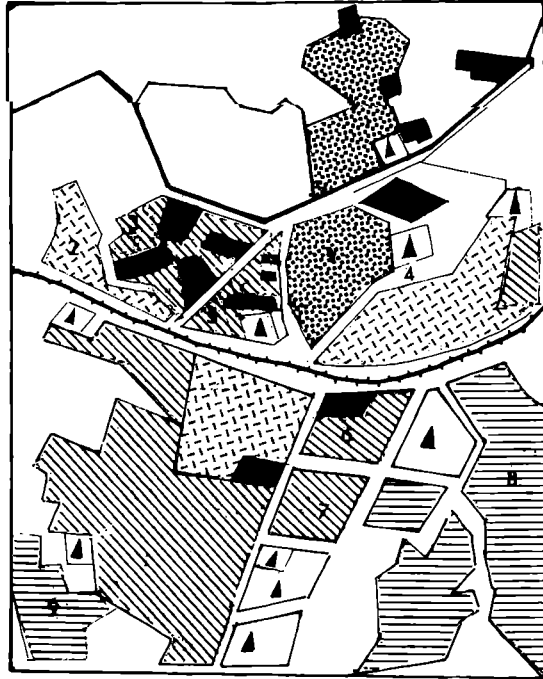
وتاويرت اليوم دائرة كبرى ألحقت بها مدينة العيون  
وحوزها (بني محيو وأولاد سيدي الشيخ وسجع وبني وكيل  
وحديون وبني بوزگو)، كما أضيف إليها قسم من الأحلاف  
(مربع، أولاد سليمان، أولاد مهدي وقسم من سجع).  
وأدخلت ضمن دائرة تاويرت مدينة دبدو وحوزها أيضا  
(بني فشت ورشا وزوا وأولاد سيدي محمد والحاج بن  
أحمد).

ابن حوقل، وصف الأرض، 88 : أ. البكري، المغرب في ذكر أخبار  
المغرب، 93.90 : ش. الإدريسي، نزهة المشتاق، 247 : ابن  
خلدون، العبر، 6 : 119. 125. 7. 227. 681 : ح. الوزان، وصف  
إفريقيا، 1 : 271 : أحمد الناصري، الاستقصا، 4 : 67. 7 : 62 :  
خريطة الدائرة، 1973 : زيارة ميدانية.

حسن الفكيكي

**تاويرت، جغرافيا - تقع بين مدينتي وجدة (108 كلم)**  
وتازا (120 كلم)، في ممر واسع موجه نحو الشمال  
الشرقي، بين سهل تافراطة وحوض العيون وبين جبال بني  
إزناسن ومرتفعات المقام والكعدة. على تل يعرف بنكدية  
(تاويرت) وهو يشرف على الضفة اليسرى لوادي ز. أحد  
روافد نهر ملوية.

## تاويرت



تستهدف توجيه التوسّع وكذا احتواء الأعداد المتزايدة للوافدين من البوادي ؛ منها التصميم الأول للمدينة سنة 1947 ودراسة سنة 1951 ومراجعة التصميم الأوّل سنة 1967. ويجب انتظار سنة 1991 لكي تقرّر وزارة السكّنى الإشراف على دراسة تصميم التهيئة الذي مازال قيد المراجعة والتشاور.

يعزى النمو السريع للسكان إلى الهجرة والتطور العشوائى للأحياء، وإلى الرضية القانونية للأراضي التي كانت تشكل عاملاً إيجابياً في البداية والتي أصبحت تمثل أحد أهمّ العوائق أمام الحدّ من الهجرة واتخاذ السكن القانوني ؛ إذ أن أكثر من 90٪ من العقار جماعي ومخزني، وهو بالتالي قابل لأن يكون حلاً سهلاً لتوزيع الأراضي أو السكّوت عن احتلالها. فرغم عدّة عمليات لاقتناء المسؤولين أراضي واسعة، رغبة في القضاء على السكن المستتر والفوضوي وفي إعادة هيكلة المدينة من الناحية الوظيفية، قد وزعت في بداية الثمانينيات 550 قطعة مجاناً مكان محزنة 20 غشت الحالية بعد أن نصبت 531 خيمة كانت تأوي 2930 نسمة من سكان القبائل الرعوية المجاورة المتضررة من الجفاف. فتفاقت عملية المضاربة في القطع المسلمة، حيث توضع الخيام ثم تقتني الأراضي فتباع للحصول على قطع أخرى مجاناً أو بأقلّ ثمن. والأراضي التي اشتراها المجلس البلدي سنتي 1983 و1984 هي الآن

تحوّلت تاويرت من قرية سنة 1936 كانت تحتضن 1652 نسمة إلى مدينة صغيرة في الأربعينيات لإيواء الوافدين إليها من القبائل المجاورة بسبب الضغط الاستعماري والظروف الاقتصادية الرديئة. فارتفع حجم سكانها ثلاث مرات سنة 1952 (4655 ن)، ثم ناهز المرتين سنة 1960 (7343 ن) وتضاعف مرتين كذلك سنة 1971 (15581 ن) وبنفس القدر سنة 1982 (32667 ن). أما الآن فيقدر عدد سكانها بأكثر من 60000 نسمة، بعد أن توسّع نطاق استقطابها للهجرة القروية التي تمثل نسبتها ما يقارب 65٪ من النمو الاجمالي والتي تهّم أساساً جماعات مستكمر ودبدو والعطف وسيدي لحسن بالإضافة إلى سكان القبائل المجاورة وحتى آخرين من إقليم تازا.

تنمو المدينة بشرياً وعمراً بوتيرة لا تسير سرعة تطور التجهيزات والمرافق الضرورية لتلبية حاجيات مدينة متوسطة من حجم خنيفرة أو صفرو وتارودانت وقلعة السراغنة وبرشيد ... والتراكم الضخم والمستمرّ لأفواج النازحين من الأرياف يكسب جلّ أحيائها طابعاً عشوائياً وقروياً يطرح عدّة مشاكل تنظيمية واجتماعية تكاد تكون مستعصية.

لجعلها مركزاً للمراقبة الترابية أقامت السلطات الاستعمارية سنة 1908-1909 محطة لاسلكية قرب القصبة مرتبطة بالإدارة العسكرية العامّة بفرنسا، وهي مازالت تعدّ من أهمّ محطات الإرسال بالمغرب. ثم أضيفت ثكنة عسكرية ظهر بجانبها أول حيّ صار يسمّى دوّار المخزن، وأنشئ "الحي القديم" ابتداءً من سنة 1920 بمشابة مركز للمعمّرين ولاستقبال الجزائريين واليهود المتعاطين للتجارة والصناعة التقليدية، انضمّ إليهم بعد ذلك أهل فكيك. من ثمة أخذت تتوسّع المدينة نحو الجنوب فقط، نظراً لوجود أراض مسقية في الشمال والشرق حول وادي زك. فشيّد الحي الجديد ابتداءً من سنة 1940، وكان أغلب سكانه من قبيلة الكرامة. وفي الستينيات ظهرت ثلاثة أحياء حول الحيّ الجديد : الهندية والحرية والحلفا الذي كان عبارة عن مجمع للخيام. أمّا أكبر زحف مجالي فستشده المدينة خلال السبعينيات. حيث امتدّ حي السوق (الهندية في السابق) شرقاً ثم غرباً (حي لابيط : وزارة السكّنى) ومُلئ الفراغ بين الحيّ الجديد وحي الحرية بإنشاء حيّ الملعب والمسيرة اللذين خصّصا للموظفين والعَمال بالخارج. وزاد الامتداد خصوصاً مع توسّع حي التقدم (الحلفا سابقاً) في الجنوب (الحرشة) وفي الشرق (القوات المساعدة وبام : برنامج التّغذية العالمي). وأخيراً تشكلت ثلاثة أحياء منذ بداية الثمانينات وهي محزنة المسيرة المخصّصة للموظفين والخواصّ ومحزنة 20 غشت والمحاربك اللذان لجأ إليهما النازحون.

لقد زحفت المدينة على مئات الهكتارات وكأنتها بدون تخطيط عمراي مسبق. وذلك رغم وضع مخططات بعد تحديد المدار الحضري سنة 1933 في الحيّ القديم والتي

محتملة بدون مقابل من طرف السكان ومن دون ترخيص قانوني.

باستثناء النواة الأولى (الحي القديم والحي الجديد) وتجزئتي وزارة السكنى (لابيطا والمسيرة) وجوانب الطريق الرئيسية التي تتبع تصميماً مهيأ وتتوفر على التجهيزات الأساسية، من أزقة معبدة وماء شروب وكهرباء وواد حار، فإن باقي الأحياء الهامشية تتميز بعشوائية التصاميم وبناء متواضع وتفاوت في المرافق الضرورية، خصوصاً وأنها تنمو على سفوح تلبية عسيرة الاستصلاح. مما اضطر السلطات إلى محاولة استدراك جزء من نقص التجهيز أولاً في الأحياء القريبة من المركز (أحياء التقدّم والملاعب والمسيرة).

لقد أفرز هذا النوع من التسيج الحضري تركيزاً للوحدات الاقتصادية ومؤسسات الخدمات الكبرى بوسط المدينة وحوله. ومن الطبيعي أن تتنوع الأنشطة والوظائف بهذه المدينة المتوسطة بعد أن كان اقتصادها يعتمد بالأساس على مردود الهجرة الخارجية ومعاشات المتقاعدين من الجيش. وطبيعي كذلك أن يكون قطاع البناء هو الأكثر انتعاشاً وتوظيفاً للنشيطين. وفي المرتبة الثانية نجد التجارة والنقل بما يقرب ألف محل تجاري وإحدى عشرة حافلة بالمدينة وستاً وعشرين حافلة عابرة. ومع أن جلّ الدكاكين العائلية مخصص للمواد الغذائية فإن المدينة معروفة بسوق الأحد الذي يعدّ أحد أهم الأسواق الوطنية للماشية، ويتوزعها على أكبر مدى الألبسة المستعملة القادمة من ميناء الناظور، إضافة إلى ازدهار الاقتصاد الموازي المرتبط بتجارة التهريب.

أمّا النشاط الموالي من حيث عدد المشتغلين به فيهمّ الخدمات العمومية المتنوعة التي تتميز بأهمية خاصة لقطاعي التعليم والإدارة العمومية بعد تقلص عدد الجنود بالشكنة عقب انتقال الحامية إلى غرسيف بعد سنة 1975. ذلك أن المدينة تتوفر على ست مدارس وأربع إعداديات وثانوية (1981) ومدرسة للتكوين المهني، وتعتبر أيضاً بلدية ومقر جماعة ودائرة. ومن المحتمل أن تظل كذلك بعد إنشاء إقليم بركان - تاويريرت سنة 1994 الذي تحتضن المدينة الأولى مقره. وأمّا الصناعة بشطريها فتأخذ مكانة لا يستهان بها. بالإضافة إلى الوحدات الصغيرة للصناعة التقليدية وللإصلاحات، قد تمّ إنشاء مجمع تقليدي نظراً لوفرة المادة الخام من صوف وجلد، وبعد تدهور مصنوعات الحداء والحلفاء على إثر انتهاء تجميع وتصدير المادة الأخيرة إلى الخارج سنة 1981. كما تمّت عصرنه ست وحدات لتصبير الزيتون من بين 17 وحدة. وأهم مؤسسة صناعية تشغل ما بين 250 و600 عامل حسب الفصول تتمثل في معمل تصبير وتصدير السمك الذي عوّض سنة 1984 معمل تصبير النبورة.

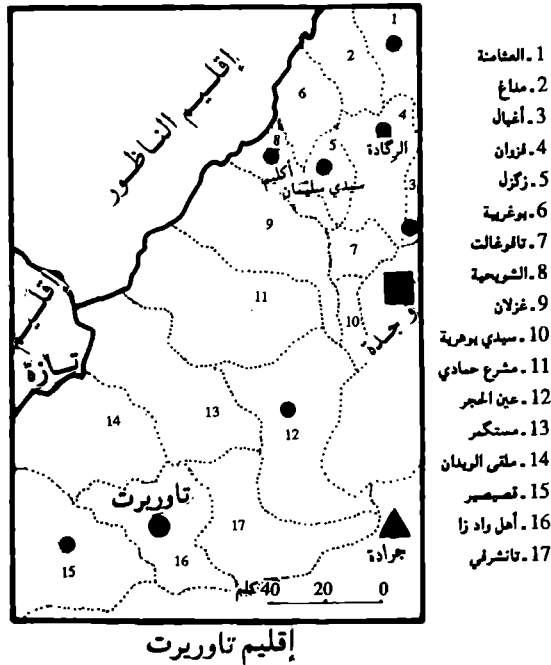
أخيراً تتوفر المدينة على خدمات متنوعة بعضها من النوع النادر محلياً (قاعة سينما وخمسة أبناك وفندق من

صنف ثلاثة نجوم). ويشغل قطاع الخدمات حوالي 10٪ من السكان النشيطين.

كما تجدر الإشارة إلى أن جزءاً من السكان يزاولون الفلاحة بوادي زا الذي توجد على مدرجاته دائرة مسقية متعدّدة المزروعات تبلغ مساحتها حوالي 4000 هكتار بناحية مدينة تاويريرت.

\* إقليم بركان - تاويريرت، إقليم إداري فتيّ أحدث في بداية سنة 1994 لمّا انبثق عن إقليم وجدة، كما هو الشأن بالنسبة لإقليم جرادة، وعندما أنشئت ولاية وجدة التي صارت تتألف من هذين الإقليمين إضافة إلى إقليم وجدة - أنكاد.

يضمّ إقليم بركان - تاويريرت سبع عشرة جماعة قروية وثمان جماعات حضرية. ويتكوّن من شمال دائرة تاويريرت السابقة، بعد أن انشطرت بعض جماعاتها القروية إلى قسمين بتاريخ 30 يوليوز 1992. حيث تفرعت جماعة القيطير، إلى جماعتي ملقى الويدان والقطيطير، وجماعة العاطف إلى جماعتي أولاد محمد والعاطف. أمّا الجماعات الجنوبية التي ألحقت بإقليم جرادة فهي سيدي علي بلقاسم وسيدي لحسن والعاطف وأولاد محمد بالإضافة إلى جماعة دبدو الحضرية. كما يتكوّن الإقليم من دائرة بركان السابقة بأكملها، بعد أن عرفت بعض جماعاتها القروية نفس التقسيم: مداغ (العنامنة ومداغ) وأكلميم (بوغربية والشويحية) وتافوغالت (سيدي بوهريه وتافوغالت).



ينقسم إقليم بركان - تاويريرت إلى ثلاث مناطق متوازية وواضحة المعالم. تشمل الوحدة الجنوبية أحواضاً واسعة حول مدينتي تاويريرت والعيون تمتدّ من نهر ملوية إلى سهل

**تاوَزَاكُت**، اسم يطلق على الجبل الذي يوجد في أسفله منجم معدن إميذر أو إميضر للفضة، على السفح الشمالي لجبل صغرو من بلاد تُدغَة بإقليم ورزازات على بعد حوالي مائة وخمسين كيلومترا شرقي هذه المدينة. ومعنى هذا الاسم : العُرف وهو ما يشبه الجبل المذكور.

تشهد الدلائل الأثرية على استغلال مكثف. لهذا المنجم منذ القرن الثاني (8 م). وقد أكد أوسطاش D. Eustache على أهمية منجم الفضة هذا أيام الأدراسة ووجود عملة إدرسية فضية ضربت في تدغَة. ويبدو أنه حصل اتفاق بين الإمارة الخارجية في تدغَة والدولة الإدرسية لتزويدها بالنقود التي كانت تضرب في تدغَة ويمعدن الفضة الذي كان يحول إلى نقود في ويلي، وذلك فيما بين عام 175 وعام 200 هـ.

ويمكن بعد ذلك يحيى بن إدريس الثاني حوالي عام 223 / 837 من السيطرة على منجم تاوَزَاكُت فعدت الدولة الإدرسية تراقب وتشغّل منجم الفضة بشكل مكثف. وحسب الرواية الشفوية تم إعادة اكتشاف مناجم تاوَزَاكُت عن طريق الصدفة من طرف الرعاة سنة 1950، إذ سقط أحدهم في منجم وعثر على أدوات قديمة للاستغلال وتم إخبار السلطات في ذلك الحين - فبدأت الدراسات وتمت به أشغال بحث ودراسة أولية لتقدير الاحتياطي وضبط أهميته، وبدأ بعد الاستقلال استغلال معدن الفضة هذا من طرف شركة معادن إميضر.

دراسة ميدانية ورواية شفوية.

عبد القادر بوراس

**تاوانات**، - جغرافيا - تقع تاوانات في الجزء الأوسط من منطقة الاتصال بين جبال الريف شمالا وما يُدعى بتلال مقدمة الريف جنوبا، وتشغل قمة تل يناهز علوه 660 م فوق مستوى سطح البحر. وتجزأ هذا المرتفع تحت تأثير التعرية المائية إلى مجموعة قمم متفاوتة الحجم، تشرف على منخفضات تتجه نحو أودية عميقة أهمها واد ورغَة جنوبا ورافده واد أسرا شرقا، وهذه الخصائص الطبوغرافية للموضع الذي استقرت به نواة المدينة يشكل عرقلة أمام التوسع العمراني بها.

ويحكم الموقع الداخلي توجد تحت هيمنة مناخ قاري يتسم عموما بالحرارة المفرطة صيفا والبرودة القارسة شتاء، أما كميات الأمطار التي تتباين من سنة إلى أخرى فإن معظمها يتهاطل خلال فصلي الشتاء والربيع بمعدل سنوي يقدر بحوالي 600 مم.

اقتربت نشأة مدينة تاوانات ونموها بدخول الاستعمار الفرنسي لمناطق ورغَة العليا والوسطى في أوائل العقد الثالث من القرن الحالي، وذلك على حساب أطماع الاستعمار الإسباني في هذه المناطق. ففي بداية سنة 1924 تدخل جيش الاحتلال الفرنسي بشكل مسلح عنيف للتصدي للمقاومة الشديدة التي واجهها من لدن القبائل التي تقطن ضفاف ورغَة وأهمها قبائل صنهاجة ومرنيسة ومتيوة وبنو

أنكاد بدون حاجز تضاريسي، وتشرف عليها جنوباً جبال جرادة وشمالاً جبال بني إزناسن. نظراً للمناخ السائد شبه الجاف، يعتمد سكان الأرياف على زراعة الحبوب المتقطعة والخفيفة وبالخصوص على الرعي التكميلي للأغنام الذي يتخذ طابعاً انتجاعياً في الجهة الغربية. وعلى الزراعة المسقية المتعددة المحاصيل في بعض القطاعات الصغيرة قرب العيون وعلى طول نهر ملوية ورافده واد زَا. في هذه الظروف تعرف الهجرة القروية إلى العيون وتاوريرت وتيرة سريعة. كما تسجل المدينة الأخيرة تضخماً كبيراً لايساير نمو وظائفها وأنشطتها التي تركز على التجارة والخدمات أساساً. أما معمل الإسمنت قرب العيون فهو قليل المردود عليها.

تتوسط الإقليم وحدة ثانية مكونة من جبال بني إزناسن التي تكتسي صبغة جبلية ضخمة رغم ارتفاعها الأقصى المتوسط (1500) بسبب إشرافها على منخفضات ولا سيما في الواجهة الشمالية الأقرب إلى البحر. ونظراً لوعورة التضاريس ولأهمية المساحات الغابوية علي القمم والسفوح فإن الحياة البشرية والاقتصادية قد ورثت ارتباطاً بالأودية، حيث يمارس تكامل الرساتيق اعتماداً على الزراعة المسقية المتنوعة.

وأخيراً ينبسط سهل تريفَة من أقدام جبال بني إزناسن إلى البحر على مساحة متقلصة نسبياً، ولكنها تعدّ من القطاعات المسقية الكبرى في المغرب. وتتميز بزراعات تسويقية وصناعية متنوعة أهمها الحوامض . بل حتى هوامش السهل تعرف زراعة كثيفة نسبياً نتيجة توفر مؤهلات زراعية ملائمة ؛ مما يخلف كثافة سكانية مرتفعة. وباستثناء مدينة السعيدية التي يرجع نموها أساساً إلى السياحة فإن باقي المدن الأخرى تستمد بروزها وحيويتها من النشاط الفلاحي ؛ إذ ارتقت سنة 1992 ثلاثة مراكز إلى صف البلديات (عين الرگادة وسيدي سليمان الشراعة وأكلميم) وعرفت مدينة أحفير انتعاشاً جديداً وتوسّعت مدينة بركان بشكل سريع. وتحتضن هذه الأخيرة جلّ الصناعات الغذائية والخدمات والمصالح الإدارية الحديثة. وهذا يؤهلها لكي تصبح بحق قطباً إقليمياً.

وثائق مصالح دائرة تاوريرت ؛ ولاية وجدة، رسم توضيحي لولاية وجدة.

Plan d'Aménagement, Taouirt Ahl Oued Za, Province d'Oujda, Ministère de l'Intérieur, Juin, 1992.

مصطفى عباد

\* \* وهناك قصبَة تاوريرت بمدغرة تافيلالت تقع جنوب الراهدية وتبعد عنها بحوالي سبعة كيلومترات على يمين الطريق الرابطة حالياً بين الراهدية والريصاني وعلى الضفة اليسرى لوادي زيز. وقد سكنها منذ القرن العاشر (16 م) أولاد الشريف علي بن طاهر بن الحسن وبنوعمهم.

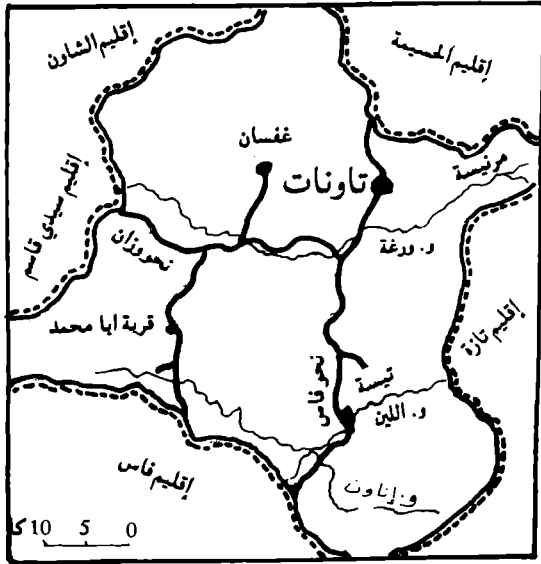
أ. الولالي، مباحث الأنوار، 401 : القادري، الدر السني، 54 ؛ إ.

الفضلي، الدرر البهية، 1 : 231.

عبد العزيز بو عصاب

وعموما فان مدينة تاونات التي لاتتوفر على مؤسسات إنتاجية من شأنها أن تعطي دينامية للاقتصاد المحلي، ولاتتوفر مجالاتها الخلفية على فلاحية مزدهرة، فضلا عن مشكل الموضع الذي لا يسمح بالتوسع العمراني، فإن آفاق نمو هذه المدينة اقتصاديا وسكانيا وحضريا تبدو محدودة في ظل الظروف العامة الراهنة وذلك رغم ترقية المدينة إلى عاصمة إقليم إداري على حساب مراكز أخرى كانت تطمح إلى ذلك وخاصة قرية أبا امحمد. ورغم أن التقسيم الجماعي الجديد لسنة 1992 صنف تاونات ضمن الجماعات الحضرية.

\* \* أحدث إقليم تاونات سنة 1977 وأصبح نفوذه الإداري يشمل مجالات جغرافية كانت في معظمها تابعة لإقليم فاس، وهي مجالات عرفت تعميرا قديما من قبل وحدات بشرية متعددة أهمها قبائل الحباينة وصنهاجة وبنو زروال وشاركة. وهكذا أصبح الإقليم الإداري لتاونات يمتد على مساحة تقدر بحوالي 5.585 كلم<sup>2</sup>، يحده شمالا إقليم شفشاون والحسيمة، وشرقا إقليم تازا، وغربا إقليم سيدي قاسم، وجنوبا إقليم فاس.



إقليم تاونات

ويضم إقليم تاونات على صعيد التنظيم الإداري أربع دوائر هي دوائر غفساي وقرية أبا محمد وتيسة وتاونات. ومقتضى المرسوم المتعلق بالتقسيم الجماعي الجديد الصادر في 28 من ذي الحجة 1412 / 30 يونيو 1992 فإن عدد الجماعات القروية بإقليم تاونات قد انتقل من ثلاثين إلى أربع وأربعين جماعة قروية، كما ارتقى كل من مركز تاونات ومركز قرية أبا محمد إلى مصاف الجماعات الحضرية.

خضع الإطار المجالي لإقليم تاونات لتطور جيومورفولوجي طويل أفضى إلى وجود أشكال طبوغرافية تطفئ عليها التلال الطفلية التي يتراوح ارتفاعها عموما

زروال، وهي قبائل ظلت في مواجهة مستمرة مع المحتل الأجنبي وقدمت كل أوجه الدعم والمساندة للمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في كفاحه ضد الاستعمار الإسباني بجبال الريف. ولتدعيم مواقفه الاستراتيجية بحوض ورغة العليا والوسطى قام جيش الاحتلال الفرنسي ببناء ثكنات عسكرية في كل من ظهر السوق وبنو وليد والورتزاغ... إلا أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية وجدت في موقع تاونات أنجع نقطة للسيطرة على المنطقة كلها، لكون هذا الموقع عبارة عن مرتفع يتوسط حوض ورغة ويساعد على مراقبة تحركات قوات المقاومة. ولذلك فإن الثكنة التي شيدت به كانت من أكبر الثكنات بمقدمة الريف. وحول هذه الثكنة انطلق تعمير مركز تاونات ببطء طيلة فترة الاستعمار، لكنه عرف انتعاشة قوية مع بداية عهد الاستقلال خاصة مع تشييد طريق الوحدة في النصف الثاني من الخمسينيات لربط تاونات بالحسيمة عبر كتامة. وقد ساهمت هذه الطريق في فك العزلة التي فرضها الاستعمار بين جبال الريف والمناطق التي تجاورها من جهة الجنوب. وبذلك أصبحت تاونات مركز عبور أساسي نحو مدن وبادي الأقاليم الشمالية انطلاقا من مدينة فاس، الأمر الذي انعكس على الرواج التجاري بتاونات، حيث تزايد عدد المتاجر والمقاهي حول الطريق المؤدية إلى الشمال مكونة المركز التجاري للمدينة.

وعرفت مدينة تاونات طيلة العقدين الأخيرين نموا ديمغرافيا متسارعا قل نظيره في المدن المغربية الصغرى، إذ انتقل عدد سكانها الاجمالي من 3101 ن سنة 1971 إلى 10.836 سنة 1982، مسجلة بذلك نسبة تزايد سنوي قياسية يناهز 12٪. وهذه الزيادة لا ترتبط بدنامية اقتصادية جديدة بقدر ما ترتبط بارتقاء المدينة سنة 1977 إلى مستوى مقر إقليم إداري وما رافقه من استقرار مجموعة من مندوبيات مختلف الوزارات بالمدينة وتوافد بعض العمال بالخارج الذين ينحدرون من جهات مختلفة بمقدمة الريف للاستقرار بالعاصمة الإدارية الجديدة للإقليم، الأمر الذي جعل قطاع البناء يشهد حركة قوية قصد الاستجابة لحاجيات السكن الجديدة، مما أدى إلى ارتفاع مفاجئ في ثمن الأرض نتيجة المضاربة العقارية التي استفادت من ندرة الأراضي الصالحة للبناء بفعل الخصوصيات الطبوغرافية المحلية.

وفي غياب تصميم للتهيئة المعمارية، راح البناء العصري ينتشر بشكل عشوائي داخل الدواوير المجاورة للمركز التجاري للمدينة وعددها تسعة دواوير أهمها : الدمنة، القلعة، حجر دريان، حجر المطاحن، الدشيار. وهذا التوسع العمراني يتم في ظل عجز كبير في شروط التطهير وباقي التجهيزات العمومية من إنارة وطرق معبدة ومرافق تعليمية وصحية، حيث لا تتوفر المدينة إلا على أربع مدارس ابتدائية وإعداديتين وثانوية ومركز للتكوين المهني ومستشفى واحد لا يحتوي إلا على ستة وأربعين سريرا رغم أن المرضى يقصدونه من مختلف أنحاء الإقليم.



ما بين 400 و800 م فوق مستوى سطح البحر، وتمتد ما بين واد إناون جنوبا وواد ورغة شمالا، وهي جزء مما اصطلاح على تسميته بتلال مقدمة الريف، في حين يطفى الطابع الجبلي على الهوامش الممتدة شمال واد ورغة حيث يتجاوز علو بعض القمم 1800 م فوق مستوى سطح البحر.

يهيمن على إقليم تاونات المناخ المتوسطي المتسم بالحرارة المفرطة والجفاف صيفا والبرودة الشديدة والرطوبة شتاءً، لكن هناك عوامل خارجية أهمها انفتاح الإقليم على المؤثرات المحيطية غربا وعلى المؤثرات القارية عبر مر تازا شرقا، وأخرى محلية كالارتفاع وانتشار بعض المساحات الغابوية في الاجزاء الشمالية، تجعل المناخ متذبذبا في نظامه العام ومتباينا على صعيد مختلف أنحاء الإقليم. فمثلا إذا كان تهطل الأمطار بالأجزاء الجنوبية ما بين تيسة شرقا وقربة أبا محمد غربا يقع في حدود 500 مم موزعة على 65 يوم مطر كمعدلات سنوية، فإن الأجزاء الشمالية حول واد ورغة تستقبل 904 مم موزعة على 80 يوم مطر كمعدلات سنوية، يتركز معظمها في فصلي الشتاء والربيع، وغالبا ما يكون تهطل هذه الأمطار مركزا وعنيفا مما يؤدي إلى حدوث بعض الأضرار المتمثلة أساسا في تحطيم أجزاء من المسالك والطرق وانجراف التربة واقتلاع بعض الأشجار وجرفها نحو أهم أودية الإقليم وهي إناون واللبن، وخاصة ورغة الذي يرتفع صبيبه في بعض الفترات المطيرة من الشتاء والربيع إلى ما يربو عن 10.000 م<sup>3</sup>/ث، الأمر الذي ينجم عنه فيضانات خاصة بسهل الغرب بعد انضمام حمولة واد ورغة إلى حمولة واد سبو. لذلك شرعت الدولة منذ سنة 1971 في التخطيط لبناء سد من الحجم الكبير على واد ورغة بموقع المجاعة، على الحدود بين إقليم تاونات وإقليم سيدي قاسم، لتكون إحدى مهامه الأساسية : تعديل نظام تصريف واد سبو، ومن ثم الحد من فيضاناته، إلا أن شروط بناء هذا السد لم تنهيا إلا بعد عقدين من الزمن حيث تم البدء في أشغال تشييده سنة 1991 باسم سد الوحدة.

كما أن التهطل المركز والعنيف للأمطار بجبال الريف وهوامشها الجنوبية وما يترتب عنه من مشاكل على صعيد التربة والطرق الخ.. كان وراء استفادة الأجزاء الشمالية لإقليم تاونات من منجزات ما سمي بمشروع تنمية الريف الغربي "ديرو" الذي شرع في تنفيذه في أواخر الستينيات، وكان من أهدافه الرئيسية محاربة انجراف التربة عن طريق التشجير، ثم تحسين دخل الفلاحين للحد من هجرتهم، خاصة الشباب منهم، وذلك عن طريق إحداث تعديلات في استعمال التربة للأغراض الزراعية والرعية وفتح أورايش للعمل ذات طابع موسمي، لكن تنفيذ هذا المشروع لم يحقق كل الأغراض المتوخاة منه على صعيد إقليم تاونات لأنه لم يتضمن برنامجا متكاملا لتحسين الظروف العامة التي يتم فيها الإنتاج الفلاحي مثل إجراء تعديلات في الهياكل العقارية المطبوعة بالتنوع والتفاوت الكبير في حجم ملكية

الأرض الفلاحية، ثم تطوير البنيات الاقتصادية الأساسية وتحسين الخدمات الاجتماعية وخلق مناصب شغل دائمة الخ.. خاصة وأن الوضع الديمغرافي لإقليم تاونات يتسم بأهمية نمو عدد السكان الذي انتقل من 449.912 نسمة سنة 1971 إلى 535.972 نسمة سنة 1982، لا يمثل الحضريون منهم الا زهاء 4٪، مع الإشارة في هذا الصدد إلى أن توسيع تيار الهجرة من الإقليم يحد من حجم النمو السكاني، حيث أظهرت بعض الأبحاث بأن 40٪ من الأسر بإقليم تاونات لها فرد أو أكثر يوجد في حالة هجرة، وأن 80٪ من هؤلاء المهاجرين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و25 سنة، وأن أبرز دوافع هذه الهجرة هي البطالة ونقص التشغيل وعدم توفر الأسرة على أرض فلاحية أو توفرها على أرض لا يكفي استغلالها لتلبية حاجيات أفرادها الأساسية.

إن فقدان إقليم تاونات لجزء من سكانه وخاصة منهم الشباب لا يعني أنه إقليم فقير من حيث الموارد الاقتصادية، خاصة وأن هذه الأخيرة، من الناحية النظرية، ليست مطلقة ولكنها تخلق. فإقليم تاونات، فضلا عن ثرواته البشرية يتوفر على مؤهلات طبيعية هائلة، وفي مقدمتها الموارد المائية ومساحات ذات تربة غنية... إضافة إلى امكانياته السياحية المهمة وخاصة بالأجزاء الشمالية من الإقليم كجبل أودكا قرب غفاسي، وكبلاد صنهاجة الظل شرق مدينة تاونات، بعينها الغزيرة وخاصة عين بوعدل، وبساتينها ذات الأشجار المثمرة الكثيفة خاصة بمنطقة بني قره.

ولكن رغم ما يحتضنه إقليم تاونات من ثروات بشرية وامكانيات اقتصادية وغيرها، فلا يزال يعاني من قلة النمو على عدة مستويات، إذ كان ولا يزال ينظر إليه من زاوية التخطيط وإعداد التراب الوطني بمثابة العمق الاستراتيجي الذي يزود السهول الغنية المجاورة كسهل الغرب والأقطاب الحضرية الكبرى كفاس والدار البيضاء بالماء واليد العاملة وبعض المنتجات الفلاحية ولاسيما زيت الزيتون، دون أن يستفيد من استثمارات اقتصادية وبشرية من شأنها أن تشكل عامل تحول إيجابي لتنمية الإقليم اقتصاديا واجتماعيا، ومن ثم العمل على الحد من الهجرة الكتلية التي تعتبر بمثابة نزيف مافتئ يعاني منه إقليم تاونات.

تحريرات ميدانية : نتائج إحصاءات السكان لسنتي 1971 و1982 ؛  
مديرية الإحصاء، النشرة الإحصائية السنوية للمغرب، الرباط،  
1990.

G. Lazarev, Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaina, R.G.M., n° 9, 1966 ; Ressources en eau du Maroc, T. 1, Rabat, 1971 ; M. Ennaji, L'émigration rurale intérieure : causes et incidences, Actes du colloque "Population et développement rural", Rabat, 1989.

المختار الاكل

**تاونات**، - تاريخ - مدينة على ضفاف وادي سبو شمال فاس. وكلمة تاونات أمازيغية ذات أصل مصمودي، يظهر أنها انصهرت في اللهجتين الصنهاجية والزناطية، وهي

تعني الصعود أو الصعدة، وتتطابق مع وعورة التضاريس. والأماكن التي يطلق عليها اسم "تاوانات" هي :

(1) تاوانات المدينة، مقر عمالة الإقليم. (2) تاوانات لقشور، وهو تجمع سكاني صغير يقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً من المدينة يمين طريق الوحدة المؤدية نحو كتامة والحسيمة. (3) تاوانات لوطا، وهو تجمع صغير يقع شرق مدينة تاوانات، ويخضع إدارياً لسوق سبت متيوية (بوهدة).

أغلبية سكان منطقة تاوانات مزيج من أصل عربي - بربري (مؤنوغرافية تاوانات، ص 1) إلا أنه من الصعب تحديد تاريخ وظروف استقرار مختلف التجمعات البشرية بهذا الإقليم الشاسع الأطراف، المتنوع الأصول، وقد وفدت كل من قبيلة بني زروال وقبائل شراكة من الشرق عبر الجزائر سعياً وراء استغلال الأراضي الفلاحية التي كان يملكها سيدي محمد (فتحا) بن الحسن صاحب الضريح الشهير، كما توافدت جماعات أخرى من مناطق سوس على إثر غزو مولاي إدريس للمنطقة سنة 175 هـ، كما وفدت قبائل بني ورياغل وبني عمار وصنهاجة من الريف. والثابت أن المرتفعات الوسطى من سلسلة جبال الريف، عرفت وجود عناصر صنهاجية منذ زمن عريق في القدم، لا يعرف تحديده ولو بصفة تقريبية، غير أنه من المؤكد أن القادة الأولين لفتوح الاسلامي وجدوا صنهاجة في طليعة قبائل المنطقة (العبر، 6 : 282). وقد وردت الإشارة إلى وجود هذه العناصر الصنهاجية في البكري في غير ما موضع من المسالك، كما أشار إلى عناصر قبيلة أوربة التي ماتزال على ضفاف نهر ورغة، وذلك مثل رغبة ومزيات، وهم في مجاورة صنهاجة (البحث العلمي، 27 : 203-204) وباستثناء قبيلة سي سليمان التي تندرج ضمن صنهاجة الشمس، فإن تجمعات أولاد إزم وبني قررة وعين مديونة وبوعادل تصنف ضمن صنهاجة الظل. وتسكن الضفة اليسرى لنهر ورغة عناصر صنهاجية وقبائل مختلطة مثل الحياينة وشراقة (أو شراكة) (البحث العلمي، 27 : 211).

أشهر قبائل منطقة تاوانات خمس : (1) بنو وليد، وهو تجمع قديم ورد له ذكر في كتابات البكري وابن خلدون والوزان، ولأن هذا الأخير جعلهم من إخوة مرنيسة النفازيين. وقد عرف هذا التجمع سعة في أرزاقه المعيشية وكثرة قراه.... (البحث العلمي، 27 : 212). (2) مزاوة، قبيلة صغيرة من قبائل صنهاجة ورغة، موقعها الحالي فيما بين لجاية ومزيات الأوريتين على الضفة اليمنى لوادي ورغة الذي يفصلها عن قبيلة سلاس. وقد كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى قبل الانتقال إلى حوض ورغة على عهد المرابطين، حسب ما يظهر. وقد ورد ذكر هذه القبيلة منذ القرن السادس في كتاب المقتبس من كتاب الأتساب للبيدق (ص. 45-46). كما ورد ذكرها في كتاب العبر لابن خلدون (6 : 195). (3) سلاس، وهي قبيلة متوسطة من قبائل صنهاجة ورغة، كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى، قبل الانتقال

على عهد المرابطين على ما يظهر، وهي من جماعة هنكافة مثل مزاوة وفشتالة (البحث العلمي، 27 : 212). ويقال إنهم وفدوا من الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي. (4) فشتالة (أو إيفشتالز)، وهو تجمع صنهاجي يقع حالياً على الضفة اليسرى لورغة، يضرب بعروقه القديمة إلى جماعة هنكافة، إحدى التجمعات الكبرى لصنهاجة القبلة. والظاهر أن وصول الفشتاليين إلى منطقة ورغة كان قد تم على عهد المرابطين ضمن زحف إخوانهم من قبائل الجنوب، ومن أبرزهم لطمة الذين كانوا يشنون الغارات على هاته النواحي مما حدا بعامل المرابطين إلى تأسيس حصن بني تاودا الذي تحول اسمه بعد تحطيمه على يد الموحدون إلى اسم فاس البالي لسبب غير واضح، وهذا الحصن واقع قرب حصن آخر قديم بجبل أمرگو الذي صار يحمل بدوره اسم مولاي بوشتي الخمار. (5) بني ورياغل (بالجيم المعقودة)، وهي قبيلة صغيرة على الضفة اليمنى لنهر ورغة فيما بين الريفين : أولاي وأوضور، وقد ورد ذكر القبيلة عند ابن خلدون، ويصفهم الحسن الوزان بأنهم أقرباء شجعان بطبيعتهم، وهم في عداة مستمر مع جيرانهم بني زروال. ومن ضمن فرقهم بنو كيسان وجباله وتافرنوت وتازارين ودرادر والهاوتة (البحث العلمي، 27 : 214).

مهما كان أصل هذه القبائل صنهاجياً فإنها تعربت تماماً منذ ما يزيد عن سبعة قرون، وصارت تتحدث بلهجة من لهجات اللسان العربي الدارج المعروف بلهجة جباله، ذات الرطانة الخاصة التي يميزها نطق حرف الضاد طاءً. يضاف إلى ساكنة تاوانات، بنو سنون، الشرفاء الحسينيون.

أ. البيدق، المقتبس من كتاب الأتساب في معرفة الأصحاب، الرباط 1971 : ع. ابن خلدون، العبر، ج 6، طبعة الجزائر : ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ط 1، م. حجي وم. الاخضر، الرباط 1980 : التقي العلوي، أصول المغاربة، القسم البربري - صنهاجة الشمال - البحث العلمي، عدد 27 - 1977 : م. شفيق، في أن أسماء الأماكن في المغرب أمازيغية، البحث العلمي، عدد 27 : مؤنوغرافية عمالة إقليم تاوانات، ماي 1991.

الحسين البعاري

\* \* أسهمت تاوانات في المقاومة المسلحة وانتقلت إلى مقدمة الأحداث إبان الحرب الريفية التحررية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية، وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي الهام في مقدمة الريف على الطريق المؤدية إلى فاس. فبعد معركة أنوال سنة 1921، عرفت المواقع الإسبانية في شمال المغرب انهياراً، وأخذ البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي يحرر المنطقة الشمالية بحيث لم تصل سنة 1925 حتى أصبحت هذه المنطقة باستثناء الحصون العسكرية الصغيرة في ضواحي سبتة ومليلية والعرائش وطنجة تحت سيطرة جيش ابن عبد الكريم.

أريك هذا التطور الإقامة العامة الفرنسية التي كانت تتابع بقلق كبير الهزائم المتوالية للجيش الاسباني، لهذا

طريق البر انطلاقاً من الجزائر وعن طريق البحر انطلاقاً من مارسيليا لتصل إلى ميناء الدار البيضاء. والملاحظ أنه في هذه المرحلة الثانية من الحرب الريفية ونضال محمد بن عبد الكريم الخطابي، لم يكن الفرنسيون يواجهون الريفيين وحدهم بل كانوا يواجهون أيضاً قبائل بني زروال وبني مستارة وسائر قبائل حوض إناون، ويقذف الفرنسيون إلى المعركة بحشود هائلة من السنغاليين والهنود الصينيين واللفيف الأجنبي وسائر المرتزقة بقيادة عليبة الضباط الاستعماريين المصابين بحمى المغامرة والفتح والترقيات السريعة في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

أسفرت هذه الحرب عن عزل المقيم العام ليوطي يوم 17 شتنبر 1925 وتعيين تيودورستيغ Th. Steeg مكانه. لتطبيق خطة القيادة الاستعمارية التي تميل إلى استعمال حرب الإبادة ضد المقاومين المغاربة.



تاوانات

بريشة ضابط الشؤون الأهلية ج. تيوفيل دولاي J. Théophile Delay. وقد تمكنت القوات الاستعمارية من استرجاع تاوانات خلال صيف 1925 وكذلك المراكز المحيطة بها. واتخذها الجنرال بيلوط Billotte مركزاً لقيادته في اتجاه الريف. ورغم التحصينات التي أقامها الاستعمار في تاوانات وضواحيها ظلت تتعرض باستمرار للهجمات، غير أن جيش الاحتلال لم يتورع، لأجل كسر شوكة المقاومة، من استعمال كل وسائل الدمار كإحراق الغلات وتسميم المياه. ومع ذلك لم يتمكن الاستعمار من السيطرة النهائية على تاوانات والمراكز المحيطة بها إلا في نهاية ماي 1926. وقد حولت الإقامة العامة تاوانات إلى دائرة عسكرية تابعة لمنطقة فاس، وأقامت بها حاميات قوية، إلا أن ذلك لم يمنع تاوانات من القيام بدور فعال أثناء اندلاع المقاومة المسلحة من جديد خلال سنوات 1954 و1955، وكانت من أهم مراكز التنسيق بين أعضاء جيش التحرير والمقاومة في مقدمة الريف.

ميكيل مارتيل، الاستعمار الإسباني في المغرب 1860. 1956. تر. ع. لودي، منشورات التل، الرباط 1988؛ جورج أوفيد، اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905. 1955. تر. محمد الشريحي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال الرباط 1988.

Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris 1939; J. Saulay, *Histoire des goums marocains*, Tome I, Paris, 1986; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935, *Revue de l'Aviation Française*; *Le Mémorial du Maroc*, Tome 5, *Revue Icare* n° 121 (1981), *Salon de l'année 1907 : la guerre du Rif*, pp. 50 - 105.

عبد القادر بوراس

سارعت منذ سنة 1924 إلى تحصين مواقعها في مقدمة الريف وتعزيز حامياتها العسكرية من حوض ملوية السفلى شرقاً إلى أعالي حوض ورغة غرباً. وكانت تاوانات قاعدة عسكرية متقدمة حيث أمر المقيم العام ليوطي القوات الفرنسية بالتمركز على الخصوص بتاوانات وتافرانة ولو اقتضى الأمر التخلي على المراكز الأخرى. وأسندت قيادة تاوانات للعيد "بارباصا Barbassant" يساعده المقدم "سان جوليان Saint Julien" بينما كلف الكولونيل فريدينبرغ Freydenberg بتنسيق العمليات العسكرية في المنطقة حيث أقام مركز قيادته بعين عيشة.

ومع بداية سنة 1925 أعلنت قبائل بني زروال الواقعة في أعالي حوض ورغة الانضمام إلى الثورة الريفية فوجدت فرنسا الذريعة للدخول إلى الحرب، ذلك أن الاتفاق بين إسبانيا وفرنسا على إثر توقيع معاهدة الحماية ينص على تقسيم قبائل ورغة إلى قسمين، شمالها للإسبان، وجنوبها للفرنسيين. وطالما ندد محمد بن عبد الكريم الخطابي بهذا التقسيم التعسفي في تصريحاته العديدة.

أدرك ابن عبد الكريم النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي فقام خلال ربيع 1925 بكنس النفوذ الفرنسي في المراكز التي حصنها سنة 1924 خاصة تاوانات وأسطار وأسكار وتافرانة وعين مديونة... وكبد الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح، وتدخلت الطائرات الاستعمارية مغيرة على المداشر والقرى الأهلة بالسكان، ووضع جيش الاحتلال عدداً كبيراً من الأسراب رهن إشارة الغزاة تقوم بطلعات متعددة المرامي، منها الطلعات الاستطلاعية لرصد تحركات المقاومين وتحديد مواقعهم، وأخرى لقبلة السكان، وثالثة لإحراق الغلات، ورابعة لتزويد الجيوش الاستعمارية المحاصرة بالمؤونة والمواد الغذائية. ورغم عدم توفر المقاومة المغربية على طيران بالمقابل، وعدم وجود نظام للدفاع ضد الغارات الجوية، كان التحليق فوق المقاومين يعرض الطيارين الفرنسيين وطائراتهم للدمار والقتل.

وأمام تأزم وضعية الجيوش الفرنسية ألفت فرنسا بأكبر عدد من الجيوش لم يسبق لها أن استعملتها في حرب من حروبها الاستعمارية، وأحكمت التنسيق العسكري مع إسبانيا التي خارت قواها. فأخذ الصراع يتجه إلى حرب حقيقية بين القبائل المتحالفة مع الزعيم الريفي والقوات الاستعمارية الفرنسية الإسبانية.

وقبل شن الحرب العدوانية على الريفيين قام وزير الحربية الفرنسي بانلوفي Painlevé في يونيو 1925 بزيارة تفقدية لمقدمة الريف وزار تاوانات المحاصرة التي استرجعتها القوات الفرنسية مؤقتاً ثم حررها من جديد المقاومون. وقد مكنت هذه الزيارة الحكومة الفرنسية من تقييم الوضعية واستخلاص النتائج.

وهكذا عين الجنرال نولان Noulin كقائد عام للعمليات العسكرية كما نودي على بيتان Pétain للقيام بدور المنسق. وفي نفس الوقت وصلت الإمدادات العسكرية الضخمة عن

**تاووتّي**، هكذا رسمت الكلمة في المصدرين اللذين وردت فيهما، وهما كتاب *التشوف*، 304-313 لابن الزيات التادلي، وكتاب القاضي ابن عبد الملك *الذليل والتكملة*، سفر : 170.8 " ولم يشر محققا الكتابين إلى وجود رسم مخالف في نسخ المقابلة.

والكلمة أمازيغية تنطق حسب قراءة الأستاذ أحمد التوفيق لها بتاء مثناة، بعدها ألف مد، وأو مشددة مضمومة بعد واو مد، وتاء مثناة مكسورة بعدها ياء مد. وهي علم على موقع جغرافي يقع قرب مراكش نعتة ابن الزيات بالقرية ( *التشوف*، 304)، وأقدم إشارة لذكر هذا الموقع حسب المصادر المتداولة ترجع إلى نهاية القرن السادس الهجري (12 م) عند ابن الزيات، وأشار إليه ابن عبد الملك في القرن السابع الهجري (13 م). لكن في سياق أخبار تعود إلى أواخر القرن السادس وبداية السابع الهجريين (12 م و 13 م). وهذا يفيد أن الموقع يرجع إلى زمن سابق من غير المستبعد أن يبدأ على الأقل مع بداية حكم الموحدين، وهو الأرجح على اعتبار ذكره بالمنطقة قبل هذا التاريخ، ولكون نشاطه الصوفي يبدو هو الآخر غير بعيد زمنياً.

أما من حيث الدلالة، فإن اسم تاووتّي يفيد معنى الضرب أو الحدود ( *التشوف*، 304). ومن الطريف أن الموقع الذي أرجحه كمكان لهذا الاسم، يعرف حالياً تحت اسم *سَقْر*، ودلالة هذا النعت تجعل الجزء والعقاب قاسماً مشتركاً بينه وبين معنى الضرب المشار إليه سابقاً. ومن جهة ثانية فإن معنى الحدود، يجد هو أيضاً ما يدعمه في المكان نفسه. ذلك أن هذا الأخير يوجد في موقع كان فيما يبدو أحد نقط الالتقاء بين مجال قبيلة إيلان شرقاً ومجال قبيلة هزيمة غرباً.

أما فيما يخص تحديد الموقع الجغرافي لتاووتّي، فيفضل إشارة دقيقة وجدت عند ابن عبد الملك، يتبين أن هذا الموقع كان يوجد شمال سور مدينة مراكش من جهة باب فاس - باب الخميس حالياً.. ومن خلال النص التالي لابن الزيات، يمكن الوصول إلى توطين أكثر دقة، يقول : "وحدثني محمد بن سعيد قال : قعدت مع أبي علي في بستان خارج المدينة إلى أن مالت الشمس للغروب. فقلت : لعله يريد البيت في قرية تاووتّي وباب المدينة عازم على أن يغلق. فقال لي : أتطبق الاسراع في الجري ؟ وكان نحيفاً وأنا أقوى منه. فأشفت عليه لضعفه. فما التفت إلا وقد غاب عني. فأجهدت نفسي في الاشتداد إلى أن وصلت إلى باب المدينة وقد سبقني إليه ورغب البواب أن يحبس علي الباب إلى أن أصل. فنظر إلي وهو يبتسم. فدخلنا المدينة وأغلق البواب الباب وقضيت العجب من ذلك" ( *التشوف*، 304-305).

إن معطيات الزمن الموجودة في هذا النص، يمكن أن تسهم في تحديد مكان موقع تاووتّي، ذلك أن أقصى المسافة التي يمكن قطعها بالجري السريع بين المدة الزمنية

الفاصلة بين ميل الشمس للغروب، وغروبها التام يمكن تقديرها بحوالي ثلاث كيلومترات، وهي بالتحديد المسافة الفاصلة بين باب فاس والموقع المسمى حالياً *بَسَقْر*، الذي أرجحه كمكان لتاووتّي. إن الجمع بين الوقت الأول، والوقت الإضافي الذي بقي فيه الباب مفتوحاً بصفة استثنائية في انتظار وصول رفيق الصوفي أبي علي عمر بن علي ابن عبد العزيز الهزرجي، قادها من تاووتّي، يسمح بإمكانية قطع المسافة المذكورة، مع الاسراع في الجري في نطاق شروط تتحكم في هذه السرعة منها نوع اللباس الذي يكون في غالب الأحيان عاتقا، ونوع النعلين، والحالة الصحية للمعني بالأمر.

تسمح المعلومات المتوفرة بعدم استبعاد أن تاووتّي كانت تمثل مركزاً للاستقرار في المجال الريفي القريب من شمال مراكش، ولعل هذا ما يفيدته نعت ابن الزيات لها بقرية ( *التشوف*، 304) ويبدو أنها كانت تتوفر على طاقة سكنية ذات اعتبار وهو أمر تدعمه مجموعة من القرائن منها :

1 - وجود دور بالموقع، ومن الحجم الكبير الذي يستجيب لاستيعاب الجماعات الوفيرة.

2 - اعتباراً لأهمية الامكانيات الفلاحية للموقع، فإن مستوى هذا النشاط يتطلب طاقة بشرية مهمة، من غير المستبعد أنها تشكلت من سكان المنطقة أنفسهم.

3 - اعتباراً لمكانة تاووتّي الصوفية، فقد كانت مقصد المريدين من مجالات مختلفة. يقول ابن الزيات في ترجمته لأبي محمد عبد الحليم ابن اسماعيل الأيلاني الأسود "زرت مرات بداره... يقصده المريدون ويجمعون عنده، فنفع الله به خلقاً كثيراً" ( *التشوف*، 313) إن هذا الحضور البشري بهذا الحجم وإن كان يتميز بعدم الاستقرار الدائم، فإنه يتطلب وجود طاقة سكنية معينة تلبى هذا الإيواء المؤقت.

4 - اعتباراً لوقع تاووتّي في خريطة المسالك والطرق الخاصة بمراكش، يبدو أن هذه الخصوصية الجغرافية، تجعل منها أول مركز استقرار يستقبله القادم من المدينة في اتجاه الشمال، وآخر محطة قبل الدخول إلى المدينة بالنسبة للقادم من الاتجاه المعاكس، وهذه الوضعية تجعلها فيما يبدو ذات وظيفة مركز خدمات ومركز عبور بشري بين مراكش وشمالها القريب والبعيد، وتكون في نفس الوقت الملجأ لقضاء الليل بالنسبة للأفراد والجماعات الذين يصلون إلى المدينة من الشمال بعد أذان المغرب.

ومن غير المستبعد أن منطقة تاووتّي كانت تشكل جزءاً من المساحات المسقية الفلاحية التي تم إحداثها خلال القرن السادس الهجري (12 م)، وتدخل ضمن البساتين التي نشأت خارج أسوار المدينة زمن حكم الموحدين، ولعلها كانت تمتد بين بحيرة يطّي جنوباً ( *البيان*، قسم الموحدين، 434) وتاقبقت شمالاً ( *أخبار المهدي*، 63).

وإذا أفادت هذه العناصر باتساع المساحة الفلاحية، فإن إشارات يستفاد منها قيمة إمكانيات الإنتاج التي كانت

تتوفر عليها المنطقة، يعكس ذلك مصطلحات فلاحية تحمل دلالة الاتساع وأهمية عناصر الإنتاج مثل : الضيعة (الذليل، سفر 8، 170) ومرور نهر ماء بنفس الضيعة، ومكانة الشخص الذي يملكها وهو ابن القطان الذي "كان معظماً عند الخاصة والعامّة من آل دولة بني عبد المومن، حظي كثيراً عند المنصور منهم فابنه الناصر فالمستنصر بن الناصر فأبي محمد عبد الواحد أخي المنصور ثم أبي زكرياء المنعم ابن الناصر حتى كان رئيس الطلبة، مصروفة إليه المخطوط النبوية مرجوعاً إليه في الفتاوي" (الذليل، سفر 8، 169)، يضاف إلى ذلك مناظر زراعية أخرى تمثل البستان (التشرف، 304)، ومعلوم أن هذا المصطلح قد أطلق خلال هذه الفترة وفي المجال نفسه على الملكيات الفلاحية، الكبيرة أيضاً. (الحلل، 6: 145).

ومن خلال الأخبار الواردة عن تاووتّي في كتاب "التشرف"، يبدو أن هذه القرية عرفت خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري - إن لم يكن بعدها أيضاً - نشاطاً صوفياً بارزاً تتجلى أهم مكوناته في العناصر التالية :

1 - وجود صوفي شهير بها يعرف بأبي عبد الحلّيم بن إسماعيل الايلاني، توفي سنة ثلاثة وتسعين وخمسائة هجرية، كمركز لدائرة هذا النشاط.

2 - وجود هياكل صوفية : مريدون، خاصة التلاميذ.

3 - مكان مقصود من طرف أهل الولاية والصلاح من المدينة والبادية على السواء، وعلى اختلاف مستويات وصفات المتصوفة الزائرين، أمثال الصوفي الشهير أبي علي عمر بن علي بن عبد العزيز الهزرجي توفي عام اثنين وتسعين وخمسائة (التشرف، 303) من أهل الجاناب الشرقي من مراكش، وابن الزيات نفسه (التشرف، 313)، وعلى مستوى المجال وبصفة خاصة نفيس ومراكش. وهي إشارة أيضاً لطبيعة العلاقات الصوفية التي كانت قائمة بين تاووتّي ومجالها.

يمثل مركز تاووتّي إذاً بهذا النشاط الصوفي، مع مركز تاقيطت، المركزين الصوفيين اللذين يقعان خارج شمال مراكش، ويشكلان كذلك المجموعة الشمالية لمراكز التصوف الموجودة بالحوز الأوسط، والمحيط بمراكش.

ورغم أهمية هذه الوظيفة الدينية وحجمها بالمنطقة فإن ابن الزيات لم ينعته بأية صفة من صفات المواقع الصوفية التي استخدمها بالنسبة لعدد مهم من مراكز التصوف بمجال الحوز والأطلس الكبير، كالرباط والرابطة.

البندق، أخبار المهدي، طبعة الرباط : ي. التادلي، التشرف، تج. أحمد التوفيق، البيضاء : م. ابن عبد الملك المراكشي، الذليل والتكملة، سفر 8، قسم 1، تج. محمد بن شريفة، الرباط، 1984 : ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، تج. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، البيضاء 1985 : مجهول، الحلل الموشية، تج. زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء 1979.

محمد رابطة الدين

ابن تاووت، أسرة أصلها من الأندلس استقرت حقبة من الزمان في وادراس قبل أن تدخل إلى مدينة تطوان. وأقدم نص بيدنا ورد فيه ذكر ابن تَوَيْت هو معجم السُّفَر - بفتح السين وسكون الفاء - اسم جمع سافر مثل صَحْب بالنسبة لصاحب - لأبي طاهر أحمد السلفي الأندلسي نزيل الاسكندرية ومعاصر القاضي عياض. والكتاب من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط (حرف الكاف) وقد لخص بعض ما فيه إحسان عباس ونشره في بيروت بعنوان أخبار وتراجم أندلسية. وهذا نص ما ورد فيه عن "تويت" بالبربرية وأخوين كلاهما يدعى بن تويت

قال السلفي في سياق ذكر تومين ملتصقين خلقة : "سمعت أبا محمد عبد الله بن تويت بن الوزان اللمتوني بالشر الاسكندري يقول، وجريته وكان ثقة يتحرى الصدق، سمعت أخي الأمير أبا يعقوب ينتان بن تويت الفقيه وغيره من المرابطين الثقات بالمغرب يقولون : وُلد في بني نورت - بطن من الملتثمين - جسمان كاملان برأس واحد، فعاشا زمانا، ثم مات أحدهما وثقل الآخر، فراموا قطعه منه، فشاوروا الفقهاء فقبل لهم : يصبر أياماً، فلم يمض قليل حتى مات الآخر. قال أبو محمد عبد الله بن تويت : وولد بالأندلس في أيامنا مولود برأسين ... وقد رأيت بحمص الأندلس (اشبيلية) امرأة ولدت أول ولادتها ولداً ثم في المرة الثانية ولدين وفي الثالثة ثلاثة وفي الرابعة أربعة وفي الخامسة خمسة وفي السادسة ستة وفي المرة السابعة سبعة في بطن واحد.

قال السلفي : أبو محمد هذا رجل صالح من أمراء المرابطين قدم المشرق للحج وطلب العلم وكان يحضر عندي ويقرأ. ومن جملة ما قرأه للملخص لابن القاسمي. وأما أخوه ينتان فكان فقيهاً وذكر لي أخوه أبو محمد أنه توفي في زييد من مدن اليمن، وأنه كان قرأ على ابن عتاب وأبي بحر وابن رشد وآخرين بقرطبة، وعلى ابن أبي جعفر بمرسية، قال وتويت اسمه محمد ولكن غلب عليه لقبه هذا وتفسيره صياح.

وبالأصل المخطوط : "وسألته عن معنى تويت، فقال إن معناه صياح بالبربري، فهو مصدر". وما زال في عاميتنا هذا الوزن خصوصاً في المهّن التي تعدّ مستهجنة مثل تكزّرت ومججّمت وتحدّدت وتنجّرت وكلمات أخرى قبيحه الذكر. وليس صياح بتشديد الياء كما ظن.

والملاحظ أن تَوَيْت ذكرت بدون الألف وهو ما كنا نعرف، ثم زيدت الألف ضبطاً للنطق بالتاء مفتوحة. والدليل على صحة الأول في الاستعمال أننا نجح هكذا "تَوَيْتَش" وهو اسم أيضاً للأسرة والمقر.

تقع هذه البقعة في قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة متاخمة لأنجرة. قبيلة وادراس تبعد عن طوان بنحو خمسة عشر كيلومتراً وعن طنجة بنحو ذلك أو دونه بقليل، تشقّها الطريق السيارة ويتاخمها الجبل الواقع به ضريح ولي.

ويلاحظ في هذه القبيلة أن السكان يجمعون بزيادة السين كما بالإسبانية، فيقولون - تويْتشْ، بنطق السين شيناً، كما في البرتغالية، وكما في نحوسين اشبيلية. ويقولون أيضاً علاكش، جمعاً لابن علاك، وجليمش جمعاً لابن حليمة، وعبودش جمعاً لابن عبود وزياتش، لزيان، والطويلش للطويل، ولاغرابة في هذا التأثير الإسباني الذي جاء بمجئ مهاجرة الأندلسيين أواخر القرن التاسع (15 م) فيذكر صاحب نبتة العصر لهؤلاء المهاجرين أنهم نزلوا بوادراس ثم انتقل منهم من انتقل إلى بني سعيد في غمارة الساحل الشرق، ومازالت عقبه بغرناطة تذكر بعقبه غمارة (Cuesta de Gomara) ويقول مارمول الذي تكلم عن وادراس بإسهاب وذكر شجاعتهم في القتال إن المقصود بهم هم سكان وادراس، هكذا يقول، وإن كانت وادراس انفصلت من غمارة وصار حلفهم مع قبيلة الأخماس بينما المتأخون لهم شرقاً وهم قبيلة أنجرة حلفهم مع غمارة، وبعبارة فإن الساحل الممتد من الريف إلى سبتة فطنجة وأصيلا والمنتهي عند القصر الكبير لغمارة، وعبد الكريم المنسوب إليه القصر الكبير غماری. أما الداخل وفيه وادراس وبني يدر وبني مصور وجبل حبيب (الفهري)، والأخماس داخل. ومن مدته مدينة الشاون، ومازالت حتى الآن بها عصبية ومواجهة بين الأخماس وغمارة.

محمد ابن تاويت التطواني

**ابن تاويت، أحمد بن محمد بن عمر التطواني.** ولد بتطوان عام 1322 وحفظ القرآن في كتاب والده محمد بن عمر شيخ المقرئين، كما حفظ على يده المتن العلمية الأولى في اللغة والدين قبل أن ينتقل إلى حلقات شيوخ تطوان أمثال عبد الرحمن أقشار ومحمد الركيك وأحمد الزواقي الحسيني وأحمد الرهوني وغيرهم أخذاً عنهم علوم التفسير والحديث والأصليين والفقهاء واللغة وقواعدها. ثم توجه إلى فاس ليدرس بالقرويين، ومن شيوخه فيها عبد الرحمن ابن القرشي، وأحمد بن الجليلي، وعبد الله الفضلي وأحمد بن المامون البلغيشي.

وبعد عودته إلى تطوان تولى بها عدداً من الوظائف، فكان أستاذاً بالمدرسة الإسلامية سنة 1930، وقاضياً بالمحكمة الشرعية سنة 1952، ومفتشاً بوزارة العدل، ثم مديراً للمعهد الديني، فأستاذاً بكلية أصول الدين. وقد درس خارج تطوان بدار الحديث الحسنية بالرباط، وبالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة سنتين. ولما أحييت الكراسي العلمية أسند إليه كرسي التفسير بالجامع الكبير بتطوان. كان أحمد بن تاويت من المؤسسين لرابطة علماء المغرب وعضو الأمانة العامة للرابطة، وعضو المجلس العلمي بتطوان. واشتهر بالتواضع والتودد لإخوانه وخلاته، ممن يألف ويؤلف.

توفي بمسقط رأسه صبيحة يوم السبت تاسع ربيع الأول عام 1414 / 28 غشت 1993.

معلومات شخصية، وأخرى شفوية من تلاميذه.  
المهدي الدليرو

**ابن تاويت، محمد بن عمر بن عبد السلام بن عمر** ابن علي بن محمد بن موسى بن محمد الوادراسي ثم التطواني، ولد عام تسعين من القرن الثالث عشر (19 م) وتلقى تعليمه الأول من خاله الفقيه محمد بن حمزة غالباً، ويذكر أنه كان بتطوان عند إتيان الملك مولاي الحسن إليها، وسنه آنذاك عشرون. وبعد حفظه القرآن الكريم صار يتلقى مبادئ العربية والفقهاء على فقيه عصره، والشهير فيما يمتد من تطوان إلى طنجة مباشرة السيد محمد بوتفاح، وكان يرافقه في الأخذ عنه والد محمد بن تاويت الطنجي. وفي الربع الأول من القرن الرابع عشر كان قد حظّ الرجال نهائياً بتطوان. وبعد هجرة خاله إلى طنجة عند الاحتلال الإسباني بتطوان، كان يخلفه في تعليم القرآن الكريم بها، فظل يقوم بهذه المهمة ما يزيد على نصف قرن، فصار بذلك فقيه تطوان، لا يُذكر إلا بهذا النعت ولا يوجد متعلم إلا وقد تخرج على يديه.

كان يعلم القرآن، وإلى جانبه مبادئ النحو وفقه العبادات والتوحيد وما ينضم إلى ذلك مما تشمله منظومة ابن عاشر المعروفة، كما كان يزاول العدالة التي كان شأنها محترماً لا يضطلع به إلا من يتسّم بالعلم والاستقامة الخلقية.

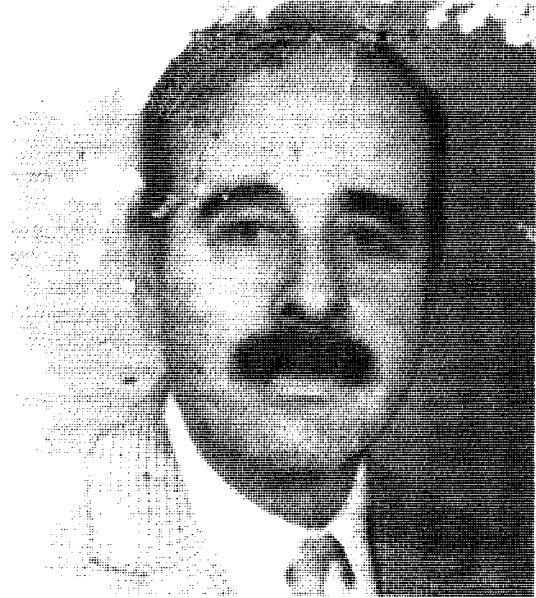
ومن تعلموا على يديه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، ثم الزعيم عبد الخالق الطريس، ومن الوطنيين الكبار الفقيه محمد داود مؤرخ تطوان والحاج محمد بنونة. وإلى جوارهم جميعاً محمد عزيمان والطيب بنونة ومحمد الفاسي الحلفاوي وغيرهم كثير لا يحصون عدداً. ومن ناحية الدولة فقد كان مبعوثاً من القصر الخليفي والوزارة التي كان على رأسها الصدر الأعظم الفقيه ابن عزوز. وكان الخليفة مولاي المهدي يعزّ الفقيه محمد ابن تاويت، كما كان ابنه مولاي الحسن بعده يعظمه لدرجة أنه كان يُحبي معه صلاة التراويح التي كان يفتحها ويختمها ثم يصلي صلاة الصبح ويبقي الخليفة في المسجد ينصت إلى قراءة الحزب فيعود مودعاً إلى قصره في حفل رسمي.

محمد بن تاويت التطواني

**ابن تاويت التطواني، محمد بن محمد بن عمر بن عبد السلام.** والده من شيوخ حفظة القرآن ومعلميه المبرزين، وأسرته عريقة تنتسب لقبيلة "ودراس" من أحواز تطوان، عرفت بالجهد والتقوى، رحل فرع منها أولاً للاستقرار بالمدينة المجاورة تطوان، وتلاه بعد عقود فرع استقر بالمدينة البوغاز القريبة بطنجة. ومترجمنا عالم أديب، اشتهر بالبحث والتأليف والترجمة في الأدب والتاريخ والتشريع الإسلامي والفلسفة والمنطق والتصوف. ولد بتطوان عام 1329 / 1911. استظهر القرآن الكريم على والده ولم يتجاوز سن العاشرة، شرع بعدها في حفظ المتن بدءاً بمقدمة ابن أجمرو المرشد الصغير لابن عاشر إلى الأحزاب المنتشرة في العبادات من مختصر خليل. وقد أهله ذلك للانتقال إلى

حلقات الدرس حيث تتلمذ على كل من الفقهاء عبد الكريم بن محمد الدليرو، ومحمد بن عبد السلام الريسوني، وعبد الله مراريش، ومحمد الكحاك، ومحمد الفرطاخ، ومحمد الزرهوني، ومحمد القاسمي، وعبد الرحمن بن رحو، ومحمد أقلعي، ومحمد اعمير، ثم عن شقيقه الأكبر أحمد ابن تاويت.

وبداية من مرحلة تكوينه تلك، شرع يعنى بتلقي الدروس الأولية في اللغتين الإسبانية والفرنسية، مستمداً هذا التوجه من وصلة الطفولة الرابطة بينه وبين قرينه في الكتاب وفي حي "الترنكات" الاستاذ عبد الخالق الطريس، والذي ظل حريصاً في زعامته للحركة الوطنية بشمال المملكة المغربية أثناء الحماية الاسبانية، على استثمار ثقافة "ابن تاويت" الجادة في صياغة المطالب التعليمية بخاصة، وترشيد تكوين الأجيال الصاعدة، وتخطيط آفاق مستقبلها العلمي.



وفي عام 1348 / 1929، التحق محمد ابن تاويت التطواني بالقرويين، فجلس إلى حلقات الدروس، داخل المسجد وخارجه، واستمع إلى الشيوخ الطائع ابن الحاج، ومحمد ابن الحاج ومحمد بن عبد الرحمن العراقي والعباس بناني ومحمد الزرهوني ومحمد العلمي وأبو الشتاء الصنهاجي ومحمد الصنهاجي ومحمد السايح ومحمد بن عبد المجيد أقصي وعبد الرحمن ابن القرشي والحسن بن عمر مزور وعبد الرحمن بن الصديق الغريسي ومحمد بن عثمان الشامي والحبيب بن أحمد المهاجي وأبي بكر الدرقاوي ومحمد ابن سعيد المكناسي وإدريس المراكشي وعمر ابن سودة ومحمد ابن عبد الله وعبد الله الفضيلي ويصفه بعالم فاس في زمانه.

وموازة مع دروسه هذه كان يحضر دروس اللغة الفرنسية، بين العشائين، بثانوية مولاي إدريس، كما كان يتصل ببعض الجزائريين والارجنطينيين المقيمين بفاس يجلس

إليهم مستزيداً من اللغتين الاسبانية والفرنسية. ولما أعلنت الحرب الأهلية الاسبانية سنة 1936 واستعصت بنتيجتها الاتصالات بين شمال المغرب وجنوبه، عاد مضطراً إلى تطوان، حيث عينه صديق الصبا الأستاذ الطريس الذي كان يشغل أثناءها مهمة وزارة الأجاس في الحكومة الخلفية كاتياً له. وكان إلى جانب ذلك يزاول مهمة التدريس بالمدرستين القرآنية والحسنية، ويلقي محاضرات بنادي حركة الوحدة المغربية في تاريخ التشريع الإسلامي، ويعقد حلقات في بعض مساجد المدينة، درس فيها للطلبة المختصر والألفية والمنطق والبلاغة والحساب بالقلصادي.

ولما تهيأت البعثة الحسنية للدراسة في مصر سنة 1938م استقال من وظيفه والتحق بها، طموحاً منه لاستكمال دراسته، وقد انتظم طالباً بكلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة فؤاد الأول، حيث نال شهادة الإجازة وتابع بعدها إعداد دبلوم الدراسات العليا في اللغات الشرقية في ذات الكلية. ومن أساتذته خلال هذه الفترة طه حسين ومصطفى السقا وأمين الخولي وأحمد لطفي السيد وأحمد أمين وأحمد ضيف ومحمد زيادة وحسن إبراهيم حسن ومحمد شفيق غريال وعبد الحميد العبادي وعبد الوهاب عزام وإبراهيم أمين الشواربي ويحيى الخشاب.

ولرغبته في الحصول على شهادة الدكتوراه سجل موضوعها تحت إشراف أستاذه عبد الوهاب عزام، وعمل خلالها ببعض مؤسسات القاهرة الثانوية، غير أن الظروف عاكست رغبته، فعاد إلى وطنه سنة 1949 ليستقر في مسقط رأسه تطوان باحثاً في معهد فرانكو مدة سنة، ثم أستاذاً للبلاغة بالمعهد العالي للتعليم الديني، ثم مديراً لنفس المؤسسة، ثم مفتشاً لكل مستويات هذا التعليم بالمنطقة الخلفية. وقد كان ينطلق في تدريسه مادة البلاغة من كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، والذي عني بإعادة طبعه مفتتحاً بمقدمة دسمة وغير قصيرة تلقى كاشف الضوء على علم البلاغة. ومع استقلال المغرب عين سنة 1956 مديراً لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان، خلفاً لعبد الله كنون. وقد دشن إشرافه على المعهد بإصدار الدورية المرجعية المتخصصة في الدراسات المغربية والأندلسية مجلة تطوان، فاله يعود فضل أجزاءها العشرة. وفي سنة 1958 التحق بشعبة الدراسات التاريخية بلندن للتخصص في موضوع: "العلاقات التاريخية بين المغرب وأنجلترا" عاد بعد سنة أمضاها بها أستاذاً للتعليم العالي بالمدرسة العليا للأستاذة وفي كليات آداب الرباط وفاس ووجدة وتطوان وأكادير، كما درّس بكلية أصول الدين في تطوان.

ارتبط مترجمنا بالكلمة، فوهب لها حياته، بحثاً وتنقيباً، كتابة وتأليفاً، فاتسعت معارفه، وتشعبت اهتماماته، وهذا ما جعله أستاذاً لأكثر من مادة، فقد ألقى محاضرات في علوم البلاغة، وفقه اللغة بنوعيه الخاص والمقارن، وفي مادة النحو، كما درس الأدبين المغربي

والأندلسي، وكتب في مواضيع عديدة من الأدب الشرقي، إلى جانب ذلك كله اشتهر بأستاذه للغة الفارسية. وترجم الكثير من الأعمال إلى العربية من اللغات الشرقية الفارسية والتركية نثراً ونظماً، ومن اللغات الحية الإنجليزية والاسبانية والألمانية. وشارك في عدة مؤتمرات واستدعي محاضراً في عدة جامعات عربية وأجنبية.

تميز الأستاذ ابن تاويت بين أفراد البعثة من مرافقيه بتنوع وغزارة الإنتاج والانتجاع للبحث والتكوين، فقد ألف وحقق ونشر في شتى المجالات والجرائد الوطنية، وفي الكثير من الدوريات العربية والدولية. ولما عرف عنه من صرامة في الميادين المعرفية فقد أثارت بعض كتاباته سجلات عنيفة في اللغة والأدب شعره ونثره، رافقت حياته العلمية التي امتدت خمساً وخمسين سنة، في إعداد الأجيال، وفي الكتابة والنشر، إلى أن وافته المنية بمصحة في الرباط صبيحة السبت ثامن رجب عام 1413 / ثاني يناير 1993 عن سن يناهز الثمانين.

مؤلفاته المنشورة :

- 1 - محاضرات في تاريخ التشريع الاسلامي. 2 - الاستشراق والإسلام. 3 - كتاب في التربية الوطنية. 4 - تاريخ سبتة. 5 - ابن زيدون. 6 - الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، في ثلاثة أجزاء. 7 - تاريخيات : دراسات وتعريب وتحقيق. 8 - الأدب المغربي بالاشتراك مع الصادق عفيفي.

مؤلفاته المخطوطة :

- 1 - فن جلال الدين المثنوي، وهو عنوان الموضوع الذي كان اختاره لنيل شهادة الدكتوراه، وقد أهدى نسخته الأصلية للمكتبة الصبيحية بمدينة سلا. 2 - العلاقات المغربية الإنجليزية. 3 - مذكراته. 4 - المغرب والمعتك الدولي في العهد السعدي. 5 - قصة قصيرة بعنوان "صريع العزاز : قصة واقعية مؤلمة". 6 - شعر موزع بين بعض ذويه وتلاميذه. 7 - رسائل يحتفظ بها بعض معاصريه وثلة من تلاميذه.

تحقيقاته :

- 1 - دلائل الإعجاز، في جزأين. 2 - شعر ابن عبد ربه. 3 - اختصار الأخبار عما كان بشعر شيبته من سني الآثار، لأبي عبد الله محمد بن قاسم الانصاري. 4 - وثيقة تاريخية عن تطوان، لرجل جزائري. 5 - وثائق سعدية لم تنشر. 6 - بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، لعبد المهيم الحضرمي. 7 - أوراق من تاريخنا مجهولة. 8 - ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد، بالاشتراك مع محمد ابن تاويت الطنجي ومحمد بن العباس القباج وسعيد أعراب. 9 - البيان المغرب لابن عذاري المراكشي - قسم الموحدين، حققه أولاً بالاشتراك مع المستشرق الاسباني هوسي ميراندا، وثانية بالاشتراك مع المستشرق السالف، ومحمد إبراهيم الكتاني، وأخيراً بالاشتراك مع الكتاني السالف ومحمد زنيبر وعبد القادر

زمامة. 10 - مستودع العلامة ومستبدع العلامة، لأبي الوليد ابن الأحمر بالاشتراك مع محمد التركي التونسي.

11 - أزهار الرياض في أخبار عياض - الجزء الرابع - بالاشتراك مع سعيد أعراب.

من مترجماته عن الفارسية :

- 1 - جهاز مقالة، للشاعر أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي. 2 - زين الاخبار، لأبي سعيد عبد الحي الكرديزي. 3 - رباعيات عمر الخيام. عن التركية :

- 1 - قبججي مصطفى، قصة للكاتب أحمد رفيق التركي. 2 - أجر وصبر، قصة للكاتب التركي حسين رحمي. 3 - نظيفة، مسرحية لعبد الحق حامد. 4 - أولو، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد. 5 - مقبر، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد.

عن الإنجليزية :

- 1 - رسالة تاريخية من ملك أنجلترا إلى حاكم تطوان التقيسيس. 2 - من زوايا التاريخ المغربي، نشر تباعاً بمجلة تطوان. 3 - العدالة في بريطانيا، مخطوط. 4 - العلاقات المغربية البريطانية، مخطوط.

عن الاسبانية :

- 1 - علي ابن سينا، ترجمه وقدمه إلى معهد فرانكو قصد الطبع. 2 - الدول الصغرى بالمغرب، أو بني صالح بالنكور، تأليف أسدرو دي لاس كاخيكاكاس. عن الألمانية :

- 1 - ترجمته لحياة المؤرخ عبد الرحمن ابن اخلدون عن الأصل الألماني من كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" وهي مرقونة على الآلة الكاتبة. محمد ابن تاويت التطواني نفسه، مذكراته ؛ معلومات شفهية من شقيقه الأكبر الفقيه أحمد بن تاويت.

عبد القادر الغالي الخراز

ابن تاويت، الطنجي محمد بن محمد، أصله من تَوَيْتَشْ من قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة. من أسرة عرفت بالصلاح والجهاد منذ أمد بعيد، فقد كان الناس يعتقدون في جده محمد بالولاية والصلاح، وكان أبوه وأعمامه الأربعة من المجاهدين للمحتلين الإسبان طيلة اثنتي عشرة سنة. استشهد عمه أحمد ثم أخوه الأصغر عمر مجاهدين. وظل عمه محمد الزكاري يحارب الإسبان والفرنسيين حتى بعد انتهاء حرب الريف، فلجأ إلى بني مَسَاوَة حيث أسلمه الفرنسيون للإسبان، وكذلك فعل عمه الرابع.

التحق والده محمد، وكان معروفاً بالفاسي لأنه درس بفاس، بالأمر ابن عبد الكريم الخطابي، وكان الأمير قد درس عليه القرآن ولكن تخلى عنه لما تغيرت الأمور وكان ذلك سبب تعرض داره بوادراس للمداومة وإحراق ما بها من كتب ومخلفات.

ولد ابن تاويت الطنجي في حدود عام 1330 / 1911



بوادراس القبيلة، والتحق بطنجة وهو شاب يافع متابعاً لتعلمه قواعد العربية والدين بعد حفظه القرآن الكريم وبعض المتون، والأسرة تعيش في شظف من العيش إذ لم يكن دخل الوالد إلا عشرين ريالاً مغربية "حسنية" مرتباً كان له على نظارة الأحباس الناصرية التي تنتمي إليها أسرة ابن تاويت. وكان ينضم إلى الأجر المذكور أربعة ريال أخرى يتقاضاها محمد الفاسي عن إمامة "جامع الجديدة" بطنجة.

طلب الشاب محمد ابن تاويت من أبيه أن يتوجه إلى فاس للدراسة بجامع القرويين فأسعفه في رغبته، فتوجهنا معاً إلى فاس وظهرت نجابة المترجم في دروس النحو بالألفية على عباس المكناسي والفقهاء أقصبي. وفي دروس التوحيد بأمر البراهين على عبد العزيز ابن الحياط. وطلبنا بواسطة أخي من سيدي جواد الصقلي أن يتطوع بإقراءنا منظومة الاستعارة لابن كيران بجامع الرصيف باكراً. فنحضر حلقة التي لم يكن يحضرها غيرنا الاثنتين.

كان سيدي محمد العلمي يدرس آنذاك كتاب القلصادي في الحساب، قبيل النظام الدراسي، ثم التوقيت بعد فرض هذا النظام، فحصل تحول في مواد الدراسة التي انكب عليها مترجمنا إلى الفنون التي يدرسها العلمي. كان الشيخ محمد العلمي ذا ذهنية رياضية، وقد أخذ هذه العلوم العقلية، وبخاصة حساب اللوغاريتم، عن أحد طلبة البعثات الحسنية إلى أوروبا. وكان هذا العالم الرياضي قد أفضى به الإهمال الذي لقيه هو وزملاؤه أعضاء البعثات إلى أن أصبح دركياً مرابطاً بباب بوجلود بفاس.

انقطع مترجمنا إلى شيخنا العلمي انقطاعاً كلياً. يخدمه حتى بانتساح كتبه التي تسلك إلى المطبعة الحجرية بمجرد انتساحها، وما أكثرها بخظه الذي حافظت عليه المطبعة الفاسية، وأصبح متمكناً في علوم التوقيت على اختلافها بالدرجة التي كان عليها الشيخ العلمي. ومن الذين درسهم التوقيت من الكبار الفقيه محمد بن سعيد المكناسي وعبد الله كنون وهو زوج أخته.

فلما عدنا من فاس أثناء الحرب الإسبانية الأهلية، توظفنا كلانا بتطوان. وبعد سنتين ذهبنا معاً في بعثة علمية إلى مصر حيث التحقنا بكلية الآداب، كان هو بقسم التاريخ وكنت بقسم اللغة العربية. ثم بدا له أن يتحول إلى قسم اللغة العربية وابتدأ التشابه يضايقنا، فكلانا محمد بن محمد ابن تاويت، فكان أن وقعت إدارة الكلية في خلط عند إعلان نتائجنا في آخر السنة، فقر القرار منا أن نتميز بعضنا عن بعض هو بالطنجي وأنا بالتطواني.

أحرزنا شهادة الليسانس، وكان هو ضمن الخمسة الأوائل فنال جائزة الشرف من الملك فاروق. ثم عرض على استاذنا أحمد أمين أن يتولى الإشراف عليه في موضوع ينال به درجة "ماجستير" فاختر له موضوع تحقيق مقدمة ابن خلدون. فدخل المعركة ونسي نفسه فيها. ووجهته الجامعة العربية إلى تركيا للبحث عن المخطوطات، وتفتحت له

الأبواب كلها فدخلها وأصبح بعد ذلك المرجع الأول فيما يخص ابن خلدون.

سألني في جامعة لندن سنة 1958 الأستاذ يرنارد لوريس، ماذا يكون نسب الطنجي منك؟ أجبت: ابن عمي، فقال لي: إنه خلدوني. والحقيقة أن تحقيقاته تشهد بما له من اطلاع واسع، نأخذ مثلاً تحقيقه لمجذوة المتببس وللجزء الأول من ترتيب المدارك أو اختصار الزبيدي لكتاب العين، كل ذلك يقدم لنا مجهوده فيه.

لم يكن في محمد ابن تاويت الطنجي عيب إلا أنه كان ينشد الكمال في الناس. فهو رجل قد قدر الناس قدره وأحبه علماء الأتراك واحترموه في وزاراتهم وجامعاتهم، فأصهر إليهم وأقام بين أظهرهم إلى أن مات عندهم غربياً عن بلده بتاريخ رابع عشر ذي الحجة عام 1394 / 29 دجنبر 1974.

معلومات شخصية.

محمد بن تاويت التطواني

## تاوية. هضبة. ← تينگمرت

**تاوينخت** أو **تاوينغت**، كلمة أمازيغية تطلق اسماً على شجيرة مشوكة تنبت في المناطق الجافة، وهي التي يسميها لاووست Laoust باسم Aubépine saharienne.

تستعمل قشرة أغصان هذه الشجيرة في ديبج الجلود وتلوينها باللون الأحمر. وهي معروفة بنفس الاسم في منطقة درعة وتافيلالت وأيت واوزگيت وسوس الأعلى والأطلس الصغير وفي جبال أوراس على ما يبدو، وربما في مناطق أخرى.

ويغلب علي الظن أن الكلمة من "وين" ومعناها الذي يصلح لكذا أو الذي يستعمل في كذا... و"أغيت" وتعني الجلد المتين الذي يصلح لصناعة الاحذية. كما يمكن أن تكون قد أخذت من كلمة "تاوينغ" التي تعني عند الحيوانات العيون ذات اللون الأسود والرماذي الفاتح.

ولعل نوارة الشجيرة المشوكة المشار إليها أعلاه تشبه في لونها العيون التي تتوفر فيها الشروط المذكورة، فسميت شجرتها باسم المشبه به بعد تأنيثه.

استعملت كلمة "تاوينخت" كاسم علم جغرافي، حسب ما نعلم في جنوب شرقي تازناخت، حيث توجد قرية تحمل اسم "تاوينخت" عند أيت حاميدي. وفي جنوب شرق بوزاكارن حيث يوجد جبل تاوينخت.

كما توجد الكلمة في أيت سَمَك الذين يسكنون السفوح الجنوبية لجبل تيزي ن تاست حول مركزهم الإداري تافينگولت. غير أن "تاوينخت" هنا تطلق على مجموعة من القرى متقاربة الموقع، وكل واحدة منها تحمل اسمها الخاص وهي على التوالي: فرناط، وإيكران وأزررو وأكادير ن - ومزيل. وترجع أهمية "تاوينخت" إلى موقعها الجغرافي الذي يَمَكِّن من مراقبة الطرق المؤدية إلى جبل إيدأوزداغ انطلاقاً من سهل سوس الأعلى. فهو إذن يعتبر صلة وصل

ضرورة بين السهل الذي كثيراً ما تطرقه الجيوش المخزنية المتمركزة في تارودانت التي لا تبعد عن الموقع المذكور إلا بحوالي ستين كيلومتراً، وبين جبل إيدأومساطووك وإيدأوزداغ الذين لا تظاً جنود المخزن بلدهم إلا نادراً.

ففي أوائل القرن الثاني عشر (18 م) حينما حاصر باشا مراكش جبال إيدأوزداغ انهزمت جيوشه وتراجعت إلى تاوينخت، وبقيت في المنطقة إلى أن اضطر لمصالحتهم مقابل أداء ضريبة رمزية فأدوها ورحل عنهم دون خضوع فعلي.

وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه كانت منطقة تاوينخت محل صراع بين القائد الكنتافي الذي كان يحاول بسط نفوذه على سوس الأعلى، وبين قائد تالگجونت المجاورة الذي ينتمي إلى عائلة آيت بازي.

وهكذا نلاحظ أن "تاوينخت" عرفت زيادة عن الصراعات اللّفية المحلية، صراعات أخرى تنحو بها انتماءات سياسية تربطها أكثر بالسهل ليعتبر المجال الجبلي بأنظمتها نحو القمم.

عبد الله بن إبراهيم التاساقي، رحلة الوافد، تج. صدقي علي أزابكو، ص 134 (نشر كلية الآداب بالقيظرة).

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T. III, pp. 143 sqq ; T. IV, p. 1788 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 101 ; Id., *Mots et choses berbères*, 1920, pp. 478 - 490 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 279 sq., 317 - 318.

علي صدقي أزابكو

**التاييب أو التائب**، محمد بن محمد بن عمر بن علي

ابن المختار السعيد، نسبة إلى قبيلة بني سعيد الشرقية بشمال المغرب، قدم والده منها أوائل هذا القرن، واستقر بناحية فاس. ولد المترجم عام 1935، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير على والده الذي كان إماماً بأحد مساجد فاس والتحق بالقرويين فأحرز على الشهادة الثانوية الأولى سنة 1957 واشتغل بالتعليم في مدينتي ميدلت وفاس، وفي سنة 1960 انتسب إلى كلية الشريعة بفاس، وحصل على الإجازة منها عام 1964، وهي السنة التي التحق فيها بدار الحديث الحسينية بالرباط، فخرج منها سنة 1965، وفي سنة 1968 تم إلحاقه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (مصلحة إحياء التراث) وعهد إليه بمهمة تحقيق كتاب التمهيد للحافظ ابن عبد البر الذي أنجز منه تحقيق الجزء الثالث، وشيئاً من الرابع، وأثناء عمله بالوزارة كان يخطب بأحد مساجد الرباط ويقوم بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، ويلقي أحاديث دينية في الإذاعة والتلفزة، وانتدبته الوزارة مرات نائباً عنها في تشييد بعض المشاريع التابعة لها، وأسهم في الدروس الحسينية بخمس محاضرات وبواسطتها اشتهر ولفت إليه الأنظار، لفصاحته وقوة حافظته وحسن استيعابه للمادة العلمية.

كان محمد التائب لا يجد لذته إلا في الكتاب، بحيث لا تراه إلا قارئاً أو مذاكراً لا يميل من المطالعة ولا يفتر عن القراءة. وهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالتعريب. من

إنتاجه العلمي، إضافة إلى المحاضرات الخمس التي شارك بها في الدروس الحسينية ؛ تحقيق الجزء الثالث وبعض الرابع من التمهيد لابن عبد البر ؛ وكتاب دليل مناسك الحج (بالاشتراك) وعدة مقالات نشرها في بعض المجلات وقد كان شرع في تحقيق كتاب الإلماع للقاضي عياض الذي اختاره موضوعاً لرسالته الجامعية لا ندري القدر الذي أنجزه منه.

توفي بضواحي الرباط يوم 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز عام 1971.

آثار المترجم المكتوبة ؛ معلومات شفوية من أبنائه وأصدقائه.

عمر الجبلي

**تايدالت**، قرية واقعة بأعالي وادي صياد، القسم الشرقي من وادي نون، تتميز بأنها مقر أولاد بوعشرة. وهذه القبيلة تدخل في نطاق آيت النص الذين تصدرهم قبيلة آيت إبراهيم التكنية (انظر أولاد بوعشرة - آيت إبراهيم، بالمعلمة). تتميز تايدالت بأنها تجمع الفصائل المحلية المتصارعة نظراً لقدرة أهلها على تنظيم التعايش ونظام التحالفات. ولعل هذا السبب هو الذي يفسر احتواءها لقبير سيدي محمد بن أحمد الجماني الهاشمي القادم من قبيلة اجمامين بمنطقة الهده على أهل ازريولة من قبيلة أزواقيط. فقد قام بدور شريف أهل ازريولة وجزء من قبيلة أزواقيط مرتبطاً بالمخزن الذي كلفه ببعض المهام، لعل أشهرها حمل ظهائر تعيين أربعة عشر قائداً صحبة ابن عم السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى الشيخ ماء العينين بالسمارة. وماتزال عائلته تتوفر على ظهائر حسنية وحفيظية للتوقير والاحترام سلم بموجبها عزيبا بحوز مراكش. وقد أهله ارتباطه بالمخزن إلى مباشرة شؤون أهل عزيبه بكامل الاطمئنان، فلم يكن في تدخله يقتصر فقط على الشؤون الدينية بل نجده يختص أساساً في مباشرة الأمور السياسية والاجتماعية لما فيها من محافظة على أمن الجماعة التي مازالت تشهد له بردع الفساد والتجاسرين على الأحكام.

Mordoché Abi Serour, *De Mogador au Djebel Tabayoudt, le Rabbin Mordoché Abi Serour*, résumé du journal du voyage par Henri Duveyrier, Extrait du *Bulletin de la Société de Géographie* (Décembre 1875), Paris, Société de Géographie, 3 - 1875, 13.

**تايسا** (واد نون)، يتعدد استعمال هذه الكلمة بتعدد أماكن الرعي الجماعية التي تخضع لأعراف محلية ولتقنين تقسيم المجال وحق إقامة أفراك الوحدات المتحالفة. تمثل سلسلتا جبال تايسا وگير بمنطقة وادي نون ما يشابه حداً طبيعياً فاصلاً بين لفي اتحادية تكنة آيت عثمان شرقاً وآيت الجمل غرباً. وغني عن القول أن تربية الجمال التي تميز لف آيت الجمل تقتضي ميدنياً الابتعاد عن الجبل وتركه لمربي الأغنام والماعز، وهو فعلاً ما يؤكد التصاق سكان مداشر وادي نون بسلسلة تايسا. فهذه السلسلة تعتبر بحق أول مجموعة جبلية تستقبل القادم من مرتفعات إيگني

يمغارني بالأطلس الصغير. فيتضح أن الطريق الرابط بين بوزكارن وكلميم يمر بمحاذاة السلسلة التي تتراجع قليلاً عن هذه الطريق المخترقة لبيسط وادي نون. كما يتجلى بوضوح أنها مجموعة جيولوجية تحتوي على أرضة واسعة مكتنزة ومتتابعة تنتصب بموازاة الطريق المؤدية إلى سرير وادي نون.

وإذا كانت مدينة كلميم وتيغمرت وأسريز تقع أسفل جبل تايرت أعلى قمة بهذه السلسلة، فذلك لأن السلسلة تجسد بهامتها واعتدال مناخها الجاف ممر فابجة وادي نون، علاوة عن كونها تنتهي في شبه انخفاضات قليلة العلو تأخذ السلسلة شكل أسرة صالحة للرعي والترحال القروي. والملاحظ أن وفرة المداشر عبر انفراجاتها تزيد من نوعية النباتات الغنية بفعل تأثير المحيط الأطلسي. كما أن استغلال الممرات المائية يزيد من مرابطة الأهالي حول أراضيهم المحروثة والمسقية. هكذا تجرد الأغنام والماعز موفور الكلاً بتايسا وقد تصاحبها الأبقار إلى حيث تحافظ النباتات على اخضرارها.

تمثل أهمية تايسا في كونها المرطب الرئيسي لمناخ جاف والمنعش الأساسي للترحال القروي وتربية الأنعام حيث تزداد أهميتها حسب قلة الأمطار التي عادة ما تنقطع لأزيد من خمس سنوات متتابعة. وإذا كان دور تايسا يكمن في ترطيب المناخ بفعل التأثيرات البحرية حيث تجرد من التبخر، فإنها تلعب بذلك دوراً أساسياً ومحورياً في بلورة عوامل التحالف القبلي بمنطقة وادي نون عبر مختلف مراحل تطور هذه الاتحادية التي مرت منها الفصائل والمداشر بعضها ببعض. الملاحظ هنا هو أن تايسا تتميز عن سلسلة جبال غير بعدم وجود مساحات هامة من أكناري الذي يستقطب الأفراك المصيفة من سكان المداشر.

انظر مواد أكادوس وأسريز وتيغمرت والتوبييع وتغاط بالعلمة ؛ مصطفى ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكتة، دار عكاظ، 1988. M. Naïmi, Cinétique des leffs, flexibilité et mobilité sociale, étude inédite. مصطفى ناعمي

**تايمز أوف موروكو (The Times of Morocco)**، (أزمة المغرب) أول جريدة صدرت باللغة الإنكليزية بالمغرب. أسسها بطنجة الكاتب والصحفي البريطاني إدوارد ميكن Edward Meakin في 5 يوليوز سنة 1884. نصبت الجريدة نفسها تحت إدارة إدوارد ميكن ونجله بودجيت Budgett Meakin مدافعة عن مصالح الجالية الإنكليزية بالمغرب، دون أن يجعلها ذلك مسابرة للسياسة الرسمية البريطانية. وعندما طرحت قضية الصحافة الأجنبية بإقدام المخزن على طلب منع صدورها بطنجة، كانت تايمز - أوف - موروكو قد انفردت بموقف يبهرئ ساحة المخزن وينحى باللوم على مفوضيات أوروبية تعمل في الخفاء على إطفاء شعلة الصحافة المستقلة. ومن جهة أخرى، لم تتردد تايمز - أوف - موروكو في التنديد بالشطط

الذي يسفر عنه نظام الحمایات والحيف الذي يلحق المستضعفين نتيجة ذلك.

لم تلبث جريدة ميكن أن دفعت ثمن نزعتها الاستقلالية عندما رفضت مطبعة أبرينس Abrines، تحت ضغط المفوضية الإنكليزية، الاستمرار في إصدارها (صيف سنة 1885) فتعثرت الجريدة من جراء ذلك ولم تتدارك الموقف إلا بإنشائها لمطبعة خاصة بها (يناير سنة 1886).

تمكنت إدارة تايمز - أوف - موروكو في ماي سنة 1889، من إصدار صحيفة المغرب التي تعتبر أول جريدة صدرت باللغة العربية في المغرب، وبذلك كانت تايمز أوف موروكو سباقة إلى الاهتمام بالقراء المغاربة في وقت تكاثرت فيه بطنجة الصحف بلغات أجنبية مختلفة. ومن جهة أخرى، اعتنت الجريدة على صفحاتها بتلقيق بعض مبادئ اللغة العربية لأفراد الجاليات الأجنبية المقيمة بالمغرب.

استطاعت الجريدة أن تحافظ على استقلالها حتى سنة 1893 عندما اضطرت إدارتها، تحت وطأة مشاكل مادية مستعصية، إلى بيعها للناسر "أبرينس" الذي تولى أمرها فأدمجها مع صحيفته Al Maghreb al Aksa (المغرب الأقصى).

ج. بيضا، قضية الجوازات الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، مجلة دار النباية (طنجة)، ع. 18، ربيع 1988. B. Meakin, The Moorish Empire : A historical epitome, London, 1899 ; J.-L. Miège, Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle, Hesp., 1er sem. 1954, p. 1991 - 228. جامع بيضا

**التبادل (أنثروبولوجيا)**، لعل مما يتشكل منه نسيج المجتمع المغربي ما يجمع بين الأفراد والجماعات من علاقات تبادلية مكثفة، غلب عليها تارة الطابع الاقتصادي، وأخذت تارة أخرى أبعاداً شمولية. لقد عمدت المغاربة منذ أزمان بعيدة إلى تنظيم مبادلاتهم إما وفق نموذج قائل مستند إلى العطاء المضاد، أو نموذج مركزي ينهض بموجبه مركز معين بإعادة توزيع ما تلقاه من هبات ومداخيل، أو نموذج الاكتفاء الذاتي المتمثل في التبادل القائم بين مختلف أطراف الوحدة المنزلية. إن كل هذه المبادئ التي نظمت الإنتاج والتبادل في المجتمع المغربي - أو على الأقل اثنين منها - كثيراً ما تعايشت في نفس المجال الاجتماعي، وإن كان أحدها هو الذي ينفرد دائماً بالسيادة على المبادئ الأخرى.

لقد سادت العلاقات التبادلية بين طرفين أو حليفين بصفة خاصة في المجالات الاجتماعية التي عرفت مساواتية نسبية فيما بين أوضاع الأفراد والجماعات ؛ أما المبادلات المتمحورة حول مركز قائم فوجدت بالأساس حيث برزت سلطة قاندية أو إقطاعية ؛ بينما التبادل في نطاق الوحدة المنزلية اقتضته في آن واحد متطلبات الاستمرار الاجتماعي وشروط الإنتاج الاقتصادي.

لقد شكل فعل العطاء ورد العطاء وقبوله ممارسة عبّر بها المغاربة تجاه الطرف الآخر عن مودتهم وصدقتهم

وتحالفهم. وظفوا هذا المنطق في تبادل الهدايا والخدمات والنساء والدعوات والمناصرة... سعياً منهم لإقامة أو توطيد علاقات اجتماعية قائمة، وحرصوا، عن طريق رد الهبة بأكثر منها، على ألا تكون عملية التبادل مجرد تصفية لحساب سابق بل منطلقاً لمبادلات جديدة.

وعمد سكان القبائل، إما جماعياً أو فرادى، إلى تقديم الهبات و"الزيارات" لمقدم الزاوية أو لبعض أفراد الأسرة المشرفة عليها، التي تقوم من جهتها بإعادة توزيع تلك المداخل إما على المعوزين من أعضائها، أو على بعض أتباعها ممن هم في حاجة إلى بذور لحرث أراضيهم أو مساعدات لتحسينها أو ما شابه ذلك. هذا فضلاً عما يمنحه صلحاء الزاوية من حماية رمزية ومساندة وبركة لكل من يلجأ إليها من الزوار بمن فيهم السلطان والمقربون إليه.

لقد شكلت المرأة ولا زالت أداة ثمينة للتبادل الاجتماعي. فكلمنا قبل طرفان متحاريان تزويج إحدى بناتهما لدى الطرف الآخر، نجم عن ذلك - ولومؤقتاً - جنوحهما إلى السلم وإقامة علاقات صداقة وتحالف بدل التطاحن السابق. إلا أن الزواج قد يعني، في سياق بعض الثقافات الجهوية، كما هو شأن المجتمع الريفي بشمال المغرب، تبادلاً غير متكافئ وإخلالاً بالتوازن بين عائلتين أو جماعتين، ما دامت العائلة المانحة للبنات تعطي في نفس الوقت للعائلة المستقبلة خلفاً ومحاربين محتملين، مما يحمل العائلة الخاسرة في هذا التبادل إلى تعويض ما أصاب عرضها من مساس باعتماد أساليب عنيفة، سواء في شكلها المادي كالجرح والقتل، أو في شكلها الرمزي كالتفوق الخطابي ومنح الهبة التي يعجز الخصم عن ردها. وهذا يجرنا إلى إبراز شكل آخر من أشكال التبادل ألا وهو تبادل العنف.

أبرز ريمون جاموس Raymond Jamous دواعي وأبعاد هذا التبادل في المجتمع الريفي عند أوائل القرن العشرين حيث كان حدوثه ناجماً بالأساس عن الدفاع أو عن الهجوم على ما كان يُعتبر من ضمن المحرمات التي لا يحق المساس بها كالمرأة أو الدار أو الحقل، بحيث صار المجتمع الريفي، حسب هذا المؤلف، حلبة لتبادل التحديات، وموجات مستمرة من الهجوم والهجوم المضاد، لا يُلطف من حدتها مؤقتاً سوى التوسط السلمي للصلحاء. وعلى خلاف ما يتميز به تبادل الهبات والنساء من عجز عن تجاوز اللاتوازن الذي ينجم عنه، يسمح تبادل العنف في صورته القصوى، أي القتل، بتحقيق نوع من التوازن بين الطرفين المتصارعين.

على أن المؤسسة التي تجسد أكثر من غيرها عملية التبادل وتحتضن مجمل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والرمزية هي بلا منازع مؤسسة السوق التي تشكل، في المجتمع المغربي، إحدى أبرز لحظات التفاعل والترابط بين الأفراد.

إن ما يجري في نطاق السوق من ممارسات لا ينحصر

في البيع والشراء، بل يتعدى ذلك إلى فض الخصومات، والتعبير عن موقف جماعي، وبلورة مشاريع الزواج، إضافة إلى تبادل التحيات والخدمات والاستدعاءات والأخبار. إنه المجال الذي يجسد بامتياز مجمل العلاقات والسيرورات التي يتميز بها المجتمع بصفة عامة.

إن المدة الزمنية التي يقضيها الإنسان القروي المغربي في السوق تتراوح عموماً ما بين خمسة وأربعين وخمسة وسبعين يوماً في السنة؛ وارتداد أكثر من سوق واحدة في الأسبوع سلوك شائع في الوسط القروي. ومع التعتد المتزايد لتقسيم العمل تكاثرت الأشغال التي تدفع الأفراد إلى ارتداد السوق لذا تشعبت أغراضهم ومقاصدهم. إلا أنهم جميعاً، بانعون ومشترتون، منتجون ومستهلكون، يندرجون ضمن خانة "السواق" أو "السواقة" بصيغة الجمع. إن هذا التعبير الدارج لا يميّز بين عمليتي البيع والشراء، بل يطرهما وكأنهما وجهان مختلفان لنفس النشاط وعنصران لا يتميزان عن بعضهما باختلاف في المهنة أو مهارة في المساومة وإنما فقط بالتركيز على غاية خاصة.

إن الأفراد الحاضرين في السوق يميلون مع ذلك إلى خلق صلات متكررة فيما بينهم يتبادلون عبرها المنتوجات والخدمات، بحيث تنشأ علاقات زبونية بين مجموعات من البائعين والمشتريين، ويصبح تعامل "السوق" من جراء ذلك قائماً على أساس الانتقاء والألفة والمعرفة. ولعل من مبررات صغر حجم المعروضات التجارية الرغبة في الحفاظ على صلات مباشرة بين الطرفين، مع ما يرتبط بها من عناية خاصة وتوثيق للروابط الشخصية. وتعتمد بالإضافة لذلك المساومة من جهة لتزيح عن جودة السلعة وثمرتها ما يعترضها من شكوك وتقييم على أنقاضها جواً من الثقة قابلاً لأن يصبح علاقة زبونية قارة، ومن جهة أخرى لتسمح للبايع أن يميّز بين الزبون الجدير بالثقة وغير الجدير بها.

والملاحظ أيضاً أن التبادل في المجتمع القروي كثيراً ما يأخذ شكل المقايضة. نلمس ذلك عندما يعتبر الفلاح أن بعض منتجاته المنزلية كالعسل والزبدة والجبن مثلاً "فائضة" لديه، فيعتمد إلى بيعها في السوق بقصد شراء مواد يعتبرها ضرورية أكثر لإشباع حاجيات أسرته؛ أو عندما يعمد، بعد الحصاد مباشرة، إلى شراء خيل لبييعها بعد ذلك مع بداية فترة الحرث وظهور البوادر الأولى لمصاعب إيجاد الغذاء للماشية، ساعياً من وراء ذلك توظيف هذا التوفير المؤقت في مجرى الدورة الفلاحية الجديدة.

على أن أهم تحول حصل في هذا المجال اتساع نطاق وتأثير السوق الذي انتقل من مجرد عنصر تابع للمجتمع وعاكس لمقتضياته إلى مؤسسة تشعب وجودها وامتد منطقتها إلى مجالات شتى في الحياة الاجتماعية، بحيث أصبح، أكثر من أي وقت مضى، هو النموذج المرجعي السائد في تحديد أشكال التبادل الاقتصادي والاجتماعي، والنسق المؤثر في التنظيم الكلي للمجتمع. مما أضعف ما كان يستند إليه التبادل من عفوية وصدق وسمعة وتعارف

شخصي، ليصبح العَقْد هو البديل عن تقلص الثقة، ويصير التفاوض المسبق حول شروطه هو التعبير الجلي عن الخدز المتبادل واختلال التواصل الإنساني بين المتعاقدين.

دليل إيكلمان، الإسلام في المغرب (1)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1989.

C. Geertz, *Suq : the bazar economy in Sefrou, Meaning and order in Moroccan society*, Cambridge, USA, 1979 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; P. Pascon, *La Maison d'Igh*, Rabat, 1984 ; J.-F. Troin, *Les souks marocains*, Aix-En-Provence, 1975.

المختار الهراس

التبّاع، عبد العزيز، عالم صوفي، قبيل "إن سلفه كانوا يهوداً"، (تحفة، 1 : 453) دون تحديد لدرجة هذا السلف في سلسلة نسبه. كما لا نعلم عن والده سوى أن اسمه عبد الحق. وهذا يعني أن المترجم له كان وراء شهرة عائلته وسلفه وليس العكس، بحيث لم يرث عنهم لا مجدداً ولا علماً بل ولا اسماً عائلياً شهيراً. فهو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق المراكشي المعروف بالحركار، نسبة إلى صناعة الحرير، "إذ كانت حرفته في أول أمره" (دوحة، 136).

ويبدو أنه درس وتعلم بمراكش. وقد بلغ في هذا المجال مستوى جعل كتاب التراجم يصفونه "بالشيخ العالم" (متمتع، 29)، هذا قبل أن تنزع همته إلى الانخراط في طريق القوم الصوفية. وفي هذا الصدد تذكر كتب التراجم أنه صاحب الشيخ الشهير محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية، بل، وتجعل منه وارث حاله، وخليفته في الطريقة "وشيوخ المشايخ فيها" (دوحة، 137.136 : متمتع، 29.30).

ومرد هذه المكانة التي حظي بها أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، دون سائر رفاقه من مردي الشيخ الجزولي، إلى حيويته ونشاطه الملحوظ في نشر مبادئ الطريقة الجزولية، "حتى إن أكثر الجزوليين ينتسبون إليه". (متمتع، 29.30). ومن ثم، لا عجب إذا اشتهر هذا الشيخ باسم : عبد العزيز التبّاع، لكثرة أتباعه في الطريقة الجزولية (متمتع، 29) ولا عجب أيضاً إذا سُمّي محمد المهدي الفاسي كتابه الشهير "متمتع الاسماع في ذكر الجزولي والتبّاع وما لهما من الأتباع".

وفي هذا الإطار، يلاحظ أن الشيخ التبّاع أولى عناية خاصة لنشر التصوف الجزولي في الأقاليم المغربية الشمالية وعلى رأسها مدينة فاس عاصمة بني وطاس زمنئذ، وحثنا على ذلك، الزيارة التي قام بها الشيخ التبّاع إلى فاس قبيل نهاية القرن الخامس عشر (9 هـ)، حيث استقبل بحفاوة من قبل أهالي المدينة، حتى إنهم ألحوا عليه كي يقيم بمدينتهم (متمتع، 46.47).

وإذا لم يستطع التبّاع تلبية رغبة الفاسيين، فقد كان لزيارته أثرها الكبير والمباشر في تركيز النفوذ الجزولي بحاضرة المولى إدريس. فخلال تلك الزيارة عين بفاس خليفة له، وهو الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي

(ت. 1494/903) (سلوة، 2 : 208). وقد كان لهذا التعيين أثره في توسيع النفوذ الصوفي الجزولي بفاس وشمال البلاد عموماً بعد انتشاره في الجنوب زمن الشيخ الجزولي نفسه ولا غرو، فقد أصبحت زاوية علي بن محمد صالح المذكور والتي أسسها بحومة وادي الزيتون بعدوة الأندلس من فاس، المقر الأول والرسمي لتجمع وتربية مردي الطريقة الجزولية من أبناء فاس (سلوة، 2 : 213.214).

وفضلاً عن فاس، استعان الشيخ التبّاع بمريديه في نشر أو إعادة نشر الطريقة المذكورة بشتى نواحي البلاد مركزاً على المناطق الشمالية كما ذكرنا. وفيما يلي لائحة بأسماء أشهر مردي الشيخ التبّاع معززة بإمكانة الزوايا التي أقاموها بإذنه (الأولياء، 1 : 141.144).

- الشيخ عبد الله الغزواني المعروف بمول القصور، دفين مراكش. هو خليفة التبّاع في الطريقة الجزولية.

- الشيخ عبد الكرم بن عمر الحاحي المعروف بالفلاح، دفين مراكش.

- الشيخ أحمد الأمين بن قاسم القسطلي، دفين مراكش.

- الشيخ أبو السداد الغازي، دفين مراكش.

- الشيخ أبو العزم رحال البدالي المعروف بالكوش، دفين أنماي بحوز مراكش.

- الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي نزيل فاس وخليفة شيخه بها.

- الشيخ أبو عثمان سعيد الداعوي، دفين مشر المقرمة على وادي إيناون من حوز فاس.

- الشيخ أبو يشو مالك بن خدة الصبيحي، نزيل حوز فاس ناحية الأودية.

- الشيخ أبو السرور عياد بن يعقوب الفرجي الدكالي (والد عبد الرحمن المجذوب)، دفين الربوة التي فوق القنطرة بالمهدومة بين فاس ومكناس.

- الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي المعروف بالهادي بنعيسى، دفين مكناس.

- الشيخ أبو حفص عمر الخطاب، دفين جبل زرهون.

- الشيخ أبو القاسم بن محمد بن عمر الزعري الجابري، دفين دير تادلا ببلاد ورديفة.

- الشيخ أبو عثمان سعيد أمسناو، دفين الصومعة بتادلا.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود البوزيري الشاوي، دفين أكرض بتادلا.

- الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم، دفين أكرض بتادلا.

- الشيخ إبراهيم الهراوي الصومعي، دفين الصومعة بتادلا.

- الشيخ أبو القرينات، دفين طريق أبي يعزى بتادلا.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد الدلاطي، دفين الدلاء بالأطلس المتوسط.

- الشيخ أبو الحسن علي بن موسى البوخصيبي، نزيل

موضع تيزغوين ببلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال البوخصيبي العمري، وراث والده في زاويته الواقعة بموضع تيزغوين ببلاد أزغار، وضريحه بفاس.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور المصباحي السفيناني، دفن جزيرة البسابس ببلاد الخلط بالغرب.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن السائح المالكي دفن المرجومة من بلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن الزبير المصباحي، دفن القصر الكبير.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي، دفن آيت داود بحاحا.

- الشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطاعي، دفن أولاد مطاع ببلاد عبدة.

- الشيخ أحمد أموسى السملالي، دفن تازروالت بسملالة سوس الأقصى.

هؤلاء هم مشاهير مردي الشيخ التباع، بل أكثر أولياء مغرب العصر الحديث شهرة على الإطلاق، والذين كانوا وراء ميادئ شيخهم التباع في شتى نواحي البلاد، تلك المبادئ التي لا تختلف في شيء عن أصول الطريقة الجزولية، كما وضعها شيخها وشيخ التباع محمد بن سليمان الجزولي.

ويمكن تلخيص تلك المبادئ في النقاط التالية :

- التوبة النصوح على النهج الجزولي من خلال تطبيق الطقوس المرتبطة بقبول التائب مريداً في الطريقة مثل قص شعر التائب والاعتسال... وما شاكل ذلك من الشعائر الصوفية العامة أو الخاصة بالطريقة الجزولية في هذا المقام.

- الاقتداء بشيخ عالم بالظاهر والباطن.

- مجاهدة النفس بقصد تحقيق القرب من الله.

- الالتزام بذكر الأحزاب الشاذلية عموماً والجزولية خصوصاً وبالأخص الإكثار من الصلاة على النبي (ص).

وذلك كله في أوقات معينة وبأعداد محددة، مع مراعاته آداب وتقنيات الذكر في الحضرة الجزولية من تلحين ومناوئة.

- اتخاذ شارات خارجية مميزة يعبر عنها "بشباب الفقراء"، وهي في مجملها مرقعة وعكاز أو عصا وسبحة، الهدف منها تميز الطائفة عن غيرها وتحقيق التواصل بين أفراد الطائفة نفسها.

- وفوق هذا وذاك الالتزام بالكتاب السنة في العقيدة والسلوك (التصوف، 152-153).

نريد القول إن الشيخ التباع - وهو وارث حال شيخه الجزولي - حرص على تبليغ الطريقة الجزولية في حلتها التقليدية البسيطة دون تعقيد ولا إضافات، لأن قصده الأساسي كان هو نشر وإعادة نشر الطريقة الجزولية وعلى نطاق واسع، لا سيما في المناطق الشمالية، كما لاحظنا.

وفي سبيل الغاية نفسها، يبدو أن الشيخ التباع استغل

بنجاح قيام نظام جديد بمملكة فاس (المغرب عامة) بقيادة بني وطاس، على أنقاض حكم بني مرين، خصوم زعيم الجزوليين، لتدعيم موقف الطائفة التباعية صوفياً وسياسياً أيضاً في البلاد، سواء في الجنوب أو الشمال، لاسيما وأن مؤسس الدولة الجديدة، محمد الشيخ الوطاسي (1471-1505) وعلى عكس بني مرين الأواخر، أبدى رغبة ملححة في التعاون مع أولياء البلاد وصوفيتها قاطبة، بل وتحقق له ذلك فعلاً كما حدث في معارك الجهاد ضد الغزو الأيبيري وفي تسيير شؤون الأقاليم، وهذا التعاون استحق عليه الأولياء ظهائر إنعام وتوقير وإعفاء من الضرائب من لدن محمد الشيخ الوطاسي (الأولياء، 1: 556، 560).

وإذا علمنا هذا، أدركنا الآن كيف دخلت الجزولية التباعية مدينة فاس وبصفة رسمية خلال فترة حكم السلطان المذكور بالذات (1471-1505 م) وبالضبط بين 1471 و1498م، وأدركنا بالتالي لماذا زار التباع بنفسه العاصمة الوطاسية، وكيف استقبل فيها بترحاب كبير، كما رأينا. بل يخيل إلينا أن قدوم زعيم الأولياء الجزوليين إلى فاس "بعد أن غمر ذكره الجنوب" (المعسول، 12: 8) وتنصيبه لمثل عنه في عقر دار بني وطاس، ما كان ليتم بتلك الصورة لولا موافقة السلطان الوطاسي. هذا إذا لم نقل بأن السلطان نفسه قد مهد السبيل إلى ذلك كله، بعد أن طال انتظار الجزوليين رفاق التباع في طريق القوم في البوادي والمدن المجاورة لعاصمة الشمال منذ أيام بني مرين، كتأكيد على رغبته في التعاون مع أولياء وصوفية البلاد وعلى رأسهم أتباع الطريقة الجزولية وشيخها عبد العزيز التباع، سيما وأن الدولة الوطاسية في بدايتها وكان عليها مواجهة مشاكل جمة على رأسها الغزو الأيبيري للمغرب وتشتت وحدة البلاد.

وهكذا، إذا كان الشيخ محمد بن سليمان الجزولي هو مؤسس الطريقة الشهيرة باسمه وواضع أصول مبادئها، فالأكيد أن الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع هو "داعيتها الأول" وناسر تلك المبادئ، فاستحق بذلك لقب "الخليفة" في هذه الطريقة الجزولية. هذا وقد توفي الشيخ عبد العزيز التباع سنة 914 / 1509، ودفن بمراكش، وقبره بها مشهور.

م. ابن عسكرو، دوحه الناشر، الرباط 1396 / 1976 : م. المهدي الفاسي، تمتع الاسماع، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ج. 2، طبعة حجرية بفاس، 1318 / 1900 : م. المختار السوسي، المعسول، ج 12 : ع. الشادلي، التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، البيضاء 1989 : أ. الوارث، الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16 م، رسالة لنيل د. د. العليا في التاريخ، 1988، مرقونة بخزانة الآداب بفاس.

أحمد الوارث

القبائين (جامع -) من جوامع مدينة سبتة الإسلامية. ذكره الأنصاري عند حديثه عن مقبرة الريض الأسفل من

المدينة. في صحن الجامع قبران أحدهما لأبي الربيع سليمان بن سبيع العجميني، صاحب كتاب *شفاء الصدور*، و ثانيهما لأبي عبد الله بن حربوزة، أحد الشهداء. يعد الجامع من مساجد المدينة الكبرى.

م. الانتصاري، اختصار الأخبار، ص. 22.

زليخة بنرمضان

**التَّبِين**، أبو محمد عبد القادر بن محمد الاندلسي القرشي العثماني .

انتقل جده أبو عبد الله القرشي العثماني من المشرق إلى الأندلس عام 126 هـ في العقود الأولى للفتح الإسلامي. واستوطن قرطبة إلى أن توفي بها، وفي القرن الرابع انتقلت أسرته إلى غرناطة بعد الفتنة، وولد الشيخ عبد القادر بها ودرس وتعلم، وتأثر والده الفقيه الشيخ محمد أموالاً بها وقرطبة والجزيرة الخضراء وسبتة.

وفي سنة 540 هـ انتقل عبد القادر إلى سبتة، وبها لقي الشيخ أبا عبد الله الفخار (يسميه العامة بتطوان سيدي عبد الله الفخار، وما زال ضريحه معروفاً بها إلى الآن قريباً من ضريح صاحبه التَّبِين المترجم له) واصطحبها وخرجاً في سياحة يرتادان موضعاً صالحاً للعبادة والانتقاع حتى بلغا تطوان، فوجداه عامرة بالأجنحة والبساتين والمياه، فاختارا موضعاً منها هو المسمى الآن (قاع الحافة) و(المنجرة). وبهذا الحي يقع مسجده العتيق المسمى (للاً أفريجة) ولعله سمي بذلك للفرجة التي به لإشرافه على مزارع كيتان وسيط مرتيل إلى البحر ولكونه يحتل رُبوة، ويقرب مسجد السوق، وما زال يسمى السوقية. وبهذا الحي عدة أفران قديمة وأرحاء لطحن الحبوب، تأخر وجودها إلى أواخر عهد الحماية.

وبعد نزول الشيخين بهذا المكان قصدهما الناس وبنوا الدور واتسع العمران وذكروا أن الشيخ أخذ بقرطبة عن أبي الوليد ابن رشد الجد وابن الفخار القرطبي وأبي علي الصدفي وطبقتهم والأموي السبتي كما أنه رافق القاضي عياض والمفسر ابن عطية في الطلب. وأنه جرت بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي مناظرات في عدة علوم كما جرت بينه وبين أبي حامد الغزالي مراسلات، والله أعلم بذلك.

ألف التَّبِين كتباً في الحديث والفقه والتاريخ والأنساب، منها :

*اختصار الصحيحين* : البخاري ومسلم وسماه : حسن التبيين ؛ كتاب في قواعد الإسلام ؛ منهاج السلوك فيمن حل بالدنيا من الملوك ؛ درة الأحساب فيمن حل بالأندلس من ذوي الأنساب ؛ وتنقيح الأفكار، في معرفة رجال الآثار.

وفي ترجمة الشيخ التبين وصاحبه الفخار ألف بعض تلاميذهما : نزهة الأفكار، وحلة الأبرار في مناقب الشيخ عبد القادر وشيخه الفخار. أقول : والتاريخ محتمل لكل هذا إلا أن هذه الكتب لم يبق لها عين ولا أثر، ولم نقف

حتى على من سماها إلا ما ورد في أوراق عتيقة وجدت عند بعض حفدة الشيخ كانت معتمد كل من ترجم للشيخين من أهل تطوان وغيرهم. وقد يتساءل المرء : إذا كان الشيخ عبد القادر بهذه المثابة فلمَ لم يذكر في تواريخ الأندلس ولم يقصد للأخذ والاستجازة، ولم يشتهر بالعلم بل ولم يذكر حتى اسمه في الفهارس والأثبات ؟ والجواب : أن للشيخ وصاحبه نظراء كثيرين طواهم الإهمال، وعفى على ذكرهم الزمان، نقف أمام اسمائهم حيارى أو نردد اسم بعض آثارهم دون أن نعرف عينها متأسفين على ما جره الجهل أو التفريط وربما كان لاعتزال الشيخ وصاحبه للعبادة وانحياشهما عن الخلق للحق وتنكيبهما في الهجرة حواضر المغرب المزدهرة بالعلم العامرة بأهله كفاس وسلا وغيرهما، يد في اندثار آثارهما العلمية وسمعتهما وأخبارهما في هذا الباب خصوصاً مترجمنا التبين.

ولقد كان له رحمه الله عقب بتطوان عرف بعضهم بالعلم والعدالة كالفقيه السيد عبد العزيز التَّبِين المتوفي في 21 ربيع النبوي عام 1192 هـ.

وضريح الشيخ مشهور بتطوان. وعليه قبة بناها السلطان اليزيد في حدود سنة 1204 لما ورد تطوان مبياعاً. توفي بتطوان عام 566 / 1170.

أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطاون، (4 : 34 : 5 : 138)، (نسخة مخطوطة خاصة) : م. داود، تاريخ تطاون (1 / 72 - 75).

(167).

محمد بوخزة

**القمر**، لعبت هذه المادة النفيسة دوراً بارزاً في التقلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتتها منطقة شمال إفريقيا عموماً، المغرب بصفة خاصة، عبر تاريخه الطويل، فقد وردت أولى الإشارات عن الذهب في تجارة المقايضة بين الفينيقيين وسكان المغرب في القديم (*Histoire du Maroc*) إلا أن تحكمها في تاريخ البلاد ازداد حدة في العصر الوسيط وما بعده (كل المصادر الوسيطية أشارت إلى جلب المغرب للتبر من بلاد السودان). فتدفق التبر على المنطقة كان يعني قوة الدولة وتحكمها في الأوضاع الداخلية بإغداق العطاءات على الجنود وأعوان المخزن، وقلة تدفقه أو اضطراب وصوله بانتظام، كان يعني بداية متاعب السلطة الحاكمة ثم التعجيل بزوالها إذا انضافت عوامل أخرى.

مصدر التبر كان بلاد السودان أو ما يعرف حالياً بإفريقيا الغربية جنوب الصحراء، والتعرف على التبر تم بشكل ساذج. فالإدرسي (نزهة المشتاق، 26) يقول : "كانوا (أهل السودان) يتجولون في الليالي التي يضعف فيها ضوء القمر، ويعلمون على المواضع التي يرون فيها شيئاً مضيئاً علامة يعرفونها، وبيبتون هناك فإذا أصبحوا حملوا كوام الرمل التي علموا عليها ومضوا بها إلى آبار هناك ففسلوها بالماء واستخرجوا التبر..."

ويبدو من المصادر نفسها أن السودانيين كانوا يستخرجونه بكميات كبيرة، وعليه كان يعول صغيرهم

الذهب (المشقال والدينار ...) وتتبعنا ودراستنا للعملة ودور السكة نستطيع أن نخرج ببعض الاستنتاجات الأولية منها :

- ارتبط العصر الذهبي في كثير من هذه الدول بالتبر السوداني الذي بلغ تدفقه على المغرب ورواج النقود الذهبية فيه أوجه (العصران المرابطي والموحدي والعهد المريني الأول) ليضطرب بعد ذلك (العهد الوطاسي، السعدي، وإمارات الزوايا) باستثناء فترة قصيرة تم فيها استرجاع تدفق الذهب السوداني بكيفية أكبر (فترة أحمد المنصور الذهبي الذي تدخل في المنطقة).

أدى عدم الاستقرار وضعف الدول وانعدام الأمن إلى تدهور دور السكة واغلاق الكثير منها لتوقف تدفق الذهب، وعدم استغلال مناجم الفضة والنحاس وضعف التبادل التجاري أو توقفه، أدى بالتالي إلى تحول تدفق التبر السوداني نحو جهات أخرى.

ارتبط العصر الذهبي المشار إليه أعلاه أساساً بعامل الطرق التجارية في العهود المذكورة، فقد بلغ الانتاج الفلاحي والصناعي في المغرب آنذاك نمواً لا يستهان به جعل التبادل معه من طرف السودانين مسألة لا مفر منها . سهل وصول قبيلة لمتونة (من عصابة صنهاجة الصحراء) إلى الحكم مهمة تنقل الأشخاص والبضائع من السودان وإليه.

استطاع الموحدون بعدهم توحيد المغرب الإسلامي تحت حكمهم، وتقدم الانتاج الفلاحي والصناعي أكثر، فاحتوا بذلك كل المسالك التجارية وطرق التبر المتوجهة نحو شمال افريقيا، والأندلس (قلة دور السكة عندهم في المغرب حسب دراسة (أوستاش D. Eustache, H.T. XI, 1970) لا تعني قلة تداول العملة بل العكس. أما دور السكة فكانت موزعة على الامبراطورية في عهدهم.

- استمر تدفق التبر بشكل أقل في العهد المريني الأول، وقد كانت القوافل التجارية الخاصة بالسلطين المرينيين أو بشركائهم من التجار نشيطة، وتعزز هذا النشاط التجاري بإقامة روابط ودية بينهم وبين ملوك السودان (الاستقصا، ج 3 : بنو مرين). لكن العملة الذهبية توقفت مع أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان (الاستقصا، ج 3 : بنو مرين). لم تكتف الدولة التي أتت بعد المرينيين بالعلاقات الدبلوماسية - فالسودانيون أصبحت لهم ارتباطات مع المشرق أكثر من المغرب - ولم تكتف بالوسائل التجارية - لانعدام الأمن في الطرقات، مما أدى إلى تحول تلك التدفقات من التبر إلى الشرق - فقام أحمد المنصور بالاستحواذ على أهم منجم ومركز للتبادل (ملح تغازي) ثم احتل مصادر التبر ببلاد السودان مباشرة. لكن محاولات أحفاده وأصراء الزوايا كانت متواضعة وداخلة في إطار تنافسي بين الكيانات السياسية التي تقاسمت المغرب من جهة وبينهما وبين الدول الأوربية والأتراك من جهة ثانية. وفي فترة تالية نجد تيار التبر يميل نحو الغرب وبالذات

وكبيرهم حسب تعبير الإدريسي، وهذا ما أكده الحسن الوزان بعد أزيد من أربعة قرون تفصله عن زمن الإدريسي، إذ أشار إلى أن السودانين يأتون إلى سوق كاغو محملين بالذهب وعددهم لا يحصى - حسب تعبيره - فيعودون بنصف كمية الذهب أو ثلثه لأنهم لا يجدون ما يشترون بها، كما تتجلى وفرته عندهم في الكميات الكبيرة التي كانوا يدفعونها منه في مقابل بضائع رخيصة في أماكنها عادة. وأكبر دليل تجده في تبادل التبر بالملح، فمناجم تغازي للملح شهدت قريتها تبادل القناطر المنظرة من التبر رغم حقارتها - حسب تعبير المؤرخين - فالملح كانت أحياناً تباع بالتبر وزناً بوزن. بل إنها أحياناً تفوقه قيمة لدرجة أنها اتخذت عملة في بعض المناطق (المغرب، 160) لكن هذه الوفرة الزائدة عن الحد - كما تبدو لنا اليوم - لا تعني أن التبر كان معروضاً على السطح ومباحاً للجميع، فالندرة مثلاً خاصة بملوك المنطقة ولا يحق لغيرهم حيازتها، كما أن التبر خاص بقبيلة معينة من السودانين (الأعيان) الذين يتاجرون فيه وبه ويسخرون العبيد وبأقي السكان لجليه. ويبدو أن فترة ازدهار استخراج التبر في السودان ترجع إلى العصر الوسيط الأوسط والأدنى ويتوافق ذلك والعوامل التالية :

1 - توفر التبر على السطح وفي المناجم السهلة الاستخراج.

2 - ارتباط السودان بشمال افريقيا عن طريق التبادل التجاري.

3 - توفر الأمن والاستقرار في طرق القوافل وفي الاسواق وأماكن التبادل (العهد المرابطي والموحدي والمريني الأول) وبصفة أقل بعده.

4 - ظهور كيانات سياسية في المنطقة. (مملكة مالي ومملكة سنغاي وغان...).

5 - تعزيز الروابط التجارية عن طريق علاقات دبلوماسية مع المرينيين (النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14 م) وما بعده.

تراجع الانتاج والرواج بعد ذلك لفقدان عاملين مهمين من العوامل المسطرة أعلاه : قلة المناجم السطحية وانعدام الامن في الطرقات والأسواق.

كانت أبواب دخول هذا المعدن النفيس إلى المغرب على التخوم الصحراوية، وهي حسب أهميتها والدور الذي لعبته في اقتصاد المغرب : سبلماسة وتامدولت ونول. ضعفت أو اندثرت (في العهد المريني الأخير) لتحل محلها مدن وأبواب أخرى في نفس المنطقة، وكان التبادل في معظم العصر الوسيط يتم بالتبر خاماً، وفي العصر الوسيط الأدنى بدأت سبائك الذهب ومسكوكاته تحمل محل التبر الحام دون أن تلغيه (التشوف، 275 ؛ وصف افريقيا، 2 : 166) وفي نفس الوقت قلت المسكوكات الذهبية.

استفادت الدولة الإدريسية والدول التي تعاقبت على حكم المغرب من تبر السودان فضريت بعض نقودها من



**التبر، أحمد بن أبي بكر الحسن بن الفاسي، صوفي**  
صالح كآبيه آتي الترجمة. توفي بفاس عام 1378 / 58.  
1959.

**التبر، أبو بكر بن عبد الملك الحسن بن الفاسي، صوفي**  
كبير، ومرب شهير. سلك طريق القوم على يد العارف  
الشيخ عمر الصقلي، وهو عمدته. وأخذ عنه عدد من  
العلماء والصلحاء بفاس وغيرها وتباهاوا بالأخذ عنه، حلاه  
في *إنحاف المطالع* بقوله: "العارف الكامل الواصل الخبير  
الذاكر".

توفي بفاس عشية يوم الخميس قبل أذان المغرب تاسع  
جمادى الأولى عام 1320 / 14 غشت 1902 ودفن بعد صلاة  
العشاء بروضة الشيخ ميارة بالدرب الطويل.  
ع. ابن سودة، *إنحاف المطالع*، 1920؛ إ. ابن الماحي الإدريسي،  
وفيات، ص. 35.

محمد حجي

**التبر، الحبيب بن الهادي بن محمد الإدريسي**  
المراكشي. ولد عام 1357 / 1938 ودرس بثانوية محمد  
الخامس بمراكش واشتغل بالتدريس لفترة قصيرة من الزمن  
(1955-1956) وقد عرف من بين الطلبة النجباء خلال دراسته  
وأهله مستواه العلمي إلى الالتحاق بالمعهد العالي للسينما  
بباريس حيث قضى به ثلاث سنوات، وبعد تخرجه منه عين  
بوزارة الأنباء بالرباط بصفته صحافياً مصوراً، فكان من  
الأطر العليا المتخصصة، وقد انتدب للمشاركة في مؤتمر  
الصدقة المغربية التشيكية المنعقد في براغ (Prague) في  
يوليوز 1961، وعند عودته ارتطمت الطائرة "إليوشين"  
بعمود كهربائي ببوسكورة قرب الدار البيضاء فاشتغلت  
فيها النيران فاحترق جميع ركابها، وتوفي شهيداً في  
12 / 7 / 1961 ودفن بساحة ضريح الامام السهيلي بمراكش.

معرفة شخصية ورواية شفوية.

محمد ماگامان

**التبر، فن شعري حساني.** يتميز المجتمع البيضياني  
الناطق بالحسانية بأنظمتها الشعرية الغنية والمتنوعة. من بين  
هذه الأنظمة يمثل التبراع فناً عاطفياً خاصاً بشابات فئة  
ذوي حسان اللذين يقبعون على أعلى سلم التراتبات  
الاجتماعية والسياسية خلال مجتمع ما قبل القرن  
العشرين.

يمثل فن التبراع في صيغته وأشكاله وأغراضه العاطفية  
شعر عينة الشابات الحسانيات. تتقوى أغراض هذا الفن  
الشعري في إطار هو أشبه ما يكون بالسري انطلاقاً من  
التواصل الكلامي الذي يذكي أخلاق التخاطب العاطفي  
وأحاسيسه. فذات الأنثى المعبرة تكشف عن أشكال  
تفاعلها مع أبناء فئتها المجتمعية. كما أن صيغ وأشكال  
خطابها موقوفة على كنه علاقتها بمخاطبها. جلي إذن أن  
هذا الفن الشعري النسوي يخدم أغراضاً محدودة تعبر عن

نحو الجنوب الغربي من المغرب فتصبح إبلنج عاصمة له بدل  
منطقة تافيلالت التي لم تسترد دور سجلماسة القديم في  
جلب التبر إلا مع بداية العلويين ( تاريخ الضعيف، ج 3،  
ص 4 مرقون )، ولم يكتف المولى إسماعيل بوصول القوافل  
التجارية المحملة بالتبر صدفة، بل حاول احتلال مفترق  
الطرق، الذي تتجمع فيه القوافل الآتية من السودان  
والمتجهة نحو المغرب (توات) واستطاع تحويل تيار تدفق  
التبر في عهده إلى المغرب.

استمر هذا التيار في التراجع بعد ذلك تارة نحو  
المغرب أو منطقة منه وتارة نحو الشرق، إلا أن المؤكد هو  
تضاؤل الكميات الواصلة منه إلى المغرب، فحتى بداية  
القرن العشرين، بل وفي نصفه الأول، كان الكثير من أعيان  
واحاح الجنوب وخاصة اليهود منهم - منطقة درعة - يجهزون  
قوافل إلى السودان لمحاولة التقاط بقايا التبر أو المكسور  
من سبائك الذهب وحلي السودانيات مقابل بضائع في  
معظمها مصنوعات جديدة مستوردة (D.J. Meunier, *Le Maroc Saharien*).

هذا التدفق للذهب السوداني على المغرب لم يفده  
كثيراً، إذ كان مجرد قنطرة عبر منها إلى أوروبا بأشكال  
وطرق متعددة منها: المعاهدات الجائرة - والتهريب،  
والمبادلات غير المتكافئة، ومقتنيات الأعيان والخاصة من  
البضائع الأوربية إلى غير ذلك من الوسائل التي أفرغت  
المغرب من هذا المعدن النفيس منذ أن بدأ اقتصاد أوروبا  
يتطور، حتى إذا نضب معين السودان بدأ يعرضه معين  
العالم الجديد.

البكري، المغرب، 1911، 1965؛ الإدريسي، *نزعة المشتاق*؛  
مجهول، *الاستبصار*؛ التادلي، *التشوف*؛ ابن سعيد المغربي، *بسط  
الأرض*؛ الحميري، *الروض المعطار*؛ العمري، *مسالك الأبحار*،  
1924؛ م. ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة*؛ الحدسن الوزان، *وصف  
أفريقيا*، 1980.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924; J.  
Meunier, *Le Maroc Saharien*..., 1982, n° 17, 1970, pp. 71 - 108;  
B. Rosenberger, *Les anciennes exploitations minières*..., R.G.M.;  
D. Eustache, *Les ateliers monétaires du Maroc, H.T., VXi 1970*;  
B. Boutaleb [et al...], *L'histoire du Maroc*, 1967.

محمد حجاج طويل

**التبر، أسرة إدريسية شريفة يتصل نسبها بإدريس**  
الأزهر مؤسس مدينة فاس عن طريق ابنه عبد الله الذي  
تولى إمارة مدينة أغمات وبلاد نفيس والمصامدة ووكالة.  
وأولاد التبر أبناء عمومة مع العمرانيين غير الجوطيين من  
أهل الفحص ويني شداد وتالنبوط وغيرهم. وقد ذكرهم  
إدريس الفضيلى في *الدرر البهية* (2: 166) وقال إنهم  
"بفاس قليلون غير أنهم مشهورون بالشرف، وبأيديهم  
ظواهر عديدة للملك مراكش السعديين وغيرهم، وقفنا على  
أعيانها". ويوجد أولاد التبر في مدن مغربية أخرى،  
وبخاصة مراكش التي استقر بها أحد أفراد هذه الأسرة في  
مطلع القرن العشرين، وأنجب أبناء وأحفاداً يعيشون بها  
حتى اليوم.

الذات وتطور خطاب الشابة للرجل بفتة مجتمعية محددة. بهذه الكيفية يصير تاريخ التبراع تاريخاً للصيغ النسوية الحسانية الشابة التي تنمو وترعرع كصيغ منفصلة عن باقي الأنظمة الشعرية البيضانية وخارج كل تدخل للرجل. ولعل بإمكان الدراسة المتأنية أن تقارن بشكل تقريبي وعمام تاريخ التبراع كما يبينه السرد المتسلسل لأبياته المتفرقة بتاريخ تداخل العلاقات المجتمعية بين شابة ورجل هذه الفتة الحسانية. كما أن بإمكان الدراسة المتخصصة أن تكشف من خلال تاريخ التبراع بين تطور المقاييس الحضارية من لباس وتجميل وأدوات الاستعمال النسوي والقوائم المرتبة زمنياً من مفردات وكلمات التخاطب اليومي وأفكار سائدة وقيم مجتمعية.

لاشك أن التطور الفعلي لهذا الفن الشعري يتم حسب تطور العلاقات المجتمعية إذ يتطور التواصل والتفاعل الشعري وتتطور أشكال الصيغ الشعرية بسبب التفاعل المجتمعي وأخيراً تنعكس سيرورة التطور الشعري في تغير صيغه وأشكاله.

دراسة ميدانية : السلطانة بنت شيخنا، "الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار"، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط، 1990.

مصطفى ناعمي

التبريز، نظام تربوي يهدف إلى انتقاء وتكوين وتوظيف أساتذة ذوي كفاءات عالية ومهارات مهنية تمكنهم من التدريس بفعالية في مختلف التخصصات المحدثه. والتبريز نظام قديم بفرنسا، وعنها اقتبسها المغرب في نطاق معاهدة التعاون المغربي الفرنسي الموقعة في 31 يوليوز 1984، حيث عمدت وزارة التربية الوطنية إلى خلق أسلاك تحضير التبريز بشكل تدريجي في المدارس العليا للأساتذة، ليسند العمل إلى المبرزين في الأقسام التحضيرية للمدارس العليا للمهندسين - مراكز التكوين : (المدارس العليا للأساتذة - المراكز التربوية الجهوية - مراكز تكوين مفتشي التعليم... الخ). الأقسام النهائية للتعليم الثانوي. ومستقبلاً بالسلك الأول من التعليم الجامعي. ويشترط في المرشح أن يكون قد تابع تكوينه بشعبية تحضير التبريز لمدة سنتين. أو تابع سلكاً دراسياً معترفاً بمعادلته لشعبية تحضير التبريز. أو حاصل على دبلوم الدراسات العليا أو ما يعادله. أو دبلوم التخصص بالسلك الثالث أو ما يعادله. تستغرق مدة التكوين بسلك تحضير التبريز للتعليم الثانوي سنتين دراسيتين، يتلقى المترشحون خلالها تكويناً علمياً تخصصياً وتكويناً تربوياً نظرياً وعملياً تمكنهم من :  
- تعميق معارفهم على المستوى النظري والتطبيقي.  
- إكسابهم منهجيات العمل، تستجيب لمتطلبات مبرارة التبريز.

- تزويدهم بالمعارف التربوية لمزاولة مهامهم التدريسية.  
- إطلاعهم على مختلف منهجيات التدريس والتنشيط

التربوي.

وللوصول بهؤلاء المتدربين إلى المستوى المنشود تم تزويد أسلاك تحضير التبريز بأساتذة مغاربة ومتعاونين أجانب مؤهلين علمياً وعملياً لتأطير المتدربين.

تخضع مباريات التبريز لاختبارات كتابية وشفوية. وهناك اختلافات بسيطة في طريقة اجتياز هذه الاختبارات حسب اختلاف المواد. فمثلاً بالنسبة لمباراة التبريز في مادة الرياضيات والعلوم الفيزيائية والصنع الميكانيكي : يقوم الطلبة المغاربة باجتياز نفس الاختبارات التي يجتازها زملاؤهم الفرنسيون في نفس الوقت ونفس الظروف. ويتم تصحيح أوراق الامتحان دون أي تمييز بين المرشحين المغاربة والفرنسين، وتحصر لائحة المقبولين في الاختبارات الكتابية بحضور رئيس لجنة التبريز الذي يمثل الجانب المغربي.

أما بالنسبة لمباراة التبريز في اللغة الفرنسية والتربية البدنية والرياضية والعلوم الطبيعية مثلاً، فإن الاختبارات الكتابية توضع من طرف رؤساء اللجان بالتنسيق والتشاور مع أعضاء اللجان المشتركة المغربية والفرنسية.

وتجري المباريات في مراكز مخصصة لذلك، ويتم التصحيح مزدوجاً بكل من المغرب وفرنسا.

وبعد توحيد النقط تقوم اللجان المشتركة بإجراء مداوات الشطر الكتابي، وحصر لائحة المقبولين لاجتياز الاختبارات الشفوية والعلمية.

وتجري الاختبارات الشفوية للمقبولين في الكتابي بالمغرب من طرف لجان مشتركة، وبعد تقييم أداء المرشحين، وتنقيطهم، يصادق وزير التربية الوطنية على لائحة المقبولين نهائياً في المباراة.

ونظراً للنتائج الإيجابية التي تحققت على مستوى المباريات الوطنية للتبريز، فإن وزارة التربية الوطنية تعمل سنة بعد أخرى على توسيع نظام التبريز ليشمل باقي المواد التعليمية.

وثائق مديرية تكوين الأطر بوزارة التربية الوطنية.

المفضل دوحه

التبشير أو التنصير بالمغرب، عاش بالمغرب مسيحيون أجانباختلفت أهميتهم العددية حسب العصور، ولكن سياق تاريخ العلاقات الخارجية للمغرب في القرن التاسع عشر جعل وجود أجانبا من المسيحيين أوضح وأكثر ارتباطاً بجوانب السياسة والاقتصاد.

لا يظهر من المصادر المتعلقة بالعصر الوسيط أن الوجود المسيحي كان على درجة تلفت النظر بالمغرب. وكل ما هنالك إشارات تدل على بقايا مسيحية من العصر القديم. ولربما التحق بالمغرب جماعات أخرى من الخارج. كانوا في مناطق جبلية وفي سهول مثل تامسنا ومدن مثل فاس، وقد تحول بعضهم إلى الإسلام على عهد الأدارسة. وفي عهد المرابطين انضاف إلى من لم يسلموا من كان بجيش الدولة من المرتزقة أو من نفي إلى المغرب من الأندلس أو من أسر

في الحرب. وقد كان منهم أفراد بالحرس الاميري بمراكش وقوامه أربعة آلاف جندي، كما كانت مجموعة منهم يمكناس يقدر عددها بثلاثة آلاف نسمة. كما استقبلت سلا عدداً من هؤلاء المبعدين من الأندلس.

كان من النصارى حرس وعساكر وجباة ضرائب ومزارعون. ومن المهمات التي وكلت لهم ما ينطوي على مخاطر الاصطدام والتوتر بينهم وبين المسلمين، ولا سيما إذا استعملوا في جباية الضرائب وصدر من بعضهم سلوك يחדس حرمة المسلمين الدينية.

وفي عام 628 / 1230 كانت بمراكش كنيسة لا ندري ما إذا كانت في العهد السابق، سميت بكنيسة القديسة مريم، وكان المسيحيون المقيمون بالمغرب يؤدون شعائهم الدينية بكامل الحرية. واختص الفرنسيون سكان بسكنى بعض مدن السواحل. وقد كانت البابوية تظهر اهتماماً بشئون هؤلاء المسيحيين الموجودين بالمغرب. وكذلك ملوك إسبانيا حيث إن ملك قشتالة اشترط مقابل تقديم بعض المساعدات للمأمون الموحد أن يسمح هذا الأخير ببناء الكنيسة المذكورة وإقامة شعائر المسيحية جهاراً وأن يتعهد بمنح إسلام المسيحيين وعدم التعرض لمن أراد التنصر من المسلمين.

وتذكر مصادر العصر المريني أن عدد الجالية المسيحية قدر بأربعة آلاف فرد كان منهم حراس بقصر السلطان، وكان للمسيحيين رضى خاص يسكنونه، ومن أسباب قيام السلطان يعقوب بإخراجهم من داخل فاس ما كان يرد من أخبار استفحال حركة التنصر بالأندلس وما وقع من استيلاء الإسبان على مدينة سلا ومباركة البابوية لهذا الاحتلال الذي قد تكون المليشية المسيحية بالمغرب متورطة فيه، يضاف هذا إلى جملة متاعب أخرى كانت تتسبب فيها الفئة المذكورة.

ولربما نشط التبشير في هذا السياق بعد إخراج المسلمين من الأندلس ونقل الغزو الأيبيري إلى أرض المغرب في بدايات العصر الحديث. حيث وردت الإشارة إلى ارتداد طائفة من المغاربة الواقعيين تحت ضغط الاحتلال البرتغالي. ولربما كانت هذه الردة موضوع مراسلات بين الوطاسيين والبرتغاليين، وقد كتب القبطان "ليط" إلى ملك البرتغال يخبره بأن مسلمين "متنصرين" يظهرون المسيحية ويخفون الإسلام ولهم اتصالات بالسلطان الوطاسي لتدبير نقلهم. فاقترح ليط نقلهم إلى إحدى جزر البحر حتى لا يطمعوا في العودة إلى الإسلام.

أما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فقد كان الفرنسيون سكان ما يزالون مقيمين بعدد من مدن السواحل، وقام السلطان المولى اليزيد بالحد من التجاوزات في أنشطتهم، ولكنهم عادوا إلى نشاطهم في العهد السليمانى، ففتحوا المدارس في القرن التاسع عشر لتعليم الإسبانية والفرنسية للأطفال شريطة حمل الصليب. وأنشأوا مطبعة عربية إسبانية، كما أنشأوا مستشفى بإدارة

الفرنسيسكان، وقرنوا التبشير بالعمل الإحسانى. ارتبط التبشير بالاستعمار وتعتبر رحلة شارل دوفوكو داخل المغرب من علامات هذا الارتباط ومن نشاط التبشير. فقد كان يعتقد أن السبيل الوحيد لبقاء سكان شمال إفريقيا على الولاء لفرنسا هو إدخالهم إلى المسيحية. ولكن هذا المشر لم يتردد في الاعتراف بفشل سعيه الشخصي في تنصير من استهدفهم بدعوتهم في أوساط الفقراء. ويتجلى من تقارير البعثات، ولا سيما بعثة طنجة النشطة، أن العمل التبشيري لم تكن له نتائج إيجابية سواء في أوساط المسلمين أو اليهود.

أما التبشير البروتستانتي فقد بدأ محاولاته في النصف الأول من القرن التاسع عشر في كل من الصويرة وتطوان مستهدفاً اليهود. وكانت جماعة التبشير اللندنية هي متولية هذا العمل وهي : The London Society for Promoting Christianity Amongst the Jews. وقد أسس الأب ماكنتوسن Makintoshin جماعة الانجيل البريطانية British and Foreign Bible Society لتوزيع الانجيل مترجماً إلى العربية والبربرية، وبها عرف التبشير البروتستانتي دفعاً جديداً، وكانت الطبعة الأولى للانجيل باللهجة الريفية سنة 1885، وتمكن مبشرو جماعة الانجيل من توزيع كميات من نسخ الانجيل المترجم. وتفرغت عن هذه الجماعة بعثات فرعية لتنصير البربر. وكان لبعثة الصويرة إشراف على مبشري مراكش والجديدة. وبلغ عدد مبشري الدار البيضاء وحدها خمسة وعشرين مبشراً. ونشطت "بعثة كنيسة انجلترا الانجليكانية" England Presbyterian Church Mission لربط علاقات يهود فاس بيهود دمنات والجنوب، وذلك بمساهمة مسيحيين سوريين. ويتلخص عمل هؤلاء المبشرين في التنصير وتوزيع الانجيل ومناقشته وتفسيره، كما تثار المحادثات في الأسواق والديار، وتعزز هذه الاوجه من النشاط بالأعمال الاجتماعية كالطببيب.

ومن نشاط البروتستانت أيضاً فتح المدارس : مدرسة الصويرة للبنات سنة 1878 ومدرسة طنجة للبنات سنة 1892 ومدرسة للذكور سنة 1893 ومدرسة تطوان للذكور سنة 1893. وقد وقفت انجلترا بوضوح وراء التبشير البروتستانتي منذ سنة 1890، خاصة بعد أن ثبت أن العملية أصبح لها بعد سياسي خطير، مما أدى إلى استفحال أمرها، فقرر المخزن إذ ذاك إيقاف النشاط التبشيري بجميع أصنافه، وتثقلت إجراءاته في منع ربط العلاقات مع المبشرين وتهديد كل من يرسل ابنه إلى مدارس البروتستانت وتقديم احتجاج رسمي إلى حكومة انجلترا بتاريخ ماي سنة 1891 وغلق مدرسة بعثة شمال إفريقيا بفاس سنة 1898.

كان جهد الجمعيات التبشيرية الأوروبية ضئيلاً إذا ما قورن بالمجهودات التي بذلت في مناطق أخرى، ونتيجة لذلك حاولت هذه الحركات التبشيرية أن تغير وسائل عملها فلا تدعو مباشرة إلى اعتناق المسيحية بل ركزت جهودها

على الأعمال الخيرية والطب، علها تستقطب بعض المغاربة، لكن النتيجة ظلت سلبية.

أما فيما يرجع بالبعثات التبشيرية الأمريكية فقد بدأ بعض المبشرين الاميركيين المتحمسين لنشر النصرانية في الوصول إلى المغرب خلال السبعينات من القرن التاسع عشر، وكان من أوائل القادمين "إدوار بلدوين" Edward Baldwin الذي وصل إلى طنجة برفقته عائلته.

وفي منتصف العقد الأخير من القرن التاسع عشر وصلت إلى المغرب بعثات تبشيرية أمريكية منظمة كان على رأسها أحد اليهود تم تنصيره في الولايات المتحدة وأصبح من المتحمسين للدين الجديد، وهذا الداعية هو "البرت ناثان" Albert Nathan وقد استطاع الحصول على منزل في طنجة جعل منه مركزاً للعمليات التبشيرية في المغرب حيث تمكن من استخدامه سكناً للمبشرين القادمين أو الذين يرغبون في البقاء في طنجة والدعوة إلى المسيحية في تلك المدينة وبالإضافة إلى ذلك قام ناثان بفتح مركز صغير بالمدينة لهدف إعلامي، حيث أخذ في توزيع النشرات التي تدعو إلى المسيحية ويبيع كتب دينية بأسعار منخفضة، كان الغرض منها استدراج المغاربة خاصة اليهود الذين أخذت البعثة التبشيرية الأمريكية في التركيز عليهم.

لم تكن تلك البعثات هي الوحيدة التي أرسلت من اتحاد البعثات التبشيرية بل كانت هناك بعثة أخرى، مكونة من اثني عشر شخصاً، قدمت إلى المغرب في دجنبر 1890. قام القنصل الاميركي جون باركلي (John Barclay) عندما وصلت بعثة سنة 1890 بالضغط على محمد الطريس نائب السلطان في طنجة لكتابة رسالة تسمح لاولئك المبشرين بالإقامة والتجوال في المغرب دون التعرض لهم. بل إن القنصل قام بإرسال تعليمات إلى نوابه في عدد من المدن المغربية التي اتجهت إليها تلك البعثات التبشيرية لتقديم المساعدات إليها.

وقد كانت تلك البعثات تلح على أن هدفها هو نشر المسيحية (المذهب البروتستانتي فقط) وأنها ليست لها أي أهداف استعمارية بالمنطقة على عكس بعثات الدول الاوربية. والواقع أن عدداً من المبشرين تستروا بأهداف دينية للحصول على كثير من المعلومات عن المغرب، لذلك لم يترددوا لقبول وظائف في السلك الدبلوماسي، وتجميع الثروات؛ فالارتباط كان هنا أيضاً وثيقاً بين التبشير والمصالح الأجنبية.

ومن أهم المراكز التبشيرية الاميركية في المغرب مركز مكناس الذي افتتح سنة 1890، ويعتبر مقراً لإعداد المبشرين القادمين من الولايات المتحدة يتم فيه تعليم القادمين الجدد اللغة العربية وتزويدهم بالكثير من المعلومات عن العادات والتقاليد المغربية والطريقة المثلى والأسلوب الصحيح في الدعوة إلى المسيحية، إضافة إلى ذلك قام المبشرون الاميركيون فيما بعد بافتتاح مركز صحي صغير بقصد تقديم الخدمات الصحية للمغاربة وهي

خدمات استطاع من خلالها المبشرون الوصول إلى غرضهم الأساسي وهو الدعوة إلى المسيحية، خاصة عندما أخذوا في الربط بين شفاء المرضى بالطب وبركة المسيح.

قام المبشرون الاميركيون بافتتاح عدة مراكز في كل من فاس والجديدة والقصر الكبير والعرش. لكن المبشرين الاميركيين وجدوا عدة صعوبات منها : عدم معرفة اللغة العربية والعادات والتقاليد المحلية وعدم تمكنهم من إيجاد السكن اللائق ومواجهة مشاكل أمنية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وانتفاض القبائل ضد العمليات التبشيرية.

كان من وسائل البعثات التبشيرية الاميركية العمل بين الاقلية اليهودية وتشجيع النزعة الإقليمية والأعراف القبلية والاتجاه إلى الأعمال الخيرية مثل إنشاء المستشفيات والمدارس ومراكز لإيواء اليتامى. وقد كان موقف المخزن المغربي من هذه الأعمال حازماً وذكياً، غايته تجنب الاصطدام مع الاميركيين، إذ أشار إلى أنه لا يستطيع أن يضمن أمن المبشرين الاميركيين الذين يتجاوزون المناطق المسموح لهم بها. وقد ظهر عداء الشعب لهؤلاء المبشرين، بلغ في بعض الحالات إلى الإقدام على تصفية المتنصرين غير أن ذلك كان يسبب مشاكل للمخزن.

كانت نتائج الحركة التبشيرية الاميركية بالمغرب هزيلة مثل سابقتها الاوربية، فلم يتنصر إلا عدد محدود جداً من الأطفال اليتامى واللقطاء الذين قام المبشرون بياؤانهم وتربيتهم على النصرانية وعددهم حوالي ثلاثة وثلاثين طفلاً قبيل الاحتلال الفرنسي حول معظمهم إلى النصرانية.

وظل التبشير مستمراً بالمغرب في عهد الحماية بل وبعد الاستقلال كذلك سنة (1959)، فقد جاء في تقرير لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : "إن المؤسسات التبشيرية التي تعمل بالمغرب لها وسائل عمل على الأخص في بعض المدن والقرى الكبرى : ثلاثة مستشفيات وعشرون عيادة ومستوصف طبيّ واثنا عشر ملجأ وستة عشر نادياً ثقافياً وأحد عشر نادياً للتكوين المهني النسوي وستة عشر مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية وثلاث مكتبات عمومية وإحدى عشرة جمعية أخرى مختلفة. وهذا ما مجموعه خمسة وتسعون مؤسسة. (عبد الله گنون، التبشير ودلالته عن الحركات التبشيرية، ص 40).

أما عن التبشير إلى غاية سنة 1978 فقد سجل تقرير غريغوري. م. لفنغستون عدة نقاط حيث يقول عن عدد المتنصرين المغاربة : "يوجد بالمغرب سبع مجموعات تقيم شعائرها، ويقدر عدد المتنصرين المغاربة بحوالي مائتي متنصر، يلتقون في هذه المجموعات الصغيرة ... ويظن البعض بأن مجموعات منعزلة من البربر لديها استعداد للتنصير الجماعي وذلك إذا توفرت لهم الظروف الملائمة..." (التنصير، ص. 377). وحول الوضع الكنسي بالمغرب يذكر التقرير : "توجد مجموعات من المسلمين الذين دخلوا النصرانية في الدار البيضاء وطنجة ولكنهم غير مقتنعين

depuis 1830, Tunis, 1930 ; G. Deverduin, *Les chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Paris 1961 - 1964 ; *Les missions protestantes au Maroc, 1875 - 1900*, Hesp. 1955, 153 - 192 ; M. Pablo Castellanos, *Los hijos de San Francisco en Marruecos, La Cruz*, Barcelona, 1882, T. 2, pp. 307 - 318 ; *Las misiones en Marruecos, Revista Franciscana*, Barcelona, T. 3, pp. 122 - 124 y 148 - 154.

محمد رزوق

**تَبَطُّكُوكتْ** أو تاببطكوكت، من أقسام قبيلة مسكينة شرقي مدينة أكادير. من مصادر معيشة أهلها تربية الماشية وزراعة الحبوب واستغلال شجر أرغان. توجد في الوثائق إشارات إلى إسهام هذه القبيلة في مجاهدة الاحتلال البرتغالي، وربما أقتع أهلها بعض البرتغاليين بدخول الإسلام. بها أضرحة عدد من الصلحاء أشهرهم



تبطكوكت

ضريح سيدي هارون

سيدي هارون الذي أورد الباعقلي نسبة الشريف في تبين الأشراف، وقد جعله والد عمرو بن هارون دفين رأس الوادي، وعلي بن هارون دفين الشاوية ويوسف بن هارون دفين واد نون ومزال بن هارون (ت. 588 هـ) دفين آيت إلوگان بهشتوكة، وقد تأسست قرب ضريح سيدي هارون في منتصف القرن الماضي مدرسة عتيقة تصرف عليها القبائل المجاورة وتخرج منها عدد من الطلبة.

البعقلي، الاحسن بن محمد، تبين الأشراف : أهل دائرة الوسائل وقبله توجه لكل سائل، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1358 / 1939 : عقود ورسوم عائلة جبارة في ملك السيد الحسن بن عمر ثابت عبل : روايات شفهية لكل من أحمد أوبهي والعيسى الحسن أو محمد والحسن بن أحمد أو فراضن والحاج الحسن بن محمد أو علي أودود.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 148 - 159.

عمر أفا

**التبغ**، يسمى أيضاً طابا أو طباق أونيكوتيانا **طاباكوم**، (Nicotiana Tabacum) نسبة إلى جون نيكوت الذي كشف عن استعمالات هذا النوع بفرنسا. وهو نبات يعطي مواد تستعمل للتدخين أو المضغ أو السعوط. ينتمي إلى فصيلة الباذنجيات (Solanaceae) المحتوية على الباذنجان والبطاطا والفلفل وغيرها. الموطن الأصلي للتبغ هو أمريكا الحارة، ولا يعرف

بفكرة إنشاء كنيسة، فبعضهم يرى أن مثل هذا العمل غير قانوني وكفيل بأن يشير عملية انتقام... فالشكاية من كون أهل البلد لا يسيرون ولا يشاركون في تسبير الكنائس مخافة الانتقام وبالتالي لا يستطيعون الدعوة إلى المسيحية... (التنصير، ص. 381). ويصرح صاحب التقرير في مكان آخر بقوله : "فكروا دائماً في الكنيسة، فما لم تكن هناك كنائس ذات قيادة وزعامة وطنية محلية في المغرب فلن تبلغوا أهداف الرب... (التنصير، ص. 385).

أما عن توزيع الإنجيل وباقي المنشورات المسيحية فيقول التقرير : "تتوفر في المكتبة الوحيدة الموجودة بالمغرب كتب قليلة ضمن مجموعة من الكتب العلمانية من أجل بقائها مفتوحة قانونياً. وقد بدأ عدد من المسيحيين بالمغرب يوزعون صناديق بلاستيكية تحتوي على الكتاب المقدس وبعض المطبوعات التنصيرية على عدد من الأصدقاء الموثوق بهم... (التنصير، ص. 381).

بلقاسم الحناشي، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، زغوان، تونس، 1989 : ع. الفاسي، التبشير المسيحي وبعض الوثائق الطائفية الهندية، الرباط، 1973 : م. المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، جزآن، بيروت، 1985 : ع. گتون، شؤون إسلامية، الدار البيضاء، دون تاريخ : م. الخالدي، ع. فروخ، التبشير والاستعمار، بيروت، 1970 : التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، منشورات Marc للنشر، الولايات المتحدة الأمريكية، 1978 : م. عبده (الإمام)، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، تقديم وتعليق رشيد رضا، الجزائر 1978 : رامون لوريدو دياز، مادة البابوية، معلمة المغرب، 3 : 954.957 : تركي عجلان الحارثي، البعثات التبشيرية الأمريكية في المغرب الأقصى قبيل الحماية الفرنسية، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع. 63.64، يوليو 1991، ص 267.289 : إبراهيم بن الجنوي، أبتاؤنا بين أيدي المبشرين، صحيفة الميثاق (لسان رابطة علماء المغرب)، ع. 72، السنة 6، 1963 : ع. الخليلي، إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين، صحيفة الميثاق (لسان رابطة علماء المغرب)، الجزء الأول العدد 80، دجنبر 1968 : والجزء الثاني بالعدد 107 مارس 1970 : امحاند علال، خطر المبشرين في المغرب، صحيفة الميثاق، ع. 8 مارس 1970 والجزء الثاني في العدد 23 نونبر 1970 : ع. التميمي، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19، المجلة التاريخية، تونس، ع. 1، يناير 1974 : دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس، المجلة التاريخية المغربية، تونس : ع. 3 يناير 1975 : خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879، مجلة الثقافة (الجزائر)، ع. 61 صفر / ربيع الأول، 1401، ص 67.72 : عزت محمد إبراهيم، حقيقة التبشير، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، العدد 180، السنة 15، أكتوبر 1979.

G. Goyau, *Le christianisme sur la côte Babarques jusqu'au XIXème siècle*, Paris, 1930 ; *Lettre Pastorale aux Fidèles et Prêtres répandus dans le royaume du Maroc*, Paris, 1936 ; J. Crétineau-Joly, *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus...* Paris, 1844 ; A. Pons, *La nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc*

لا يزرع ولا يستعمل في صناعة السجائر، وإنما يلعب دوراً مهماً في تثبيت الكثبان الرملية والأتقاض والردوم.

يزرع التبغ حالياً بشمال المغرب وبالمغرب وسائيس. ونظراً لكون زراعته حساسة ومكلفة وتحتاج إلى عناية كبيرة فإن الفلاح المغربي قليلاً ما يقبل عليها. تزرع البذور في المشتل أولاً ثم تنقل البازرات إلى أترية رملية خفيفة وغنية بالدبال وكثيرة السماد.

تجمع الأوراق عندما تنضج وتترك بعد جمعها لتذبل، ثم تعلق مقلوبة ومدلاة حتى تجف، في ظل حضائر المعالجة المعدة لذلك. وتتم المعالجة بالهواء تحت ظروف طبيعية، وفي حالة معالجة التبغ بتيار الهواء الساخن فإنه يكتسب لونا أصفر زاهياً. وقد تستغرق عملية التجفيف الطبيعي مدة تزيد عن الشهر، ويعدها تختار الأوراق وتوزع حسب الرتب، ثم تخمر وتجمع في كومات كبيرة لمدة تستغرق بعض الشهور أو تتجاوز السنة.

تعطي عملية معالجة نوعي التبغ المغربي بالمغرب عدة أشكال من مواد التبغ : تبغ التدخين، تبغ السعوط، تبغ المضغ.

فإذا كانت عادة التدخين منتشرة في جميع أنحاء المغرب، فإن عادة السعوط تبقى خاصة بشماله، وعادة المضغ بشرقه.

استطلاعات ميدانية : ألبرت خيل، النبات الاقتصادي، ترجمة عيد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عيد المالك بنعبيد

\* \* \* دخل التبغ إلى المغرب بعد اكتشاف أميركا، حمله الأوربيون إلى إفريقيا الغربية ومنها انتقل إلى المغرب. تذكر الروايات التاريخية أن السودانيين الذين رافقوا الفيلة إلى مراكش عامي 1005 / 1006 - 1597 / 1598 جاؤوا بالتبغ يدخنونه ثم دخلوا به إلى فاس مع الفيلة عام 1007 / 1599. انتشر التبغ في المغرب بسرعة، وتعددت أسماؤه فدعاه بعضهم الطبخ وطابة وطباق والتويغة والدخان، وأصبح بعد سنوات معدودات بضاعة رائجة في الأسواق تحمله من السودان القوافل التجارية المنتظمة بين تينكتو ومراكش، وتجلبه السفن الانجليزية والهولندية المترددة على مراسي سلا وأسفي وأكادير. وأقبل على تدخينه مختلف الطبقات، وبخاصة الرعاع والسفلة الذين تعاطوه في مجالس اللهو والقيان، فزاد ذلك في تنفير أهل الورع منه، سواء العلماء وشيوخ التصوف الذين رأوا فيه بدعة سيئة تعين محاربتها ومنكراً يجب تغييره.

ولما توجه أحمد المنصور إلى فاس لآخر مرة أوائل جمادى الأولى عام 1011 / أواسط أكتوبر 1602، استفتى الفقهاء في التبغ. وقد تعالت أصوات الاستنكار، فأفتاه كل من مفتي فاس محمد بن قاسم القصار، وصالح سلا عبد الله ابن حسون بتحريم التبغ ووجوب إتلافه، فأمر المنصور بانتزاع التبغ من باعته في فاس، وكدس أكوماً في الديوان وأحرق على رؤوس الملأ، وضاعت بذلك أموال

الصنف البري لأنه زرع بها منذ قرون قبل دخول الرجل الأبيض. ومنها أدخل إلى أوروبا في عام 1557 من طرف كُولْمْبِس وذلك لقيمته العلاجية وكنبات للزينة في بداية الأمر. ثم انتشر إلى بقية بلدان أوروبا وإفريقيا وآسيا واستراليا. ومنذ نهاية القرن السادس عشر بدأت عادة التدخين في الانتشار بالرغم من معارضة رجال الدين والحكومات التي فرضت ضرائب باهظة على التبغ.

ومصدر صفات التخدير والنكهة والطعم المتوفرة بالتبغ هو وجود مواد قلوانية تسمى بالنيكوتين ومواد أخرى تنتج أثناء عملية المعالجة والتخمر، وزيت عطرية طبيعية. تتجاوز أنواع التبغ الخمسين لكن نوعين منها فقط لهما أهمية تجارية :

- التبغ المنزوع، وهو مصدر أغلب الأصناف المستعملة، وعددها يفوق المائة. وهو نبات حولي غير متفرع، قد يصل ارتفاعه إلى مترين. له أوراق كبيرة بيضاوية الشكل، وأزهار أرجوانية، وثمار عليية.



- التبغ البري وهو أصغر حجماً، وله أزهار صفراء. يزرع في بعض المناطق من أوروبا وشمال آسيا ويستعمل في صناعة المبيدات الحشرية، بالإضافة إلى صناعة بعض أصناف السجائر.

ومعلوم أن نوعاً من هذا الجنس وهو نيكوتيانا كُلوكا (Nicotiana glauca)، أدخل إلى المغرب بصفة عفوية، وانتشر طبيعياً على طول السواحل وخاصة ساحل المحيط الأطلسي. ينمو هذا النوع على الكثبان الرملية والساحلية والأتقاض والردوم بجوانب الطرق أبيضواحي المدن. وهو معمر يتراوح ارتفاع شجيرته من خمسة إلى سبعة أمتار. أوراقه رمحية، خضراء ضاربة إلى اللون الأزرق، أزهارها صفراء. وللتذكير فإن هذا النوع الواسع الانتشار بالسواحل

كثيرة. غير أن موت أحمد المنصور المفاجئ في السنة التالية أفسح المجال لتجدد رواج التبغ على نطاق أوسع في غمرة الفتن التي دامت عقوداً من السنين.

وفي أواسط رمضان عام 1026 / شتنبر 1617 بدأت في فاس حملة عنيفة جديدة لانتقاد المدخنين بسؤال كتبه أديب الفقهاء علي بن أحمد الشامي وجهه إلى قاضي فاس أبي القاسم ابن أبي النعيم ومفتيها أحمد المقرئ وسائر الفقهاء يعرض عليهم الحالة المزرية الفاشية التي آل إليها أمر تدخين التبغ ويستفتيهم في العشبة الخبيثة الشهيرة على الألسنة بطابة. وقد ركز السؤال على مقايضة التجار الأوربيين الذين يجلبون التبغ للمغاربة بمواد محرمة على المحاربين كالكوت والسلاح. وقد أجاب عن هذا السؤال كل من قاضي فاس ومفتيها وسبعة عشر فقيهاً آخر اتفقوا كلهم على استقباح التبغ واستقذاره. وفي جواب المفتي أحمد المقرئ توجيه للحاكم ليضرب على أيدي مروجي التبغ ومتعاطيه. وإعطاء هذه الاستشارة صبغة رسمية حرر شهود من سباط العدول رسمين عدلين عقب الفتاوى التسع عشرة، نص الرسم الأول على صحة نسبة كل فتوى إلى صاحبها والتعريف به وإثبات كتابتها بخطه، وسجل الرسم الثاني حكم قاضي فاس بتحريم التبغ اعتماداً على الفتاوى المذكورة، وما جاء فيه : "... حكم - القاضي ابن أبي النعيم - بتحريمها ومنعها وفساد المعاملات في شرائها وبيعها، وإلحاقها في سائر الأحكام بغيرها من المنكرات، وسائر المفسدات والمسكرات... حكماً أنفذه وأمضاه، وأوجب العمل بمقتضاه في أواخر شوال عام 1026".

لم يوقف هذا الحكم سيل التدخين العارم، وظل الصراع حاداً بين فقهاء بلاد المغرب طوال القرن الحادي عشر (17م) ومصر وما وراء الصحراء من بلاد السودان بين محلل ومحرم ومتردد. وكان بعض الفقهاء والأدباء يذخون ولايترددون في ذكر منافع هذه العشبة في فتاواهم وقصائدهم. وقد أُلّف في تحريم التبغ أو تحليله نحو ثلاثين كتاباً لفقهاء هذا القرن من مغاربة ومشاركة، منها : نصيحة الإخوان باجتنب الدخان لشيخ المالكية بمصر إبراهيم اللقاني ؛ وغاية التبيين لحل شرب ما لا يغيب من الدخان، عقّب فيه الفقيه المالكي عليّ الأجهوري على كتاب اللقاني ؛ ومحدد السنان في نحور إخوان الدخان لعبد الكريم الفكون القسنطيني ؛ وسهم الإصابة في حكم طابة لمحمد العربي الفاسي. وجمع الفقيه أحمد بن يحيى الفشتالي في ربيع الأول عام 1096 / فبراير 1685 فتاوى الفاسيين المشار إليها آنفاً مع السؤال وحكم القاضي في كتاب سماه : فتاوى علماء فاس في الدخان، كما جمع فقيه آخر لم يذكر اسمه فتاوى أخرى وقصائد ومحاورات ورسائل في كتاب بعنوان مجموع الدخان.

وقد خفت صوت الفقهاء بعد ذلك وإن ظلوا يتعرضون لذكر التبغ ويستنكرونه في مولفاتهم الفقهية وغيرها. ولم يعد يقف في وجه التدخين بفعلية إلا بعض الطرق الصوفية

التي حرمتها على أتباعها تحريماً باتاً، كالطريقة التجانية ذات الانتشار الواسع في شمال أفريقيا والصحراء وماوراءها. وفي عهد الحماية قننت زراعة التبغ في المغرب ومراقبته وجعل الاتجار فيه حكراً على السلطة وأنشئ لذلك إدارة خاصة بالدار البيضاء : وكالة التبغ Régie de tabacs مازالت قائمة حتى اليوم.

أ. ابن أبي محلي، الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية، مخطوط ؛ إصليت الخريّت، مخطوط ؛ أ. باب التنيكتي، اللغ في الإشارة إلى حكم طبع، مخطوط ؛ إبراهيم اللقاني، نصيحة الإخوان باجتنب الدخان، مخطوط ؛ علي الأجهوري، غاية التبيين لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان، مخطوط ؛ أحمد البوسعيدي، بذل المناصحة في فعل المصافحة، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، سهم الإصابة في حكم طابة، مخطوط ؛ ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، مخطوط ؛ عبد الكريم الفكون القسنطيني، محدد السنان في نحو إخوان الدخان، مخطوط ؛ أ. بن يحيى الفشتالي، فتاوى علماء فاس في الدخان، مخطوط ؛ مجهول، مجموع الدخان، مخطوط ؛ ح. اليوسي، المحاضرات، تح. محمد حجي، وأحمد الشراقي اقبال ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 1 : 246. 266 ؛ ع. القدوري، ابن أبي محلي الفقيه الناشر ورحلته الاصلية الخريب، الرباط، 1991.

محمد حجي

التبليغ، جماعة تقوم بالدعوة الإسلامية تأصلت من الهند. وانتشر أتباعها بالمغرب وقد تأسست في دلهي بالهند على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (1883). (1944)، وهو من أسرة صوفية، انتسب في صغره إلى الطريقة الحبشية. وهو الذي وضع مبادئ هذه الجماعة ورسم أهدافها وحدد منهج عملها. وبعد وفاته آل أمر تسييرها إلى ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (1917 / 1965) الذي تنقل كثيراً لطلب العلم والدعوة، وتوسعت الجماعة في عهده وانتقلت إلى أقطار أخرى، وبعد وفاته أصبح رئيسها الثالث الشيخ إنعام الحسن. ويقع مقرها الرئيسي في "نظام الدين" بدلهي، ومنه تدير الجماعة شؤون الدعوة في العالم، وتعتقد في دلهي بانتظام تجمعات ضخمة لأتباعها يجتمع فيها حوالي مليون شخص من الهند وباقي المناطق.

هذه الجماعة في الأصل ذات نفس صوفي حيث ترد على السنة أتباعها الهنود أسماء أعلام التصوف أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والسهورودي وجلال الدين الرومي، والأساس الذي تعتمد عليه هو تزكية النفس وإصلاحها وعدم الاشتغال بما لا يعني. من هنا فإنها لا تعطي للجانب الفقهي مثلاً تلك الأهمية التي تراها عند بعض الدعاة السلفيين، وإنما ترى بأنه على أتباعها تقليد أئمة الفقه، لذلك فإن أتباعها يتمذهبون بالمذاهب المنتشرة في بلدانهم.

يعتمد منهج الجماعة على "الأصول الستة" التي وضعها مؤسسها الشيخ محمد إلياس رحمه الله، ويعتبر

التزام هذه الأصول أمراً ضرورياً في الانتساب إلى الجماعة، وهي :

الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ إقامة الصلوات ؛ العلم والذكر ؛ إكرام كل مسلم ؛ الإخلاص ؛ النفر في سبيل الله.

ولكل أصل من هذه الأصول "مقصد" و"فضل" و"كيفية" تحصيل، ويتم تفصيل هذه الأصول الستة لمن يرافقون الجماعة في جولاتها المعتادة، وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الأصول قد أخذت من كتابات الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مؤسس حركة النور بتركيا. وليس لجماعة التبليغ أدبيات مكتوبة.

وفي المغرب بدأ نشاط جماعة التبليغ في أوائل الستينات، وكان محدوداً في المدن الكبرى كالدار البيضاء والرباط التي كان بعض دعاة الجماعة من الهند وباكستان يزورونها، وقد استطاعت هذه الزيارات استقطاب أعداد من المغاربة إلى مبادئ الجماعة، وكان المغاربة قبل ذلك يتعرفون على مبادئها خلال مواسم الحج.

بدأت قاعدة جماعة التبليغ تتوسع بفضل نشاط الدعوة المغاربة إلى أن تأسست رسمياً في المغرب سنة 1964، على يد رئيسها الأول الشيخ محمد الحمداوي رحمة الله (1935 - 19 مارس 1987)، وهو من إقليم بولمان، وتخرج من القرويين ثم اشتغل بالتعليم، وكان قد التحق بجماعة التبليغ سنة 1962 والتقى بأمرها الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله.

بدأ نشاط الجماعة ينتقل إلى مختلف المدن والبلدات المغربية، عبر الرحلات المنتظمة (الخروج في سبيل الله) التي يقوم بها أفرادها في مجموعات صغيرة، ولم يكده عقد الستينيات ينتهي حتى كانت كثير من المناطق المغربية قد تعودت على رؤية الدعوة التبليغية، وكان نشاطها قد ازداد وتوسع في عقد السبعينيات ازدياداً ملحوظاً. فأصبحت مراكز / مساجد الجماعة تستقبل بانتظام جماعات قادمة من دول أخرى، خاصة من شبه القارة الهندية (الهند - بنغلادش - باكستان) وبعض الجماعات من الدول العربية التي سمحت لهذه الجماعة بالعمل كالأردن ومصر وتونس وكذا السعودية قبل أن يتم حظر الجماعة فيها. وجدير بالذكر أنه من حين لآخر كانت المجموعات التبليغية تضم بعض المسلمين الأمريكيين أو الأوربيين خاصة من فرنسا وبلجيكا حيث تنشط الجماعة أكثر في صفوف العمال المغاربة والمسلمين عموماً، ولها مراكز نشيطة هناك ودعاة مغاربة مشهورون خاصة ببروكسيل.

من أهم مراكزها النشيطة بالمغرب مسجد النور في بوسجور بالدار البيضاء ومسجد دوار الحاجة بحي التقدم بالرباط حيث كان رئيسها السابق الشيخ محمد الحمداوي يقوم بالدعوة، ومسجد الفتح بالقصر الكبير حيث الرئيس الحالي الشيخ البشير اليونسي الذي انتسب إلى الجماعة في أوائل الستينيات وكان يشتغل بالتعليم لكنه تفرغ بعد

ذلك للدعوة. وتكاد مراكز جماعة التبليغ تغطي حالياً أغلب المدن المغربية، أما بالقرى فإن دعواتها يقومون بأنشطتهم في المساجد الأهلية أو الرسمية.

اعتادت الجماعة أن تقيم من حين لآخر تجمعات ضخمة بمقر المعرض الدولي بالدار البيضاء في بداية العطلة الصيفية تحضرها وفود من مختلف المناطق المغربية وكذا من خارج البلاد، تستغرق هذه التجمعات ثلاثة أيام تلقى خلالها الخطب والكلمات من طرف عدد من الضيوف والمدعوين الذين يمثلون جمعيات العلماء كرابطة علماء المغرب وعدد من الجمعيات الإسلامية المغربية، كما تلقى دروس حول فضائل العقيدة والأخلاق والآداب الإسلامية، ويتم عرض أصول الجماعة والترغيب في الخروج في سبيل الله وما يترتب عنه من إصلاح للأمة ورجوع العديد من الناس إلى الالتزام بشعائر الدين، ثم تتم الدعوة التي تشكل الجماعات التي ستنطلق للخروج في سبيل الله إلى مختلف المناطق داخل البلاد وخارجها حسب المدة التي يحددها كل شخص لنفسه، وهي تتراوح بين يوم واحد كحد أدنى وأربعة أشهر كحد أقصى.

تتلخص طريقة جماعة التبليغ في الدعوة لتشكيل مجموعات صغيرة، يلتزم كل فرد منها بتحمل نفقات طعامه وتنقله، وتوزع كل مجموعة الأعمال اليومية بين أفرادها بإشراف الرئيس الذي يدعى "الأمير"، فيقوم البعض بتنظيم أماكن الإقامة وعادة ما تكون بلحقات المسجد، كما يقوم البعض بشراء الطعام وطهيه، والتكشيف والبساطة هما السمتان الغالبتان عليهم. وبعد التفرغ من هذه الأعمال يقوم الأفراد بتعلم آيات من القرآن الكريم أو ذكر الله أو قراءة بعض الكتب كرياض الصالحين للإمام النووي أو حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي. ويلتزمون خلال مدة الخروج في سبيل الله بإقامة الصلوات في أوقاتها وفي جماعة مع الاجتهاد في الدعوة والتعليم. وبعد صلاة العصر تخرج مجموعات صغيرة من المسجد تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص إلى شوارع المدينة والأسواق لدعوة الناس إلى المسجد للاستماع "للبيان" وهو درس وعظي يليق به أحد دعاة الجماعة يبين فيه احتياج الأمة إلى الدعوة ويرغب فيه في الخروج في سبيل الله. وأثناء الجولة لاستدعاء الناس يكون من واجب أفراد المجموعة الالتزام بمجموعة من قواعد الأخلاق كاللقاء السلام وغيض البصر وكف الأذى وتحمل الصبر في الدعوة وعدم الرد على الاعتداء أو التهكم، كما يتم تجنب دعوة الناس المنهمكين في أشغالهم أو المرافقين لأهلهم، والتركيز فقط على الأشخاص المتجولين أو الذين لا يبدو عليهم القيام بشغل ما في حينه. وعند أذان المغرب تلتحق جميع المجموعات بالمسجد، وتكون كل مجموعة عادة قد دعت بعض الأفراد، فيتم الاستماع إلى "البيان" الذي يشرح حكمة الخروج في سبيل الله. ثم يتم تشكيل المجموعات الجديدة التي ستنطلق صباح الغد.

ومن بين ما يلاحظ في طريقة جماعة التبليغ اهتمامهم



في الدعوة بالأحياء الشعبية بالخصوص، وعدم إجابة الدعوة إلى الولايم أثناء الخروج حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وسلوك سبيل الدين والرفق في تعاملهم مع مدعوهم.

يعتمد منهج جماعه التبليغ على الدعوه المرديه المباشرة، وعلى أسلوب الوعظ والترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، وحصراً الاهتمام بدائرة الأصول الستة، وهكذا فإن أعضاء الجماعة يتجنبون الخوض في القضايا السياسية كيفما كانت، وكذا في الخلافات والتفريعات الفقهية. كما لا تعتمد الجماعة في الدعوة إلى مبادئها على أي أسلوب آخر من الأساليب المعتمدة في التواصل كنشر الكتب أو الجرائد أو المجلات أو تنظيم المحاضرات والندوات وغيرها. وليس في الجماعة عضوية رسمية، إذ المهم عندها هو الالتزام بمبادئها، ولا تفرض على أتباعها أي التزامات أخرى. وهي بذلك تختلف عن باقي التنظيمات الإسلامية المعاصرة من حيث الهيكلية.

ومن الملاحظ أن جماعة التبليغ في الأقطار العربية قد اضطرت إلى تبني العقيدة السلفية والالتزام بفقهاء السنة أمام الانتقادات التي وجهها لها العلماء السلفيون بالشرق، بينما ظل أتباعها في الهند وغيرها من البلدان الآسيوية ملتزمين بالعقيدة الأشعرية والمذهب الحنفي، وقد هاجم أحد العلماء الوهابيين بالمغرب هذه الجماعة وأفكارها ونشر في ذلك كتاباً وهو الشيخ تقي الدين الهلالي في كتابه السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم سنة 1979، ولكن جماعة التبليغ لا تهتم بالرد على ما يكتب حولها كيفما كانت طبيعة ذلك.

تقي الدين الهلالي، السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم، الدار البيضاء، 1979؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1982، ص. 113-121؛ فتحي يكن، الموسوعة الحركية، عمان، دار البشير، 1983، ج 2، 145-146؛ حسين بن محسن جابر، الطريق إلى جماعة المسلمين، الكويت، 1984؛ أبو الحسن الندوي، الشيخ محمد إلياس وحركته الدينية، د. ت. في مسيرة الحياة، دمشق، دار الحكم، 1987، ج 1، ص. 185-194؛ محمد ضريف، الإسلام السياسي في المغرب، الدار البيضاء، 1992، ص. 210-215؛ جريدة الإصلاح (الرباط)، من 1/ع 27/2 مارس 1987، ص. 2؛ الدكتور صادق أمين، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، عمان، 1978.

محمد المغراوي

**تَتَلَّتْ** (فم - )، هكذا يكتبها معرفة التامنارتي في الفوائد والحضيجي في الطبقات. ويُنطق بها محلياً إيمي نْ تَتَلَّتْ. وتكتب أيضاً بَمَدٍ وتثليلت التاء الثانية : تاتَلَّتْ وتثلت. تقع قرية تَتَلَّتْ في منبسط قليل من الوادي بعد الدخول من منفتح في الجبلين بقبيلة سكتانة في حدور الأطلس الكبير شرق تارودانت، وبها زاوية ومدرستان

علميتان قديمة وحديثة. وقد أنجبت تَتَلَّتْ خلال القرون الأخيرة علماء وصوفية صالحين من أبناء وحفدة الشيخ محمد بن يعقوب التتلي الصنهاجي السكتاني، ترجم المختار السوسي في المعسول لأربعة وخمسين منهم "رفعوا راية العلوم والإرشاد أزماناً منذ أربعة قرون" بعضهم درس إلى أن مات في تَتَلَّتْ، وبعضهم شارط في مدارس أخرى ودفن هناك، ومنهم من لازال حياً يرزق وسنجزئ هنا بذكر أربعة نماذج من مشاهير تَتَلَّتْ :

**التتلي، أحمد بن محمد بن يعقوب الصنهاجي** السكتاني يدعى أحمد أمغار. خلف والده الشيخ آتي الترجمة في تعليم القرآن وتربية المريدن وإطعام الزائرين والمنقطعين بزواية تَتَلَّتْ، وعنه كانت تُروى أخبار والده الشيخ ابن يعقوب.

عمر أحمد أمغار كثيراً فكان مقصد القبائل عند الشدائد يصلح بينها، ويُطفئ نيران الفتن الموقدة في تلك الجبال بعد وفاة أحمد المنصور، ويذكرون في سبب موته أنه ذهب إلى قبيلة إداوؤكري ليصلح بينها وبين جيش مخزني حاصرها، فُرفِع علم الهدنة ومشى الشيخ أحمد أمغار بين صفوف التحاررين لإبرام الصلح، لكن بعض المخزنيين أطلق عليه الرصاص متعمداً. وكانت وفاته عام 1037 / 1628، ودفن في تيمولاي بقبيلة إداوؤكري، وبنيت عليه قبة يقام حولها موسم سنوي. وبإزاء مشهده مدرسة يشارط فيها عالم باستمرار.

**التتلي، الحسن بن محمد الصنهاجي السكتاني** الملقب مومو، من حفدة الشيخ ابن يعقوب، وُلِد في 14 ذي الحجة عام 1290 / 2 فبراير 1874 ونشأ في زاويتهم بتتلت، حيث أخذ القرآن على مُقَرِّئ الزاوية الاستاذ الكبير محمد ابن عبد الرحمن الكنسوسي، ودرس اللغة العربية والعلوم الشرعية على شيوخ الزاوية المتوافرين، كعلي بن عبد الله المغارتي السكتاني قرأ عليه في مدرسة تَتَلَّتْ السفلى العتيقة، وخاله الحسين بن محمد اليعقوبي وعبد الله بن واحمان السكتاني بمدرسة تتلت العليا وغيرهم، كما درس في مدرسة تيميشا بسكتانة، وانتهى من طلب العلم عام 1318 / 1900 فتصدر في مسقط رأسه للقضاء والفتيا، إذ كان الفقه أكبر بضاعته، وتلقين الطريقة التجانية التي أخذها عن شيخه الناسك أحمد ابن موسى التيكاني الطاطاني في زاوية تيميشا. وشارط في عدة مدارس يعلم القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والدينية. ولما تقدمت سنة أُقبل على الحديث الشريف وصار يسرد صحيح البخاري ويختمه في كل رمضان في زاويتهم بتتلت، أو بزواية تيميشا التي درس فيها إلى أن توفي في شهر محرم عام 1366 / نونبر - دجنبر 1946.

**التتلي، الحسين بن محمد بن عبد الله الصنهاجي**

السكتاني، من حفدة الشيخ محمد بن يعقوب آتي الترجمة "علامة جليل، كبير القدر، فذ من أفاض العلماء" بهذا حلاه محمد المختار السوسي.

درس في سوس على الأستاذ محمد بن يوسف الركني قبل أن ينتقل إلى مراكش للأخذ عن علماء جامع ابن يوسف "حيث أقام حتى ارتوى من المعارف".

تصدر للتدريس في مدرسة تلت، كما درس في مدرسة علي بن منصور، وتخرج على يده جماعة من الفقهاء المشهورين بسوس. وكان في نفس الوقت يفتي ويقضي بين الخصوم، على صلة بكبار شيوخ التصوف المعاصرين له. توفي حوالي عام 1316 / 1898.

### التتلي، محمد بن يعقوب الصنهاجي السكتاني،

أحد مشايخ سوس الكبار في القرن العاشر، عاصر الشيوخ أحمد بن موسى التازروالي، ومحمد بن ويسعدن السكتاني وأضرابهم، وهو جد الأسرة اليعقوبية التي توالى فيها العلم والصلاح حتى اليوم. قال عنه صاحب الفوائد الجمّة : "من أرباب المجاهدات، وأصحاب المقامات، له تربية نافعة في عصره، وبركة فائقة، وأحوال صافية صادقة".

حفظ محمد ابن يعقوب القرآن - بعيداً عن قرئته - على يد الأستاذ الشهير حسين بن مسعود الأثمناري الكدميوي في منزله بضاحية أمزميز، وشارط ابن يعقوب في مدرسة الحجر (دوزو) خمسة عشر عاماً يعلم القرآن، وربما شارط وعلم في قرى أخرى تذكّر. وأخذ التصوف عن عدد من شيوخ عصره، وتخرج على يده كثيرون ممن أدركوا منزلة عالية في الصلاح والتربية والتدريس، أمثال محمد بن مسعود النظيفي شيخ عبد الرحمن التامنارتي، والحسن بن أبي بكر التيزيگيني، ومحمد بن أبي بكر التيسيني.

أسس ابن يعقوب زاويته في فم تلت بمكان لازرع فيه ولا ماء إلا بؤيرة صغيرة، ومع ذلك كانت ترد عليه فيه المآت من المريدين والزائرين فيطعمهم بين الليل والنهار أربع مرات في اليوم واللييلة. وفي زاويته قال السلطان عبد الله الغالب حين طلب منه بعض المتصوفين ساقية يقيم بها زاوية : "الزاوية بالله لا بالساقية" فصار مثلاً بين أرباب الزوايا حتى الآن. وكرامات الشيخ محمد ابن يعقوب كثيرة ألف فيها أحمد بن إبراهيم الركني كتاباً سماه، شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب الشيخ سيدي محمد بن يعقوب، لخص بعضها المختار السوسي في خمس عشرة صفحة من المعسول، وقال : "لم نجد بدأ الآن إزاء هذه الشخصية الغربية إلا أن نبرزها للقراء كما هي في بيتها وفي محيط المعتقدين لها. ولت شعري بماذا يعرف مثل ابن يعقوب إن لم يذكر في أخباره مواد الهالة التي تكونت حونه مما ذاع وشاع ..."

وما تزال زاوية ابن يعقوب قائمة إلى اليوم في تلت، وقد زارها المختار السوسي ووصفها بتوسع في خلال جزولة

والمعسول، وقال "هي العامرة وحدها إلى الآن بما تعطيه لها القبائل من بين زوايا الشيوخ الذين عاصروا ابن يعقوب ... فإن زاوية فم تالت لم تزل مقصودة أهلة بالمنحاشين إليها، والعادة المتبعة أن يابوي إليها كل مسكين شاء فيأكل الوجبتين الغداء والعشاء، وكذلك من ورد أياً كان ... وكل ما كان معهوداً أن يعطي إلى زاوية الشيخ من القبائل لا يزال يعطي كما هو لا يقدر أحد أن يتملص منه".

يقام في زاوية تلت موسمان كبيران في مارس وأبريل، تساق إليهما مآت الذبائح من الغنم والبقر. وفيها مدرستان، سفلى وهي القديمة التي يقال إنها من عهد الشيخ ابن يعقوب، وعليها محدثة بعده، وقد درس فيهما بتعاقب الأزمان عدد من فطاحل علماء سوس. وتقوم أهراء الزاوية العامرة بالحبوب والإدام بإطعام المعلمين والمتعلمين. وفيها خزانة كتب قد تكون فيها كتب قيمة.

توفي الشيخ محمد بن يعقوب يوم الجمعة سابع شوال عام 963 / 15 غشت 1556 بمسقط رأسه فم تلت وقبره شهير يترك به.

ع. التامنارتي، الفوائد الجمّة، 58 : أ. الركني، شفاء القلوب ... في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب، مخطوط : الرسموكي، وفيات، 44 : م. الحضيكي، طبقات، تح. أ. بومزرگو، مرقون د. د. ع كلية آداب الرباط، 1 : 208. 209 : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 3 : 121. 130 : رجالات العلم، 24 : المعسول، 16 : 49. 71 : 76. 72 : م. حجي، الحركة الفكرية، 1 : 129.

محمد حجي

### التجارة المغربية في القديم، لا يمكن الخوض في

الحديث عن التجارة في المغرب القديم دون الإشارة إلى النصّ الشهير الذي كتبه هيرودوت المؤرخ اليوناني حيث قال : "يوجد في ليبيا، فيما بعد أعمدة هرقل، قطر إذا ما وضع القرطاجيون بضائعهم فيه، طوال الشاطئ، يلتحقون بمراكبهم ويوقدون ناراً لانتاج الدخان. وعندما يشاهد أهالي القطر الدخان، يأتون إلى الشاطئ ويضعون الذهب بجانب البضائع المعروضة للبيع ثم يبتعدون ... لا يمس القرطاجيون الذهب مالم يقتنعوا بأن الكميات المطروحة منه تكفي لمقايضته بسلعهم، كما أن الأهالي لا يمدون أيديهم إلى تلك السلع ما لم يأخذ القرطاجيون الذهب".

لكن ما يسوقه لنا هذا المؤلف من معلومات، يظل مشكوكاً في صحته، وبالتالي لا يمكن تزكيته. وبالمناسبة، نشير إلى أن المؤرخين الذي جاؤوا بعد هيرودوت، لم يعالجوا موضوع التجارة في غرب شمال أفريقيا إلا بصورة غير مباشرة، وأن ما يمكن استنتاجه من أخبار في هذا الشأن يبقى بعيداً عن الايحاء بالحقيقة ولا يسمح مطلقاً برسم صورة واقعية عن المبادلات التجارية.

ما كان بوسع المغرب القديم أن يقيم علاقات تجارية مع الإقطار العظمى إلا عبر شواطئه الطويلة الاطلنتية والمتوسطية على السواء. وله يكتشف إلى اليوم أي ميناء مغربي كان له دور تجاري في القديم، وهذا لا ينفي أن

المراكز الحضرية الشاطئية كانت تتوفر على تجهيزات مرسوية متباينة الأهمية لاستقبال السفن، لاسيما على ضفاف خليجي طنجة وسبتة وعلى مشارف مصب الأنهار (مثل تاهدارت، الأقواس، ليكسوس، تاموسيدا، ثلالاً...)، كما يبدو أن بعض الموانئ كانت على ضفاف الانهار (مثل تاموسيدا وبناسة بجوانب واد سبو).

لكن معلوماتنا تبقى زهيدة للغاية في موضوع ما إذا كانت الشواطئ المتوسطية المغربية تتوفر أو لا تتوفر على مراسي أخرى غير مرسى مليلية / روساير (؟) والمرسين المذكورين أعلاه.

إن المدن الداخلية والمواقع القروية التابعة لها كانت تستقطب نشاطاً تجارياً هاماً بفضل ما مضى يربطها من شبكة طرقية ورد بيانها في الرسم الذي وضعه أنطونان، كما تعرفنا على مدن أخرى على ضوء الاكتشافات الأثرية. وهكذا اتبين أن طريقين رئيسيتين كانت إحداهما تربط طنجة بوليلي والأخرى تربط طنجة بشالاً، تفرعت عنهما طرق إلى أمهات القرى. وما يثير الانتباه أن أبراجاً للحراسة شيدت على جوانب الطرق والمسالك، تتخللها محطات للمسافرين رفعت الأبحاث الأثرية الحجاب عن الكثير منها.

الشبكة الطرقية المذكورة التي كانت تدعمها أشكال من التجهيزات المرسوية، ظلت حيناً من الدهر تسمح للمدن والبوادي التابعة لها بترويج منتجاتها ومقاومتها ببضائع أخرى، سواء على المستوى القطري أو على المستوى الخارجي عبر الثغور المتوسطية المغربية.

تكاد النصوص القديمة لاتزودنا بما يشفي الغليل فيما يتعلق بالبضائع المحلية كما أن الأبحاث الأثرية لم تكن من جانبها لتفيدنا بشيء من الأخبار عن طبيعة المبادلات وحجمها. نعم، تتوفر لدينا الشهادات الدالة على ما كانت تجود به ممارسة الزراعة وتربية الانعام، يشخصها ما اكتُشف من أرحاء لطحن الحبوب ومعاصر الزيتون ومكوأيات لوسم الأنعام. ومع ذلك، لايتأتى لنا تقدير أهمية هذه الأنشطة. إن معاصر الزيتون التي تمّ احصاؤها بوليلي وناحيته تقيم الدليل على تطور زراعة الزيتون في هذه المنطقة من المغرب خلال عهد الرومان، كما أن أرحاء الحبوب والمكوأيات المذكورة التي تمّ العثور عليها بمراكز تقع بناحية الغرب وبياناसा وتاموزيدا، لدليل آخر على ممارسة زراعة القمح وتربية المواشي في سهول الغرب الطمسية، الأمر الذي يحمل على الاعتقاد أن المراكز المحادية لغابة المعمورة لم تكن لتجهل فوائد الاستغلال الغابوي. وفي هذا الصدد، يفيدنا بلين الأول أن بطوليموس، ملك المغرب العتيق كان يفتخر بامتلاك أكبر طاولة من الخشب يعرفها أهالي ضفاف البحر المتوسط، كما أن أولئك الأهالي كانوا يصطادون الوحش.

وعثر علماء الآثار، على امتداد الشواطئ الاطلنتية والمتوسطية، على أطلال لمعامل تلميح الاسماك وإنتاج مرق

مفلقل مصنعي من حواياها، إذ كان المرهان يقبلون على استهلاكه. وكانت هذه المعامل تقع بالخصوص بإيسا والرأس الأسود والقصر الصغير وكوتا وتاهدارت والقواس، وليكسوس وثاموسيدا وجزيرة الصويرة... وكلها تشكل حجة لنشاط بحري مكثف، سواء في ميدان التجارة أو ميدان الصيد وتحويل منتجات البحر.

ومنذ الفترة التي سبقت العهد الروماني بالمغرب، كانت هذه المنتجات تصدّر إلى العديد من الجهات التي تقع على ضفاف البحر المتوسط. من ذلك أن أمفورات - وهي قتل ذات عروتين - مصنوعة بالقواس خلال القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، وجدت بأقاليم شرق حوض البحر المتوسط وبكوراثنة بالضبط، كما أن جزيرة الصويرة أثارت الانتباه بوجود المرق حولها، فاستجلب الفنيقيين إليها لاستغلاله في إنتاج الأرجوان، وهو صيغ استعمله القدامى لصبغة النسيج المستخدم من طرف الأغنياء. ولهذا السبب، أطلقوا على جزيرة الصويرة والصخور المحيطة بها اسم الجزر الأرجوانية، وقد ثبت أن هذا الاستغلال تواصل إلى القرن الرابع بعد الميلاد.

وفيما يخص الواردات تطلعننا التنقيبات الأثرية التي أجريت في عدة مواقع عتيقة بالمغرب على التيارات التجارية بين المغرب وغيره من الأمصار، وذلك منذ العهد الفنيقي، غير أنه يبقى من المستحيل وضع لائحة شاملة للمستوردات المغربية في تلك الحقبة من الزمن، لأن المنتجات الاستهلاكية لم تكن قابلة للتصبير، وبالتالي يتعدّر التعرف عليها من خلال الحفريات. ومع ذلك، فإن تطور الأبحاث الأثرية التي جرت تحت الماء ساعدت على وضع خريطة تحظى بقدر من المصداقية حول ما كانت عليه المبادلات التجارية في الشواطئ المتوسطية خلال تلك الفترة القديمة.

وخلال العهد الفنيقي، أي أثناء القرون الثامن والسابع والخامس قبل الميلاد، مضى البحارة الفنيقيون ينزلون بالشواطئ الأطلنتية المغربية الممتدة من ليكسوس إلى جزيرة الصويرة منتجات خزفية ممتازة الصنع، خرجت من معامل في عدة أقاليم شرق متوسطية ومن الجزر اليونانية، حتى إن القلل الكوراثنية التي عثر عليها بجزيرة الصويرة، لدليل على أن الزيوت والخمور اليونانية كانت ترد إلى ذلك الموقع.

ويعني هذا ان المادتين الغذائيةين المذكورتين، إضافة إلى الاسماك المصبرة بالملح وغيرها من المملحات، شكّلت القسط الأوفر من الواردات الثابت تسويقها في المدن المغربية وبواديها حتى العهد الروماني.

وخلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، كانت الأسواق المغربية تستقبل الزيوت الإسبانية دون غيرها، كما كان الحال في القرن الأخير قبل الميلاد، مع بعض الاستثناء حيث كانت الزيوت تأتي كذلك من إيطاليا، ولاسيما من إقليم بريندس الواقع على شواطئ بحر الادرياتيك. وكان الزيت

الإيطالي ينقل في القليل المستديرة والاسباني ينقل في قتل من صنف دريسيل 20. ويبدو أن تطور إنتاج الزيوت في المغرب خاصة وشمال أفريقيا عامة، ابتداءً من القرن الثاني بعد الميلاد، مكّن من تقليص حجم واردات الزيوت الإسبانية إلى المغرب.

أما استيراد الخمور، فإنه سار على درب الحركة التجارية التي طالت المنتجات الزيتية. ويات من المؤكد ان هذه الخمور كانت تنقل في قتل من صنف دريسيل 1 وتأتي من منطقة الفيروز الإيطالية خلال الفترة التي كان المغرب يسمى فيها موريطانيا الطنجية. وانطلاقاً من عهد القيصر أغسطس، صارت الخمور الإيطالية تنقل إلى المغرب في قتل من صنف هالترين 70 ودريسيل 2.4.

الأسماك المجففة والملححات كانت هي الأخرى تستورد بكميات كبرى، وقد سمحت الاكتشافات الأثرية بالتعرف على أعداد وافرة من القليل المصنفة بدريسيل 18 ودريسيل 7.11 وبلتران 2 - ب التي كانت تستعمل في نقل منتجات البحر التي يُستورد أغلبها من المواقع الإسبانية من أرياض جبل طارق. لكن وجود عدد وافر من معامل الأسماك على طول الشواطئ المغربية وأكبر مركب للتصليح في العالم الروماني الذي عثر على أطلاله بمدينة ليكسوس، علاوة على اكتشاف معامل لصناعة القليل بالقواس لنقل الأسماك، كلها عناصر تدفع إلى الظن أن المغرب كان يصدر منتجات البحر.

وإلى جانب مواد الاستهلاك، كانت مملكة المغرب - التي أصبحت إقليمياً تابعاً للأباطورية الرومانية في سنة 40 بعد الميلاد - تستورد كميات وافرة من الخزفيات النفيسة، ضمنها المزهريات اليونانية والمنتجات الخزفية المختومة البيضاء من صنف د، وغيرها من المتنوعات الطينية والخزفية الخاصة بالبحر المتوسط. وكانت البورجوازية المحلية والمدن الحضرية تستورد المنتجات الفنية، مثل التماثيل الكبرى والصغرى وغيرها من التحف الرخامية أو النحاسية التي كانت تزين البيوت والمؤسسات العمومية.

Hérodote, *Histoires* ; A. Akerraz, V. Brouquier et E. Lenoir, *L'occupation antique de la plaine du Gharb, VIème Colloque International sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord*, (à paraître) ; Rebuffat, *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane*, idem ; A. Akerraz et M. Lenoir, *Les huileries de Volubilis*, *BAM* 14, 1982 - 1983 ; Plin l'Ancien, *Histoire Naturelle* ; M. Ponsich et M. Tarradell, *Garum et industries de salaisons en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965 ; P. Rouillard, *Le commerce grec du Vème et IVème siècles av.J.-C. dans les régions de Lixus et Gadès, Lixus, Actes du colloque organisé par l'Institut des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine* (Larache 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 207 - 215 ; M. Ponsich, *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, *Karthago* 15, 1960 - 1970 ; *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane*, *BCTH n.s. 4*, 1968 ; M. Lenoir, *Lixus à l'époque romaine, Lixus, Actes du Colloque organisé par l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine*, (Larache, 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 274.

عمر أكراز، ترجمة أحمد بنجلون

\* \* وفي العصر الوسيط، شهد المغرب نشاطاً تجارياً مهماً بفعل تنظيمه للمبادلات مع المناطق الواقعة جنوب الصحراء

الكبرى. ويعود تاريخ العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي إلى عهود ضاربة في القدم، غير أن المرحلة الممتدة بين القرن الرابع (10 م) والقرن الثامن (14م) تمثل العهد الذهبي لهذه العلاقات نظراً لما عرفته من انتظام في عملية الاتصال والتواصل وما ترتب عن ذلك من تفاعل حضاري في مختلف المجالات.

كانت المبادلات التجارية بين المغاربة والسودانيين تتم في بداية الأمر عبر ما يسمى بالتجارة الصامتة. وقد ذكر القزويني أن هذا الأسلوب في التبادل التجاري استمر العمل به في القرن السادس (12 م) بحيث كان التجار يضعون بضائعهم ويضربون طبولاً ليعلموا القوم ثم يتراجعون فيأتي السودانيون بالتبر ويضعون بجانب كل متاع شيئاً من التبر وينصرفون، ثم يأتي التجار ويأخذ كل واحد ما وجد بجانب بضاعته، ولا يذكر أحد من هؤلاء التجار أنه رأى أحداً منهم (أثار البلاد، 19). وما ذكره هذا المؤلف لا ينطبق على المرحلة التي عاش فيها بقدر ما يعبر عن الكيفية التي كان يتم التعامل بها في العهود القديمة خصوصاً وأن بلاد السودان الغربي كانت في العصر الوسيط خاضعة لنفوذ ممالك مسلمة ويوجد بمدنها وقراها عدد مهم من التجار المغاربة والفقهاء والقضاة حتى إن منهم من تولى الوزارة في مملكة غانا كما جاء عند البكري.

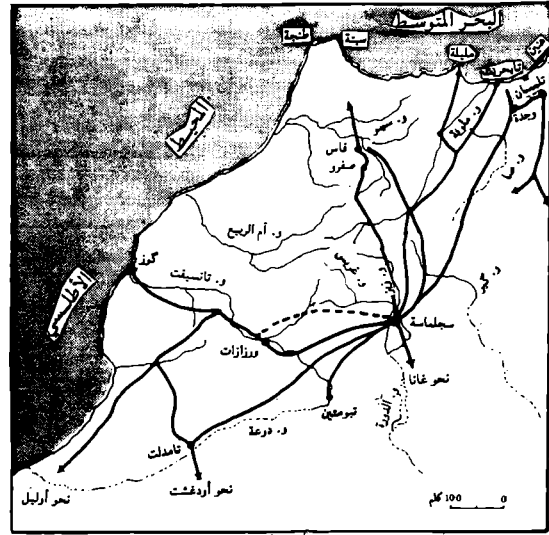
لعبت مناطق واحات المغرب الأقصى دوراً مهماً في عملية ربط الاتصال بين مناطق الشمال والسودان الغربي بحكم موقعها على أبواب الصحراء الكبرى. غير أن تأسيس مدينة سجلماسة وازدهارها السياسي في عهد المدرايين وبنو خزرون ثم المرابطين ومن أتى بعدهم جعل من مجالاتها منطقة فاعلة في المبادلات التجارية وأثر على أولويتها مقارنة مع مجالات درعة ووادي نون مدة طويلة من الزمن لأن موقعها يتوسط المجال الواحي والمسافة ما بينها وبين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء، فمن حيث قصدت إليها من أحد هذه البلاد كان ذلك مسافة عشر مراحل (المعجب، 357).

ارتبطت واحات المغرب خاصة منها سجلماسة ببلاد السودان عبر شبكة مهمة من الطرق. وابتداءً من القرن الرابع (10 م) شرعت المسالك التجارية الصحراوية في الميل نحو الغرب بفعل العامل المناخي (صورة الأرض، 143 - 144). وكان لا بد من انتظار القرن الموالي لتعرف المسالك الغربية استقراراً واضحاً في اتجاهها وهو ما لم يحدث عليه تغير كبير في المراحل اللاحقة. يشهد على ذلك تطابق أوصاف البكري لهذه المسالك مع أوصاف الذين أتوا بعده إلى حدود القرن الثامن (14 م).

والمسالك التجارية الغربية التي ربطت المغرب الأقصى بالسودان الغربي في العصر الوسيط ثلاثة : الطريق الساحلي، طريق سجلماسة غانا عبر أودغست وهو الطريق الوسط، وطريق سجلماسة - تمبكتو عبر ملاحه تغازي الذي يمر في العروض الشرقية للمغرب الأقصى والذي انتهت إليه

الأهمية في الاستعمال قبل أن يفقد المغرب أوليته في التجارة الصحراوية أمام حيوية التجار المصريين في القرن الثامن (14 م).

إن الطريق الساحلي هو أقدم هذه الطرق من حيث الاستعمال، كانت له أهمية كبيرة في العهود القديمة والفترة المبكرة من التاريخ الوسيط إلى حدود القرن الخامس (11 م) حيث قل استعماله بسبب اكتشاف ملاحه "تانتال" التي عرفت باسم تغازي فيما بعد (انظر مادة تانتال). ويتخذ هذا الطريق شكل مثلث ما بين سجلماسة وملاحه "أوليل" وأودغست (انظر الخريطة) وكان السير عبره يتطلب من التجار مسيرة ستين يوماً (صورة الأرض، 91).



المسالك التجارية بالمغرب في القرن 5 هـ / 11 م

لم يكن هذا الطريق يتوفر على نقط الماء في المسافة الفاصلة بين نول لمطه وأوليل لأن التربة بهذا المجال عبارة عن صفا يصعب حفره بالمعاول (المسالك، 172؛ الاستبصار، 214.213). لكن التجار استمروا في استعماله رغم اكتشاف ملاحه تانتال في القرن الخامس (11 م) بدليل ما ورد في المصادر الجغرافية في القرنين التاليين السادس والسابع عن دور ملاحه أوليل في تزويد بلاد السودان بمادة الملح. وعليه، فإن التخلي عن استعمال هذا الطريق لم يتم قبل زمان ابن سعيد المغربي (سجلماسة، 324.326).

أما الطريق الوسط فكان يربط سجلماسة بغانا عبر وادي درعة ووادي ترج (تارگا = الساقية) الذي من المحتمل أن يكون المقصود به الساقية الحمراء ثم أودغست فغانا. وهذا الطريق لا يمر بالمراكز الحضرية المهمة في الجنوب المغربي كتامدولت ونول لمطه، لكن ميزته أنه مباشر تقل مسافته عن مسافة الطريق الساحلي (البكري، 164)، ونقيل إلى الاعتقاد بأن هذا الطريق لم تكن له أهمية كبيرة في ربط بلاد المغرب ببلاد السودان وأنه كان مستعملا في طريق العودة من بلاد السودان أكثر من استعماله في طريق الذهاب (سجلماسة، 327 والخريطة رقم 1).

أما الطريق الثالث الذي كان يربط سجلماسة بغانا عبر

تامدولت، تانتال، أودغست فغانا في القرن الخامس فهو الذي استمر التجار في استعماله للوصول من سجلماسة إلى إيولاتن وتنبكتو في فترة سيادة مملكة مالي. ويظهر أن استعماله أثر على حيوية الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه، أي الطريق الوسط دون أن يبعد التجار عنهما بصفة نهائية، وقد اتخذ أهمية التجارة بفعل استغلال ملاحه تانتال في القرن الخامس (انظر مادة تانتال والخريطة رقم 1).

تزامن نشاط هذا الطريق التجاري أيضاً مع ما عرفته الخريطة الحضرية ببلاد السودان الغربي من مستجدات بعد اندراس مدينة أودغست على يد المرابطين في منتصف القرن الخامس و"كومبي صالح"، عاصمة غانا في أواخر نفس القرن ثم تأسيس مدينة إيولاتن في أواخر ثلاثينيات القرن السادس لتضطلع بمهمة الإشراف على المبادلات بين الشمال والجنوب (سجلماسة، 328.334).

كانت الرحلة عبر هذا الطريق تتطلب إحدى وخمسين مرحلة، ونظراً للأهمية التي كانت له في مجال المبادلات ذكر البكري مراحلها بدقة متناهية (المغرب، 156.158). وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن بطوطة في ذهابه إلى مالي سنة 752 هـ / 1351 م (الرحلة، 2: 773.776) وهو ما يؤكد استمرار اتجاه الطرق على ما كان عليه منذ القرن الخامس. وقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) تغييرات مهمة في هذا المجال، وهذا ما نلمسه من خلال تتبع طريق عودة ابن بطوطة من بلاد السودان عبر تكدا، غات، رفقة تجار مصر ثم توات فالفهكار فسجلماسة، أي عبر مجالات تقع إلى الشرق من مجالات المغرب الأقصى. وتجب الإشارة هنا إلى أن النشاط الذي عرفه طريق سجلماسة مالي عبر تغازي في القرن الثامن لم يكن معزولاً عن ميل الطريق التجارية مجدداً نحو الشرق فكان لما عرفته بلاد الصحراء من ظروف انعدام الأمن في هذه الفترة بالذات بالغ الأثر في توجه التجار شيئاً فشيئاً نحو الشرق بحثاً عن مناطق آمنة، وهذا ما أثر على مناطق سجلماسة وتامدولت بشكل سلبي وأدى إلى خراب المدينتين معا في أواخر القرن الثامن (سجلماسة، 328).

وارتبطت مناطق الواحات أيضاً بشبكة مهمة من الطرق مع مختلف جهات المغرب عبر ثلاثة محاور رئيسية، أولها محور سجلماسة - فاس وباقي مدن الشمال، وكان يُستعمل فيه طريقان، واحد يتبع مجرى وادي زيز ومسافته مسيرة ثمانية أيام، والثاني يمر بتالسينت ومطماطة أمسكور ومسافته ما بين إحدى عشرة مرحلة واثنى عشر يوماً (المغرب، 147 والخريطة رقم 2). وثانيهما محور سجلماسة - الشمال الشرقي وقد عرف استعمال طريقين أيضاً : واحد كان يمر بوادي زيز ثم وادي غير ثم وادي صاع (زا) فوجدة ومنها إلى تلمسان، وهذا الطريق كان يستعمل في القرن الخامس (المغرب، 38) والثاني وصفه الإدريسي في القرن السادس وذكر أنه قليل الاستعمال لأن أغلب مراحلها مفازة

وأهم محطاته بين تلمسان وسجلماسة غير معروفة الآن (نزهة /المشتاق، 56) وهذا الطريق الثاني أقل مسافة من الأول لأنه يتجه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه عمودي تم استعماله بكثرة في الفترة التي كانت فيها سجلماسة خاضعة للزيانيين سلاطين تلمسان (سجلماسة، 340 والخريطة رقم 2). كما ارتبطت مدن الواحات أيضا بالمدن الجنوبية الواقعة على الواجهة الغربية لجبال درن كأغمت ونفيس ثم مراکش عبر وادي درعة وعمات جبال درن (البكري، 152). وقد لعبت الممرات الطبيعية التي توفرها أودية جبال درن دوراً بارزاً في تسهيل عملية الاتصال بين المدن الشمالية ومدن الواحات، لذلك كان طريق سجلماسة - فاس يمر عبر تيزي - ن - تالغمت وطريق سجلماسة - تادلا عبر تيزي مقورن كما سمحت ممرات تيزي ن بجو وتيزي ن تلكا؛ وتيزي ن تافيلالت بربط سجلماسة بمناطق درعة والسوس (انظر المسالك التجارية الداخلية في الخريطة رقم 2).

سمحت هذه الشبكة من الطرق بتنظيم العملية التجارية على الصعيدين الداخلي والخارجي وكانت النتيجة ازدهار الرواج التجاري بالمغرب في العصر الوسيط. وهذه الطرق التجارية الداخلية منها والصحراوية لم تكن تتبع دائما المسالك السهلة الاجتياز أو الجهات التي تتوفر على مصادر الماء أو غير ذلك من العوامل الطبيعية المساعدة على تسهيل التنقلات والأسفار بل ارتبط اتجاهها أيضا بالعامل الأمني والسياسي، وهكذا كلما بدا خطر ضعف الحفارة واحتمال اعتراض العير في جهة من الجهات ابعاد التجار عن المسير في تلك الطريق بحثاً عن سبل أخرى آمنة، والأمثلة كثيرة في هذا الباب سواء تعلق الأمر بالمسالك التجارية الداخلية أو المسالك التجارية الصحراوية.

وقد خضع التجار في العصر الوسيط لتنظيم محكم كانت الغاية منه التغلب على الصعوبات التي تعترضهم بالصحراء الكبرى حيث شدة الحر وقلة الماء وهبوب الرياح الغبارية التي تغير من الآثار الطبيعية التي يتم الاعتماد عليها في تحديد اتجاه الطرق بسبب نقلها كثبان الرمال من مكان إلى آخر (نزهة، 9؛ الرحلة، 2: 774).

ويصعب الحديث عن تنظيم القوافل وخضوعها لتسيير محكم قبل القرن الثامن (14 م) لأن الإشارات التي وصلتنا في هذا الموضوع كانت عبر ما كتبه ابن بطوطة عن رحلته إلى مالي، لكن انعدام هذا النوع من المعلومات في المصادر السابقة لا يعني أن هذا التنظيم هو وليد القرن الثامن بل ليس هناك ما ينفي اعتماده من قبل التجار منذ أن شرعت المسالك التجارية الغربية في اختراق المجابة الكبرى الواقعة إلى الشرق من الطريق الساحلي.

كان المسؤول عن القافلة في العصر الوسيط يعرف باسم القائد وهو الناطق والمفاوض باسم التجار والمشرف على كل ما يتعلق بتنظيم رحلتهم، وكان له أعوان يساعده في مهامه كالدليل والتكشيف، فالأول كان يستأجره التجار

بأوفر الشروط ليدلهم على اتجاه المسالك لدرايته بها من كثرة تردده على المفازات (العير، 7: 77؛ ابن بطوطة، الرحلة، 2: 775). وأما الثاني أي التكشيف فهو اسم لكل رجل يكتريه أهل القافلة ليتقدم بكتيبهم إلى أصحابهم بإيولان حتى يكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء. ومهمة التكشيف صعبة للغاية لأن نجاح القافلة في الوصول إلى إيولان متوقف على نجاحه في مهمته (ابن بطوطة، الرحلة، 2: 775) وقد كان التكشيف يستأجر بمائة مثقال في القرن الثامن مقابل تقدمه أمام القافلة من قرية تاسرهلا إلى إيولان.

ولا نعلم الطريقة التي كان قائد القافلة يعتمد عليها في إدارة شؤون التجار كما لا نعلم شيئاً عن الكيفية التي كانت تتم بها عملية تأدية أجور كل من الدليل والتكشيف، خاصة وأن بضائع التجار لم تكن متساوية في القافلة. فهل كان التجار يؤدون أجور هؤلاء الأشخاص تبعاً لقيمة سلعهم أم تبعاً لحصول إبلهم أم أن هذه المصاريف كانت تقتسم على الرؤوس بالتساوي دون مراعاة لتجارة كل واحد منهم على حدة؟

وعرفت التجارة الصحراوية إلى جانب هذا التنظيم المحكم الذي أملتته صعوبة التنقل في القفر تنظيمياً آخر لا يقل أهمية، ويتعلق الأمر بالشركات التجارية كما هو الحال بالنسبة لشركة أسرة المقرئ التي أسست في القرن السابع (13 م) واستمر نشاطها إلى ما بعد نهاية النصف الأول من القرن الثامن (14 م) وكان لها ممثلون بتلمسان وسجلماسة وإيولان. وقد سجل لسان الدين بن الخطيب كيفية العمل في هذه الشركة التجارية وعنه نقل المقرئ مادته في هذا الموضوع مع إضافات قليلة لا تخلو من فائدة (الإحاطة، 2: 192، 194؛ فتح الطيب، 5: 205).

كانت التجارة الصحراوية تدر أرباحاً كثيرة على المشتغلين بها وقد فسر ابن خلدون ذلك ببعد الطريق ومشقته وقلة سلع بلاد السودان بالمغرب واختصاصها بالغلاء، وكذلك سلع المغرب لديهم، وقال بأن المترددين في أفق واحد بين أمصاره وبلدانه فائدتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها (المقدمة، 497). وقد نقل بن الخطيب عن أبي مدين الغوث قوله في نفس الموضوع: إن تجار الصحراء يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع (الإحاطة، 2: 193).

وليس من السهل تحديد القيمة الحقيقية للمبادلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان وكذلك بينه وبين أوروبا في العصر الوسيط، لأننا لا نعرف كمية ولا ثمن السلع المصدرة والمستوردة نتيجة إغفال المصادر الجغرافية للمعلومات المساعدة على معرفة ذلك. وقد تعددت سلع بلاد المغرب التي تم نقلها إلى السودان الغربي حسب الفترات التاريخية وتشكلت في غالب الأحيان من مواد مصنعة ومنتجات فلاحية وقلما تم نقل المواد الخام باستثناء الأصواف والخشب، ويمكن تتبع تطور أنواع السلع المتاجر

فيها حسب الفترات التاريخية من خلال الجدول التالي :

سلع بلاد المغرب المتاجر فيها ببلاد السودان ما بين القرنين 5 / 11 م و 8 / 14 م

مصدر المعلومات	المرحلة الزمنية	انتاج فلاحى	مواد غير مصنوعة	مواد مصنوعة
البكري ص. 159	القرن 5 هـ / 11 م		الملح	- الأواني النحاسية - ثياب زرقاء وحمراء - الودع
الإدرسي ص. 4 و 42	القرن 6 هـ / 12 م	التمر الحناء	الصفوف الملح	- النحاس الأحمر والملون - الخرز - الأكسية وثياب الصفوف - العمامات - المازر - النظم الزجاجية - الأصداف والأحجار الكريمة - الأقاريه والعطر - آلات الحديد
القزويني ص. 26-25	القرن 6 هـ / 12 م			- خرز الزجاج - الأسورة والخواتم والحلق النحاسية
الاستبصار ص. 114	القرن 6 هـ / 12 م			- الودع - النحاس المسبوك
ابن سعيد المغربي ص. 92	القرن 7 هـ / 13 م		خشب الصنوبر خشب الأرز الملح	
ابن فضل الله العمري ص. 61	القرن 8 هـ / 14 م		التاكوت	
ابن بطوطة ج 2، ص. 773	القرن 8 هـ / 14 م	التمر	الملح	- الأصداف - الأسورة النحاسية
ابن الخطيب / الإحاطة، ج. 2، ص. 192	القرن 8 هـ / 14 م		التين	- النحاس - الودع
				- حلي الزجاج - السلع العطرية - عطر القرنفل - تاسرغينت

بالنسبة للأواني الفخارية.  
أما السلع التي تم نقلها من بلاد السودان إلى المغرب  
فيأتي على رأسها التبر والعبيد ومواد أخرى يمكن رصدها  
في الجدول التالي :

مصدر المعلومات	المرحلة الزمنية	سلع بلاد السودان إلى المغرب
البكري، ص. 159	القرن 5 هـ / 11 م	- العنبر - الذهب الإبريز
الادريسي ص. 7.5	القرن 6 هـ / 12 م	- التبر - عبيد للمم
القزويني ص. 26-25	القرن 6 هـ / 12 م	- الذهب - الشب
الاستبصار ص. 114	القرن 6 هـ / 12 م	- الذهب - الأسواط التي تسمى بالسراقيات
ابن سعيد المغربي ص. 92	القرن 7 هـ / 13 م	- التبر - عبيد للمم
ابن فضل الله العمري ص. 61	القرن 8 هـ / 14 م	- الذهب - العبيد
ابن بطوطة ج 2، ص. 773	القرن 8 هـ / 14 م	- التبر - العبيد
ابن الخطيب / الإحاطة، ج. 2، ص. 192	القرن 8 هـ / 14 م	- الجلد - العاج - الجوز - التبر

نظم المغاربة تجارتهم في العصر الوسط مع الأوربيين  
أيضا، ولم يؤثر الصراع الذي دار بين المسلمين والمسيحيين  
على الرواج التجاري بالحوض الغربي للبحر المتوسط  
كما يزعم البعض، بل على العكس من ذلك انتظمت  
المبادلات بين الجانبين في الموانئ المتوسطية التي شهدت  
حضوراً مستمراً للتجار الأوربيين أو شركائهم من اليهود  
(M. Lombard, L'or, p. 150 ; Mas -Latrie, p. 83 - 84 ;  
Ch. E. Dufourcq, L'Espagne, p. 126 وسجلماسة، 372 .  
(375).

ويمكن رصد مختلف السلع التي تمت فيها المتاجرة بين  
المغاربة والأوربيين في العصر الوسيط بناء على ما ذكره  
ماص - لاتري Mas - Latrie في الجدول التالي :

السلع المغربية	السلع الأوربية
الشمع الزبيب التمر المنسوجات الصوفية الشب الأبيض المعروف باسم السجلماسي الحوت المجفف جلود الحيوانات بمختلف أنواعها	المنسوجات الصوفية التوابل الأغطية الصوفية الإنجليزية الأواني النحاسية الأصداف النحاس المسبوك : قضبان وصفائح الحديد

يتضح مما سبق أن بعض السلع لم تختف من قائمة  
البضائع المتاجر فيها طيلة العصر الوسيط كالمصنوعات  
النحاسية والملح. وهذا ما يؤكد ما كانت تلقاه من رواج في  
الأسواق السودانية، كما أن بعض السلع الأخرى، لم تستطع  
لسبب من الأسباب أن تضمن لنفسها مكانا ضمن صادرات  
بلاد المغرب إلى بلاد السودان كما هو الحال مع المصنوعات  
الصوفية التي لم يرد لها ذكر ضمن سلع التجارة  
الصحراوية بعد القرن السادس (12 م) وقد نجد لذلك  
تفسيرا فيما وصلنا عن سوق المنسوجات القطنية ببلاد  
السودان في القرن الثامن (14 م) من خلال شهادة ابن  
بطوطة التي أكدت إقبال الماليين على المنسوجات المصرية،  
وابن فضل الله العمري الذي أشار إلى أن امبراطورية مالي  
كانت تنتج القطن وتصنع منه ثيابا ناصعة البياض (ابن  
بطوطة، رحلة، 2 : 799 والعمري، ص. 65).

وقد ظهرت المنتجات الفلاحية ضمن قائمة السلع المتاجر  
فيها ابتداء من القرن السادس (12 م) كما أن سلعا أخرى  
تم نقلها إلى بلاد السودان لم يرد ذكرها في المصادر  
الجغرافية وأكدت نتائج البحث الأثري وجودها كما هو الحال

السلع المغربية	السلع الأوربية
الأصواف	الأسلحة : الخوذات، الأقواس، السيوف الورد عظام الحيوانات الحرير

وإذا كان التجار الأوربيون قد اندفعوا نحو موانئ بلاد المغرب من أجل الحصول على الذهب فإن أهم ما يمكن تسجيله هنا هو أن صناع الذهب الذي كان يصل إلى المغرب بواسطة التجارة الصحراوية لم يتم نقل القليل ولا الكثير منه إلى البلاد الأوربية، وإنما صنع بالمغرب ووصل المضروب منه نقداً إلى أوربا بفعل استبداله بسلع كان المغرب في حاجة إليها لسد حاجيات الطلب الداخلي أو الخارجي جنوب الصحراء الكبرى.

وقد تطورت التجارة المغربية في العصر الوسيط عبر مراحل كان فيها للعامل السياسي والأمني دور بارز، لذلك يمكن تتبع هذه المراحل بموازاة مع التطور الذي عرفته إمارات ودول بلاد المغرب في المرحلة المعنية بالدراسة. ومما يؤكد ذلك أنه كان لا بد من انتظار القرن الرابع (10 م) لتصبح معلوماتنا عن تجارة بلاد المغرب مع السودان الغربي واضحة نسبياً مقارنة مع ما نعرفه عنها في الفترات السابقة لهذا التاريخ حيث نجد معلومات كل من الاصطخري وابن خرداذبة والمقدسي واليعقوبي عن تجارة الذهب مليئة بالأساطير والخرافات الأمر الذي يدفع إلى تفسير كل هذا التناقض والتضارب في المعلومات بضعف العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي وجهل رجالات تلك العصور بحقيقة ما كان عليه الأمر في المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى (الاصطخري، 38.37؛ المقدس، 164؛ اليعقوبي، 110).

وقد أصبح لواحات بلاد المغرب الأقصى خلال القرن الرابع (10 م) الأهمية التي عرفت بها في مجال التجارة الصحراوية في العصر الوسيط، يؤكد ذلك الشهرة التي تمتعت بها سجلماسة في هذا المجال بعد أن جلبت إليها الطرق التجارية الصحراوية مؤثرة بذلك على نشاط غيرها من المدن في المغربين الأوسط والأدنى ومدن فزان ومصر، فقصدها التجار من جميع الأفاق خاصة من بلاد المشرق كتجار البصرة والكوفة وبغداد (صورة الأرض، 65).

وبذل المرابطون في القرن الخامس جهوداً كبيرة من أجل تمهيد الطرق التجارية لتشجيع المبادلات مع بلاد السودان مستفيدين في ذلك من جهود سابقينهم من الإمارات التي حكمت مناطق الواحات كيني مدرار ويني خزرور فنشطت الحركة التجارية بين المغرب وبلاد السودان بكيفية لم تشهد البلاد مثله من قبل (حافظي، سجلماسة، ص. 380).

ولم يغير انتقال الحكم من المرابطين إلى الموحدين شيئاً فيما يتعلق بالتجارة مع بلاد السودان رغم امتداد مجال نفوذ الموحديين على كل بلاد المغرب لأن القسم الأكبر من

هذه التجارة كان يتوجه نحو العاصمة مراکش، فحافظت بذلك واحات المغرب الأقصى على نشاطها وحيويتها. ومع حلول القرن السابع الهجري وضعف سلطة الموحديين توزع نشاط المسالك التجارية الصحراوية الغربية بين ثلاثة محاور : واحد يربط امبراطورية مالي بالمغرب الأقصى وثان يربطها بالمغرب الأوسط وثالث يربطها بالمغرب الأدنى، وتوزعت الاستفادة من التجارة الصحراوية عبر المسالك الغربية بين القوى التي اقتسمت الإرث السياسي الموحد.

ورغم ما عرفه القرن السابع من صراع بين المرينيين والموحدين من جهة وبينهم وبين الزيانيين والحفصيين من جهة ثانية فإن تجارة المغرب الأقصى مع بلاد السودان لم تعرف تراجعاً ملحوظاً إلا مع حلول القرن الثامن (14 م)، حيث تضافرت عوامل كثيرة منها ما هو خارجي كافتتاح مالي على المشرق وإقبالها على التعامل مع تجار مصر وما ترتب عن ذلك من ميل تدريجي للمسالك التجارية مجدداً نحو الشرق؛ ومنها ما هو داخلي ويأتي على رأسه ضعف سلاطين بني مرين بعد منتصف المائة الثامنة وتحكم القبائل القوية في مجالات نفوذها خاصة عرب المعقل الذين سببت ثوراتهم ضد بعض سلاطين بني مرين انقطاع السبل وإبتعاد التجار عن السير في صحاري المغرب الأقصى إلى غيرها من صحاري المغربين الأوسط والأدنى (سجلماسة، ص. 381-389). وبذلك ضعفت تجارة المغرب عبر الصحراء غير أنها لم تنقطع تماماً إلى نهاية العصر الوسيط.

أ. البكري، المسالك؛ ابن حوقل، صورة الأرض؛ الإدريسي، نزهة المشتاق؛ ابن بطوطة، الرحلة؛ مجهول، الاستبصار؛ ح. ج. علوي، سجلماسة.

حسن حافظي العلوي

\* \* \* نشطت التجارة البرتغالية مع المغرب ابتداء من القرن العاشر (16 م)، إذ كانت منطقة الغرب الأندلسية، التي تناسب اليوم جنوب نهر التاج، كثيرة الارتباط من الناحية التجارية بالمغرب. فقد اعتادت الاعتماد على قمحه بالخصوص. ووصلتنا إشارة إلى إقبال الأزمويين على التعامل مع البرتغال بعد انتهاء فترة الحكم الإسلامي به، تعود إلى عهد السلطان أبي الحسن المريني. ولم تنقطع الروابط التجارية بين المغرب والبرتغال بعد استكماله لحروب الاسترداد. ولم يعد التجار البرتغاليون يقتصرون على الموانئ الشمالية، بل تعودوا، ابتداء من القرن الثالث عشر، الإقبال على أنفا إلى حين تخريبها، وعلى أزموور وأسفي وماسة، وذلك لجلب سمك شابل أم الربيع، وحبوب تامسنا ودكالة وتبر السودان. وارتفعت أعداد التجار البرتغاليين بالموانئ المغربية ليصبحوا أكثر التجار عدداً بها بعد القرن المذكور، ومعلوم أن عدداً من المؤرخين البرتغاليين ربطوا اهتمام بلادهم بالمغرب، وشرعوا مبكراً في احتلال ثغوره لحرص المسؤولين على ضمان تزويد بلادهم بسلع أساسية كانت بلادهم في أمس الحاجة إليها واعتادوا



اقتناهاها بالمغرب، كالحبوب والتبر. ومعلوم أن البرتغال عانى خلال القرن الرابع عشر وبداية القرن التالي من أزمة نقدية حادة تولد عنها تضخم خطير. (أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، ص 155).

وقد نتج عن احتلال الشغور الشمالية بالمغرب (سبتة عام 1415، القصر الصغير عام 1458، أصيلا وطنجة عام 1471) تحولها إلى مجرد ثكنات جامدة تعيش على ما تتوصل به من البرتغال. وانتقل الرواج الذي كانت تعرفه من قبل إلى موانئ السهول الغربية ذات الظهير الغني كأنفا قبل تخريبها (1469)، أو أسفي، أو أزموور أو ماسة. كما استفادت مرفئ صغيرة كتيط، وأخرى لم يكن لها ذكر كدار الفارس، (شمال الوليدية الحالية) التي اشتهرت بتصدير الحبوب والأسمك (الشابل) والجلود، والشمع والعسل والتبر الذي اقتنى منه التجار البرتغاليون كميات هامة بأسفي وأزموور قبل احتلالهما.

عرفت التجارة البرتغالية بالمغرب تطوراً هاماً بعد اكتشاف سواحل غرب إفريقيا، وتنظيم التجارة بها، وخصوصاً بجزيرة أرغين (Arguin)، قبالة الساحل الموريطاني (عام 1455)، ولامينا (عام 1481)، بساحل الذهب فضلاً عن نقط أخرى كثيرة بمصاب أنهار السنغال، وغامبيا، وغيرها. فقد نتج عن تنظيم تلك التجارة واحتكارها من لدن الملك البرتغالي، تزايد إقبال وكلاء الملك بأسفي وأزموور وماسة على بعض السلع الضرورية للحصول على التبر والعبيد، وكانت الأنسجة الصوفية من حياك وحنابل وعبائن أهمها. فقد أصبحت تلك السلعة تعرف في الوثائق البرتغالية "بأثواب أرغين" لكونها كانت أهم ما يعرض بغرب إفريقيا، وكانت تمثل السلعة التي تضمن أهم ربح. لذا لم يعد إنتاج أسفي والمناطق المرتبطة بها كافياً لتلبية الطلب المتزايد عليها، الأمر الذي دفع الملك البرتغالي، الذي كان يحتكر تلك السلعة، إلى الاعتماد على إنتاج المناطق الداخلية كواحي مراكش أو تادلة التي تعاقد قائدها أحمد العطار مع الملك البرتغالي سنة 1530 على إنتاج كميات معينة مقابل مقادير من الصمغ توصل بها مسبقاً. كما تعاقد الملك مع يهوديين من أسفي سنة 1512 قصد إنتاج كميات محددة خلال فترات معينة حسب نماذج وعينات يقدمها الملك أو وكلاؤه التجاريين.

وتزايد إقبال البرتغاليين على حبوب المغرب تبعاً لتزايد حنصريهم وتكاثر أفران إنتاج البسكوت الموجه للسفن ولتغطية حاجيات حاميات الشغور الشمالية المحتلة، وكذا لعرض القمح المغربي بسواحل غرب إفريقيا غير الاستوائية. وقد امتص البرتغاليون كميات هائلة من الحبوب المغربية إما بالشراء أو عن طريق النهب أو استخلاص الضرائب. (أحمد بوشرب، دكالة، 287، 284) واقتنى البرتغاليون كذلك كميات كبرى من مواد زراعية أخرى كالشعير أو الذرة البيضاء، وعشرات الآلاف من رؤوس الأنعام، وكميات هائلة من جلودها وقرونها، ومن الشمع والعسل الذي بلغت

شهرته العالم الجديد، وأصبح يضرب به المثل هناك (أحمد بوشرب، دكالة، 292)، ومن الشابل (أزمور) والسردين (أسفي) الخ. كما تهافت البرتغاليون على الإنسان المغربي وجعلوا منه، لشدة حاجتهم إلى الأيدي العاملة ببلادهم وبالمناطق المكتشفة، سلعة رائجة نظموا لها أسواق النخاسة بالشغور المحتلة، وخصوصاً أكادير التي كانت تجارة الرقيق بها تمثل أهم نشاط. وكان البرتغاليون يحصلون على المغاربة قصد الاسترقاق من الغارات، ومن اختطاف العزل ومن الشراء خلال السنوات العجاف، وخصوصاً خلال مجاعة سنة 1521 الكبرى (نفسه، ص. 315، 319).

وبالطبع، نتج عن تزايد إقبال البرتغاليين على السلع المذكورة إغراق الأسواق المغربية بسلع مستوردة. وهكذا تزايد عرض الكتان الأوروبي الذي عرضت منه بأسفي وأزمور وأكادير كميات هائلة روجت فيما بعد بمناطق داخلية كمراكش وتدنيس (الوزان، 1، ص. 78). ووصلتنا عدة إشارات بالمصادر المغربية (الوزان) والبرتغالية (De Gois) تخص إقبال المغاربة على تلك الأثواب. وكان أشهرها ما كان يعرف بالوثائق البرتغالية بـ"البُردات" (Bordates) التي كان يبيعها بالمغرب حكراً على الملك البرتغالي لكونها كانت تباع بسرعة وتضمن أهم الأرباح، وتؤدي بها رواتب الجنود. وإلى جانب هذه الأثواب عرض وكلاء الملك أثواباً إنجليزية. وقد كانت أثواب "أنتونا" (Antona)، المصنوعة بميناء سوثامبتون (Southampton)، أشهرها وأكثرها رواجاً، والتي كانت توفر ربحاً يقارب 100٪. ونظراً للإقبال الكبير الذي كانت تحظى به تلك الأثواب بالأسواق المغربية، فإن الملك البرتغالي اعتاد تخصيص قسم من مبيعات التوابل والعقاقير بشمال غرب أوروبا، وخصوصاً بأنفير (Anvers) لاقتنائها.

وعرض البرتغاليون كميات هائلة من العقاقير ومستلزمات الصباغة كالصمغ الهندي الذي كان يبيعه حكراً كذلك على الملك، وكانت تؤدي به الرواتب، وكان الإقبال عليه بأسفي مهماً إلى حد أن تقريراً حرر في مطلع القرن السادس عشر أكد أن تلك المدينة كانت قادرة على ترويض كل الصمغ المستورد من الهند. ووصلتنا إشارات تخص إعادة بيعه بفاس. كما عرض التجار الأحرار، ووكلاء الملك كميات من حجر الشب والكبريت وحجب القرمز الطرطر. وقد تزايد عرض هذه الكميات بشكل سريع: فمن عام 1498 إلى عام 1516 ارتفع عرض التوابل بنسبة 3900٪ بينما ارتفع عرض الصمغ بنسبة 2200٪ فيما بين 1491، 1516. وتعكس هذه النسب الرواج الذي أصبحت تعيش عليه بعض الموانئ المرتبطة بالامبراطورية التجارية البرتغالية، ومدينة أسفي على وجه الخصوص. وللإستفادة أكثر من تلك الموانئ المفتوحة في وجه التجارة البرتغالية، أعطاه المسؤولون البرتغاليون نوعاً من التخصص، فقد أصبحت أزموور تختص في المواد الفلاحية وصيد الشابل، في حين سيطرت عمليات الصرف (الفضة مقابل التبر) على أنشطة أكادير.

أما أسفي فقد غدت أهم سوق بالمغرب للتوابل ومستلزمات الصباغة من جهة، وللأنسجة الصوفية الموجهة لسواحل غربي أفريقيا من جهة أخرى.

غير أن استفادة البرتغال من تجارته بالمغرب لم تدم طويلاً. فقد تبين لنا من خلال تتبع الأوضاع السياسية بالمنطقة، واعتماداً على ما وصلنا من وثائق (أحمد بوشرب، دكالة، 322) أن تلك الاستفادة اقتصرت على العقدين الأخيرين من القرن الخامس عشر اللذين يناسبان فترة ولاء أسفي وأزمور واعترافهما بسلطة التاج البرتغالي. وحالت الاضطرابات التي عرفها المغرب إثر احتلال ثغور السهول الغربية، وتزايد نفوذ الشرفاء السعديين، ونجاحهم في محاولاتهم الجادة والمبكرة قصد إحياء تجارة القوافل وإنعاشها وتنشيط التجارة مع التجار المسيحيين المتضررين من الاحتكار البرتغالي، دون استمرار تلك الاستفادة، إذ سرعان ما كسدت التجارة البرتغالية بالمغرب، واختفي ما كانت تعرفه أسفي وأزمور وأكادير من رواج لتصبح مجرد ثكنات تعيش على ما تبعثه لشبونة من أقوات ورواتب (أحمد بوشرب، دكالة، 410).

واستمرت مازيغن (الجديدة)، التي احتفظ البرتغاليون بها بعد اضطرابهم إلى إخلاء أكادير وأسفي وأزمور (1541) وأصيلا والقصر الصغير (1550) في التوصل ببعض السلع كالصمغ خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، كما تشهد على ذلك محاكمة بعض "المهريين" البرتغاليين من لدن محكمة التفتيش بلشبونة. ووقفنا بوثنائق القنصلية البرتغالية بطنجة (وزارة الخارجية، قنصلية طنجة، صناديق 299. 300. 301) على إشارات تخص استيراد البرتغال لبعض الأبقار ولكميات محدودة من الحبوب. غير أن تلك المبادلات لم تصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى ما كانت عليه خلال المرحلة التي أشرنا إليها آنفاً.

أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي؛ من مصادر تاريخ الدولة العلوية في البرتغال، ضمن أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف، نشر وزارة الثقافة 1990، ص. 97 وما بعدها؛ محاضر محاكم التفتيش الدينية، مصدر من مصادر التجارة البرتغالية بالمغرب خلال القرن السادس عشر؛ ضمن أعمال ندوة التجارة والمجتمع بالمغرب التي نظمتها كلية الآداب بالدار البيضاء (تحت الطبع).

V.M. Godinho, *L'économie de l'empire portugais aux XVème et XVIème siècles*, Paris, 1969 ; *Os Descobrimentos e a economia mundial*, Lisbonne, 1965, Tome I ; R. Ricard, *Le commerce de Berbérie et l'organisation économique de l'empire portugais, Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1954, pp. 98 et sq.

أحمد بوشرب

\* \* وفي العصر الحديث عرف المغرب منذ سقوط مدينة سبتة بيد البرتغال سنة 1415 / 818، مجموعة من التطورات السياسية والاقتصادية التي أثرت بعمق على أوضاعه الاقتصادية. وقد تأثر النشاط التجاري على الخصوص، لأن هذه المدينة كانت المنفذ الرئيسي لتجارة المغرب مع أوروبا.

ومن المعلوم أن المغرب استفاد لقرون طويلة من الوساطة التي كان يقوم بها بين السودان وأوروبا، وكانت سبتة قبل سقوطها مركزاً تجارياً نشيطاً، يقصده التجار الأوروبيون - وخاصة الإيطاليين - لشراء السلع المغربية والإفريقية، وبيع المنتجات الأوربية. وكان اقتصاد الدول المغربية يعتمد في جزء كبير منه على مداخيل هذه الوساطة.

وخلال القرن التاسع (15 م)، وبعد إغلاق منفذ سبتة، حاول التجار الإيطاليون تعويض هذا المنفذ بموانئ أخرى، وخاصة أصيلا، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل نظراً للحصار الذي ضربه الإيبيريون على الموانئ المغربية، وسقوط مدن أخرى في شمال المغرب مثل مليلة والقصر الصغير وأصيلا وطنجة (R. Ricard, *Contribution*, 53 - 73).

وهكذا دخل المغرب مرحلة العصور الحديثة محروماً من أهم موانئه في الشمال، ومن شريان تجاري حيوي كان يدر على الدولة مداخيل هامة، ويساهم في تغطية مصاريفها المتعددة. ونتج عن ذلك ضعف الدخل، وتقلص المساحة الخاضعة للمخزن، وقيام عدد من الكيانات الصغيرة والضعيفة في أجزاء مختلفة من البلاد.

وقد حاول الوطاسيون خلال مدة حكمهم القصيرة إعادة الحياة إلى النشاط التجاري، واعتمدوا في ذلك على ميناء العرائش، إلا أن محاولتهم لم تعط أكلها بسبب الحصار الذي ضربه البرتغاليون على التجارة مع المغرب وعدم سيطرة الوطاسيين على الطرق الصحراوية.

وخلال القرن العاشر (16 م) تمكن البرتغاليون من بسط أيديهم على مدن ومواقع ساحلية أخرى مثل مازيغن، وأمكدول، وأسفي، وأكادير وعملوا على خلق نوع من الارتباط بين هذه المناطق والبرتغال من الناحية السياسية والاقتصادية.

وقد أدرك السعديون جيداً خطورة الوضعية، فعملوا من جهة على طرد المحتلين عن طريق شراء السلاح واستنفار المجاهدين. كما عملوا من جهة ثانية على ضرب المصالح الاقتصادية البرتغالية، عن طريق حصار الثغور المحتلة، وضع التعامل معها، وفتح منافذ جديدة، وتشجيع التجار الأوربيين على ارتيادها عن طريق تزويدهم بعدد من المنتجات الرائجة والمرحة وعلى رأسها السكر (ع. المنصوري، انعكاسات، 135. 158).

وقد نجح السعديون في طرد المحتلين، وإعادة الحياة للتجارة المغربية مع الخارج. وحلت مراكش محل فاس كمركز تجاري رئيسي، بعد فتح طريق التجارة مع السودان. وأصبحت أسفي أهم ميناء للتبادل مع أوروبا. كما تراجع دور التجار الإيطاليين والإيبيريين لصالح تجار جدد من إنجلترا وهولاندا وفرنسا. واستغل السعديون إقبال هؤلاء التجار على السلع المغربية الرائجة مثل السكر وملح البارود والجلود، إضافة إلى التبر السوداني من أجل الحصول على الأسلحة والمواد العسكرية لتقوية نفوذهم.

وعملوا من جهة أخرى - وخاصة في فترات الاستقرار - على تهيئة الظروف المناسبة لإنعاش التجارة الداخلية عن طريق ضبط الأمن، وتيسير المواصلات، وتشجيع بعض الصناعات، وفتح المجال أمام تصدير المنتجات المغربية.

وقد ضاعت جل هذه الجهود بعد وفاة المنصور حيث دخل المغرب في مرحلة طويلة من الانقسامات والحروب الناتجة عن صراع أبنائه على الحكم ثم التنافس بين عدد من القوى السياسية على السلطة. وفي هذه الفترة تراجع النشاط التجاري، ومالت كفة المبادلات لصالح أوروبا التي كان الفرقاء يعولون عليها في الحصول على الأسلحة والذخيرة الحربية.

استمرت هذه الوضعية بنتائجها السلبية ما يقرب من ثلثي القرن الحادي عشر (17 م) إلى أن استتبقت الأمور للمولى رشيد في حدود سنة 1670 م، ثم خلال عهد المولى إسماعيل الذي عمل خلال مدة حكمه (1672 م - 1727 م) على إعادة الأمن والاطمئنان، واهتم بالتجارة الداخلية، وبالتبادل مع الخارج، وأعاد للمخزن هيئته، وحاول إعادة التجارة الصحراوية إلى سابق نشاطها عن طريق تأمين الطريق الصحراوي. إلا أن جهوده تعثرت بسبب منافسة الأتراك في الجزائر والفرنسيين في السنغال. (Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, 247).

وبوفاة المولى إسماعيل، عانى المغرب من جديد من فترة طويلة من الفوضى السياسية الناتجة أساساً عن تدخل عبيد البخاري في تولية وعزل السلاطين، مما كان له تأثير سلبي عصف بجمل منجزات هذا السلطان، وبعد ثلاثين سنة من الفوضى، عرف المغرب من جديد استقراراً وأمناً في عهد السلطان محمد بن عبد الله الذي تمكن بمجهود قوي من إعادة الروح إلى الحياة الاقتصادية عن طريق إعادة الأمن والاهتمام بالمواصلات والمراسي وخاصة مرسي الدار البيضاء والصويرة، وعقد اتفاقيات تجارية مع الدول الأوربية على الخصوص، لكن المبادلات التجارية ظلت لصالح الأوربيين، لأن المغرب لم يفلح في التغلب على مخلفات سنين طويلة من الفوضى والخسائر، ولم يستطع تدارك الفارق بينه وبين دول أوربية أصبح أكثر تنظيماً وتفوقاً على المستوى التقني والعسكري، وأكثر سيطرة على المواصلات البحرية والأسواق العالمية.

تمتاز الفترة الحديثة بالتحول الكبير الذي طرأ على التجارة العالمية بفضل الاكتشافات وانتقال الأهمية من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي وما رافقه من تحولات عميقة بدول شمال غرب أوروبا على الخصوص. إلا أن المغرب لم يستفد من هذه التحولات رغم وقوعه على المحيط الأطلسي وقربه من أوروبا. ويرجع ذلك إلى أسباب بعضها قديم، وبعضها الآخر مرتبط بالفترة الحديثة نفسها. ويمكن أن نتيين ذلك من خلال العناصر التالية :

- دور المخزن : عمل السلاطين السعديون ثم العلويون بعدهم على إنعاش الاقتصاد وتوفير الظروف الملائمة

لازدهار النشاط التجاري في الداخل والمبادلات مع الخارج، عن طريق بناء الطرق والقناطر وإحلال الأمن، وتنظيم المبادلات والضرائب، وتشجيع المنتجات المطلوبة في التبادل، وعقد الاتفاقيات مع الدول الأخرى. إلا أنهم من جانب آخر كانوا يساهمون في إضعاف التجارة، وخاصة في فترات الاضطراب والحروب، حيث تتأثر المواصلات، وينعدم الأمن، ويشقُّ كاهل التجار بالضرائب، إضافة إلى الخسائر البشرية والمادية. كما أن احتكار المخزن لبعض السلع الرابحة كالسكر، أو المهمة كالأسلحة، ودخوله كمنافس في تجارة النسيج، وإتفاقه لمداخيل وأرباح هذه التجارة في مجالات غير منتجة اقتصادياً، كإقتناء الأسلحة وتجهيز الجيش، وإقامة البناءات الضخمة ... الخ، كان يؤدي إلى حرمان التجار من رؤوس أموال ضرورية لنمو أرباحهم وتطور حجم معاملاتهم.

- نوع البضائع : لم يقع تطور كبير في طبيعة المواد المتبادل بها مع الخارج، إذ ظل الإنتاج المغربي المعد للتصدير في مجمله معتمداً على المواد الأولية الفلاحية مثل الحبوب والمواشي والعسل والشمع والتمور واللوز أو المواد المعدنية مثل ملح البارود والنحاس والحديد والملح، مع بعض المواد المصنعة التي تناقست أهميتها بعد الفترة السعدية مثل السكر والجلود والنسيج (الحنابل والحياك والزرايب).

وفي المقابل كان المغرب يستورد بعض المواد الأولية الأكثر أهمية مثل التبر وريش النعام والتوابل والعنبر والصمغ والخشب ومعادن الفضة والحديد والرخام ... الخ. إلا أن أهم وارداته على الإطلاق هي المواد الحربية من أسلحة بيضاء ونارية وذخيرة وتجهيزات السفن، إضافة إلى الأنواب من مختلف أنحاء أوروبا. وهي مواد أغلى من المواد الخام المغربية، وكانت تخضع غالباً لاحتكار المخزن.

وكثيراً ما كان الانتاج المغربي لا يفي بحاجيات التصدير بسبب الظروف الداخلية المؤثرة سلباً على الإنتاجية، كالحروب والأوبئة والجفاف، فيكتفي المخزن بتصدير ما يحصل عليه من ضرائب عينية، بدون أن يكون لذلك أثر إيجابي على التجارة.

- المواصلات : لم تتطور المواصلات البرية كثيراً رغم الجهود التي بذلها المخزن، فقد ظل الاعتماد في نقل السلع على الدواب بصفة رئيسية، بدون استعمال العربة في نقلها، كما أن استعمال الطرق ظل محفوفاً بالمخاطر والصعوبات المتعلقة بالتضاريس إضافة إلى الاخطار المتعلقة بالظروف الطبيعية كالثلوج وفيضانات الأنهار، ناهيك عن الأخطار الأخرى التي تفاقمت مع تدهور سلطة المخزن والمتعلقة بأمن التجار على أنفسهم وأموالهم.

كما أن المغرب لم يعرف ظهور مؤسسات متخصصة في نقل السلع تأخذ على عاتقها مسؤولية نقل السلع في الأجال المحددة، وتحافظ عليها كما كان الشأن بالنسبة لبعض الدول الأوروبية، حيث مكنت هذه المؤسسات من

توفير الوقت، والاطمئنان على النفس والأموال.

وتكتسي المواصلات في الصحراء صبغة خاصة، وتتضاعف فيها المخاطر والمصاعب، بحيث يتطلب ذهاب القوافل ورجوعها شهوراً عديدة. ويتضائل أهمية هذه التجارة لم يعد هناك مبرر قوي يشجع التجار على تجشم مشاق الصحراء.

أما المواصلات البحرية، فلم تكن مؤهلة للقيام بدور رئيسي في النشاط التجاري العالمي، لأن الموانئ المغربية كانت في معظمها مراسي طبيعية، غير قادرة على استقبال السفن الكبرى وخضع جلها للاحتلال الأجنبي لمدة طويلة خلال القرن العاشر (16 م)، كما عانت من الحصار المضروب في البداية من طرف الإيبيريين، ثم من خطر القراصنة فيما بعد. وتراجعت تبعاً لذلك صناعة السفن، رغم الجهود الكبيرة لتي بذلها السلاطين المغاربة للتوفر على أساطيل عسكرية وتجارية واعتماد متزايد من التجار المغاربة على السفن الأجنبية وعلى التجار الأجانب في نقل سلعهم.

الحروب والكوارث : كانت الفترة الحديثة مليئة بالحروب والكوارث، ورغم عدم توفر إحصائيات مضبوطة فقد أمكن بالنسبة للقرن العاشر (16 م) مثلاً رصد (أكثر من مائة وستين معركة فقط، وسبع إصابات بالوباء واثنتي عشر فترة مجاعة وجفاف، وغزو للجراد ثلاث مرات... الخ) (المنصوري، التجارة، 2 : 381). وكان لهذه الحروب والكوارث تأثير سلبي واضح على ساكنة المغرب، وعلى النشاط التجاري، حيث نتج عنها نقص في الأمن، وجمود في المبادلات بالأسواق وتدهور في الإنتاج، وضعف للمقدرة الشرائية. وزعزعة لهيئة المخزن. وقد أدى تكرار الحروب والكوارث خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17 م) على الخصوص إلى تعميق هذه المشاكل.

المعاملات المالية : لم يرق مستوى التعامل بالنقود إلى المستوى الذي يدفع بالتبادل التجاري إلى التطور والتقدم. ويرجع ذلك إلى كون كمية النقود المسكوكة كانت قليلة، بسبب نقص المعادن وخاصة الفضة. وعدم ضبط هذه المسكوكات داخل السوق المغربية، بحيث كانت تروج نقود عدد من السلاطين في نفس الوقت رغم أوزانها المختلفة : (الدنانير الوازنة وغير الوازنة). وأدى ذلك إلى حدوث مشاكل مرتبطة بالصراف والرد، إضافة إلى مشكل التعامل بالنقود الأوربية وصرافها واختلاف الموازين والمقاييس، سواء في التجارة الداخلية أو الخارجية.

ويسبب نقص الأمن، كان التجار يتخوفون من الانتقال بأموالهم، ويضطرون إلى دفنها، فتفقد رواجها في السوق مؤقتاً، أو نهائياً عند موت أصحابها، ولم يعرف المغرب في هذه الفترة نظام المؤسسات البنكية التي تقوم بحفظ الودائع والنقود وإعطاء القروض. كما لم يعرف التعامل بالأوراق التجارية مثل الصك والكمبيالة... الخ.

ان الملاحظات المذكورة أعلاه، تفسر لنا إلى حد ما بعض الأسباب التي كانت عائقاً أمام التجارة المغربية عن

الانطلاق ومواكبة التطورات التي عرفتها التجارة في البلدان الأوربية المجاورة، إلا أن المقارنة لا ينبغي أن تنسنا أن التجار المغاربة تمكنوا بالرغم من هذه العراقيل من مجابهة التحديات، ووصلوا إلى السودان والشرق، وحاولوا عدة مرات الاستفادة من التطورات التي عرفتها المنطقة وكان لهم وعي بأهميتها، كما أن معاملتهم مع أوروبا رغم ما ذكرنا من الملاحظات لم تفقد أهميتها خلال الفترة الحديثة.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، ومحمد الأخضر. الرباط 1980. ج 1 : أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984 : م. ابن تاويت، من زوايا التاريخ المغربي، مجلة تطوان، الأعداد من 5 إلى 9، ما بين سنتي 1960 و1964 : ع. المنصوري، التجارة والتجار بالمغرب في القرن السادس عشر، رسالة مرقونة، كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء : انعكاسات الاحتلال البرتغالي على الأوضاع الاقتصادية بالمغرب القرن 16، حوليات كلية الآداب، العدد 7، 1990، ص. 135 : أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالسلطة والمجتمع عبر تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب، عين الشق - الدار البيضاء - جزآن. مطبعة فضالة، 1992.

S.I.H.M. ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; J. Caillé, *Le commerce anglais avec le Maroc pendant la seconde moitié du XVI siècle : importations et exportations*, R.A., Tome LXXXIV, 1940, pp. 186 - 219 ; R. Ricard, *Le commerce de berberie et l'organisation économique de l'empire portugais aux XV et XVI siècles*, A.I.E.O., Alger, 1936, T. II, pp. 266 - 285 ; *Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la période portugaise : 1415 - 1550*, A.I.E.O., Alger, Tome III, 1937, pp. 53 - 73.

عثمان المنصوري

### تجار السلطان، خلافاً لما قد توحى به بعض الدراسات

فإن ظهور تجار السلطان لم يكن وليد القرن التاسع عشر ولا مرتبطاً فقط بالتغلغل الأوربي. بل يمكن القول إن "تاجر السلطان" ظهر إلى الوجود منذ كان السلاطين وكان التجار، فالظاهرة عرفتها كل المجتمعات البشرية ومنذ أقدم العصور.

أما في المغرب فإن ظاهرة تجار السلطان لم تكتسب أهمية كبيرة إلا في العصور الحديثة عندما أصبحت الدولة تعتمد بشكل متزايد على التجارة والتجارة الأوربية بشكل خاص. ففي القرن السابع عشر استعمل المولى إسماعيل التجار اليهود في تسيير ما له علاقة بالمال والتجارة وحتى الدبلوماسية عندما أرسل مثلاً حاييم طوليدانو سفيراً إلى إنكلترا والبلاد المنخفضة (1691).

وبانفتاح المغرب على المحيط الأطلسي في القرن الثامن عشر ازداد اعتماد الدولة على التجارة الأوربية، وبالتالي ازدادت أهمية بعض كبار التجار كوسطاء بين المخزن والدولة الأوربية. ومدينة الصويرة التي أصبحت المرسى الأولى للبلاد منذ إعمارها في سنة 1765 وحتى أواخر القرن التاسع عشر، تجمع عدد من التجار المهتمين بتجارة التصدير والاستيراد، وكان قسم هام منهم مكوناً من التجار اليهود الذين شجعهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله

على الاستقرار بهذه المرسى. وفي صفوف هؤلاء التجار، مسلمين ويهود، كان المخزن يختار شركاء ووسطاء يستعملهم في التجارة وفي تسيير شؤون المخزن المالية. كانت العلاقة بين السلطان والتاجر علاقة مباشرة تقوم على تبادل الخدمات والمصالح. فالتاجر كان يتوفر على تجربة واسعة في شؤون التجارة وكانت له علاقات تجارية مع شركاء أوروبيين تجعله على اطلاع بأحوال البلدان الأوربية وطبيعة مصالحها التجارية، وبالتالي بسياستها، وهو ما أهل هؤلاء التجار في كثير من الأحيان لأدوار سياسية ودبلوماسية. فالسلاطين كانوا عادة ما يرسلون التجار لاقتناء السلع والعتاد الحربي من أوربا، لكنهم كانوا في نفس الوقت يكلفونهم بمهام سياسية، كأن يسلموا خطابات رسمية أو يتفاوضوا مع مسؤولي الدول الأوربية حول القضايا المختلفة. كما أن التجار اليهود بصفة خاصة كانوا جزءاً من شبكة تجارية واسعة تقوم على أساس الانتماء الديني أو العائلي أو مجرد الشراكة التجارية، وهذه الشبكة التجارية كانت تغطي أحياناً مجالاً واسعاً يشمل أوربا وحوض البحر المتوسط. وهذه الارتباطات كانت بالطبع تخدم مصالح هؤلاء التجار وتجعلهم يتوفرون على امتيازات لم تكن متاحة للتجار المسلمين ولا حتى التجار الأوربيين.

وفي المقابل كان المخزن يقدم للتجار الذين اختارهم لتسيير شؤونه التجارية والمالية عدة امتيازات تجعل منهم فئة محظوظة بالمقارنة مع التجار العاديين. من هذه الامتيازات أداء رسوم جمركية منخفضة مع إمكانية تسديدها على دفعات، والاستفادة من القروض المخزنية المعفاة من كل فائدة. كما أن تجار السلطان كانوا يستفيدون من دعم الجهاز المخزني سواء بالداخل أو الخارج. فتنصل المغرب بجبل طارق على سبيل المثال، وقد يكون هو نفسه من تجار السلطان، كان يقوم بدور المراسل لهؤلاء التجار ويمدهم بأخبار الأسواق الأوربية وبأسعار المواد، وقد يتوسط لهم كذلك في عقد الصفقات التجارية لاقتناء أو تصدير سلع معينة. وهذه الامتيازات كانت بطبيعة الحال تضايق التجار الآخرين وغالباً ما كانت تؤدي إلى احتجاجات قوية للتجار الأوربيين وحكوماتهم. وكان تجار السلطان يستفيدون كذلك مما يسمى بالكُنْطَرادات أي الاحتكارات التي كانت تسمح لتاجر معين باحتكار تجارة بعض المواد مقابل مبلغ يدفعه لبيت المال. وكانت هذه الاحتكارات تشمل بالأساس استيراد مواد أساسية كالشاي والقهوة والسكر أو تصدير مواد مغربية كالصوف والجلود وغيرها. وهنا كذلك كان التجار الأوربيون يتضايقون من نظام الاحتكارات الذي يمارسه المخزن عبر تجار السلطان ويلحون على ضرورة إلغائه، وهو ما حدث بالفعل عندما وقع المغرب على المعاهدة المغربية - الإنجليزية في سنة 1856.

لكن ماذا مثل تجار السلطان خلال القرن التاسع عشر الذي تميز بازدياد التسرب الأوربي؟ لقد رأى فيهم بعض

الدارسين مثل ميسيج Miège نواة لما سماه ببرجوازية تجارية نمت وترعرعت بدعم ومساندة المخزن. بينما رأى باحث آخر مثل شرويتير Schroeter أن هذا الدعم المخزني بالذات هو الذي حال دون تطور برجوازية مغربية مستقلة، لأن هؤلاء التجار ظلوا مرتبطين بالدولة ومدينين لها في ثرائهم، بل وفي مجرد استمرارهم كتجار. ذلك أن المخزن كان يوفر لهم الأموال والحماية الضرورية وبالتالي يجعل منهم مجرد وكلاء عنه في خدمة مصالحه. وأخيراً هناك سؤال آخر يطرح بشأن تجار السلطان، وهو ماذا كان دورهم بالضبط في تنمية التجارة الأوربية بالمغرب. فهل ساعدوا على تغلغل المصالح الأوربية بالمغرب أم أنهم عكس ذلك استعملوا من طرف المخزن كدرع واق ضد تغلغل الرأسمال الأوربي؟

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 - 1894, 4 vols, Paris, 1961 - 1962 ; D. Schroeter, *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

محمد المنصور

**التجّام** أو الدجّام - بصيغة المبالغة - أسرة سلوية عريقة اشتهرت بالثراء والجهاد في سبيل الله. وإن كان لا يعرف لهذا الاسم أصل في العربية ولا في الأمازيغية، إذ لا توجد مادة "تجم" أصلاً في العربية إلا أن تكون التاء المثناة مصحفة عن المثثلة فيكون التّجّام بمعنى السريع الدائم. أما الدجام فله في الفصحى صلة بالعشق والصحة والملاطفة.

يتأكد قدم استيطان أسرة التجّام لمدينة سلا أنها صاهرت عدداً من الأسر العريقة بهذه المدينة، وأنها كانت تمتلك بستاناً "سانية" من أكبر بساتين المدينة وأهمها تقع داخل السور المريني يمين الداخل من باب المرسة أكبر أبواب المدينة. وتحتل "سانية التجّام" تقريباً موقع دار صناعة السفن المعروفة أيام الموحدين والمرينيين. ولعل دار الصناعة بعد خرابها أصبحت أرضاً تفلح. لكننا نتساءل كيف انتقلت إلى ملك المجاهدين من آل التجّام، أهو إقطاع من أحد الملوك السعديين أو العلويين الذي كانوا يعزّون هذه الأسرة الشجاعة ويغدقون عليها من ضروب التكريم والانععام؟ إننا لم نطلع بعد على ما يمكن أن يكون قد تخلف من رسوم قديمة عند أقرباء آل التجّام السلويين مما يمكن أن يلقي أضواء على هذا الجانب وغيره من مسار هذه الأسرة الماجدة.

**التجّام، أحمد (الحاج)** - من أبطال الجهاد السلويين في القرن الثالث عشر (19 م). كان رئيس الطيحية (رجال المدفعية) برتبة باشا أثناء الهجوم الفرنسي الغادر على سلا يوم الأربعاء ثاني صفر عام 1268 / 26 نونبر 1851. وللتعرف على بطولة هذا المجاهد المحنك المقدم نورد معلومات موجزة عن دوره في مواجهة الاسطول الفرنسي بصمود وكفاية حربية نادرة اعتماداً على رسالتين لمجاهد سلوي آخر عمل يوم الهجوم تحت إمرة التجّام وهو التهامي ابن العباس الجعيدي. تتفق رواية الجعيدي في خطوطها

الكبرى مع ما في المصادر الفرنسية.

كان الأسطول الفرنسي بقيادة الكونتر اميرال دو بورديه Dubourdieu يتركب من خمس أو ست سفن حربية كبراهها تدعى هنري الرابع وهي ذات مائة مدفع. وبدأ الهجوم الغادر على الساعة العاشرة واستمر أكثر من ثماني ساعات كانت مدافع سلا بقيادة الحاج أحمد التجام ترد في الحال ضرباً بضرب. وقد ألحق هذا العدوان أضراراً جسيمة بأسوار المدينة والمسجد الأعظم ومناره وتهدمت عدة دور واشتعلت النيران في أخرى حتى منتصف الليل. وقد قتلت مدافع المجاهدين - حسب الرواية الفرنسية - أربعة من رجال الأسطول وجرحت ثمانية عشر، وأصاب إحدى القذائف التي أطلقها الحاج أحمد التجام سفينة العدو العظمى فحطمت صاربها الكبير وقتلت قائد الحملة حسب المجاهد الجعيدي، ولو أن الرواية الفرنسية لم تبين إن كان القائد من جملة القتلى. وحصلت أعطاب للفرقاطة ساني، وأغرقت سفينتان حسب شاهد عيان. ولم يسدل ظلام الليل ستاره حتى انسحب الأسطول الفرنسي من مصب أبي رقراق إلى جهات مختلفة - حسب قول جاك كايي - .

وقد استقدم السلطان الطيحية إلى حضرته واستقبل الباشا الحاج أحمد التجام والرئيس الحاج عبد العزيز عواد وأربعة من الطيحية "ففرح بهم غاية الفرح وأعطى لكل واحد كسوة محتوية على الملف والحرير والصقلي، والباشا والرئيس كسوتيهما كلها ملف جيد بنديقي في غاية الحسن والصقلي... وأعطى لكل واحد منهما خمسين مثقالاً، والآخرين الكسوة المذكورة وخمسة وعشرين مثقالاً - رسالة الجعيدي 2 - ولم تقف على تاريخ وفاته.

**التجّام، حجي بن عبد الله (الحاج -) السلوي**  
مجذوب ساقط التكليف، كان يعيش عازباً مع إحدى أخته في دارهم الكبرى بباب حساين ويمشي في الأسواق حافياً لا يكلم أحداً. وقد بيع جزء من سانية التجام في حياته، ويبيع القسط الأخير من سانيتهم بعد وفاته بواسطة أبي الوارث، لأنه لم يعقب.

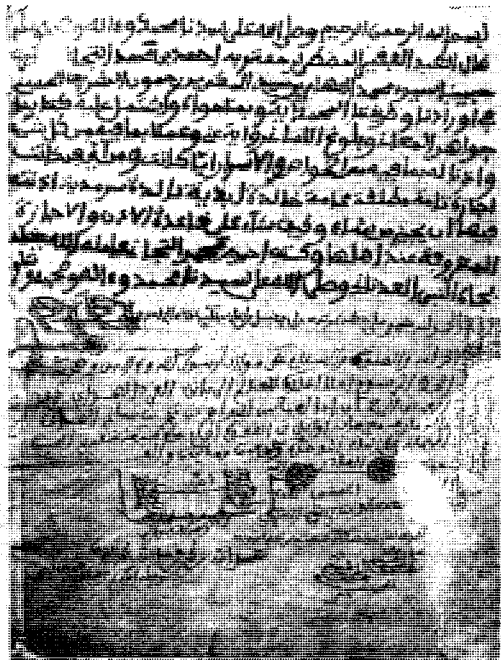
وكانت وفاته في الستينات من هذا القرن، ودفن في الركن الأيمن من الخلوّة بزواية سيدي أحمد بن مبارك بباب حساين. وبموته وموت أخته انقرضت أسرة التجام بمدينة سلا.

**التجّام، عبد الله (الحاج -) لعله ابن المجاهد الحاج أحمد،** كان ذا سمع حسن وثروة وسخاء. ولا يعرف كذلك تاريخ وفاته.

التهامي بن العباس الجعيدي، رسالتان تتعلقان بهجوم الاسطول الفرنسي على سلا عام 1851 / 1268. مخطوط، خ. ص؛ أبو بكر الصبيحي، مختصر تاريخ سلا، مخطوط، خ ص؛ م. بوشعراء، ملاحق الاتحاف الوجيز.

محمد حجي

**التجاني، أحمد بن محمد بن المختار الشيخ الشهير.**  
ولد بعين ماضي (الجزائر) عام 1738 / 1150، ونشأ بها. وقد تمادى في طلب العلم حتى تبحر في المعارف الأصولية والفرعية. وهو من أصل مغربي، لأن رابع آبائه هاجر من مراكش لعين ماضي وتوطن بها وتزوج من تجان فكانوا أخوالاً له، ولهذا ينتسب للتجانية عن طريق المصاهرة. وقد دخل إلى فاس لأول مرة عام 1767 / 1181 بعدما أزعجه صاحب وهران الباي محمد بن عثمان ومكث خمس سنين في البلد الأبيض بالصحراء الشرقية، وكان فراره من الجزائر مظهرًا لتمسكه بأهداب الشريعة الإسلامية وعمره لا



إجازة علمية بخط الشيخ أحمد التجاني

يتجاوز الثلاثين. ويقدر ما كان الشيخ التجاني متفتحاً يستعمل السماع بكلام ابن الفارض بطبوع الموسيقيين وآلاتهم من عود ورباب وكمانجة (كشف الحجاب، 275) بقدر ما كان يناهض البدع. وقد ذكر سكيرج في كشف الحجاب أيضاً (ص. 310) أن أحد أمراء قبيلة الأحلاف بالمغرب الشرقي سجن قوماً من القبيلة فاستجاروا بالشيخ وعرقبوا على بابه فاستنكر عملهم وتعذّبهم للحيوان وأبى التوسط لهم عند الأمير. وتوجد بالخزانة العامة بالرباط رسالة مخطوطة لسيدي العربي السائح الرباطي التجاني اتهم فيها بالفسوق والكفر كل من يقدم القرابين لأضرحة الأولياء. وقد أجمع المؤرخون من المسلمين والأجانب على أن سبب هذه الهجرة راجع لاستبدال الجزائر القوانين الوضعية بالشرع وتهالكها على المنكرات، فوفد على عاصمة فاس مهبط رواد المعرفة وملتقى أقطاب الفكر في القارة الإفريقية حيث تقبله الكثير من علمائها أجود اقتبال وعلى رأسهم إمام السلفية أبو الربيع السلطان المولى سليمان الذي كان يناهض الطرق الصوفية وقد أثارها شعواء على المراسم في رسالة مطبوعة فلم يسعه إلا التنازل والانصياع لهذا

الإمام فأنزله على الرجب في دار المرايا بفاس وصار يتردد للاقتباس من علمه والغرف من معين هديه، ووفد إليه في هذا الالتفاف ثلة من شيوخ العلماء في المغرب العربي منهم :

إمام شنقيط محمد الحافظ العلوي وشيخ الشيوخ عبد الرحمن الشنقيطي (الذي كان يحضر بفاس علماء وقته) وشيخ الإسلام بتونس أبو إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي والإمام سيدي عبد السلام بن الشيخ المعطي بن صالح الشرقي والعلامة محمد بن أحمد السنوسي والعلامة علاء بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري وفريد عصره وعلامة مصره مولاي الزكي المدغري والعلامة محمد بن عاشور السمعوتي والعلامة المختار بن الغالب التلمساني وغيرهم. والتحق بهؤلاء أفواج بلغت عشرات الآلاف شرقاً وغرباً من السودان إلى العراق إلى الهند في طليعتهم الشيخ محمد گنون (وهو أول من أقرأ المطول في الحديث) والشيخ محمد بن جعفر الكتاني (وهو أول من أقرأ المسند لابن حنبل) والشيخ حمدون بن الحاج الذي أفرد لمدحه قصيدة في كتابه المخطوط "الإشراف على ما بفاس من العلماء والأشراف" (مخطوط خ. ص. بسلا) وقد مدحه العلامة ابن الحاج وهو إمام أهل فاس بقصيدة تونية أوردها في سلوة الأنفاس (1: 183).

وقد انبهر هؤلاء العلماء الأفذاذ بغزارة علم هذا الإمام، كما تدل عليه استنباطاته العميقة والأصيلة من القرآن، نشر بعضها في كل من جواهر المعاني للشيخ حازم برادة والجامع للعلامة محمد بن المشري، فهو عالم أصولي محدث سني تدل أجوبته على علو كعبه في الظاهر والباطن.

ومما ساقه صاحب كشف الحجاب (ص. 491) تدخل الشيخ سيدي أحمد بطلب من السلطان المولى سليمان في أحد مجالس قراءة التفسير بحضرته حيث تصدى الشيخ الطيب بن كيران (المتوفي عام 1227 هـ) لشرح جوانب غامضة من بعض الآيات، فطلب السلطان من الشيخ التجاني رأيه في الموضوع فقرر ما بهر العقول تعقيباً على ما نقله الشيخ ابن كيران، فانقاد كل الحاضرين لرأي الشيخ سيدي أحمد وعلى رأسهم السلطان الذي نوه بغزارة مادة الشيخ من المعقول والمنقول والظاهر والباطن. والسلطان مولاي سليمان ممن أخذ الطريقة التجانية عن صاحبها (ص. 425).

وللشيخ التجاني رسائل عديدة منها وصية لجميع الإخوان (مخطوط خ. ع. 2106 د) وإملاءات (خ. ع. 1699 د) ورسائل موجهة إلى بعض الفقهاء والأمراء (خ. ع. 2425 د) وأجوبة عن الحروف اللفظية والرقمية والفكرية (خ. ع. 2106 د) وياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج (خ. ع. 2447 د) وفصل القضية في مسألة المعية (خ. ع. بتطوان 460/5).

وقد تعرضت لترجمة هذا الإمام عشرات المصنفات، في طليعتها سلوة الأنفاس وشجرة النور الزكية، كما نشرت عن

مناقبه دراسات منها :

- جواهر المعاني وبلوغ الأمان، لسيدي علي حرازم برادة الفاسي، وبهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم لسيدي عمر الفتوي - دار الفكر - بيروت 1383 (راجع ترجمته في كشف الحجاب مع قصائده في مدح الشيخ التجاني (ص. 266).

- ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، لسيدي عبيدة الشنقيطي، طبعة مكتبة القاهرة 1371 / 1951، وقد مدح الشيخ بقصيدة لامية تشتمل على أزيد من ستمائة بيت (راجع نصها في كشف الحجاب، ص. 358).

- الفيض الرباني في مدح السيد أحمد التجاني، للطيب بن أحمد بن هاشم، المطبعة الحسنية - مصر، 1327 / 1909 (فهرست دار الكتب المصرية).

- المعيار المعرب في فضيحة التحلي بين أهل المشرق والمغرب، (ذكره في كتابه تحلية الأذان والمسامع) لأحمد بن عبد السلام بناني.

- الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، مخطوط خ. ع 2106 د (تنقصها المقدمة) (م = 95. 101) خع 900 د وهي لسيدي الطيب السفياني جمعها من إملاءات الشيخ سيدي أحمد التجاني (1206 د).

- بشارة الجاني ومزيلة ترح العاني في مدح القطب الرباني سيدنا ومولانا أحمد التجاني، نظم في سبعمائة بيت. راجع بعض نصها في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، طبعة المكتبة الشعبية، بيروت (ص. 176. 184)، ضمنه قصائد في مدح الشيخ التجاني.

- مناقب التجاني، لمحمد بن المشري السانحي السباعي الشنقيطي، (خ. ع. 1354).

- الجامع لما افترق من العلوم الفائقة في بحار القطب المكتوم التجاني للمشري، خ. ع. 2444 د (48 ص). - قصيدة في مدحه، لابن إدريس العمراوي الوزير، (خ. ع. 1071).

- روضة المحب القاني فيما تلقيناه من أبي العباس التجاني، (خ. ع. 2028 م = 78. 322).

- بلوغ الأمان في مناقب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لأحمد المكي بنعبد الله (خ. ع. 2462 د).

- ديوان قصائد في مدحه غير منسوبة، طبعت بفاس عام 1903.

- الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية، مكتبة تطوان (890).

إبراهيم بن الحاج عبد الله بن محمد بن الشيخ التجاني، كاشف الالتباس، عن قضية الختم أبي العباس، طبع على الحروف بالدار البيضاء.

- شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لسيدي أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي.

- بغية المستفيد في شرح منية المريد، لأبي المواهب

سيدي العربي بن السائح، طبعة القاهرة 1304 هـ، ثم طبعة بيروت - دار الجليل.

- جميل أبو النصر، طريق صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية، طبعة 1965.

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي الشنقيطي (1300 هـ / 1882 م)، العصب اليماني في الذب عن الشيخ أحمد التجاني، (مخطوط خ. ع. 2460 د) (م = 236. 319) خ. ع. 2135 د (م = 102. 173) طبع على الحجر بفاس في 72 ص.

توفي الشيخ سيدي أحمد التجاني بمدينة فاس صبيحة يوم الخميس سابع عشر شوال عام 1230 / 22 شتنبر 1815، وضرحة بها شهير يزار، من جميع الأقطار.

### التجاني، محمد الحبيب ابن الشيخ سيدي أحمد

التجاني. فقيه لغوي متبحر، وصالح عارف. كان سبب قراءته للعلم وخاصة النحو خوفه من اللحن، فحفظ الألفية وقراها على العلامة أحمد بن عاشور السمغوني، وقبل وفاته استدعاه الفرنسيون إلى عاصمة الجزائر وكان مستقراً بعين ماضي متعللين برؤيته والتبرك به فلم يجبههم إلى ذلك ولم تمض أيام قليلة حتى قبضه الله إليه وكان يقول : "أسأل الله أن لا أرى وجه نصراني ولا جواباً منه" (ص. 202).

أعقب ولدين هما مولانا أحمد ومحمد البشير. وقد طمع الفرنسيون في احتلال عين ماضي ونواحيها فحصل لسيدي محمد الحبيب اهتمام بهذا الأمر وضاق منه الصدر وكاتب في شأنه بعض أهل فاس، وقد طلب سيدي محمد الحبيب من شيخه أحمد بن عاشور السمغوني نظم قصيدة ضد العدو الفرنسي المغير تتلى بعد قراءة الوظيفة والحزب من جملتها :

وانصر عصابة الهدى على العدا ونجنا من كل من قد اعتدى

(راجع نصها في كشف الحجاب، ص. 384)

ومن تواضع سيدي محمد الحبيب أنه أجاب عندما طلب منه بعضهم إعطاه ورد والده الشيخ سيدي أحمد التجاني : "نحن لا إذن لنا في التقديم ولا في إعطاء الأوراد لأننا لم نكن أهلاً لذلك". (كشف الحجاب، ص. 219).

وصاحب الترجمة هو الذي أشرف على تمرد التجانيين في الجزائر العاصمة عام 1259 ضد الاحتلال. وكانت عين ماضي في حل من الوجود الفرنسي، يخشى المستعمر الدخول إليها. وقد ساعد السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام هذه الطائفة الشائرة بالمؤن والعتاد عن طريق رجال المقاومة في تازا ووجدة وخنق المستعمر على التجانيين فمنعهم من تأسيس زاويتهم بالعاصمة التي ظلت خلال قرن كامل خلواً من كل حركة تجانية لأن هذه بقيت محصورة في الصحراء. وظل التجانيون مع ذلك يكافحون إلى ما قبل الاستعمار حيث انضم أحد أحفاد المترجم وهو الشيخ سيدي الحاج ابن عمرو التجاني إلى جبهة التحرير الجزائرية فحكم عليه بالإقامة المحروسة طوال عشر سنوات (1953. 1963) إلى

أن تحرر بعد استقلال الجزائر فلجأ إلى المغرب.

توفي محمد الحبيب التجاني عام 1269 / 1852.

أ. سكيرج، كشف الحجاب، ص. 55 وما بعدها.

**التجاني، محمد الكبير** ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني وخليفته من بعده. قال في حقه وحق محمد الحبيب أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في بغية المستفيد : "وخلّف سيدنا رضي الله عنه بعد انتقاله إلى الدار الآخرة والمنازل القدسية الفاخرة ولدين جليلين كريمين أحدهما العارف بالله تعالى سيدي محمد الملقب بالكبير، والثاني صنوه سيدي محمد الملقب بالحبيب ذو الفضل الشهير والجاه الخطير، خلفاه من بعده في الهداية والإرشاد والنفع العميم للعباد، وقد سبق أن فر سيدي محمد الكبير من الأتراك إلى أرض تماسين بينما لجأ أخوه سيدي محمد الحبيب إلى أبي سمغون بالصحراء الشرقية، وقد قام الأتراك بتخريب عين ماضي فجدد أولاد الشيخ بناءها" (كشف الحجاب، ص. 2170).

توفي محمد الكبير التجاني عام 1238 / 1822 أو ما بعدها ببشير.

العربي ابن السائح، بغية المستفيد : أ. سكيرج، كشف الحجاب، طبعة بيروت.

عبد العزيز بن عبد الله

### التجاني بن مولاي المصطفى، مقاوم من شباب

خنيفرة، ولد سنة 1926، وعمل في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء. قام بعدة أعمال فدائية أهمها إحراق مصالح الاستعمار، وألقي عليه القبض سنة 1954، وظل في المعتقل إلى أن توفي ضحية التعذيب.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة : كتاب الشهداء، ج. III.

عز الدين العلام

### التجانية، طريقة صوفية أسسها سيدي أحمد التجاني

أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وهي لا تنتمي للشاذلية ولا لأتباعها الزروقية والتباعية، فهي طريقة سنية جديدة أسست - كما يقول أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في البغية (ص. 4) - على تقوى من الله ورضوان، وشيدت من العلمين الظاهر والباطن على أقدم القواعد وأقوى الأركان. فكان الشرطان الأساسيان للانخراط في سلكها ضمن اتباع السنة والتمسك بهدي القرآن :

(1) قيام الليل.

(2) رفع الهمة عن الخلق اكتفاءً بالملك الحق واعتبار الشيخ التجاني مجرد عبد من عبيد الحضرة.

"وقد سرى ذلك لأصحابه (البغية، ص. 390) فاتصفوا به بين الخاص والعام حتى صار الناس ينسبونهم إلى الغنى ولو لم يكونوا أغنياء".

وقد أكد هذا الشيخ الإمام تنحية لكل افتراء وحياد عن الشريعة قولته الماثورة : "إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه



بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه" (كشف  
الحجاب، ص. 177) وقديما قالها قبله الأئمة أبو حنيفة  
ومالك وأحمد بن حنبل (فتاوى ابن تيمية، ج. 20، ص.  
٧٤١١).

وقد انتشرت الطريقة التجانية في القارة السوداء كلها  
وعرفت عاصمة دكار وحدها ما يناهز مائة زاوية، وأكد  
بونني موري (G. Bonet Maury) في كتابه الاسلام  
والمسيحية *L'Islamisme et le Christianisme*. حسب نقل  
الأمير شكيب أرسلان في *حاضر العالم الاسلامي* (ج. 2  
ص. 398) أن أفريقيا كادت أن تكون كلها إسلامية لولا  
قضاء فرنسا على سلطنة التجانية هذه، كما أن أوربا كادت  
تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في  
بواتي (بلاط الشهداء). وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان  
(ص. 396) أن الشيخ سيدي أحمد التجاني كان يتظاهر  
بالتسامح مع غير المسلمين قبل تكالب الآباء البيض في  
النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) حيث  
استعملت التجانية القوة في نشر العقيدة الإسلامية فكانت  
سيدة السودان طوال أربعين سنة وخلف لها الأمير الحاج  
عمر الفوتي (وهو العلامة الكبير صاحب كتاب *الرماح*)  
سلطة إسلامية عظيمة في وسط بلاد الزوج الوثنيين هددت  
وجود فرنسا. والسلطان الفوتي هذا أخذ الطريقة التجانية  
بالحرمين الشريفين عن أحد تلامذة الشيخ التجاني وهو  
العلامة الفاسي سيدي الغالي أبو طالب.

وقد أشار المؤرخ الفرنسي أندري جوليان في كتابه  
*المغرب تجاه الدول الاستعمارية* إلى قيام الطائفة التجانية  
بالجزاير العاصمة بمقاومة الاستعمار الفرنسي معززة  
بالمقاومين في المغرب الشرقي الذين كان السلطان المولى  
عبد الرحمن بن هشام يمددهم بالموثون والعتاد عن طريق تازا  
ووجدة.

فيهدى الشيخ التجاني حارب الأفارقة الاستعمار  
ويهدى الشيخ التجاني انتشر الإسلام بين الزوج وسقط في  
أيدي دعاة التبشير من المسيحيين وواصل الدعوة إلى  
الهدى شيوخ أعلام أمثال الشيخ مالك الحاج سي والشيخ  
إبراهيم نياس والشيخ عبد العزيز سي، ولا تزال عشرات  
الآلاف من الزوايا بين القارة الإفريقية وفي قارات أخرى لا  
نستثنى منها أمريكا وأوربا معمورة بالذكر وقراءة القرآن  
حافلة بشعائر الدين لا تعرف الكلل ولا الملل في الدعوة  
إلى الله وفي إحياء معالم السنة المطهرة خالية من كل وقف  
أو حبس، يعمل الأئمة والمؤذنون والحزابون والعلماء مجاناً  
لعمرائها ليل نهار بالعلم والهدى.

العربي ابن السائح، بغية المستفيد لشرح منية المرید، الطبعة  
الأولى، القاهرة: أ. سكيروج، كشف الحجاب فيمن تلاقى مع  
الشيخ التجاني من الأصحاب، بيروت: علي حرازم برادة، جواهر  
المعاني ويلوغ الأمانى، وبهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على  
نحور حزب الرحيم لسيدى عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت،  
1383 هـ: عبدة الشنقيطي، ميزاب الرحمة الربانية في التربية

بالطريقة التجانية، القاهرة (1371 هـ / 1951 م)؛ جميل أبو النصر،  
طرق صوفية في العصر الحديث: الطريقة التجانية، 1965،  
ص. 204.

عبد العزيز بن عبد الله

التجبير طب تقليدي، لا شك أن الحاجة إلى هذا النوع  
من الطب ظهر منذ أقدم العصور التي نشط فيها الإنسان،  
لأن حركة هذا الأخير، وأعماله اليومية، تعرض عظامه  
للكسر. وإذا عظم كسر الانسان أو الحيوان أسرع الناس إلى  
معالجته. ولعل الرغبة الملحة في شفاء المكسور هي التي  
حذت بالإنسان إلى تعلم مهنة التجبير.

ولهذا المصدر أصل في اللغة العربية. ويستشف من  
ذلك معرفة العرب لهذه المهنة. ففي لسان العرب ويقال  
جَبَرْتُ الكسير أُجْبِرُهُ تجبيراً وجَبَرْتُهُ جَبْرًا عن اللحياني  
وأشد:

لها رجل مجبرة تخبُ (تسرع)

وأخرى ما يسترها وِجَاح (غطاء ساتر)

والمُجَبَّر الذي يجبر العظام المكسورة، والجباير  
العيدان التي تشد على العظم لتجبره، وواحدتها جبيرة أو  
جبارة.

دخل هذا النوع من العلاج في اهتمام الأطباء المسلمين،  
إلا أنه لا ينبغي خلطه بالجراحة التي اشتهر بها عدد من  
الأطباء في التاريخ الإسلامي كابن القف في كتابه "العمدة  
في صناعة الجراحة" وخلف ابن العباس الزهراوي المتوفي  
سنة 427 هـ / 1035 م. حين فرق بين الجراحة وغيرها من  
المواضع الطبية. فتجبير العظام المكسورة أو الخارجة عن  
موضعها ليس عندهم من تخصص الجراحة. وقد عالجها  
الأطباء المسلمون بالتكميد من الخارج دون اللجوء إلى  
عمليات جراحية واشتهر المهتمون بهذا المسدان بالإتقان،  
وعملوا على تطوير التجبير مع مرور الزمن.

وإلى عصرنا اشتهر في المغرب بعض الناس - وليسوا  
أطباء - بالمفهوم المعاصر للكلمة - بامتهان التجبير، ويرعوا  
فيه حتى ضاهوا الطب الحديث، وتخصصه علم جراحة  
العظام Traumatologie، بحيث مازال الناس بعد التجبير  
الذي يجرى لهم بالمستشفيات - في بعض الحالات - يلجؤون  
إلى المجبرين ويجدون راحتهم بعد التجبير التقليدي.

وطريقة هذا التجبير أن يقوم "المعلم" برد العظم إلى  
مكانه ثم تغطية العضو المكسور بالصوف، وإحاطة الصوف  
بكاغيد مثل السكر الأزرق، أو الياف الدوم، ثم خلط  
الدقيق مع أصفر البيض، وطلا ذلك العجين على الكاغيد،  
ثم وضع انصاف القصب التي تعد حالا، لكي تدار على  
العضو المكسور مرصفة، النصف إلى جانب والنصف إلى  
جانب آخر، ثم يشد العضو. وقد تختلف أدوات العمل من  
منطقة إلى أخرى بعض الشيء، فإذا اشتكى المكسور أرخى  
المعلم أو أهله رباطه قليلا، وهكذا يستمر ذلك أسبوعا  
فأكثر حسب تعليمات المجبر. ومنهم من يلجأ إلى تكسير

المرضى من جديد إذا ما مضى وقت على الكسر وصار العظم ينحجر على اعوجاج، ثم يصلح العضو ويجبره كما يفعل أحد المتفتنين في هذه المهنة ببني زروال وهو محمد بن حليلة الذي يسكن بفرقة أولاد قاسم.

الهوني فرج محمد، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 1986، ص. 78، 148؛ تحريات ميدانية.

العربي الحمدي

**تَجْدَرَاتُ**، من مستقرات اليهود المشهورة بمنطقة الأطلس الصغير الأوسط. تقع بأراضي أيت مزال إلى الشمال الغربي من قبائل إيلالن. وكانت معروفة بملاحها الكبير، وسوقها الذي ترتاده قبائل أملن، وإيلالن، وإيسندالن... تأثرت عمارتها بالوباء الواقع عام 1214 هـ / 1799 م.

البقدوري، إتحاف أهل البدو والقرى...، ص. 101.

أحمد بومزكو

**تَجْكَانُ**، زاوية تقع في أقصى الشمال الشرقي لقبيلة بني منصور إحدى قبائل غمارة الوسطى، على بعد نحو خمسة عشر كلم من شاطئ البحر المتوسط؛ وتذكر بعض الروايات الشفوية أن أول مؤسس لها هو: الشيخ علي الشلي (ت. 981 / 1573) دفين قرية بوجديان بقبيلة أهل سريف - قرب القصر الكبير، وتعرف إلى الآن - بزاوية تاسفت - وتاسفت شجرة ذات أغصان سامقة من نوع شجر البلوط الحلو.

وعندما قدم عليه في حدود منتصف القرن العاشر الهجري السادي عشر الميلادي عبد السلام بن محمد بن عبد المومن المعروف بعبد المومن الصغير، وتلمذ له وأقام في خدمته مدة، أرسله إلى زاويته بتجكان فجددها، واشتهر أمره بها، وكانت وفاته في حدود أوائل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وكان معاصراً للشيخ أحمد الفلالي (ت. 998 / 1589) دفين قبيلة بني بوزرا الغمارية.

ثم جاء بعده ولده أحمد الشهير بالحاج أحمد الغماري، ولد سنة 1200 / 1785، تعلم ببلده فحفظ القرآن بالروايات السبع، وأقرأ بجامعة أناري بقبيلة بني بوزرا - مدة، وكان يصلي الفجر بزاوية الشيخ الفلالي؛ ويقال إنه ختم بها أربعين سلكة من القرآن العظيم. وهناك تعرف على شيخ غريب فتعلم عليه، وأخذ عنه أكثر العلوم والفنون. ومن هناك اتجه إلى الشيخ العارف محمد بن خمريش (خمليش) الزرقتي، فأخذ عنه الطريق الناصرية، ثم رحل إلى المشرق ومر بمصر فأخذ عن العارف الصاوي (ت. 1241 / 1825) الطريق الخلوتية تبركا. وبعد أن أدى فريضة الحج بدأ يبحث عن شيخ التربية، فدل على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي بالمغرب (ت. 1239 / 1823)، فتلمذ له، ولم يلبث أن أذن له في التربية، فأسس زاويته على مقربة من زاوية والده، وتلمذ له كثيرون، فنالت زاويته هذه شهرة عريضة، تنوسيت

معها زاوية أبيه، وهي المعروفة - إلى الآن - بالزاوية التجكانية؛ ومن أشهر تلاميذ الشيخ أحمد بن عبد المومن: محمد الغالي أيوب دفين فاس، (ت. 1275 / 1856)؛ إدريس الزعري الفاسي، (ت. 1291 / 1874)؛ الصادق بن عجيبة، (ت. 1294 / 1877)؛ الهاشمي بوزيد المتوفى في حدود نيف وتسعين ومائتين وألف / ق 19 م؛ الشيخ عبد القادر بن عجيبة، (ت. 1313 / 1895).

ومن المظاهر التي تطبع هذا العصر بجمال غمارة وقبائل الجبل عامة إقبال الناس على القراءات السبع والعشر، وإهمالهم طلب العلم والتفقه في الدين، الأمر الذي جعل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي يكتفب تلميذه الشيخ أحمد ابن عبد المومن وينبهه إلى هذا الخطر الذي يبعد المرید عن حظيرة الإسلام، فضلا عن الحضرة الإلهية "ونصحي إياكم وغيركم أن لا تنكبوا على القرآن العظيم كما انكب عليه سائر أجيالنا نحن وغيرنا، حتى لا ينتهي أحدنا إلا إن حفظ رواية السبع والعشر، وكانت عنده نصب عينيه؛ وكثيرنا لا يحسن قراءة الفاتحة، ولا يحسن الأذان والإقامة، ولا يعرف الفرائض والسنن.. والصواب أن تقرأ ما تيسر من القرآن، وتفتقروا في الدين".

وكان للزاوية التجكانية إشعاعها الفكري والروحي، ومن أنجبتهم في هذا الميدان:

1 - الحاج الصديق بن الحاج أحمد بن عبد المومن، ولد سنة 1246 / 1830، ولم يكد يحفظ القرآن حتى توفي والده، فتلمذ للشيخ العارف الهاشمي بوزيد، تلميذ والده، كما أسلفنا، فقام بشئون الزاوية، وكان له نفوذ روحي في قبائل غمارة، (ت. 1331 / 1912).

2 - محمد بن الصديق، ولد سنة 1295 / 1878 تعلم ببلده فحفظ القرآن وهو صغير، وشرع في حفظ بعض الروايات، فقد ختمه برواية مكّي على شقيقه أحمد، ثم درس على أخيه محمد القاضي، وعلى ابن عمه زين العابدين محمد المؤذن، وقرأ بجامعة تندمان على أحمد السوري وكان في رفقة ابن عمه أحمد البركة، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته، وأخذ على كثير من مشايخها؛ وتلمذ للشيخ المري محمد ابن إبراهيم، ولازمه مدة، ثم أمره بالعودة إلى بلده، فاستوطن طنجة وأسس بها الزاوية الصديقية التي هي فرع من زاوية تجكان، (ت. 1354 / 1935).

3 - محمد الغالي رجل الفضل والصلاح، تولى رئاسة المحلة بدار ابن قريش، وشارك في كثير من المعارك ضد الإسبان، وكان مسموع الكلمة في قبائل غمارة. (ت. 1360 / 1941).

4 - مولاي الحبيب، من كبار علماء تجكان، درس بفاس ومصر، ثم عاد إلى بلده فاشتغل بالتدريس وإرشاد الناس. (ت. 1377 / 1957).

5 - محمد المودن، اشتهر بالتقوى والصلاح وكان ذا أحوال خاصة؛ ضريحه مشهور بالزاوية، عاش أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل الرابع عشر (19 م).

6 - الفقيه محمد بن محمد أقشقاش، لقب بذلك لكثرة حفظه ومهارته في علم القراءات، توفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري (19 م).

7 - الفقيه محمد بن أمّنة الملقب بالعتوق، تولى الإفتاء والقضاء ببلده، وكان له تضلّع في نوازل الفقه، خلف مجموعة فتاوى، توفي بسلا أواخر القرن الرابع عشر الهجري (20 م).

أ. ابن الصديق، التصور والتصديق؛ ع. التليدي، حياة الشيخ أحمد بن الصديق؛ عبد العزيز التجكاني، تقييد عن تجكان وزاويتها؛ روايات شفوية وبعض وثائق خاصة.

سعيد أعراب

**تجكانت، والنسبة إليها جكاني.** ماتزال مواصفات قبيلة تجكانت تؤكد ارتباطها العضوي بماضي بعيد جسدت خلاله إحدى أهم تجزؤات مسوفة (إيمسوفن) الصنهاجيين. ارتبط ماضي هذه الفصيلة الإيمسوفية بالمنطقة الواصلة بين وادي درعة شمالا وتاودني جنوبا عبر تيندوف القديمة (تندافين: تيندوفين) وتغازي. هذا المحور الذي لن تظهر تمبكتو في نهايته الجنوبية إلا ابتداء من عام 1100/494، سيعرف تسلط البرابيش على ملاحه تغازي خلال القرن الثاني (8 م) (تاريخ السودان، 42.25). على أن مهارة مسوفة التجارية ومقدرتهم الحربية ستجعل ابن حوقل النصيبي يشهد على مقدرتهم الاحتكارية لحركة القوافل بعين المكان خلال القرن الرابع (10 م) (صورة الأرض، 98). هكذا، انطلاقا من نموذج متكامل على المستويات التجارية والمجالي والحربي نتبين سبب تفوق مسوفة ودورهم في تعميق أسباب التلاحم الاقتصادي عبر محاور الصحراء الأطلسية. جسدت هذه المساهمة يومها أداة مجمل قبائل إزناكن (صنهاجة) الوحيدة في مواجهة المد التجاري الزناتي الحارجي العبادي. وهي حقيقة لن يلبث أبو عبيد البكري أن يكرسها خلال القرن الخامس (11 م) حين وصف قدراتهم التجارية والحربية في آن واحد (المغرب، 149.284). ولنا في حوادث الدعوة المرابطية أدلة على أن مسوفة سيعملون على مجابهة المد اللمتوني مساهمين بذلك في عجز عبد الله بن ياسين على دمج باقي صنهاجة (البافور - إيكدالن). الأكثر من هذا أن هجرة لمتونة (إيوليميضين) نحو الشمال قد سهلت مأمورية مسوفة في مراقبة جل المحاور الموازية لمحورها غربا فארضة المكوس والإتاوات ومحددة قوانين المرور حتى مشارف أزوغي بأردار التمر. ندرك من هنا أن الهيمنة المجالية والتجارية ستؤثر بشكل ملحوظ في انتشار فصائل مسوفة عبر مختلف المراكز الاستراتيجية الفاعلة. وهذا شيء طبيعي، مادام ظهور مدينة تينينكي على مقربة من شنقيط بأردار ستجسد منذ القرن السادس (12 م) ثاني قاعدة جكانية بعد تيندوف.

لئن كانت جل المصادر المحلية لا تعود إلا إلى القرن العاشر (16 م)، فإن النتائج التي أدت إليها هيمنة مسوفة

على جل المحاور الغربية وفرت نموذجا للقبيلة التي شمل اسمها باقي فصائل صنهاجة. لقد أصبحت فصائل إزناكن كلها تقتصر في تحديد هويتها على صيغة المسوفي كقاسم مشترك. علينا أن نتذكر هنا أن المنظومة الخلدونية مبنية على تلخيص المصادر حين تؤكد يومئذ على ما شاهده ابن بطوطة بعين المكان (تحفة، IV: 338، Hist. des Berb., 67: II). ما يميز الفترة الفاصلة بين القرنين السادس والثامن (12.14 م) إذن هو تشخيص سيادة إيمسوفن ومن ضمنهم تجكانت على تجارة الصحراء ومدنها مجسدين بذلك استقلالهم عن مملكة مالي. على أن هجرة لمتونة ودور التسرب المعقلي إلى مسالك المنطقة بالإضافة إلى تشتت فصائل إيمسوفن قد ساهمت في تفصل هذه الفصائل كل واحدة حسب موقعها الجديد. من يطبق قوانين التقسيم هذه يدرك أن مسوفة ومشظوف ما هي إلا تحريفات لكلمة مسوفة كما أوضح ذلك تاريخ السودان نقلا عن الحلل الموشية (تاريخ السودان، 25: الحلل، 1979، 17). ومن يأخذ بعين الاعتبار تداخل المصالح التجارية والمجالية يدرك أن مصالح مسوفة اقتضت اندماجهم النسبي بمملكة سنغاي. لقد اضطرت السياسة الاقتصادية الحمائية لهذه المملكة فصائل إيمسوفن على محور تمبكتو - تيندوف إلى تطوير أساليب التعامل (Jlal Ad-Did, E. M. Sartain, 195). فقد حصل فعلا في مجال دراسة تجكانت بتينينكي أن جرت حركية المسالك الشرقية أسباب الاضمحلال التجاري مسببة بداية مرحلة الانحطاط (انظر مادة تاودني بالعلمة).

ما مدى تحالف تجكانت وسنغاي خلال القرنين التاسع والعاشر (15.16 م)؟ تعد الرسالة التي بعث بها محمد بن محمد بن علي اللمتوني إلى جلال الدين السيوطي خلال شهر شوال عام 898/ غشت 1493 من أهم الوثائق التي تساعد على تحديد العناصر البنوية لمجتمع ما قبل الهيمنة الحسانية خلال القرن الحادي عشر (17 م). فإذا كان تحقيق (J. Hunwick, Notes, 19) لهذه الوثيقة لم يرق إلى المستوى المطلوب شأنه في ذلك شأن دراسة (H. T. Norris, The Touaregs, 42 - 47)، فإن تحليل عبد الودود ولد الشيخ قد حدد من خلالها المعطيات الأساسية التي تكشف النقاب عن طبيعة المجتمع الصحراوي (39 - 23, Eléments). لقد كان المسوفيون محتكري تينينكي عاصمة تجكانت ووادان (إن والآن) وتشيت وولاتة يجعلون من النظام الأميسي نظام قرابتهم الوحيد ومن حملة الكتاب الزوايا فئة اجتماعية تلتزم المرابطة وتصحيح المعتقدات. تكمن الدلالة البليغة لوجود هذه الفئة المرابطية في شمولية القيم المجتمعية القديمة التي تجسد التطابق التام بين مسوفة (إيمسوفن) ومجمل توارك الصحراء الأطلسية والوسطى. لم تكن الصحراء الأطلسية قد تعربت بعد ولا ممارسة الطرب والغناء قد أصبحت حكرا على إيگوان. فما يميز مراسل السيوطي كحامل كتاب من الزوايا هي رغبته في

تهذيب الطبايع والقيم المتوارثة راسماً بذلك العناصر التي لم تكن تميز تجكانت عن غيرهم من مسوفة أو باقي الغور الصنهاجي الأقدم. فلا يمكن إذن أن نتطرق بأي حال من الأحوال إلى مسألة الفصل في نطاق التاريخ الوقائعي بين الشماليين من سنغاي وتجكانت محتكري محور تجكانت التجارية ومصالح سنغاي. فلا نتصور بسهولة أن صيغة وحدة المصالح وتقابلها قد تقتضي مواجهة تجكانت لتطور تجارة المحاور الشرقية التي تمر بجزء كبير من ترابهم وتفتحهم كثيراً من الصلاحيات.

تدهورت حركية المسالك الساحلية للصحراء الأطلسية لتتسبب في احتداد الصراع بين فصائل تجكانت المقيمة بتينينكي. ولا شك أن مختلف باقي تجزؤات الغور المسوفي والصنهاجي قد عانت من مضاعفات هذا التدهور التجاري ومن ضغوط المد الأعرابي الحساني آخذة في الهجرة ابتداءً من منتصف القرن العاشر (16 م) انطلاقاً من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي. نلاحظ هنا أن التنافس حول مراقبة مراعي الهدة الخصبة قد أفرغت منطقة الركن حيث لم يبق بها سوى إيجمان وفصائل تكدادوست المقيمة بنودش اشتعلت أسباب الحرب المدمرة بين تجكانت تينينكي لتسرع بهدم المدينة وانقسام الفصائل المحلية إلى مهاجرين شمالاً وآخرين جنوباً. وإذا كان إيجمان هم المؤسسين الحقيقيين لمدرش تغبة فإن وصول فصائل تجكانت المهاجرة ستسبب في صراع انتهى بهجرة إيجمان وتكدادوست عن الركن.

كان الأغلل أول من دشّن خلال منتصف هذا القرن عملية الهجرة من شنيقيتي بأدرار في اتجاه تشيت واصلين بعد ذلك إلى ولاتة ومنها إلى الهدة الشرقية في نهاية القرن. هذه المعطيات التي تفقد عندها الرسالة الغلاوية وكتاب الطرائف والتلائد لا تفيدنا في شأن هجرة الفصائل المتجهة شمالاً. فقد وصلت فصائل تجكانت إلى أرض طاطا حيث تقع قصبه انكارف مقر إقامة الحسن ابن الطالب عامل أحمد المنصور الذهبي. لم نجد هذه الفصائل أية صعوبة في الوصول إلى عين المكان مروراً بتينندوف حيث مضارب فصائل تجكانت القديمة. ولم يلبث التساكن مع إذا أويلول أن جسد أحد العوامل الأساسية في تفتين جبهة الحد من هيمنة أولاد دليم (R. Caillé, *Journal*, 213).

إذا نظرنا إلى تطور فصائل تجكانت الشماليين على امتداد المحور تمبكتو- تينندوف وجدناها تنقسم خلال القرن العاشر (16 م) إلى أربعة فروع محورية هي أولاد إبراهيم ورماحتين والموساني وأولاد سيدي علي. نجد في مواصفات كل فصيلة ملاحظات كثيرة تتعلق بازواجية حمل الكتاب وامتهان التجارة. فعلاوة عن كون جل تجكانت محاربيين، نجدهم يتوخون العلم والتجارة. ولنا في حوادث القرن الحادي عشر (17 م) أدلة على تصور زعمانهم لبنية قبلية تجمع بين المقدرة الحربية والتجارية والعلمية. فقد اتضح منذ حملة السعديين إلى تمبكتو أن تجرية تجكانت تهدف

بالضرورة إلى المحافظة على احتكار محورها التجاري وعلى توازن فصائلها على اختلاف تخصصاتهم الاجتماعية والمهنية. الحملة السعدية لا تعد الوحيدة التي وجدت العون والمؤازرة من تجكانت حيث تكشف المصادر والوثائق الخاصة عن دورهم في مساندة المولى إسماعيل وولائه على الصحراء. فتحسباً لكل التحالفات يومها بين إذا أويلول واتحادية أولاد دليم القوية ركزت كل مراسلات المولى إسماعيل إلى ولاته على ضرورة التعاون مع تجكانت. ولن نمر بسرعة على هذا الجانب دون أن نركز على دور تجكانت الأساسي في تطوير المبادلات عبر محورهم التقليدي. فبالإضافة إلى استنثارهم باهتمام المخزن نجدهم يجسدون أكبر منافس حقيقي لتجارة تكنة بأسواق سوس ومراكش. نجد بأن تسرب تجكانت إلى أسواق إليغ ومراكش وسجلماسة دفع بتجار تكنة إلى الارتباط بالمرافئ الساحلية بأغادير وماسة وأيت باعمران. وقد أظهرت تجكانت من الحنكة السياسية والتجارية ما جعل منها قوة متصرفة في موانئ الضفة الشمالية وقوة حربية قادرة على الحد من تحركات البرابيش وأولاد دليم والبرابر وغيرهم (م. ناعمي، *جوامع المهمات*). غير أنه تحسباً من تكنة الذين يمثلون عصبية متغلبة على سواها بوادي نون وباني والساقية الحمراء، لمخاطر المنافسة، أغلقوا أسواقهم عن قوافل تجكانت. وهو ما أدى بالمنافسة إلى تحسين حركية المحورين التكني والجكاني فكان من أبرز مضاعفات هذا التحسن النسبي إلى حدود النصف الثاني عشر (18 م) أن تصاعدت وتيرة المبادلات الحرة مع المرافئ. هذا ما أدى بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إغلاق مينائي أغادير وماسة سنة 1765 معلناً عن انفتاح ميناء الصويرة. وجه هذا الميناء الجديد ضربة قاضية لتجارة وادي نون والساقية الحمراء نظراً لبعدهما عنه. وبالمقابل أصبح على القوافل المتوجهة إلى الميناء الجديد أن تمر بمراكش القريبة مما اضطرها إلى هجر المحاور الساحلية وتفضيل محور تجكانت عبر تينندوف. استطاعت بذلك تجكانت أن تنمو بشكل مطرد بين وقت ظهور ميناء الصويرة والقرن الثالث عشر (19 م) لتتصطم خلال النصف الأخير منه بتطورات الأحداث بالصحراء الأطلسية.

تأتي أهمية هذه المكونات من كونها تبرز الأدوار الأساسية البارزة التي لعبها تجار تجكانت ومتمتهنو مرافقة القوافل منهم. ولا يخفى أن هذا الجانب على أهميته لا يكفي وحده لرصد الحياة الاقتصادية والاجتماعية لباقي الشرائح الجكانية بهذه المنطقة البعيدة عن العمران القروي وعن مرافئ التجارة الساحلية. من هنا يكون لزاماً علينا التركيز على أهمية الترحال وتربية الإبل في تنمية حجم القطيع الجكاني كمقياس حقيقي لمدى غنى جل الفصائل المنتجة يومها من تينندوف إلى تاودني.

صادف القرن الثاني عشر (18 م) ظهور وتطور الركيبات تحت حماية لفي اتحادية تكنة. لم تكن فصائل

الرقيق.

علم الرغيبات بإعادة بناء تيندوف سنة 1840 / 1256 فأرسلوا وفداً للتهنئة. ويضيف محمد سالم بن لحبيب ابن الحسين بن عبد الحي بأت تجكانت قد بنوها بناء جيداً (جوامع المهمات، 86). هنا نسجل بأن مساهمة المسجد الجامع الذي اختطه بلعمش تعد بالغة الأهمية من الناحية الدينية والسياسية، فعلاوة على تخرج مجموعة لا يستهان بها من الفقهاء والعلماء خصهم الأمين الشنقيطي ومحمد المختار السوسي بمؤلفين خاصين (الوسيط، 277، 284؛ المعسول، XVIII: 158). نجد أعلاماً مشهورين بالمشرق كمحمد محمود بن التلاميذ التوركي (الوسيط، 380، 396) يدرسون شأنهم في ذلك شأن محمد المختار بلعمش وابنه محمد وتلميذه الشيخ ماء العينين. وإذا كان محمد المختار بلعمش قد توفي مبكراً (حوالي سنة 1285 / 1868) حسب ما أورده السوسي (المعسول، XVIII: 160) فقد تجلت مساهمته العلمية في حجم ما خلفه من آثار ومؤلفات السوسي (سوس العالمية، 199؛ الأمين الشنقيطي، الوسيط، 321). أما مساهمته التاريخية السياسية فقد تجلت في قدرته على سن قوانين المعاملات القبلية بعين المكان، لقد واجه مجمل القبائل المتصارعة صنهاجية كانت أو حسانية بفتاوى تقول بقتل قطاع الطريق منهم. بل ونلاحظ أن صرامته قد أسهمت إلى حد بعيد في تطبيع العلاقات يومها بين تجكانت والرغيبات إلى أن وقعت معركة غزي تيكي ومعركة منهل وادي واين تاركت. يومها حرض الشيخ محمد المختار بلعمش الجكاني قبيلته قائلاً: "قتلنا في الجنة وقتلهم في النار وجهادهم واجب". ويضيف مخطوط جوامع المهمات بأنه أفتى كتابة بجواز قتال الرغيبات مما دعا محمد بن يوسف بن عبد الحي عم صاحب المخطوط إلى الاعتراض عليه بتأليف آخر. قام العالمان بإرسال المؤلفين للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن قصد الحسم في الخلاف، فاستفتى بدوره علماء مراکش وفاس. وإذا كان العلماء قد رجحوا مقولة قاضي الرغيبات بن عبد الحي سنة 1295 / 1878 فهو ما يعني أن وفاة محمد المختار بلعمش قد تكون لاحقة للتاريخ الذي أورده سابقاً (جوامع المهمات، 89). لقد رفض عالم تجكانت حكم العلماء فأغار تجكانت على رغيبات الساحل وآل عبد الحي بالموقع المعروف برك المحون بالمنطقة الساحلية. فما كان من آل عبد الحي إلا أن رفعوا شكوى إلى السلطان بعد أن رفض تجكانت إعادة ما انتزعه منهم. كلف السلطان سبعين عالماً بمهمة الحسم وحضر الفقيه الحاج البشير ممثلاً للرغيبات وآل عبد الحي بينما مثل محمد المختار بلعمش قبيلته، وما أفتى به في هذا الشأن: "فغلب أهل عبد الحي تجكانت وأمره طويل لكن اقتضرت على ما كتب منه" (جوامع المهمات، 89). دخل الطرفان بعد ذلك في سلسلة أخرى من الحروب والمساجلات الشرعية انتهت سنة 1303 / 1886 بانتصار الرغيبات واستسلام

الرغيبات الساحلية تقترب من حمادة تندوف باستثناء أولاد موسى في بعض الأحيان. أما الفصائل الشرقية فقد تعودت على الانتجاع بجوار فصائل تجكانت، بحكم تربيتها للإبل خلافاً للفصائل الساحلية. واعتباراً لكون الرغيبات كانوا مسالمين لا يحملون السلاح مكتفين بحماية تكنة لهم، فإن تجكانت كانوا يغزون إبلهم بصفة منتظمة. هذا ما أكدته بعض المخطوطات الرغيبية التي اطلع عليها J. Larribaud. لم يكن من شأن مقدرة الرغيبات الاستيعابية على احتواء أكبر قدر من الدخلاء أن يقلل من حجم قطيعها من الإبل. وبالرغم من النمو الديمغرافي المتزايد الذي كانت تعرفه فصائل الرغيبات الساحلية والشرقية، فإنها ظلت تعتبر نفسها في موقف دفاعي ضد تحركات تجكانت إلى أن ظهر مع بداية القرن الثالث عشر / نهاية (18 م) السلاح الناري الوروار. ففي سنة 1211 / 1796. انفجرت أول معركة بالعريضة، الموقع المعروف بالساقية الحمراء، لتمتد إلى فم تازر حيث انقسمت حامية تجكانت إلى قسمين. انسحب الأول شمالاً نحو أيت أوفلمان واتجه الثاني إلى إيكيدي جنوباً حيث تجنّب شر الرغيبات (جوامع المهمات، 84). أدت ثاني معركة بين الطرفين بعد ربع قرن من هذا التاريخ إلى مقتل عدد كبير من تجكانت وسلب كثير من ممتلكاتها. تأكدت يومها خطورة الرغيبات كقوة متنامية اتفق تجكانت وإذا أوبلال وامرابط واعويب على محاربتها. توجهوا إلى الاحمدييات حيث أكدت إحدى كبريات المعارك على تفوق الرغيبات الذين أصبحوا يتفوقون يومها على أسلحة نارية بلجيكية وفرنسية وأنجليزية.

تسببت هذه التعقيدات السياسية في تدهور العناصر القادرة على توفير أمن وسلامة المحور تاودني - تيندوف. وقد اضطر الشيخ محمد المختار بلعمش عالم تجكانت الأكبر وتلميذ محمد بن المختار الكنتي إلى إعادة بناء تيندوف حوالي سنة 1840 / 1256 خلافاً لما تورده بعد المصادر (المعسول، XVIII: 159) التي تركز على سنة 1270 / 1853 (جوامع المهمات، 87) كان هدفه هو الحد من اختلال الأمن والعمل على مواجهة مختلف قضايا التبادل التجاري ونظام التحالفات. وفعلاً، فإن تيندوف لم تلبث أن أصبحت عاصمة دينية وبرصة التسعير الأولى بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية كما شهد على ذلك Camille Douls. فعلى المستوى التجاري والسلعي تكشف صلاحية المحتسب والقاضي عن قدرة تيندوف على التخزين كأول مستودع جهوي. أصبحت القاعدة هي أن يقف تجار الشمال والجنوب بأنفسهم على عمليات التقليب والتسعير. وتعتبر شهادة C. Douls الذي زار تيندوف سنة 1887 بالغة الأهمية لإبراز دور الموقع التجاري الاستراتيجي. فهو يميز الموقع كملتقى للطرق عن عين صالح بمنطقة توات مسجلاً بأن ستة محاور تصل إليه من كلميم وأقا وتافيلالت وتوات والجنوب الجزائري والساقية الحمراء. كما أن من الإشارات الهامة التي سجلها نلاحظ تعريف تيندوف كعاصمة أولى لتجارة

voyage, Paris, 1965 ; C. Douls, *Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud marocain, Soc. Normande de Géographie*, Janvier - Février 1888 ; S. Caratini, *Les Rgaybat* ; J. Hunwick, *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Tadrur*. in Allemand Jonhson (ed), *African perspectives*. Cambridge, 1970 ; H. T. Norris, *Saharian Myth and Saga : The Touaregs*. Warminster, 1975 ; J. Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Alger, Sept. 1952 ; V. Paques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du nord-ouest africain*, Paris, 1964.

مصطفى ناعمي

### التجكاني، محمد بن عبد الصمد الحسني

التطواني. تنتسب أسرته إلى إدريس بن إدريس، هاجر أحد أجداده في القرن التاسع (15 م) من دار مقامهم في بني إزناسن إلى تجكان ببلاد غمارة. وبها ولد المترجم عام 1317 / 1899 وحفظ القرآن على الاستاذين أحمد بن عبد الله ابن زهرة، ومحمد بن الشاهد التجكاني.

ولما بلغ عشرين سنة انتقل إلى تطوان لإتمام دراسته (ذو القعدة 1337 / غشت 1919) فأخذ عن شيوخها أمثال الأمين بوخيزة، وعبد الرحمن أقشار، ومحمد الفراطخ وأحمد الحداد. وفي فاتح ربيع الأول عام 1340 / 2 نونبر 1921 انتقل إلى فاس فأخذ عن أعلامها، أمثال الحسين العراقي، وإدريس المراكشي، وعبد الله الفضيلي وغيرهم. ولما اكتمل تكوينه توجه إلى بني إزناسن فمكث بها مدة وبطنجة قبل أن يعود إلى تطوان ليشغل بالتدريس في الجامع الكبير، وقد عين مدرساً بهذا الجامع بعد إصلاح نظام التعليم الأصيل بالشمال، كما كان خطيباً بزاوية علي بن ريسون ثم بجامع العيون.

توفي بتطوان يوم السبت سادس رمضان عام 1411 / 23 مارس 1990 ودفن بباب المقابر.

م. ابن الحاج، إسعاف، 253. 254.

### التجكاني، المهدي بن محمد بن الشاهد المومني

التطواني. ولد بمدينة طنجة عام 1337 / 1919 وبها نشأ وحفظ القرآن في الزاوية الصديقية، وانتقل إلى تطوان ليتابع دراسته بالجامع الكبير على الشيخين العربي الخطيب والتهامي الوزاني الذي أجازته، وبالمعهد الخليفي. شارك في الحركة الوطنية منذ نعومة أظفاره. وفي أواخر عهد الحماية عين مدرساً في مدرسة أزغنغان بالريف، لكنه ما لبث أن استقال للمضايقات التي لقيها من رجال السلطة الاستعمارية الإسبانية بسبب نشاطه الوطني، ثم عين معلماً بطنجة، ومنها انتقل إلى مدرسة حجر النحل في ضاحيتها. وقد ألف بطلب من المرحوم محمد حسن الوزان كتاباً حول المقارمة الريفية للاحتلال الإسباني، وهو ما يزال مخطوطاً.

وبعد الاستقلال اختطفه خصومه السياسيون من هذه المدرسة القروية وهو يتهاياً في بداية العطلة الصيفية للرجوع إلى طنجة زوال يوم 28 يونيو 1956 وذهبوا به إلى جنان بريشة أحد المعتقلات الحزبية الرهيبة بضاحية تطوان فذاق من ألوان التنكيل والعذاب ما سجله في كتابه دار بريشة

تجكانت المرحلي. خلال هذه السنة عين المولى الحسن الشيخ أحمد بن محمد المختار بلعشم قاضياً على تجكانت بظهرير 8. 24 / 1303. 5. 28 / 1886 (مجلة صحراء المغرب، XX : 8). انطلقت السلسلة الأخيرة من المعارك بين الطرفين سنة 1314 / 1895 لتنتهي بغزو 1200 رگيبي لتيندوف حيث مكثوا سبعة أيام خربوا خلالها جل القصر ولم يبقوا منه إلا على ديار أهل العبد وأهل المرباط (جوامع المهمات، 94. 95).

نلاحظ أن هذه المعطيات تكشف ضمناً عن مدى وعي محمد المختار بلعشم بعمق المشكل الرگيبي القائم. نجد في تحليله قدراً من الواقعية والعقلانية يستهدف تجديد مختلف فصائل تجكانت والسلطان والعلماء وياقي القبائل المجاورة إلى حقيقة الخطر المحدق بالوجود الجكاني، وهو ما يؤكد أن تأطيره لذويه وحشهم على مواجهة الأخطار الخارجية لم يأت من باب العصبية القبلية ولا النزعات القومية الساذجة. لقد تعاقبت فعلاً على تراب تجكانت منذ هدم تيندوف أحداث متتالية صبت كلها في نفس الاتجاه السليبي. فلا الظهائر العزيزية ولا قرارات المقيم العام الفرنسي في 11. 1. 1935 بمغربية تيندوف، أعادت لفصائل تجكانت سابق تماسكها. بل إن الوقوف المطول عند مضاعفات التطورات السياسية على هذه الفصائل يعود بها إلى دور العوامل الخارجية الاقتصادية والسياسية الفرنسية والإسبانية كمؤثر لدور الصراعات المحلية. إن عملية الجنرال ترانكي Trinquet القاضية سنة 1353 / 1935 بضم تيندوف إلى التراب الجزائري لا تفي وحدها بالفرض التحليلي المطلوب إلا إذا توغلنا في تفاصيل التناقضات القبلية في ارتباطها بمضاعفات استراتيجية المد الفرنسي الإسباني. برر القائد السنهوري تعامله مع الإدارة الفرنسية كمثل لتجكانت بضرورة العمل على إعادة التماسك الجكاني إلى ما كان عليه، وهي مقولة تركز على دور العوامل الخارجية كعقبة أساسية في وجه التماسك والتساكن. وإذا كان السنهوري قد أعلن مغربته سنة 1962 حاملاً بيعة أهل تيندوف، فإن دعائم البنيان الجكاني كانت يومها قد عرفت كثيراً من التعلل لم تترك لها إلا تشبهاً راسخاً بجدائى وقيم الانتماء إلى مجتمع الصحراء الأطلسية.

جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوى، القاهرة، د. ت، جزآن ؛

م. المختار السوسي، المعسول، الجزء الثامن عشر ؛ سوس العالة ؛

جوامع المهمات في أمور الرقيبات ؛ الأمين الشنقيطي، الوسيط في

تراجم أدباء شنقيط ؛ المختار ولد حامدون، حياة موريتانيا،

جغرافيا ؛ سيدنا بابا بن محمد بن سيدي، تاريخ إصارتى

إذا وعيش ومشطوف، مخطوط ؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في

غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث 1968 ؛ الشيخ

سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، الرسالة الغلاوية ؛

الطرائف والتلات في مناقب الشيخين والوالدة والوالد، مخطوط ؛

عبد الله بن الحاج إبراهيم، يسر الناظرين في روضة النسرين،

مخطوط.

A.W. Cheikh, *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Centre Culturel Français, Nouakchott, 1988 ; R. Caillé, *Journal d'un*

أو قصة مختطف الذي نشر بالدار البيضاء سنة 1408 / 1987.

وقد خرج - بأعجوبة - من هذا المعتقل الجهني مصاباً بعاهات جسمية لم تفارقه حتى أسلم الروح إلى بارئها في تطوان يوم 5 جمادى الأولى عام 1403 / 19 يناير 1983. المهدي التجكاني نفسه، حركة المقاومة بالريف، مخطوط : أ. معنينو، تقديم دار بريرة، 14 - 19.

محمد حجي

**التجمع الوطني للأحرار (حزب.)**، أسس هذا الحزب سنة 1977 بتكوين فريق الأحرار بمجلس النواب يضم 140 عضواً. وعقد المؤتمر التأسيسي الأول سنة 1978 بالدار البيضاء والمؤتمر الوطني الثاني سنة 1983 بالدار البيضاء أيضاً والمجلس الوطني الثالث سنة 1986 بالرباط واللجنة المركزية للحزب سنة 1983.

يتركب المكتب التنفيذي للحزب من 18 عضواً إلى 24 عضواً، وتضم اللجنة المركزية من 60 عضواً إلى 115 عضواً بينما يتألف المجلس الوطني من 460 عضواً. المؤتمر الوطني للحزب.

- الاتحاديات على صعيد الأقاليم (الشعب والفروع). المقاعد التي حصل عليها التجمع في الانتخابات التشريعية : في الفترة التشريعية 1977-1982 حصل حزب التجمع الوطني للأحرار على مائة وأربعين مقعداً، وفي سنة 1981 أصبح للتجمع الوطني للأحرار ثلاثة وثمانون مقعداً بعد تكوين الفريق الديمقراطي. وفي الفترة التشريعية 1984-1992 حصل الحزب على واحد وستين مقعداً، وفي الفترة التشريعية الأخيرة 1993-1999 حصل التجمع الوطني للأحرار على ثلاثة وثلاثين مقعداً.

العياشي الزيتوني

**التجميل التقليدي**، نوعان : حديد. يتم بالعقاقير الكيماوية والمستحضرات الطبية والأدهان الصيدلية، وتقليدي بالبخور والطور والأعشاب والنباتات المدقوقة والمحروقة والمقطرة. ويختلف هذا الأخير عن الأول في أنواعه وأدواته وطرق استعماله التي كانت أهلية محلية تنتقل بالتوارث من جيل إلى جيل عبر مئات السنين.

وقد شاع بين الناس خطأ أن التجميل كان يقتصر على النساء دون الرجال مع أن لكل منهما نوعه الخاص به. إلا أن اعتناء النساء بالتجميل كان أكثر وأظهر للعيان لأنه كان وسيلة المرأة الأساسية للحفاظ على أنوثتها وإثارة وإعجاب زوجها وتأجيج تعلقه بها. إنه كان إحدى المرتكزات التي تستند عليها للتعامل مع مجتمع الذكور الذي تلعب فيه الأنوثة وجمال المرأة دوراً كبيراً.

لذلك كانت المرأة تعتني باعتناء كبيراً بشعرها الذي تتركه طويلاً لأنها تعتبره تاجاً على رأسها فكانت تحافظ على صيانتها وتنظيفه كلما دعت الضرورة إما بالفاصول (وهو طفل صابوني) أو بالصابون البلدي وتخضبه بالحناء

أو الزعفران أو الحديدية الزرقاء أو الحرقوص. وبعد الاعتناء بتنظيفه وتسريحه وتسفيفه كانت تلفه مجتمعاً على رأسها وتغويه بمناديل وسبنيات بديعة ولا تشكف عنه إلا في مناسبات قليلة حتى ولو كانت بين أهلها ومحارمها.

وكانت المرأة تذكى سواد عيونها ورموشها بالكحل، وتشخص فمها ولثة أسنانها بالسواك وتؤجج حمرة شفاهها وخدودها بأحمر شفاه تقليدي يدعى العكار يحتفظ به عادة في وعاء من خزف صغير بحجم كف اليد يباع عند العطارين. أما عنقها وبداها وبشرة وجهها فكانت تدهنها بماء الورد أو القطرة الصافية من زيت الزيتون أو بغيرهما من الأدهان والزيوت المستنبطة من القرنفل والزهر والريحان. كما كانت تعطر ملابسها وذاتها بالطيب الطبيعي الأصيل الذي كانت رائحته تثير الحياشم وتلفت حاسة الشم والنظر. وفي العديد من المناسبات الدينية والاجتماعية كانت تخضب يديها ورجليها بالحناء مستعينة في ذلك بحنائيات متخصصة في الرسم بالحناء. وأهم المناسبات التي كانت النساء تضعن فيها الحناء في أيديهن وأرجلهن هي يوم السابع والعشرين من رمضان وأيام الأعياد الدينية وخاصة عيد الفطر والمولد وكذا بمناسبة الأعراس والخطوبة والعقيقة والختان.

وكان الكثيرات من نساء البوادي والمرتفعات الجبلية والقليلات من الحضريات يلجأن إلى تنصيع خدودهن وإبراز ملامح جمال وجوههن باستعمال خليط من المواد النباتية والمعدنية المسحوقة والمزوجة بكيفية محددة ودقيقة يدعى الحرقوص. كان بعضهن تشم ذاتها وتصل شعرها وتقص بعض جوانبه الأمامية والجانبية وتستعمل غير ذلك من أساليب الاثارة والتجميل وإخفاء كل قبيح ياد في وجهها للناس مما لا يمكن ذكره ولا تداوله إلا في عالم النساء الذي لا تنفتح أسرارها للذكور. وقد لاحظ العديد من الرحالين في مغرب القرون السالفة انتشار الوشم بشكل كبير في البلاد بين النساء البدويات. وكان الوشم وسط الجبهة وملتقى الحاجبين وبين الأنف والفم وبين هذا الأخير والذقن أمراً عادياً عند سائر النساء. وكانت بعضهن تشم أعناقهن وظاهر أيديهن وأسافل سيقانهم وأفخاذهم ومطلع خصورهن ووسط بطونهن وفوق نهديهن وبينهما على يد واشمات متخصصة ولا يندثر الوشم أبداً إلا بموتها.

وكانت النساء في الحواضر والبوادي على السواء يكملن زينتهن بلبس الخواتم والدمالج وتقلد الأساور والأقراط والخلخال وغيرها. إلا أن استعمال الحلبي والمجوهرات لاستكمال الزينة والتجميل لم يكن سائد الانتشار إلا في المدن. وحتى إذا لجأت نساء البوادي إلى ذلك فإن حظهن منها لا يتعدى بعض الحلبي البسيطة من الفضة. أما الحلبي الذهبية المتنوعة الأشكال فكانت لا تتجاوز أسوار المدن باستثناء نساء الأعيان والأثرياء والعمال والقواد في البوادي.

أما التجميل عند الرجال فكان يختلف عنه عند النساء

وتعددت فيه أحواض الموانئ وتعمقت ويات الاتصال فيه بين الناس يتم بسرعة، ولا يمكن أن تتغير أدوات التواصل والتبادل السريع دون أن تتغير من جرائها الذهنية وما يخطر بالآليات من الخواطر، ولذلك فإن التجهيز من أخطر الأمور شأناً في بلد يسير كالمغرب في طريق النمو بخطى حثيثة ويتزايد عدد سكانه بوتيرة ترغمه على تلبية حاجيات الشعب من المياه ومن الكهرباء ومن السكن بل ومن كل التجهيزات الاجتماعية الضرورية مثل المدارس والكلليات والمستشفيات والمحاكم والسجون والملاعب وقاعات الترفيه والرياضة، مما كانت تقوم به كل وزارة في ميدانها إلى أن تقرر جمع كل ذلك سنة 1977 في قبضة وزارة الأشغال العمومية التي أطلقت عليها اسم وزارة التجهيز وهي مازالت تتحمل هذه المسؤولية الكبرى وإن كانت قد عادت منذ سنة 1987 إلى اسمها السابق فهي اليوم وزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر.

هذه الوزارة من أهم الوزارات من حيث الأعمال المنوطة بها ومن حيث الأموال الطائلة التي عليها أن تتصرف فيها وأيضاً من حيث النخبة الطالعية من المهندسين والموظفين الذين يسيرن دواليبها. وإن نظرة ولو عابرة على تركيب هذه الوزارة لمن شأنها أن توحى بتشعب مهامها وبما تكتسبه من حيوية في نمو البلاد. فيالي جانب الوزير وديوانه والكاتب العام هناك المجلس العام للتجهيز الذي هو هيئة تنظيمية واستشارية، ثم يأتي بعد ذلك أربع مديريات كبرى للتسيير العام وهي : (1) مديرية الشؤون الإدارية (2) مديرية الموظفين والتكوين (3) مديرية الشؤون التقنية (4) مديرية التخطيط والدراسات، ثم هناك بعدها ست مديريات تقنية وهي :

(1) مديرية التجهيزات العمومية (2) مديرية مينائي الدار البيضاء والمحمدية (3) مديرية الموانئ الأخرى (4) مديرية السدود (5) مديرية الطرق والرواج السيارى (6) مديرية الأرصاد الجوية.

أما خارج الوزارة فهناك سبع مؤسسات كبرى تعمل تحت إشرافها ولكن مع الاستقلال المالي وهي : (1) المكتب الوطني للماء الصالح للشرب (2) مكتب استغلال الموانئ (3) مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل (4) شركة تجريف أحواض الموانئ (5) الشركة الوطنية للطرق السيارة في المغرب (6) المختبر العمومي للتجارب والدراسات (7) المدرسة الحسنية للأشغال العمومية.

وحيث إن تفاصيل المسؤوليات المنوطة بهذه المكاتب والشركات مدرج في مكانه من هذه المعلمة فإننا نكتفي فيما يلي بالإيجاز بأهم مراحل التجهيز في تاريخ المغرب المعاصر وذلك من خلال ثلاثة أبواب : باب المواصلات مع إغفال التواصل السلبي واللاسلكي وينظر إليه في مادة البريد والتلغراف والتليفون، ثم باب النهوض بالخيريات المائية وبناء السدود مع الإشارة إلى الأرصاد الجوية، ونختم هذا العرض بالإشارة إلى ما يبذل من مجهودات في باقي

لأنه كان يندرج بالنسبة إليهم ضمن طهارة الثوب والبدن مما كانت السنة تدعو إليه. لذلك كان الرجال يقلمون أظافرهم ويقصون شواربهم ويحلقون شعور لحاهم ورؤوسهم ويصبغونها إذا شابت ويكتحلون ويستاكون ويتطيبون أيام الجمعة وليلة السابع والعشرين من رمضان وفي الأعياد الدينية الكبرى. لكن انشغال الرجال بأمر المعاش وارتباط حياتهم بالفلاحة والحرف وغيرها صرفهم بالتدريج عن ذلك إلا في مناسبات قليلة فبدا التجميل وكأنه خاص بالنساء دون الرجال. ومع تطور الزمن أصبح الرجل من عامة الناس لا يهتم بتقليم أظافره وقص شاربه وشعر لحيته ورأسه إلا قليلاً ولا ينظف ذاته وملابسه إلا نادراً مما أدى بالكثير من الرجال إلى كشط اللحية واعفاء شريط صغير منها ملامس للفكين فقط وحلق شعر الرأس كاملاً على الرغم من أن إسدال شعر الرأس واللحية كان عند المسلمين الأوائل "زينة وكان تركه سنة وحلقه بدعة". لذا أصبح الخلف يحلق شعر الرأس ويعوضه بالعمامة باستثناء سكان المناطق الصحراوية الذين حافظوا على شعورهم الطويلة. وقد استنكف كثير من الرجال أيضاً عن معالجة شعر رؤوسهم ولحاهم بالصباغة بالحناء والزعفران وغيرها. واعتبر بعضهم الشيب وقاراً وامتنعوا عن معالجته عكس ما جرى به العمل عند النساء حيث كان من المناظر المألوفة في المغرب أن ترى شعر المرأة أسود أو أصفر مزعفراناً وشعر زوجها إلى جانبها أبيض اللون. أما استعمال الطيب في صفوف الرجال فكان قليلاً بالمقارنة مع استعماله عند النساء. لكن معظم الرجال إن لم يكونوا كلهم يفرطون في حليهم وقلائدهم الخاصة بهم من كميات وخناجر وحقائب جلدية (شكاير) وجرايات دلائل خيرات وغيرها.

ع. ابن إبراهيم، الاعلام، الجزء السابع، الرباط، 1974 : ع. بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، الجزء الأول، الرباط 1961 : م. الصبيحي، في بعض العادات المغربية، فاس 1925 : م. القاضي، اللباس والزينة من السنة المطهرة، القاهرة 1989 : م. المختار السوسي، المعسول، الجزء الثالث، الدار البيضاء 1960 : م. داود، تاريخ تطوان، الجزء السادس، تطوان 1978.

L. Bouvat, *La parure, les vêtements et le voile*, R.M.M., vol.4, 1908 ; Assy, *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyada du Maroc*, D.E.S, Sorbonne 1980 ; A. Pignol [et al.], *Costumes et parures dans le monde arabe*, s. l, 1987 ; H. A. Franceshi, *Costumes et bijoux au Maroc*, L'œil, n° 294 - 295, Janvier - Février 1980 ; K. Herber, *Les tatouages de la face chez la marocaine*, Hesp., vol. 33, 1946 ; *Les peintures corporelles au Maroc*, Hesp., vol. 9, 1929 ; *Les tatouages des bras de la marocaine*, Hesp., vol 38, 1951.

محمد بوسلام

**التجهيز**، لاجدال في أن القرن العشرين عصر ثوري في تاريخ المغرب، ولا جدال في أن مصدر ذلك هو تجهيز البلاد بكل ما كانت تفتقر إليه من أدوات التواصل العصري سواء منها البرية والبحرية والجوية أو السلوكية واللاسلكية. والمجتمع الذي تنحصر أسباب مواصلاته عند المسالك الضيقة المتأكلة وعند قوافل الإبل والبعال والحميز يختلف حتماً عن المجتمع الذي اتسعت فيه الطرق وتوطأت



التجهيزات العمومية.

فلقد مر تاريخ التجهيزات الأساسية في المغرب من مرحلتين اثنتين أولاهما مرحلة الحماية الممتدة من سنة 1912 إلى سنة 1956 وثانيتها مرحلة الاستقلال من سنة 1956 إلى سنة 1994 الجارية. ولإجدال في أن اهتمام الدولة في كلتا المرحلتين قد انصرف لإعطاء الأولوية للتجهيزات الكبرى، إلا أن الفرق واضح بينهما، إذ كانت البلاد منقسمة في عهد الحماية إلى أربع مناطق. ولئن اعتنت فرنسا بتجهيز المنطقة التي كانت خاضعة لها فإن إسبانيا عجزت عن ذلك في مناطق احتلالها في الشمال والجنوب وانحصرت تجهيزات المنطقة الدولية حول ميناء طنجة عند محيطها الضيق، ثم إن الأشغال العمومية التي أنجزت في تلك المرحلة كانت لا ترمى للنهوض بالبلاد بقدر ما كانت ترمي لفتح السوق المغربية جبراً أمام الرأسمال الأجنبي وتمكينه من الاستحواذ على خيراتها وربطها بالأسواق العالمية بحيث كانت التجهيزات يومئذ تكتسي طابعاً عددياً وسياسياً فلم تشارك فيها الجماهير المغربية إلا مضطرة إليها مغلوبة عليها في أموالها وسواعد أبنائها مما يميز هذه المرحلة الاستعمارية عن مرحلة الاستقلال التي يطبعها إضافة إلى متابعة الجهود العددي طابع الكيف والاستعداد الوطني والإدراك العام على جميع المستويات بضرورة إيلاء التجهيزات الأساسية كل عناية لا على اعتبار مردوديتها الاقتصادية وحسب، ولكن على اعتبار وقعها على أدنى حيشيات الفرد والجماعة، وواضح ما لتعزيز شبكة المواصلات مثلاً من انعكاس على انتشار الوعي في عموم الجمهور واستدراجه بالتي هي أحسن للمشاركة في القرار ولذلك أسند المشرع أمر النهوض بالتجهيزات المحلية للجماعات القروية والبلديات، مما لم يكن منه شيء في عهد الحماية ويات من الأسلمات منذ الاستقلال وساعد البلاد على توحيد ترابها. على التغلب على الكثير مما خلفه الاستعمار فيها من أسباب التفاوت الجهوي من حيث التجهيز. وهكذا اطردت وتيرة التقدم وأضحى المغرب بتجهيزاته الأساسية من البلدان الثلاثية في القارة الإفريقية.

فلقد تضاعف طول شبكة الطرق منذ سنة 1956، فهو حالا يناهز 60.000 كلم منها 29.626 معبدة و29.900 من الطرق السالكة غير المعبدة، وهي مفتوحة لما لا يقل عن 956.000 عربة من مختلف الأحجام مما كان سنة 1992 يساوي معدل 29.5 عربة في الكيلومتر كل يوم مع زيادة قدرها سنوياً 8.5% والعلم أن 90% من أعداد المسافرين بالكيلومتر تستعمل الطريق في تنقلاتها و75% من أعداد الأطنان بالكيلومتر تنقل عبرها باستثناء الفوسفاط الذي ينقل على السكة الحديدية، وفي ذلك إيماة كافية لما حصل من التقدم في شبكة الطرق التي اتسعت على محاور النقل الرئيسية وشن منها الكثير في المناطق الهامشية والناحية. وأحسن دليل على التقدم النوعي في هذا المضمار برنامج شق

الطرق السيارة على المحاور الكبرى التي شرعت في تنفيذه منذ بضع سنوات، الشركة الوطنية لبناء الطرق السيارة في المغرب، ويقتضي بناء 1000 كلم من هذا الصنف الرفيع من الطرق من الآن إلى سنة 2004.

أما طول السكك الحديدية فإنه يبلغ 1907 كلم سنة 1993 مع كثافة في الرواج بين 1.5 و5.5 مليون وحدة من الرواج بالكيلومتر الحديدي. والمجهود النوعي في هذا الميدان ملموس منذ الاستقلال، لا في نقل المسافرين حيث ازدوج خط القنيطرة الدار البيضاء عبر الرباط بسكة ثانية منذ ما يناهز عشر سنوات مما زاد في الرواج وسرته في آن واحد، ولا أيضاً في نقل البضائع حيث ارتبط ميناء الجرف الأصفر بخط نقل الفوسفاط بين خريبكة والدار البيضاء من خلال محطة النواصر.

ومن حيث الموانئ فإن المغرب يتوفر على 24 ميناء من مختلف السعات، وكانت الحماية الفرنسية قد اختارت أن تجعل من ميناء الدار البيضاء النافذة الرئيسية على البحر غير مبالية بما كان في ذلك من تهميش لباقي المرافئ، فكان على المغرب المستقل أن يصحح هذا الاتجاه لتستفيد البلاد من كل موانئها ولتنتعش جميع الجهات من الرواج التجاري، وهكذا فإن 98% من المبادلات المغربية مع الخارج تتم عبر الموانئ وأهمها يبقى ميناء الدار البيضاء بمختلف أنواع الرواج واحتكاره لتصدير الفوسفاط الخام، يليه ميناء المحمدية لاستيراد النفط والزيوت ثم أسفي والجرف الأصفر للمعادن ومشتقات الفوسفاط ثم طنجة كبوابة للاتصال بأوروبا. وتتعاطى باقي الموانئ أساساً الصيد البحري الذي عالج 550.000 طن سنة 1991 كما تتعاطى الملاحة السياحية التي تعبرها الدولة والجماعات المحلية منذ منتصف الثمانينات عناية متزايدة.

ولقد تعزز الأسطول المغربي كماً وكيفاً منذ الاستقلال، وكان النقل البحري كله في عهد الحماية بقبضة الأجانب، وهو وإن كان مازال منحصراً بالنظر إلى الحاجيات المغربية وبالنظر لطول شواطئنا التي تبلغ 3400 كلم إلا أنه يتوفر الآن على 60 سفينة تغطي 18% من التجارة الخارجية من حيث الشحن و30% من حيث القيمة المالية.

أما في النقل الجوي فإن المغرب يتوفر على شبكة من المطارات كثيفة بالنظر إلى حاجياته، فإن عشرة من هذه المطارات مفتوحة للنقل الدولي وسبعة للنقل الوطني، ويضاف إليها 30 أرضية قابلة للرواج الجوي العادي وكلها مزودة بالأجهزة الضرورية للاتصال الجوي وتستغلها شركة الخطوط الجوية الملكية إلى جانب عشرين شركة أجنبية تربط طائراتها المغرب بالخارج. ولقد بلغ عدد المسافرين سنة 1990 أربعة ملايين مسافر وارتفع الشحن إلى 47.340 طن.

ويتصل بالملاحة البحرية والجوية مصلحة الأرصاد الجوية التي تتجاوز محطاتها 700 محطة لرصد الطقس و40 محطة للرصد الشامل وهي تعمل بأحدث أساليب الرصد سواء تقنياً باستعمال الرادار أو علمياً باللجوء إلى حساب

إبراهيم بوطالب

**التجيببي**، أسرة مغربية جاءت من الأندلس. من قبيلة عربية أصيلة من نسل السككون بن أشرص بن منددة، ينسبون إلى أهمهم تجيب بنت ثويان بن سلم بن رهاد بن مدحة. وقد دخل التجيببيون الأندلس مع الفتح الإسلامي، واستوطنوا منطقة الشجر الأعلى القديمة، أو ما كان يعرف في عصر ملوك الطوائف بمملكة سرقسطة، وقرنكروا بالعاصمة سرقسطة وقلعة أيوب وذروقة. ثم سكنوا بلنسية في ظروف غير واضحة. ومنها انتقلوا إلى سبتة فكانت مستقرهم النهائي، وربما كان هذا الانتقال بسبب العدوان المسيحي الذي انتهى بسقوط بلنسية في يد القشتاليين سنة 1096. 95 / 488.

محمد حجي

**التجيببي**، أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش، يكنى أبا جعفر ( التكملة، 157 )، من أصل يرشاني (برشانة سرقسطة قديماً). سكن مراکش وتلمذ بها عن أبيه الكاتب محمد بن عياش وأبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن محمد بن واجب وأبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي. اهتم بالأدب، فبرع في فن الكتابة والخط مما أهله للكتابة عن عدد من خلفاء آل عبد المؤمن منذ عهد المستنصر أبي يعقوب بن الناصر إلى أيام المأمون ( الذيل والتكملة، 2 : 464 ؛ الإعلام، 2 : 138 ). وقد نظم قصيدة شعرية يمتدح فيها عقب انتصاره على ابن هود في الأندلس عام 1228 / 625.

استقضى أحمد التجيببي بتلمسان وسبتة، كما اشتغل بالتدريس. فكان منزله ملتقى لطلبة العلم حيث كان يناظرهم وحيث كانوا يحتكمون إليه في شتى أمورهم العلمية. توفي متلبساً بالكتابة عن المأمون أو حسب رواية أخرى بسبتة مستقضى بها له في محرم عام 1232 / 629 ( الذيل والتكملة، 2 : 464 ؛ التكملة، 157 ؛ الاعلام، 3 : 138 ).

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تج. إبراهيم الإبياري، القاهرة / بيروت، ط. 1989 / 1410 ؛ ع. ابن إبراهيم، الاعلام، الرباط، 1974، الجزء الثاني ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تج. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، الدار البيضاء، 1985 / 1406.

زليخة بنرمضان

**التجيببي**، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي السبتي، يكنى أبا القاسم، وبهذه الكنية عرف عند معاصره وكل من ترجموا له. ولد بمدينة سبتة. وقد اختلف في ضبط سنة ولادته. لكن من الأرجح أن تكون سنة 670 / 1271 أقرب إلى الصحة، وذلك استناداً إلى ما رواه التجيببي نفسه أثناء حديثه عن السند العالي الذي روى به موطأ الإمام مالك بن

الاحتمال وهي قادرة اليوم على استمطار السحب عند الاقتضاء مما يعد فاتحة خير في بلد فلاحي كالمغرب معرض للجفاف بشكل موسمي.

ولذلك فإن التجهيزات الخاصة بالتنقيب عن الماء ويخزنه لا تقل خطورة عن تجهيزات التواصل، فإن النمو الديمغرافي السريع للبلاد وتحولاتها الاقتصادية والاجتماعية وما واكب ذلك من تحولات في أشكال العيش كل هذه العوامل تجعل من ضبط المياه المغربية أمراً حيوياً، ولذلك ما فتئت المصالح الوزارية والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب يعملان سوياً لكي تستنيط كل المناهل ويتم استغلالها بما يضمن تزويد كل المواطنين في البوادي والمدن بلا إفراط ولا تفريط، وهكذا بات من الممكن سنة 1992 تزويد 79٪ من سكان المدن بالماء الشروب في منازلهم والأحياء الفقيرة تزود بينابيع عمومية، أما في البوادي فالتزويد المنزلي مازال دون المستطاع ولكن 30٪ من أهل البادية مزودون بفضل التجهيزات العمومية.

ومن علامات ضبط الرصيد المائي المغربي سياسة السدود التي وضعت بعض مخططاتها الأولى في عهد الاستعمار للمعمرين لكن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خلصها من كل تلك الشوائب وأضفى عليها صبغة القرار الوطني المسؤول ابتداء من سنة 1967 عندما قرر أن يُبنى سد كل سنة إلى حدود سنة 2000 م. وعدد السدود 80 سدا سنة 1993 تخزن 10 ملايين متر مكعب من الماء يتأتى معها سقي 850.000 هكتار وتضمن حجماً من المياه الصالحة للشرب وللأعمال الصناعية قدره ما لا يقل عن مليار واحد من الأمتار المكعبة ويتولد منه 1500 كيلواط / الساعة من الكهرباء.

أما التجهيزات العمومية فيمكن الاستشهاد عليها بما أنجزته الوزارة المسؤولة من المدارس للتعليم الثانوي سنة 1992 وعددها 18 وبما شيدته من المباني الإدارية المختلفة لباقي الوزارات بلغ عددها 82 في نفس السنة. ويمكن في الختام الاستدلال على الجهود المبذولة في التجهيز بذكر نسبة نفقات الخزينة العمومية في هذا الميدان من نفقات الدولة على العموم وذلك في السنوات العشر الأخيرة وهي كما يلي :

1984.	22,7٪	1985.	22,2٪	1986.	31,1٪
1987.	23,8٪	1988.	23,6٪	1989.	27,4٪
1990.	26,7٪	1991.	24,3٪	1992.	25,3٪
1993.	25,7٪				

كما يثبت أن معدل ربح ميزانية الدولة يصرف كل سنة على التجهيز.

أليبر عياش، المغرب حصيلة الاستعمار، تر. عبد القادر الشاوي ؛ بنك المغرب، التقارير السنوية ؛ عشر سنوات من الاستقلال ؛ المغرب بين 1956 و1966، منشورات وزارة الأنبياء ؛ دراسات غير منشورة لمديرية التخطيط والدراسات لدى وزارة الأشغال العمومية.

A. Belal, L'investissement au Maroc 1912 - 1964. Paris - La Haye, 1968 ; Le Ministère des Travaux Publics, de la Formation

وجد التجيبي في الدرس والتحصيل ضالته المنشورة كما وجد في سبته منزلا محمودا دون غيرها من المدن، بحيث لم يبرحها إلى أن وافته المنية بها سنة 730 / 1329 (نيل الابتهاج، 362 ؛ بلغة الأمانة، 177).

من آثار التجيبي مؤلفان، أولهما استفاد الرحلة والاعتراب. يتكون في الأصل من ثلاثة كتب ( الدرر الكامنة، 3، 240 ؛ نيل الابتهاج، 362) لكن لم يصلنا منها إلا الجزء الثاني.

تعد الرحلة فهرسا ضمنه التجيبي ذكر مشايخه ومروياتهم وتصانيفهم في مختلف الاتجاهات العلمية. كما ضمنها أسماء الكتب المتداولة في الشرق على اختلاف مضامينها. بالإضافة إلى ذلك، اعتبرت الرحلة أيضاً وصفاً للبلدان لما احتوت عليه من وصف مشاهد عمرانية وذكر أخبار اقتصادية واجتماعية. وقد حذا في ذلك حذو ابن جبير، بل اعتنى بتصحيح الكثير من أخطاء هذا الرحالة المشهور.

أما المؤلف الثاني فهو البرنامج الذي اعتنى فيه بذكر الكتب التي قرأها، وقد صنفاها حسب مواضيعها، فأعطى الأولوية لعلوم القرآن، وختم مولفه بعلوم اللغة والآداب. ومن أعماله الثانوية، مستدركاته على الذيل والتكملة لشيخه ابن عبد الملك المراكشي (السفر السادس، 505. 512). أما مؤلفه في الجهاد وقد احتوى أربعين حديثاً، فلا نعلم له أثراً باستثناء ما ورد عنه في المصادر (بلغة الأمانة، 177 ؛ 30 : 2 Les notes).

الأنصاري، اختصار الأخبار ؛ بلغة الأمانة ومقصد اللبيب ؛ التجيبي، برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981 ؛ التجيبي، استفاد الرحلة والاعتراب، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1975 / 1395 ؛ أ. باب التنبكي، نيل الابتهاج، طرابلس، 1989 ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، بيروت، الجزء 3 ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، بيروت - لبنان 1403 / 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة، تح. عبد الله عنان، القاهرة، الجزء 3 ؛ ج. عنان، دول الطوائف، القاهرة، 1380 / 1960 ؛ عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المطبعة الجديدة، 1346، الجزء الأول ؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1405 / 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر السادس، تح. إحسان علي، بيروت - لبنان، 1973.

A. L. de Premare, Les notes de voyage d'Ibrahim b. Al-Hadjj an-Numayri en l'année 745 / 1344, Lyon 2, 1978, T. II. زليخة بنرمضان

**التجيبي، محمد بن أحمد بن محمد بن مطرف** المعروف بابن عزيز، المنسوب إلى تجيب بطن كبير من بطون كندة الواقعة شرق اليمن من أحفاد منذر بن يحيى بن منذر بن منصور، أحد ثوار سرقسطة.

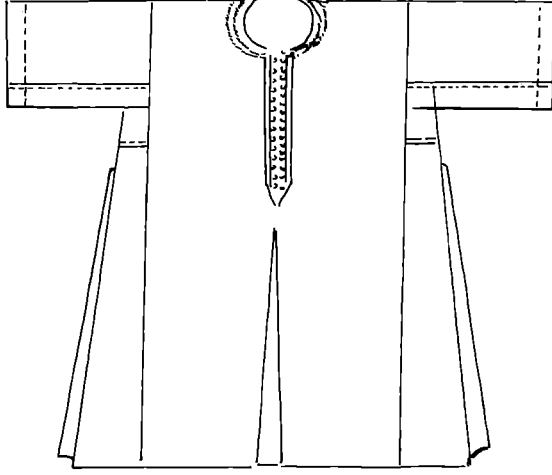
ولد بفاس سنة 954 / 1547 وأخذ العلم عن مشايخها ؛ أمثال أحمد بن قاسم القدومي، ويحيى بن محمد السراج،

أنس بدمشق، يقول التجيبي : "وهذا الإسناد أيضاً إسناد جليل في غاية العلو، وليس يوجد اليوم على وجه الأرض من عنده إسناد إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى أعلى من هذا، لا في الموطأ، ولا في منشور الحديث، وهو أعلى الممكن ولا سيما لأمثالنا، ولمن ولد في أحواز سبته سنة سبعين وستمائة". ( البرنامج، 64) وسبته أيضاً شب وترعرع. إلا أن المصادر شحت بالتفصيلات عن مرحلة طفولته ومكانة أسرته وسط المجتمع السبتي. فأهم ما نستشفه من خلال برنامجه عن هذه المرحلة أنه كان مولعا بعلوم القرآن منذ نعومة أظفاره. وأول من أخذ عنه القرآن كتابة وقراءة بحرف نافع هو الشيخ عبد الرحمن بن أبي الأصبغ الوريابغلي القصري المعروف "بابن صاحب رزقه" وعند بلوغه السادسة عشرة من عمره، كان حافظاً للقرآن بقراءته المأثورة عن القراء السبعة المشهورين، بالإضافة إلى علوم القرآن، انصب التجيبي على دراسة الحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية ( البرنامج، 16).

عرف التجيبي هذه المعارف من منابع علمية مختلفة ومتباعدة، أخذ بسبته عن عدد من المشايخ من جملتهم عبيد الله بن أبي الربيع، وأبو بكر محمد بن منظور القيسي وأبو بكر بن عبيدة الأنصاري وأبو العباس العزفي (البرنامج، 17، 34، 76). لكن التجيبي لم يقنع بما عرفه عن مشايخه بسبته، بل شد الرحال إلى الأندلس عام 694 / 95. 1296. فسمع بها على عدد من العلماء من بينهم أبو عبد الله بن عياش بمالقة وعبد الله بن شعيب القيسي (البرنامج، 47. 146). لكن رحلته الأندلسية هذه لم تشف أيضاً غليله إلى العلم والمعرفة، فرحل إلى المشرق حوالي سنة 696 / 1298. 97. وأثناء رحلة الحجازية، جلس للسمع على شيوخ علماء المراكز العلمية التي عبرها، كجاية وتونس والإسكندرية والقاهرة ومكة ودمشق. وقد أثبت مروياتهم ومؤلفاتهم وحلقات علمهم في برنامجه وكذا في رحلته. من بين العلماء الذين أخذ عنهم بالمشرق ؛ أحمد بن عبد المحسن الحسيني العراقي الجرافي بالاسكندرية (الرحلة، 395) وأبو محمد عبد المؤمن بن خلف التونسي الدمياضي، وابن دقيق العيد بالقاهرة ( الرحلة، 313) وابن عساكر مؤرخ الشام وابن تيمينة بدمشق ( الرحلة، 13 ؛ البرنامج، 83. 192) وقد رافقه في رحلة الحجازية هذه، خلف الغافقي القبتوري، صاحب ديوان الغرقيين ( البرنامج، 35).

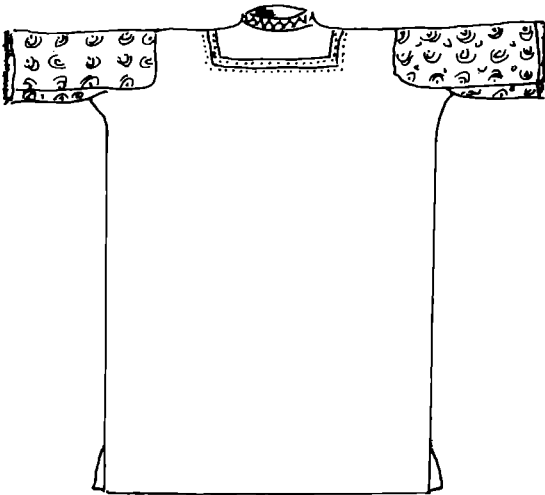
بعد عودة التجيبي إلى سبته، قعد للدرس والتحديث بمسجد زقاق ابن الشراك. فتقاطر عليه طلاب علوم القرآن والحديث من مختلف الآفاق. من جملة طلبته محمد ابن عبد المهيمن الحضري وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعييني الفاسي وأبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري المعروف بالشديد وأبو عبد الله ابن الدراج ( بلغة الأمانة، 177 ؛ فهرس الفهارس، 1، 191 ؛ الإحاطة، 3، 199 ؛ Les notes، 2 : 30).

إلى الكعبين، تتخذ إما من قطن أو كتان أو طلس أو ساتان أو ملف أو حرير. تكون أكمامها عادة طويلة تصل إلى حد المرفقين ولا تكون مفتوحة من الصدر. كانت المرأة



### التحتية

في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله ترتديها مباشرة فوق جسمها بعد السراويل الفضفاضة، فكانت بمثابة التبان العصري والقميص النصفي الذي أصبحت المرأة الحديثة لا تستغنى عنه إلا نادرا (La combinaison). وغالبا ما تكون حواشي أكمام التحتية مطروزة أو مشبكة أو مضرسة، ويكون لونه عادة في مثل رداء آخر يلبس فوقها ومكملا لها يدعى المنصورية أو الفوقية. وتختلف هذه الفوقية النسوية عن فوقية الرجال في أنها تكون مفتوحة من الصدر من الأمام إلى مطلع الصدر وتتخذ من قماش رفيع منمق بالرسوم والأشكال المشجرة البديعة وتكون خياطتها بالسفينة والمجدول.



### المنصورية

كانت النساء في القرن الماضي يلبسن التحتية والمنصورية أو القفطان وحده فوق التحتية. ونظراً لارتفاع تكلفة القفطان ساد استعمال التحتية والفوقية لدى نساء

وعبد الواحد بن أحمد الحميدي، وأحمد بن علي المنجور، وأبي القاسم ابن عبد الجبار الفكيكي. وبواسطة هذا الأخير أخذ التصوف عن الشيخ أبي الحسن البكري بن الذي لقيه ابن عبد الجبار أثناء رحلته إلى الحج. ومن أشهر تلاميذ التجيبي الفقيه عبد الواحد بن علي بن عاشر وبه تخرج. توفي بفاس سنة 1022 / 1612، ودفن بالدرب الطويل من عدوة القرويين.

أ. ابن القاضي، درة المجال، 2 : 235 : م. ابن عيشون، الروض، 354 : ع. القاضي، الإعلام بين غير، مخطوط : م. الإفرائي، صفوة، 51 : م. القادري، نشر المثاني، 1 : 177 : التقاط الدرر، 1 : 60 : م. الكتاني، سلوة، 1 : 152 : م. مخلوف، شجرة النور، 1 : 297. نفيسة الذهبي

### التجيبي، محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد

ابن سليمان عالم إشبيلي، درس على عدد من علماء الأندلس أمثال أبي عبد الله بن عبد الرحيم ولازمه، وعن العلامة ابن بشكوال، وعن قريبه محمد بن معطي التجيبي، ويوسف بن إبراهيم الثغري، وغيرهم.

رحل إلى الحج، والتقى بجملة من علماء المشرق وأخذ عنهم، مثل أبي طاهر السلفي بالإسكندرية، وحامد بن هبة الله الحراني، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور اللخمي وأحمد بن طارق بن سنان، وأبي محمد بن بري، وشهدة بنت أحمد بن أبي الفرج الأبرية، وجماعة آخرين ضمنهم معجم شيوخه الذي يعتبر مفقوداً.

دخل المغرب، وحل بمدينة فاس عام 594 هـ فروى بها عنه خلق كثير، وكذلك بسبته وتلمسان التي استقر بها إلى وفاته.

ألف بعض الكتب مثل معجم شيوخه، أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار، واعتمده ابن الآبار في التكملة، كما ألف معجم شيوخ شيخه المحافظ أبي طاهر السلفي، وأربعين حديثاً، وغير ذلك. كان عالماً فاضلاً، معتمداً بالتواريخ. روى عنه خلفه منهم أبو العباس العزفي السبتي وأبو عبد الله الأزدي وأبو الحسن الغافقي الشاري وأبو عبد الله بن جعفر، وأبو جعفر بن فرتون، وتحدث عنه في كتابه المفقود "الذيل". وتوفي التجيبي بتلمسان في جمادى الأولى عام 610 / 1213.

ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، القاهرة 1955، ج 2 : 588 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط 1973، 276، 277.

محمد المفاوي

### التحتية، لباس داخلي عند النساء، يقابل التشامير

عند الرجال، وهي لباس داخلي تحت مندفن تحت الملابس التي ترتديها المرأة. لذا فهي تسمى في البوادي والمدن عند سائر الناس التحتية كما يسميها بعضهم الدفين أو الدفينة.

والتحتية قميص طويل يمتد على طول الجسم من العنق

الفئات المتوسطة. أما الفقيرات منهن فكن يكتفين بالسروال والتحتية ثم يرتدين الحائك فوق ذلك إذا أردن مغادرة منازلهن. أما داخل المنازل فلا جناح عليهن في أن يلبسن الضروري مما يستترهن وهن بين محارمهن. وكان معظم ما كانت النساء تلبسه وهن داخل البيوت لا يتعدى تحتية بسيطة تشدها إلى الخصر بواسطة حزام بسيط ترتدي أسفلها سروالا واسعا. كان السروال البلدي والتحتية في كل الحواضر المغربية والبوادي هما اللباسان الأهليان السائدان قبل أن تغزو الملابس الرومية النسوية الحديثة الأذواق وأصبحت تهدد بإقصاء التحتية وما يرتبط بها من ميدان التداول لدى النساء الحاليات من الجيل الجديد.

سعت فرنسا من وراء كل هذه الإجراءات علاوة على خلق طبقة متوسطة من الفلاحين المغاربة الذين يدعمون سياستها، إلى الحفاظ على حشود الفلاحين الصغار الذين قد يتم استثمارهم في ضيعات المعمرين، وإلى الاستيلاء على أقصى ما يمكن من الأراضي بطرق "شرعية".

وبما أن هذه السياسة لم تعط ثمارها، فقد ارتأت فرنسا، في الأربعينات، أن تتخلى عن فلسفة التغيير التدريجي للعمل على تغيير البادية المغربية بطريقة سريعة وكلية، وذلك في إطار "البيزاننا" التي تهدف إلى تحقيق تحديث كلي يشمل الجوانب المادية والاجتماعية والأخلاقية، وذلك بتركيزها على الجوانب التقنية المتعلقة بالمرودية، ولاهتمامها بالتعليم والصحة والسكن، الشيء الذي يتطلب إحداث تغييرات على مستوى الدواكر، وعلى مستوى وسائل الإنتاج التقليدية والتجهيزات الاجتماعية.

ومن الإنجازات التي حُققت في هذا الإطار يمكن أن نذكر استصلاح الأراضي وزرعها، وإدخال مزروعات جديدة، وتحسين أجناس الماشية وإدخال أنواع جديدة، وإنشاء تجهيزات سقوية؛ هذا بالإضافة إلى المنشآت ذات الطابع الاجتماعي (تعليم، صحة). ولتحقيق هذه المنجزات، اعتمدت "البيزاننا" على طاقم من الموظفين والتقنيين الذين يؤطرون الفلاحين ويسهرون على تكوينهم.

ورغم الإنجازات المادية الإيجابية التي حققها التحديث القروي بالمغرب، فإن سياسة التحديث القروي كانت تستلزم تدمير التوازن الاجتماعي القديم وتعويضه بتوازن جديد، عبر إحداث ما سماه "جاك بيرك" منظر هذه العملية، بالصدمة النفسية.

انظر مادة البيزاننا.

C.H.E.A.M., *Textes et documents sur les S.I.P.* ; Greilsammer, *La modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M. ; A. Guillaume, *L'œuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre*, B.E.S.M., XIV, n° 50, 1951 ; J. Le Breton, *La modernisation rurale du Maroc 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

عبد الجليل حليم

## التحرر والاشتراكية (حزب.) ←

### التقدم والاشتراكية (حزب.)

**التحرير**، جريدة يومية صدر أول عدد منها بمدينة الدار البيضاء في ثاني أبريل سنة 1959 بإدارة محمد

أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط 1973؛ م. المختار السوسي، المعسول، الجزء التاسع، الدار البيضاء 1960؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط 1974؛ ع. ابن زيدان، *إنحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط 1931؛ عثمان بن عابد بوفتاس، *أمانوز، لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء 1991؛ م. الشياطي، *مدينة أزموور وضواحيها*، الرباط 1987.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; *Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, vol. 1, Rabat 1993, A. M., vol. 17, 1911 ; De Segonzac, *Voyage dans le Sous*, Paris, 1900 ; E. Douthe, *Marrakech*, Paris 1905 ; Ch. Didier, *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

محمد بوسلام

## التحديث القروي، يقصد به مجموعة من الإجراءات

السياسية والقانونية والتقنية التي اتخذتها فرنسا أيام الحماية قصد تحويل البادية المغربية وإنشاء فلاحية عصرية بها.

كان التحديث القروي يستهدف أساساً ما كانوا يسمونه بالمغرب النافع، المنتج للحبوب، والمتأثر بالوجود الفرنسي (ضيعات المعمرين، مضاربة عقارية، تسجيل عقاري...)، أي مناطق الغرب وسايس والشاوية ودكالة وتادلا وملوية السفلى وزموور وزعير، وهي مناطق كانت تتميز بهيمنة الرعي، وعتاقة وسائل الإنتاج، وضعف المرودية.

يهدف التحديث القروي إلى إعادة صنع البادية المغربية ودمج الفلاحة في نمط الإنتاج الرأسمالي، وذلك بخلق فلاحية عصرية تنتج من أجل السوق وطبقة من الفلاحين على النمط الأوربي، أي طبقة وسطى تكون دعامة للسياسة الاستعمارية بالأرياف.

لتحقيق هذه الغاية، اعتمدت فرنسا مجموعة من المؤسسات/أهمها جمعيات الضمان الأهلية (Les Sociétés Indigènes de Prévoyance) "والبيزاننا" (Paysanat) (انظر هذه المادة).

أنشئت جمعيات الضمان الأهلية بظهير 8 غشت 1918 المعدل بظهير 28 يناير 1922 ثم بظهير فاتح يناير 1928 وتحدد الظهائر أهداف هذه الجمعيات وتنظيمها. ويتعلق الأمر بمؤسسات ذات شخصية مدنية تُسيّر من طرف مجلس إداري يتكون من ممثلي السلطات الاستعمارية وبعض الأعيان. وتتوخى هذه المؤسسات حماية صغار

59. 061 بتاريخ 7 شوال 1379 موافق 4 أبريل 1960). ومرسوم 11.11.1972.

وبجانب المصلحة المركزية للمحافظة العقارية المتمثلة في مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية التابعة لوزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي، نجد مصالحي إقليمية، تطوّر عددها في إطار تقريب الخدمات من المواطنين واللامركزية. فبعد ما كان عدد هذه المصالح الجهوية تسعاً سنة 1960 وصل إلى ثلاث وأربعين مصلحة في مطلع التسعينات موزعة على مجموع التراب الوطني.

أما مهام المديرية وملحقاتها الجهوية فكثيرة، وتمثل أساساً في ما يلي :

- التحفيظ العقاري للملكيات بالمدينة والبادية.
- وضع التصاميم المشاركة قبل عمليات تجميع الأرض.
- إنجاز التأريفي الوطني والمحافظة عليه.
- تحديد أملاك الدولة والأملاك الجماعية، والغابات ...
- مراقبة الأشغال الطبغرافية المنجزة لحساب المصالح العمومية من طرف المقاولات المرخص لها.
- وضع جذاذ مفضلة لأراضي الدولة بالبلديات والمراكز المستقلة والمراكز المحددة وهوامشها.
- إنجاز التصاميم المديرية للبلديات والمراكز المستقلة والمراكز المحددة وهوامشها.

إن القيام بهذه المهام يتطلب وسائل بشرية وتقنية ومالية متزايدة. فالتطور الاجتماعي والاقتصادي السريع للبلاد يفرض معرفة البنيات العقارية وتوفير أمن المعاملات الاقتصادية المبنية على العقار ...

وبالرغم من تطور المهام، فإن المديرية ظلت تعاني من النقص في التمويل نظراً لكون مداخيل خدمة التحفيظ كانت موجهة إلى الخزينة العامة وما كانت ترصده الدولة لإنجاز العمليات ظل محدوداً. ومن انعكاسات هذا النقص نشير إلى تأخر إنجاز العمليات وتأخر معالجة الملفات. وأمام الخصائص المادي والبشري والتقني تم اللجوء إلى حلين، يتمثل أولهما في تحسين ظروف العمل بالمجمعات العقارية التابعة للمديرية، ويتمثل ثانيهما في توسيع نشاط القطاع الخاص.

أما فيما يخص الحل الأول، فقد تم تزويد مديرية المحافظة العقارية منذ 1983 بميزانية ملحقة مكوّنة من عائدات التحفيظ ومتنامية بـ 15٪ سنوياً. وبموازاة هذا الإجراء التمويلي، تم رفع عدد الأطر والمستخدمين مع إعادة تكوين بعضهم، وتم تجهيز المصالح بوسائل تقنية متطورة.

وفيما يخص الحل الثاني، تم فتح الباب أمام القطاع الخاص للمساهمة في عملية التحفيظ العقاري عن طريق إعداد الملفات التقنية والتصاميم التأريفية وذلك في إطار الصفقات الطبغرافية الطويلة الأمد (5 سنوات). وهكذا ارتفع عدد المقاولات الطبغرافية بشكل سريع ليصبح 180 مكتباً في مطلع التسعينات بدلاً من 66 في سنة 1971 (منها 46 مرخص لها آنذاك و20 مرخص لها مؤقّتا).

البصري، واضطلاع عبد الرحمن اليوسفي برأسة تحريرها، وذلك على إثر الصراع الداخلي الذي عرفه حزب الاستقلال بين جناح علّال الفاسي وجناح المهدي بنبركة مما أدى إلى الانشقاق بعد قيام حركة يناير 1959.

أصبحت جريدة التحرير لسان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ثم توقفت عن الصدور بقرار إداري من دجنبر 1959 إلى دجنبر 1960. وابتداءً من العدد 1088 (15 غشت 1963)، صارت جريدة أسبوعية ثم توقفت بعد ذلك بحيث إن آخر ما يوجد منها في الخزنة العامة بالرباط هو العدد 1096 (10 أكتوبر 1963).

A. Benyoussef, *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc : 1956 - 1980*, Mémoire présenté en vue de l'obtention du diplôme d'informatiste spécialisé, Ecole des Sciences de l'Information. Rabat, 1983.

محمد جادة

### التحفيظ العقاري، المغربي أو التأريفي القانوني،

يستند إلى ظهير 12 غشت سنة 1913، وإلى النصوص القانونية المعدلة والمكملة له الواردة على شكل ظهائر أو قرارات ومراسيم وزارية في 2 و3 و4 يونيو سنة 1915 وفي 29 دجنبر سنة 1953 وفي 29 يوليوز سنة 1969.

ونظام التحفيظ العقاري المغربي نظام طوعي يعتمد على الكنائيش العقارية (Livres Fonciers) ويهدف إلى تفريد الملكية العقارية عن طريق تحديدها طبيعياً (Physiquement) وقانونياً. ويتلخص التحديد الطبيعي في التوطين الجغرافي للعقار، وضبط حدوده ومقوماته (محتواه). بينما يتلخص التحديد القانوني في وضع رسم عقاري نهائي غير قابل للطعن. وهذا ما يفرض الاعتماد على مبدأ الإشهار الحقيقي، بغية تطهير العقار وإثبات الحقوق القائمة عليه (عينية كانت أم تحملات أو حقوق ارتفاقات ...).

ويعد إقامة الرسم، تضاف به كل التغييرات اللاحقة المتعلقة بالعقار وبالحقوق عليه. ويعد الكناش العقاري بمثابة الحالة المدنية للعقار المسجل. يعرف بأصوله وتاريخه ووضعته القانونية. ويصاحب كل رسم عقاري بتصميم للعقار.

وتبقى الكنائيش العقارية مفتوحة في وجه العموم. ولا يعترف سوى بالحقوق المسجلة بها، وهي ضامنة لأمن المعاملات بفضل التحديد الطبيعي والقانوني للعقارات.

ورغم ما للتحفيظ العقاري من مزايا اجتماعية واقتصادية. فالمعلومات المتوفرة بها ناقصة كما ونوعاً وجغرافياً بالنسبة لما تحتاج إليه مشاريع تنمية الأرياف، وذلك ما يفسر ظهور التأريفي الوطني (انظر مادة التأريفي). انطلق التأريفي المغربي كتأريفي قانوني قبل أن يظهر التأريفي الوطني أو التحفيظ العقاري عملية طوعية ظل إنجازها من اختصاص الدولة الممثلة في مصلحة المحافظة العقارية وحدها. لكن منذ الستينات سمح للقطاع الخاص بالمساهمة في الأشغال الطبغرافية (مرسوم عدد 2.

ظل نشاط مصلحة المحافظة العقارية منحصراً في جانب التحفيظ العقاري الذي كان عملية طوعية مما جعل العقارات المحفوظة مشتتة والمعلومات المتوفرة حولها غير مراجعة. ومنذ مطلع الستينات، وضعت الدولة مخططاً طموحاً للري بواسطة مياه السدود الكبرى. وقد بدأ تطبيق هذا المخطط تحت إشراف المكتب الوطني للري (ONI) ثم تواصل منذ منتصف الستينات تحت إشراف المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي (ORMVA). ومنذ السبعينات زاد الاهتمام بالبوادي خارج مناطق نفوذ هذه المكاتب عن طريق إنعاش مشاريع مندمجة للتنمية.

وسواء تعلق الأمر بإعداد المناطق السقوية أو المناطق البورية، فالحاجة إلى المعلومات الخاصة بالبنيات العقارية تبقى كبيرة. وتعتبر هذه الحاجة حافزاً على الإسراع بعمليات التحفيظ. ولهذا الغرض ظهر إطار التحفيظ الجماعي، وإطار ضم الأراضي بجانب إطاري التآريف الوطني والتحفيظ الاختياري.

يستند التحفيظ الجماعي إلى ظهير رقم 174.96.1 بتاريخ 10 جمادى 1389، الموافق لـ 25 / 07 / 1969. (الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2960 مكرر، الصادرة بتاريخ 29 / 07 / 1969. ويتعلق الأمر بقيام وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي لتحديد مناطق للتحفيظ العقاري. خارج المدارات الحضرية تُسَجَّل وتحفظ العقارات الواقعة داخلها. وتتبع في ذلك المسطرة التالية :

- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد منطقة التحفيظ.

- القيام بجميع إجراءات تحفيظ العقارات الموجودة داخل المنطقة المحددة بدون مصاريف، شريطة تقديم طلبات التحفيظ في أجل لا يتعدى سنة مع إمكانية تمديده إلى ستة شهور.

- وضع المحافظ للملف يتضمن حالة وتصميم المشار بمقر السلطة المحلية ويعلن بالجريدة الرسمية عن هذا الإجراء. وفي نفس الوقت تتوصل هذه السلطة بلائحة لأصحاب الطلبات وأرقام هذه الأخيرة، ويمكن للعموم الاطلاع على هذه الوثائق. وتتميز هذه المسطرة بكونها غير إجبارية وتتواصل بطريقة جماعية حتى صدور قرار التحفيظ.

- عملية ضم الأراضي : هي عملية حديثة ظهرت بمقتضى الظهير رقم 105.62.1 بتاريخ 20 / 06 / 1962 ومرسوم التطبيق عدد 240.62.2 بتاريخ 25 / 07 / 1962. مع تعديلاتهما وتكميلتهما. ويبقى الهدف منها هو تحسين استغلال الأرض عن طريق تجميع مشاركات الملكية المشتتة وإعادة توزيع الأرض على شكل قطع أرضية كبيرة تقدم ظروفاً أحسن للاستغلال. وتتلخص مسطرة ضم الأراضي كالتالي :

- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد المنطقة المزمع ضم أراضيها ويأذن بانطلاق العمليات بعد استشارة

المجالس الجماعية.

- صدور قرار للسلطة المحلية أو الإقليمية، بناءً على مقترح لجنة الضم، يحدد تاريخ انطلاقة العمليات ومساحة القطاعات المعنية.

- إنجاز حالة وتصاميم المشار بالقطاعات المعنية بعد البحث الطبغرافي والقانوني في عين المكان (الإشهار).

- صدور إعلان وضع الحالة والتصميم المشارتين بمقر السلطة المحلية بالجريدة الرسمية (معلنا عن منع بيع وتفويت وتقسيم وتبادل الأرض داخل قطاعات الضم إلى غاية صدور مرسوم المصادقة.

- موافقة لجنة الضم على مشروع الضم.

- صدور مرسوم الموافقة (Homologation) بالجريدة الرسمية.

- تثبيت الأرض للملكيات المجمعّة في غضون الستة أشهر اللاحقة لمرسوم المصادقة.

- مواصلة المسطرة العادية للتحفيظ إلى مرحلة تسليم الرسوم العقارية.

التحفيظ العقاري : مكتسبات كبيرة : سجلت الإدارة خلال فترة الحماية (1915 . 1955) إقبالاً كبيراً على التحفيظ العقاري. فقد وصل عدد الرسوم العقارية إلى 58.500 بالبادية وإلى 30.500 بالمدينة. أما مساحة الأراضي المحفوظة فقد بلغت 1.920.000 هـ منها 16.400 هـ فقط بالمدينة. والملاحظ أن كل الأراضي المعنية بالتحفيظ آنذاك كانت داخل ما كان يعرف "بالمغرب النافع" حيث تركزت ملكية العمرين. وبالرغم من هذه النتائج الإيجابية، فقد انتهى عهد الحماية مخلفاً وراءه تأخراً كبيراً في إنجاز التآريف القانوني يعكسه وجود 40.000 طلب للتحفيظ في الانتظار.

وبعد الاستقلال، تواصل العمل بالتحفيظ العقاري الطوعي وتعزز التآريف القانوني بخلق إطارين جديدين للإسراع بالتحفيظ العقاري : إطار التحفيظ الجماعي وإطار ضم الأراضي.

فعلى مستوى التحفيظ الجماعي، ساهمت مجانية العملية، وتحسن الظروف التقنية - التي أصبح من الممكن معها إنجاز قطاعات واسعة قد تصل مساحتها إلى 3.000 هـ سنوياً كما حدث ببني يخلف بخريبكة - في تحقيق نتائج مشجعة. فمنذ بداية العمل بهذا الإطار في 1969 وإلى 1992، همّ التحفيظ قرابة 100.000 هـ موزعة على 43.500 مالك.

أما على مستوى التحفيظ في إطار عملية ضم الأراضي، فالبرغم من قصر مدة العمل في هذا الإطار، فالنتائج المحصل عليها مهمة. ففي 1992 وصلت المساحة الإجمالية الموجودة في طريق الضم إلى 724.788 هـ موزعة كالتالي :

616.920 هـ مسقية صودق منها على 71,5٪

107.868 هـ بورية صودق منها على 33,2٪

وحسب معطيات مديرية المحافظة العقارية لسنة 1991

(الجدول والشكل صحبته) كانت الأراضي المعنية بالضم توجد في معظمها بمناطق نفوذ المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي. وهو ما يؤكد على الأولوية المعطاة للزراعة المسقية من طرف الحكومة.

المكاتب الجهوية	المساحة بالهكتار	المديرية الإقليمية	المساحة بالهكتار
دكالة	98.352	بولمان	949
القرب	182.447	فاس	3.534
الحوز	36.631	الخميسات	9.500
اللوكوس	88.472	مكناس	36.318
ملوية	64.573	الناظور	450
سوس	35.182	وجدة	1.306
تادلة	78.935	الرباط - سلا	1.450
-	-	طنجة	1.242
-	-	تطوان	2.002
المجموع	584.592	المجموع	56.751
المجموع العام	641.343		

قطاعات ضم الأراضي حسب المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي والمديرية الإقليمية للفلاحة

وبصفة عامة، وصل عدد طلبات التحفيظ بين 1915 و1990 إلى 404.813، أربعة أخماسها (4/5) بالأرياف. أما المساحة المرغوب في تحفيظها خلال نفس الفترة فقد بلغت إلى 4.209.892 هـ، منها 98,9٪ بالأرياف. والملاحظ هو تزايد طلبات التحفيظ بالمدينة خلال العقدين الأخيرين. وإذا كان عدد الطلبات كبيراً والمساحة المراد تحفيظها كبيرة كذلك، فما تم تحقيقه نهائياً يبقى نسبياً محدوداً. فنسبة الطلبات التي تمت معالجة ملفاتها وتسليم رسومها لا تمثل سوى 56٪ ولا تمثل نسبة الأراضي التي حفظت برسم عقاري سوى 55,5٪. وتدل هذه المعطيات على بطء عمليات إنجاز التآريف القانوني. ويؤكد لنا هذا البطء ما تم تحقيقه منذ الاستقلال. حيث لم يصل عدد الرسوم المسجلة بالأرياف سوى 110.000 رسم ولم تشمل المساحة المحفوظة سوى 410.000 هـ.

محمد كربوط

**الدُّخْسُ** أو الدُّخْسُ أو الدُّلْفِين، وأيضاً دَرْفِيل ودَنْفِيل - كما هو في المعاجم - كما ينطق به في المغرب وفي باقي الدول العربية، جنس حيوانات بحرية ذات أسنان صغيرة تنتمي إلى طائفة الثدييات (Mammalia) ورتبة الحيتان أو الحوتيات (Cetacea) وتحت رتبة الحيتان المسننة أودونتوسيت (Odontocètes) وفصيلة الدُّخْسُ أو الدرافيل دلفينيدي (Delphinidae). كنيته في البحر الأحمر أبو سلهام ويطلق العرب على أنواع الدُّخْسُ خنزير البحر دون أن يميزوا بين الأنواع. ويسميه البحارة المغاربة دُّخْسُ ودَنْفِيل المأخوذة من الفرنسية (Dauphin).

يتنفس الدُّخْسُ الهواء خارج الماء من خلال فتحة أنفية

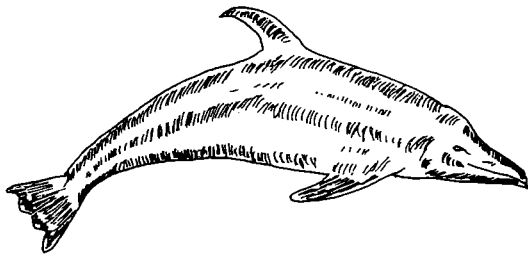
واحدة تقع على الجانب الأيمن بأعلى الرأس ويحدث التنفس نتيجة لخروج التخس إلى سطح الماء في حركة التفاضلية وينفتح الصمام الذي يغلق الفتحة الأنفية فيندفع الهواء المختزن بالريثين بسرعة ليحل محله هواء نقي ثم يقفل الصمام مرة أخرى قبل أن يغوص الرأس ثانية.

تبدو أذنا التخس كنتوءات ضيقة على جانبي الرأس وتعتبر هذه النتوءات قنوات سمعية منقرضة تُذكر بذلك الوقت عندما كان هذا الحيوان برياً. يتمتع بحاسة سمعية قوية وذلك بتمييزه لكل الموجات الصوتية التي تنتقل خلال الماء أو العظم أو اللحم إلى الأذن الداخلية.

تنمو للتخس الأطراف الأمامية وتتخذ هيئة المجاذيف ولكنها تمثل في تركيبها أذرع اللبونات الخمسة الأصابع. توجد على الظهر زعنفة واحدة مقوسة إلى الوراء ويتكون الذنب من شعبتين مستعرضتين. أكدت الدراسات التشريحية والبقايا المتحجرة للدلافين والحوت انتماءهما لأسلاف ثديية، كانت تعيش فوق سطح الأرض ومررت بطور شبيه بعجل البحر قبل أن تصبح حيوانات مائية بحتة.

للتخوس أو الدلافين قصص عديدة تذكر أنها حيوانات أليفة ويرجع تاريخها إلى أيام اليونانيين والرومان القدامى، وهناك العديد من العملات وقطع النحت من ذلك العهد تصور صبياً يمتطي ظهر تخس. وقد اعتبرت هذه القصص حتى عهد قريب ضرباً من الأساطير بيد أنه في عام 1956 تكرر وقوعها ثانية على ساحل البحر قرب مدينة أوبونيني (Oponini) في نيوزيلاندا.

يحدث قبل التزاوج بين الذكور والإناث تلاطف طويل (رقص) في الماء ويولد صغير واحد بعد عشرة أشهر. يتنفس الصغير الهواء منذ لحظة ولادته ويتم ذلك بدفع الأم وليدها إلى سطح الماء حتى تتأكد تماماً من قيامه بالتنفس والسباحة. ومن المحتمل أن تكون قصص إنقاذ الدلافين للغرقى بدفعهم فوق الماء صحيحة وأن يكون هذا المسك نتيجة لغريزة الأمومة التي تتمتع بها إناث التخس. تُعرف لفصيلة التخس عشرة أنواع تعيش في البحار المحيطة بالمغرب :



يسمى التخس الشائع علمياً دلفينوس ديلفس (Delphinus delphis) وبالفرنسية Dauphin commun أو Dauphin des anciens وبالإنجليزية Common dolphin



Grampus griseus والتخس ريسو يسمى علمياً وبالفرنسية Dauphin de Risso وبالإنجليزية Risso's dolphin وبالإسبانية Grampo. يبلغ طوله عند الولادة 1.5 متر وعند البالغ أربعة أمتار. رأسه بدون متك ويحمل الفك الأسفل 14.6 سناً مخروطية الشكل وغير حادة. الفك العلوي خال من الأسنان ونادراً ما توجد به 4.2 أسنان. الزعنفة الصدرية طويلة (50-60 سم). الجسم رمادي مصفر داكن جهة الظهر ورمادي مبيض جهة البطن.

يوجد في جميع البحار الدافئة المياه ونادراً في البحر المتوسط. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد (5-10 فرداً) وغالباً ما يقفز عاليًا خارج المياه ويتلاعب مع الأمواج ومع البواخر. تتعدى سرعة سباحته أحياناً 25 كلم في الساعة.

التخس المرشد يُدعى علمياً Globicephala Meleana وبالفرنسية Dauphin pilote أو Globicéphale وبالإنجليزية Pilot whale وبالإسبانية Calderon comun. يعد من أكبر التخس طولاً وحجماً بعد الأركة. جسمه أسود داكن تتخلله بقعة بيضاء على شكل مرسة ممتدة من العنق إلى مؤخرة البطن. الرأس ضخم ودائري يتقدمه متك صغير يحمل كل فك منه 14-26 سناً مخروطية الشكل.

إنه حيوان اجتماعي يعيش في معظم بحار العالم ويتنقل وسط مجموعات تتكون من 10 إلى 100 فرد وأحياناً يعيش مزدوجاً. يسبح عادة ببطئ (5 كلم في الساعة) ولا تتعدى سرعة سباحته 35 كلم في الساعة. يغطس في أعماق تتعدى أحياناً 600 متر.

يبلغ طوله عند الولادة 1.5-2 متر وطول البالغ يفوق 8 أمتار أحياناً. وتعتبر الإناث أقل طولاً من الذكور. تزن الذكور البالغة من الطول 4.5 متر 400 كلف. يتوالد غالباً في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل 16 شهراً وتفظم الصغار عن الرضاعة بعد 20 شهراً. يتوالد مرة كل ثلاث سنوات ويعمر 20 عاماً. متواجد بكثرة قرب مضيق جبل طارق ونادر في جنوب المغرب.

التخس فوصينا فوصينا (Phocena phocoena) يسمى بالفرنسية Marsouin وبالإنجليزية Harbour porpoise وبالإسبانية Marsopa. يسمى في المعاجم خنزير البحر وفي المغرب الدنفيل الصغير. لا يتعدى طوله 1.80 متراً في البحر الأسود والبحر المتوسط ومترين في المحيط الأطلنطي. يتراوح وزنه ما بين 45 و65 كلف. رأسه صغير ومستدير. المتك قصير جدا وغير واضح. يحمل كل فك 38-52 سناً صغيرة غير حادة. الزعنفة الظهرية مثلثة الشكل وصغيرة. الظهر والجوانب بنية سوداء والبطن أبيض.

يعيش منفرداً أو وسط مجموعات صغيرة لا تتعدى 10 أفراد. لا يقفز خارج الماء إلا نادراً ويسبح ببطئ غير بعيد عن السواحل ولا يقترب من البواخر. يصير بالغاً بعد 4.3 سنوات ويتوالد في أيام الصيف. تدوم مدة الحمل 11.9 شهراً وتمتد مدة الرضاعة 4 أشهر. تزن الصغار أثناء الولادة

وبالإسبانية Delfin comun. يتراوح طوله عند الولادة ما بين 0.8 و0.95 متر وعند البالغ ما بين 1.6 و2.8 متر. يبلغ وزنه ما بين 110.75 كلف. مُتْكه طويل ومنعزل عن الجبين. يحتوي كل فك على 130.80 سناً صغيرة مخروطية الشكل وحادة. جسمه مغزلي، ظهره وزعانفه بنية سوداء داكنة. الجوانب مخططة بالأصفر والرمادي، البطن أبيض والعينان محفوفتان بالسواد.

إنه حيوان شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي المياه الأطلنطية الدافئة. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد يتراوح عددها ما بين 10 و50 فرداً وأحياناً تفوق 10 فرد. غوصاته وجيزة لا تتعدى 70 متراً من العمق. يسبح غير بعيد عن سطح البحر وكثيراً ما يقفز عاليًا خارجاً الماء. يعيش أحياناً منفرداً أو مزدوجاً وكثيراً ما يقترب من البواخر ويتلاعب معها مدة طويلة. يغد من أسرع الحيوانات سباحة وتصل سرعته أحياناً 50 كلم في الساعة. يعيش بالقرب من السواحل ويدخل أحياناً في البحيرات وبعض الأنهار ولا يتعد عن المياه المالحة. حياته الاجتماعية منظمة جداً.

تضع الأنثى صغيراً واحداً كل سنة خلال فصل الصيف في أغلب الأحيان. تدوم هذه المدة عشرة أشهر ومدة الرضاعة أربعة أشهر. يصير بالغاً بعد سنتين حيث يتعدى طوله 1.5 متر ويعمر ما بين 25 و30 سنة. يتكون قوته من سمك السردين والأنشوفة والاختبوط وغيرها من الأسماك والقشريات والرخويات الأقيانوسية والحبارة.

تحدثت عن التخس معظم الحضارات القديمة وخاصة منها الإغريقية التي وصفته بالحيوان الأقرب ذكاءً من ذكاء الانسان. ويرجع هذا التاريخ إلى سنة 2000 ق. م.

يدعى التخس المخطط علمياً ستينلا سيروليوا (Dauphin bleu et blanc وبالفرنسية Stenella coeruleoalba) وبالإنجليزية Streped dolphin وبالإسبانية Delfin azul. كثير الشبه بالدلفين الشائع Delphinus delphis ويبلغ طوله عند الولادة ما بين 1.0.8 متر وعند الكبار 1.7-2.1 متر ونادراً ما يبلغ 2.7 متراً. المتك قصير ويحمل كل فك ما بين 72 و90 سناً مخروطية الشكل وحادة. الزعانف الصدرية حادة ومنحنية إلى الخلف. الجوانب مخططة بالأبيض والأزرق. الظهر رمادي أزرق داكن والبطن أبيض. شائع في المياه الدافئة لكل من البحر المتوسط والمحيطين الأطلنطي والهادي. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد (أكثر من 50 فرداً في فصل الصيف) ويفضل العيش في أعالي البحار. تبلغ سرعة سباحته أحياناً 50 كلم في الساعة. يصير بالغاً بعد خمس سنوات ويحتمل تولده كل ثلاث سنوات وتدوم مدة الحمل 21 شهراً. تولد الصغار غالباً في شهر شتنبر وتنقطع عن الرضاعة بعد سنة كاملة. يعمر 20 سنة ويتغذى من الأسماك والرخويات والحبارة. يُصادف أحياناً في شباك سمك التون وقد كان يُصاد قديماً لأكل لحومه.

دجنير من سنة 1990 وفي سنة 1993 من شهر أكتوبر لاحظت وجود قطع في نفس المكان يتكون من 10 أفراد. الرأس دائري والجبين ضخم وواضح. المتك طويل والزعنفة الظهرية مثلثة قائمة. الظهر رمادي والبطن أبيض. لا يتعدى طوله 2.10 متراً يتغذى من الأسماك ومن الرخويات والحبارة.

يوجد في كل من الكاميرون وأنكولا ونيجيريا وغينيا وكامبيا والسنيغال وموريتانيا.

نوعان من الأركة Orcinus orca وPseudorca crassidens (أنظر أركة).

W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et mer noire*, 2. *Vertébrés fiches FAO d'identification des espèces*, 1987, 1529 p. ; A. Bayed & P.C. Beaubrun, *Les mammifères marins du Maroc : Inventaire préliminaire, Mammalia*, 1987, 51 (3) : 437 - 446 ; P.C. Beaubrun, *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Sousa teuszii* (kukenthal, 1892), *Mammalia*, 1990, 54 (1) : 162 - 164 ; J. Maigret, *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii* (Cetacea, Delphinidae) de la côte ouest africaine, *Bull. IFAN*, 1980, (A) : 619 - 633 ; N. Valée, *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972, 273 p.

محمد رضاني

**التخطيط**، من الخط وهو أصلاً كتابة، قال تعالى "ولا

تخطه بيمينك" (العنكبوت، آية 48)، والتخطيط رسم من الرسوم الهندسية، يقال اختط داره لمن جعل لها حدوداً فتعرف.

والتخطيط في المجتمع العصري برنامج للعمل موضوع وتوقع لنتائجه بكل أوجه الاستدلال والاحتمال وهو ما يعيننا هنا، وإن سيطرة التخطيط في سياسة الدول لها أسباب بعيدة وأخرى قريبة، فمن الأسباب البعيدة ازدهار التجارة والصناعة في العصر الحديث وانشغال الانسان بالمنافع المادية والمشاريع المربحة لدرجة جعلته شيئاً فشيئاً يقيس الأمور لا بأصولها يعني بسوابقها ولكن بمردوديتها يعني بالمرتقب منها، ولما توطدت أسباب الثورة الصناعية ابتداءً من القرن التاسع عشر اشتدت حاجة رجال الأعمال إلى وضع البرامج المدققة لأعمالهم فحاولوا ترجيح أسباب الربح على أسباب الخسارة وأنبثق عن حركة التصنيع نظريتان : أولاها، وهي النظرية الليبرالية ترى أن لا دخل للدولة في أمور الصناعة والمبادلات على اعتبار أن مجموع المبادرات الحرة الرامية إلى المنفعة الخاصة كفيلة بأن تؤدي إلى المصلحة العامة وأن تخطيط كل امرئ لمصلحته هو تخطيط ضمني للمصلحة الجماعية، أما النظرية الثانية، وهي النظرية الاشتراكية، فإنها كانت ترى أن النهوض بالكتلة الاجتماعية على ثقلها أخطر شأناً من أن يترك للأثنية الفردية وأن لا بد للجهز الحكومي من التدخل في شؤون الاقتصاد ومن التخطيط لمستقبل الأمة بإحصاء خيراتها ومقدراتها واستثمارها في الغايات المنشودة على مراحل وبناء على الأسبقيات، ولذلك ما أن أقيمت أول دولة اشتراكية في روسيا سنة 1917 حتى صار التخطيط ركناً من أركانها، ولقد مكنتها من قطع مراحل هائلة في التصنيع والنمو في وقت وجيز، مما أثار انتباه العديد من

8.6 كلف ويبلغ طولها 90.70 سنتمراً. يعمر خنزير البحر سنة على الأقل ويتكون قوته من الأسماك والقشريات والرخويات والحبار. إنه حيوان نادر في السواحل المتوسطية وشائع في المحيط الأطلنطي. تتراوح مدة غطساته ما بين 3 و6 دقائق ويسبح غير بعيد عن سطح البحر.

التخس الكبير أو النفاخ والتخس أنف القنينة كما يسميه علماء الحيوان، يدعى علمياً *Tursiops truncatus* وبالفرنسية *Souffleur* أو *Grand dauphin* وبالإنجليزية *Bottlenosed dolphin* وبالإسبانية *Delfin mular*. متكه قصير وواضح، رأسه ضخم وقوي. يحمل كل فك 52.40 سنا مخروطية الشكل وحادة. الزعنفة الصدرية قصيرة، الزعنفة الظهرية كبيرة ومستقيمة. الظهر رمادي داكن والجوانب رمادية بيضاء والبطن أبيض. يبلغ طوله عن الولادة متراً واحداً ويتراوح طول الكبار ما بين 2.5 و3.5 أمتار بالنسبة للذكور و3.2.2.3 بالنسبة للإناث.

يعد من التخس الأكثر وجوداً في البحار المحيطة بالمغرب وشائع أيضاً في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي سائر البحار الدافئة. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد (8.5). وكثيراً ما يدخل في البحيرات وخاصة منها بحيرة الداخلة وبحيرة الناظور. لوحظت عدة تجنحات لهذا النوع على الشواطئ الأطلنطية المغربية. يصير بالغاً بعد خمس سنوات ويتوالد مرة كل سنتين. يعمر ما بين 25 و30 سنة ويتكون قوته اليومي من الأسماك وخاصة منها سمك البوري ومن الإربيان ومن الحبارة.

تمت تربية التخس تورسيوس ترانكاتوس وإكثاره أزيد من عشرين عاماً في أحواض كبيرة بمعهد الأحياء المائية بفلوريدا وأوضحت الدراسات الخاصة بسلوك هذه الحيوانات أنها تتمتع بذكاء لا يقل عن مثيله للكلاب وهي تحب اللعب بكرة أو اطار من المطاط ويبدو أنها تستمتع بمداعبة الكائنات الأخرى في أحواض التربية كالأسمك الكبيرة والسلاحف دون أن تصيبها بأي ضرر. كما أنها تتعلم بسرعة الخدع كالقفز خارج الماء لإلتقاط ألسمك من يد الحارس. يمكنها التفاهم مع بعضها بمجموعة متباينة من الأصوات كالصفير والعواء، كما يمكنها تحديد أماكن الأشياء تحت الماء نتيجة لإتبعات نبضات فوق صوتية والسمع إلى صداها مثلما يحدث للخفافيش أثناء طيرانها في الهواء تساعد هذه الوسيلة التخس من تجنب العوائق وعلى اصطيد الأسماك يمكنها بواسطة صدى الصوت تجنب شبك الصيد، خاصة إذا كانت ثقوبها صغيرة. لقد اقترح تدريبها أثناء الحروب لتحديد أماكن غواصات العدو وقامت بحرية الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة هذه الإمكانيات.

تخس توزي يدعى علمياً *Sousa teuszii* من عشيرة *Stenidae* يعيش في مصبات أنهار أفريقيا الغربية ولا يتعدى توزيعه الجغرافي شمالاً بحيرة الداخلة. وقد لوحظ وجوده في الداخلة لأول مرة من طرف Beaubrun في شهر

رجال الاقتصاد ومن السياسيين إلى مجاعة التخطيط الشامل حتى في البلدان الملتزمة بالنظرية الليبرالية التي اهتزت اقتصادياتها أيما اهتزاز من جراء الحربين العالميتين ومن جراء الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة 1929، ولذلك فإن الأسباب القريبة للعمل بالتخطيط تعود إلى حاجة الاقتصاد العالمي غداة الحرب العالمية الثانية إلى بناء صرحه من جديد فوضعت الولايات المتحدة لتلك الغاية مخططا يعرف بمخطط مارشال وكان عبارة عن تخطيط لإخراج بلدان أوروبا الغربية مما أصابها من الدمار، وتبنت الحكومة الفرنسية بعد 1945 مما كان لأحزاب اليسار الاشتراكي والشيوعي فيها من النفوذ سياسة التخطيط لإصلاح جهاز إنتاجها على اعتبار أن التخطيط تقنية من تقنيات الاقتصاد السياسي ولا سبيل لأي دولة بأن تغض الطرف عنه مهما كان من اختياراتها الإيديولوجية إذا كانت هذه الدولة تسعى في النهوض بمجتمعها وبأحوال رعاياها.

ولما كانت فرنسا آنذاك مازالت تحتل المغرب فإنها أدخلته في نطاق تخطيطاتها الأولى ضمن ما كانت تسميه "بالاتحاد الفرنسي" فصار المسؤولون الفرنسيون عن الحماية وأرباب المقاولات الاستعمارية يُخططون لتجهيز المغرب واستثمار خيراته على ضوء ما كانوا يترقبون من مردودية استغلالها فوضعوا تخطيطاً رباعياً أولاً فيما بين 1949 و1952 وأردفوه بأخر رباعي أيضاً فيما بين 1954 و1957، لكن هذا التخطيط الثاني سرعان ما تغيرت ظروفه العامة بسبب حصول المغرب على استقلاله في شهر نونبر 1955 فتغيرت النظرة إلى التخطيط وانصرفت الدولة المغربية المستقلة إلى أسبقيات أخرى كان من فحواها بناء صرح السيادة الوطنية المسترجعة بالتخلص من أسباب النفوذ الاستعماري مما جعلها تدرك من توها أن لا سبيل للانعقاد ولفتح سبيل الرقي والتقدم أمام الجماهير المغربية بدون تدخل الدولة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ورصد الأموال لذلك شأنها في ذلك شأن الدول النامية كلها التي لا معول في الاستثمار فيها على الرأسمال الوطني الخاص لنذرتة وهزاله، ولذلك صدر ظهير 25 يونيو 1957 القاضي بإحداث المجلس الأعلى للتخطيط وإقرار مبدأ التخطيط في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بناء على ما يتقرر من اختيارات اللجان المتخصصة التي يتفرع إليها المجلس المذكور وهي لجان الفلاحة والإعداد القروي والحضري ثم الصناعة التقليدية والمبادلات التجارية والاقتصاد والتعليم والتربية والتجهيز الإداري والمياه والصناعة والمعادن والشغل والبريد والطب والصحة والسياحة والنقل والمواصلات، ومنذ ذلك التاريخ والحكومات المغربية لا تشكل أو لا تعدل إلا ويكون من أهم الوزارات فيها وزارة التخطيط تارة بشكل مستقل عن غيرها وتارة أخرى كوزارة أو كتابة في الدولة ملحقة بالوزارة الأولى أو بوزارة الاقتصاد.. وكان من وظائف هذه الوزارة إعداد التخطيط وعرضه على المجلس المختص ثم

على البرلمان والسهر بعد ذلك على مراحل التنفيذ، ولا أدل على أهمية التخطيط في سياسة الدولة المغربية من جعل الدستور باباً خاصاً بالمجلس الأعلى للإنتعاش الوطني والتخطيط تنص على تأسيسه وعلى رئاسة الملك لجلساته ودراسته لمشاريع التخطيط قبل عرضها على أنظار البرلمان (فصول 90 إلى 93 من دستور 1962). كما نص ظهير 30 شتنبر 1976 المتعلق بالتنظيم الجماعي على أن "وضع مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة طبقاً للاتجاهات والأهداف المقررة في المخطط الوطني" من المهام الأساسية للجماعة المحلية، وتعززت مشاركة الأقاليم في التخطيط بإحداث الجهات الاقتصادية الكبرى سنة 1979 بقصد أن تكون حلقة وصل وسطى بين الرؤيا الشمولية للتخطيط التي هي من اختصاص الدولة المركزية والرؤيا المحلية الضيقة التي لا تتجاوز حدود القرية أو المقاطعة الحضرية.

وهكذا وضعت منذ 1958 وحتى سنة 1992 ثمانية تخطيطات، أولها كان ثنائياً على مدى سنتي 1958 و1959، وكان مخططاً مرحلياً للانتقال من عهد الحماية إلى عهد الاستقلال، والثاني كان خماسياً فيما بين 1960 و1964، وكان هو أول تخطيط مغربي لا من حيث ما تبني من الأسبقيات ولا من حيث ما رصد للمشاريع المقررة من وسائل الإنجاز. وكان التخطيط الثالث ثلاثياً فيما بين 1965 و1967، والرابع خماسياً فيما بين 1968 و1972، والخامس خماسياً أيضاً فيما بين 1973 و1977، والسادس ثلاثياً فيما بين 1978 و1980، والسابع خماسياً فيما بين 1981 و1985، والثامن خماسياً فيما بين 1988 و1992. ولكن بغض النظر عن الحقب الزمنية المتفاوتة تارة والمناسبة تارة أخرى لهذه التخطيطات وبغض النظر أيضاً عن التقلبات الظرفية التي واكبتها على مدى أربع وثلاثين سنة والاختلافات النسبية في الأسبقيات التي ترتبت على ذلك، فإن الفلسفة العامة للتخطيط المغربي والتوجهات البنوية في المدى البعيد والأهداف الأساسية ظلت ثابتة مسترسلة على الاجمال، وذلك لأن المغرب المستقل اختار منذ اللحظات الأولى من استقلاله أن يسير على النهج الليبرالي في الحكم والاقتصاد بحيث لم يكن التخطيط لديه أداة من أدوات الاستبداد المطلق على غرار ما جرى في البلدان الاشتراكية ولكنه كان أداة من أدوات التحرر من الهيمنة الاستعمارية ووسيلة للوقوف على مقدرات المغرب بالإحصاء الدقيق والبحث عن الأموال الضرورية للاستثمار، إما في الداخل من الرسمال الوطني الخاص والعام كلما أمكن ذلك، وإما في الخارج من الرسمال الأجنبي شريطة أن لا يمس ذلك بالسيادة الوطنية بحيث يعتبر التخطيط المغربي حلاً وسطاً بين البيروقراطية المحصورة الآفاق التي آلت في الختام إلى انهيار المعسكر الاشتراكي عند حلول التسعينات وبين الليبرالية المطلقة التي لا تتحملها البنيت الهشة للمجتمع المغربي، وهذا الأسلوب المرن من التخطيط

السياسة قائمة الذات في جميع مخططات التنمية المتعاقبة. وهكذا تم وضع أسس قانونية صريحة لها عن طريق :  
- المرسوم الملكي رقم 66.180 المؤسس لهيئة السّكان العليا (في 26 غشت 1966).  
- التوقيع الملكي على عريضة رؤساء الدول والحكومات بالأمم المتحدة الخاصة بالسّكان سنة 1967.  
- إصدار المرسوم الملكي رقم 66.181 بتاريخ يوليوز 1967 المغير لظهير 10 يوليوز 1939 والذي يقرّ الترخيص بإشهار موانع الحمل وبالإجهاض الطبي لإنقاذ حياة الأم وبيع أدوية موانع الحمل. كما تم تأسيس الجمعية المغربية لتنظيم الأسرة سنة 1971 وكذا قسم السّكان سنة 1972 التابع لوزارة الصحة العمومية والذي يضمّ المصلحة المركزية لتنظيم الأسرة.

تعرف الوسيلة		تعرف المصدر		استعملت		تستعمل حالياً	
ن.ج.ن	ن.م.ن	ن.ج.ن	ن.م.ن	ن.ج.ن	ن.م.ن	ن.ج.ن	ن.م.ن
97.3	99.0	57.1	93.9	38.9	66.2	22.9	41.5
97.3	98.9	57.1	93.8	36.8	62.7	19.7	35.5
97.0	98.8	56.2	92.4	34.9	95.5	15.5	28.1
83.9	87.3	45.1	73.8	5.5	9.4	1.8	3.2
54.8	62.3	23.8	39.2	1.0	1.6	0.1	0.1
28.1	31.4	14.2	23.8	1.2	2.1	0.1	0.2
64.5	71.8	35.7	58.8	3.2	5.6	0.5	0.9
79.8	84.8	42.5	69.9	1.7	3.0	1.6	3.0
7.6	6.8	2.0	3.3	0.0	0.1	0.0	0.0
63.9	73.1	18.6	30.5	10.0	17.1	3.3	6.0
55.3	61.1	18.6	30.5	5.5	9.4	1.7	3.0
41.1	53.5	0.0	0.0	5.0	8.7	1.5	2.6
10.4	14.3	0.0	0.0	1.4	2.3	0.2	0.3
9256	5118	9256	5118	9256	5118	9256	5118

وسائل منع الحمل واستعمالها

(ج.ن. : جميع النساء : ن.م. : نساء متزوجات)

وقد أعطت هذه السياسة نتائج إيجابية تتمثل في عدّة مؤشرات. بحيث تطوّر الاستعمال الحالي لموانع الحمل من 19٪ من مجموع النساء في سن الخصوبة سنة 1970 إلى 41.5٪ منها سنة 1979 وإلى 41.5٪ سنة 1992، مما أدى إلى انخفاض المعدل الإجمالي للخصوبة من 7.10 أطفال للمرأة الواحدة في أواخر الستينات إلى 4.15 سنة 1992. وتجدر الإشارة أولاً إلى أن البرنامج المعروف "بالزيارة إلى مقرّ السّكنى للتخفيف المنهجي" قد لعب دوراً كبيراً في هذا الاتجاه. حيث انطلق في البداية (سنة 1977) بمثابة عملية نموذجية في إقليم مراكش، قبل أن يشمل باقي العمالات والأقاليم. واستفادت منه بالخصوص المناطق القروية والنائية والتي شملتها التغطية لأول مرة فيما يخص التخطيط العائلي.

كما تمّ تكوين الأطر اللازمة مواكبة لسير البرنامج. إذ استفادت من هذا التكوين مختلف الهيئات المهنية التابعة

يوحي بما للدولة المغربية من الإحساس المرهف بمسؤولياتها، فهي تتدخل حيث لا سبيل لأي جهة أخرى أن تتدخل مكانها مثل جرد الخيرات ووضع الأسبقيات وتدعيم البنيات التحتية كبناء السدود وتشبيد الطرق ومد أسباب التواصل والسهر على صحة الجماهير وتهذيبها وإعداد السكنى لها، وتترك للمبادرة الشخصية حرية استثمار أموالها حيثما أرادت من مختلف قطاعات الإنتاج حتى ولو وظفت أموالها في غير الأسبقيات على أمل أن يساعد ذلك على إقامة الرسمال الوطني وتقويته.

وبناء على هذه المرونة في التخطيط وجدت الدولة المغربية نفسها في تمام الانسجام مع التيارات الاقتصادية التي هيمنت منذ مطلع الثمانينات والرامية إلى نبذ كل تدخل من قبل الجهاز الحكومي وإلى ترك مطلق المبادرة في الاستثمار للخواص، ولم يجد المغرب أدنى معاناة في التفاهم مع الهيئات المالية الدولية ولا مع كبريات الأبنك العالمية التي أمدته من القروض الضرورية لتمويل مشاريعه الأساسية ومنحته كل التسهيلات لاستهلاكها وأداء فوائدها مدركة مع ذلك أن وقت تخلي الدولة المغربية عن التدخل والتخطيط على الإطلاق لم يحن بعد وإن كان الرسمال الوطني قد اشتد صلبه شيئاً ما وانتعش في التسعينات بالنظر إلى ما كان عليه، ولكنه مازال في حاجة إلى أن تأخذ الدولة بيده وتدعم مقاولاته بأن توفر له أدق الإحصاءات وتوجهه إلى ما فيه ضمان للربح له وفائدة للمجتمع.

ونظراً لما أصبحت تتوفر عليه إدارة التخطيط من الكفاءات والخبرات العليا فإن آلة التقييم والإحصاء ارتفع مستواها كمّاً وعدداً وتقلص التفاوت بين التوقعات والمنجزات، إلا في السنوات التي يكون فيها المناخ غير مناسب على غرار ما حصل وسط الثمانينات من جراء الجفاف، وآخر تخطيطات الدولة لسنوات 1988. 1992 يثبت مدى استعدادها للتخلي عن أهم المقاولات للخواص كلما كان هؤلاء بأموالهم وحيويتهم في مستوى مسؤولية الإنجاز والإنتاج. وفي هذا الاتجاه تحولت وزارة التخطيط السابقة إلى وزارة التنشيط الاقتصادي في الحكومة المغربية المشكلة في خريف 1993.

مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، نشر مديرية التخطيط،

1960. 1964 : 1965. 1967 : 1968. 1972 : 1973. 1977. 1978 :

1980 : 1981. 1985 : 1988. 1992 : فتح الله وعلو، الاقتصاد

السياسي، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1974.

Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française, Réalisation 1947 - 1951 et Programmes 1952, Paris, 1952, Commissariat général du plan ; Aziz Belal, L'investissement au Maroc, Paris - La Haye, 1968 ; A. Cherkaoui, Indicateurs socio-économiques du Maroc, Casablanca, [s.d].

إبراهيم بوطالب

**التخطيط العائلي**، أو تنظيم الأسرة، سياسة لعبت بالمغرب خلال العقود الثلاثة السالفة دوراً أساسياً في مجال حماية صحة الأم والطفل معاً، فمنذ سنة 1966 أصبحت هذه

الملاحظات	العدد	المجموع	لا تستعمل حالياً	وسائل تقليدية				وسائل عصرية				عليه الأقل واحدة	عليه الأقل واحدة	
				أخرى	العزل	العزوف	عليه الأقل واحد	عازل	البيدات	حقن	لرب			أقراص
فترة السن	15 - 19	253	100.0	76.7	0.0	0.4	0.8	1.2	0.0	0.0	0.0	0.0	22.1	23.3
	20 - 24	677	100.0	64.8	0.3	1.0	1.8	3.1	0.0	0.9	0.1	1.8	32.1	35.2
	25 - 29	883	100.0	60.5	0.0	1.8	2.4	4.2	0.2	0.7	0.1	2.6	35.3	39.5
	30 - 34	1098	100.0	54.6	0.1	3.2	3.4	6.6	0.1	1.1	0.1	3.9	38.8	45.4
	35 - 39	1009	100.0	52.2	0.3	3.2	4.9	8.3	0.6	1.4	0.5	4.5	39.4	47.8
	40 - 44	645	100.0	53.0	0.5	4.0	3.3	7.8	1.9	7.8	0.6	4.2	39.2	47.0
	45 - 49	553	100.0	64.9	1.3	3.3	2.2	6.7	0.7	7.6	0.0	2.0	28.4	35.1
محل الإقامة	وسط حضري	2222	100.0	45.5	0.4	3.1	5.3	8.7	4.3	1.6	0.5	5.7	45.8	54.5
	وسط ريفي	2896	100.0	68.4	0.3	2.3	1.3	3.9	1.9	0.4	0.0	1.3	27.7	31.6
الجهات	الشمال الغربي	1052	100.0	56.4	0.5	6.4	5.1	12.0	3.1	1.2	0.3	3.9	31.7	43.6
	الشمال الوسط	640	100.0	66.4	0.3	2.0	4.1	6.4	1.7	0.3	0.0	2.5	27.2	33.6
	الوسط	1463	100.0	53.0	0.3	1.4	2.7	4.4	4.1	1.0	0.4	3.5	42.6	47.0
	الشرق	320	100.0	51.6	0.3	0.3	3.8	4.4	1.6	1.9	0.6	2.5	44.1	48.4
	الجنوب الوسط	417	100.0	54.0	0.5	1.0	2.2	3.6	2.6	0.7	0.2	1.3	42.4	46.0
	تانسيفت	578	100.0	56.9	0.0	2.1	0.9	2.9	2.6	0.7	0.0	0.2	4.0	43.1
	الجنوب	648	100.0	74.2	0.2	2.8	1.4	4.3	2.5	0.6	0.0	2.0	21.5	25.8
المستوى الثقافي	بدون	3932	100.0	64.3	0.4	2.4	1.5	4.3	2.8	0.6	0.1	2.2	31.4	35.7
	ابتدائي	644	100.0	43.0	0.0	3.9	5.6	9.5	4.7	1.2	0.6	5.0	47.5	57.0
	ثانوي	542	100.0	35.1	0.0	2.8	10.9	13.7	1.8	2.6	0.7	8.3	51.3	64.9
عدد الأطفال الأحياء	0	591	100.0	94.4	0.0	0.3	1.7	2.0	0.0	0.2	0.0	0.2	3.6	5.6
	1	693	100.0	60.9	0.1	1.2	3.3	4.6	0.0	1.0	0.3	2.3	34.5	39.1
	2	716	100.0	53.1	0.1	1.5	3.1	4.7	0.4	0.8	0.4	3.8	42.2	46.9
	3	676	100.0	50.1	0.4	2.5	4.3	7.2	1.6	2.1	0.1	4.4	42.6	49.9
	+ 4	2442	100.0	53.0	0.5	4.0	2.9	7.3	5.6	0.7	0.2	3.7	39.7	47.0
	المجموع	5118	100.0	58.5	0.3	2.6	3.0	6.0	3.0	0.9	0.2	0.1	3.2	41.5

#### الوسائل الحالية لمنع الحمل حسب الخصائص الاجتماعية والديمغرافية

**تُدَّة (ابن)**، أسرة تطوانية يقول عنها كاخيجاس (Cagigas) إنها نفس أسرة ابن تودة، غير أنه عندما ساءت سمعة هذه الأسرة النبيلة بسبب وقوف بعض رجالها بجانب السلطان محمد المتوكل السعدي وموت هذا الأخير غريقاً بوادي المخازن بجانب الملك البرتغالي اضطر أفراد الأسرة الذين ظلوا بالمغرب إلى تغيير اسم أسرتهم فاتخذوا اسم ابن تدة، ولا زالت هذه الأسرة بتطوان يتعاطى أفرادها التجارة.

Delegacion Asuntos Indigenas, Familias ; Cagigas, Familias / ; Ibn Azzuz Hakim, Apellidos I.

محمد ابن عزوز حكيم

**التدوج**، طائر أرقش شبيه بالحجل جميل المنظر والصوت، لذيق الطعم. ينتمي إلى فصيلة التدرجيات فازياندي (Phasianidae) ورتبة الدجاجيات كالففورم (Galliformes) الذي تشمل الدجاج والتدرج والغرغر والطاووس والديك ويدعى علمياً Phasianus ويشمل هذا

لوزارة الصحة العاملة بمصالح تنظيم الأسرة، وصحة الأم والطفل وخاصة منها تلك العاملة بالوحدات المتنقلة. وفي هذا الصدد، وضع سنة 1982 رهن إشارة العاملين في هذا البرنامج دليل حول تنظيم الأسرة وصحة الأم والطفل، والذي تم تعديله وتتميمه سنتي 1985 و1987.

وعلى واجهة أخرى، وبالضبط في سنة 1982، فتح "المركز الوطني للتكوين في التزايد السكاني" أبوابه وكان له الأثر الكبير على تحسين وتعميق التكوين في مجال التخطيط العائلي. إذ منذ 1983 (سنة بعد انطلاقه) أدخلت التقنية الكوليوسكوبية فيما يخص "برنامج منع الحمل الجراحي الإرادي".

بصفة عامة، يتطلب تحسين نوعية الخدمات المقدمة في مجال التخطيط العائلي الزيادة في مهارات وقدرات رجال الصحة، وهذا ما يفسر تعاقب سلسلة المناظرات والدراسات الميدانية في هذا الشأن.

مصدر وسائل منع الحمل العصرية.

Ministère de la Santé, Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc, Rabat, 1987 - 92 ; Ministère de la Santé, Visite à domicile de motivation systémique. Rabat, 1988.

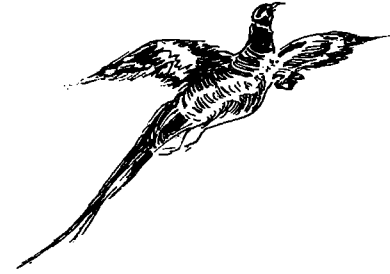
السعدية صريح

الجنس عدة أنواع موطنها الأصلي القوقاز وآسيا الجنوبية الغربية (خراسان وبلاد الفرس وبلاد الأناضول والصين).  
تذكر من بين هذه الأنواع :

تدرج امخرت (Phasianus amherstiae) وتدرج ياباني (P. versicolor) وتدرج ذهبي (P. oratus) وتدرج فضي (P. silver) وتدرج مطوق (P. torquatus) وتدرج معروف أو تدرج الصيد (P. colchicus) وهو النوع الذي تأقلم في أوروبا منذ العصور الوسطى ثم أُدخل إلى المغرب ويعد حالياً من الطرائد المهمة في ميدان الصيد. يقال له بالفارسية "تدرو" والتدرج المعربة مشتقة من هذه اللفظة. يدعى بالإنجليزية Pheasant وبالفرنسية Faisan de chasse وFaisan de colchide.

يختلف الزوجان كثيراً في الحجم وفي ألوان الريش. يسمى الزوج الديك ويبلغ طوله 87.75 سم ويزن 1.2-1.6 كغ، ريشه مختلف الألوان، لامع يجلب الأنظار بجماله، لون رأسه وعنقه أخضر معدني لامع، تعلق رأسه خصلتان من الريش الأخضر وتحف عينيه من الأسفل نتوءات لحمية حمراء. ظهره أشقر ضارب إلى الصهبة، الجناحان بنيت شقراء ريشها محفوف بالبنفسجي المسود، الذيل طويل وحاد في مؤخرته لونه أشقر رمادي مخطط بالأسود.

يبلغ طول الأنثى ما بين 53-63 سم ولا يتعدى وزنها 1200 غ. ريشها رمادي مصفر مزركش بالسواد وبالبنفي. وأكثر الإنسان من تزواج تدرج الصيد مع الأنواع الأخرى من نفس جنسه فأدى ذلك إلى تنوع كبير في الألوان.



يحسن هذا الطير المشي ويجري بسرعة فائقة ويتميز عن باقي الطيور بطيرانه العمودي. الديك متعدد الزوجات في الغالب وفي حالة وجود ديكين آخرين وسط المجموعة يشتد الصراع بينهما فيتقابلان وجهاً لوجه وينفخان ريش العجز ويتبادلان ضربات المناقر، يرفعان الرأس تارة ويخفضانه تارة أخرى وينفرد الفائز بالإناث.

يتوالد خلال شهر أبريل وشهر ماي وتختار الزوجة العش على الأرض وسط الغابات والأماكن المتشجرة الغنية بالأعشاب وبين القصب وفي المزارع أحياناً. يتكون العش من أوراق الشجر والأعشاب اليابسة تضع فيه الأنثى من 7 إلى 16 بيضة بنية مخضرة يبلغ طولها 35.9 x 36 سم. تدوم

مدة الحضانة 23-27 يوماً ويغادر الفراخ العش بعد التفقيس مباشرة ويتعلمون الطيران منذ اليوم الرابع عشر من عمرهم. تقضي الصغار الليل على الأراضي مختلفة بين الأعشاب وعند بلوغها نصف حجم الآباء تنام وتستريح فوق الأشجار كما يفعل الكبار. تشبه الصغار الأمهات في لونها ولا ينمو الريش الطويل الذي يكون الذيل عند الديك إلا بعد عدة شهور.

يكثر نشاط التدرج في الصباح الباكر وفي المساء قبل غروب الشمس ويستريح أو ينام في الأوقات الأخرى. يتغذى من الحبوب من الفواكه اللحمية ومن الحشرات والديدان وأوراق النباتات الخضراء والعساقيل. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد وينعزل مع زوجاته خلال فترة التوالد.

أطلقت شركات الصيد السياحية هذا النوع في عدة مناطق لتنمية هواية الصيد في البلاد وقد وُثقت هذه المحاولة في النواحي الغابوية لكل من الرباط والقنيطرة وعرباوة والعرانث ووزان وينسلمان حيث أصبح التوالد طبيعياً. يُربى أيضاً في البوادي مع الدجاج ومتواجد في كل الحدائق الحيوانية المغربية.

يصاد التدرج عن طريق الإحاشة (en battue) إلا أن قانون الصيد في المغرب لا يرخص بذلك ويبقى صيد هذا النوع فردياً أو مزدوجاً ويتطلب هذا الصيد مجهوداً جسمانياً قوياً نظراً لكثرة اختفاء التدرج وسط الأدغال وبين الأشجار الكثيفة ولشدة حذره. يشترط في الكلاب أيضاً قوة المهارة والخبرة.

لا تتعدى نسبة الصيادين الذين يتعاطون لصيد التدرج في المغرب 10٪ من مجموع الصيادين ومعظمهم أجنبي.

أ. المعروف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.  
P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc* : 1980, Rabat, 1981 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids, Reproduction, œufs et jeunes*. Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fittler & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رضاني

**تُدغَّة** - جغرافيا - ينتمي واد تدغَّة إلى نظام حوض غريس، وينبع من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الكلسي. ويتجه عموماً من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ليتخذ اسم فريكلة قبل اتصاله بواد غريس. وهو نهر موسمي الجريان إلا في جزئه الأوسط عند تلقيه لمياه عين تزكجي وعين الشيخ سيدي محمد بن عبد الله وعين السمك المقدس. يخترق النهر في جزئه الأطلسي خوانق ضيقة وجد متعمقة ثم يتسع مجراه عند خروجه نحو المنخفض الجنوبي للأطلس.

وواحة تدغَّة منفتحة على التأثيرات الصحراوية، لذا يتميز مناخها بقلة التساقطات وعدم انتظامها وبالمدى الحراري المرتفع. وقد حتمت هذه الظروف منذ القدم التصاق السكان بالشريط الأخضر المحيط بالنهر.

عرفت الواحة تمييزاً قديماً تحدث عنه الوزان خلال القرن السادس عشر (أفريقيا، ص 432) بل أثارت كثافة السكان وتمركزها استغراب دوفوكو (ص. 222) حيث قدر عدد قصور الواحة بستين قصراً، موزعاً كالتالي : ستة وأربعون قصراً يسكنها صنهاجة أهل تدغة، وتوجد القصور في عالية النهر، وثمانية قصور تسكنها قبائل عطاوية الأصل. تزايد سكان الواحة بسرعة خلال العقود الأخيرة حيث انتقلوا من حوالي 15.600 نسمة 1936 إلى 42.157 نسمة 1982، الشيء الذي شكل ضغطاً كبيراً على الثروات الاقتصادية الضيقة، والمكونة أساساً من الفلاحة. مساحة 89٪ من الاستغلاليات لاتزيد عن هكتار واحد، ومعدل مساحة الاستغلاليات لا يتجاوز 0,2 هـ.

تعتمد الزراعة داخل الواحة على السقي التقليدي بواسطة السواقي في العالية والخطارات في السافلة. ويتم توزيع حقوق الماء بشكل جد معقد. يتمحور الإنتاج حول زراعة الحبوب الشتوية والربيعية إذا توفرت مياه السقي. بالإضافة إلى أشجار مختلفة تغطي عليها الثمر والزيوت والتين واللوز والرمان، بينما لايلعب الرعي إلا دوراً ثانوياً خصوصاً بالنسبة لسكان أهل تدغة رغم شساعة المسارح. لقد ساهم الضغط على المجال الفلاحي الضيق، وظروف الموقع على أحد المحاور الرئيسية بين تافيلالت ودرعة وبين قبائل أيت عطة وأيت يفلمان في تجمع السكان داخل مركز تينغير. حيث برزت أهميته إدارياً عندما أسست فيه قسبة الاكلاوي عام 1919، فأصبح نقطة جذب لعدة أنشطة تجارية وسياحية وحرفية، فانتقل عدد سكانه من 114 نسمة 1936 إلى 10.527 نسمة عام 1982. وقد مكن هذا الاحتكاك بالمدينة وضيق الموارد الاقتصادية من خلق تيار هجري قوي في المنطقة خاصة نحو الحارج، حيث دفعت المنطقة حتى سنة 1976 بما ينيف عن 10.824 عامل نحو الغربية، أي حوالي 36٪ من سكان الواحة، وبمعدل 2,6 عامل لكل أسرة. فأدى هذا التيار إلى خلق ديناميكية وتحولات تظهر آثارها على السكن ودخول النمط الحضري في الاستهلاك بشتى أصنافه.

حسن مرواني، حول البنية الزراعية في تدغة، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط 1979.

محمد أيت حمزة

\* \* \* \* \*  
اشتهرت تدغة بمنجم للفضة، وقد حرفت بعض النسخ اسم تدغة إلى درعة وترغية وترغة، ونجد أول إشارة إلى تدغة عند ابن خرداذبه (القرن الثالث الهجري (19 م)) في كتابه المسالك والممالك، إذ يقول : "وفي يد الحارجي الصفري درعة (تدغة في نسخة أخرى، الإحالة h - صفحة 88) وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل وفيها معدن فضة وهي مما يلي الجنوب إلى بلاد الحبشة" (المصدر، ص. 88)، ويذكر المسعودي (القرن الرابع الهجري (10 م)) تدغة بقوله : "وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الحوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة ترغية وفيها معدن كبير

من الفضة وهو مما يلي الجنوب..." (المصدر، ج 1، ص. 156).

ويخبرنا البكري (القرن الخامس الهجري (11 م)) عند الحديث عن سجلماسة، وعن معادن درعة، "فولي أبو المنتصر (174 هـ - 208 هـ) وكان جباراً عنيداً فظاً غليظاً، فظفر بمن عانده من البربر وذلمهم فأخذ خمس معادن درعة وأظهر الصفرية..." (المغرب، ص. 150).

وبناء على هذه النصوص يمكن القول إن تدغة (درعة، ترغية...) كانت مشهورة في القرنين الثاني والثالث الهجري (8-9 م)، بإنتاجها للفضة وبأنها مدينة كبيرة ومأهولة، ونلاحظ أن ذكر المدينة يأتي مقروناً بمنجم الفضة وسيادة الحوارج الصفرية عليها، أي أن موقع تدغة لن يكون خارج ما كان يعرف سابقاً بإقليم سجلماسة، موطن الصفرية.

ووجدت إلى جانب النصوص، مجموعة من الدراهم التي سكت بتدغة، يرجع أقدمها إلى سنة 164 هـ / 781م بالإضافة إلى درهمنين إدرسيين سكا على التوالي سنتي 172 هـ / 788م و174 هـ / 790م، كما عشر على دراهم سكت باسم خلف بن المضا سنوات 175 هـ / 791م و176 هـ / 792م و177 / 793م، وقد يكون خلف بن المضا قد سك الدراهم تحت إمرة الحوارج الصفرية، ونص البكري حول اليسع أبي المنتصر (174 هـ - 280 هـ / 790م - 823 م) الذي كان يأخذ مكوسا عن معادن درعة يسير في نفس سياق نصي ابن خرداذبه والمسعودي.

بناءً على دراسة ميدانية للعديد من المواقع المنجمية في منطقة ما كان يعرف سابقاً بإقليم سجلماسة (1984-1985)، يوجد موقع واحد يستجيب للأوصاف المذكورة في النصوص المكتوبة من خلال مخلفاته الأثرية ومن نتائج بعض التحليلات المختبرية، نعتقد أن منجم ومدينة تدغة يوجدان بموقع إيمضر، الذي يعتبر أكبر منجم للفضة بالمنطقة، على الطريق الرابطة بين بولمان فالرشيدية (انظر الخريطة الطبغرافية بولمان 1 / 100.000). ومنجم إيمضر للفضة يحمل اسم القرية وواد إيمضر الذي يصب في واد تدغة، ولا يستبعد أن يحمل واد إيمضر اسم تدغة في الفترة التي تعيننا. والمنجم متحف نموذجي للتقنيات المنجمية والتعدينية القديمة، إذ لا زالت موجودة عشرات الآبار والخنادق والدهاليز الباطنية، وتتناثر في الموقع الرئيسي للمنجم شظايا من الكواجل (أواني فخارية على شكل شهد عسل النحل) كانت تستعمل لتصفية معدن الفضة من الشوائب ولصنع كويرات من الفضة الخالصة، موجهة أساساً لسك النقود، بالإضافة إلى هذا نجد في الموقع مئات الرحي وقطع الزجاج والفخار والخزف والأشكورية (خبث المعدن) كما توجد مغسلة للأحجار المعدنية بالقرب من واد نتاشراكاشت، وخطارة تصل الخندق "أ" بأقا المعدن الموجود على بعد مائة متر شمال الخندق، والتي تعكس في هندسة حفرها مستوى تقنياً جيداً.

وقد تم حساب كميات الردم المعدني في الموقع الرئيسي بما يناهز المليون طن من الأحجار المعدنية التي اعتبرها المنجمون القدامى عقيمة. وتتخلل الاستغلالية المعدنية بقايا بنايات.

إن هذه المخلفات المادية تعكس نشاطا منجميا وتعدنيها هاما طوال فترة ليست بالقصيرة، بالإضافة إلى وجود تجمع سكاني، على الأقل، في الموقع الرئيسي والذي يغطي ما يقارب ستين هكتاراً.

إن كل هذه المعطيات المادية تدعونا إلى مطابقة موقع إيمضر مع المدينة القديمة تدغة، المذكورة في المصادر التاريخية، وما يعزز افتراضنا هذا، العثور على ثلاث قطع نقدية أثناء إفراغ الخندق "أ" من الردم المعدني، ويتعلق الأمر بدرهمين إدرسيين وفضة نحاسية، ونعتقد أن مركز المدينة يوجد بالجنوب الغربي من الخندق "أ". وتدلل المخلفات أن الموقع عرف نشاطات إنسانية متعددة، فقد عثر مثلاً على أشكورية تحمل نسبة هامة من الرصاص، وهذا معناه وجود عمليات صهر للفضة والرصاص لإعطاء ليونة تسهل عملية تكييف شكلها حسب رغبة الصانع.

إن هذه الدلائل المادية مجتمعة غير متوفرة - حسب معرفتنا - في أي موقع، يوجد محيط سجلماسة القديمة، فإذا عدنا إلى النصوص، نجد أن ابن خرداذبه يقول إن المدينة كانت تحت سيطرة الخوارج الصفيرية أي مدراري سجلماسة، وهذه المعلومات نجد لها استمرارية، بطريقة غير مباشرة عند البكري الذي يذكر المكوس التي وضعها يسع على مهاجم درعة (واد درة عند البكري يشمل أيضا دادس الذي يقع في محيط إيمضر) وأواخر القرن الثاني / (8 م)، لكن البكري لم يذكر تدغة، بل تحدث عن ترعة التي خلت بعمارة سجلماسة (المصدر، ص. 148)، لكن السياق التاريخي للمنطقة وسك النقود بتدغة يؤكدان أن المدينة لم تختف، اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بمدينة حقيقية أخرى تسمى ترعة أو أنه كان يقصد بكلمة "عمارتها" ازدهار سجلماسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10 م)، وهذا الافتراض الأخير له كذلك ما يبرره.

من خلال المعطيات السالفة الذكر، يمكن التأكيد أن تدغة كانت مزدهرة وأواخر القرن الثاني وفي القرن الثالث الهجري (8-9 م)، ونعتقد أن المنجم بدأ يفقد أهميته ابتداءً من القرن الرابع الهجري (10 م) وربما كان هذا سببا في إغفال البكري لذكر المنجم خصوصا وأنه كان ينقل أخباره عن التجار والمسافرين وعن كتابات القرن الرابع الهجري. وسك النقود بتدغة يبرز لنا عدة معطيات عن تاريخ المدينة، فنلاحظ مثلاً أن دار السكة بهذه المدينة أصدرت نموذجين لردهمين إدرسيين سنتي 172 هـ / 788 م و174 هـ / 790 م ثم نجد بعد ذلك إصدارات لدرهم "خارجية" من سنة 175 هـ إلى 177 هـ / 791 م - 793 م، ويمكن أن نقدم فرضية في هذا الباب، مفادها أن المدينة كانت قبل سنة 175 هـ / 791 م تحت سيطرة الأدارسة لتنتقل بعد ذلك إلى سيطرة الخوارج

الصفيرية ابتداءً من سنة 175 هـ ولا يستعبد هذا في إطار الصراع الذي كان قائما بين الأدارسة والخوارج. وفي السياق السالف الذكر، يمكن وضع ما ذكره البكري، حول يسع وسيطرته على معادن درعة وفرضه المكوس عليها وكما ذكرنا، فقد تولى السلطة سنة 174 هـ / 790 م، كما أننا لا نتوفر على دراهم إدرسية سكت بتدغة بعد 174 هـ. أما عن أسباب اختفاء مدينة تدغة فيمكن أن نقدم عدة احتمالات :

- الاحتمال الأول : أن المغرب دخل في القرن الرابع الهجري (10 م) في حركة جديدة من المبادلات مع السودان عقب توقف الخط التجاري مصر - غانا أواخر القرن الثالث الهجري (9 م) (ابن حوقل، صورة الأرض، ص. 65). وأن هذه الحركة كانت وراء اختفاء مجالات تبادل أو بروز أخرى، ولا شك أن الخط التجاري سجلماسة أودغست أحيى المجالات الاقتصادية المخترقة ومن بينها تامدولت ومنجمها للفضة، فظهر هذه المدينة ابتداءً من القرن الثالث الهجري (9 م) تحت سيطرة الأدارسة يمكن أن يفسر تدهور تدغة، فلم تعد المنجم الوحيد في المغرب الجنوبي، بل إن وجود تامدولت على الخط التجاري الذي سيأخذ أهمية خاصة في القرن الرابع الهجري، سيعطي لها فرصة تموين التجارة المغربية السودانية بالفضة.

- الاحتمال الثاني : أن النشاطات المنجمية والتعدينية اتجهت نحو الشرق من الموقع الرئيسي لإيمضر، وتشتت الاستغلاليات في جبل صاغرو - كما تدل على ذلك الصور الجوية - ساهم في تفكيك التركيز السكاني، مما أدى إلى الاختفاء التدريجي للمدينة، وقد تتزامن هذه العملية مع القرن الرابع الهجري.

- الاحتمال الثالث : أن سكان إيمضر (تدغة) استغلوا المياه الجوفية الموجودة في الخندق "أ" بواسطة خظارة نقلت الماء إلى أقال المعدن الذي يخترق مجال التجمع السكاني الموجود إلى الجنوب الغربي من الخندق "أ"، ودلت التحليلات المخبرية أن المياه الجوفية تحمل نسبة عالية من الزرنيخ، واستعمالها يؤدي حتماً إلى انقراض الحياة بصورة تدريجية.

إن القيام بحفريات منتظمة مع تحاليل مختبرية في موقع إيمضر، يمكن أن يكشف عن ماضي تدغة في تفاصيله الدقيقة، وبالتالي يمكن لهذه المعطيات الكشف عن جزء هام من تاريخ الأدارسة والخوارج الصفيرية بالمنطقة.

ابن خرداذبه، المسالك والممالك، لبيد 1889 : المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، بيروت 1983 : البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريز 1965 : الخريطة الطبوغرافية بومالين 100.000 / 1.

الموساوي العجلابي

\* تذكر كتب التاريخ أن تدغة عرفت في القرن الثاني والثالث للهجرة ازدهاراً اقتصادياً في ظل إمارات محلية حتى إن تدغة أصبح لها شأن أكثر من سجلماسة حسب



غير أنه لم يتمكن من التصرف فيها. والذي يهمنا هو أن الوزير المعطي بلعربي كتب إلى الجيلالي الدمناتي بتاريخ 9 ذي القعدة 1310 هـ في شأن تدغة كتابا على لسان السلطان الحسن الأول يأمره فيه أن يباشر الأمر معهم على مقتضى إيلافهم واستياقهم للخدمة، وأن يسوسهم بالحسنى وأسلوب الحكمة.

وبعد توقيع معاهدة الحماية واندلاع المقاومة في تافيلالت بزعامة مبارك بن حسين التوزيني وخليفته بلقاسم النكاوي أصبحت تدغة تكتسي أهمية بالغة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للقيادة العامة للأركان الفرنسية، ذلك أنها ترى في احتلال تدغة ضربة لمقاومة تافيلالت إذ يحرمها ذلك من قاعدة خلفية ويمنع هذا الاحتلال قبائل أيت عطا من المساهمة في المقاومة. وفي هذا الإطار نظمت حملة باشا مراكش التهامي الاكلاوي إلى تدغة في أواخر 1918 وبداية 1919.

وقد كان الاكلاوي على رأس جيش بلغ تعداده عشرة آلاف جندي يؤطرحه ضباط الشؤون الأهلية برئاسة الجنرال "دولا موط" (De La Mothe). وأنشأ الاكلاوي حامية عسكرية مقرها تينغير، كما شيد قسبة له وعين خليفة بتدغة وبذلك تم تطويق المقاومة بتافيلالت. كما أن احتلال تدغة مكّن الاستعمار الذي حلت جيوشه بشكل نهائي بتدغة سنة 1931 من قاعدة لتوسيع الاحتلال نحو الأطلس الكبير والأوسط وصغرو. وظلت تدغة خلال العهد الاستعماري مركزاً هاماً للشؤون الأهلية لمراقبة تحركات قبائل أيت عطا المجاهدة.

البيدق، أخبار المهدي، الرباط 1971. : ح. الوزان، وصف أفريقيا، ج

2، 1983 : أ. التوفيق، المجتمع المغربي في القرن 19.

G. Raclot, La vallée de Todra, Rabat, 1936 ; D. Eustache, Le corpus des dirhams Idrissites, B.S.H.M., n° 2, 1969, p. 27.

عبد القادر بوراس

**التدغي**، عبدالكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو الدرعي، نسبة إلى تدغوت. عريت إلى تدغة؛ وهو مدشر قديم يقع على الطريق الواصلة بين تافيلالت ومراكش. ومن ثم عرفت، طوال التاريخ؛ كمرحلة رئيسية في تلك الطريق، وسوق جهوي هام يلتقي فيه أهل داس وأهل درعة بقبائل أيت سدرات وأيت عطا.

أخذ التدغي عن جماعة من علماء وقته من أشهرهم أبو الحسن علي المراكشي، وأبو علي اليوسفي. ورحل إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج ولقي علماء أخذ عنهم، كما زار بلاد الشام.

قدم إلى زاوية تامكروت الناصرية قبل أعوام التسعين وألف؛ وحظي لدى الناصريين بمكانة مرموقة، بسبب علو كعبه في ميدان العلم. فكان من بين من استقطبهم الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، عن طريق المصاهرة، إذ زوجه أخته سارة بنت محمد ابن ناصر. فاستقر بالزاوية وعكف على التدريس والإفتاء طوال حياته.

ومن بين أشهر تلامذته محمد المكي بن موسى

الباحثة "جاك مونني" (Jacques Meunié). وقد ترددت بين الاستقلال تحت حكم أمير خارجي ثم تحت التبعية لحاكم دمنات من بني إدريس، حسبما تبين من الأبحاث الأخيرة للباحث دانييل أوستاش (D. Eustache). كما حكمتها الأميرة زينب التي ضربت السكة باسمها هناك. وقد كانت تدغة خلال الفترة الممتدة فيما بين 175 هـ و200 هـ تُمدد الدولة الإدريسية بالدراهم حيث وجدت عملة إدريسية ضربت بتدغة، كما كانت تزود هذه الدولة بمادة الفضة التي يوجد معدنها فيها. وهذا ما دفع بالأدارة لمد نفوذهم إلى تدغة حوالي عام 223 هـ فسي عهد يحيى بن إدريس الثاني. ويستفاد من كلام البيدق أن تدغة دخلت في طاعة الموحدين أيام خلافة عبد المومن حيث جاء في أخبار المهدي (ص. 51) : "... ثم وصلنا لموضع يقال له "تدغت" ووجد به أيت علي وسكور ومنكور ووجد موسى بن حماد متاع أسامر ن أيت سنان فترك بها ابن وظيف...". وقام أبو حفص الموحدي بنفس الحركة إلى أيت سنان بتدغة بعد وفاة عبد المومن. ويذكر الناصري في الاستقصا (7 : 80) "أن أهل تدغة شاركوا في جيش المولى إسماعيل لقتال قبائل فواز البربريين سنة 1104". وقد كانت تدغة بعد ذلك من المناطق الأهلة بالسكان حيث يذكر "أبو القاسم الزباني" في الترجمانة الكبرى (ص. 67) : "... وما قابل إدهسان وفازاز خلف جبل درن أقاليم ثلاثة : تدعة وفركلة وغريس غير متصل ببعضها ببعض، وبها قصور وقرى ونخيل وبساتين ومزارع وأمم لا تحصى".

ويذكر في البستان الظريف المعارك التي دارت بين جيوش المولى سليمان وقبائل أيت عطا في الواحات. وجهوده لإخضاع هذه الواحات ومن جملتها واحة تدغة حيث يقول : "... ووجه المولى سليمان محلة أخرى مع عامل سجلماسة محمد السريري فنزل ملوية... فتوجع لسجلماسة ومنهنا فرق المحلة على أقاليم الصحراء درعة والفائجة وتدغة وفركلة وغريس وزيز ومدغرة والرتب فجنى أموال تلك النواحي وقرر عماله وخلائفه بكل إقليم ومهد طرق الصحراء ورجعت العساكر".

وفي عهد السلطان الحسن الأول ولى "الجيلالي الدمناتي" قبائل بوگمآز وتدغة وأيت عطا ومغران وداس،



تدغة

قصر تاويرت ن إيمزلن

الناصرى، ومحمد بن عبد الله الحوات قاضي شفشاون ؛  
وهو الذي رثاه عند موته بقصيدة مطلعها :

سك الكفالك الكفري من نحو درعة

سؤال الشحي المشتة. عن: حدة الأسك

(نشر الثاني، 3 : 240)

ومنهم أيضاً أحمد بن صالح الدرعي الذي قال عنه :  
"وقد أقام عندنا مدة تزيد على العشرين يوماً، أفادنا فيها  
ما هو أهل له من العلوم التوحيدية والأحاديث النبوية،  
وغير ذلك من العلوم والإشارات الأدبية" ( الدرر المرصعة،  
314. 315 ؛ الدررة الجلييلة، 218. 220).

وكان محمد بن عبد الله الحوات كاتبه المختص به.

توفي عبد الكريم التدغي بتامكروت ليلة الخميس  
التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 1132 / 1720 ؛ ودفن  
بمقبرة أبي القاسم الشيخ على مقربة من الزاوية الناصرية.

محمد المكي الناصري، الدرر المرصعة ؛ م. القادري، نشر الثاني،  
ج 3 ؛ م. الخليفتي، الدررة الجلييلة.

أحمد عمالك

**التدميري**، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله. أصله

من تدمير بشرقي قرطبة، نشأ بالمرية، وأخذ عن جماعة من  
العلماء منهم أبو الحجاج ابن يسعون وأبو محمد بن الديبيري  
وأبو محمد بن عطية ومحمد بن عمر، وأبو الوليد ابن  
الدباغ وأبو علي الصدفي، لقيه بمرسية سنة 510 هـ.

انتقل إلى بلاد المغرب، وسكن مدينة بجاية مدة، وفيها  
ألف كتابه نظم القرطيين، وضم أشعار السقطيين جمع فيه  
أشعار الكامل للمبرد، والنوادر لأبي علي البغدادي، ألفه  
برسم محمد بن علي ابن حملون وزير بني الناصر  
الصنهاجيين.

استقدمه عبد المؤمن بن علي الكومي بعد ذلك إلى  
مراكش لتعليه أبنائه وتأديبهم، فصار من مرافقي الخليفة  
وعلماء القصر السلطاني، وقد رافق الخليفة في حركته  
الشهيرة إلى إفريقية سنة 555 هـ، وحضر معه فتح مدينة  
المهدية.

كان عالماً لغوياً نحوياً أديباً منكباً على التأليف في  
اللغة والنحو، فزيادة على الكتاب السابق، ألف كتاب  
تسديد قواصر الميز في شرح شواهد ابن عزيز وهو في شرح  
شواهد كتاب نزهة القلوب في غريب القرآن لمحمد ابن  
عزيز، كما ألف كتاب التوطئة في النحو، وكتاب التصريح  
لشرح غريب الفصح الذي لا يزال مخطوطاً، وكتاب الفوائد  
والفرائد، وكتاب شفاء الصدور شرح به أبيات الجمل  
للزجاجي، وفرغ من تأليفه سنة 538 هـ، ويصفه ابن عبد  
الملك بأنه "كتاب جم الفائدة كثير الإمتاع"، واختصره  
صاحبه بكتاب سماه المختزل.

توفي بمدينة فاس بعد رجوعه من حركة إفريقية سنة  
1160 / 555.

ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، القاهرة، 1955، ج 1 : 65 ؛ ابن

الآبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي،  
القاهرة، 1967، ص 39 ؛ م. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، نج.

إبراهيم عباس، بيروت، ج 1 : 286 ؛ القفطي، الزيادة للربيع، القاهرة،

ج 1 : 154 ؛ ج. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين  
والنحاة، القاهرة، 1964، ج 1 : 321 ؛ أ. ابن القاضي، جنوة

الاقتباس، الرباط، 1973، ص 138 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام،  
الرباط، 1974، ج 2 : 68 ؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق

1957، ج 1 : 260 ؛ خ. الزركلي، الإعلام، بيروت ؛ م. عبد الله  
عنان، عصر المرابطين والمرحدين في المغرب وأندلس، القاهرة، ج

1 : 469 ؛ ع. ابن منصور، أعلام المغرب العربي، الرباط، 1983، ج

287 : 3

محمد المغراوي

**ترابية نادرة** (Terres rares) (أو لانثانيد (Lanthanides) ،

مجموعة من خمسة عشر عنصراً معدنياً ذات خاصيات  
كيميائية متقاربة، موزعة على الصخور الصهارية بكثافة  
جد ضئيلة. حسب الرقم الذري المتزايد يمكننا تمييز ثلاث  
مجموعات من الترابية النادرة :

1 - السكندنيوم Scandium، والإيتريوم Yttrium (الرقم

الذري من 21 إلى 39).

2 - لانثان Lanthane، سيريوم Cerium، پرازوديوم

Praseodyme، نيوديم Neodyme، پروميثيوم  
Prometheum، سمريوم Samarium (الرقم الذري من 57  
إلى 62).

3 - أوروبنيوم Europium، غادولنيوم Gadolinium،

ترتيوم Terbium، دسپروزيوم Dysprosium، هولميوم  
Holmium، أربيوم Erbium، ثليوم Thallium، إيتريوم  
Yttrium، لوتيسنيوم Lutecium (الرقم الذري من 63 إلى  
71).

تدخل عناصر مجموعة اللانثانيد في تركيب عدة  
بلورات كالكسوانات والكربونات والفسفونات.  
والتنكستينات، وخصوصاً المونازيت التي تعتبر أهم معدن  
للانثانيد (وخصوصاً اللانثان والسيريوم) وأحياناً التوريوم.

استعمالات الترابية النادرة عديدة وجد مهمة، ونذكر  
منها على سبيل المثال، صنع أسلاك الترنست (مصابيح  
تستعمل في المختبرات) ؛ والخزف العازل ؛ وصقل الزجاج،  
وصنع ماصات الزجاج، والزجاج الاستشعاعي والضبابي ؛  
وصنع القوس الكهربائي ؛ وصناعة المعادن،  
والإلكترونيات، والكيمياء العضوية، وتصوير القطع المعدنية  
بالأشعة، والفحص الطبي بالأشعة، والطب الصيدلي  
(كمطهر، وكمضاد للتقيؤ، وضد المخثرات، ولعلاج  
داء السل، والمعالجة بالأشعة)، وأخيراً في ميدان الفلاحة  
حيث تساعد على نمو النباتات، ومعالجة الخشب  
بالتعمدن.

تجد الترابية النادرة بالمغرب في مستويين رمليين رقيقين  
وتابعين للأحادي بالأطلس الصغير، وكذلك في صخور

طاقاتها من أجل الحفاظ على هذا التراث وصيانتته. ومن أجل أن تتوفر الفعالية اللازمة عملت اليونيسكو على خلق أدوات إدارية هي "لجنة التراث العالمي" المكونة من واحد وعشرين عضواً ينتخبون من بين ممثلي الدول الموقعة على الاتفاقية، و"صندوق التراث العالمي" الذي يجمع المساهمات والتبرعات ويوزع المساعدات على من يحتاجها من الدول. على أن هذه الاتفاقية لا تنحصر في التراث الثقافي أي ذلك الذي يعود لخلق الانسان وإبداعه، وإنما تجمع كذلك التراث الطبيعي الذي أبدع فيه الخالق جاعلاً منه مواقع جذابة، أو مواطنٍ لأنواع من مخلوقاته الحيوانية أو غير ذلك.



تراث إنساني : قصبة آيت بن حدو (ورزازات)

ويتوفر المغرب على مجموعة هامة من المواقع المقترحة للتسجيل في لوائح التراث الإنساني أو العالمي، سجل منها إلى اليوم في إطار المواقع التراثية الثقافية كل من مدينة فاس ومدينة مراكش وقصبة آيت بن حدو القريبة من ورزازات، وفي لائحة المواقع الطبيعية المتميزة موقع سيدي بوغابة بالقرب من المهديّة وموقع ماسة بمنطقة سوس، وكلاهما يعتبر مسكناً متميزاً لأنواع من الطيور. أما التراث الثقافي فهو كل ما خلفه الآباء والأجداد وما تركته الأجيال السالفة من مقومات مادية وروحية تتميز بها الجماعات والشعوب بعضها عن بعض. وقد تعمقت الرؤى وتعددت الأفكار حول الموضوع في ضوء الاهتمامات التي ظهرت وتطورت مع نشر المعرفة وتقوية الوعي بقيمة الخاصية التراثية وقوتها في حياة المجتمعات. هكذا نجد المقاربات والتعريفات تتراوح ما بين من يرى في التراث الثقافي أنه توارث الممتلكات من جيل إلى جيل، ومن يرى فيه كل ما يعبر عن "العبقريّة الخلاقية" للشعوب، ومن يحدد مفهومه في قيمة الأشياء بغض النظر عن أتمنتها، أو يوسعه ليجعل منه ضمان الحاضر بفضل الارتكاز على الماضي، أو إبداعاً مقدساً لا يمكن تغييره دون أسباب قاهرة، أو مجموعة متميزة من الممتلكات الموروثة الخ...

ومهما يكن فمفهوم التراث ينبثق من فكرة الإرث والتوارث، بمعنى أن حضور الماضي لا ينفي البعد الآتي ولا البعد المستقبلي حتى إن علاقة جدلية ما بين هذه الأبعاد

الكربوناتيت المصاحبة لصخور السّينيت في تمازيرت بالأطلس الكبير عند ميدلت. وتشتمل هذه الأخيرة على كميات لا بأس بها من النيوبيوم والمونازيت. ولقد عرفت المونازيت في الصخور الأعبلية بينكرير، وأغبال تافراوت (الأطلس الصغير).

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (Français - Arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; R. Duda et L. Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gites minéraux marocains : Substances métalliques et non métalliques*, 2ème ed. t. 1, Rabat ; P. Lapadu-Harpes, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; R. Fouet et Ch. Pomerol, *Minerais et terres rares*, Paris, 1954 ; D.A. Mineyev, *Geochemical differentiation of the rare earths*, *Geochemistry* 12, 1963 ; L. H. Ahrens, *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

عبد الله بوصحابة

**تراث الإسلام**، (Legadu del Islam). عنوان نشرة

شهرية ثقافية كان يصدرها القسم العربي للمكتبة العامة بتطوان بالعربية والإسبانية، في خمسين صفحة من حجم 160 x 215 م. م. ولم يصدر منها سوى أحد عشر عدداً من شهر يناير إلى شهر نوفمبر 1948 ؛ وكان مديرها أحمد الكناسي ورئيس تحريرها محمد ابن عزوز حكيم.

م. ابن عزوز حكيم، فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان، 1953

عدد 107 ص 35.

محمد بن عزوز حكيم

**التراث المغربي**، منه تراث إنساني يندرج فيه كل معلمة أو موقع أثري يتميز إما بجانب أو جوانب ترتبط بالمساهمة في الحضارة الإنسانية وتطويرها بالشكل الذي جعل من الإنسان ومن الجماعات البشرية تلك المجموعات الذكية الخلاقة والمتطورة الإبداع.



تراث وطني . منارة الكتبية براكش

ولما كثرت هذه المآثر وأصبحت مهددة بالإتلاف الجزئي أو الكلي أمام تحديات العصر، عملت منظمة اليونسكو منذ سنة 1972 على وضع اتفاقية أممية تجمع مائة وأربعاً وثلاثين دولة من الدول الأعضاء (إحصاء 1993) وتجنّد

الثلاثة يكون الأول فيها المصدر والأساس، ويبرز الثاني المظهر والارتباط ليبقى الثالث عنوان الاستمرار والبقاء تبقى سارية ما دامت الأصالة هي التي تتحكم في كل مستوى من مستويات التعامل مع الموروث وما أنبثق عنه. وتختلف الإشارة إلى هذا الموروث من جهة إلى أخرى باختلاف النظرة إلى ما يختزنه مفهومه كما سلف. على أننا لا نجد سوى لفظين لا ثالث لهما في معجم المصطلحات الدالة عليه وهو "التراث" أو "الممتلكات" الثقافية.

ويتميز التراث الثقافي المغربي بتنوعه وغنى مقوماته. ويمكن تقسيم هذا التراث إلى ما هو مادي وإلى ما هو غير ذلك. أما المادي فتدخل في تعدده المواقع الأثرية وما تخبئه من آثار، والمعالم التاريخية وما تحمله من ثقل تاريخي وحضاري، والمباني المتميزة كالقصور والقصور الترابية المنتشرة في المناطق الجنوبية للمملكة والمخازن الجماعية المعروفة "بالأكاديريات". وتدخل كذلك في هذا الباب المنشآت الأخرى كالمدارس والمساجد والأضرحة والقصور والدور الخصوصية، والمرافق التي ترتبط بهذه البنايات كالكتاتيب القرآنية والخزانات والسقايات العمومية، والمطاحن المائية المنتشرة في أزقة المدن وفي البوادي، والحمامات. ويدخل ضمن التراث المادي كذلك التحف الأثرية والفنية التي خلفتها الأجيال. ومن أهم ما قد يغيب عن فكر العامة في هذا الباب المسكوكات والنقود. وكذا المخطوطات التي تحمل بين طياتها عصارة الفكر الوطني في كل الحقول المعرفية.

أما التراث غير المادي فيجمع كل ما يدخل في خانة العادات والتقاليد الشعبية من كيفية عيش الناس، وتعاملهم فيما بينهم ومع محيطهم الاجتماعي والطبيعي، وكيفية إقامة حفلاتهم وتخليد أعيادهم وذكرياتهم... كما تدخل فيها كذلك الحرف والصناعات من باب التعليم والتورث التقني والمعرفي، وكذلك الفنون الاستعراضية والموسيقى الشعبية التي تستمد مادتها وروحها من المجتمع الذي يبدعها. ويبقى التراث اللغوي الأداة الأساسية التي بواسطتها تنتقل المعارف المتعلقة بكل ما سلف، والتي تتميز بها أكثر من غيرها الشخصية والثقافة الوطنيتين.

معلومات خاصة.

A. Adam, *Bibliographie critique de sociologie, d'éthnologie et de géographie humaine du Maroc*, Alger, 1972 ; A. Bourdin, "Le patrimoine culturel et les systèmes de valeurs", dans *Droit du patrimoine culturel immobilier*, Tours, 1986, p. 9 - 16 ; C.R.E.S.M., *Culture et société au Maghreb*, Ed. du C.N.R.S., 1975.

عبد العزيز توري

**شُرَاوَة**، عين غزيرة المياه تبلغ سرعة تدفق مياهها خمسة لترات مكعبة في الثانية، وتقع بقبيلة بني شكر (إقليم الناظور)؛ وقد سميت بترارة نسبة إلى أسرة أتت من جبل ترارة بالجزائر ونزلت بالقرب من العين المذكورة في القرن الثامن الهجري (14 م).. وفي عهد الحماية استبدت السلطات الاستعمارية

الإسبانية بمليلية بالعين المذكورة وجلبت مياهها إلى المدينة السليبية؛ وإلى يومنا هذا لا زال هذا الوضع الغير قانوني على ما كان عليه، في الوقت الذي كان فيه المغرب تحت الحجر والحماية.

ملف سري كان بأرشفيف نيابة الأمور الوطنية بتطوان في عهد الحماية.

محمد بن عزوز حكيم

**التربة المغربية** (مدخل منهجي). اتساع رقعة المجال الجغرافي المغربي وتوفره على الخصوص على تنوع نادر المثال من القواعد الصخرية من حيث طبيعتها وأعمارها وبنياتها، واشتماله على فسيفساء هائلة من الأوساط الطبوغرافية والبيومناخية، قد أهله إلى تطوير شبكة من الأثرية المتعددة. تختلف هذه الأثرية إذن باختلاف جباله وهضابه وسهوله وسواحله وصحاريه، وتعكس تأثير الركائز الصخرية التي تنطلق من الرواسب الحديثة والحالية، لتتوغل في المواد القديمة المنتمة لما قبل الزمن الأول إلى حدود ثلاثة ملايين من السنين، عبر كل الأحقاب ممثلة تمثيلاً وافياً.

يتوفر التراث المغربي على تصنيفات لهذه الأثرية. ومن جملة التسميات الشائعة: الدُّهْس، المَطِيل، القَرَشَاش، الطُّوك، التَّيرْس، المَرَجَة، المَلَاخَة، المَرزَاق، الرَّمْل، الحرْش، الحَصْبَة، البِيَّاضَة، الحَمْرِي... لكن مضامين هذه المصطلحات وغيرها تختلف بصفة متفاوتة من إقليم لآخر. كما أن نفس الكيان الترابي يحتمل أسماء مختلفة حسب الأعراف واللهجات، لذا يصعب اعتماد هذه التصنيفات ما دامت لم تُضبط مضامينها ضبطاً علمياً كافياً، ولم تحصر لانتحتها قصد التعميم على أساس الأصلح.

صحيح أن هناك بعض المصطلحات التي ارتقت إلى مستوى العالمية مثل التيرس وأخرى أقل منها مثل الحمري والبياضة والرمل. لكن معظم الدراسات والخزائن الموضوعية من طرف مختلف الأجهزة التقنية والجامعية قد اعتمدت لحد الآن التصنيف الفرنسي للأثرية. مع انفتاح قليل في الآونة الأخيرة على التصنيف الأمريكي.

التصنيف الفرنسي للأثرية تصنيف تطوري خلافاً للأمريكي الذي يعتمد الخاصيات التشكيلية. وهو يشتمل على اثني عشر قسماً تتفرع إلى تحت أقسام ومجموعات وتحت مجموعات، وغيرها من التجزئات (فصيلة، سلسلة، صنف، مرحلة) التي تُطرق حسب الحاجة إلى الزيادة في التخصص.

المفروض أن هذه الأقسام تغطي كل الأثرية الموجودة في العالم. ومن المثير للاهتمام أن الأثرية المغربية تقدم نماذج لعشرة من هذه الأقسام الاثني عشر. حيث نجد بالمغرب قسم الأثرية المعدنية الخام، والضعيفة التطور، والمتقلبة، والاندوترية، والكلمغنيزية، والسيدالية، والمسمرّة، وذات أكسيد نصفات الحديد والمنغنيز، والميهة والصودية.

وحتى بالنسبة للمقسمين المتبقين (الرّمّات والأترية المتحدّلة) فهناك ما يدل على وجود آثار لها، حيث يُظن أن بعض أترية الريف الغربي قد عرفت تطوراً رمدياً (البودزول). في حين أن الأترية المتحدّلة التي لا تنتشر إلا في النطاق الاستوائي الشديد الرطوبة والحرارة، لا تعرف لها في المغرب إلا بعض النماذج الأحفورية المتخلفة عن فترات بيومناخية قديمة، والتي احتفظت بجل خصائصها بفضل دفنها من طرف مواد رسوبية أو بركانية لاحقة.

صحيح أن المغرب لا يتوفر إلا على بعض مستويات التخصيص الداخلة في هذه الأقسام وليس كلها : فمثلاً الأترية المتقلبة لها خصوصيات محلية تجعل مصطلح التيرس المشتق من التصنيف البلدي أنسب للواقع المغربي. الأترية السيدبالية تنقصها أصناف البلاد الباردة على الخصوص. أما الأترية ذات أكسيد نصفات الحديد فهي ممثلة هنا بأحد شقيها الكبيرين المدعو بالمتحدّسل، في حين الشق المتحدّد المنتسب للبلاد المدارية لا يوجد إلا في صيغته الموروثية والمحدودة الانتشار. جل أترية هذا القسم مصبوغة بحمض أكاسيد الحديد، لذا فهي معروفة في المغرب حسب التصنيف البلدي بمصطلح الحمري، الشديد التعميم.

لم تحظ الأندو تربة بال العناية الكافية من حيث الدراسة، وهي أترية تتطور على حساب القواعد البركانية، يكوّن جزءاً من عناصرها ذا طبيعة غير متشكلة. تشغل فصيلة متخصصة منها جزءاً واسعاً في الأطلس المتوسط الغربي مثلاً على أساس المواد البازلتية الشديدة الصلابة وتراكمات الرماد البركاني المنتمجة للرياحي الأوسط، وذلك في مجالات متروكة للغابة وبوارات الرعي، تكاد تكون فارغة من السكان. يتطلب استثمارها معرفة أفضل للقاعدة الترابية.

أما الأترية المُسمّرة فهي مبدئياً لا تتطور وتنتشر إلا في البلاد المعتدلة. لكن يبدو أن السلاسل الجبلية الرئيسية (الريف والأطلسين المتوسط والكبير) تضم فصيلة خاصة من فصائلها لم يتوقعها الترتيب العلمي المعتمد، وهي موجودة على ارتفاعات متفاوتة حسب طبيعة الصخور وتوجيه السفوح. وجود هذا النوع من الأترية الرفيعة في المناطق الجبلية التي تفتقر في الغالب إلى التربة الجيدة يمثل احتياطياً جديراً بالعناية.

تَحْفُظُ آخر يُمليه واقع الدراسات. ذلك أن مُدرَج السهول والهضاب الزراعية المنفتح على المحيط في الشمال الغربي للبلاد، هو وحده الذي حظي بالدراسة الكافية مع بعض الإضافات الأخرى مثل سوس وطريقة.

معرفة أترية الجبال ما زالت في بداياتها مع أنها أمر ضروري وملح للثروات التي تختزنها هذه المناطق والدور الذي تلعبه في إيواء وتعهد القسط الأوفر من الغابات المغربية، كما أنها تحافظ على توازن السفوح وصيانتها من تأثير عوامل التعرية. وهي كذلك تضمن تسرب المياه إلى

الفرشات القريبة والعميقة التي تغذي العيون وتضبط توازن أنظمة الجريان في الأنهار، ملطفة بصفة متفاوتة الأوضاع المتطرفة للجفاف والفيضان. هذا العمل الحيوي لا يخص الجبال ذاتها ولكنه يمتد إلى كل المناطق الزراعية الغنية والأهلة بالسكان، على الخصوص عبر شبكات سبو وأم الربيع وملوية وسوس وزيز.

أما المناطق الصحراوية والهضاب العليا الشرقية فهي من هذا المنظور تعتبر مجاهل، يقتضي تحسين ظروف العيش فيها المسح الميداني الشامل بحثاً عن المواطن المعزولة التي تتركز فيها التربة المستقرة، بالإضافة إلى الموارد المائية بالطبع، مع تحليل خصائصها ونماذج الاستعمال الملائمة.

موضوع بهذا المستوى من الشساعة والشمول، تصعب معالجته في مقال واحد. لذا، توخياً لبعض التفصيل والدقة، وتحاشياً للتكرار فإن كل نوع من الأترية الأساسية يأتي في مدخل خاص به. يعرض كل مدخل لتعريف التربة المعتمدة وتحليل خصائصها التشكيلية والتحليلية والتطورية، وتوزيع نماذجها عبر التراب الوطني. يتم الاعتماد على التصنيف الفرنسي بالدرجة الأولى وكذلك على المصطلحات البلدية ذات الضبط الكافي، مع الربط بينهما حسب الإمكان.

تتحقق جل الإحالات انطلاقاً من المصطلحات الترابية الواردة في هذا التقديم. كما أن الأنواع القليلة الشبوع يأتي التعرض لها بمناسبة دراسة المظاهر الطبيعية لمختلف الأقاليم المغربية وظروف استعمال التربة فيها.

C.P.C.S., Commission de Pédologie et de Cartographie des Sols, Classification des sols, 1967 ; MAMVA-DCFCC, Carte des sols du Maroc (1 : 2 000 000), 1994 ; Soil Survey Staff, 1975, Soil Taxonomy : a basis system of soil classification for making and interpreting soil survey, USDA-SCS Agri. Handb. 436, Washington DC.

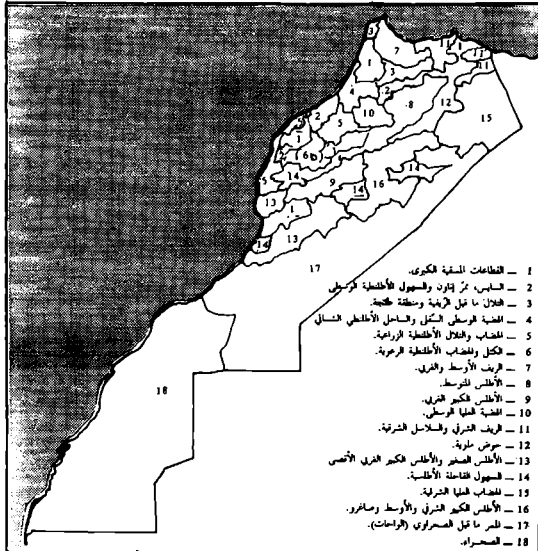
إدريس الفاسي

\* \* استغلال التربة في المغرب. كثيراً ما تستعمل في نعت المجالات الريفية عبارتا "استغلال التربة"، "استعمال التربة" بدون تمييز. في حين أن الاصطلاح الأخير يعبر عن توطين المجالات حسب كيفية تنظيمها الإنتاجي أو الوظيفي (فلاحة، صناعة، سياحة... أو مزروعات وسكن ومروج ومرافق ومراعي...). بينما يتضمّن اصطلاح استغلال التربة مفهوماً من جهة أضيق، لأنه ينحصر في المجال الفلاحي، ومن جهة أخرى أوسع، لأنه يتطرق في آن واحد لخصائص المشهد والنظام الزراعيين. إذ يتمّ تحديد الخطوط العريضة للأشكال المرتبطة بالحقول، من سكن ودبر وسياج وشبكات المواصلات والرّي... وكذا تعيين بعض عناصر النظام الزراعي (أنواع المزروعات وأسلوب الانتاج والكثافة الفلاحية...) في تفاعلها مع الظروف البشرية والعوامل الطبيعية.

تفضي دراسة استغلال التربة إلى تقسيم مجالي تشبه وجداته إلى حدّ بعيد "المزروعات" على مستوى محلي و

الأوسط والغربي منطقة مغايرة تغطي الغابة والمراعي نصف مساحة جبالها المرتفعة التي تعاني سفوحها تعرية سنوية نتيجة للتساقطات الغزيرة. من مميزات مغارس الزيتون الممتدة بين وزان وتاونات وزراعة الحبوب والقطن في الأودية والسفوح السفلى، مع رعي تكميلي للمعز على الخصوص. ويتوزع السكن الكثيف في هذه المنطقة وفق بنية متجمعة على العموم.

يتميز الأطلس المتوسط بتنوع كبير لرسائيقه المحلية خارج غابات البلوط التي تمثل نصف مساحته وتكسو السفوح الشمالية والغربية. كانت تعرف المنطقة إلى عهد قريب بالترحال، لكن الاستقرار يسود اليوم لصالح تملك الأراضي الزراعية في السفوح والأودية وبعض الأجزاء الهضبية وبالأساس لصالح تربية الماشية التي تحظى بأكثر قطع في المغرب للمعز وخصوصاً للأغنام. كما يتميز الدير في الهوامش الغربية والشمالية الغربية بزراعة متدرجة وكتيفة مروية بالسواقي الممتدة من المنابع الضخمة. ويعتبر الأطلس الكبير الغربي أعلى منطقة في المغرب، تغطيها كذلك غابات في السفوح الموجهة نحو الشمال. ترتبط الحياة البشرية بمساحة قابلة للزراعة ضعيفة تتوزع على المنخفضات والأودية العديدة، حيث تقام زراعة سنوية وشجرية بمقربة القرى، تضاف إليها تربية الأغنام والمعز على الخصوص. ويجوار الأطلس المتوسط تبدو الهضبة الوسطى العليا وكأنها منطقة جبلية بالنظر إلى تقطعها الشديد. تعرف هي كذلك استقراراً حديثاً للسكان وتتوفر على قطع مهم من المعز والأغنام، إضافة إلى زراعة الحبوب المعاشية خارج بعض الأحواض والسفوح التي تبرز فيها بعض ملامح الزراعة العصرية المرتفعة المردود.



استغلال التربة

تنتشر في الشمال الشرقي منطقتان متحاديتان ذاتا خصائص متقاربة. تتركب أولاهما من الريف الشرقي والسلاسل الشرقية التي تتوفر على ظروف طبيعة غير

"المناطق المتجانسة" على صعيد جهوي أو وطني. من هذا المنطلق يمكن تقسيم المغرب إلى 18 منطقة متجانسة تعتبر إطاراً لوصف يمهد للبحث والتنقيب عن العوامل الحاسمة في تحديد الخصوصيات المحلية. وتجدد الإشارة إلى أن تغيير المقياس، من المحلي إلى الجهوي، يدعو بالضرورة إلى تحويل التصور المجالي المتجانس، حيث تصير الوحدات الكبرى أكثر شمولية وتعميماً (بل وغموضاً)، نظراً لاتساع نطاقاتها واعتمادها على أمثلة ونماذج مختلفة الدقة. كما أن بعض المناطق المتباعدة قد تضم فيما بينها إلى نوع واحد من المناطق المتجانسة إذا كانت تتسم بخصائص تنظيمية ومؤهلات فلاحية مماثلة.

تتألف المجموعة الأولى من ثلاث مناطق متجانسة تعتبر أولاهما أغنى المجالات الفلاحية على الإطلاق، وتتميز بمؤهلات وبزراعة متنوعة وعصرية كثيفة في إطار حيازات متوسطة وكبيرة يملكها الخواص والدولة والشركات والتعاونيات. كما تتميز بسكن مفكك على العموم وذو كثافة مرتفعة. يتعلق الأمر من جهة بالقطاعات المسقية الكبرى المكونة من الغرب واللوكس وملوية السفلى ودكالة وتادلة والحوز وسوس، ومن جهة أخرى بالساحل ومجر إناون وبعض السهول الأطلنطية الوسطى (الشاوية السفلى وغرب عبدة). وتليها منطقة غنية نسبياً تشمل التلال ما قبل الريفية ومنطقة طنجة التي تعد وحدة طبيعية واقتصادية انتقالية بين جبال الريف والسهول المجاورة. ويتخذ سكانها بنية متجمعة حول الحيازات الصغيرة التي يسود فيها رعي الأبقار والحبوب وقليل من المغارس ذات المردودية المرتفعة.

تتكون المجموعة الثانية من منطقتين متجانستين إحداهما متقطعة أيضاً. تتسم الهضبة الوسطى السفلى والساحل الأطلنطي الشمالي بموارد مائية ضعيفة نسبياً ورعي غابوي وزراعة يعلى تستغل بتقنيات متواضعة داخل حيازات مجهرية. كما تتسم بسيادة الحبوب ذات المردود المتوسط وبالسكن المتفرق ذي الكثافة المتوسطة. وتتركب الهضاب والتلال الأطلنطية الزراعية من الشاوية العليا وهضبة الفوسفاط والبحيرة وساحل دكالة والشياطة وحاحة، وتنتمي إلى منطقة تطبعها خصائص مماثلة نسبياً للمنطقة السابقة، مع مساحة أكبر للذرة والشعير وتعميم أوسع لمراعي الأغنام وكذلك المعز في التلال الأطلنطية التي ترعى في ما تبقى من غابة العرعر والأركان. كما تشتهر بوجود أغنى شريط شاطئي (الولجة) مخصص للزراعات البقلية المغللة جداً والمسقية بطريقة الضخ.

تتسع وسط أجزاء المنطقة السابقة منطقة الكتل والهضاب الأطلنطية الرعوية التي تتألف من الرحامنة والجيبيلات والكنطور، التي تتوفر على مقومات غير ملائمة. نتيجة لذلك نتيجة نشاطها الموروث إلى الانتجاع المرفق محلياً بزراعة الشعير الخفيفة على حيازات صغيرة جداً نصفها جماعي أو كيش. رغم ذلك فالكثافة السكانية تقترب من المتوسط. وفي أقصى شمال المغرب يمثل الريف

ملائمة وعلى مساحة محدودة قابلة للزراعة ومخصصة لزراعة بعلىة للشعير وبعض الأشجار أو للزراعة المسقية المتعددة المحاصيل في بعض الأودية. لكن الكشافة السكانية، ولأسباب مختلفة، ترتفع بطريقة ملحوظة في جبال الريف الشرقي ويني إزناسن. أما جنوب وغرب جبال جرداة وبدو فتظهر فيها بعض المجالات الحلقافية معلنة بذلك جفاف المناخ الذي يضطر بعض القبائل إلى الرعي المتنقل. وتتكوّن منطقة حوض ملوية من أراضٍ منخفضة يتوسطها نهر ملوية، مناخها قاحل كلما اتجهنا نحو الجنوب، يجعل الغابة تندثر وغطاء الحلفاء والشعير ينتشر. هنا كذلك، وباستثناء الجزء الشمالي الأقصى، تقام زراعة بعلىة معاشية يتخللها كثير من البوار لصالح الانتجاع والترحال. على أن الجزء الشمالي الشرقي ومدرجات ملوية تعرف زراعة مسقية متنوعة بواسطة الآبار أو السواقي.

أما المناطق الجنوبية والشرقية المتبقية فتعيش حياة فلاحية على وتيرة الجفاف وعلى تنظيم كلة تأقلم مع ضغوطه. في الأطلس الصغير والأطلس الكبير الغربي الأقصى لا تبيسر الزراعة المحدودة المساحة بدون ري. ويتم اللجوء إلى تربية المعز على الخصوص داخل غابة الأركان التي تشكل ثلث المساحة الإجمالية أو بالتنقل صيفاً نحو القمم. ويتخذ الفلاحون سكناً متجمعاً ضعيف الكثافة الإجمالية نسبياً. بينما السهول القاحلة الأطلسية المكونة من مناطق الحوز الغربي وورزازات وتافياللت هي عبارة عن أحواض وسهول تقطعها مجاري مائية نابعة من الأطلس الكبير. ويتمركز النشاط الزراعي بها غالباً في النقط المسقية والواحات المتوزعة بصفة خاصة بين درعة وزيز، مع تربية الأغنام في المنخفضات والمعز في السفوح. وفي أقصى شرق المغرب تحتل الهضاب العليا مساحات منبسطة شاسعة وشبه خالية من السكن القار. وتتضمن هذه المنطقة أعلى نسبة للأراضي الجماعية على الصعيد الوطني (أكثر من النصف). ويكاد يشكل الترحال النشاط الفلاحي الوحيد على مدى مختلف وسط غطاء الحلفاء. ومع ذلك يعتبر القطيع قليل العدد نسبياً. وغير بعيد عن هذه المنطقة يمتد الأطلس الكبير الشرقي الأوسط وصاغرو على مساحة كبيرة جل أراضيها جرداء وصراع يسود فيها الانتجاع والترحال رغم تقلص قطيعها بالمقارنة مع المناطق الأطلسية الأخرى. ولا تستوطن الزراعة إلا في قليل من الأودية التي تجهز بالسواقي.

أخيراً، يحتد القحط في الجنوب ويفرز كبري المناطق المغربية، واحدة ما قبل صحراوية وأخرى صحراوية تماماً. يتكون المرّ ما قبل الصحراوي من أحواض تعلوها حمادات، حيث لا تصبغ الزراعة ممكنة إلا في الفترات المطيرة وعندما تفيض مياه وادي درعة أو في الواحات التي تترتب على طول خط شمالي يربط كلميم بفكيك وترعى الأغنام والمعز طليقة في المراعي أو متنقلة إلى حدود الأطلس الكبير والصغير. أما في الصحراء فكانت أفواج

القبائل الرحل تنتقل بين درعة والأطلس الصغير والتخوم الموريطانية والجزائرية. واليوم يكتفى بزراع بعض الوهديات الصغيرة (الغرات) في السنوات الرطبة، وكذا بالزراعة المسقية في بعض القطاعات الصغيرة، حول المدن الرئيسية (اسمارة، العيون، الداخلة).

إحصائيات وزارة الفلاحة؛ م. عياد، المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحولات الاجتماعية المحلية في الارياف المغربية (ندوة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1994، ص. 7.

19.

مصطفى عياد

**التربية الوطنية**، لم يكن المغرب يتوفر قبل سنة 1920 على أداة مسؤولة عن شؤون التربية والتعليم. وفي هذه السنة أسس ظهير 26 يوليوز 1920 أول إدارة تربية كانت تسمى إدارة المعارف، وقد تحولت هذه الإدارة في سنة 1955 إلى "وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة" ثم تحول اسمها ابتداءً من سنة 1956 إلى وزارة التربية الوطنية. وفي سنة 1962 انقسمت هذه الوزارة إلى قسمين: وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ووزارة التعليم العالي. وفي سنة 1977 عادت الوزارتان إلى الاندماج في وزارة واحدة هي وزارة التربية الوطنية الحالية التي تشرف على جميع القطاعات التعليمية في البلاد بواسطة هيأتين إداريتين: شؤون التعليم الأساسي والثانوي وأمرها موكول إلى كاتب عام خاص بها، وشؤون التعليم العالي ولها أيضاً كاتبها العام الذي يشرف على تسييرها. وتقوم هاتان المؤسسات تحت إشراف كاتبيهما العامين بتنسيق وتنشيط أعمال جميع المصالح الإدارية المركزية والخارجية التابعة لهما وذلك تحت المسؤولية المباشرة لوزير التربية الوطنية.

ففيما يخص التعليم الأساسي والثانوي تقوم وزارة التربية الوطنية على الصعيد المركزي بإعداد وتنفيذ السياسة الحكومية في هذين المستويين من التعليم، كما تسهر على مراقبة التعليم الخاص.

وتتكون الإدارة المركزية للتعليم الأساسي والثانوي، بالإضافة إلى ديوان الوزير، من الكتابة العامة والمفتشية العامة، وإليهما يوكل أمر تنسيق وتنشيط مصالح التعليم والخارجية ومؤسسات التعليم والتكوين ومختلف الإدارات التربوية والمفتشيات. وبناء على ما يتوفر لها من معلومات تساهم في تصور الإصلاحات التربوية وتبهيئ الدراسات والقيام بالبحوث الإدارية والتربوية. وتتألف هذه الهيئة المركزية من عدة إدارات عليا تدعى مديريات تتكون كل واحدة منها من عدة أقسام تضم بدورها مجموعة من المصالح والمكاتب.

فمديرية التعليم الابتدائي تتكون من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة التربوية وقسم إدارة مؤسسات التعليم الابتدائي وقسم الأعمال التكميلية. وهي تقوم بمراقبة مؤسسات السلك الأول من التعليم الأساسي على

المستوى الإداري والتربوي وتهيئ البرامج وتسهر على تطبيق التعليمات والطرق التربوية وتتبع إعداد الكتب المدرسية وتسيير برامج التعليم الاولي. في حين تقوم مديرية التعليم الثانوي المتكونة من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة المختصة وقسم إدارة مؤسسات التعليم الثانوي وقسم التعليم التقني وقسم التربية البدنية والرياضة بنفس المهام الموكولة إلى المديرية السابقة في مرحلة التعليم الثانوي.

وتعد مديرية التعليم الأصيل التي تضم قسماً خاصاً بالتعليم الثانوي الأصيل وقسماً مكلفاً بالتعليم العالي الأصيل برامج التعليم الأساسي والثانوي والعالي وتشرف على التأطير التربوي والإداري في مؤسسات التعليم الأصيل. وتشرف مديرية التعليم الخاص التي تحتضن قسماً مسؤولاً عن الدراسات والرخص وقسماً مكلفاً بالتأطير التربوي وآخر خاصاً بالمراقبة على تسليم رخص فتح المؤسسات الخاصة ومراقبة البرامج والتجهيزات والتأطير التربوي في قطاع التعليم الخاص.

أما مديرية تكوين الأطر التي تتألف من قسم تكوين أطر التعليم الثانوي وقسم تكوين أطر التعليم الابتدائي وقسم التكوين المستمر وقسم الإذاعة والتلفزة المدرسية فتعمل على تكوين الأطر التعليمية والإدارية وتعد برامج التكوين الأولي والمستمر بالتعاون مع المديريات الأخرى، وتسهر على تسيير مؤسسات ومراكز تكوين الأطر التعليمية وأطر التخطيط والمراقبة التربوية. وتشرف مديرية الشؤون الإدارية التي تتكون من قسم الميزانية وقسم الاقتصاد وقسم التسيير وقسم الحسابات على تسيير الداخليات والمطاعم المدرسية والممتلكات العقارية والمنقولة الخاصة بالوزارة. وتعمل بالتعاون مع المديريات الأخرى على إعداد ميزانية التسيير وتراقب صرفها وتضبط المحاسبة وتسيير الشؤون ذات الطابع الاجتماعي.

وتتكلف مديرية شؤون الموظفين التي تضم قسم موظفي التعليم الابتدائي وقسم موظفي التعليم الثانوي وقسم الموظفين الإداريين والمعاشات وقسم الشؤون التأديبية بتسيير شؤون مختلف الأطر التعليمية والإدارية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي وتطبق المقتضيات القانونية والتأديبية على هذه الأطر. وتقوم مديرية التخطيط التي تتكون من قسم الدراسات والأهداف وقسم الخريطة المدرسية وقسم الاعلام المدرسي والتوجيه وقسم الاحصاءات وقسم البناءات المدرسية وقسم المشاريع الممولة وقسم التجهيز بإعداد وتوزيع الإحصائيات المتعلقة بالتعليم الأساسي والثانوي وتهيئ الدخول المدرسي. كما تحدد اختيارات تنمية التعليم وتحضر ميزانية الاستثمار وتسهر على تتبع برامج التجهيز والبناءات المدرسية وتراقب التوجيه المدرسي والجامعي وتنجز أبحاثاً تتعلق بالتخطيط والتقييم التربوي.

ويسهر مركز الإعلاميات بالوزارة على تنفيذ وتتبع

برامج مكننة أنشطة التسيير الإداري للمصالح المركزية والخارجية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي. أما المركز الوطني للتكنولوجيات التربوية فيقوم بتنسيق الأعمال المتعلقة بانتقاء واقتناء ومراقبة توزيع وصيانة الوسائل التعليمية.

ويتبع مباشرة للكتابة الخاصة لوزير التربية الوطنية المفتش العام المكلف بالتعاون الذي يشرف على قسم التعاون والعلاقات الثقافية. كما يرتبط به مباشرة قسم الامتحانات وقسم التشريع والشؤون العامة وقسم الشؤون الاجتماعية وقسم التوثيق والمعادلات وقسم الصحة المدرسية والوقاية من الحوادث ومركز الاعلاميات.

ويمثل الوزارة في مختلف العمالات والأقاليم نيابات إقليمية تعمل على تطبيق التعليمات الصادرة إليها من المصالح المركزية. كما تقوم الأكاديميات على الصعيد الجهوي باعداد وتنظيم امتحانات البكالوريا وتنشيط المراقبة التربوية وتطبيق البرامج والمناهج في التعليم الثانوي وإنجاز أبحاث ودراسات ميدانية في مجال التقييم التربوي. وتستشار الأكاديميات أيضاً في مشاريع إصلاح التعليم والتأهيل المهني وتساهم في وضع الخريطة المدرسية ومخططات تنمية التعليم وتنظيم وتنشيط مختلف التظاهرات الاجتماعية والثقافية الموازية.

أما على مستوى التعليم العالي فيقوم الكاتب العام للتعليم العالي بمسؤولية تسيير المؤسسات الجامعية والمعاهد العليا بالاعتماد على ست مديريات وقسم واحد. هذه المديريات هي مديرية التعليم العالي وتتكون من قسم العمل البيداغوجي والتكوين المستديم وقسم التكوين القصير والمتوسط وقسم التعليم الجامعي. وهناك مديرية البحث العلمي والتعاون الجامعي وتضم قسم التوجيه وتخطيط البحث وقسم التقييم وشبكات البحث العلمي وقسم التعاون. وتتكون مديرية التقييم والمستقبلية من قسم الاحصائيات والخريطة الجامعية وقسم المستقبلية والتقييم وقسم التخطيط الخاص بالموارد البشرية. وتضم مديرية الشؤون الطلابية والعمل الاجتماعي قسم المنح وقسم الرياضة والشؤون الاجتماعية وقسم الاعلام والتوثيق الجامعي، في حين تتألف مديرية الشؤون القانونية والتعليم العالي الخاص من قسم النصوص التنظيمية وقسم المعادلة بين الشهادات والمنازعات وقسم التعليم العالي الخاص. أما مديرية الشؤون الإدارية والمالية فتضم قسم الموظفين وقسم المباني وقسم التجهيزات وقسم الميزانية والتسيير. وهناك قسم منفرد هو قسم المعلوماتية الذي يتكون من مصلحة الدراسات والبرمجة ومصلحة الاستغلال.

الملكة المغربية، حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90. 91. 1992، التقرير المقدم إلى الدورة الثالثة والاربعين المؤتمر الدولي للتربية جنيف، الرباط 1994؛ وزارة التربية الوطنية، الدخول المدرسي والجامعي بالارقام 93. 1994، الرباط 1993؛ عبد القهار لعلاوي ومحمد البخاري، النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية



والاصلاح الإداري، تنظيم واختصاصات الوزارات، الرباط 1992.

*Les tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb, Actes du Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb, Rabat, 1992 ; A. Kamal, Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc, D.E.S. Fac. Sc. Jur. Econ. et Soc., Rabat 1983 ; K. El Ouazzani, Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc, Casablanca, 1991 ; K. Mosdik, Guide de l'enseignement supérieur, Casablanca, 1993 ; A. Baina, Le système de l'enseignement au Maroc, 3 tomes, Casablanca, 1981 ; M. Merrouni, Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain, Rabat, 1993 ; J. Minot, L'entreprise éducation nationale, Paris, 1970.*

محمد بوسلام

**تَرْتَانَة**، (سفينة جهادية). مشتقة من الكلمة الإيطالية Tartana التي يعتقد أنها من أصل عربي "طريدة"، تطورت شكلا واستعمالا فأصبحت اليوم في معجم السفانة العصرية تعرف تحت لفظ "طراد". استعملت الترتانة في البحر المتوسط خلال العصور الوسطى في مجال الصيد والنقل الساحلي القصير قبل أن تدخل في عداد السفن الحربية.

ومع اكتشاف الجهاد البحري للمجال الأطلسي، كانت الترتانة الأبرز حضورا به، حيث تؤكد مختلف الوثائق أنها كانت أول وحدة في أسطول الجهاد السلاوي منذ سنة 1026 / 1617، متطورة عن سابقتها، بحمولة 150 طنة تقريبا، وأصبح لها صاربان اثنتان بشراعين لاتينيين - حسب ل. برونو - ومجهزة بحوالي ثلاثين مجدافا وعشر قطع مدفعية، زيادة على تميزها بالخفة والسرعة والمرونة في الانقياد. وحول هذه الترتانة تكون الأسطول الجهادي السلاوي من مختلف الأحجام والأنواع، ليعتبر دورها إلى الاقتصاد على العمليات القريبة من السواحل، واندراجها في نطاق السفن الصغيرة الحمولة، قبل أن يندثر حضورها تدريجيا في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) مع اتساع نطاق العمليات بعيدا عن الساحل المغربي، وتفضيل السفن المتطورة مثل البولاكر والبينك والكرافيل.

De Castrie, S.I.H.M., 1ère série, T. III, p. 115 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, p. 250 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 89.

حسن أميلي

**الترتيب العزيمي**، إصلاح جبائتي عام للمضرائب ولإدارة المكلفة بها، حلت بموجبه ضريبة محددة على الممتلكات والتمولات، محل النظام الضريبي السابق الذي كان يركز على الزكاة والأعشار والتكاليف المخزنية. وقد لجأ المغرب سنة 1901 إلى إصلاح شامل للمضرائب وطرق جبايتها في القبائل واشتهر المشروع تحت اسم "الترتيب" وهو لغة يعني التنظيم.

لم يكن مشروع ترتيب 1901، الوحيد من نوعه الذي عرفه المغرب. بل كانت له سابقة في عهد السلطان الحسن الأول (1873 م - 1894 م)، فقد حاول أن يصلح نظام الجباية بحيث يخضع له الأجانب والمحميون والمغاربة جميعا، بعد

أن كانت الامتيازات قد أساءت لمالية الدولة. لكن معارضة الأجانب عرقلت المشروع الذي طبق بشكل جزئي على المغاربة سنة 1884.

وتلخص الإصلاح الحسناني في تعيين أمناء وأشياخ بالقبائل كلفوا بجانب العمال والقواد بمراقبة أحوال السكان، وإحصاء ممتلكاتهم وتقدير الضرائب والتنفقات بشكل جماعي. لم يبلغ الترتيب الحسناني الزكاة والأعشار والكلف المخزنية، بل سن ضوابط لكيفية فرض هدايا الأعياد والزكوات والأعشار، وتكاليف المخزن مثل السخرة والمؤونة والضيوف والجرمة. وكان الهدف هو تخفيف أعباء الجباية على الفلاحين، حتى لا يلتجئوا للاستدانة أو المخالطة مع الأجانب.

أما ترتيب سنة 1901، فكان إصلاحاً جذرياً في أهدافه وفي تطبيقه. فحسب نص المشروع، كان الهدف هو سلوك سياسة جبائية تراعي للعدل والمساواة بين الناس، وتلغي الامتيازات والإعفاءات الجبائية التي كان عدد كبير من المغاربة يتمتعون بها، كما تغير الترتيب العزيمي بخصوصية هامة، هي إلغاء الزكاة والأعشار وكل التكاليف المخزنية.

وإذا تساءلنا عن حقيقة الأهداف التي توخاها الإصلاح الجديد، فسنجد الجواب في الظهير الذي بعثه السلطان إلى الحكام وإلى القبائل فقد أكد على النقاط الآتية :

- حفظ مصالح الرعية وتميبتها.

- علاج أحوال الناس ورفع الأذى والاعتداء عنهم بسبب الجباية.

- حسم خلاقات السكان مع الحكام ومعاونتهم من الأشياخ والخلفاء.

- إلغاء الامتيازات والإعفاءات وإخضاع الجميع للجباية بمن في ذلك الحكام والأشراف ورجال الدين.

- تحديد دور الحكام في حماية الأمن وإجراء الأحكام ومنعهم من التدخل في فرض الأموال على الناس إلا بنص صريح من السلطان.

وهكذا فالترتيب العزيمي، بصفة عامة استهدف معالجة الأدواء التي كان الجسم المغربي يشكو منها، بسبب الأزمة المالية، وتعبف الولاة في الجباية، وركون عامة الناس إلى التنافر والاختلاف والتقايس عن أداء الحقوق الواجبة؛ والتسارع إلى الانغماس في الفتنة. وكل هذه المظاهر المرضية كانت تجرد المناخ المشجع لنموها في كثرة تدخل الأجانب في شؤون البلاد الداخلية مستغلين الحمائيات القنصلية والمخالطات مع المغاربة.

لقد أعلن الترتيب في ظرفية داخلية خاصة، وفي وقت تزايدت فيه الضغوط الاستعمارية الفرنسية على حدود المغرب الشرقية، فكان الهدف المتوخى هو كسب وسائل الصمود المادية، وسحب الذرائع من أمام التدخل الأجنبي. إذا كانت هذه هي الأهداف والدوافع الموضوعية من

وراء إعلان الترتيب العريزي سنة 1901، فهل كان هناك تدخل خارجي في أمر إعلان الترتيب في تلك السنة؟ هناك نظريتان تشيران إلى الدوافع الخارجية من وراء الترتيب:

بيان	عدد دفعات الترتيب	عدد دفعات الترتيب	ملاحظات
الدورة الأولى	1	20,00	المرحوم على ابيوالبغال والجمال
	2	20,00	المرحوم على العيسر
الدورة الثانية	1	20,00	المرحوم على ابيوالبغال والجمال
	2	20,00	المرحوم على العيسر
الدورة الثالثة	1	20,00	المرحوم على ابيوالبغال والجمال
	2	20,00	المرحوم على العيسر
مجموع الترتيب			
31,00			

1912

1930

الاسم: مير عبد الملك  
الديانة: زكهم بوملك  
تبعده: زكهم

162,305  
N° 133,117

1930، الترتيب عدد 1012

ترتيب عدد 22

للإصلاح الجبائي وأريدوه. كما لا نستعيد أن يكون الفرنسيون قد أبدوا نصائحهم للمخزن، في إطار ضرورة التنسيق بين المغرب وفرنسا لإنجاح أي مشروع يريد المغرب إنجازه.

ومعنى هذا أن فكرة الإصلاح الجبائي فكرة داخلية، نابعة من ضرورة محلية تهم المغاربة. وهم الذين تصوروا كيفية تطبيقها وتنفيذها ثم عرضوها على الدول الأجنبية وخاصة إنجلترا وفرنسا؛ علماً بأن فكرة الترتيب معروفة عند المخزن منذ سنة 1884.

ويظهر أن السفارات التي بعثها المغرب لأوروبا سنة 1901، والتي قادها وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان ووزير الخارجية المهدي المنبهي، كان هدفها إقناع فرنسا وإنجلترا وألمانيا وروسيا بتأييد مشروع الإصلاح الجبائي، فقد طلب المهدي المنبهي، مثلاً، من برلين ولندن قبول الترتيب وذكر من جملة الدوافع التي حدثت بالمخزن إلى تطبيقه "الصعوبات السياسية والمالية الخطيرة التي سببها العدد الكثير من المحميين الأوربيين" (وثائق دبلوماسية فرنسية، 1905).

والواقع أن البعثات الدبلوماسية الأجنبية، قد عارضت الترتيب في البداية ثم قبلته. ولم توافق عليه البعثة الفرنسية إلا بتاريخ 26 نونبر 1903. لقد عارض الفرنسيون الترتيب، في إطار صراع النفوذ بينهم وبين الإنجليز، وحذروا السلطان من العناصر البريطانية العاملة داخل المخزن. وهددوا باتخاذ إجراءات معينة إذا منح السلطان للإنجليز امتيازات خاصة.

وهكذا، نكتشف في النهاية، أن دوافع إعلان الترتيب كانت متعددة. بيد أن الدافع الداخلي كان غالباً. أما التأثيرات الخارجية، فتتلخص، ليس في مساعدة دولة أوروبية معينة للمغاربة على إصلاح شؤونهم، بل في عمل المغاربة على إيقاف النزيف المالي لمخزنتهم، والتدهور السياسي لنفوذهم، والاحتلال الأجنبي لبلادهم (احتلت فرنسا صحراء المغرب الشرقية بما فيها توات سنة 1900)؛ عن طريق القيام بإصلاح يسحب الذرائع والمبررات من الأجانب حتى يخضعوا لدفع الضرائب الفلاحية، أو على الأقل حتى لا يمانعوا في دفع محمبيهم ومخالطيهم للضرائب المستحقة على نشاطاتهم الاستغلالية بالبلاد.

أما كيفية تطبيق الترتيب فقد بين ظهير الترتيب كيفية تطبيقه، فقرر أن تطوف بالقبائل لجان خاصة، تتكون كل لجنة من عدلين وأمين، يلتحق بهم في عين المكان نائب عن قائد القبيلة. وحددت مهمة كل لجنة في إجراء إحصاء شامل للممتلكات (الأرض - الأشجار) والمتمولات (البهائم - المواشي...) لكل مالك، وتقدير الضريبة الواجبة حسب تعريفه وحيدة تدفع سنوياً على أنواع البهائم والمواشي وعلى مزارع الحرت والبحائر والسواني والأشجار المشمرة على اختلاف أنواعها هكذا:

النظرية الأولى، يتفق فيها كاتب مغربي هو المشرفي في مؤلفه *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مع السفير الفرنسي سان روني طابندي S.R. Taillandier في مؤلفه *أصول المغرب الفرنسي*. وملخص هذه النظرية أن الإنجليز هم الذين أوحوا للوزير المهدي المنبهي بفرض الترتيب.

النظرية الثانية، يتفق فيها كاتب أجنبي مع كاتب مغربي كذلك: فغابريال مورا G. Maura الإسباني، ذكر أن الذي أوحى بالإصلاح الجبائي هم الفرنسيون، للوزير عبد الكريم ابن سليمان. وأن هذا الأخير هو الذي بادر بالدفاع عن الفكرة داخل المخزن الذي طبقها، لكن البعثة الفرنسية عارضت الترتيب لما رأت التطورات التي أعقبته مباشرة.

أما محمد غريط، في *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فيؤكد الفكرة نفسها بقوله: "وأشار ابن سليمان بترتيب الجباية على نهج سوي وغط أوروبي واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم على أن لا يقبضوا رشوة من مدع ولا من غريم، لينقطع ظلم الرعية من عمالها وتثق بالأمن على أموالها" (فواصل الجمان، ص. 98).

والملاحظ أن كلتا النظريتين لهما ما يبرهما وما يؤيدهما: فلا نستبعد تلقي المخزن لنصائح من بريطانيا وفرنسا. ولا نستبعد أن يكون الإنجليز هم الذين تحمسوا

الترتيب الواجب سنوياً	التمولات والأملاك
ريال واحد *	على كل رأس من الإبل
نصف ريال	رأس من أبكار الأبل
نصف ريال	رأس من البقر
ربع ريال	ضرائب البقر ذكوراً وإناثاً
عشرة ريالات	100 رأس من الغنم
خمس ريالات	100 رأس من المعز
نصف ريال	كل رأس من الخيل والبغال
بسيطة واحدة	كل رأس من الحمر
خمس ريالات	100 شجرة من الزيتون المستغل واللوز
ريالان اثنان ونصف	100 شجرة من الليمون بأنواعه ومن النخيل
ريال واحد وربع ريال	100 شجرة من شجر العود الرقيق
يقوم ما يحرق منه كل سنة ويعطى عليه نصف العشر.	البهائم والسواني
زوجة الايل والخيال والبغال عشرة ريال	المزروعات في الأرض الحراثية تقدم
زوجة البقر خمسة ريال	حسب أزواج الحرث :
زوجة الحمير ريالان اثنان ونصف	

(\*) الريال لفظ اسباني يعني ملكي، كان الريال المغربي يطلق خلال القرن التاسع عشر على قطعة نقدية تزن 29 غراماً من الفضة تقريباً. في حين كان الريال الاسباني يزن 25 غراماً وكذلك الفرنك الفرنسي.

هذه هي المقادير التي رتب على كل نوع من الأملاك أو التمولات. وقد توعد السلطان كل من أخفى شيئاً من أملاكه، وظهر بعد البحث بمعاقبته وبمصادرة ما أخفى. وقد أكد السلطان على أن العامل لم يبق له أي دور في فرض أي شيء أو قبضه من السكان لأن أجرته عينت له من بيت المال فلم يعد له حق "مد اليد في متاع أحد من القبيلة أو لأخذ شيء يطمع أو حيلة وإنما حسب رد البال وتأمين الطرق وإجراء الأحكام". وتبنى السلطان في نهاية الظهير أن يحمى رعاياه هذه النعمة ويلتزموا الهدوء وعمارة بلادهم.

هل حقق هذا الترتيب الطموح في أهدافه الإصلاحية ما كان يتنظره المخزن؟ الواقع أن هذا الإصلاح الذي كان يؤمل منه أن يخرج المغرب من أزمتته المالية، ويحسن أحوال الرعية، جاء بنتائج عكسية مخيبة للأمال. واعتبر عملاً متسرعاً جرّ على المغرب المصائب والوبال. فما هي حقيقة العواقب التي انتهت إليها الترتيب العزيمي؟

بعكس ما هو معروف، عن المعارضة العامة للترتيب، يظهر أن عامة الناس في القبائل، قد قبلت الترتيب واستحسنته. فمنذ تأكد الناس من أن الترتيب قد خلصهم من الفروض والتكاليف التي كان الحكام يتفنونون في أنواعها ويتعسفون في جبايتها، تشبثوا بنصه. وقد انتقد بعض العلماء استحسان العامة للترتيب وهو ضريبة غير شرعية وكل ما خالف الشريعة ليس بحسن. والواقع أن الترتيب أزال ما كان يثقل كاهل الناس من التمولات. وما يرافق جبايتها من تعسف وإهدار للكرامة، الأمر الذي جعل السكان يبعثون برسائل يشكرون فيها السلطان. ودفع كثيراً من الفارين إلى العودة إلى بلدانهم وأدى في النهاية

إلى تمول الناس واستغناء بعضهم.

وإذا كان هذا هو موقف عامة الناس، فإن الأمر بخلاف ذلك فيما يتعلق بموقف الخواص وأصحاب الامتيازات. فقد عارض القواد بالقبائل ورؤساء الزوايا الدينية وكل أصحاب الامتيازات من المغاربة والأجانب الترتيب العزيمي وعملوا على إفشاله. ولما صادف الحال ضعف الحكومة المركزية فإن الأمر انقلب إلى كارثة اجتماعية واقتصادية وسياسية. إذ استشرت الاضطرابات في كل مكان وتعطلت الجباية. ووجد الخاصة المناخ الملائم للدسائس والصيد في المياه العكرة. وإلى هذه النتائج أشار محمد غريظ بقوله "وأحسب بها من خطة لو أنتج قياسها، وأثمرت غراسها، فارتاب العوام بهذا الترتيب ولاذ الخواص بالتحذير والترهيب وتوصلوا بتلك الضريبة إلى التضريب" (فواصل الجمان، ص. 9).

وقد ندد السلطان بتواطؤ القواد مع عناصر الفتنة وتقاعسهم عن إجراء الأحكام وقاطلهم في جمع ضريبة الترتيب وحملهم مسؤولية تعطيله. والملاحظ أن السلطان كان عاجزاً عن إرغام القواد على تطبيق الإصلاح، ليس بسبب عجزه عن القيام برد فعل ضد هذا القائد أو ذلك المرابط، بل بسبب تواطؤ بعض أعضاء المخزن نفسه. وعندما أعلن الثائر الجليلاني الزرهوني، المعروف ببوحمارة ثورته سنة 1902، تنفس ذور الامتيازات الصعداء. ووجد القواد الفرصة سانحة للعودة إلى الفروض والتعسف، لما طالبهم السلطان بإرسال حركاتهم لمساعدته على إخماد فتنة بوحمارة، ونتج عن كل ذلك انتشار الاضطرابات في كل مكان، مما أدى إلى تعميق الأزمة المالية، وتدهور هيبة مولاي عبد العزيز الذي اضطر في النهاية إلى الاقتراض من الدول الاستعمارية مما نتج عن ذلك من نقص للسيادة الوطنية، ومن احتلال في النهاية.

ولما فرضت فرنسا حمايتها على المغرب سنة 1912، سارعت إلى تعميم تطبيق الترتيب على الفلاحين بعد أن غيرت فيه بما يخدم مصلحة نظام الحماية. ففي 25 نونبر 1913، صادق السلطان على تطبيق الترتيب الجديد، وكيفية اجرائه. بحيث قضى مشروعه بقيام لجنة للإحصاء، مكونة من القائد وخبير فلاحي ومن عدل معين من طرف المخزن، بإحصاء الممتلكات مرتين في السنة..

المدة الأولى : في شهر ماي ويونيو تحصى فيها الزراعات من حبوب وقطاني وأشجار مثمرة (الزراعات البكرية والمازوزية).

المدة الثانية : في شهر غشت، تحصى خلالها الحيوانات والزراعات الخريفية.

والجديد في هذا الترتيب، هو أن نظام الحماية ربط أجرة العمال ومساعدتهم بجباية الترتيب. بحيث خصص عشرة في المائة من مدخول ضريبة الترتيب في قبيلة معينة لأجرة القائد (بنسبة 6%) والشيخ (2%) والخبير الفلاحي والعدل (1%) لكل واحد منهما. وهكذا كلما ازدادت عائدات الترتيب في قيادة معينة كلما ارتفعت أجرة القائد وكلما

انخفضت نقصت الأجرة. ولهذا كان القواد والشيخوخ في عهد الحماية الفرنسية، يتفننون في فرض واجبات الترتيب وتقديرها والتعسف في جبايتها، حتى غدت هذه الضريبة مكروهة من الفلاحين الذين كان مفروضاً على كل واحد منهم أن يؤدي رسماً مقدراً على شخصه كان يطلق عليه ضريبة الأذن أو الرأس كواجب من واجبات الترتيب. ويظهر الحيف الذي كان الفلاح المغربي معرضاً له في إعفاء المستوطنين الفرنسيين من أداء نصف ضريبة الترتيب على أملاكهم الفلاحية.

لقد كان الأجانب يتهمون الحكام المغاربة بالتعسف في الجباية. ولما احتل الفرنسيون البلاد أخضعوا الفلاح المغربي لضريبة ظالمة ولتعسف القواد بهدف إخضاع المغاربة لإدارة صارمة وضمان ولاء تلك الإدارة على حساب السكان.

م. المشرفي، *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مخطوط خ. ع، الرباط : م. غريبط، فواصل الجمال، فاس 1927 ؛ وثائق خ. ح. المعهد العزيمي (رسائل عديدة) ؛ *ظواهر سعية وعلوية*، مكروفيلم الخزانة العامة رقم 23 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الدار البيضاء 1991 ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان م. الحسن*، فضالة 1979 ؛ أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، (ابنولتان 1850. 1912)، 1978.

Saint René Taillandier, *Les origines du Maroc français, (Récit d'une mission 1901 - 1905)* ; G. Maura, *La question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921 ; E. Douté, *Marrakech*, 1905 ; *Documents diplomatiques français affaires du Maroc, 1901 - 1905* ; Michaux-Bellaire, *Les morts marocaines*, A.M., 1904, vol. I ; A. Ayache, *Le Maroc, Bilan d'une colonisation*, 1956, *Bulletin de l'Afrique Française*, 1912 - 1913. علال الخديمي

**التُرْجَمَانُ أو الطُّرْجَمَانُ**، أسرة أصلها من الجزائر، وقد هاجرت إلى تطوان سنة 1246 / 1830 حيث كانت معروفة إلى حدود سنة 1354 / 1435.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 204 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 334 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanas de abolengo ; Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**الترجمة في المغرب**، ارتبطت باسم يوسف الأول

الموحدي صاحب فكرة ترجمة بعض كتب أرسطو التي قام بها ابن رشد الحفيد، كما أن عهد الدولة المرينية لم يخل من تراجمة رسميين - من الإسبانية والبرتغالية - أمثال أبي العباس ابن الكماد مترجم أبي ثابت عامر عبد الله بن يوسف المريني. كما ظهر في العهد الوطاسي ثاني ملوك هاته الدولة محمد البرتغالي ابن محمد الشيخ الوطاسي (1504. 1524 م) الذي كان يتكلم البرتغالية.

وفي العهد السعدي، ظهرت طبقة من المترجمين أيام أحمد المنصور الذهبي حيث كانت الترجمة خاضعة لحافز أداء مهام آنية ومستعجلة، إذ نجد الوسيط الدبلوماسي الشهاب أحمد الحجري - ذي الأصل الأندلسي الذي أقام في

المغرب حوالي أربعة عقود كترجمان، وترجم كتابا مجهول الأصل من اللغة الإسبانية، لا تعرف عنه إلا تسميته العربية : *العز والمنافع للمجاهدين بالمداغ*.

جعلت الظروف التاريخية، وكذا الموقع الجغرافي، من المغرب قنطرة عبور للتيارات والحضارات ورابطة وصل بين القارات وخصوصاً أوروبا وإفريقيا. ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر توسع الانفتاح على الخارج وتكاثر الاحتكاك باللغات والثقافات الأجنبية، حيث توالى البعثات إلى الشرق العربي وإلى أوروبا. كما أن تعدد السفارات والدواوين وتبادل المعوثين وخصوصاً تكاثر عدد القنصليات، زاد من أهمية المترجمين وكذا من أهمية الترجمة.

ففيما يتعلق بالكتب العلمية، أشرف السلطان محمد ابن عبد الرحمان على ترجمة كتاب نيوتن في علم الفلك وكذا ترجمة كتاب جوزيف جيروم للأند وقد كتب له مقدمة يوضح فيها طابع المشروع والأهمية التي يعلقها عليه والكيفية العملية التي كان يباشر بها إشرافه على الترجمة بالتدخل الشخصي أو بالمتابعة المستمرة.

ومع توالي البعثات نحو الدول الأوروبية، أحسن المخزن بضرورة تأسيس مؤسسة لتعليم اللغات، فأنشأ السلطان الحسن الأول مدرسة الألسن بطنجة التي شكلت المحطة الأولى لتعليم اللغات وكذا لموقع مدينة طنجة الجغرافي والسياسي. وكان الموفدون إلى أوروبا يقضون بهذه المدرسة فترة لتعلم اللغات قد تستمر حتى ست سنوات.

بدأت تتشكل في المغرب، في بداية القرن العشرين، البنيات التحتية والمؤسسات التي جعلت الترجمة من بين اهتماماتها : تأسيس جرائد ومجلات، كجريدة *السعادة* (1905)، التي كانت بمثابة الدعوة إلى الحداثة وترجمة النصوص من بين أهدافها ؛ فرفعت، وهي برئاسة السوري وديع كرم، شعار الدعوة إلى الترجمة وازدواجية اللغة، ذلك مع التركيز على العلاقات التي تربط المغرب بالشرق العربي. وكان للمثقفين المشاركة (سورين ولبنانيين على الخصوص)، وكذا للتونسيين والجزائريين والمستشرقين دور في ظهور الوعي بترجمة النصوص. ونشطت كذلك عملية ترجمة المؤلفات العربية والمخطوطات وأعراف المجتمع وتقاليده.

ومع بداية الحماية، أنشئت سنة 1912 المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية وأسندت لها مهمة تخريج مترجمين بقرار 12 ماي 1913، كما أن إدارة الشؤون الأهلية كانت تتوفر على مكتب للترجمة تابع للمقيم العام. وعملت الحماية على غرس الازدواجية اللغوية وإيجاد تواصل بين اللهجات المحلية واللغة العربية، وجعل اللغة العربية محمية بها.

بدأ الاعتناء بالترجمة الأدبية، خلال فترة 1920 - 1930، فظهرت ترجمة : *نفسني فدك*، والسيرة الذاتية لإيزابيل أبيرها : *في ظلال الإسلام*، وطريف لموليسير. وفي سنة

1934 أنشئت أول جمعية للترجمة والنشر، باقتراح من أحد أقطاب الترجمة في المغرب وهو عبد الكبير الفاسي الذي كان مع أحمد بناني - الداعي إلى الترجمة الجماعية - أهم أعضاء الجمعية إنتاجاً وإبداعاً.

ويظهر مجلة المغرب برئاسة الجزائري محمد صالح ميسة، ومجلة السلام إضافة إلى جريدة السعادة، نشطت مختلف الفعاليات الثقافية، آنذاك، لإبداء رأيها في موضوع الترجمة وأهميته. كما كانت هاته المجالات منبراً لنشر ترجمات لكثير من الأعمال.

عرف عقد الثلاثينيات نقاشاً هاماً حول أهمية الترجمة كوسيط ضروري للاحتكاك بالثقافات الأجنبية، ومن الذين ساهموا في هذا النقاش: محمد الحجوي وعبد الكبير الفاسي وأحمد بناني وعبد الله إبراهيم وعلال الفاسي وسعيد حجي. وقد اعتبر هذا الأخير الترجمة تلقيحاً ضرورياً للجسد الثقافي من أجل النهوض والتقدم.

وفي تاريخ 21 يناير 1937 أحدثت جمعية باسم "الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر". ترأس أعمالها مؤرخ المخزن آنذاك عبد الرحمن بن زيدان، وكلف برئاسة المجلس الإداري المؤقت عبد الكبير الفاسي في حين أسندت مهمة كاتب الجمعية لأحمد بناني. وحسب تصور هذا الأخير فإن الجمعية "لا تسعى فقط إلى إنجاز الترجمة بل تذهب إلى أبعد من ذلك، وتلاحق أطوار تأليفها ونشرها إلى أن تصل إلى القراء".

خلال العقد 1940-1950 تعددت وتنوعت النصوص المترجمة، وما يميز هذه الفترة ظهور معجم عربي - فرنسي سنة 1942 نشره ليفي بروفنسال بعنوان: معجم اللغة العربية المستعملة في القرن العشرين. وهو يجمع أكثر من 3.000 كلمة كانت تتردد باستمرار في كتابات المؤلفين والصحافيين بالشرق الأوسط وإفريقيا. وكان الهدف منه هو ترجمة مفاهيم الحياة والفكر بكل تجلياتهما.

تعززت الدوريات والجرائد، في هذه الفترة، وبدأت تظهر ترجمات القصص الصغيرة والقصائد الشعرية. كما لم تقتصر الترجمة إلى العربية على المؤلفات باللغة الفرنسية بل ظهرت ترجمات عن الإنجليزية والإسبانية. وقد اهتم بالترجمة في هذه الفترة كل من أحمد بناني وعبد الكبير الفاسي وقاسم الزهيري وعبد العزيز بن عبد الله، إلخ.

كانت الانشغالات السياسية، خلال فترة المقاومة والعمل الوطني تطفئ على الهموم الأدبية للترجمات؛ بيد أن الملاحظ هو أن التوجه كان نحو الترجمات القصيرة؛ ولم تقتصر الموضوعات على الأدب فقط بل همت مختلف العلوم الإنسانية، كما استمرت المجلات والجرائد في الاهتمام بإعادة نشر الإنتاج المترجم من المشرق. وقد كان إسهام مجلة الثقافة المغربية ومجلة المغرب هاماً في ميدان الترجمة الأدبية. ومن الجرائد التي اقتنحت هذا الميدان:

المغرب لسعيد حجي؛ الأطلس لمحمد اليزيدي؛ التقدم

لأحمد بن حساين النجار؛ العلم لعبد الجليل القباج؛ الشعب لمحمد المكي الناصري؛ الحياة لعبد الخالق الطريس؛ السلام لمحمد داود.

ومن الملاحظ في الميدان الأدبي، أن حظ ترجمة النشر كان أقوى من حظ ترجمة الشعر. ومن الذين اقتحموا هذا الميدان: عبد الكبير الفاسي ومحمد عزيز الحبابي وعبد الله إبراهيم ومحمد بن عبد الله ومحمد باحيني. ومن الأعمال التي تمت ترجمتها أشعار لإيلوار وهيغو، ولامارتين.

إذا كان اهتمام الترجمة، قبل 1956، منصباً أساساً على الإبداع الأدبي (ترجمة رواية دولاروشوفوكو لصوص المقابر ورواية نفسي فداك، ومسرحية طرثيف لموليير، وعديد من القصص والأشعار)، فإن أهم ما يميز الفترة اللاحقة هو ترجمة الدراسات النقدية والشعرية والمؤلفات التاريخية والكتابات المتعلقة بعلم الاجتماع والفلسفة.

يقدم رولان بارت نموذجاً للنقاد المتعدد الترجمات في المغرب وفي بعض الأحيان لأكثر من مرة للنص الواحد. وما ترجم له:

درجة الصفر للكتابة *Le degré zéro de l'écriture* (1957). ترجمة محمد برادة (1981).

النقد والحقيقة *Critique et vérité* (1966) ترجمه لأول مرة إبراهيم الخطيب (1984).

كما همت الترجمة كتب جاكبسون وكلود كاهن وغيرهما.

ويدخل في هذا الباب أيضاً الكتابات والمؤلفات المتعلقة بنظريات جديدة تتعلق بالسميائيات واللسانيات الشعرية ومناهج الدراسة الأدبية، والتي هي في الواقع نصوص مترجمة.

ومباردة من مجموعة من الأساتذة الجامعيين تأسست بالرباط، سنة 1980، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، وقد عملت منذ ذلك الحين على ترجمة مجموعة من الكتب تتعلق أساساً بتاريخ المغرب وحضارته، منها كتاب وصف أفريقيا، للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، في جزئين، وأفريقيا لمارمول كارباخال، في ثلاثة أجزاء، وفاس قبل الحماية لروجي لوطورنو، وتاريخ الشرفاء لدييكو ديطوريس، وعبد القادر الجيلالي شيخ كبير من صلحاء الاسلام للأستاذ التركي محمد علي عيني، إلخ.

وفيما يتعلق بالشعر، اهتم مصطفى القصري بترجمة أشعار لبودلير وسان جون بيرس.

والملاحظ بالنسبة للمسرح، أن الترجمة تأتي في المرتبة الثانية بعد الاقتباس. فأحمد الطيب لعلج اقتبس عن موليير: ولي الله والفضوليات والحاج العظمة وما أطلق عليه محجوبة. وعن جوتة اقتبس: العنكبوت وعن سيرفانطيس نومانس وعن رينار الوارث وعن ماريفو لعبة الحب والمصادفة وعن بيكيت في انتظار ميروك.

نشطت الترجمة في مختلف العلوم الإنسانية خصوصاً خلال عقد الثمانينات. ففي التاريخ، اهتم بترجمة الكتب

التاريخية المتعلقة بالمغرب كل من محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زبير. وفي ميدان الفلسفة نشط في عملية ترجمة الأعمال الفلسفية : سالم يفوت وعبد السلام بنعبد العالي وغيرهم.

ويفعل تكاثر عدد المجالات الثقافية، واهتمام الجرائد الوطنية، خصوصا من خلال ملاحظتها الثقافية، بالإنتاجات الأدبية والفكرية في مختلف اللغات، تعزز موقع الترجمة حيث لعبت دوراً هاماً لإثراء الثقافة المغربية وانتفاها على الأدب العالمي.

ويفعل تدريس مادة الترجمة في الجامعة والبحث في موضوعها، تم التمكن من إرساء قواعد للدرس فأقيمت ندوات تعنى بموضوع الترجمة : ندوة المصطلح بكلية الآداب بالرباط (1981 . 1991)، ندوة في موضوع الترجمة بكلية الآداب بمكناس 1982، إلخ.

مدرسة الملك فهد للترجمة، أحدثت بموجب مرسوم رقم 2.82.355 الصادر في 16 من ربيع الثاني 1403 (31 يناير 1983)، وشيدت بنايتها من طرف الحكومة السعودية التي سلمتها لوزارة التربية الوطنية. واختيار طنجة كمقر للمدرسة لا يخلو من أهمية ؛ وهذا يذكرنا بمدرسة الألسن التي أسست بها في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) كما ذكرنا. فموقع هذه المدينة التي لا تبعد عن أوربا سوى بكيلومترات رشحها فعلا لتكون بحق ملتقى للحضارات والثقافات.

ظلّت المدرسة تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط حتى نهاية 1991، ثم عدّت بعد ذلك ضمن المؤسسات الجامعية التي تقع تحت سلطة جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، وهي تهدف، أساساً إلى تكوين مترجمين تحريريين Traducteurs ومترجمين فوريين Interprètes قاديرين على مزاولة أعمالهم في مختلف القطاعات ؛ وذلك بإعطائهم تكويناً نظرياً وتطبيقياً تبعاً لأحدث الطرق والأساليب المستعملة في هذا الميدان. ومن أهداف المدرسة كذلك :

- تنظيم حلقات دراسية للراغبين في إعادة التكوين واستكمال الخبرة في مجال الترجمة وذلك تلبية لطلب الوزارات والمؤسسات والمنظمات الوطنية وغيرها.  
- تنظيم دوريات لتلقين اللغة العربية لغير الناطقين بها وكذا دورات لتعليم اللغات الأجنبية.  
يشترط في كل مرشح لمباراة الولوج أن يتوفر على تشكيلة لغوية مركبة من ثلاث لغات. والمراد بالتشكيلة اللغوية هو مجموع لغات العمل التي يختارها الطالب. والتشكيلات المعتمدة بالمدرسة هي ثلاثية اللغة طبقاً لما هو معمول به في مؤسسات تكوين المترجمين، وهي مرتبة كالآتي :

1 - اللغة الأم أو لغة الثقافة، ويرمز إليها بلغة "أ" وهي التي يترجم منها وإليها. ويفترض أن يكون المعنى متمكناً منها بشكل جيد.  
2 - اللغة الأجنبية الأولى ويرمز إليها بلغة "ب" وهي

تتوج الدراسة بهذا السلك بدبلوم مترجم تحريري. وقد تخرج أول فوج في نهاية الموسم الجامعي 1989 . 1990 . يلج السلك العالي حملة دبلوم تحريري أو ما يعادله، وتستغرق الدراسة به سنتين، حيث تتوج الدراسة بالدبلوم العام في الترجمة التحريرية أو الدبلوم العام في الترجمة الفورية وذلك حسب تخصص المرشح.

تشمل الدراسة بهذا السلك، أساساً، وحسب تخصص الطالب، تكويناً تكاملياً عاماً (تقنيات الترجمة الفورية والتتبعية)، وتكويناً تطبيقياً، ومناظرات تهيء الطالب للقيام ببحث يناقشه في آخر سنة التخرج. وتتوج الدراسة بالدبلوم العالي إما في الترجمة الفورية أو التحريرية. نظمت المدرسة في صيف 1987 ملتقى حول تدريس الترجمة، وذلك بتعاون مع جمعية الجامعات الناطقة جزئياً أو كلياً بالفرنسية (AUPELF). كما نظمت في شهر يونيو 1989 مائدة مستديرة حول الترجمة العربية المهنية والتكنولوجيا الحديثة، بتعاون مع الكنفدرالية الدولية للمترجمين (FIT).

وقد عملت المدرسة على نشر كتب تهم الترجمة وعلى إصدار دورية نصف سنوية بعنوان : الترجمان مجلة مختصة

تعنى بقضايا الترجمة التحريرية والترجمة الفورية (المجلد الأول، العدد الأول، 1992).

عبد السلام بنعبد العالي، الترجمة والمثاقفة، الوحدة، عدد 61-62، ص. 9-7؛ الحمار بوقرعة، الترجمة واللغة والهوية القومية، الوحدة، عدد 61-62، ص. 68-73؛ عبد الوهاب حفيظ، حول الترجمة والتعريب والتعريب، مأساة المصطلح وفراغ المعنى، الوحدة، عدد 61-62، ص. 74-84؛ سعيد علوش، خطاب الترجمة الأدبية من الازدواجية إلى المثاقفة: المغرب الحديث 1912-1956، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1990، ص. 318؛ شعيرة الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1991، ص. 409؛ الشادلي الفيتوري، الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي، ترجمة وتلخيص رشيد بناني، الوحدة، عدد 61-62، ص. 85-96؛ عبد الكريم ناصيف، الترجمة: أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية، الوحدة، عدد 61-62، ص. 57-67.

G. Mounin, *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976, 296 p. ; M. Pergnier, *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*, 491 p; Thèse : Lettres : Université de Rennes II, 1976, Bibliogr. pp. 482 - 489 ; N. Tomiche, *La littérature arabe traduite : Mythes et réalités : De l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française et anglaise*, Paris, 1978, 74p (*Comptes rendus du groupe linguistique d'études Chamito-sémitiques, GLECS, suppl. 9*) ; *La traduction* (n° spécial), *Revue d'Esthétique*, nouvelle série, n° 12, 1986, 233p.

محمد جادة

**التراب، أسرة مكناسية؛ التراب، أحمد بن المكي**

ابن الحسين (ت. 1364)؛ التراب، إدريس بن المهدي (ت. 1375)؛ التراب، الحسين (الحاج-) الجدد؛ التراب، الحسين بن أحمد بن المكي (الطبيب)؛ التراب، عبد السلام بن محمد بن المكي؛ التراب، عبد القادر بن أحمد بن المكي؛ التراب، عبد القادر بن محمد بن المفضل؛ التراب، عبد الله؛ التراب، عبد الوهاب بن المفضل؛ التراب، العربي؛ التراب، العربي (الحاج-) ابن الحسين (الحاج-)؛ التراب، العناية (الحاج-) (ت. بعد 1238)؛ التراب، محمد بن أحمد بن المكي (ت. 1378)؛ التراب، محمد (الحاج-) بن المفضل؛ التراب، محمد بن عبد القادر؛ التراب، محمد العربي بن الحاج الهادي (ت. 1288)؛ التراب، محمد بن محمد بن أحمد (من فريق قاع وردة) (ت. 1406)؛ التراب، محمد ابن محمد الرجراجي؛ التراب، محمد بن المكي بن الحسين؛ التراب، المفضل؛ التراب، المكي بن الحسين (الحاج-)؛ التراب، المهدي (الحاج-) بن محمد ابن المفضل؛ التراب، الهادي بن إدريس بن المهدي.

يصعد تاريخ ذكر أسرة التراب بين سكان هذه المدينة

إلى العصر الوطاسي، فتاتي الإشارة لأحد أفرادها باسم ووصف "الطالب أبي عبد الله محمد بن محمد الرجراجي التراب"، في وثيقة نسب حررت بمكناس بتاريخ أواسط شوال عام 930 / غشت 1524، ويتحدث المستون منهم - من فريق الحاج الحسين التراب آتي الذكر - أن دارهم الكبرى في حي بين العراصي مربية البناء. وقد أكد انتساب الأسرة إلى رجاجة السلطان العلوي مولاي إسماعيل. خلال الديوان الذي حقق به أنساب سكان مكناس في عصره : القدماء منهم وسواهم من غير الأشراف ، وندب لهذه المهمة القائد أحمد بن أبي يعزى العراشي إلى أن تم ذلك أوائل المحرم عام 1121 / مارس 1709 ومع مر الزمن تفرعت الأسرة إلى ثلاث فرق متقاربة فيما بينها، وإنما تتميز بمواقع سكنها من مدينة مكناس :

1 - فريق حي بين العراصي، ويرجعون إلى الحاج الحسين التراب، وهو والد الأخوين : الحاج العربي والمكي، فأولهما كان بين أعيان مكناس الذين وقعوا على بيعة السلطان الحسن الأول باسم "الحاج العربي التراب"، بتاريخ 27 رجب 1290 / 20 سبتمبر 1873، كما كان ناظر الأحياس زرهون عام 1288 هـ.

على أن عقب الحاج الحسين انتشر - أكثر - من ابنه الثاني السيد المكي، وكان يتوفر على ما يهيمه من ثقافة مجتمعه، مع مهارة في مادة الحساب، وبذلك ترشح لحظرة الأمانة ببلدته، مع نظارة الأحياس الكبرى بمكناس، ونظارة أحياس زرهون، وبتاريخ 20 محرم 1317 / 31 ماي 1899، أصدر السلطان عبد العزيز ظهير توقيير واحترام باسمه، وأشرك معه أفراد أسرته، تجديد الظهير حسني في نفس الغرض، وفي أيام نفس العاهل كان ثاني اثنين رشحا للنيابة عن مكناس في مجلس الأعيان وقد خلف المكي هذا : الأخوين السيدين أحمد ومحمد، وكان أولهما تابع الدراسة الأصلية ببلدته على شيوخها، وبعد تحصيله رشح لعدة مهمات بمكناس إلى أن توفي عليها : خطة الحسبة من أوائل العصر اليوسفي، ثم أمانة القصر السلطاني، ورئاسة الجمعية الخيرية منذ تأسيسها. وخلال الحرب العالمية الثانية أسندت إليه عملية الإشراف على توزيع الشيايب على السكان، ولكنه رفض الاستمرار فيها، تجافيا عما تفضي إليه من مشاكل، وزهداً منه في مردودها، ومحافظه على استدامة علاقاته مع السكان في مستواها المعتاد.

وأخيراً كانت وفاته ليلة الجمعة 17 ربيع الأول عام 1364 / 2 مارس 1945، وخلف أولاده الفقيه السيد محمد، والدكتور الحسين الطبيب المعروف، والوطني اللامع السيد عبد القادر، والخليفة الباشوي في مقاطعة بني محمد من مكناس : السيد عبد الملك وخامسهم الفاضل السيد المكي صغير إخوته.

وكان أكبر الإخوة الفقيه السيد محمد هو الذي خلف والده في خطة الحسبة وما معها إلى أن توفي بمكناس يوم الأحد 29 صفر عام 1378 / 14 سبتمبر 1958 ودفن بروضة

الفشار بمشهد سيدي بوخبزة. وهو والد الأستاذ الحقوقي السيد محسن التراب، العامل في عدة ولايات، آخرها عمالة القنيطرة وما إليها.

ثم يلي المحتسب السيد محمد في السن، أخوه الطبيب الحسين التراب، ثاني مغربي أحرز على دكتوراه الطب من باريز.

وننتقل - الآن - إلى الابن الثاني للسيد المكّي بن الحسين : السيد محمد أخ السيد أحمد وخليفته في خطة الحسبة، وهو والد الاستاذ الوطني المرحوم السيد عبد السلام التراب، سجين الأزمة المغربية سنة 1954، ثم رئيس المجلس البلدي بمكناس بعد الاستقلال.

2 - فريق درب الترابية بحي الكدية (درب ابن العواد فيما بعد)، وانتقل بعضهم للسكنى بحي سيدي عمرو بوعودة.

ويرجع هذا الفريق إلى قعددهم السيد المفضل التراب، وكان من خاصة أصحاب الشيخ عبد القادر العلمي، وصاهر الأشراف الشبهيين ببنته السيدة عائشة، زوج النقيب السيد أحمد بن النقيب السيد السعيد الإدريسي الشبهي، وبذلك اكتسب هو وذريته من بعده، ميزة الإسهام في الإشراف على المشهدين المكرمين : الإدريسي بزهران، والعلمي بمكناس.

وقد خلف السيد المفضل التراب ابنه : الحاج محمد المتوفى بالشرق، وأخاه الطالب عبد الوهاب، وخلف الحاج محمد ابنه الطالبين الحاج المهدي والسيد عبد القادر، فالحاج المهدي، هو والد المقدم الوجيه الحاج إدريس التراب وقد ساهم في الطلب وخالط أهل العلم والفضل، إلى أخلاق كريمة، ومروءة في تواضع، ثم كانت وفاته في شهر ذي الحجة عام 1375 / يوليو - غشت 1956 وخلف ذرية طيبة كبيرهم الطالب المرحوم السيد الهادي.

وعلى هدي الحاج إدريس، كان ابن عمه الشقيق الحاج محمد، وهو والد الوجيه الكريم، المحب المحبوب، المقدم السيد الحاج الحسن التراب، بقية الناس أخلاقاً ومروءة ومحافظه على سيرة أسلافه في الولاء للإمامين المكرمين : المولى إدريس الفاتح، وسيدي عبد القادر العلمي، يشاركه في هذا الولاء من معاصريه السيدان الفاضلان المرحومان : الحاج العربي التراب، والحاج عبد الله التراب من وجوه الأسرة.

والآن نستدرك الإشارة إلى اثنين من وجهاء أسلاف هذا الفريق : الحاج العناية التراب، من أعيان مكناس الموقعين على بيعة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، بتاريخ الأحد 14 ربيع الثاني 1238 / 30 دجنبر 1822.

ثم السيد محمد العربي بن الحاج الهادي التراب، ناسخ الأنوار السنوية... للعباشي، بتاريخ الأربعاء 6 ربيع الثاني 1288 / 25 يونيو 1871، من مخطوطات خ. ع رقم 1071 ثالثة محفظة.

وأخيراً نشير إلى أن نخباً من أبناء هذا الفريق اتجهوا

إلى الدراسات الحديثة، وجدّوا فيها حتى أحرزوا على درجات علمية عليا في عدد من الاختصاصات، وبذلك طوروا فريقهم الشاب، وارتفوا به إلى توجهات جامعية متنوعة.

3 - فريق حي قاع وردة، حيث سكنى الفقيه التراب الحاج محمد بن الحاج محمد بن أحمد، العالم المفتي القاضي، المتوفى عام 1406 / 1986.

وقد استوفى ترجمة محمد بن الفاطمي بن الحاج في كتابه عن علماء المغرب المعاصرين فذكر أنه ولد بمكناس عام 1321 / 1903 وبه درس على أساتذة بلدته وعلمائها أمثال محمد بن أحمد السوسني ومحمد بن الحسين العرايشي والغالي السننيسي ومحمد بن المبارك الهلالي ومحمد بن عبد السلام الطاهري، كما أخذ فقه القضاء عن أحمد بن المامون البلغيثي الفاسي، والحساب والتوقيت عن عبد الرحمن برطل الرباطي.

تولى منصب القضاء بزهران ثم العضوية بمجلس الاستئناف بالمحكمة الاقليمية بمكناس، وكان في نفس الوقت يباشر الإفتاء. ومجموعة فتاويه تخرّج في جزئين.. وله شرح على الشاطبية في علم القراءات، ورحلة حجازية سماها بلوغ المرام من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام.

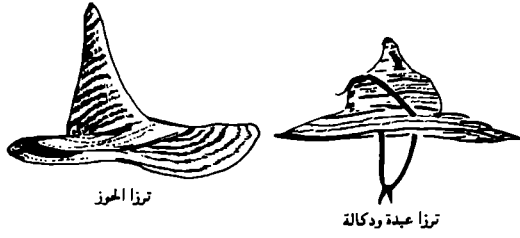
توفي بمكناس يوم الثلاثاء سابع رجب عام 1406 / 18 مارس 1986 ودفن بضريح سيدي أحمد بن خضراء داخل باب البرادعيين.

ملحق : ظهير صادر عن السلطان عبد العزيز بتوقيع واحترام أسرة التراب المكناسيين :

"يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره. وأطلع في سماء المعالي شمس المنيرة وبدره، اننا جددنا حملته كافة أولاد التراب القاطنين بمكناس، حكم ما بيدهم من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله، المتضمن إقرارهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، أخص منهم خديمتنا الارضي الناظر الطالب المكّي وأولاد أخيه المرحوم الحاج... وابن عمه الطالب عبد الوهاب، وولدي أخيه الطالب المهدي والطالب عبد... عمهم الحاج عبد الرحمن، وأخاه أحمد، والمعلم محمد النجار، والمعلم محمد البناء، بحيث لا... بمكروه، ولانتتهك لهم حرمة بوجه من الوجوه، وأذّنأهم في رد زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم، اتكالا على دينهم وعرضهم ومروءتهم، ولما بلغنا من ثوب نسبهم للسادات الرجراجيين، وكونهم من ذوي البيوت المعظمة، فلا تخرق عليهم في ذلك عادة، ولا يحدث في جانبهم نقص ولا زيادة، إقراراً تاماً، شاملاً عاماً، حسب الواقف عليه من عمالنا وولاء أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كرم مذهبه ولا يتعداه، والسلام، صدر به أمرنا المعترز بالله، في 28 محرم عام 1317".

جعفر الكتاني، الرياض الربانية في الشعبة الكتانية، مخطوط خ.





وفي المناطق الشمالية والشمالية الغربية تدعى الشمريرو والشمريرو Sombbrero. وهي كلمة إسبانية الأصل تعني القبعة الواقية من حرارة الشمس، ويكاد استعمال هذه القبعة في منطقة الريف وجباله أن يكون عاما بالنسبة للرجال والنساء وإن كانت المرأة وخاصة في البوادي هي التي مازالت تحتفظ بارتدائه كجزء لا غنى عنه من أزياء الجبليات. إلا أن قبعة النساء تختلف عن قبعات الرجال في أنها تكون زاهية منمقة بعدة توشيات تتواتر فيها خيوط الدوم أو الحلفاء بخيوط الصوف أو القطن أو الحرير ذات الألوان الصفراء والحمراء أو الزرقاء والحمراء أو البنية والزرقاء. تدعى في هذه المناطق "المظلة"، ومن الناس من يسميها الظلة. وهذا النوع من غطاء الرأس لا يقتصر وجوده على المغرب بل يسود استعماله في جل بلدان أمريكا اللاتينية من حدود المكسيك إلى الشيلي وإن اختلفت مادة صنعه وبعض أشكاله من منطقة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى.

وتصنع ترزا في المغرب من الدوم أو الحلفاء، وهي تسرد (أي تنسج) بواسطة اليد المجردة على شكل شرائط مستطيلة يتم رتق الواحدة منها بالأخرى بواسطة حبل مفتول رقيق بإبرة خشبية أو معدنية غليظة.

والترازة أنواع متعددة تختلف باختلاف المناطق، لأن صناعتها محلية على العموم. فهناك ترازة الريف وجباله التي لا يمكن أبداً فصلها عن هندام سكان جبال الريف وخاصة النساء اللواتي لا يكتمل زينهن بدونها. وهناك ترازة زمور الشلح التي تدخل في صناعتها أشرطة من الفليج وتختلف عن سابقتها في سيادة التنيق فيها سواء كانت مخصصة للذكور أو الإناث. وهناك ترازة تادالا وترازة الحوز اللتان يتميزان بفرط اتساع حواشيهما وارتفاع قمتيهما لحماية الرأس والوجه من وهج الحرارة التي تبلغ مستويات عليا في هذه المناطق الداخلية. أما ترازة دكالة وعبدة فهما معروفتان عموما بقصر حواشيهما وضآلة تقعرهما.

محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، الجزء الأول، الرباط 1990؛

محمد شماعو، المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط 1980؛ الحسن

شوقي، قبيلة السراغنة، د. د. ع. كلية الآداب الرباط 1991؛

محمد عشيش، المغرب الأقصى كما رأيته، القاهرة د. ت.؛ عبد

الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، الجزء الرابع، الرباط 1931.

P. Platon, *Le palmier nain, B.E.P.M.*, n° 221, 1953؛ J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition؛ W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929؛ M. M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-En-Provence, 1990؛ G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887؛ G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953؛ P. Decroux, *Quelques aspects de la nationalité*

ع، 497 ك ص. 169؛ ع. ابن زيدان، المنزع اللطيف...، مطبعة الدار البيضاء، ص. 214، مع التكملة من نسخة مخطوطة؛ العز والصولة، 1: 24، حوالة أحباس زهون خ. ع رقم 13 من قسم الحوالات، ص 350؛ م. التاودي السقاط، خرق العوائد.. مخطوط خ. ع 52 ك، ص. 91. 92. 112، إرثاة النقيب أحمد بن النقيب السعيد الشبيهي، حيث احتفظت بنصها حوالة أحباس كبرى مكناس، 1: 314؛ بيعة السلطان عبد الرحمن بن هشام، مخطوط ضمن محفوظات خ. ح دون رقم.

محمد المنوني

التركاد، أسرة كانت بتطوان وانقرضت وكان جل أفرادها يعملون في الجنديية حيث نجد منهم من كان ينتهي إلى حامية المدينة: محمد بن العربي التركاد سنة 1244 / 1828، وأحمد التركاد سنة 1246 / 1831، وعبد الرزاق التركاد سنة 1249 / 1833، وأحمد التركاد وعبد الخالق التركاد والمكي بن محمد التركاد سنة 1258 / 1842، وعبد السلام التركاد سنة 1259 / 1843، وصالح بن اليزيد التركاد سنة 1271 / 1855 والمصطفى التركاد سنة 1273 / 1857.

م. داود، تاريخ تطوان، 8: 215.

Cagigas, *Familias*؛ Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

التركاس، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة كتامة، وكان جل أفرادها يحترفون الجنديية، ومنهم الجندي محمد بن عبد الصمد التركاس. والكلمة معناها في اللهجة الدارجة بتطوان ليس فقط حامل الترس بل أيضا الرجل الشجاع. وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن، وكان من بين أفرادها قائد سجن تطوان سنة 1303 / 1884 وهو محمد بن موسى التراس.

Delegación, *Familias*؛ Isidoro, *Familias*؛ *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932.

م. ابن عزوز حكيم

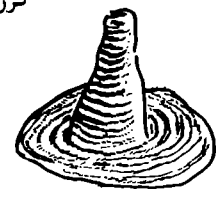
تَرَزَا أو تَرَزْرَا أو تَرَزَال، وينطق بها أيضا تَرَازة، أمازيغية تعني طاقية أو قبعة توضع فوق الرأس ولعلها مركبة من شقين "تار" و"أزال" أي الغطاء الواقى من حرارة الشمس. ويضرب استعمال غطاء الرأس هذا بجذوره في عمق تاريخ سحيق ويسود ارتداؤه في المغرب في جل مناطقه.

وهي غطاء مقعر مخروطي الشكل، جوانبه ناتئة وحواشيه عريضة لوقاية الرأس من الحرارة وضمان الظل الكافي للوجه.

ترزا



ترزا جبالة



ترزا تادالا

## ترنس (سمك) ← تورتو

**ترسواط**، حوض واسع جنوب مركز تافراوت ضمن قبائل أمانوز، وتسمى إحدى الجماعات القروية لدائرة تافراوت جماعة ترسواط، ومن قرأها : اثنين ترسواط، إيمي أوغادير، أكرسيف... وتشتهر المنطقة باستقطابها لأسر علمية تركت بصماتها في تاريخ الحركة الفكرية بسوس، منها أسرة آل محمد بن إبراهيم الشيخ التي استقرت في بداية أمرها بقرية إيمي أوغادير قبل أن تهاجر إلى تامنارت. استقرار مماثل عرفته ترسواط من قبل عائلة الحضيكي. ويبدو أن الاستقرار مرتبط بجاذبية الحوض الغني بمياهه الجوفية وغطائه النباتي الكثيف، وموقعه الهام الرابط بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير : تامنارت، سموغن... وبين مناطق إيد أو سملال، أملن...

طبقات الحضيكي، مخطوط : تحريات ميدانية.

أحمد بومزكو

**الترسيم** (في الوظيفة العمومية)، ينقسم أعوان الدولة وموظفوها إلى رسميين ومتدربين ومؤقتين وعرضيين ومياومين. وقد يتدرج الموظف في بعض الحالات من وضعية المياوم إلى العرضي ليصبح مؤقتاً فمتدرباً ثم رسمياً. لكن السائد أخيراً أن معظم الموظفين يكونون من المتخرجين من مدارس التكوين والمعاهد والكليات يتم تعيينهم مباشرة بعد تخرجهم في منصب موظف متدرب. وبمجرد الالتحاق بالعمل يعتبر الموظف الجديد متدرباً لفترة معينة لا تتعدى السنة الواحدة أو السنتين. وينتظر منه خلال هذه المدة بالإضافة إلى إبداء رغبته في وظيفته أن يثبت جدارته ويميز المؤهلات الأساسية للاستمرار فيها. وتكون علاقة هذا الموظف في هذه الفترة بالإدارة التي توظفه علاقة أجبر يتلقى أجرة خاصة بفترة التدريب. فإذا تأكدت كفاءته وأهليته فإنه يرسم في الوظيفة، وإن تبين عجزه عن الوفاء بما تتطلبه من قدرات تم الاستغناء عنه وبعوض بغيره. لكن الإعفاء من المهمة لا يقع إلا في أحوال نادرة جداً إن لم يكن أمراً استثنائياً لعدة اعتبارات أهمها أنه بإمكان المتدرب حالياً أن يتقدم للاختبارات والمباريات الخاصة بالترسيم أربع مرات.

ويعتبر الترسيم في الوظيفة العمومية أول مراحل تسلق سوايم الترقية. ولا بد لكل موظف متدرب، حتى يتمكن من الارتقاء من وضعيته إلى وضعية الترسيم، أن يتوفر على الشروط العامة المطلوبة في التوظيف من حد أدنى وأعلى للسن وسلامة العقل والبدن إضافة إلى الشروط الخاصة بمهنة التخصص وأهمها الحصول على شهادة معينة في المجال الذي سيقبل الموظف على العمل فيه.

لكن بعض الموظفين لا يخضعون عند ترسيمهم لمتقتضيات السابقة. فبعضهم لا يرسم إلا بعد قضاء مدة

فعلية من الخدمة في الوظيفة لا تقل عن سبع سنوات. ولا يقع ترسيم مثل هذا الصنف من الموظفين إلا بناء على اقتراحات رؤسائهم المباشرين وفي حدود المناصب المالية الشاغرة.

أما رجال التربية والتعليم في سلك التعليم الأساسي والثانوي فهم ملزمون بالحصول على شهادة الكفاءة التربوية في مادة تخصصهم خلال سنة أو سنتين بعد تعيينهم دون احتساب المدة التي قضوها في مراكز التكوين. إلا أن المتخرجين الناجحين من مؤسسات تكوين الأطر في السنوات الأخيرة أصبحوا غير مطالبين باجتياز اختبارات الكفاءة المهنية إذ يتم ترسيمهم بناء على نقطة يمنحها لهم مدير المؤسسة التي يعملون بها بالتنسيق مع مفتش مادة تخصصهم خلال السنة الأولى أو الثانية من تعيينهم على أقصى تقدير. أما أطر التعليم العالي من أساتذة محاضرين وأساتذة مساعدين ومساعدين فيرسمون اعتماداً على اقتراحات قيدهم الكليات ومديري المعاهد العليا طبقاً للمرسوم رقم 2.85.743 والمرسوم 2.85.773 بتاريخ 4 أكتوبر 1985 الخاصين برجال التعليم الباحثين في التعليم العالي ومؤسسات تكوين الأطر العليا.

ع. باينة، المختصر في القانون الإداري المغربي، الدار البيضاء

1985 : م. مرغيني، المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي، الرباط

1984 : م. الكشور، عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي

المغربي، الدار البيضاء 1989 : ع. لهمامي وآخر، التدبير المالي

والماضي والحاسبي للمؤسسات التعليمية، الرباط 1988 : وزارة

الشؤون الإدارية، الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية،

الجزء الأول، الرباط د. ت. : كتابة الدولة لدى الوزير الأول

المكلفة بالشؤون الإدارية، معجم الإدارة العامة، الرباط 1984.

M. El Yaagoubi, Le droit administratif marocain, Rabat,

1992 ; A. Benjelloun, Droit administratif, Rabat, 1984.

محمد بوسلام

**ترغفة**، حاضرة قديمة مندثرة، كانت تقع بشاطئ بني زيات إحدى قبائل غمارة في الجنوب الشرقي من تطوان على بعد نحو خمسة وستين كلم، وتوجد أسفل منها بحوالي خمسمائة متر مدينة إسلامية صغيرة بنيت بناءً بسيطاً، كانت عامرة في القرن السادس (12 م)، زارها الحسن الوزان في النصف الأول من القرن العاشر (16 م) ووصفها بأنها مدينة صغيرة من بناء القوط حسب قول بعضهم، وأنها تحتوي على نحو مائة وخمسين كانونا، أسوارها ضعيفة. ولعل الوزان التبست عليه بالمدينة المندثرة التي بناها الرومان وعمرها القوط، وإلا فالمدينة التي زارها هي بناء إسلامي، لا تزال - في الجملة - على شكلها القديم إلى اليوم، أهلها متحضرون، يعيشون على نمط المدن المغربية القديمة، ونساؤهم محتجبات على خلاف عادة أهل البادية، يشتغلن بالحياكة وبعض الصناعات اليدوية الأخرى. وبها مرسى يضم عدة قوارب لاصطياد السمك، يصدرونه - كما يقول الوزان - إلى الأسواق القريبة والنائية وبعض المدن كشفشاون ووزان ونحوهما.

وتوجد إلى جهة الشمال ترعة الزاوية، نزلها مهاجرة الأندلس حوالي القرن التاسع (15 م) وعلى رأسهم أبو العباس الغزال، وقد بنى بها زاويته وكانت لها حرمتها، التجأ إليها في حدود عام 1040 / 1671 حاكم تطوان المقدم عبد الله النقسييس عندما أراد المجاهد أبو عبد الله العياشي القبض عليه، وكان يتردد عليها لزيارتها من تازروت الشيخ محمد بن علي بن ريسون المتوفى عام 1189 / 1775.

ومن الآثار التاريخية بترعة حوض مسجد عقبة بن نافع، وروضة المديني، شيخ ابن مشيش وزاوية الغزال والجامع العتيق وحجرة "لا إله إلا الله"، وسواها.

ح. الوزان، وصف إفريقيا : الرهوني، عمدة الراويين : م. داود، تاريخ تطوان : أ. المكناسي، خريطة المغرب الأركيولوجية : س. أعراب، مجلة دعوة الحق، ص 13 ع (2-1).

سعيد أعراب

\* وهناك رأس ترعة، ومرساها، ونهرها، يقع رأس ترعة بشاطئ قبيلة بني زيات الغمارية الموالي للبحر المتوسط بالقرب من المدينة التي يحمل اسمها، ويعرف الرأس عند الاسبان برأس كوتيبّي Punta Cotele، وكان به برج قديم لمراقبة الساحل.

ويقع مرسى ترعة بساحل نفس القبيلة الزياتية وهي التي جعلت من مدينة ترعة قاعدة بحرية مهمة في الجهاد البحري خلال القرن الثامن (14 م) إلى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) كما سنرى.

وتوجد بهذا الشاطئ الموالي للبحر المتوسط حجرة تسمى "حجرة لا إله إلا الله" يقول السكان إنه كان بها مدخل لنفق تحت البحر يصل إلى شاطئ الأندلس حيث كانت هناك حجرة أخرى تعرف بـ "حجرة محمد رسول الله". أما نهر ترعة فتوجد منابعه بجبل تاكطوشت بقبيلة بني زيات (إقليم شفشاون) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قرب المدينة التي يحمل اسمها.

ويحمل هذا النهر اسم شيرشي Cherché في خريطة بيتروس فيسكونتي Petrus Vesconti سنة 1311 ميلادية، كما يسمى بوادي ثيرثيلي Cercelly وبوادي شجر الحور Rio de los Alamos في الخرائط الإسبانية للعصور الوسطى.

اشتهرت مدينة ترعة بفضل مرساها المتميزة كقاعدة للجهاد البحري ولذلك نجد ذكرها في جميع المصادر الأجنبية وكذلك بالخرائط التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن (14 م) وعلى سبيل المثال نجد اسمها في الأطلس الكاطالاني لعام 1339 م. هكذا تيرغا Terga، غير أن الذي جعل منها قاعدة للجهاد البحري المنظم وأنشأ بها ترسانة لصنع السفن الجهادية وإصلاحها هو أمير شفشاون علي ابن راشد وذلك سنة 877 / 1472 حيث قرر ألا ينحصر جهاده في مهاجمة المدن السليبية (سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا) وحدها، بل أراد أن تكون له قاعدة بحرية تتوفر

على أسطول جهادي يتحكم في الملاحة والتجارة بعرض البحر المتوسط ويهاجم منها الشواطئ الإسبانية والبرتغالية.

والدليل على أنه تم لأمير شفشاون ما كان يريد أننا نجد ملك البرتغال ألفونزو الخامس Alfonso V يفكر في القضاء على أسطول ترعة فيأمر حاكمه بسبتة فيرناندو دي مينيسيس Fernando de Menceses بتنظيم حملة صليبية ضد ترعة، وكان ذلك سنة 886 / 1481 حيث قام الأسطول البرتغالي المكون من خمسين سفينة كانت تحمل على ظهرها خمسة آلاف مقاتل بتخريب المدينة وإحراق جميع السفن التي كانت توجد بمرساها وبمرسى تيغيساس واستشهد في المعركة أكثر من مائتي مجاهد.

واستطاع علي ابن راشد إحياء القاعدة البحرية في ظرف وجيز حيث نجح حملة صليبية أخرى نظمها البرتغال سنة 896 / 1491 تتمكن من تخريب ترعة مرة أخرى وإحراق خمس وعشرين سفينة كانت بمرساها وتحرير ثلاثين أسيراً نصرانياً.

تمكن أمير شفشاون مرة ثالثة من إعادة بناء ترعة التي كانت سنة 907 / 1502 تتوفر على أسطول بحري يتكون من خمسين سفينة صنعت بترسانة المدينة. وبواسطتها أصبح يتحكم في الملاحة بغرب البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق بشكل لم يسبق له مثيل، كما تشهد على ذلك الوثائق البرتغالية والإسبانية، ويؤكد فشل المحاولة التي قام بها الأسطول البرتغالي الذي أرسله الملك مانويل الأول Manuel I برئاسة الأميرال خورخي دي ميلو Jorge de Mello سنة 907 / 1502 لتخطيط قاعدة ترعة. وقد رد على أعقابها خاسراً، ونفس المصير لقيه الأسطول البرتغالي الذي هاجم القاعدة المذكورة سنة 923 / 1517، وكان مؤلفاً من ستين سفينة برئاسة الأميرال لوبيس دي سكييرا Lopes de Sequeira.

وقد تعرضت ترعة لهجمات إسبانية كانت كلها فاشلة مثل التي قام بها الأميرال ألفارو دي باثان Alvaro de Bazan يوم فاتح فبراير 1533 والاميرال بيرناردو دي ميندوثا في جمادى الأولى 954 / يوليو 1547 والاميرال خوان دي أوسطريا Juan de Austria سنة 1568 والاميرال سانتورثي Santorci يوم فاتح ماي 1613.

واستطاع الجيش الإسباني في عهد الحماية احتلال ترعة يوم 18 أبريل 1921، غير أنه أرغم على مغادرتها يوم فاتح شتمبر 1924، ولم يعد إليها إلا سنة 1927.

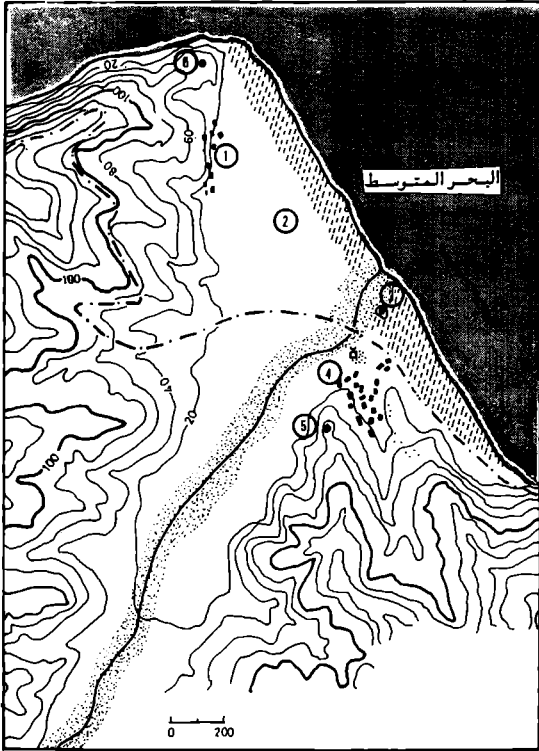
البادسي، المقصد، 98، 107، 130؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، 110؛ ح. الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، 252؛ ع. بنعبد الله، الموسوعة، 110، 141.

محمد ابن عزوز حكيم

\* \* من الناحية الأثرية، تزخر ترعة اليوم بالعديد من المآثر التي تعود إلى فترات من تاريخها الطويل. من ذلك القلعة المعروفة بدار السلطان، المشيدة فوق ريو عالمية مطلة

جدار القبلة. وهذا التصميم هو الذي نجده في المساجد العتيقة المغربية سواء في الحواضر الكبرى كفاس مثلاً ، أو في البوادي.

يتقدم بيت الصلاة صحن واسع احتلت جانبيه الجنوبي سكنى الامام وجانبه الشمالي مجموعة من الغرف المخصصة لايواء الطلبة الذين يأتون المسجد من مختلف نواحي بلاد غمارة ومن الريف لمتابعة دراستهم على الطريقة التقليدية. ذلك أن هذه المسجد عرف كذلك بالدور الكبير الذي لعبه ولا يزال إلى حد ما يلعبه في تعليم القرآن الكريم وعلوم الفقه. وتحتفظ الذاكرة المحلية بما في هذه المدرسة وتعتبرها أهم مدرسة دينية بالمنطقة المشهورة بالمستوى الرفيع لتعليمها. ويزخر تاريخ علوم القرآن بأسماء علماء ترغيين أجلاء لعل أشهرهم شيخ القراء في عصره محمد بن يوسف الترغي المتوفى سنة 1009 هجرية.

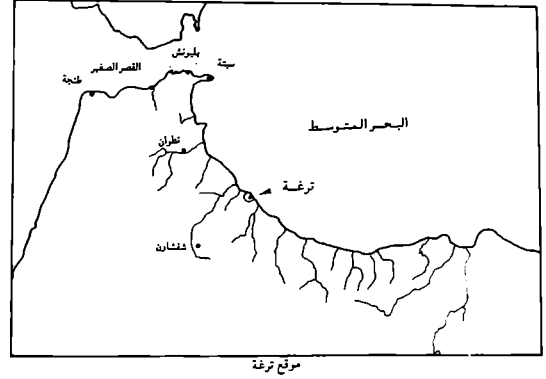


تفاصيل أقسام مدينة ترغوة

- 1- روض الزاوية". 2- موقع جامع ابن عقار. 3- الحصن البرتغالي".
- 4- روض "ترغوة". 5- "دار السلطان". 6- برج ساحلي.

في وسط المنبسط الذي يفصل ما بين روض ترغوة وروض الزاوية، تظهر بقايا جدران مندثرة، تحمل اسم جامع ابن عقار، ويحتفظ لها باحترام كبير بين السكان الحاليين للربضين. من يكون ابن عقار هذا ؟ وهل حقيقة أن ما يبرز قليلاً فوق سطح الأرض هي بقايا جدران مسجد ؟ لا يمكن الاجابة عن السؤالين اليوم لقلة المعطيات. ولكن الذي أثار انتباهنا ونحن نتجول بحثاً عن البقايا الأثرية في مجموع الوادي، كثرة القطع الخزفية الصغيرة الحجم والمختلفة الصنع، المختلطة ببقايا مواد البناء كأنصاف الآجور

على القرية الحالية، وملتصقة بجبل "أزنتي" المجاور. وهذا الموقع هو أحسن مكان لبناء قلعة تتحكم في الوادي وفي مصب "واد ترغوة" وإن كانت واجهته الخلفية (الجنوبية) ضعيفة التحصن وهو مادفع بمشيدي القلعة إلى حفر خندق واق على طول هذه الواجهة بينها وبين تقدم الجبل.



أظهرت الأبحاث التي قمنا بها في السنوات الأولى من الثمانينات، أن هذه القلعة مرت بثلاث مراحل متباينة في تقنيات ومواد بنائها. وإذا يتعذر اليوم تحديد كل واحدة من هذه الفترات بدقة فإن ما يمكن التأكيد عليه هو أن أقدم جزء منها يقترب كثيراً في مكوناته (مادة وتقنية) مما هو معروف في المنشآت الموحدية، وأن أحدث جزء منها، وهو بطبيعة الحال مكون من مجموعة تغييرات أدخلت على العمارة الأصلية، يعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، حيث يظهر أن القلعة سكنت ربما من طرف الغزاة البرتغاليين.

بحاذاة البحر على الشاطئ وفي وضعية مقابلة تمام المقابلة لدار السلطان، تنتصب بناية محصنة فوق صخرة عظيمة تعلو سطح البحر بأكثر من خمسة عشر متراً. كل شئ في هذه البناية مختلف عن أمثاله في دار السلطان فبينما هذه الأخيرة مبنية من الحجر والطابية، بنيت ثكنة الشاطئ بالحجارة القوية فقط، وبينما تصميم الاولى متواز في عدة من جوانبه، نجد جدران بناية الشاطئ مسارية لشكل الصخرة التي شيدت فوقها، وبينما لا نجد في القلعة الأولى من الفتحات سوى كوات للرمي موجهة ناحية البحر، تتوفر بناية الشاطئ على مجموعة من المرامي المدفعية، منتصب على طابقين : خمسة بالطابق الأسفل وستة بالأعلى مع اختلاف في الاتساع ما بين تلك التي تنظر جهة البحر (وهي الأوسع) وتلك الموجهة نحو داخل الأرض الاقل منها اتساعاً.

ومن المآثر التي مازالت حية تقوم بدورها إلى اليوم، المسجد الجامع، الواقع شمال القرية الحالية، على بعد بضعة أمتار من أولى مساكنها وبمحاذاة المقبرة العتيقة.

يحتل هذا المسجد مساحة تفوق 500 متر<sup>2</sup> وتتوزع مراقفه ما بين بيت صلاة عرضه 15.20 م وعمقه 6.10 م مقسم إلى بلاطين أفقيين وخمس بلاطات عمودية متجهة نحو

الجنوبية والأطلسية. وقد تمت بالفعل عمليات في هذا الإطار في تافيلالت (بقصر الفيضا قرب مدينة الريصاني) وبالمخازن الجماعية لفاخور وسيدي موسى بإقليم أزيلال الخ...

ودون التطرق إلى ما عرفته كل معلمة على حدة من أشغال عبر التراب الوطني، يمكن الإشارة فقط إلى المدن التي عرفت وتعرف حالياً ترميمات وصيانات تنجز على معالم ومباني مختلفة العمارة والتوظيف. ففي طنجة رمت الأسوار وأبوابها ومتحف القصبية، ويتطوان كذلك رمت الأسوار وبعض المباني، وهناك مشروع تعاون قائم مع حكومة الأندلس لصيانة المدينة العتيقة، وبشفشاو تم الترميم الكلي لقصبية "أوطى حمام" وجانب من الأسوار، ويسلا رمت جوانب من الأسوار والأبراج والأبواب، كما انطلقت أشغال ترميم مدرسة أبي الحسن التي قرب المسجد الأعظم. وهذا الأخير أيضاً تم ترميمه من طرف إدارة الأحباس، ويمكننا رمت الأسوار وأبوابها، وبعض المباني كالمسجد الكبير، والمدرسة البوعنانية، ودار الجامعي التي بها المتحف، ودار الباشوات، وبوجدة يتم ترميم الأسوار وبابها الكبيرين باب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي، ويصفرو ترمم الأسوار وبأسفي رمم جانب كبير من قصر البحر وأجزاء من السور المتبقي، وبتارودانت كذلك رمت الأسوار وترمم بعض أبوابها.

ومن أهم ما أقدمت عليه مديرية التراث منذ إنشائها، سن سياسة جديدة تستهدف ترميم المباني وإعادة توظيفها إما بالنشاط الذي كان لها أصلاً أو باحتضانها لأنشطة أخرى تعيد لها الوجود في النسيج العمراني، لا كما أثر تصان وتزان لجمالها أو لما تحمله من إرث ثقافي، وإنما زيادة على ذلك كعناصر عمرانية حية. من ذلك مثلاً ترميم بعض أبواب المدن وفتحها كفضاءات ثقافية تقام بها المعارض الفنية المختلفة، وأهم الأمثلة أبواب الرباط الموحدة كباب الرواح الذي أصبح الرواق الوطني الأول، وباب قصبية الأوداية الذي يحتضن أكبر المعارض لسعة مساحته وعلو سقوفه، وباب لعلو الذي خصص كرواق يعرض فيه الشباب من الفنانين والمبدعين.

وفي إطار التعاون الثنائي يمكن ذكر العملية التي تمت بأصيلا حيث رمم برج النعام، وهو الذي كان الملك البرتغالي "سبستيان" قد قضى به آخر ليلة في عمره، ليلة معركة واد المخازن الشهيرة التي لقي فيها حتفه، وقد رمم هذا البرج بمساهمة مادية من مؤسسة كولبانكيان البرتغالية.

ومن المشاريع الكبيرة التي أقبل عليها المغرب في العقدين الأخيرين مشروع إنقاذ مدينة فاس الذي انطلق في مطلع السبعينات بتعاون وثيق مع منظمة اليونسكو. ومما يجب التأكيد عليه أن هذه العملية الضخمة، جندت إمكانيات هائلة، جمعت ما بين إمكانيات الدولة وإمكانيات الخواص، وهي بصدد محاولة جلب الاستثمار الخارجي لمواجهة التكاليف الباهضة الضرورية. على أن أهم ما

أسفرت عنه الحملات التعريفية والتحسيسية إلى السور هم إقناع بعض أبناء فاس الميسورين بأهمية مساهمتهم الفعلية والمباشرة في مشاريع الصيانة والترميم، فأسندت لهم بعض المعالم للإتفاق على ترميمها كالمدرسة البوعنانية، ومدرسة العطارين، وفندق التجارين مثلاً.

هذا وقد اكتسب المغرب تجربة لا بأس بها في مجال ترميم المباني وصيانتها، وهو ما جعله من البلدان العربية القليلة التي يستعان بخبراتها. هكذا وقع المغرب اتفاقية تعاون مع سلطنة عمان سنة 1983 وأرسل بمقتضاها فريقاً من التقنيين والمهندسين والبنائين المتخصصين يقوم بترميم وإصلاح القلاع والحصون وبعض المباني التاريخية الأخرى. ولا يزال هذا الفريق المكون من أكثر من ستين فرداً يقوم بمهامه إلى اليوم.

ب. ترميم التحف : لم تنل التحف الفنية ما نالته المباني من اهتمام في الترميم، ذلك أن المغرب لا يتوفر على مختبرات متخصصة ولا على أطر مكونة في هذا المجال. ثم إن القيام بهذه الأعمال خارج حدوده يتطلب من الامكانيات ومن الضمانات والتأمينات ما يكلف الكثير. ومع ذلك لم تتأخر المصالح الأثرية والتراثية على إخضاع ما استوجب الترميم لهذه الأعمال داخل المغرب وخارجه. ونقتصر في هذا الباب على ذكر ترميم بعض أهم القطع البرونزية التي اكتشفت بوليلي كتمثال الغلام الساقى، وتمثال الكلب، وتمثال الصياد العجوز، وكلها تم بمختبرات "جارفيل" (Jarville) الفرنسية في السنوات الأولى من الثمانينات، كما تم كذلك معالجة مجموعة من الفسيفساء التي استخرجت من موقعي "بناصا" ووليلي. أما القطع الخزفية، فنالت كذلك قسطاً من نفس الاهتمام، حيث تم ترميمات على أهم الجرار، وبعض الأواني أهمها "القصرية" التي اكتشفت بموقع بليونش والتي يعود تاريخها إلى القرن الثامن (14 م).

J. Borely, *Tinmel : douze carnets de notes*, Paris : Laboratoire Public d'Essais et d'Etudes, Tinmel : *Rapports d'analyses*, 1991 - 1992 ; H. Terrasse, *La mosquée Quaraouiyin de Fès*, Paris, 1968 ; Collectif, *Tinmel, l'épopée almohade*, Casablanca, 1992.

عبد العزيز توري

**ترناتة**، هي واحدة من واحات درعة الست، وهي واحات : مزكيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة، المحاميد، التي تكون ما يعرف بوادي درعة الأوسط. تبدأ واحة ترناتة من فم أزلاك وتنتهي عند فم زاغورة ما بين واحتي تينزولين في العالية وفزواطة في السافلة. تمتد على طول ثلاثين كلم وعرض يتراوح ما بين 250 و5700 م ومساحة مسقية تقدر بـ 5324 هـ أي ما يعادل 24,1٪ من مساحة درعة الوسطى.

وتروي أراضي واحة ترناتة ست عشرة ساقية منها ساقية أغلان، ساقية إيفلي، الساقية البغدادية، ساقية المكاترة، ساقية أنزي، ساقية البركة... التي تسقي كل

المخزنية على طول وادي درعة، فأُنزل بقصبة القصر حامية قوته، كما شغل الطائفة اليهودية في تصفية وتنقية الذهب المستورد من إفريقيا الغربية وبعد تنقيته يوزن ويؤثر عليه ثم يوجه إلى مراكش. وقد تراجع دور قصر ترغليل، بعد ما أمر السلطان أحمد المنصور السعدي ببناء قصر بني صولي سنة 987 هـ (مذكرة المزريوي، 8) فتحول قصر ترغليل إلى قصر عاد طيلة العهد العلوي.

م. المختار السوسي، خلال جولة، ج 1، طبع تطوان، د. ت؛ م. بن الحبيب التامنوكالي، العقود الجهرية، مخطوط؛ عبد الكريم المزريوي، مذكرة المزريوي، مخطوط؛ توفيق الماكري، بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة (بحث للإجازة - كلية الآداب - أكادير) 1987.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles de Haut Draa*, R.G.M., n° 1 et 2, 1929.

أحمد البوزيدي

**الترغفي، أسرة تطوانية** كان من بين أفرادها بتطوان الفقيه محمد بن علي الترغفي الذي كان من بين الموقعين على عقد البيعة لمولاي سعيد بن السلطان مولاي الزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، والفقيه محمد بن عبد السلام الترغفي الذي كان يزاوّل خطة العدالة سنة 1239 / 1824، والفقيه أحمد بن سعيد الترغفي الذي كان يزاوّل نفس المهنة سنة 1261 / 1845، والفقيه العياشي بن عبد الصمد الترغفي المتوفى سنة 1279 / 1862، والفقيه أحمد بن عبد النبي الذي كان حياً سنة 1286 / 1869، والفقيه محمد بن المختار الترغفي المتوفى سنة 1292 / 1875، والفقيه أحمد بن محمد الترغفي الذي كان يزاوّل خطة العدالة سنة 1301 / 1884، والفقيه عبد السلام بن المصطفى الترغفي الذي وافته المنية سنة 1319 / 1901، والفقيه عبد الخالق الترغفي الذي كان حياً سنة 1324 / 1906، والفقيه عبد العزيز بن أحمد الترغفي المتوفى سنة 1326 / 1908، والفقيه أحمد بن عبد السلام الترغفي الذي كان يزاوّل خطة العدالة سنة 1327 / 1909. وما زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

**الترغفي، أحمد بن حجون**، من العلماء، كان إماماً وخطيباً بجامع ترغة، وهو دفين بساحتها.

**الترغفي، أحمد بن علي بن الحسن بن أحمد الزياتي** الغماري، له تقييد على الأرجوزة المشهورة في فقه الذكاة المنسوبة للشيخ ابن بشير التي تبتدى بقوله :

علم الذكاة حذّه باليقين وذاك فرض من فروض الدين لأنه لأكلنا نسترجبه والأكل لا يحل إلا طيبه لا يعرف تاريخ وفاته ولا ميلاده، ولا العصر الذي كان يعيش فيه.

**الترغفي، أحمد الغزال**، الصوفي الأندلسي من رجال القرن السادي (12 م).

**الترغفي، أقنين** كان عالماً جليلاً، وفقهياً مفتياً، له تضيع في نوازل الفقه، كانت له خزانة تضم نواذر المخطوطات الفقهية، من بينها ذخيرة القراقي، وكانت عمدته في كثير من فتاواه، فأنكر عليه فقهاء تطوان وجودها، واتهموه بالتدليس، فحملها إليهم على أتان له وأطلعهم عليها، فطأطأوا الرؤوس. انتقل في أخريات حياته إلى بني سالم حوز تطوان وتوفي هناك في حدود منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

**الترغفي، عبد الرحيم بن أحمد الشهير بالقناني**، أنهى دراسته بسببته، ثم شد الرحال إلى أقطار المشرق، وانتهى به المطاف إلى صعيد مصر، فأسس هناك طريقته المعروفة بالطريقة القنانية، ولا يزال لها أتباع حتى اليوم. توفي عام 592 / 1195.

**الترغفي، محمد بن يوسف المستاري**، والمستاريون أحد الفروع التي استوطنت حول ترغة، وأصلهم - فيما يبدو - من بني مستارة إحدى القبائل الجبلية المجاورة لوزان. ولد محمد الترغفي بفاس، ولعل القادم إليها والده يوسف - وهو أستاذ مقررئ (ت. 1000 / 1591)، وربما كان له الفضل الأكبر في تكوين ولده محمد، وهو الذي حجب إليه علوم القرآن.

أخذ محمد الترغفي بفاس عن أبي نعيم رضوان الجنوي، وأبي عبد الله الخروبي، وأبي القاسم ابن إبراهيم الدكالي، وأبي الحسن علي بن عيسى الراشدي، وآخرين. ثم انتقل إلى مراكش، وبها قضى جل حياته، كان أستاذاً مجوداً، عارفاً بالمقارئ السبعة، محققاً فيها، مع المشاركة في غيرها من العلوم والفنون، وهو مؤدب أولاد الملوك، شددت الرحال للأخذ عنه، وتزاحمت الركبان على بابه، وعنه انتشرت القراءات بالمغرب - على عهده - بسائر طرقها، ولم يشتغل بالتأليف، وإنما تأليفه تلاميذه الذين يعدون بالعشرات، من أشهرهم التلمي محمد المرابط، أحمد بن سعيد صاحب كتاب الصنعة، في التجويد وقراءات السبعة وسواهم.

وقفت لمحمد الترغفي على أجوبة في مسائل مختلفة من علم القراءات كتب إليه في ذلك تلميذه محمد المرابط، وتتلخص أسئلته فيما يلي :

- 1 - الوقف على عظيم من قوله تعالى - في قصة بلقيس - (ولها عرش عظيم).
- 2 - هل تفخم الراء في قوله سبحانه : (يستأخرون).
- 3 - هل ترقق الراء في قوله تعالى : (قل إن افتريته)، (فأغرنا) (وجرين)، (بشرين)، (البحرين) ؟
- 4 - هل ألف (أنا) من قوله تعالى : (إن أنا إلا نذير): تثبت في النطق أم لا ؟
- 5 - ما هو مخرج الضاد والطاء ؟ وما النطق الصحيح

في ذلك ؟ وكانت خلاصة جوابه أن الثابت عن ورش : تفخيم الرأء في (يستأخرون) وأن الرأء في كل الكلمات السابقة مفخمة، وأما إثبات ألف (أنا)، فقد اختلف القراء في ذلك إلى آخر ما أورد في أجوبته.

م. داود، تاريخ تطوان، 3 : 267 ؛ م. داود، مختصر تاريخ تطوان، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، عائلات تطوان ؛ م. الإفراني، الصفة ؛ م. الكتاني، السلوة ؛ ع. ابن إبراهيم، الاعلام ؛ س. أعراب، القراء والقراءات بالمغرب.

سعيد أعراب

**الترفاس**، لفظ أمازيغي يطلق على أنواع من جنس فطور درنية تشبه الكمء (أو الكماء أو لفت الرعد) أو Truffles بالفرنسية، وهي تنبت وتتكاثر تحت الأرض في تكافل مع جذور بعض النباتات المنتمية إلى فصيلة القستوسيات.

والترفاس أو ترْفِيسِيَا أفْرِيكَاْنَا (Terfezia Africana) أو ترْفِيسِيَا لِيُونِيْس (Terfezia leonis) (نسبة إلى الحسن الوزان الملقب بليون الأفريقي الذي تكلم عن الترفاس في وصفه لأفريقيا) فطر كروي في حجم البطاطيس، ذو لحم أبيض لذيق الطعم، ومحبيب عند أغلبية الناس الذين لا تفوتهم غالبا فرصة شرائه حتى وإن كان ثمنه مرتفعا، وذلك لاستعماله وحده أو مع اللحم أو البطاطيس أو غير ذلك لتهيئ أنواع من "الطاجين" المفضل عند المغربي. ويعرف اليهود المغاربة بارتباطهم الكبير وولوعهم الشديد بالترفاس.

ينمو الترفاس في المناطق الرملية من المغرب مثل غابة المعمورة والسهول غير المزروعة الممتدة في الهضاب العليا من المغرب شريطة أن تعرف هذه الأخيرة سقوط أمطار كافية لتكاثر هذه الفطريات في مصل هذه المناطق الجافة. وفي هذه الظروف يتكاثر الترفاس في فرجات غابة المعمورة بجانب أشجار البلوط أو بجانب الحلفاء أو الشيوخ في المغرب الشرقي أو بجانب نباتات مختلفة في مناطق أخرى. وهكذا تزدهر التجارة المتعلقة بالترفاس في المناطق التي يتكاثر بها، فنصادفه في الأسواق أو عادة على جوانب الطرق حيث نرى البائعين يلبسونه غشاء من الطين اللبيل للحفاظ عليه نظرا لكونه لا يتحمل الهواء الطلق.

استطلاع ميداني.

H.P.J. Renaud et G.S. Colin, *Tuhfat Al Ahbab*, Paris, 1934.

عبد الملك بنعبيد

**الترق** L'Huitre، جنس من أجناس الرخويات، ثنائيات الصدفة، صفيحيات الخياشيم، يعيش في مياه البحر، في البحيرات المالحة أو في مصبات الأنهار حيث يتحمل تغيرات عالية للملوحة.

يتكون جسم الترق من مضغة تحميها صدفتان دائريتا الشكل عند نوع *Crassostrea edule* وثلاثية الشكل عند معظم الأنواع الأخرى. تنتج هاتان الصدفتان عن إفرازات خاصة. يتغذى الترق بالأساس بالمواد العضوية العالقة في

الماء يصفي كميات هائلة منه فيبقي على المواد الصالحة لتغذيته داخل جسمه ويلقي بالماء مصفى داخل محيطه. لذلك يكون الترق أكثر أعدادا في الأوساط التي تحتوي مياهها على كميات كبيرة من المواد العضوية. ونظراً لهيئته الخاصة، ولتزيين لونه قبل عرضه للبيع، اعتاد مربي الترق إعطاء طحالب مجهرية مغذية خضراء من جنس *Navieuta* داخل أحواض تربيته، فيتغذى عليها لتكسبه لونا أخضر وطعماً متميزاً يزيد من قيمته الشرائية في السوق ومردوديته. يتنفس الترق كباقي الحيوانات البحرية وبالأخص الرخويات في الماء بواسطة خياشيم مفضحة تمتص الأكسجين مباشرة من ماء البحر.

يعتبر الترق من الحيوانات الثنائية الجنس حيث يحتوي جسم كل فرد على أعضاء تناسلية ذكورية وأنثوية. وإذا كان النوع *Crassostrea edule* مثلاً يتوقر في نفس الوقت على حيوانات منوية وبويضات فإن أنواعاً أخرى مثل *Crassostrea gigas* تكون ذكراً أولاً فتلقي بحيواناتها ثم تصبح إناثاً لتعطي بويضات أنثوية، إلا أنه في غالب الأحيان، بل وعند العديد من الكائنات الحية، فنظراً لقصر عمر البويضات الأنثوية فإن الحيوانات المنوية تنضج قبل البويضات لتلقحها بمجرد نضجها وقبل موتها.

تُلقح البويضات داخل جسم الأنثى عندما تصفي هاته الأخيرة ماء البحر محملة بالحيوانات المنوية من أجل التغذية فتلقي هاته الحيوانات المنوية بالبويضات داخل الجسم فتلقحها ويبدأ تطورها قبل أن تلقيها خارج الجسم على شكل يرقة عائمة تسبح في الماء لبعض الأسابيع قبل أن تثبت على دعامة ما.

عند بعض الأنواع الأخرى تلتقى الحيوانات المنوية والبويضات في الماء وتحملها التيارات البحرية لتلتقي فيما بينها وتتلاقح عن طريق الصدفة، كالعديد من الحيوانات التي تلد عن طريق البيض وخاصة منها التي لا تحضن بيضها وإنما تلقيها في الماء، يلد الترق ويلقي في الماء بأعداد هائلة من البيض تزيد من نسبة بلوغ البعض منها إلى سن متقدم. وهكذا يمكن أن يبلغ عدد البيض الذي يلقيه كل فرد من الترق ما بين خمس مائة ألف وعشرين ألف بويضة ملقحة يضيع العديد منه ولا ينجو إلا القليل منها.

تعتبر تربية الترق من أهم الصناعات الغذائية ومن أهم الاستثمارات مردودية ويتعاطى لهاته الصناعة العديد من المنتجين في بعض البحيرات المالحة سواء منها المتوسطة أو الأطلسية. فلقد دخل الترق في العادات الغذائية في المغرب منذ بداية هذا القرن تقريباً أي حوالي سنة 1920 إلا أن تناوله من طرف العائلات المغربية بقي جد محدود حيث كان الترق كأن يستورد من بعض الدول الأوروبية كفرنسا والبرتغال فيخزن بالسواحل المغربية قبل أن يتم بيعه من جديد مما خلق تجارة مريحة نتج عنها محاولات لتربية الترق في بعض البحيرات سنة 1952 ثم الشروع في استثمارات

داخل بحيرة الوليديه سنة 1956.

اقتصرت تربية الترق في بداية الأمر على نوعين اثنين هما : *Crassostrea gigas* و *Crassostrea angulata* إلا أن نهاية الصدفة الأخيرة أعطت مع مرور الوقت مردودية أكثر فأصبحت بالتالي أكثر إثارة لاهتمام المستثمر في تربية الترق. أما على الساحل المتوسطي فإن تربية الترق وخاصة النوع البلدي *Crassostrea edule*، لازالت حديثة العهد نسبياً حيث لم يبدأ الاستثمار ببخيرة الناظور مع إنشاء شركة ماروست MARST لتربية الأحياء المائية سنة 1985. والجدير بالذكر أن معظم إنتاج هاتين الوحدتين مخصص بالأساس للتصدير وخاصة في بعض المناسبات ك رأس السنة الميلادية حيث تكون وجبة الترق إحدى خصائص هاته المناسبة عند المسيحيين.

يتوفر المغرب على بعض أنواع الترق إلا أن أهمها والتي لها قيمة تجارية نذكر منها *Crassostrea edule* و *Crassostrea angulata* إلا أن النوع الأول يبقى النوع الوحيد البلدي، أما النوعان الآخران أي الترق البرتغالي *C. angulata* أو الترق الياباني *C. gigas* تبقى مستوردة.

C. Bellon-Humbert, *Les mollusques marins testacés du Maroc, premier supplément*, Rabat, n° 37, 1973 ; *Sciences, Alfa sciences*, n° 28, 1974 ; P. S. Gart, *The American oyster, Fish. Bull.* vol. 64, 1964 ; J.C. Medcof, *Oyster Farming in the Maritimes, Fish. Res. Canada Bull.* 131, 1961 ; O.M.F. Ghallahi, *Essai experimental d'élevage de l'huître plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : Lagune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Rabat, Mem. IAV, 1989 ; J. Williams et A. Mkadmi, *Possibilités d'expansion dans l'ostréiculture dans la lagune de Oualidia (Maroc)*, Mem. IAV, 1985.

محمد منيوي

**الترقي (جريدة .)**، لما تقرر نقل مقر جريدة السعادة من طنجة إلى الرباط (أبريل 1913)، تأسست في نفس التاريخ بمدينة البوغاز صحيفة أخرى تحمل عنوان الترق، وذلك للاستمرار في مهمة زميلتها الراحلة. لكن لم ترق الجريدة الجديدة قط إلى مستوى السعادة من حيث النفوذ، بل إن الأوضاع التقشفية التي فرضها سياق الحرب العظمى قد قلص من حجمها وجعلها مجرد ورقة متواضعة جداً تصدرها إدارة الجريدة الفرنسية لاديبيش ماروكين *La Dépêche Marocaine*.

لما اشتدت شرارة الحرب وعظم معها دور الإعلام، ارتأت وزارة الخارجية الفرنسية أن تنعش جريدة الترق لتقوم بدور دعائي فعال للدفاع عن المصالح الفرنسية. وهكذا، تلقت الترق ابتداءً من يناير 1916، مساعدات مادية مهمة مكنتها من الصدور في حلة جديدة والوصول بالمجان إلى عدد من القراء بمختلف مناطق المغرب. وكذا بالجزائر وتونس ومصر.

ويكمن الدور الأساسي للترقي أثناء الحرب في إظهار ازدهار المغرب تحت رعاية فرنسا بالرغم من وطأة الظروف الاستثنائية، كما عملت الجريدة على جلب تعاطف قرائها لصالح فرنسا ضد أعدائها، خاصة الألمان. وبالإضافة إلى

خلط «خللتي» كلنت عطالمة أيضا بعد ذلك المنطقة الشمالية من المغرب ساحة فارغة أمام الدعاية الإسبانية المتمثلة في جريدتين عربيتين، الأولى بطنجة هي الحق، والثانية بتطوان هي الإصلاح.

كانت مواد الترق مستلهمة أساساً في محتويات لاديبيش ماروكين، فترحرر أولاً بالفرنسية، ثم تترجم بعد ذلك إلى العربية.

توقفت الترق عن الصدور سنة 1925 م بعد أن استقرت ظرفية جديدة على الصعيدين المحلي والدولي، لم تعد معها الحاجة ماسة إلى استمرارها.

جامع بيضا

**الترقية (في الوظيفة العمومية).** يرتب موظفو الدولة المغربية في أحد عشر سلماً من سلالم الأجر، تبتدئ من السلم الأول وتنتهي بالحادي عشر. ويحتوي كل سلم على عشر درجات مرتبة من الأولى إلى العاشرة بالإضافة إلى درجة استثنائية توجد خارج السلالم بعد الدرجة العاشرة تسمى خارج الاطار أو خارج السلم.

وتتم ترقية كل موظف من موظفي الدولة داخل السلم الذي ينتمي إليه من بداية التحاقه بالعمل إلى نهاية مدة خدمته في الوظيفة العمومية طبقاً لنفس الترتيب. وكلما التحق الموظف بسلم أعلى بواسطة امتحان مهني أو مباراة أو شبهها تخضم منه درجة واحدة، وقد يتكرر ذلك مرتين أو أكثر كلما انتقل من سلم إلى سلم آخر.

وتتخذ الترقية بالنسبة لجميع السلالم ثلاثة أشكال. فهي تكون إما بالامتياز أو بنصف الامتياز أو بالأقدمية حسب اجتهاد الموظف ومردوديته. ويتم ذلك بناء على تنقيط يمنحه الرؤساء المباشرين أو المفتشون أو غيرهم لمن هم إلى نظرهم وتحت إشرافهم. واعتماداً على هذا التنقيط تختلف مدة الترقية من درجة دنيا إلى درجة أعلى في سلم الموظف على الشكل التالي :

الدرجة	الامتياز	نصف الامتياز	الأقدمية
الدرجة 1 إلى الدرجة 2	سنة	سنة	سنة
الدرجة 2 إلى الدرجة 3	سنة	سنة ونصف	سنتان
الدرجة 3 إلى الدرجة 4	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات
الدرجة 4 إلى الدرجة 5	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات ونصف
الدرجة 5 إلى الدرجة 6	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات ونصف
الدرجة 6 إلى الدرجة 7	3 سنوات	3 سنوات ونصف	4 سنوات
الدرجة 7 إلى الدرجة 8	3 سنوات	3 سنوات ونصف	4 سنوات
الدرجة 8 إلى الدرجة 9	3 سنوات	4 سنوات	4 سنوات ونصف
الدرجة 9 إلى الدرجة 10	4 سنوات	5 سنوات	5 سنوات ونصف

ويتقاضى موظفو الدولة في أي سلم كانوا أجرة شهرية مقابل الأعمال التي يقومون بها تناسب الدرجة التي يوجدون فيها. تتكون هذه الأجرة من شقين : راتب أساسي وتعويضات مختلفة. ويتم احتساب الراتب الأساسي باعتبار النقطة الاستدلالية المطابقة لكل درجة في كل سلم



من سلايم الأجور كما توضع شبكة الأرقام الاستدلالية  
التالية La grille indiciaire :

ملحوظة : يشير الرقم الأعلى المقابل لكل درجة في كل سلم إلى الرقم  
الاستدلالي ويدل الرقم الأسفل على الراتب الأساس.

الدرجة / السلم	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	خارج السلايم
1	107	109	112	115	117	119	122	124	126	128	131 10430.22
2	119	124	128	133	136	139	144	148	153	158	12350.36
3	126	130	134	139	146	153	161	170	175	181	13521.52
4	131	135	140	147	154	162	171	179	188	200	14489
5	137	141	150	157	165	174	183	192	201	220	15507.4
6	151	161	173	185	197	209	222	236	249	262	17646.04
7	177	193	208	225	242	260	277	291	305	318	20497.56
8	207	224	241	259	276	293	311	332	353	373	23298.16
9	235	253	274	296	317	339	361	382	404	438	26607.96
10	275	300	326	351	377	402	428	456	484	512	33023.88
11	336	369	403	436	472	509	542	574	606	704	40152.68

الأساسية فيما يلي دون إدخال التعويضات الممنوحة لهم :

السلم	الدرجة	رقمها الاستدلالي	الراتب الأساسي السنوي	الراتب الأساسي الشهري
9	5	317	167 = 150 - 317 (1) = 68.93 x 150 (2) 10.339.5 درهما = 50.92 x 167 (3) 8.503.64 درهما المجموع = 18.843.14 د	18.843.14 = 12 درهما 1.570.26
10	5	377	227 = 150 - 377 (1) = 68.93 x 150 (2) 10.339.5 درهما = 92.50 x 227 (3) 11.558.84 درهما المجموع = 21.898.34 د	21.898.34 = 12 درهما 1.824.86
11	5	472	322 = 150 - 472 (1) = 68.93 x 150 (2) 10.339.5 درهما = 50.92 x 322 (3) 16.396.24 درهما المجموع = 26.735.74 د	26.735.74 = 12 درهما 2.227.97

عبد الرحمن البكريوي، الرجز في القانون الإداري المغربي، الرباط  
1990 ؛ محمد مرغني، المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي،  
الرباط 1984 ؛ جمعية تنمية البحوث والدراسات الإدارية،  
النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري،  
تشريعات وقوانين تنظيمية، الرباط، 1987 ؛ عبد القادر باينة،

وتوضع شبكات الرواتب الأساسية الواردة أعلاه في  
شبكة الأرقام الاستدلالية الراتب الأساسي المطابق لكل  
درجة في كل سلم، وهي تحتسب بشكل سنوي. وبعد  
قسمتها على اثني عشر شهراً تصبح الأجرة شهرية فيتلقاها  
الموظف على شكل راتب شهري مكون من الراتب الأساسي  
والتعويضات.

ويعادل الراتب الأساسي للموظف القدر الناتج عن  
ضرب القيمة السنوية للنقطة الاستدلالية (وهو 50.92  
درهماً) في الرقم الاستدلالي الحقيقي المطابق لوضعية  
العون. وابتداءً من فاتح يوليوز 1981 أضيف إلى الراتب  
الأساسي مبلغ 18.01 درهماً عن النقطة الاستدلالية بالنسبة  
للأرقام الاستدلالية الحقيقية المتراوحة بين 1 و150 وكذا  
بالنسبة للمائة والخمسين نقطة الاستدلالية الأولى إذا كان  
الرقم الاستدلالي الحقيقي للموظف يتجاوز 150. وهذا يعني  
أن للنقطة الاستدلالية قيمتين : قيمة أولى قدرها 68.93  
درهماً للمائة والخمسين نقطة الأولى فما أقل، وهي ناتجة  
عن إضافة 50.92 درهماً إلى 18.01 درهماً، وقيمة ثانية  
قدرها 50.92 درهماً لكل نقطة تفوق المائة والخمسين نقطة  
الأولى. وبناءً على ذلك يمكن احتساب الراتب الأساسي  
المقابل لكل درجة في كل سلم من سلايم الوظيفة، ما لم  
يطرأ تغيير على القيم الحقيقية للأرقام الاستدلالية والنقط  
المقابلة لها. وبعد احتساب الراتب الأساسي تضاف إليه  
مختلف التعويضات لتشكيل الراتب الإجمالي. نستدل  
على ذلك بثلاثة نماذج من الموظفين نحسب رواتبهم

القانون الإداري، القضاء الإداري، الرباط 1981 : خالد المير  
وإدريس قاسمي، التشريع الإداري والتسيير التربوي، الدار  
البيضاء 1982.

A. Benjelloun, *Droit administratif, l'organisation administrative*, Rabat, 1984 ; Ministère des Affaires Administratives, *La fonction publique*, Rabat, 1981 ; A. Hatim, *La notion d'intérêt du service dans le droit de la fonction publique marocaine*, D.E.S. en Sc. Jur. Econ. et Soc. Rabat, 1988 ; J. M. Breton, *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990 ; E. Ayoub, *La fonction publique*, Paris, 1975.

محمد بوسلام

**الترقيم بالمغرب**، تستعمل في المغرب الأرقام العربية، وهي قريبة الشبه بالأرقام الغبارية التي استعملت في العصر الوسيط بالأندلس والمغرب والتي اشتقت منها الأرقام الأوربية الحالية ويرى الأستاذ "كاي" أن الأرقام التجارية هاته يعود أقدمها إلى مخطوط من (تورخيد) عام 813 / 198 م وآخر من (كوجرات) عام 867 / 253 م وهو تاريخ وصول أول مثال عن الأرقام الهندية إلى العالم العربي، في حين أقدم وثائق الأرقام الغبارية يعود إلى عام 874 / 261 م و888 / 275 م.

غير أن هنالك ما يشير إلى استعمال الهنود لهذه الأرقام بما في ذلك الصفر منذ القرن الخامس الميلادي على الأقل وقد أشار "أرياباطا" إلى هذه الأرقام بصفرها قبل ذلك حيث عاش أوائل القرن الرابع، غير أن تحديد شكل الصفر هل هو نقطة أو دائرة يظل دائماً موضوع خلاف. ويذكرون أن أوراق البردي المصرية القديمة الراجعة إلى القرن الثالث الهجري قد استعملت الأرقام "الغبارية". ولكننا نتساءل لماذا لم يتابع المصريون في القرون التالية استعمال هذه الأرقام حيث عدلوا عنها - إذا صح أنها استعملت حقيقة - إلى الأرقام الهندية أو العربية المستعملة الآن في الشرق.

ويظهر أن الأرقام الهندية قد أدخل عليها منذ القرن الرابع الهجري تعديل كما يلاحظ ذلك في رحلة البيروني عن الهند (1043 / 440 م).

واتسعت الصورة الجديدة للأرقام عند البيروني بما عرفت به بعد ذلك عند ابن الياسمين بالمغرب، وخاصيتها الأساسية هي الشكل الدائري للصفر الذي ظل مطموسا عند المشاركة عدا البعض أمثال محمد بن موسى الخوارزمي.

والخوارزمي هذا أحد منجمي المامون اعتمد في مؤلفاته الحسائية على الهندوس منها العمل بالأسطرلاب وهو من جملة الخمسمائة رياضي وفلكي من العلماء العرب الذين ذكرهم "زوتر" في كتابه *رياضيو العرب وفلكيوهم وأعمالهم* وتدل المصادر العربية على أن ما يسمى في المغرب بالأرقام الغبارية هي نفسها الأرقام العربية حيث يوجد في الخزائنة العامة بالرباط مخطوط تحت عنوان : *تلقيح الأفكار في العمل برسم الغبار* (رقم 222 ك) من تأليف أبي محمد عبد الله أو عبد الرحمن بن حجاج المعروف بابن الياسمين الذي ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج

بقلعة فندلاوة، أخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الأبار في التكملة : "وله أرجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشييلية في سنة 587" (ص. 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر كما في الذخيرة السنينة، وقد وجد ذبيحاً بمراكش سنة 600 أو أوائل 601 هـ، وتوجد نسخ من أرجوزته في الجبر والمقابلة بخزائن باريس وبرلين وأكسفورد والاسكوريال والقاهرة، ومن شراح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 / 1412 م (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي المتوفى عام 1486 / 892 م وهو صاحب كشف الأسرار عن حروف الغبار، خ. ع 14111 د. واسم شرح القلصادي تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين، (مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبب المارديني المتوفى سنة 900 / 1494 م ويسمى للعبة الماردينية في شرح الياسمينية (مخطوط بباريس والقاهرة وأسطمبول) وله أرجوزة في أعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب سنة 1942 السنة الأولى عدد 1) وممن شرح الأرجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج، ص. 106).

وكتاب *تلقيح الأفكار* هذا يعتبر أقدم وثيقة تحدثت عن أعداد الغبار وأكدت أنها مغربية أي عربية الأصل.

ونحن لا ننكر أنه كان هنالك اتصال للعرب المشاركة بالهندوس منذ عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان واتصال المغاربة بالإغريق ربما عن طريق السريان في آسيا الصغرى وكذلك عن طريق الرحلات خاصة في نطاق دعوة ملوك المغرب والأندلس لعلماء اليونان واتقان علمائها بالأندلس خاصة لليونانية واللاتينية مما جعل ابن حزم يؤكد في جمهرته أنه لم ير رجلين اثنين من علماء الأندلس لا يتقنان هاتين اللغتين بالإضافة إلى الضلاعة في لغة الضاد، غير أن الاتصال ليس معناه الاقتباس لأن الإغريق لم تكن لهم في الحقيقة طريقة منظمة لكتابة الأعداد وإنها اعتمدوا في الأصل على المنهج المصري القديم مع الرمز لها بالحروف الأبجدية. فكيف يعطون ما ليس لديهم ؟

وفي خصوص مصدر الأرقام العربية توجد نظريتان أولاهما كلاسيكية مشهورة يدعو إليها ثلثة من الغربيين فيهم "ويبك" و"سميث" و"ناللينو" و"ديرنجر" وهي نسبة هذه الأرقام إلى الهنود الذين يرجع إليهم الفضل في إبداع طريقة التعداد بالأرقام والمراتب على النظام العشري وعنهم أخذ العرب الذين يعترف علماءهم بذلك كالمسعودي والبيروني. هذا في حين أن بعض العلماء أمثال "كارا دي فو" و"كاي" و"كولان" يرون أن مبدأ الترقيم يعود إلى الرياضيين اليونانيين حيث يرى "كارا دي فو" أن كلمة هندي راجعة إلى الكلمة الفارسية بمعنى قياس في الحساب والهندسة أو أنها من هندي (الهندسة والحساب) ولذلك فنظام الترقيم في نظره هو عمل أتباع أفلاطون

وفيتاغورس، ومن ثم انتقلت هذه الطريقة حسب زعمهم للألم اللاتينية وللفرس الذين نقلوها بدورهم للعرب والهنود معا بعد الفتح الإسلامي. تلك نظرية الذين يبحثون دائماً عن منفذ إلى أصالة الغربيين المزعومة في كل شيء.

ويزيد "كولان" الأمر تدقيقاً فيزعم - تخميناً - أن الأرقام العربية اشتقت من الأحرف اليونانية ذات الدلالة الرقمية وأن الفرق بين الأرقام الهندية والغبارية هو أن الأولى تشتق مباشرة كالثانية من الأصول اليونانية بل إنها جاءت للغربيين عن طريق الهنود الذين نقلوها بدورهم عن اليونان. ولعل الأرقام العربية ظهرت لأول مرة بأوروبا في مخطوط للمهندسة تحت اسم مستعار (بويس) يعود تاريخه للقرن الحادي عشر الميلادي ولها أشكال الأرقام الغبارية التي استعملتها أوروبا والتي يتبين من بعض الأشكال المعروضة في هذا المجال أنها ليست هي التي يستعملها العرب الآن حيث أن جيربير (Gerbert) وتلاميذه لم يعرفوا الصفر. فالخطوط الأوربي الأول الذي ظهرت فيه هذه الأرقام يرجع إلى عام 976 / 366 م وقد نشر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط أشكالاً لذلك، وقد أكد المؤرخ الإنجليزي "كيبوم دوما ميسوري" وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي أن جيربير تتلمذ للعرب بالأندلس. ويقال بأن جيربير هذا هو الذي أدخل الحروف العربية إلى أوروبا معجبا بمعجزة الصفر التي هي من إبداع الفكر العربي وتركت أثرها العميق في نفسية الرياضيين أمثال "اديلارت" الإنجليزي و"جيرار كرمونو" الإيطالي، وقد توهم البعض أن "جيربير" هذا الذي اعتلى (عام 999 م / 390 هـ) كرسي البابوية باسم سيلفستر الثاني (Sylvestre II) قد درس في جامعة القرويين وبها تعرف على الأرقام الغبارية ونقلها إلى أوروبا إلا أن هذا لم يصح بل إن اتصال "جيربير" بمعاهد قرطبة أقرب إلى الواقع.

إذا قلنا بأن الأرقام المشرقية الحالية والأرقام الغبارية المغربية كلاهما من أصل هندي فإن ذلك يرجع إلى تعدد أشكال الأرقام الهندية تبعاً للمناطق بالهند، كما لاحظ ذلك البيروني ولعل العرب اكتفوا من هذه الأشكال بصنفين فقط نتج عنهما الطريقتان المشرقية والغبارية المغربية إذا صح أن هذه ليست عربية أصيلة.

وقد أكد ابن الحباك محمد بن أحمد التلمساني (867 / 1462 م) في شرح تلخيص أعمال الحساب لابن البنا (ص. 21) أن حساب الغبار من وضع الهنود الذين كانوا يتصرفون به في غبار ميسوط على لوح وأشكالها تسعة.

وفي ذلك إشارة إلى عادة رش الغبار على الألواح المستعملة لإجراء الحساب ليتمكن رسمها بالأصبع. والأرجح عند البعض في تعليل هذه التسمية أن هذه الأرقام كانت تكتب بالقلم المسمى "غباري" لدقته بالنسبة للأقلام الأخرى وهو أصلح للحسابات وهذه أيضاً نظرية تؤكد انفصال القلم الغباري عن القلم الهندي، وقد أشار أيضاً إلى نوع ثان هو حساب "الجمل" وحساب "أبجد" ونوع ثالث وهو الزمامي

المعبر عنه بالقلم الفاسي.

نعم لجأ المغاربة إلى الأرقام الرومانية أحياناً وهي التي عرفت قبل القرن التاسع الهجري واستعملت باسم (الخط الفاسي) حيث استخدمها علماء فاس اختصاراً وحماية للوثائق الهامة من التدليس ولعلها مستعارة من الكتابة الاغريقية واقتصر استعمالها على حسابات الموارث وحوالات الوقف وجداول وأزياج الفلك، وقد نص صاحب تاريخ الرياضيات على أن أول من دعا لاستخدام الأرقام الغبارية "ليوناردو فنشي" حيث ظهرت منقوشة في عملة سويسرا عام 1424 / 828 م وفي النمسا سنة 1484 / 889 م وفي فرنسا عام 1485 / 890 م وفي ألمانيا سنة 1489 / 895 م وفي اسكتلندا عام 1539 / 946 م وفي إنجلترا عام 1518 / 924 م واعتمدت لأول مرة في التقويم عام 1518 / 924 (تقويم كويل)، وهذا الزعم لا يصح لأن "ليوناردو" ولد عام 1452 / 856 وتوفي عام 1519 / 925 فهو قد وجد الأرقام العربية قد أخذت طريقها في المسار الحضاري الإنساني بأوروبا قبل ذلك بخمسة قرون وإنما زاد هذا الانتشار دعماً نظراً لمكانته العلمية عند الغربيين ومعلوم أن ليوناردو فنشي كان صديقاً لفرديريك الثاني الامبراطور الجرمانى وكان كلاهما معجباً باللغة العربية وقد تتلمذ ليوناردو لعلماء العرب واقتبس الأرقام العربية من مؤلفاتهم في الجبر والمقابلة والحساب، وهو يعتبر أعظم من نشر العلوم الرياضية انطلاقاً من منبعها العربي بواسطة الأرقام التي غير العرب شكلها وصورتها.

فعروية الأرقام المستعملة الآن في أوروبا والمغرب قد تكون غير أصيلة نظراً لطابعها الهندي المحتمل، غير أن هنالك فرقا بين الشكل الهندي الأول وبين ما أصبح العرب يستعملونه من أرقام وصفتها أوروبا بأنها عربية، فكان ذلك مبرراً لهذه التسمية التي درج عليها الغربيون إزاء الأرقام المعدلة من طرف العرب خاصة بالأندلس وجزر البحر المتوسط منذ العصور الوسطى. ومهما يكن فإن الوطن العربي في حاجة الآن إلى أن يوحد اختياراته مع العالم الحديث في هذا المجال لا سيما وأن مناطق عربية شاسعة تستعمل منذ عدة قرون ما تستعمله أوروبا من أرقام تصفها هذه بأنها عربية فلو كان الغربيون يستخدمون وحدهم هذه الأرقام لتساءلنا لماذا نعطي الأسمية لهذه على تلك. وقد أبرزت وثيقة وردت على مكتب التعريب من وزارة الاعلام بدولة الكويت ضرورة تصميم هذه الحروف المستعملة في أوروبا لأسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي. وقررت حكومة العراق التخلى عن الأرقام المشرقية واعتماد الأرقام العربية فآثار هذا القرار تساؤلات عن مستقبل الأرقام المشرقية. وقد ظهرت دراسات لعلماء عرب خاصة بمصر أبرزت أصالة الأرقام المستعملة اليوم لدى الغربيين كأرقام عربية.

وسبق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أن أحال كتاب لجنة

(وآخرون)، تاريخ الرياضيات : مجلة اللسان العربي، الأعداد 2 و4  
و12 ج. 1 و15 ج. 1.

عبد العزيز بنعيد الله

**ترگمايت** أو تارگمايت، قرية على أحد روافد وادي صياد الأعلى بمنطقة وادي نون. ويطلق اسم ترگمايت على أحد روافد الوادي غير بعيد عن تاغاجيجت. ويحمل المدرس المحلي هذا الاسم منذ زمن يصعب اليوم تحديده. وذلك أن إذا أوعفان المقيمين به مايزالون يحافظون على وثائق تثبت مجيئهم من تيغمرت حيث كانوا يمثلون جزءاً من سكان نول لمطة القدماء. وإذا كانت الأحداث قد فرضت الدخول في صفوف أيت النص الذين تنصدهم قبيلة أيت إبراهيم التكنية (انظر مادة أيت إبراهيم بالمعلمة)، فإن تشبههم بتاريخهم البعيد مازال محل نقاش ومايزال أيت عفان يجهرون بتملكهم لتيغمرت حيث ماتزال أنقاض تشيشت وحجم المآثر تشهد على عظمة عاصمة وادي نون (انظر مادتي تيغمرت واسرير بالمعلمة).

Cl. La Ruelle, Les *Id Brahim* ; V. Monteil, Les *Tekna* ; F.C. De la Chapelle, Les *Tekna*.

مصطفى ناعمي

**التركي، أحمد** (رايس بحري) عمل في الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م). كان في سنة 1187 / 1773 يقود غليوطة مجهزة بخمسة مدافع وستة وثلاثين مجذافاً، ويرأس طاقماً مكوناً من خمسين بحاراً، وهي السنة التي تلقى خلالها من باطونيبه (Pathonier) نائب القنصل الفرنسي شونيبه (Chenier) جواز مرور تمتد صلاحيته من 18 يونيو إلى 8 سبتمبر، لاتقاء الملاحقة الفرنسية. وعقب تلك السنة ترقى إلى مصاف الرياس الأساسيين في البحرية المغربية - رفقة الرايسين السلويين علي الصابونجي والحاج الهاشمي عواد - بظهير تعيين رسمي من السلطان سنة 1188 / 1774.

Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc*, p. 142 ; A. Timoule, *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*, T. I. p. 311.

**التركي (سيدي .)**، هناك ضريحان يحمل كل منهما اسم سيدي التركي، أحدهما بسلا قريب من جامع الشهباء، والثاني بالرباط في مقبرة العلو المشرفة على المحيط. ويعتقد انتسابهما للأتراك العثمانيين الذين عملوا في الأسطول الجهادي السلوي ثم في الأسطول الإسماعيلي. ويقال إن أحدهما كان من صفوة رجال الرايس الشهير عبد الله ابن عائشة، ومن مرافقيه في سفارته المشهورة إلى فرنسا لدى ملكها لويس الرابع عشر في حدود سنة 1110 / 1698، وربما هو الذي كتب لابن عائشة رحلته الباريزية.

ع. بلقاسم، تاريخ عائلات سلا، ص. 24-25 م. بوجندار، الاغتباط، ص. 98-99.

حسن أميلي

الرياضة في هذا المجمع على مجلس الاتحاد في خصوص اقتراح إحلال الأرقام الغبارية المستعملة في المغرب العربي محل الأرقام الهندية المنتشرة في جميع بلاد المشرق العربي بحجة أن الأولى هي الأرقام العربية الأصيلة. كما سبق أن انعقدت عام 1383 / 1963 م بتونس حلقة لتوحيد الأرقام العربية حضرها ممثلون وملاحظون عن الدول العربية وجامعتها تدارسوا تطور هذه الأرقام في مختلف مراحل التاريخ العربي وقد توصلت هذه الحلقة إلى ما حقق لديها أصالة هذه الأرقام مؤكدة ضرورة الاقتصار عليها في العد والترقيم والتزمت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية آنذاك بإصدار تعليماتها إلى سائر الدول العربية لضمان هذه الوحدة.

وقد تحدث الأستاذ أنور بكير مدير المكتب الدائم للاتحاد البريدي العربي في بحث له عن الأرقام العربية الأصيلة (ويقصد بها الأرقام الغبارية) وضرورة استخدامها في أختام البريد بدلاً من الأرقام العربية الحالية التي هي أرقام هندية، كما أشار إلى الاتفاقية البريدية العالمية التي تقضي باستعمال الأرقام العربية المستخدمة الآن بأوروبا، وقد أصدر مؤتمر الرياض عام 1380 / 1960 توصية للبلاد العربية للعمل بقدر الإمكان على استخدام الأرقام الغبارية في شكلها الحالي المستعمل بالمغرب العربي وأوروبا وبقية أجزاء العالم وخلال المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر (1393 / 1973) أحييت القضية على اللجنة المكلفة بدراسة موضوع الأرقام والرموز بحضور أساتذة كبار يمثلون جميع الأقطار العربية.

وبعد تبين وجهات النظر المختلفة ارتأت اللجنة أن توصي باستعمال الأرقام العربية للأسباب الآتية :

أ - أن هذه الأرقام هي عربية في الأصل ومازالت تحمل في أوربا اسم "الأرقام العربية" وهي لاتزال مستعملة في أكثر أقطار المغرب العربي.

ب - أن استعمال هذه الأرقام يحل كثيراً من المشاكل التعليمية والفنية وذلك لأنها ستغني عن ترجمة كثير من الجداول الرياضية في مختلف العلوم، وستيسر على الطلاب المشتغلين في العلوم قراءتها في مظانها علماً بأن صور هذه الأرقام تكاد تكون عالمية.

ج - أن استعمال هذه الأرقام سيحل مشكلة الصفر الذي يرسم بطريقة الأرقام الهندية المستعملة حالياً بهيئة نقطة كثيراً ما أدى تناهيتها في الصفر إلى الوقوع في الخطأ.

د - هذا علماً بأن استعمال هذه الأرقام العربية لم يكلف المتعلم العربي أكثر من تعلم تسع صور للأرقام إضافة إلى الصفر هو أمر سهل جداً.

فيفري، الأرقام العربية، اللسان العربي، عدد 2-1384. 1965 :  
المجلة الآسيوية، ص. 35 و518 (عام 1801 هـ / 1883 م) ؛ هسبريس،  
م 44 (3-4) عام 1657 : مجلة الهلال، 1963 (ص. 356) ؛  
القلقشندي، صبح الأعشى : أ. سكيج، إرشاد المتعلم والناسي في  
صفة أشكال القلم الفاسي، مطبعة الجزائر 1917 ؛ عبد الحميد لطفى

ياسين قملك بالفعل العقار الذي يحمل اسمها والكائن بقرية ترمگيست قملكا صحيحا.

ومن ذلك أيضا أنه قد أنشئت في أواسط السبعينات بقرية ترمگيست بعض الضيعات من طرف بعض الأشخاص الآخرين من قبيلة أيت ياسين ذاتها، وذلك اعتماداً على عقاراتهم الشخصية التي آلت إليهم من آبائهم وأجدادهم، وإما اعتماداً على عقارات غيرهم من بعض أبناء عمومتهم على سبيل الإعارة أو الإجارة أو الشراء أو غير ذلك من أوجه المعاملات العقارية المستعملة، نذكر منها على سبيل التمثيل ضيعة الحاج ابريكي الياسيني، وضيعة الحاج عبد القادر المغيني الياسيني.

هذه فقط بعض المعطيات التي تأكدنا منها عياناً، ومن خلال بعض الوثائق المتوفرة بين أيدينا دون أن نقوم ببحث دقيق وشامل، وإلا فإن مثل هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من البحث.

سيدي علي (خنفر)، تقييدات شرط مسجد أفركط خلال سنتي 1344. 1345 هـ / 1925. 1926 م. مخطوط خاص لدى الأسرة ؛  
مراجعة تقييد الشرط نفسه، بتاريخ 19 صفر 1349 هـ / 1930 م،  
مخطوط خاص لدى الأسرة.  
محمد عالي خنفر

**ترميم المآثر التاريخية :** الترميم في تعريفه الضيق هو إعادة الشيء المكسور أو المبتور إلى حالته الأولى، لكن المصطلح كما هو معمول به في حقول التراث، يجمع ما بين معاني متعددة يمكن حصرها في أربعة وهي : الترميم بالمعنى الأول، والتجديد وهو تنظيف التحفة أو المعلمة أو الموقع وإعادة المظهر المناسب له، والتدعيم وهو تقويته بإدخال ما يكسبه الصلابة والقدرة على المقاومة، والتهئية وهي تنظيمه وتقديمه في حالة تتناسب واستعماله الأصلية أو المرتقبة.

وقد يصعب وضع تاريخ مفصل للترميمات بالمغرب، وذلك بالنظر إلى كون التحف التي تكون قد خضعت لعمليات ترميم متعددة ومنتشرة في العديد من المتاحف، وبالنظر كذلك إلى كون المباني والمعالم، كبيرة كانت أو صغيرة، لم تفتأ تعرف عمليات من هذا القبيل مادامت حية، تُسكن كالقصور والدور، أو تسير نشاطها الأصلي كالمساجد والأضرحة وغيرها. وتعد كتب الأخبار بالعديد من الإشارات إلى هذه الإصلاحات بما يكفي من الوضوح لنستغني عن ذلك.

على أن الترميم بمعناه العصري والمعاصر، أي ذلك الذي يركز على الدراسات والملفات التقنية الدقيقة، التي تملّي ضرورة الإلمام بكل جزئية من المادة أو المبنى، والتي تستدعي في الكثير من الحالات الاستعانة بالمختبرات المتخصصة واستعمال مواد كيميائية حديثة، هذا الترميم ظهر وتطور بالمغرب مع ظهور وتطور البحث الأركيولوجي والمعماري، أي منذ سنة 1915 وبالضبط في منتصف السنوات العشرينيات.

**التركي، سليمان،** من الأتراك الذين أرسلهم السلطان العثماني أيام السلطان محمد بن عبد الله ليعلموا طبيعية وبحرية المغرب وخاصة بالرباط وسلا، وكان سليمان هذا قد أتى ضمن رفقائه إلى سلا لمعانية "دار الصناعة" قصد إصلاحها والإشراف عليها لتصبح مرسى للمراكب صيفاً وشتاءً، ولكنها كانت متداعية يتطلب إصلاحها وقتاً طويلاً جداً، لذلك صرف السلطان نظره عنها نحو الصويرة، وكان سليمان التركي قد قام بمهمته لتعليم طبيعية الرباط فن الرمي، وشارك في فتح الجديدة وأبلى بلاء حسناً، توفي سنة 1182 / 1769.

محمد بن علي الدكالي، الاتحاف الوجيز، تحقيق مصطفى بوشعراء، الرباط 1986، ص. 64.

عبد الإله الفاسي

**ترمگيست** أو تارمگيست، قرية من قرى سهل وادي نون توجد بالجانب الشرقي من جبل تيرت، قريباً من الطريق الرئيسية الرابطة بين مدينتي گلميم وأسا، عبر قريتي فاصك وترگمايت، وذلك قبالة قرية تيغموت من جهة شمالها الغربي تقريباً، بحيث لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة لا تتعدى بضعة كيلومترات.

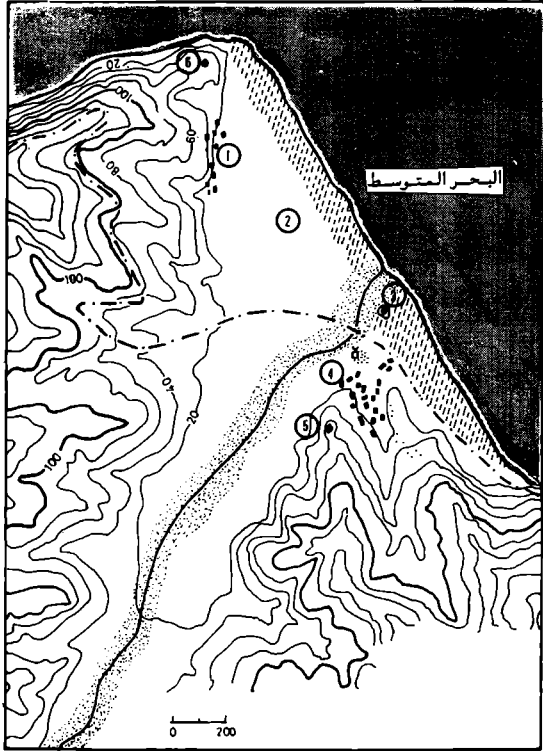
سكانها مزيج من عشائر متنوعة، من قبائل تكنة، على غرار سكان فاصك تقريباً، يتكلمون لهجة مزيجة بين الأمازيغية والعربية، ويحترفون الفلاحة السقوية والبورية الموسمية، خاصة فلاحة الخضر كالجزر واللفت، وفلاحة الحبوب كالشعير والذرة والقمح، وأشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والعنب والصبّار، وغيرها، كما يهتمون بكسب بعض المواشي ورعيها، كالغنم والماعز والبقر وغيرها. ويبدو أن ترمگيست كانت موطناً لاستقرار بعض العشائر من قبيلة أيت ياسين التي نزحت عنها في فترة ما ولسبب من الأسباب إلى قرية أفركط حيث تتركز مختلف عشائر هذه القبيلة حالياً، في منطقة تعرف بالساحل، وهي على شريط بالجانب الأيمن من الطريق الرئيسية الرابطة بين گلميم وطنطان، على بعد حوالي ستين كيلومتراً من ترمگيست، يدل على ذلك وجود بعض العقارات التي مازالت إلى الآن في ملكية بعض الأفراد من عشيرة "أهل داوود" من قبيلة "أيت ياسين".

نذكر من ذلك مثلاً ما سجله الفقيه العدل الأديب علي الياسيني (1284. 1362 هـ / 1867. 1942 م) في بعض تقييداته بتاريخ 19 صفر عام 1349 هـ / 1930 م حيث أشار فيها إلى أنه قد ارتهن نصيبين من "نخيل احماد بن داوود بترمگيست" من بعض الأفراد من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت ياسين، وذلك مقابل مال كان قد استحقه في شرطه بمسجد أفركط المذكور عن سنتي 1344. 1345 هـ / 1926. 1925 م).

يتضح من نصوص عقود الملكيات إذن من خلال هذين النصين أن بعض الأسر من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت

جدار القبلة. وهذا التصميم هو الذي نجده في المساجد العتيقة المغربية سواء في الحواضر الكبرى كفاس مثلاً ، أو في البوادي.

يتقدم بيت الصلاة صحن واسع احتلت جانبيه الجنوبي سكنى الامام وجانبه الشمالي مجموعة من الغرف المخصصة لايواء الطلبة الذين يأتون المسجد من مختلف نواحي بلاد غمارة ومن الريف لمتابعة دراستهم على الطريقة التقليدية. ذلك أن هذه المسجد عرف كذلك بالدور الكبير الذي لعبه ولا يزال إلى حد ما يلعبه في تعليم القرآن الكريم وعلوم الفقه. وتحتفظ الذاكرة المحلية بما في هذه المدرسة وتعتبرها أهم مدرسة دينية بالمنطقة المشهورة بالمستوى الرفيع لتعليمها. ويزخر تاريخ علوم القرآن بأسماء علماء ترغينين أجلاء لعل أشهرهم شيخ القراء في عصره محمد بن يوسف الترغي المتوفى سنة 1009 هجرية.

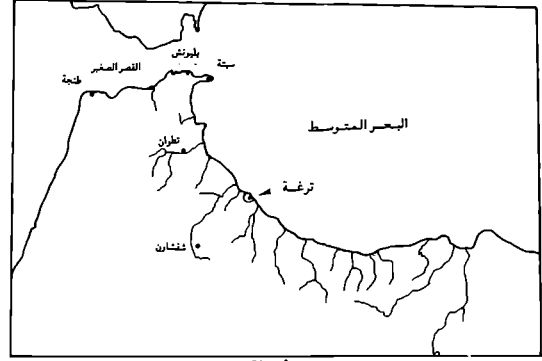


تفاصيل أقسام مدينة ترغنة

- 1- روض الزاوية". 2. موقع جامع ابن عزار. 3. الحصن البرتغالي.
4. روض "ترغنة". 5. "دار السلطان". 6. برج ساحلي.

في وسط المنبسط الذي يفصل ما بين روض ترغنة وروض الزاوية، تظهر بقايا جدران مندثرة، تحمل اسم جامع ابن عزار، ويحتفظ لها باحترام كبير بين السكان الحاليين للرضين. من يكون ابن عزار هذا ؟ وهل حقيقة أن ما يبرز قليلاً فوق سطح الأرض هي بقايا جدران مسجد ؟ لا يمكن الاجابة عن السؤالين اليوم لقلة المعطيات. ولكن الذي أثار انتباهنا ونحن نتجول بحثاً عن البقايا الأثرية في مجموع الوادي، كثرة القطع الخزفية الصغيرة الحجم والمختلفة الصنع، المختلطة ببقايا مواد البناء كأنصاف الآجور

على القرية الحالية، وملتصقة بجبل "أزنتي" المجاور. وهذا الموقع هو أحسن مكان لبناء قلعة تتحكم في الوادي وفي مصب "واد ترغنة" وإن كانت واجهته الخلفية (الجنوبية) ضعيفة التحصن وهو مادفع بمشيدي القلعة إلى حفر خندق واق على طول هذه الواجهة بينها وبين تقدم الجبل.



أظهرت الأبحاث التي قمنا بها في السنوات الأولى من الثمانينات، أن هذه القلعة مرت بثلاث مراحل متباينة في تقنيات ومواد بنائها. وإذا يتعذر اليوم تحديد كل واحدة من هذه الفترات بدقة فإن ما يمكن التأكيد عليه هو أن أقدم جزء منها يقترب كثيراً في مكوناته (مادة وتقنية) مما هو معروف في المنشآت الموحدية، وأن أحدث جزء منها، وهو بطبيعة الحال مكون من مجموعة تغييرات أدخلت على العمارة الأصلية، يعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، حيث يظهر أن القلعة سكنت ربما من طرف الغزاة البرتغاليين.

بحاذاة البحر على الشاطئ وفي وضعية مقابلة تمام المقابلة لدار السلطان، تنتصب بناية محصنة فوق صخرة عظيمة تعلو سطح البحر بأكثر من خمسة عشر متراً. كل شئ في هذه البناية مختلف عن أمثاله في دار السلطان فبينما هذه الأخيرة مبنية من الحجر والطابية، بنيت ثكنة الشاطئ بالحجارة القوية فقط، وبينما تصميم الاولى متواز في عدة من جوانبه، نجد جدران بناية الشاطئ مسايرة لشكل الصخرة التي شيدت فوقها، وبينما لا نجد في القلعة الأولى من الفتحات سوى كوات للرمي موجهة ناحية البحر، تتوفر بناية الشاطئ على مجموعة من المرامي المدفعية، منتصبه على طابقين : خمسة بالطابق الأسفل وستة بالأعلى مع اختلاف في الاتساع ما بين تلك التي تنظر جهة البحر (وهي الأوسع) وتلك الموجهة نحو داخل الأرض الاقل منها اتساعا.

ومن المآثر التي مازالت حية تقوم بدورها إلى اليوم، المسجد الجامع، الواقع شمال القرية الحالية، على بعد بضعة أمتار من أولى مساكنها وبمحاذاة المقبرة العتيقة.

يحتل هذا المسجد مساحة تفوق 500 متر<sup>2</sup> وتتوزع مرافقه ما بين بيت صلاة عرضه 15.20 م وعمقه 6.10 م مقسم إلى بلاطين أفقيين وخمس بلاطات عمودية متجهة نحو

الجنوبية والأطلسية. وقد تمت بالفعل عمليات في هذا الإطار في تافيلالت (بقصر الفيضا قرب مدينة الريصاني) وبالمخازن الجماعية لفاحور وسيدي موسى بإقليم أزيلال الخ...

ودون التطرق إلى ما عرفته كل معلمة على حدة من أشغال غير التراث الوطني، يمكن الإشارة فقط إلى المدن التي عرفت وتعرف حالياً ترميمات وصيانات تنجز على معالم ومباني مختلفة العمارة والتوظيف. ففي طنجة رمت الأسوار وأبوابها ومتحف القصبية، ويتطوان كذلك رمت الأسوار وبعض المباني، وهناك مشروع تعاون قائم مع حكومة الأندلس لصيانة المدينة العتيقة، وشفشاون تم الترميم الكلي لقصبية "أوطى حمام" وجانب من الأسوار، ويسلا رمت جوانب من الأسوار والأبراج والأبواب، كما انطلقت أشغال ترميم مدرسة أبي الحسن التي قرب المسجد الأعظم. وهذا الأخير أيضاً تم ترميمه من طرف إدارة الأحباس، ويمكننا رمت الأسوار وأبوابها، وبعض المباني كالمسجد الكبير، والمدرسة البوعنانية، ودار الجامعي التي بها المتحف، ودار الباشوات، وبوجدة يتم ترميم الأسوار وبابها الكبيرين باب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي، وبصفرو ترمم الأسوار وبأسفي رمم جانب كبير من قصر البحر وأجزاء من السور المتبقي، وبتارودانت كذلك رمت الأسوار وترمم بعض أبوابها.

ومن أهم ما أقدمت عليه مديرية التراث منذ إنشائها، سن سياسة جديدة تستهدف ترميم المباني وإعادة توظيفها إما بالنشاط الذي كان لها أصلاً أو باحتضانها لأنشطة أخرى تعيد لها الوجود في النسيج العمراني، لا كماثر تصان وتزان لجمالها أو لما تحمله من إرث ثقافي، وإنما زيادة على ذلك كعناصر عمران حية. من ذلك مثلاً ترميم بعض أبواب المدن وفتحها كفضاءات ثقافية تقام بها المعارض الفنية المختلفة، وأهم الأمثلة أبواب الرباط الموحدية كباب الرواح الذي أصبح الرواق الوطني الأول، وباب قصبية الأوداية الذي يحتضن أكبر المعارض لسعة مساحته وعلو سقفه، وباب لعلو الذي خصص كرواق يعرض فيه الشباب من الفنانين والمبدعين.

وفي إطار التعاون الثنائي يمكن ذكر العملية التي تمت بأصيلا حيث رمم برج النعام، وهو الذي كان الملك البرتغالي "سبستيان" قد قضى به آخر ليلة في عمره، ليلة معركة واد المخازن الشهيرة التي لقي فيها حتفه، وقد رمم هذا البرج بمساهمة مادية من مؤسسة كولبانكيان البرتغالية.

ومن المشاريع الكبيرة التي أقبل عليها المغرب في العقدين الأخيرين مشروع إنقاذ مدينة فاس الذي انطلق في مطلع السبعينات بتعاون وثيق مع منظمة اليونسكو. ومما يجب التأكيد عليه أن هذه العملية الضخمة، جندت إمكانيات هائلة، جمعت ما بين إمكانيات الدولة وإمكانيات الخواص، وهي بصدد محاولة جلب الاستثمار الخارجي لمواجهة التكاليف الباهضة الضرورية. على أن أهم ما

أسفرت عنه الحملات التعريفية والتحسيسية إلى اليوم هو إقناع بعض أبناء فاس الميسورين بأهمية مساهمتهم الفعلية والمباشرة في مشاريع الصيانة والترميم، فأسندت لهم بعض المعالم للإتفاق على ترميمها كالمدرسة البوعنانية، ومدرسة العطارين، وفندق التجارين مثلاً.

هذا وقد اكتسب المغرب تجربة لا بأس بها في مجال ترميم المباني وصيانتها، وهو ما جعله من البلدان العربية القليلة التي يستعان بخبراتها. هكذا وقع المغرب اتفاقية تعاون مع سلطنة عمان سنة 1983 وأرسل بمقتضاها فريقاً من التقنيين والمهندسين والبنائين المتخصصين يقوم بترميم وإصلاح القلاع والحصون وبعض المباني التاريخية الأخرى. ولا يزال هذا الفريق المكون من أكثر من ستين فرداً يقوم بمهامه إلى اليوم.

ب - ترميم التحف : لم تنل التحف الفنية ما نالته المباني من اهتمام في الترميم، ذلك أن المغرب لا يتوفر على مختبرات متخصصة ولا على أطر مكونة في هذا المجال. ثم إن القيام بهذه الأعمال خارج حدوده يتطلب من الامكانيات ومن الضمانات والتأمينات ما يكلف الكثير. ومع ذلك لم تتأخر المصالح الأثرية والتراثية على إخضاع ما استوجب الترميم لهذه الأعمال داخل المغرب وخارجه. ونقتصر في هذا الباب على ذكر ترميم بعض أهم القطع البرونزية التي اكتشفت بوليلي كتمثال الغلام الساقى، وتمثال الكلب، وتمثال الصياد العجوز، وكلها تمت بمختبرات "جارفيل" (Jarville) الفرنسية في السنوات الأولى من الثمانينات، كما تمت كذلك معالجة مجموعة من الفسيفساء التي استخرجت من موقعي "بناصا" ووليلي. أما القطع الخزفية، فنالت كذلك قسطاً من نفس الاهتمام، حيث تمت ترميمات على أهم الجرار، وبعض الأواني أهمها "القصرية" التي اكتشفت بموقع بليونش والتي يعود تاريخها إلى القرن الثامن (14 م).

J. Borely, *Tinmel : douze carnets de notes*, Paris ; Laboratoire Public d'Essais et d'Études, *Tinmel : Rapports d'analyses*, 1991 - 1992 ; H. Terrasse, *La mosquée Quaraouiyin de Fés*, Paris, 1968 ; Collectif, *Tinmel, L'épopée almohade*, Casablanca, 1992.

عبد العزيز توري

**ترناتة**، هي واحدة من واحات درعة الست، وهي واحات : مزكيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة، المحاميد، التي تكوّن ما يعرف بوادي درعة الأوسط. تبدأ واحة ترناتة من فم أزلاك وتنتهي عند فم زاغورة ما بين واحتي تينزولين في العالية وفزواطة في السافلة. تمتد على طول ثلاثين كلم وعرض يتراوح ما بين 250 و5700 م ومساحة مسقية تقدر بـ 5324 هـ أي ما يعادل 24.1٪ من مساحة درعة الوسطى.

وتروي أراضي واحة ترناتة ست عشرة ساقية منها ساقية أغلان، ساقية إيفلي، الساقية البغدادية، ساقية المكاترة، ساقية أنزي، ساقية البركة... التي تسقي كل

السنوات	عدد السكان (ن)	عدد العائلات	أفراد العائلة	% تطور السكان
1933 . 1943	8.817	1.763	5	
1943 . 1953	11.462	1.910	6	30
1953 . 1963	18.518	2.645	7	61.5
1963 . 1977	26.453	3.724	7.1	24.8
إحصاء 1982	33.624	4.244	7.9	27.1

رغم أن هذه المعطيات تقديرية ما عدا إحصاء 1982، إلا أنها تبرز ظاهرة موحدة وهي زيادة سكان واحة ترناتة وهذا مع باقي واحات درعة الأوسط التي كانت تعرف زيادة أو نقصانا حسب التقلبات المناخية. لعل ما يفسر استثناء واحة ترناتة هو وجود مدينة زاكورة بها والتي عرفت فقط ما بين 1971 و1982 زيادة 46.1% أي من 5.302 ن إلى 9.839 ن. يعتمد اقتصاد الواحة بالدرجة الأولى على الفلاحة وهي فلاحة معيشية تتركز على أشجار النخيل التي قدرت خلال السبعينات بـ 386.000 نخلة منتشرة على مساحة مسقية قدرت بـ 5.324 هكتار مما يعطي كثافة 72.5 نخلة في كل هكتار مسقي، إلى أسفل النخيل هناك مستوى آخر يتكون من أشجار الرمان، التفاح، اللوز، العنب... ونجد أسفل هذين المستويين زراعة الحبوب من شعير وقمح بالأساس، وزراعة الخضروات (بصل، جزر، لفت، فول، كرنب... ) برسيم أو فصة... كما نجد تربية الماشية بالاصطبلات.

في حالة توفر فائض من المنتجات الفلاحية فإن الفلاحين يبيعونها بالأسواق المحلية المتمثلة في سوق الأربعاء وسوق الأحد بزاكورة وسوق الخميس ببني زولي وأحيانا بالأسواق الأخرى الموجودة بدرعة بل ومراكش لبيع التمور.

بصفة عامة اقتصاد الواحة جد محدود، فالفلاحة تقليدية تتركز على وسائل عتيقة. كما أن الكثافة جد مرتفعة بحيث نجد أكثر من ستة أفراد في الهكتار الواحد. وهذه الفلاحة مرتبطة بمياه السقي التي يحملها وادي درعة كما أن النخيل الذي يتركز عليه اقتصاد الواحة معرض لمرض "الببوض" والذي لم يجد دواء لحد الآن وأثناء فترات الجفاف فإن الواحة تعتمد على الأموال التي يرسلها أبناؤها المهاجرون من مختلف مدن المغرب أو الخارج.

A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata (Draâ Moyen - Maroc)*, Thèse de Doctorat en Géographie, 1990. Rouen France; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc, tribus berbères*, Tome II: *District et tribus de la haute vallée du Draâ*, 1930; G. Toutain, *Sur une évolution économique de la vallée du Draâ*, Al Awamia.

n° 53, 1974.

عبد الكبير باهني

**التَّرْنُجُ**، كلمة فارسية تعني بالعربية نفاش، وسيدرا (Cédrat) أو سيدراتيبي (Cédratier) بالفرنسية. أما اسمها العلمي فهو: سيثروس ميديكا (Citrus medica).

نوع شجري من الموالج ينتمي إلى فصيلة السذابيات (Rutaceae) ويختلف عن الترنج أو الرنج أي البرتقال المر

واحدة منها أكثر من محاط واحد بالمياه التي تأخذها من واد درعة.

السكن بواحة ترناتة عبارة عن تجمع ملموم ويعرف بالقصر. ويوجد بهذه الواحة خمسة وتسعون تجمعاً سكنياً، منها ثمانية وسبعون قصراً وقصبة إضافة إلى تسعة عشر قصر - زاوية. تسعة من هذه التجمعات السكنية تفوق ساكنة كل واحد منها 1000 نسمة أهمها قصر بني زولي، قصر تنسيطة اخشاع، قصر أسير، زاوية سيدي البغداد، قصر طارغلين... وخمسة عشر تجمعاً سكنياً يقطن بكل واحد منها ما بين 500 و1000 نسمة حسب إحصاء 1982.

بالإضافة إلى هذا السكن هناك سكن مشتت داخل الحقل كما يوجد عند سافلة الواحة مدينة زاكورة وهي مدينة درعة التي يوجد بها مقر الدائرة والتي يسكن بها 9839 نسمة تتوزع على 1548 عائلة سنة 1982.

تتكون ساكنة ترناتة من مزيج سكاني جد متنوع الأعراق والأصول: ادراوة أو الملونين وأهل التلت والعرب ويتكونون من عنصرين أساسيين هما: عرب الروحا وعرب أولاد يحيى وكلاهما ينتمي إلى عرب بني معقل، وأيت عطى: أيت أونير، أيت ولال، أيت إيلمشان أيت وحليم... والمرابطين والشرفاء إضافة إلى فخذات أخرى.

يعتبر ادراوة أو الملونون من أقدم السكان استقراراً بالقصور يتعاطون الفلاحة لكنهم تعرضوا لهجمات مختلفة مما قلص من مجالهم الحيوي. وهكذا فقد وصل إلى واحة ترناتة خلال القرن الثاني عشر عرب بني معقل الممثلين في مجموعات عبر الروحا وفي القرن الثالث عشر (19 م) استقرت بالمنطقة مجموعات أخرى وهي عرب أولاد يحيى وأيت عطا، جميعهم كانوا يمارسون حياة الترحال وقد جلبهم غنى المنطقة بالمقارنة مع المناطق المجاورة.

تصارح هذه العناصر أو المجموعات البشرية فيما بينها للسيطرة على المنطقة وإخضاع السكان المستقرين كان الميزة الطاغية على تاريخ وادي درعة بصفة عامة. وهكذا فعند قدوم الفرنسيين إلى الواحة قدروا سكان ترناتة بـ 26.900 نسمة تضم 5.380 عائلة (أو كانون)، وهذا الرقم يوزع بين المجموعات البشرية كما يلي:

اسم المجموعة البشرية	عدد الأسر	%
- عرب أولاد يحيى وادراوة الحاضرون لهم	1210	22.5
- عرب الروحا وادراوة الحاضرون لهم	1420	26.4
- أيت عطى وادراوة الحاضرون لهم	410	7.6
- المرابطين والشرفاء	590	11
- أهل التلت وادراوة أو الملونين	1720	32
- اليهود	30	0.5
- مجموع تارناتة	5380	100

وقد تطور سكان واحة ترناتة خلال هذا القرن على لشكل التالي:



المالكين لهذه الأشجار كل الإنتاج السنوي دافعين مقابل كل ثمرة واحد 5.000 درهم.

يستعمل الترنج في صناعة الحلويات والفظائر وغير ذلك التي تكتسب نكهة فريدة وطعماً لذيذاً لا مثيل له. كما تسكر القشرة في محلول من السكر أو الكلوكوز، أو يستخرج منها زيت طيار يستعمل في صناعة العطور.

استطلاعات ميدانية : ألبيرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون، القاهرة، 1962.

عبد الملك بنعبيد

**تروال**، مركز في قبيلة بني مزغلة بضاحية مدينة وزان، اكتسب أهمية استراتيجية أيام الحماية. وهذه القبيلة صنهاجية الأصل إلا أنها تعربت كما حصل لغيرها من القبائل المجاورة لها كبني زروال الواقعة إلى الشرق منها، وبني مستارة الواقعة في شمالها وغربها.

ويعتقد أن هذه المنطقة عرفت الوجود الروماني، بالرغم من انعدام أي اكتشاف أثري يثبت ذلك إلى يومنا هذا. وقد كان احتلال تروال من الجهات الأخيرة التي تمكن الفرنسيون من دخولها بسبب المقاومة العنيدة التي قادها السكان. وتدل عليها تقارير الحماية المكتوبة بين 1915 و1917. التي تعبر عن قلق المستعمرين وتخوفهم من أن تطول مدة المقاومة وتتعرقل مسيرة الاخضاع الكلي للمنطقة، ولكنهم استطاعوا دخول تروال سنة 1920 بعد تمكنهم من اخضاع قبيلة بني مستارة كجبهة أمامية لبني مزغلة ليصبح تروال قاعدة عسكرية مهمة للقوات الفرنسية. وما تزال أسوار الحصن الكبير شاهدة على أهمية المركز عسكرياً. ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن المكان الذي شيد عليه يقع على علو يسمح بمراقبة كل المنطقة. (انظر الحصن على قمة الجبل في الصورة).

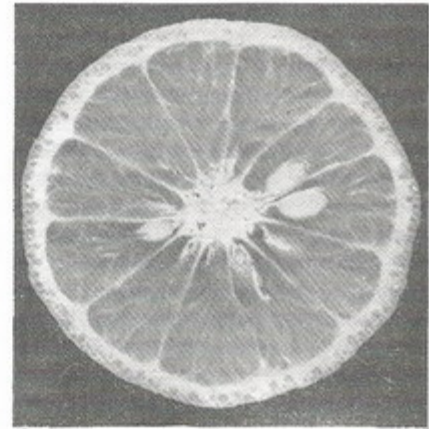
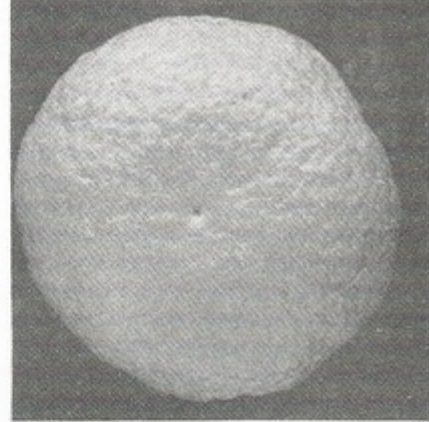


صورة مركز تروال مع الحصن في أعلى الجبل (أخذت في يونيو 1992).

وفي نفس السنة أصبح تروال مركزاً إدارياً فرنسياً إلى جانب طابعه العسكري، وكان هم المستعمرين بعد ذلك توظيف الموضع الاستراتيجي لإحكام السيطرة على كل قبيلة بني مزغلة.

ورغم تأييد القبيلة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي وتحركها في 2 ماي 1925 م. وتضييق بني مسارة التي

وعن الليمون (الحامض). وهو شجرة صغيرة القامة شوكية، لها أزهار ذات لون أبيض أرجواني جذاب. ثمارها ذات لون أصفر ضارب إلى الاخضرار، في شكلها بيضوي تشبه ثمار الليمون (الحامض) لكنها أكبر منها بكثير إذ يبلغ طولها ما بين 15 و20 سم، وتختلف عنها بعطرها الشديد الرائحة، ويقشرتها السميكة الجامدة والمحبية وقلة لبها الحامض.



## الترنج

يعتبر الترنج أقدم الموالح التي عرفها الإنسان، وربما كان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد. وقد وصفه سقراط في حدائق بابل. والمواطن الأصلي للترنج هو شمال الهند وقد زرعه الإنسان في جنوب شرق آسيا منذ القدم، ثم في المناطق الحارة الأخرى. وما زال يزرع بكثرة بكورسيكا وصقلية واليونان وجزر الهند الغربية.

وأشجار الترنج بالمغرب قليلة جداً، ولا نعرف متى أدخل إلى هذا البلد. ومن أشهر أشجار الترنج بالمغرب نذكر تلك التي توجد بقرب سبت الكردان بسوس جنوب أولاد تائمة، بجانب ضريح يزوره اليهود المغاربة القاطنون حالياً بشمال أميركا فيشترون من السكان المحليين

م. البشير الفاسي، قبيلة بني زروال، ص. 8 : منوغرافية جماعة تروال، 1991 : تحريات ميدانية.

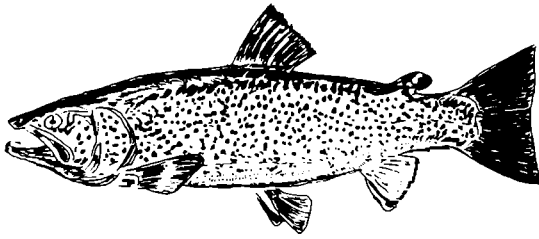
D. Rivet, Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc 1912 - 1925, Tome 3, Paris, 1988, p. 282.  
العربي الحمدي

**الترووتة**، جنس أسماك نهريّة وبحرية من فصيلة السلمونيات (Salmonides) ومن رتبة مفتوحات المثانات (Salmoniformes) ومن الأسماك العظمية (Ostéichthyens) الشعاعيات الزعانف (Aotinoptétrygiens).

تدعى بالفرنسية Truite أي سمك مرقط ومبرقش وبالإسبانية Reo وبالإنجليزية Trout ويعرف عند المغاربة بالترووتة كما هو الشأن عند بعض الدول العربية في الشرق ويقال له أيضا سمك سليمان في الشرق العربي إلا أن هذا الاسم يشمل عدة أنواع من جنس الترووتة ومن جنس السلمون (Saumon) الأوربي الذي يشبه بكثير سمك الترووتة في الحجم والمعيشة.

تعد أنواع السلمونيات من الأسماك المفضلة لدى الصيادين من حيث جودة لحومها وما يتطلب صيدها من مهارة وخبرة في ميدان الصيد بالصنارة. وقد تطور هذا الصيد الرياضي في عدة دول كبرى منذ القرن التاسع عشر مما أدى إلى وضع قوانين للصيد ووضع عدة مختبرات تقوم بدراسات ليولوجية لهذه الأنواع. أعطت البحوث عدة نتائج إيجابية تتعلق بالتغذية والتوالد الاصطناعي الذي كان يشكل العائق الأساسي لانتشار هذه الأنواع في عدة مناطق باردة في العالم.

أقيمت عدة محاولات لتأقلم سمك الترووتة في أنهار الأطلس المتوسط منذ بداية القرن العشرين وكانت النتائج إيجابية مما أدى إلى تقويتها في هذه المناطق وذلك بجلب عدة وحدات من فرنسا سنة 1925 ومن سويسرا والدنمارك سنة 1936. وقد بنيت في هذا المجال عدة بحيرات اصطناعية لتنمية الصيد الرياضي وإنجاح تأقلم هذه الأنواع من الأسماك، نذكر من بينها بحيرات أمغاس وعددها خمس وبحيرة سيدي ميمون وبحيرة حشلاف وبحيرة رأس الماء وعين مرسى. تعتبر بحيرة رأس الماء حوضا (Parc à géniteurs) تربي فيه الأسماك المخصصة للتوالد الاصطناعي.



الترووتة

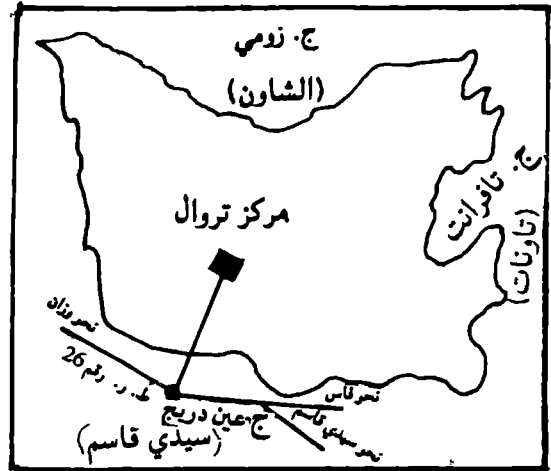
تعيش ثلاثة أنواع من سمك الترووتة في المياه الجبلية المغربية :

أيدت بحماس ابن عبد الكريم على الفرنسيين في وزان. فإن تروال لم يسقط بين يدي المجاهدين لأن تركيز ابن عبد الكريم في هذه الجبهة كان على وزان باعتبارها مفتاح الغرب. ثم نجح الفرنسيون في استعادة كامل السيطرة على هذه المناطق في نهاية سنة 1925 م.

يقع مركز جماعة تروال بعيداً عن الطريق الرئيسية رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بأحد عشر كلم. ويبعد عن وزان الدائرة بستة وخمسين كلم. وتحد أراضي هذه الجماعة من الشرق جماعة تفرانت، ومن الغرب والجنوب جماعة عين دريج، ومن الشمال جماعة زومي (انظر الرسم).

يتوفر مركز هذه الجماعة اليوم على بعض المرافق الحيوية كالمستشفى ومركز الاتحاد النسوي، ومحكمتين ومركزية، وفيه مراكز القيادة ومقر الجماعة ومدرسة ابتدائية تستوعب وتابعاتها 1.610 تلميذ.

بلغ عدد سكان جماعة تروال حسب إحصاء سنة 1983م، 20.000 نسمة. يتوزعون على 33 دواراً (انظر الرسم أعلاه). يسكنون جبالا عالية، فقيرة التربة غالبا ما تحتوي على أحجار تمنع الفلاح من القيام بأعمال الحرث. ولهذا فإن الجماعة على العموم فقيرة خاصة إذا أضفنا وقوع مركزها تروال بعيدا عن الطريق الرئيسية التي كان من الممكن أن تنشط الاقتصاد.



تروال

يمكن القول إن اقتصاد تروال يعتمد أساساً على الفلاحة والرعي : فالفلاحة تحتل مساحة 6063 هـ. تشغل الزراعة الشجرية منها 2564 هـ. وتتكون من أشجار الزيتون والتين والحوخ والبرتقال. ويزرع الباقي بالحبوب باستثناء مساحة الغابات البالغة 539 هـ. تسهم في مداخيل الجماعة بمبلغ لا بأس به. فقد كان سنة 1982 بلغ 231.855 درهم، وهذه الزراعة بورية عموماً إلا من سقي موسمي. يستعمل السكان فيه 23 مضخة مائية لسقي حقول الحضر.

وأما المواشي فإنها تتكون من الأبقار، ويبلغ عددها 6952 رأس، والأغنام وعدد رؤوسها 3532 رأس، والماعز وعدد رؤوسها 1000 رأس، وتربي بواسطة الرعي فقط.

تروتة البحيرات (Truite des lacs) وتسمى علمياً *Salmo trutta pallaryi* وهي التروتة الأطلسية المغربية الأصل التي كانت تعيش في بحيرة أكلمام سيدي علي بالأطلس المتوسط. يقول بعض الكتاب إنها تنحدر من جنس السلمون (*Salmo*)، وبعضهم يقول إنها تنحدر من جنس *Onchorhynchus* معتمدين على عدد الحراشف التي تكوّن الخط الجانبي. يرجع سبب انقراضها إلى انتشار وتكاثر سمك الشبوط (*Cyprinus carpio*) الذي أدخل في هذه البحيرة من طرف المصالح التابعة للمياه والغابات وأصبح يهدد عيش سمك التروتة مما أدى إلى انقراضها بصفة نهائية، فحاولت مصلحة تربية الأسماك إدخال عدة أسماك هدفها تهديد عيش سمك الشبوط وتراجعته حتى يمكن انتشار سمك التروتة من جديد إلا أن هذه التجربة باءت بالفشل.

التروتة النهرية (Truite des rivières, *Salmo trutta* Fario). الظهر مخضر داكن والجوانب مبرقعة بالأسود والأحمر، الزعنفة الذنبية خالية من البراقع مما يجعلها تتميز عن النوع القزحي. تتكون الزعنفة الشرجية من 10 شعاعات ويتكون الخط الجانبي من 130 حشفة. الجسم مغزلي الشكل ومضغوط جانبياً تكسوه حراشف عديدة وصغيرة، تتخلله عدة بقع حمراء ورمادية زرقاء. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 30 و40 سم. تعمر 5 سنوات ولا يتعدى وزنها 8 كلف وشائع ما بين 350 و900 غرام.

تعيش التروتة في الأنهار وفي بعض البحيرات الأطلسية المنخفضة الحرارة وتتوالد بصفة طبيعية ما بين سبتمبر وفبراير. تضع الأنثى بويضاتها عادة داخل حفرة في الأماكن الغنية بالحصى والرمال. ويتراوح عددها ما بين 5000 و6000 بيضة (2000 / كلف) يلقحها الذكر مباشرة بعد وضعها. تخرج الصغار من البيض بعد زمن يتراوح ما بين 20 و40 يوماً وذلك حسب الحرارة. يبقى التوالد الطبيعي غير كاف لإنتشار هذا النوع مما جعل مصلحة تربية الأسماك بأزور تسعى إلى التوالد الاصطناعي لإكثار هذا النوع وزرعه في عدة أنهار لا تفوق مياها في الصيف 22 درجة وذلك لأن التجارب برهنت على أن هذا السمك يموت في المياه التي تفوق حرارتها 25 درجة. تعصر الجوانب البطنية لكل من الإناث والذكور وتوضع البويضات الملقحة في صحن تسقى بصفة مستمرة من طرف ماء العين حرارتها 14 درجة.

توضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل لمدة أسبوعين على الأكثر ثم تنقل إلى الأنهار. تصل سن البلوغ ما بين سنتين وثلاث سنوات وتتغذى من الحشرات والقواقع والديدان والقشريات الصغيرة وصغار الأسماك. يقتصر توزيعها الجغرافي على أنهار الأطلس المتوسط وبعض أنهار الأطلس الكبير. تصاد بالرخص التي تعطى من طرف المصالح التابعة لوزارة الفلاحة. يحث قانون الصيد على صيد الوحدات التي يفوق طولها 20 سنتمتراً

وأن لا تتعدى عشر وحدات لكل رخصة.

التروتة القزحية تسمى علمياً أونكورانكوس ميكيس (*Onchorhynchus mykiss*) وتعرف سابقاً باسم *Salmo gairdneri* وبالفرنسية *Truite arc-en-ciel* وبالإنجليزية *Rainbow trout*، فضية اللون على العموم، الظهر أزرق بني، الجوانب منقطة بالسواد، الخط الجانبي وردي اللون متقزح مما أدى إلى تسمية النوع بالتروتة القزحية. الزعنفة الذنبية منقطة. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 25 و45 سم وزنها لا يفوق 7 كلف وشائع ما بين 300 و800 غرام. تعمر 5 سنوات وتصبح بالغة ما بين سنتين وثلاث سنوات.

تعد من الأسماك المفضلة لدى مربي الأسماك نظراً للتقنيات المتقدمة في شأن تربيتها. تفضل العيش في البحيرات الباردة سواء منها الطبيعية أو الاصطناعية.

موطنها الأصلي أمريكا الشمالية وتم إدخالها إلى أوروبا خلال القرن التاسع عشر الميلادي ثم إلى المغرب سنة 1925 من طرف الفرنسيين. تفضل العيش في المياه الباردة التي تتراوح حرارتها ما بين 10 و20 درجة وذات تيار معتدل. إنها أسماك لاحمة تتغذى من الحشرات والقواقع والقشريات الصغيرة والديدان وصغار الأسماك. تتوالد ما بين أكتوبر ومارس إلا أن توالدها في المغرب يتم بصفة اصطناعية فقط. تقوم بهذه العملية مصلحة تربية الأسماك بمدينة أزور ما بين أكتوبر وفبراير. يتم الاختيار على الإناث والذكور السليمة من الأمراض فتعصر جوانبها البطنية بعد تنويمها بواسطة فينوكسي إيثانول (*Phenoxy-éthanol*) الذي يتم إفراغه في صحن مملوء بالماء بنسبة تقدر بثلاثة أجزاء في مئليون جزء (3ppm). وتوضع البويضات في صحن تلقح مباشرة بعد ذلك ويتم نقلها إلى أماكن ترم بها مياه العينون حرارتها مستقرة على 14 درجة لمدة أربعين يوماً. تفقس البويضات بعد ذلك وتوضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل الاصطناعي لمدة أسبوعين تقريباً ثم تنقل إلى البحيرات لتعيش هناك.

عرف هذا النوع تطوراً كبيراً في ميدان تربية الأسماك في عين أغبال قرب مدينة أزور وذلك عن طريق الأكل الاصطناعي ومراقبة حرارة المياه وبعض العناصر المكونة للمياه كمادة الأوكسجين. أصبح إنتاجه يغزو أكبر أسواق الأسماك بالمغرب ويصدر بعضه إلى الخارج.

P.S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*. Paris, 1977, 255 p ; B.J. Muus & P. Dahlstrom, *Guide des poissons d'eau douce et pêche. Les guides du naturaliste*, 1973, 242 p.

محمد الرمضاني

**تُرُوْكَوْتُ**، أكبر فرق قبيلة تسمان من حيث عدد المداشر. وتنطق أيضاً تُلْكَوْتُ. والاسم قديم، يعود علمنا بتداوله إلى ما قبل القرن الرابع (10 م)، تبعاً لما أدلى به النسابة الأمزيغيون، وقدمته لنا الكتابة العربية بلفظ "تلكاتة"، للإشارة إلى إحدى فصائل جذع بَطْرِيَّة الصنهاجية، السائد آنذاك بريوع الريف الشرقي، المحتضن لقبيلة تسمان في قسمه الغربي.

تحتل أراضي تروغوت مساحة جبلية واقعة بغرب القبيلة التمسمانية، منتهية إلى منخفض متصل بساحل خليج الحسيمة (المزمة قديماً)، وبالضفة اليمنى من واد النكور، من النقطة المقابلة لظهر أبطوي إلى مصبه. ففي هذين المجالين الجبلي والسهلي يستقر في الوقت الراهن واحد وأربعون مدشراً. وهي أعلى نسبة بالقياس إلى عدد مداشر الفرق الأربع الباقية (انظر مادة تسمان).

1) ففي المجال الجبلي تظهر حول جبل الحديد في الشمال (600 م) جماعة أولاد أبي داود، المنسوبين إلى المتصوف التمساني أبي داود مزاحم، من أهل القرن السادس (12 م). وتعرف هذه الجهة من الوجهة الجغرافية باسم تبودا. من أهم مداشر الجماعة قرية الحديد (أحديد) الواقعة بساحل تغلال، في نقطة الحدود بين فرقة تروغوت وجارتها بني بويدير، ثم قرية السواني وتكرتياست التحتية وإمهاوشن وإسلاسن (أهل سلاس) وإعبوتن.

أما جماعة تبلخاشت فتنتشر دورها على ظهر جوب القامة (733 م) تتألف من المداشر الهامة: بوقري، أزرو. ويعقد عند قدم تبلخاشت سوق أربعاء تروغوت على مجرى يحمل نفس الاسم، يؤمه أهل الفرقة إلى جانب الزوار من بني رباغل ويقوية ومدينة الحسيمة.

وتستقر حول جبل بو عمر (742 م) جماعة أخرى تضم أمشال قري: خلوف والعبدلاويون وإشخشوخن وتمرسيت وأجيو وبوعمر.

2) وفي السهل والدير نجد عدة جماعات: حبقوش الواقعة في دير تبلخاشت من مداشرها: ترست وحبوقش وتزمرين، وجماعة إمسعودن ويدخل ضمنها مداشر إعبوتن، إعبوتن وإحدأكن، وضمن جماعة المرابطين يدخل إحروشن وبوزويقا وتبودا. وهناك أخيراً جماعة إمزغن، مقسمة إلى الفوقي وأمراخ والسفي. ومدشر ظهر أبطوي.

ولفرقة تروغوت تاريخ يمتد في القدم. فالسكان صنهاجيون من فصيلة بطوية وفخذ بني يصليتن، ومن هؤلاء قسمة تروغوت. ففي القرن الرابع (10 م) كان بنو يصليتن متمركزين في جبل أبي الحسن المتصل بعقبة تبلخاشت حيث مستقر بني بلند، جدهم بلند بن يصليتن، بينما كان بساحل تغلال بنو ورترد، جدهم ورترد بن يصليتن كذلك.

وموقع تروغوت المشرف على كل من خليج المزمة وواد النكور أهلها لتلعب دورها في أطوار إمارة النكور منذ التأسيس والمساهمة في التجارة مع الأندلس عبر مراساتها الكائنة بقرية الحديد وساحلها تيغلال (انظر مادة تيغلال)، مما يندرج في تاريخ الإمارة. ولا يزال بتروغوت إلى يومنا مدشر إصقالن، الذي يلوح بالإشارة إلى الصقالبة المكونين لجيش أمراء النكور.

ويعود التاريخ اللامع للفرقة إلى النصف الثاني من القرن السادس (12 م)، حين ظهر بها المتصوف الشيخ أبو

داود مزاحم التمساني، صاحب أول مدرسة للتصوف الإسلامي بالريف الشرقي، وسنخصص لتلك الشخصية ترجمة بالمعلمة.

دخلت تروغوت تحت نفوذ المرينيين وجباية الوطاسيين. فقد زارها ياسين بن الوزير في حياة الحاج إبراهيم حفيد أبي داود، حوالي 635 هـ. لجمع المغارم وإرغام بني ورترد على أدائها (البادسي، المقصد، 62).

وفي عام 1078 / 1666 مر بأراضيها سفير لويس الرابع عشر الفرنسي، المدعو رولان فريجوس (Roland Frejus) وهو في طريقه من النكور إلى بني بويعقوب تسمان (فرقة الفوقي) واصفا الطريق الصعب المار بعقبة تبلخاشت، وما كان يغطيه من الغابات ويعج به من الأسد (S.I.H.M., France, 2ème série, T. 1 / 121).

وبرز خلال عهد الحسن الأول، كنتيجة لتقسيم قبيلة تسمان إلى القيادات المتعددة، القائد التروغوتي بو عز قبل 1297 / 1879. وقد خلف ثلاثة أبناء: حدو ومحمد وعلال. كلهم تولوا منصب القيادة. انظر ترجمة الأب وإبنه محمد وعلال في هذه المعلمة (التمسماني). أما ابنه حدو فلم تشر إليه سوى وثيقة واحدة (12 رمضان 1309) تثبت قيادته.

الشريف الإدريسي، النهضة، 533؛ البادسي، المقصد، 51، 55، 60، 62، 63؛ وثائق خ. ح. بالرباط؛ كناش خ. ح. بالرباط، 199؛ ضابط الأمور الوطنية، 90؛ خريطة طوبوغرافية، 1935.

S.I.H.M., France, 2ème série : 1 / 121 ; A. Moulicras, Maroc inconnu, 1 : 111.

حسن الفكيكي

الترياق، دواء مقاوم للسموم، تحدثت عنه كل المؤلفات الطبية القديمة، وهو مشتق من كلمة "تريوق" اليونانية التي يُسمى بها كل ما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها. وألف ابن رشد الحفيد مقالة الترياق لمخدومه يوسف بن عبد المومن الموحي (558. 580 / 1163. 1184) في مراكش - على ما يبدو - وإن لم يصرح باسمه. وقد اعتمد ابن رشد في مقالته على ما ذكره الأطباء السابقون من المسلمين وغيرهم، وبخاصة جالينوس وابن سينا، واجتهد في الترياق بحسب ما يقتضيه العقل والقياس والتجربة. وذكر في نهاية مقالته "أن للترياق سناً لا يستعمل في أقل منه وهي أربع سنين فيما قالوا (الأقدمون)، وكفي عندي - يقول ابن رشد - عام (واحد) لأنه يمر عليه فيه الفصول الأربعة، والستة شهور إن اضطر الأمر إلى ذلك. وله شباب إلى العشرين سنة، ووقوف إلى الأربعين سنة، وانحطاط إلى الستين، وخروج عن الترياق واسمه بعد السنين".

يستعمل الترياق في لدغ الهوام ونهش الأفاعي والحيات والكلاب الكلبة والسموم وما إلى ذلك. وكان الملوك القدماء يأخذونه كل يوم وربما أخذه بعضهم مرتين في اليوم.

ويرى ابن رشد أن أوفق سن لاستعمال الترياق هو الشيخوخة التي لا تخلو من زمانة، تليها الكهولة، "أما الشباب فهم أغنى الناس عنه إلا أن تحدث بهم الأمراض التي ذكرناها".

وقد تكلم ابن رشد، وهو طبيب الخليفة الموحد يوسف ابن عبد المؤمن، مع مساعديه الذين يباشرون علاج الأمراء "الآ يشيروا عليهم باستعمال الترياق في حفظ صحتهم وأخذة على الدوام فلم يفعلوا فأضر ذلك كثيراً بمن داوم على استعماله منهم".

بقي الترياق معروفاً متداولاً في مراكش - أكثر من المدن المغربية الأخرى - وتجلى ذلك عند الملوك السعديين الذين اهتموا به اهتماماً زائداً واستعملوه في مختلف الأغراض، وبخاصة ضد الأوبئة التي كانت تحتاح المغرب من حين لآخر. وقد احتفظ المؤرخ الإفرائي في *نزهة الحادي* (ص 155).

(168) بنصين لأحمد المنصور الذهبي، يتعلقان بالترياق، الأول جزء من رسالة بعث بها المنصور من فاس إلى ولده أبي فارس خليفته على مراكش مجيباً إياه عما كتب إليه في شأن الوباء لما ظهر بمراكش هل يفر منه أم لا ؟ فنصحه بالخروج وزاد قائلاً : "ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق -

أسعدكم الله - فالزموه. وإذا استشعرت من سلامة بحارة وتخوفتموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه، ولا تهملوا استعماله. وأما ولدنا - حفظه الله - لمكان الشبية فحيث يمنع الحال من المداومة على الترياق، فما هي الشربة المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي فيكون يستعملها هو والأبناء الصغار المحفوظون بالله حتى إذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق المرة والمرة على قدر الحاجة فيعودوا إليها..." هذه الرسالة مؤرخة في

الرابع عشر من ربيع الأول عام أحد عشر وألف (1 شتنبر 1602) وهي تذكر اسم "التونسي" كأحد القائمين على الأدوية بقصر البديع، وتأخذ بعين الاعتبار القواعد الطبية المقررة الواردة في كلام ابن رشد السابق من أن الشباب لا يستعملون الترياق إلا عند الضرورة. والنص الثاني جزء من رسالة أخرى ملحقة بالسابقة على إثر وصول خطاب جديد من أبي فارس يقول فيها المنصور : "... وأوصيكم أيضاً

أنه إذ ظهر المرض بتلكم البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوته ألا تتركوا وراءكم ابنة عمكم ... وأمر يوسف العبيدي أن يخرج لك من صاحبة بيت الثياب القدر المحتاج من الترياق الجديد الذي كان بقية المشور ودخل على أيديكم لدارنا السعيدة، واستدعوا أم المان قهرمانية الدار وأعطه لها يرسم دارنا ومُرَّها أن تُعطيها لهن في كل رابع من اليوم الذي يأكلونه فيه، وهي أيضاً تأكل منه والعبيدي يوسف يأكل أيضاً منه، وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعني مسعود بن مبارك ... يسير كلام المنصور هنا أيضاً عن الترياق، في هذه الرسالة الملحقة، على نفس القواعد المقررة في مقالة ابن رشد السابقة من حيث سن الترياق وأنه لا يوخذ على الدوام ... كما ذكر

اسم أم المان قهرمانه الدار (دار النساء) واضطلاعها بخزن الترياق وإعطائه الحریم حسب المقادير المحددة، ويلاحظ أنه لم يرد في الرسالتين اسم أي طبيب من الأطباء المغاربة والأندلسيين المتوافرين في البلاط السعدي، إذ لا شك أنهم الذين هيؤوا الترياق الجديد والقديم، لكن حالة الترقب والاستعجال اقتضت الإسراع في تقديم هذا الدواء الجاهز عند الحاجة حسب المقاييس والمعايير المقررة. وربما كان الأطباء صحبوا المنصور إلى فاس.

والترياق كخليط من أعشاب كثيرة معجونة بعسل أو غيره مخمّرة لمدة سنة إلى ستين سنة - كما جاء عند جالينوس وابن رشد وغيرهما - لم يعد اليوم معروفاً في المستحضرات الصيدلانية. وإن كان المغاربة مازالوا يستعملون اسم الترياق للسمن أو الزيت العتيقن اللذين مرَّ عليهما أكثر من عامين حتى يجمد الزيت أحياناً، ويستعملونه كدواء لبعض الأمراض المزمنة.

م. ابن رشد الحفيد، *مقالة الترياق*، تح. أحمد رجائي الجندي وعبد الحميد بسيوني، الكويت، 1995 : م. الإفرائي، *نزهة الحادي*، ط. حجرية بفاس د. ت.

محمد حجي

**تربيعَة**، سوق صغير بسبته، مربع الشكل يتوسطه صحن، يشتمل أحياناً على عدة طبقات، وهو مجال تجاري خاص للحرارين والقزازين والخباطين ومن هم على شاكلتهم. تختلف التربيعة عن القيسارية والمحلات التجارية الأخرى، بل تنتشر بينهما جميعاً، بل أحياناً ما تأخذ مكانها، خارج المجال التجاري الحضري، بين الأزقة والممرات العمومية. عرفت معظم مدن المغرب القروسطي هذا النوع من الأسواق التجارية وقد حافظ البعض منها على أسماؤه إلى حد الساعة، كتربيعة العطارين الموجودة بسوق العطارين العتيق من مدينة فاس.

الانصاري، *اختصار الأخبار عما كان يفرسبته من سني الآثار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 37.

زليخة بنرمضان

**تريتون**، من الأوثان الثانوية بالنسبة لما كان يعرف بمجمع الآلهة الاغريقية - الرومانية. أجمع كتاب الميثولوجيا القدامى على اعتباره في زعمهم ابن إله المحيطات والبحار والأنهار پوزيدون (Poseidon) الذي يوافق الوثن نبتون (Neptune) عند الرومان.

وجدير بالذكر أن مكانة پوزيدون (هذه التسمية الاغريقية) كانت بارزة وسط مجمع آلهة الشمال الافريقي. وخص بنفس الأهمية في المغرب القديم، إذ أقام له القرطاجيون بزعامة قائدهم حانون (Hannon) مذبحاً (Autel) خلال القرن الخامس ق. م. برأس سُلويس (Cap Solocis) وهو رأس الشمس (Mont Soleil) عند اللاتين. وقد اتفق الباحثون المعاصرون على تحديده برأس كانتان (Cap Cantin) قرب أسفي.

تخصه وحده، بل ميزت أيضا أوثنان الرياح (Dieux des Vents).

كان تريتون في بداية ظهوره بالمصادر المكتوبة شخصية مستقلة، كما بين ذلك الشاعر هزيود (Hesiod) في قصيدته "أنساب الآلهة"، 930، (Théogonie, 930)، إذ وصفه "بتريتون الكبير، ذي القوة الواسعة"، وكان يستوطن مع والديه قصرًا من ذهب. ولكن سرعان ما استحوذ بوزيدون على مملكة البحر، وبذلك أضحى تريتون تابعًا له، حيث شكل مع آلهة ثانوية أخرى موكبه، وكان له حضور أيضا بمواكب خاصة بكل من أوقيانوس (Océan)، وأمفريت، وأفروديت (Aphrodite).

صورت كل المصادر الأدبية تريتون مذكرًا إلا أن الإكولوجيا أنتجت نظيرته المؤنثة (La tritoness)، كما تظهر ذلك فسيفساء موكب فينوس من وليلي.

أطلق اسم تريتون على عناصر مختلفة : فقد حملت مينيرفا (Minerve) (وهي أثينا (Athèna) حسب الإغريق) اسم تريتونيد (Tritonide) نسبة إلى بحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) التي يعتقد أنها ولدت على ضفافها.

ومعلوم أن بحيرة تريتونيس ارتبطت كذلك بمغامرات الرحالة الأروغونيين (Les Argonautes)، أتباع البطل الإغريقي الأسطوري جازون (Jason)، لقد رمت العاصفة بهم بقارة ليبيا (شمال إفريقيا) وحملوا زوارقهم على أكتافهم حتى هذه البحيرة. ومنها أنقذهم تريتون، إذ بين لهم طريق العودة إلى بلدهم. ومن يومها حملت سفينتهم هي الأخرى اسم تريتونيد (Tritonide).

والملاحظ، أن آراء الكتاب القدامى تضاربت في تحديد بحيرة تريتونيس، ونجم عن ذلك اختلاف آراء الباحثين المعاصرين، فبعضهم جعلها بقرنانية (بليبيا الحالية) وآخرون جعلوها بخليج قابس أو بحيرة البيبان، أو خليج الحمامات، وإن كان معظمهم حصرها في شط الجريد بالجنوب التونسي.

وبالنسبة لنهر تريتون (Le fleuve Triton) فهو يصب في البحيرة المذكورة حسب باحثين، أو يعبرها حسب آخرين. ومتى ضبطت البحيرة ستسهل معرفة اسم النهر حالياً. هل كان لتريتون معبد ببحيرة تريتونيس؟ وهل اقتصر عبادته على هذه الناحية فحسب؟

ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوث في مؤلفه التواريخ، الكتاب IV، الفقرة 188 بأن الليبيين المستوطنين حول بحيرة تريتونيس يقدمون القرابين أساساً للإلهة أثينا. وبعدها للالهين تريتون وبوزيدون. فهذه المعبودات الثلاثية لا تعرف أسماؤها الأصلية. فمعروف بأن اسم تريتون قد أطلق على آلهة ذات أصول وطبائع مختلفة. فقد ميز الباحثون المعاصرون بين تريتون المحلي، وترون الفينيقي - القرطاجي وتريتون الإغريقي - الروماني. ولكن ليس من السهل معرفة مميزات كل واحد منهم، كما أنه لا يعرف مدى انتشارهم خصوصاً وأن عملية دمج (الآلهة) المحلية مع (الآلهة)

وذكر سيلاكس المزعوم (Pseudo-Scylax) - الرحالة الذي عاش في القرن الرابع ق. م. - نفس المعلومات. وأشار إلى قدسية منطقة رأس سلوبيس وإلى وجود مذبح مكرس لبوزيدون بها. ويحمل المذبح صوراً البشرودلافين وأسد. وتشير هذه المنحوتات تساؤلات حول المعبود المحلي الذي لم تحتفظ لنا المصادر القديمة بتسميته.

وإذا كان والد تريتون باتفاق جميع الكتاب قدمائهم ومحدثيهم هو بوزيدون الواسع الانتشار فإن المصادر تختلف في ذكر اسم والدته، فهي عند بعض الكتاب ومنهم بندر (Pindare) في مؤلفه *Rythmiques* الكتاب IV، الفقرة 57 - كيلينو (Kelaino) ابنة العملاق أطلس (Atlas) (انظر مادة *أطلس*). وبذلك فهو من نفس سلالة إله التجارة هرمس (Hermès) الذي ينحدر من ابنة أطلس مايا (Maïa).

ولكن والدة تريتون هي عند الأغلبية حورية الماء أمفريت (La Nympe Amphitrite)، التي صورت في فسيفساء واحدة من موقع ريفا (Rirha) بالقرب من سيدي سليمان، وقد تم الاتصال بين من يدعونه إله البحر بوزيدون وحورية الماء أمفريت عند سفح جبل الأطلس، وبهذه الديار المنتمية لأقصى العالم المعمور حسب الروايات الإغريقية تمت ولادة تريتون. وفي كلتا الروايتين فلتريتون علاقة بأطلس (Atlas)، سواء كان شخصية أسطورية أو معلمة جغرافية.

اعتمد الكتاب الإغريق واللاتين في وصف تريتون على الانتاجات الفنية التي صورته على شكل برمائي : نصفه الأعلى بشري، ونصفه الأسفل على شكل حيوان بحري خرافي (Monstre marin). (انظر اللوحة I).

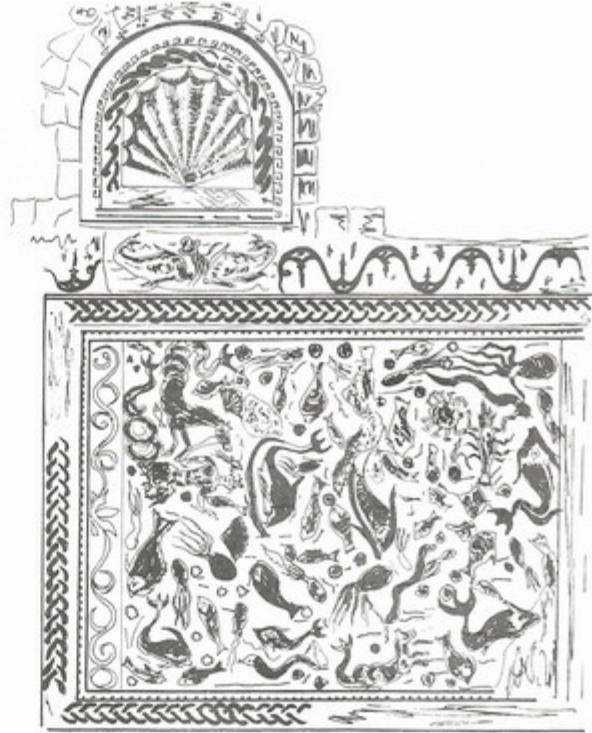


تريتون

لقد تطور تصور تريتون لدرجة أن الشكل البشري غلب على الشكل الحيواني. وتغيرت كذلك رموزه فاشتملت في النهاية على العناصر التالية : الشوكة البحرية (Le trident)، المجداف، الكأس والمزراق الباخوسيين (Le canthare et le thyrsé bachique). وهذه الأدوات ارتبطت فيما بعد بنبوتون وديونيسوس (Dionysos)، أما بالنسبة لتريتون فقد أضحت القوقعة (البوق الصدفي) (؟) من رموزه الأكثر تردداً، مع العلم بأنها لا

المستوردة تم باستمرار.

على كل، تم تجسيد تريتون بمجالات فنية مختلفة بالنسبة للعالم الاغريقي - الروماني، ولكنه بالنسبة للمغرب القديم لم يصور إلا بالفسيفساء، وهي ثلاثة نماذج، نذكرها كالتالي :



جدارية حمام تريتون

النموذج الأول : فسيفساء الغرفة الساخنة بحمامات بناصة المعروفة تحت إسم حمامات بتموير جداري (Thermes aux fresques). (انظر اللوحة II). رغم تسمية الفسيفساء باسم تريتون، فإنه لا يكون إلا جزءاً من العناصر المشكلة لهذه اللوحة.

وهذه العناصر منها ما ينتمي لعامل الواقع، ومنها ما هو أسطوري. وتحتل الدلافين (Dauphins) مكانة أهم بالقياس إلى تريتون نفسه الذي يظهر بهذه الفسيفساء من الأمام (En face)، وهو في كامل عتفوانه وقوته، ويغلب عليه الطابع البشري أكثر من الشكل الحيواني حيث إن الطرف الثاني السفلي يبدأ انطلاقاً من فخديه. ويمسك بيده اليمنى عنان الفرس المائي (Hippocampe) وباليسرى القوقعة رمزه المألوف.

ولا نستغرب لوجود صورة تريتون بغرفة حمام لأن ارتباطه بالماء وطيد.

النموذج الثاني : تريتون بمنزل أورفي (Orphée) بوليلي. يشكل تريتون لوحة مكتملة لفسيفساء أورفي وهذه اللوحة منقسمة إلى سجلين مماثلين إذ لا تتناهما إلا تعديلات طفيفة.

ففي السجل العلوي نرى تريتون من الأمام، تكتسي

ملامحه طابعاً طفولياً، وتزيد استدارة وجهه في تشبيتها، وله نصف أعلى بشري، ونصف أسفل حيواني، وينغمس جزء من ذيله في المياه، كما أننا لا نراه بالرموز المعهودة فإله دفة مركب (Gouvernail)، ووشاح. ويحيط به من جهة فرمائي ومن جهة ثانية فهد مائي.

أما نظيره بالسجل الأسفل فنراه من خلال ثلاثة أرباع (3 / 4)، يمسك بيده اليمنى العنان (Bride) وباليسرى القوقعة وتشكل القشور (Ecailles) التي تغطي وسط جسمه نقلة من طابعه البشري إلى طابعه الحيواني. ويحيط بيمينه فرس الماء ويساره لبؤة.

النموذج الثالث : تريتونيس بمنزل مركب فينوس بوليلي. يتشكل موكبها من - خلال فسيفساء المنزل الذي يحمل نفس التسمية - من العديد من أتباعها، منهم وثن الحب (Amours)، وعرائس البحر (Nereïdes) وامرأتان ذاتا شكل خاص بتريونيس (Tritoness) النظيرة المؤنثة للمذكر. تحدد المصادر المكتوبة مكان ولادة تريتون بديار الأطلس من أبوين لهما مكانة مميزة بالمغرب القديم. وتتوفر على ثلاثة نماذج فسيفسائية خاصة بتريتون ومع ذلك، وفي غياب النقائش (Les mocriptions) لا نستطيع أن نتحدث عن عبادته، ولا عن مدى تغلغله ضمن مجمع أوثان المغرب القديم.

A. Boulanger, Triton, Dictionnaire Daremberg - Saglio, pp. 483 - 786 ; F. Decret et M. Fantar, L'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au Vème siècle, Paris, 1981, pp. 249 - 261; R. Graves, Les mythes grecs, Paris, 1984, p. 20, pp. 191 - 215 ; S. Gsell, Herodote, Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1915, pp. 77 - 84 ; Hésiode, Théogonie, trad. P. Mason, Paris, 1928, 930, 939 ; G. Marcy, Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Hesp. xx, 1935, pp. 38 - 41 ; Pline l'Ancien, Histoire naturelle V, 1 - 46, Texte établi, Traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980, pp. 270 - 271 ; Z. Qninba, La mosaïque d'Orphée de Volubilis, Thèse de 3ème cycle de l'Université Laval, 1988 ; R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1924 ; R. Thouvenot et A. Laquet, Les thermes de Banasa, P.S.A.M. IX, 1951, pp. 21 - 32 ; La mosaïque du Navigium Veneris à Volubilis, Revue archéologique, 1, 1977, pp. 37 - 52.

البضائية بلكامل وزهرة قنينية

التريونكي، رايس بحري بأسطول الجهاد السلوي، وهو من الرياس الأتراك الملتحقين بالمغرب. كان خلال موسم سنة 1636 / 1046 منهمكاً في عملياته بالمياه الإيبيرية لما تعرض في شهر سبتمبر لهجوم سفينتين زيلانديتين (الأراضي المنخفضة)، قامت بالاستحواذ على أشرعة مركبه ومدافعه وذخائره ومؤنه : كما اقتكتنا أسراء الاسبان، واعتقلنا أعلاجه الأربعة والعشرين : ثم أقدمنا - بعد ذلك - على إغراق سفينته وعلى متنها بقية الطاقم من المسلمين وعددهم خمسة وثلاثون بحرياً، لم يفلح في النجاة منهم سوى خمسة فروا على متن أحد الزوارق.

وقد شكلت سفينة التريونكي إحدى النقاط التي كلفت بها السلطات المغربية مبعوثها لدى الولايات العامة بهولندا دافيد بالاش للمطالبة بالتعويض على الأضرار والاقتصاص من الجناة.

حسن أميلي

**تريسديس** Trisidis، مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الجغرافي بطوليمايوس Ptolemaus، الذي عاش خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وهو من مدينة الاسكندرية المصرية. تقع حسب الخريطة التي وضعها بطوليمايوس للولاية الرومانية في المغرب القديم، خارج نطاق هذه الولاية التي تمتد في الجنوب الشرقي إلى مدينة توكولوسيدة الواقعة جنوب ولبلي بحوالي أربعة كيلومترات ونصف.

تأتي مدينة تريسديس حسب بطوليمايوس على رأس مجموعة من المدن الواقعة خارج نطاق السيطرة الرومانية؛ وهي مدن لم يرد ذكرها في أي مصدر آخر. وتعد مدينة تريسديس في هذه الخريطة منطلقاً لتوزع هذه المدن عبر محورين: واحد يتجه إلى الجنوب الغربي، عبر مدينة ثيكاث (Thikath)، وينتهي إلى مدينة والة (Ouala). والآخر يتجه إلى الشرق، عبر مدينة بينة، وينتهي إلى مدينة كالفة Galapha.

اعتمد بعض الدارسين على خريطة بطوليمايوس لحل الإشكال الذي يطرح حول الطريق الداخلية التي ينبغي أن تربط بين الولايتين الرومانيتين موريطانية الطنجية والقيصرية. واتخذ هؤلاء الدارسون خريطة بطوليمايوس منطلقاً للقول بوجود طريق داخلية تتجه من الغرب إلى الشرق عبر ممر تازا الحالية، لتحقق التواصل البري بين الولايتين.

وفي تتبعنا لآراء الكتاب الذين يعتقدون وجود هذه الطريق البرية، نجد روجي Roget يقول بهذه الفكرة دون اقتراح موقع محدد للمدينة، وهو في ذلك يردد رأي مولير Muller الذي يأتي على رأس أقدم الدارسين لجغرافية بطوليمايوس.

تناول توفنو Thouvenot هذا الموضوع المتعلق بالمدن التي ذكرها بطوليمايوس خارج نطاق ولاية موريطانية الطنجية، وهو القائل بوجود مدينة تريسديس في مفترق طريقين قديمين، واحد يتجه نحو بلاد السوس والآخر يتجه نحو موريطانية القيصرية. لقد أوضح توفنو في دراسته حول الطريق المؤدية إلى بلاد السوس قديماً أن موقع مدينة تريسديس حدده الجغرافي بطوليمايوس بحوالي 130 كيلومتر جنوب شرق مدينة توكولوسيدة وبحوالي 80 كيلومتر غرب نهر ملوية، وذلك وفق الاحداثيات التالية: الطول: 9 درجة، العرض: 33 درجة (Ptolémée, IV, 10). ويلاحظ الباحث أن هذا التحديد غير دقيق، وفيه مبالغة، اعتباراً للأخطاء التي تعترى تحديد مواقع المغرب القديم في الخريطة التي أفردتها الجغرافي لهذه البلاد. من بين هذه الأخطاء وضعه لتوكولوسيدة على بعد 75 كيلومتر غرب مدينة ولبلي، بينما لا تفصل بين المدينتين إلا أربعة كيلومترات ونصف.

وهكذا اقترح توفنو أن مدينة تريسديس تقع في ناحية إيوزار وذلك بقصبة تابالوات الواقعة على الطريق الرابطة بين الحاجب وأزرو.

تبنى شميت Schmitt نفس الفكرة التي تجعل تريسديس تقع على الطريق الداخلية المتجهة نحو شرق موريطانية الطنجية عبر ممر تازا، وذلك في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع: المغرب من خلال جغرافية بطوليمايوس. حسب هذا الباحث فإن مدينة تريسديس تقع على الطريق المؤدية إلى الشرق، في اتجاه كالفة عبر مولوكات (Molochath) وبينتة (Benta). ولقد رجح أن مدينة تريسديس تقع حيث يوجد ضريح قديم بسوق جمعة الكور جنوب شرق مدينة مكناس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924; *Index de topographie antique du Maroc*, Rabat, 1938, P.S.A.M., 7; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, thèse de doctorat de 3ème cycle, Tours, 1973; R. Thouvenot, *Le Géographe Ptolémée et la route de Souss*, Hesp., 33, 1946, p. 373 - 384; *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, R.E.A., 64, 1992, p. 82 - 88.

محمد مجدوب وعلي واحدي

**التريعي**، محمد بن المعطي، من الزعماء المشهورين الذين عرفتهم قبيلة دكالة في بداية القرن العشرين. ترجع شهرته إلى ما طبع حياته من جهاد ضد الاحتلال الفرنسي. ولد التريعي حوالي سنة 1273 / 1856، إذ قدرت بعض الاستخبارات الفرنسية السرية عمره سنة 1911 بحوالي 55 سنة. ينتسب إلى دوار أولاد بومغزل من فخذة التريعات وهي إحدى الأفخاذ الأصلية المكونة لقبيلة الحوزية التي توجد مدينة أزمو بترابها.

ويستفاد من الوثائق المغربية الرسمية أن محمد التريعي كان قائداً سنة 1312 / 1894. فحسب مراسلتين إحداهما من قائد الدار البيضاء عبد الرحمان برغاش مؤرخة في 8 ربيع الأول 1312 / 9 شتنبر 1894، والأخرى من قائد مديونة أحمد بن العربي المديوني مؤرخة في 13 جمادى الثانية 1312 / 12 دجنبر 1894، نجد أن محمد التريعي قد ألقى عليه القبض وسجن بمدينة الدار البيضاء مع قائدين آخرين من دكالة هما أحمد البوعزيزي (أولاد بوعزيز) وسعيد الفرجي (أولاد فرج). وقد نقل القواد الثلاثة إلى سجن الرباط بأمر من الصدر الأعظم أحمد بن موسى الذي يبدو أنه أبقاهم في السجن إلى وفاته سنة 1318 / 1900.

وقد أشارت بعض التقارير السرية سنة 1329 / 1911 إلى أن محمد التريعي كان متولياً منذ حوالي 12 سنة، وعلى هذا الأساس يبدو أنه رجح لقيادته قبيل أو عقب وفاة الصدر الأعظم المذكور في محرم 1318 / ماي 1900 ذلك الوزير الذي اشتهر بإلقاء العديد من قواد القبائل في غياهب السجون.

والواقع أن محمد التريعي تولى القيادة خلفاً لأخيه الذي كان قائداً على قبيلة الحوزية. وكان محمد التريعي طالباً حافظاً للقرآن. كما يبدو أنه كان على علاقة حسنة مع بعض القواد الكبار مثل عيسى بن عمر العبيدي.



إلا أن محمد التريعي الذي كان يقود قبيلة تحرس المجال الممتد من مدينة أزموور إلى جوار مدينة الجديدة ؛ وبما أن النفوذ الأجنبي بالجديدة كان يتزايد باستمرار، وحيث إن قناصل الدول الأجنبية وخاصة قناصل فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، كانوا نشيطين في نشر نفوذ بلدانهم بين أعيان دكالة وخاصة بين القبايل، نظرا لكل ذلك، فقد أصبح محمد التريعي محل مراقبة من طرف الفرنسيين الذين لم يرغب في وضع يده بأيديهم. وتؤكد استخبارات الفرنسيين إلى أن علاقة الرجل بهم كانت سيئة إلى سنة 1911 / 1329. وسنرى أنها ظلت سيئة إلى ما بعد ذلك التاريخ بل ازدادت سوءاً.

وعلى كل حال، طبعته حياة ولد التريعي بالصراع ضد الأجانب فقد أشارت الاستخبارات إلى أن علاقته بالأجانب بالجديدة كانت محدودة. ويبدو أن الرجل الذي اشتهر بالشجاعة والصرامة كان مصمماً على عدم خدمة إهداف الفرنسيين. ويظهر نتيجة لذلك أنه انضم للحركة الحفيفية حيث أصبح من أعمدتها في حوز أزموور والجديدة. ويعد كل ذلك بالنسبة إلينا أن الرجل اختار طريق الجهاد ضد التدخل الفرنسي في المغرب.

وبالفعل، فقد أصبحت الدعاية الحفيفية نشيطة بالمنطقة، حتى إن الفرنسيين الذين احتلوا الدار البيضاء، هددوا باحتلال الجديدة في صيف 1907 / 1325. وبالرغم من ذلك فقد تمكن الحفيفيون من السيطرة على أزموور بمساعدة التريعي دون شك، ونظموا عملية تهريب الأسلحة إلى مجاهدي الشاوية عبر الجديدة وأزموور.

لم يكن محمد التريعي بمعارضة النفوذ الأجنبي في قبيلته، بل تجده يلبي داعي الجهاد ويقطع وادي أم الربيع إلى الشاوية حيث اصطدم بقوات الجنرال دامبا في بداية 1908 / 1325. وتشير بعض الأخبار إلى أن القائد التريعي كان يجاهد في "المذاكرة" مع بطلها الأحمر بن منصور ولا غرابة في ذلك، فقد جذب مؤذن الجهاد بالمذاكرة أبطالاً من الحوز مثل عمر السكتاني ومن الأطلس مثل موحا وسعيد الوراوي وموحا وحمو الزباني وهؤلاء قواد مشهورون في قبائلهم. أما غيرهم من المجاهدين فكانوا كثيرين.

وقد عاد محمد التريعي إلى بلاده بعد سيطرة القوات الفرنسية على الشاوية، كما تمكن قائد قوات الاحتلال من الجواز إلى أزموور التي احتلها وأبعد عنها القائد الحفيفي حاسي الكلاوي، كما عزل محمد التريعي عن القيادة وولى غيره مكانه في جمادى الثانية عام 1908 / 1326 يوليو.

لكن بمجرد عودة قوات الاحتلال إلى الشاوية، عاد محمد التريعي إلى قيادته حيث قتل القائد الذي ولاه الفرنسيون وعلق رأسه على أبواب أزموور وفي هذه الأثناء حصل محمد التريعي على ظهير حفيفي بالتولية من جديد.

ويتهم الفرنسيون محمد التريعي بالتعسف والقسوة ضد محكوميه، وخاصة بعد احتلال أزموور من طرف القوات الفرنسية وخروجها منها. أما بالنسبة لعلاقته بالأجانب

فيتهمونه بأنه كان يضيق عليهم عند المرور ويفرض عليهم إتاوات كبيرة وخاصة على الفرنسيين الذين يريدون قطع وادي أم الربيع إلى الشاوية. أما فيما يتعلق بالحصول على الحماية الأجنبية، فقد كان محمد التريعي ينكل بكل من يدعي تلك الحماية ولذلك تكاثرت شكايات الفرنسيين ضده عند السلطان مولاي عبد الحفيظ وتدخلوا لديه لعزله لكنه لم يفعل إلا سنة 1912 / 1330.

ومنذ الحملة الفرنسية على فاس سنة 1911، وحصول الاتفاق الألماني الفرنسي حول المغرب في ذي القعدة عام 1911 / 1329، أخذ محمد التريعي يحتاط لنفسه. وبالرغم من ذلك لم يطلب الحماية الأجنبية إلا بعد أن أصبح مهدداً لما تمكن الفرنسيون من فرض الحماية على المغرب في ربيع الثاني عام 1912 / 1330، واستصدروا قراراً بعزله.

وفي شهر جمادى الأولى 1912 / 1330 أبريل ذهب القائد محمد التريعي إلى القنصلية الإسبانية بالجديدة ليطلب من القنصل لويس فيلاس (Louis Villas) الحماية من بلاده. وبمساعدة السيد بوخول (Pujol) كاتب القنصلية واليهودي المغربي يوسف ماهون (Joseph Mahon) وهو سمسار إسباني، تمكن القائد التريعي من الحصول على بطاقة الحماية الإسبانية.

وقد عارض الفرنسيون وحزبهم، منح إسبانيا حمايتها للقائد المجاهد، فاحتج النائب محمد الجياص والوزير المغربي على تلك الحماية لكن البعثة الإسبانية بطنجة لم تتخل عن حماية الرجل. وظل محمد التريعي بالرغم من توقيفه يمارس مهامه كقائد قبيلته إلى شهر يوليو 1912.

وفي 23 يوليو احتل الكولونيل مانجان مدينة أزموور، وجعلها مركزاً لعملياته بدكالة. فقد عين قائداً عاماً ومشرفاً سياسياً مكلفاً بتهدئة المنطقة ؛ بمعنى آخر مكلفاً بالقضاء على كل نفوذ معارض للاحتلال الفرنسي بالمقابل الدكالية.

وكان القضاء على نفوذ القائد التريعي في مقدمة اللاتحة. ولذلك قرر الكولونيل مانجان قبيلة قصبة التريعي والقاء القبض على الرجل في فجر يوم 4 غشت. بيد أن محمد التريعي الذي علم بالأمر بطرقه الخاصة غادر قصبته ليلا، والتجأ إلى دار اليهودي سيكسو Siksou وهو محمي إسباني يسكن بقرب مدينة الجديدة.

وفي الغد قبيلت قوات الاحتلال قصبة القائد المغربي، واحتلتها بعد اشتباك قصير مع ساكنيها، ثم صادرت ما وجد بها من سلاح ووثائق، وأشعل فيها النيران. وفي الوقت الذي كانت فيه قصبة التريعي تحترق كان القنصل الفرنسي قد جند ما عنده في الجديدة وحاصر دار سيكسو بمساعدة طابور بوليس الجديدة.

وتشير بعض المراسلات الفرنسية إلى أن القائد محمد التريعي، طلب التفاوض مع القنصل الفرنسي ؛ فذهب هذا الأخير، بصحبة قائد ضبور البوليس وضابط صف إلى دار

سيكسو، حيث خرج إليهم التريعي مع بعض رجاله، ووعد القنصل بالاستسلام للقنصلية الفرنسية. وتتهم الرواية الفرنسية القنصل الإسباني بالتدخل في الأمر مما دفع التريعي إلى التراجع عن وعده.

ومهما يكن من أمر، فقد عزز الفرنسيون، في يوم 5 غشت طابور البوليس بفرقة من الرماة لتشديد يد الحراسة حول دار اليهودي خوفاً من خروج التريعي منها. وفي المساء حدث تبادل لاطلاق النار بين دار سيكسو والقوات المحاصرة لها. وفي هذه الأثناء تجمعت الجالية الفرنسية بالجديدة، بدار القنصلية الفرنسية، حيث تسلم أفرادها وبدأوا يقومون بأعمال الدورية بضواحي المدينة.

ونتيجة لهذه التطورات، ونظراً لما قام به الفرنسيون من استعدادات حربية، خيم على الجديدة في صباح يوم 6 غشت جو مكهرب، فلم تفتح المتاجر أبوابها وظلت مصالح الديوانة والمصالح التي يراقبها الفرنسيون كالبنك المخزني ومراقبة الدين مغلقة بدورها. وكان الجميع يحس بقرب حدوث انفجار ما. ولا ندري هل كان الفرنسيون ينوون اقتحام دار المحمي الإسباني أم لا.

الحاصل، أنه في الساعة الواحدة من زوال يوم 6 غشت، أي في الوقت الذي تشد فيه وطأة درجة الحرارة؛ فوجئ المحاصرون لدار اليهودي سيكسو، باندفاع الفارس المغربي متجرداً من ملابسه ولم يبق عليه سوى الجلابة، حاملاً معه ابنه الصغير في إزار معقود بحزامه، يتبعه بعض رجاله. ونتيجة للمفاجأة وللسرعة التي اندفع بها حصان التريعي خارج دار سيكسو، لم يتمكن الجنود من إصابته بالرغم من التيران التي صوتت نحوه.

وهكذا تمكن القائد محمد التريعي من التخلص من الفرنسيين المحاصرين له، كما تخلص منهم عندما حاصروا قصبته. وفي طريقه صادف أحد الضباط الفرنسيين متجهاً نحو المعسكر عندما سمع صوت اطلاق الرصاص، فأرداه قتيلاً ثم اختفى وسط بادية دكالة دون أن يجرؤ أحد على مطاردته.

إلى هنا تقف المصادر التي اعتمدها في تتبع علاقة التريعي مع الفرنسيين. ويبقى مصير التريعي مجهولاً لدينا إلى أن توضحه المكتشفات الجديدة من الوثائق. ومع ذلك يمكننا أن ننبه إلى بعض الإشارات التي وردت على لسان بعض المخبرين، مفادها أن القائد التريعي انضم مع مجاهدين آخرين إلى جانب موحا وحمو الزياني، حيث شارك في جهاد قبائل المنطقة ضد الاحتلال الفرنسي.

وثائق خ. ح. : الوثائق الدبلوماسية بمدينة نانت؛ نشرة إفريقيا الفرنسية 1912؛ الرواية الشفافية.

Goulven, *Le cercle des Doukkala*.

علال الحديدي

**تريفنة** - جغرافياً، سهلٌ يمتد على الواجهة المتوسطية لجبال بني إزناسن، كما يطلق على القبائل العربية التي تسكن هذا المجال، والتي اختلطت اختلاطاً وثيقاً مع

القبائل البربرية الإزناسنية. ذلك أنه تاريخياً، كان النشاط الزراعي يتركز أساساً في الأودية النازلة من الجبل، ودخل السلسلة، بينما ظلت المنطقة المنخفضة مجالاً للرعي. وهذا التكامل سمح بالحفاظ على نوع من الاستقرار في الوحدتين معاً.

من الناحية المناخية والنباتية يجب التمييز بين الجهة الغربية (منخفضات الشويحية وبوعربية) حيث ينعدم العنصر الشجري ويقوى الجفاف (غلبة الشيح والحلفاء) والسهول الوسطى والشرقية، حيث الظروف الطبيعية تسمح بنمو غطاء من الشجيرات تعرض للقطع في جل المناطق.

وتبين الأتربة نفس التناقض، يفسره النموذج النظري الذي اعتمده إخصائيو التربة (Ruellan, 1971). هذا النموذج يعتبر فترات استقرار طويل سمحت بتترب متقدم على سفوح بني إزناسن، تتبعها فترات خلل مناخي يتم خلالها تدهور الغطاء النباتي، وبالتالي نزوح هذه الأتربة نحو السهل تحت تأثير عوامل نقل أهمها السيول المتفرقة. والتغاير الصخاري بين بني إزناسن الشرقية المكونة من اكلاس صلبة تحمل أتربة حمراء منزكلة، وبني إزناسن الغربية الصلصال - كلسية والحثية والحاملة لأتربة سمراء كلسية، يفسر التناقض بين الجهتين الشرقية والغربية من سهل تريفنة. ذلك أن الجهة الشرقية والوسطى (ناحية أحفير - بركان) استقبلت هذه المواد الحمراء المنزكلة، والتي كونت في السهل أتربة قسطالية اللون، لها مسكة عليا سميكة، فوق مسكة كلسية عميقة ومتصلبة. أما في الجهة الغربية (بوغربية - الشويحية) فإن المواد المتركمة فاتحة اللون وغير متمايزة القطع، تعلو بها نسبة الكلس ابتداءً من السطح. والتراكيمات الحديثة جدا (تراكيمات الهولوسين) وحدها متشابهة في كل المناطق، لأنها نتاج إعادة نقل المواد خام، لم تتعرض لتترب متقدم. وهي مواد تتركز على طول المجاري النهرية والسيول.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة (Laouina, 1987, 1990) أن التترب المحلي كان له إسهام هام في تكوين الرصيد الإقليمي من الأتربة، وذلك تبعاً للموقع التضاريسي والمناخي. وهكذا يمكن التفريق بين خمسة أنواع من البيئات الأساسية:

- بيئة الشريط الساحلي (السارگ)، وهو مجال مزدوج، مكون إما من سطوح رتيبة مالحة أو كثبان رملية حديثة.

- بيئة التلال المتوجة: في منطقة أولاد منصور، تمتد هضبة متموجة، تقطعت محلياً على تلال، والبروزات متدهورة التربة بينما المنخفضات مجال تراكم.

- بيئة حادورات تريفنة الشرقية والوسطى، المسكوة بأتربة قسطالية غنية، في إطار مناخي نصف جاف.

- بيئة حادورات تريفنة الغربية، التي تغلفها أتربة بنية كلسية، ذات قشرات كلسية سميكة وقريبة من السطح في إطار مناخي يميل إلى الجفاف.

- بيئة الأودية الكبرى، كواد كيس أو شراعة أو ملوية، وهي أشربة حيث تمتد درجات ممتازة الظروف، وسط مجال صعب ومهدد بالاختلال والإزالة.

وموقع ترفية في قدم بني إزناسن يفسر التوفر النسبي لثروات مائية؛ فالأنهار النازلة وبعض العيون تغذي منطقة دير محدودة الامتداد تتركز على شكل أشربة دقيقة. كما أن المياه المتسربة في الجبل تسري في فرشاة مائية باطنية في السهل. إلا أن انخفاض منطقة مداغ، من جهة، ووقوف ثنية أولاد منصور في وجه حركة الماء نحو الشمال، كانا الأصل في تكوين مستنقعات ممتدة في سهل مداغ، الشيء الذي استدعى تجفيف هذه المستنقعات قبل الانطلاق في تعميم السهل.

عرف منخفض ترفية تحولات جذرية خلال المراحل الحديثة من تاريخه، كان لها بالغ الأثر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وكذا على البيئة العامة. ذلك أن هذا المنخفض كون إلى بداية هذا القرن مجالاً تكميلياً، يستعمله سكان الجبل - بني إزناسن - كمرعى لماشيتهم خلال فصل الشتاء. ولذا فإن الغطاء النباتي احتفظ بكثافة عالية وبالتنوع المتمثل في تشكيلات شجيرية وأعشاب مختلفة. وظلت الساكنة المحلية محدودة. ولقد تحولت هذه الرضعية جذرياً بمجرد دخول المعمرين في بداية القرن، حيث تم اجتثاث الأرض، وتجفيف المستنقعات، ومد السقي في المجالات المتوفرة على فرشاة مائية غزيرة وقريبة من السطح. ونتج عن هذا توقيف للحركة المعهودة للسكان بين الجبل والسهل واستقرار البعض من هؤلاء في المجالات التي تركها المعمرين شاغرة، يعني في الهوامش المتميزة بانحدارات نسبية وأتربة هيكلية وفقيرة. كما قطن البعض الآخر إلى جانب ضيعات المعمرين ارتباطاً بفرص الشغل المتوفرة فيها. وهكذا، تحول السهل إلى مجال أساسي للسكن والانتاج الفلاحي.

وقد استمرت الدولة المغربية في نهج سياسة تنمية السهول المنتجة على حساب الهوامش الجبلية، وذلك بتعميم الري وتكثيف الشبكة الطرقية وتشجيع التجهيز والتمدين. وقد كان بناء سد محمد الخامس على نهر ملوية انطلاقة أساسية في مد السقي في سهل ترفية وحتى على بعض هوامشه مثل قدم الجبل وتلال أولاد منصور.

وهكذا يمكن تقسيم السهل وحواشيه إلى مجموعة من

الوحدات :

- أراضي ضعيفة الاستقرار البشري أو غير مسكونة، مثل السهل الساحلي الملحي المكسو بأعشاب متكيفة، والتي تصلح كمرعى مؤقت. والكتبان الساحلية المثبتة بأغراس شجيرية، والتي تعرف حالياً تطور أنشطة ترفيهية شاطئية، قد يكون لها أثر سالب على استقرار الرمال، والأشربة الهدرغرافية الكبرى التي تزورها الشاحنات لاقتلاع الرمل والحصيم.

- الهضاب الهامشية : ويضعف استعمالها لأسباب عدة

منها هزلة التربة وعدم وصول مياه الري إليها أو جفاف المناخ.

- عند قدم الجبل، تمتد زراعات تقليدية في مجالات حيث الكثافة البشرية تصل إلى 60 وحتى 100 نسمة / كلم<sup>2</sup>. - تتمثل الأراضي الأكثر جودة في الأجزاء المنخفضة من السهل، وهي أراض كانت تسقى بالمضخات في أواسط هذا القرن، ثم تحولت إلى مجال سقي انجدابي معمم بعد وصول مياه ملوية. وتختلف المظاهر حسب مجموعة من المؤشرات منها قدم الاستقرار، وتنوعية التمليك. فمجال مداغ العثامنة، عبارة عن مستنقع قديم، تم تجفيفه في أوائل القرن، ثم امتد إليه الري. وتغطيه ملكيات كبرى، عدا وسط المستنقع الذي جزئياً قطعاً صغيرة. وتظل الكثافة البشرية في هذا المجال متواضعة، وتقل الكثافة في المنخفضات التي تتوسط تلال أولاد منصور والتي بقيت فارغة إلى حين الوصول المتأخر لمياه ملوية إليها. أما نحو الجنوب، فإن السطوح الممتدة قد جزئت أراضيها تجزئياً دقيقاً، الشيء الذي يفسر ارتفاع الكثافة البشرية بها (مجالات السليمانية - بوغربية).

مشاكل السهل مرتبطة بالاختيارات الأساسية التي نهجتها السياسة الفلاحية.

- فهناك مشاكل تقنية تتصل بالري ويدخل ضمنها صعوبة التصرف في المياه، وضياح قسط وافر منها، وتدبير الموارد السطحية والباطنية قصد تلافي تمليح الأراضي وصعود مستوى الفرشة المائية.

- وهناك مشاكل عامة تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاختيارات الخاصة بالزراعات.

فسهل ترفية الذي كان مجالاً تكميلياً في بداية القرن، تحول إلى نطاق يعرف ضغطاً بشرياً وتكنولوجياً. والتطورات شديدة السرعة، أغلبها إيجابية تدل على تنمية هامة، وعلى تنوع في الإنتاج. وقد تمت هذه التحولات بوتيرة سريعة حيث تضاعفت الساكنة أربع مرات من بداية القرن حتى سنة 1960؛ ثم مرة أخرى خلال الثلاثين سنة اللاحقة. ويعزى هذا التوقف النسبي في ساكنة الأرياف إلى بروز ظاهرة التمدين السريع في بركان وفي المدن الصغيرة الأخرى كأحفير والسعيدية وعين الرگادة، وفي عدد من المراكز الأخرى.

J.P. Charvet, *La plaine des Triffa*, R.G.M., n° 21, 1972 ; A. Laouina, *Le Maroc Nord-Oriental*, Thèse d'Etat, Paris - Sorbonne, 1987 ; *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques et sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc, espace et société*, Passau, p. 175 - 181, 1990 ; A. Ruelan, *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes*, Mem. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.

عبد الله العويبة

\* \* وعن تاريخ استقرار ساكنة ترفية، فقد استوتنت أربع قبائل سهل ترفية وصارت تُنعت باسمه وهي : أولاد منصور وأولاد الصغير وهواره والعثامنة.

وتعتبر قبيلة أولاد منصور من أقدم القبائل التي استقرت بسهل ترفية، ونصت اتفاقية مغنية حول الحدود

سنة 1261 / 1845 على أنهم أولى القبائل المغربية النازلة في مقدمة الحدود ابتداءً من البحر، وتفيد بعض الروايات أنهم إخوة لأولاد منصور المستقرين قرب مغنية (الجزائر)، وأنهم انفصلوا عنهم منذ حوالي ثلاثة قرون، واستقروا غرب واد كيس في موطنهم الحالي.

أما أولاد الصغير وهوارة والعثامنة فقد انتقلوا من بسيط أنكاد إلى سهل تريفية في منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، ويستفاد من مختلف المصادر أنهم إخوان لأهل أنكاد (انظر مادة أهل أنكاد، ج 3، ص. 859-860)، وكثيراً ما تنعتهم الوثائق "بأنكاد تريفية" أو "بأعراب تريفية".

عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي

1873-1907. منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء

1989، ص. 79-73.

La Martinière et Lacroix, Document, T. 1, pp. 188 - 214 ;  
Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 201 - 203.

عكاشة برحاب

**تريفية** أو تريفية، أو على الأصح اللهجة الزناتية، فرع من فروع اللغة الأمازيغية العامّة (انظر مادة أمازيغية، معلمة المغرب، ج 2). يُصنّف علماء اللغويات الأمازيغية اللهجة الزناتية إلى قسمين :

القسم الأول هو الريف بمعناه الضيق، أي ذلك المجال الممتد بين وادي كرت (إغزران شار) ووادي بني كميل حيث تقطن قبائل أيت إطفت وإبقوين وأيت واريغل وأيت تسمان وأيت سعيد. أما القسم الثاني فهو يستعمل في مجال يشمل القطاع الشرقي في الريف : قبائل إقرعيين وإكيدان وحتى قبائل أيت توزين وإكزنين وأيت أوليكش وأيت عمّرت الموجودة في الداخل، ويذهب بعضهم إلى إدماج أيت إزناسن وأيت بويحي وإمضالس (مطالسة) في إطار زناتيٍّ أوسع. وعموماً يمكن القول بأن المجال الجغرافي للزناتية تحيط به غرباً قبيلة غمارة وشرقاً الحدود الجزائرية وجنوباً قبائل البرانس وهوارة كما يحده شمالاً البحر المتوسط.

إن أهم ما يميز اللهجة الزناتية هي خصائص نظامها الصوتي المتمثلة في تحويل الصوامت المقفلة إلى صوامت احتكاكية :

ب ← پ، ت ← ث، د ← ذ، ك ← ك، گ ← ك.

وببدو أن هذه الظاهرة تتضاعف من الجنوب إلى الغرب؛ ويلاحظ كذلك تحويل ث إلى ذ في بداية الكلمة : تامطوت ← ذامطوت "المرأة"، وتحويل ك إلى ش أو إلى ي: ثفوكت ← ثفوشت أو ثفويث "الشمس"، كما تُحوّل ك إلى د ج أو إلى ج أو إلى ي : ثارگا ← تاردجا أو تاربا "الجدول"، ويلاحظ كذلك قلب اللام راءً : أسلم ← أسرم "سمك"، وهذا القلب بهم كذلك المفردات الدخيلة : القائد ← فايد ؛ أما الام المشدّدة فهي تصبح د أو دج

أور: وُلّي ← وُدّي "الشيء"، ثيلّي ← ثيدجي "ابنتي"، أكلّيد ← أكلّيد أو أجدّيد "الملك". وتطبع هذا النظام الصوتي كذلك كثافة الصوامت المعطّشة من تش ود ج كثيراً ما تكون هذه الصوامت نتيجة لإدغام صامتين : ل + ث ← تش : ثاقبيلت ← ثاقبيتش، "القبيلة"، وُلتما ← وُلتما "أختي"، أو ن + ل ← د ج : أنلّي ← أدجي "المخ".

أما على المستوى الصرفي - التركيبي فلا توجد اختلافات بنوية كبيرة بين الزناتية واللهجات الأخرى، ومع ذلك لا بد من الوقوف عند بعض الظواهر منها غياب أداة المضارعة، أما أداة المستقبل فهي أدوغا، وأداة النفي هي وار أو وا أو وِر.

بالنسبة للصيغ الاسمية نلاحظ أن الصائت الذي يقع في أول الاسم المؤنث والمذكر يسقط في كثير من الحالات : أفوس ← فوس "اليد"، أمازيغ ← مازيغ "الأمازيغي"، تاسا ← تاسا "الكبد"، تاغاط ← ثغاط "الماعز". وكذلك الاسم يُبنى حسب قواعد حالة الفصل أو حالة الوصل المعروفة في النحو الأمازيغي ما عدّا في إطار بنية تركيبية واحدة وهي فعل + فاعل حيث لا تُطبّق قاعدة الوصل في كثير من الحالات في لهجة تريفية : إذا وُرگاَز ← إذا أرياز "ذهب الرجل". أما الأسماء العددية فيظهر أنها فُقدت في تريفية حيث لم تحتفظ سوى ب إدجن (أو إدج أو إجن) "واحد"، وب إشت "واحدة"، أما الأعداد الأخرى فهي مستعارة من العربية.

وهناك خاصية أخرى تميّز بها هذه اللهجة تكمن في استعمال د كرابطة بين الاسم والصفة : و ماس د أمزيان بدل و ماس إگا أمزيان كما هو الحال في اللهجات الأخرى "أخوه صغير" (تلاحظ هذه الظاهرة في لهجة زمور كذلك). ثمة كذلك بعض الاختلافات على مستوى الضمائر المنفصلة : شك (أنت)، شم (أنت) وعلى مستوى الأدوات الظرفية : أزغات = أسگاس نَاط = نضاضانا "السنة الماضية"، إضا = إضو = غاسا "اليوم"، إضناض = أسناط + إضگام "البارحة"، أطاتس = شايبگان = كيبگان "كثير"، قاع = قاح = أك "الكل"، ذا = ذاها = غيد "هنا"، ورا = آگود = ولا "حتى"، مامك = ماكا = مانيك "كيف"، الخ.

أما من حيث المعجم، فهناك مفردات مشتركة بين سائر اللهجات وأخرى تنفرد بها تريفية : أذف "دخل"، إرض "ليس"، قار "تكلم"، رو : بكى، سقاذ "أرسل"، وضا "سقط"، وگور "مشى"، ثيزگي "الغابة"، ثيمسي "النار"، إري "العنق"، يازيض "الديك"، الخ.

الأدب : بالرغم من بعض المحاولات الحديثة يبقى الإنتاج الأدبي الريفي إنتاجاً شفوياً يتمثل في الأجناس الماثورة في الأدب الأمازيغي من شعر ونثر، غير أننا لا نعرف عنه إلا القليل لندرة الدراسات المتخصصة يسمّى الشعر إزري أو أعنيح عندما يُعنى ويكون شعراً وجدانياً

يتغنى فيه الشاعر بالطبيعة وبالمحبوبة ويكون كذلك شعراً دينياً يتضمن الموعظة والإرشاد، كما يكون ذا مضمون سياسي يتناول مقاومة الاستعمار الإسباني أو يعالج ظواهر من التاريخ الحديث وقضايا المجتمع المعاصر. أما النثر فإنه ينقسم إلى الأنواع المعروفة في الأدب الأمازيغي العام من حكايات وأمثال وأغاز.

م. الشامي، حرب الريف والمأثور الشفوي: شعر المقاومة والجهاد، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، ص. 411-437، 1986، منشورات كلية الآداب، وجدة.

S. Biarnay, *Études sur les dialectes berbères du Rif*, Paris : 1917 ; K. Cadi, *Système verbal rifain, Forme et sens*, Paris, 1981 ; M. Chami, *Un parler amazigh du Rif : Approche phonologique et morphologique*, Thèse de 3ème Cycle, Univ. de Paris V, 1979 ; M. Chataou, *Aspects of the phonology of a berber dialect of the Rif*, Ph. D. Univ. of London, 1982 ; F. Laoust, *Le dialecte berbère du Rif, Hesp.*, 2ème tri., pp: 173 - 208, 1927 ; A. Renisio, *Étude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair*, Paris, 1932 ; P. Sarriondia, *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905 ; O. Tangi, *Aspects de la phonologie d'un parler berbère du Maroc: Ath Sidhar (Rif)*, Thèse de Doctorat, Univ. de Paris VIII, 1991 ; E. Ibañez, *Diccionario Español-Rifeño*, Madrid, 1944 ; *Diccionario Español-Senhavi (dialecto berber de Senhay de Serair)*, Madrid, 1959 ; A. El Aissati, *A study of the Phonotactics of Asht Touzin Tarifit Dialect*, Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1989 ; A El Kirat, *Spiranization in the Beni Iznassen Dialect*, Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1987.

أحمد بوكوس

**تريفية،** منطقة صحراوية تقع غرب زاغورة وتكسو أرضيتها بعض الجبال الصغيرة المستديرة القمم، شهدت في أوائل عهد نشأتها نشاطاً بركانياً هاماً بدليل الأحجار الناتجة عن اللافتات، أي السوائل البركانية التي تجمدت مع الزمان.

تشكل هذه المنطقة حوضاً - أو وهدة - تكاد تبلغ مساحتها مائة كيلومتر مربع، تتسع جنباته وتنبسأ أرضيته بمحادة منطقة الكراعة الشرقية. طقسها جاف صحراوي، وأمطارها قليلة، وبخترقها جدول طويل جاف في أغلب أيام السنة، يسمى أسيف - ن - تاساوت ويتلاشى في القفار. إنها منطقة قاحلة تلمع بعض جهاتها فتعكس أشعة الشمس لأن الأحجار غنية بمادة الزجاج، وبعض جهاتها سوداء وكأنها مكسوة بظلاء القطران، ولا تبتسم فيها الطبيعة إلا عند نقطتين يدب فيهما ما يشبه الحياة بفضل ما يجتمع فيهما من ماء، وهما واحتان صغيرتان، واحة المرجة واحة النخيلة، مركزان إداريان يوجد بهما ممثلون للسلطة، يقطنهما عناصر من قبيلة أيت يحيى، مواردهم الفلاحية قليلة تتمثل في شيء من الشعير والتمر والتين، لكن الأهالي يعتمدون أساساً على الاتجار في الابل، وغالبا ما يعدون من البدو الرحل.

أحمد بنجلون

**التريكزي (أهل .)،** أسرة صحراوية. إذا كانت دراسة كل فصيلة من الفصائل القبلية بالصحراء الأطلسية ووضفتها الشمالية تبرز مظاهر التجانس والطابع الأفقي للعلاقات الاجتماعية، فدراسة أهل التريكزي تسمح بما هو أكثر. فهذه وحدة قرابية تسلسلية تعد بحق نموذجاً من بين

تلك القادرة على كشف المقاييس العملية لفهم البنية الإيكولوجية وأشكال الملكية والنشاط الفلاحي في أوجهه التي مكنت نسبياً من مجابهة مضاعفات المد التجاري الساحلي الأوربي. ومعلوم أن هذا المد كان قد أسرع خلال الفترة الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) بتفكيك البنيات الاقتصادية والاجتماعية.

يكون إذن من الجائز تسليط الضوء على شخصية التريكزي الجد الفعلي لهذه الفصيلة الذي استطاع بهيمته وقوة موقعه التصدي لمخاطر الارتباط بهذا الموقع. فليس صفة أن تتراكم بين يديه الأراضي الخصبة ليتحكم وحده فيما يسمى اليوم بعوينة أهل التريكزي وأحوازاها ويدرج ممتلكاته الشاسعة وقطيعه الكبير من الإبل والأغنام وخدام عزائبه ضمن محيط التنافس الحاد. لقد كانت قواه الإنتاجية تتعدى من حيث حجمها ما يتوافر لدى العائلات الكبرى من أبناء فصيلته أيت احماذ أو علي بقبيلة أزواقيط وبغيرها من القبائل المجاورة. كان ضروريا أن يعتمد الأساليب العنيفة لفرض مسلتزماته وحماية ممتلكاته. فقد كان كبار أيت احماذ أو علي يستمدون نفوذهم يومها من معين المقدرة الحربية والتحالف. وفي هذا الإطار يندرج دور التريكزي المحوري ضمن أيت احماذ أو علي ليقترن اسمه بحماية محمييه من قبيلة تركز المرابطية التي كانت تقيم يومها في كنفه. لقد كان نظام الحماية هذا في صالحه كتمتلك كبير للأرض والماشية حيث كان يحدد بوضوح مجاله الرعوي والفلاحي والمتمثل أساسا في مقدار ما يسمح بتشغيل المرابطين الزوايا تركز. ندرك من هنا لماذا سمي بالتريكزي ويبقى إذن أن نؤرخ لحياته كمؤسس وجد فعلي لفصيلة مطبوعة بانعكاسات التمايز الاقتصادي والاجتماعي فيما بين الأفراد والجماعات.

**التريكزي، مبارك بن العكاد بن محمد بن الحسين**

ابن مبارك بن علي بن إبراهيم وهو المعروف باسم التريكزي، تفصله عن صفار أهل التريكزي الحاليين أربعة جدد مما يفيد انتماءه إلى أواسط القرن الثالث عشر (19 م). وإذا كانت هذه الفترة تبرز إلى حد بعيد ما كان بهذا المجتمع من توزيع غير متساو للملكية والموارد المائية، فإن وثائق أصل التريكزي تعد مرجعاً لتصنيف جدهم هذا في خاتمة أهم وأكبر الأعيان ذوي النفوذ الواسع. هذا المنظور لا يمكنه أن يكتسي طابعاً اعتباطياً أو عشوائياً طالما أن الرواية الشفوية حتى لدى أكبر منافسيه (أولاد بلحويلات - أيت لحسن) تنير الرؤيا وتساعد على ضبط حدود معالم شخصيته. وهو أيضاً ما يفيد أيت باعمران وأيت عثمان دوفا تحفظ مركزين على حجم وأهمية ممتلكاته من الأرض والساقية وحجم قطيعه من الأنعام. لقد كان مبارك التريكزي من أكبر أعيان أيت احماذ أو علي المرابطين لأهم مداشر وادي نون وأراضيهم ومنافذه. على أنه تميز عن باقي هؤلاء الأعيان باحتضانه للمبادرات الاجتماعية وتجسيد

استمراريتها بتعامله مع مختلف مستويات النسق المجتمعي القبلي. لقد سعى دوماً إلى تبرير صالحته كحامي لقبيلة تركز ولكل من كان في حاجة إلى إمدادات غذائية. وإذا كان تتبع مراحل حياته يعد اليوم من باب المستحيلات، فإن في إلقاء نظرة على ملابس فترة ما قد يرشد إلى ربط الأسباب بالنسب وتحديد آليات ومضامين العلاقات بين كبار ومحتكري المجال الفلاحي بوسطهم الاجتماعي.

يعد القرن الحادي عشر (17 م) في وعرون مستين الاتصال بالمحاور الرئيسية التي أعادت هيكل قبيلتي أيت لحسن وأزوافيط (انظر مواد إزرغين - أزوافيط - أيت بلة - تگاوست بالمعلمة). والجدير بالملاحظة هنا هو أن هذه الهيكلية تستند فيما تستند إليه، إلى ظاهرة الاستقرار التدريجي للرحل الحائرين محل آخر الحشود المعقلية من ذوي حسان سواء منهم الذين توجهوا جنوباً نحو التراب الموريتاني ليشاركوا في شربته التباري ضد الغزو الصنهاجي أم المتوجهين شمالاً نحو حوز مراكش والسهول الأطلسية. لقد أكد حمدي ولد يوسف الذي عايش رجالات أواخر القرن الثالث عشر (19 م) بأن أولاد مبارك المعقلين كانوا إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) بوغرون حيث كان شيوخ وعرون من حراطين ومجاط "البيكم" يعانون من سيطرتهم. وقد أشرنا إلى أن أولاد بلحويلا ينتمون إلى الغور السكاني الأقدم (انظر المعلمة : أولاد بلحويلا، 17 : 1353 - 1355) شأنهم في ذلك شأن أيت بكو وأيت عفان وإذا أوزية. ولا شك أن التقلبات التي أحدثتها مغادرة ذوي حسان للمنطقة قد حددت طبيعة المشتركات الجديدة بين الغور السكاني الأقدم وأيت احماذ أعللي. هؤلاء المتملكون الجدد لترات وعرون تمكنوا محلياً من فرض تحالفات مع الغور السكاني الأقدم لمجابهة آخر المعائل الحسانية بالساقية الحمراء وطرد رجالات أبي حسون السملالي سيد إليغ وسلطان إيكرولن. كان هذا السلطان اشترى جل ماء وساقية وعرون من الشيخ بأ يحيى احماذ العوروني سنة 1043 / 1633 (المعلمة، بودميعة، 7 : 1673 - 1677). وبذلك اتضحت المعالم العامة للتشكيلية الاجتماعية في التعارض بين مالكي الماء والساقية وبين الوافدين عليهم أعراباً كانوا أو أمازيغاً. لقد تدخل أيت احماذ أعللي ليفجروا صراعاً حاداً مع أبي حسون السملالي محررين بذلك الغور السكاني الأقدم (أحرار تكنة) من الهيمنة الخارجية. وقد عملوا في ذلك على الاستناد إلى نظام التحالفات المحلية في شكله القديم. فلم يجدوا بذلك أية صعوبة في تجاوز وادي نون إلى إبعاد آخر الفصائل المعقلية خارج الساقية الحمراء.

وتؤكد مجمل القرائن المزمنة على أن أسلاف مبارك التريزي كانوا يوماً من أبرز أعيان أيت احماذ أعللي إذ لعبوا دوراً أساسياً في التقريب بين فصيلتهم هذه وأولاد بلحويلا. ومعلوم أن سيد أولاد بلحويلا خلال هذه الفترة السابقة لوصل المولى إسماعيل هو ولد امرزيك.

فباعتباره رئيساً لوحدة صغرى، لم تمنع كبريات القبائل في تعيينه رمزاً لوحدها ضد آخر الوحدات المعقلية بالساقية الحمراء، بقدر ما كانت ترمي هذه الخطة إلى تقنين نشاطات الجهاز التمثيلي للاتحادية، كانت تستهدف تجنب كل مغالاة في دور هذه القبيلة أو تلك. لقد تمكن تكنة من طرف فصيلتي امرّف وأسنان الدليميتين خلال المعركة الفاصلة المعروفة حالياً بمعركة مكيسم ولد امرزيك. كانت اتحادية أولاد دليم المعقلية تشمل يوماً بالإضافة إلى هاتين الفصيلتين وإلى الفصائل التي ماتزال تحمل نفس الاسم كلا من أولاد اللب وأولاد عثمان وأولاد المولات. انحاز المغافرة والرحامنة وأولاد دليم إلى تيرس التي يحتفظ غطاؤها النباتي بالماء لمدة طويلة، خوفاً من ملابس الصراع ومن شدة الجذب سنة 1116 / 1699. وهي مرحلة عمل خلالها المولى إسماعيل على محاربة إذا أولاد بوادي نون ودرعة وعلى تنظيم التوزيع الجديد للأراضي الفلاحية. فقد سأل هذا السلطان عمن يكون أهل التراب الأصليون بوادي نون، فما كان من علي أعبد الله إلا أن تقدم إليه بحجة مكتوبة على وجه الاستعجال يقول من خلالها بتحكمه في تراب تغاط الخصبية التي يعتبر جده اماد أمسعود اتصان أول من تملكها. وبذلك يكون السلطان قد رصد السمات الظاهرة للرجل أيت احماذ أعللي ذوي النزوع إلى شبه الاستقرار وممارسة الفلاحة وتربية المواشي. ويمكن تتبع اهتمام المولى إسماعيل بملابسات توزيع التراب من خلال مراسلاته مع ابنه محمد العالم. كما أن عينات من الوثائق والمراسلات المحفوظة بالخرانة الحسنية تثبت إلى حد كبير نوعية العلاقات بين السلطان وأيت احماذ أعللي اللذين ينتمي إليهم أسلاف أهل التريزي. ولربما كانت خدمة هؤلاء داخل صفوف الجيش السلطاني إحدى دعائم انتزاعهم اقتطاعات محلية هامة.

لقد رافق علي أعبد الله الجيش السلطاني في حملاته الجنوبية. بل إن وحدة تكنية من 500 فارس تحت رئاسة حمو أعبد الإزرغي قد تكلفت بأمر من السلطان بحماية علي شندورة بالترازة. وإذا كنا نجمل اليوم أهم الأسماء التي مثلت مجمل قبائل تكنة بهذه الوحدة، فإن علي أعبد الله قد هباً لابنه محمد وحفيده محمد (الفيجج) وابن حفيده مبارك مأمورية شيوخ فصيلتهم. كما أن علاقة علي أعبد الله بالمولى إسماعيل تتضمن أكثر من دليل على دور الخدمة المخزنية في ترسيخ أقدام أصحابها. فعندما قام محمد العالم بن المولى إسماعيل بقتل أحد أبناء علي أعبد الله، لم يتوان السلطان الذي عانى من تمرد ابنه عن تسليمه لعلي أعبد الله لكي ينتقم منه. غير أن هذا رفض الانتقام مكتفياً بالإحسان إلى القاتل والبأسه أحسن لباس وإهدائه فرساً ثم إعادته يوم عيد الأضحى إلى ذويه. فما كان من السلطان إلا أن أسكن علي أعبد الله بمنزل مجاور للمشور السلطاني وزوجه من إحدى شريفات القصر خلفت

له بنات. ندرك من هذا إلى أي مدى استطاع بعض أعيان أيت احماذ أعللي خاصة وتكنة عامة الاندماج في إطار سياسي يجعل من الفصيلة كيانا غير منعزل ولا مستقل بذاته. فما موقع أسلاف مبارك التريكري من هذا الاندماج وضمن أية هيكلية سياسية عززوا مواقعهم الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القبلية والقرابية ؟

إذا كان الجواب على هذا السؤال يعد من الأمور الصعبة في الواقع الراهن للأبحاث، فإن إبراهيم يعد المزامن الفعلي لهذه الفترة. يبقى أن الخاصية التي تميزت بها علاقته بغيره من أسلافه قد تحددت استناداً إلى وقوف المشجر عنده كجد أعلى لأهل التريكري. ذلك أن مما يركي أهمية رؤوس المشجرات هو عدم تجاوزها إلى ماعداها من الجدود. وأنداك فقط نكون قد تلمسنا بشيء من الحيطة والحذر أهمية انتهاء مشجر أهل التريكري عند هذه الفترة الحاسمة من تاريخ إعادة هيكلة البناء الزفاطي والتكني. بل ينبغي علاوة على ذلك ربط أهمية إبراهيم هذا بما سيؤول إليه أبناؤه وحفدته من بعده خلال القرن الثاني عشر (18 م) فخلال هذا القرن المزامن لامتداد الصراع حول مراقبة المجال واستصلاح الأراضي والسواقي ظلت الفصائل المحلية تسعى جاهدة إلى الاستجابة بأي ثمن لمقتضيات الحفاظ على وجودها الفعلي. ولا شك أن علي بن إبراهيم وبدوره مبارك وابنه الحسين قد مثلوا الأجيال الثلاثة التي عاصرت القرن الثاني عشر. هذا ما يمكن أن نقره انطلاقاً من الوثائق المكتوبة والمروية.

لم يكن من شأن صراعات القرن الثاني عشر (18 م) أن تخفف من حدة التنافس حول مراقبة المجال أو التحالفات القبلية. لقد عرف وجود أيت باعمران بوغرون نوعاً من الاندماج بعد أن بدأ حراطين المدشر يتنازلون عن أراضيهم لكل من وفر لهم الحماية المطلوبة. كما تزامنت أحداث النصف الأول من هذا القرن مع اقتراب أيت لحسن من تاكاوست (المعلمة، تاكاوست، VI : 2084 . 2089). أما النصف الثاني فقد عرف بوحلايس الذي كان يمثل بتاسيرت (أيت باعمران) مخزناً محلياً كاد أن ينجح في خلق إمارة مستقلة. لم يتوان بعض كبار تكنة عن التحالف ضده بينما ساند بعضهم إلى أن توفي في معركة 1207 / 1792.

أمامنا إذن موقفان مختلفان يكشفان ظروف الصراع المتواصل من أجل مراقبة المجال. حقا لم تكن الأرض ترقى إلى مرتبة الماء والساقية يومها. غير أن الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي يؤكد بشكل حاسم المساهمة في توسيع نطاق الملكية الخاصة. من هنا يصعب عدم الربط بين هذا المعطى ومقتضيات الممارسة التي جعلت من مبارك وابنه الحسين شخصين من أعيان أيت احماذ أعللي ماتزال الذاكرة الشفوية تحتفظ بهما كرمزين للمد على تاكاوست. بل إن محمد بن الحسين لم يلبث بدوره أن يبرز على الواجهة السياسية كوجه لا يقل أهمية عن سابقه وكسيد

من أسياد المنطقة. على أن العكاد ابنه سيدخل التاريخ من باب أوسع من أن يقتصر عليه. فقد طوع قدراً كبيراً وهاما من الأراضي الخصبة والتميزة تحمل اليوم اسم "توفيلت أهل العكاد". هذه الأرض التي أصبحت تمثل القاعدة الأساسية في الإنتاج لدى العكاد لم تكن كما نرى هبة مخزنية. بل قامت على أساس إحياء الأرض الموات وكعملية فعلية. وبهذا المدلول الواسع سيرتها مبارك التريكري مع إخوته. ويقدر ما ستمتد سلطته من نصيبه منها نجده يضيف إليها قدراً من الأراضي الفلاحية الهامة تجسداً منه لممارسة أبيه في إحياء أكثر المواقع خصوبة. إن الموقع الهام الذي أصبح يعرف فيما بعد بعوينة أهل التريكري يمثل النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب نمط العيش الترحالي. فخاصية ممتلكات التريكري الشاسعة لا تحجب التباينات القائمة فيما بين الفصائل ولا الوزن المختلف لكل منها على مستوى انتظام الحياة الاقتصادية للسكان. لقد عرفت أحواز مدشر وعرون خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 . 19 م) نظاماً للملكية اختلفت أنماطه باختلاف الأراضي الخصبة منها والضعيفة الإنتاج. كما أن حسن استعمال ماء الساقية في إنتاج مادة التبغ الذي ساعد منذ القرن العاشر (16 م) على الكشف عن كل معطيات الواقع الاقتصادي والتجاري بسوق وعرون. ويتضح جلياً من دراسات ميدانية حول وعرون واقتصاده أن المدشر كان يعرف سيطرة محتكري الساقية دون غيرهم على إنتاج التبغ الوعروني الشهير. ومن ثمة فتحكم مبارك التريكري فيما يقارب 8 x 24 ساعة من ماء ساقية حُم المشهورة بجوار سور قصبه وعرون شمالاً التي لا تتجاوز 40 x 24 ساعة، يمثل أساس تحكمه في جزء من الأرض وساكنيها.

كان عزيز مبارك التريكري يجسد نتاجاً لقدرته على حيازة العوينة المسماة باسمه وما حواليتها من الأراضي الخصبة مما يجعله أكبر المنتجين والمستهلكين في آن واحد. ولتجنب كل مغالاة في هذا الدور فإن تعدد وتنوع ممتلكاته وأراضيها بالمناطق المحيطة الأخرى تخصصه أساساً بمكانة متميزة. لقد كان فلاحوه وعبيده ينتجون من التبغ والخضر ما يجعل منه نقيب الفلاحين بالمنطقة وسيد الوجهاء وأغناهم. ويتجلى دوره كنقيب في قدرة ومهارة عبده وفلاحيه في استصلاح الأراضي والسدود التلية وحفر المظمورات. إن الفحص الدقيق للأحداث يجعل منه حامي قبيلة تركز المرابطية وغيرهم من الذين كانوا يلجأون إلى حماه. فيمكن أن نلمس الأثر الفعلي لنزعتة الحمائية من خلال التسمية التي أطلقت عليه. تبين هذا جلياً من خلال التقدير الخاص الذي ماتزال الرواية الشفوية تضيفه عليه لدى أولاد بلحويلات وأيت باعمران وتركز. فقد كرس إلى حد بعيد المكانة الاجتماعية والفلاحية التي كان يحظى بها في إعفاء محميه تركز من تأدية الأعمال المجانية التي كانوا مطالبين بها لفائدته. وهو ما يفيض في وجوب اعتبار حجم خدمه وعبده وحجم قطعانه من الأنعام. لقد أوصى

بأن يظل هؤلاء المرابطون معينين من هذا الواجب الذي أقل كاهل أبنائه من بعده. والملاحظ أيضاً تثبيتاً لهذا الواقع أنه اتجه أكثر فأكثر إلى فرض إرادته كأكبر فلاح قادر على توطيد دعائم الأمن حوالي عزيبه حيث فتح الطرق وقلص من مخاوف التجار والمسافرين مستعملاً في ذلك أحياناً أساليب شتى من الضغط والزجر العنيف. على أنه كان يجمع ما بين خصال المحاربين ذوي القدرة على انتزاع وحماية المكتسبات وصفات أهل الزوايا الذين سخروا جزءاً من محاصيلهم لخدمة الزوايا وأهل الدين الذين يمثلون رمز تماسك الغور السكاني الأسبق. كانت تامانارت وتازروالت تمثلان رمز تآصل هذا الغور منذ واكاك بن زلو اللمطي بتاسريرت التي تطلق على جبال أيت باعمران وعبد الله بن ياسين بتاگجگالت أيت تيكني (المعلمة، تاگجگالت أيت تيكني، VI : 2089 - 2090). لقد اعتاد مبارك التريكري جريا على عادة أهله المساهمة في معروف سيدي محمد بن براهيم الشيخ السنوي بتامانارت وموسم سيدي أحمد أ موسى السنوي بتازروالت. ونجده يصاهر علاوة عن دار إبليلج جملة من أعيان وعرون وتاسريرت متجاوزاً بذلك الحدود المحلية الضيقة لنظام القرابة.

فإذا ما نحن أضفنا إلى هذه الممارسات تحالفه المستمر مع الفصائل الباعمرانية من خلال الزيجات المتعددة، نجده يساهم في تمتين التكتلات السياسية بين ذويه والآخرين. لقد عكست الرواية الشفوية هذه الحقيقة من خلال تركيزها على الخدمات التي أسداها مبارك التريكري لقبيلته من جهة ولتكنة من جهة ثانية. ولا غرابة في ذلك إذا وجدنا أن الأساس في هذه الممارسة كان مبنياً على الأحكام التي استمدها من خصوصيات أسلافه الذين مايزالون يتمتعون بسمة قل نظيرها في هذا الباب. فصفتهم التي مكنتهم من السيطرة على الاقتصاد وعلى وسائل الإنتاج لم تحل دونهم والتعاطف مع الفئات الفقيرة. ولتبيان مدى صلاحية هذه المقولة، فإنه يكون لزاماً علينا الوقوف عند شخصية علي بن مبارك التريكري. فالرواية تشبث بصورة تجعل منه أنبل النبلاء وأكثر الفلاحين كرماً وأقوامهم على المستوى الاقتصادي والاجتماعي دفاعاً عن المستضعفين.

وبعد وفاة مبارك التريكري أصبح ابنه علي بدوره نقيب الفلاحين بمنطقة وادي نون السفلى يجند يومياً مزيد من أربعين عبداً وعدداً آخر من الأجراء في عملية الدراسات التي لم تكن تنتهي خلال سنوات الغلة الكثيرة إلا في بداية الشتاء. حافظ لعزيب أهل التريكري على أهميته كأغنى وحدة إنتاجية استهلاكية. كانت مطمورة "أم العيال" تعد الأكبر من بين مطاميرها المتعددة. كانت تتمثل في مطمورتين من الحجم الكبير تلتقيان من أسفل فيما يشبه قاعة كبيرة الحجم. فنذكر من هنا أنها كانت تكفي وحدها لتخزين ما يكفي سنوياً من الحبوب لمئونة أفراد العزيب. أما باقي المطامير فكانت تخزن من الحبوب ما يفيض عن الحاجة وينفع في الإمدادات الأخرى وخلال سنوات الجفاف.

كان لعلي التريكري علاوة عن كل ما ذكرنا من النخيل بوعرون وتيغمرت ما يجعله من أكبر مالكي الساقية. فقد كانت له بساقية تيغمرت وحدها ما يزيد عن ثلاثة ليالات (3 x 24 ساعة) من الماء. ومن هنا فإن مخازنه الخشبية وصناديقه منها ما كان يتسع لحمولة 12 غرارة من الثمار والحبوب. أما قطعانه من الأنعام فقد كانت موزعة على عدد كبير من أفراد القبائل المختلفة. فقد كان استناد الفصائل ذات النجعات المحدودة في حيازة القطعان بمثابة الاقتراض من الملجأ الاعتيادي كامتداد جهوي لسلطة علي ابن التريكري الاقتصادية.

الجديد مع علي بن مبارك التريكري أن عزيبه أصبح في حاجة إلى رعاية وحماية مستمرة. ذلك أن جوار أولاد بلحويالات الذين كانوا يساندونه تارة ويعادونه تارة أخرى قد زاد من خطر المجابهة العلنية. غير أن علي بن التريكري استناداً إلى الدعم الممنوح له من طرف أيت احمد أ علي واصبوريا لم يعر هذه الأخطار ما تستحقه من الاحتياط. فنجد حماية العزيب مقتصرة على العبيد والأجراء بل نجده يعتمد أساساً على نظام التحالفات القبلي في الحد من الأخطار المحدقة به وعزيبه، لقد تزوج بدوره من إذا أسمال باليلج كما صاهر حماد العسري أكبر وجوه الغور السكاني الوعروني الأقدم. أما تاسريرت التي أصبحت تعرف بأيت باعمران فقد تعددت زيجاته من فصائلها. كان من أوائل أيت احمد أ علي السباقيين إلى تمتين وجود قبيلة أزوافيط بوعرون. وإذا لم يكن يرفض من حيث المبدأ التوسط بين قبيلته وغيرها، فإن سياق الأحداث سيجعله السبب غير المباشر في الصراع الذي سيقصص معلقاً انتماء أولاد بلحويالات إلى قبيلة أزوافيط (المعلمة، أولاد بلحويالات، IV : 1353 - 1355). لقد اقترنت أحداث شر وعرون في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) على الأقل من حيث العوامل الهيكلية التي أدت إلى نشوئه، بالمجابهة الخفية التي كانت قائمة آنذاك ما بين أولاد بلحويالات ورغبة علي التريكري في التحكم في الأوضاع الأمنية خاصة وأن الأمر يتعلق بالوجود المكثف لفصائل البلحويليين. ولعل الرواية الشفوية لن تنسى معركة غيوارة التي ستتسبب فيما بعد في الاختلال البين الذي ميز نظام التحالفات. لقد استعمل أولاد بلحويالات دار غيوارة نظراً لموقعها المشرف على عزيب أهل التريكري في توجيه الضربات المتكررة والمحاصرة الطويلة الأمد، إلا أن المسمى الجليلي وكان جاراً وحليفاً سرياً لعلي التريكري أخبره ذات مساء بأن أولاد بلحويالات جد متعيبين ليلتهم تلك وأنهم سيبيتون نياماً. فما كان من أزوافيط إلا أن قاموا بهجومهم الذي انتهى بهدم سبعة عشر داراً وموت عدد كبير من خصومهم.

ومهما تكن حدة الخلافات التي نشأت بين أهل التريكري وأولاد بلحويالات فإنها لم تنف كون الخط العام لهذه العلاقة غلب عليه خلال الأجيال السابقة طابع التوافق



والتساند. فكف من مهام نهض بها أسلاف علي بن التريكري بتكليف من أولاد بلحويلات وكم من مرة توسط هؤلاء الأسلاف بين أولاد بلحويلات وغيرهم من الفصائل الزفاطية والتاسيريتية (أيت باعمران). إن مقتضيات الالتحام التي جعلت أهل التريكري يقفون إلى جانب أيت احماذ أ علي عندما تسبب أيت بليد في أخطر صراع بين أزوافيط وأولاد بلحويلات. وسيذكر التاريخ أن منافسة أهل حايين هي التي تسببت في هدم عزيب علي بن التريكري أثناء غيابه. أما أولاد بلحويلات فقد ظلوا رغم حدة المنافسة حريصين على مشروعية الوجود الفعلي لأهل التريكري وغيرهم من العائلات الزفاطية بجوارهم.

لم ينفذ دفاع عبيد العزيب في صد هجومات أهل حايين في غياب علي التريكري وذويه، فجاأ تخريب العزيب كمؤامرة للإطاحة بدور أهل التريكري. ومما يؤكد الانقسام الشديد فيما بين فصائل أيت اماد أ علي القريبة من أهل التريكري وأهل حايين الذين اشتغلوا كحرس لأبي حسون السملالي بودميعة بالمنطقة، عدول علي بن التريكري عن تقديم أي تنازل لحلفاء سيد إليغ منذ القديم. فلم تذكر الرواية تصليبا مثل تصليه في مواجهة أهل حايين ولا محاسبة مثل محاسبته لهم عن طريق الجماعة. صحيح أن وجودهم بوغرون يعود إلى زمن بودميعة ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن الرفض وعدم الامتثال لأحكام الجماعة التي فرضت تعويض علي بن التريكري. لقد استعرضت الجماعة في معرض تداولها السمات التي هي من صميم البنية الاجتماعية بحيث كان لابد من احترام الجذور الممتدة لأهل التريكري في التاريخ المحلي.

انطلاقاً من هذه الوقائع يصعب النظر إلى أهل التريكري ككيان مستقل بذاته ذي طابع زاوي كما تحاول بعض المقولات الحالية أن تغير من الحقائق. فعلي بن التريكري الذي نجح في التصدي للهجمات تحصن وتكتل وتضامن فواجه مهاجميه. وإذا نلمس عزمه على التدخل لضبط الأمن وإقرار الاعراف المتداولة وقوانين التعامل، نجده يحرص بشدة على توزيع إرث أبيه مبارك التريكري على أخواته وإخوانه الحسين وامحمد واعبيد توزيعاً عادلاً. ولا أدل على ذلك من أن الوثائق والرواية الشفوية ماتزال تنوه بهذه الاستقامة التي كان يشاطره إخوانه جوهرها. إن المحلل لدوره التاريخي يتبين بوضوح أن ممارساته التلقائية منها والمدروسة كانت في حد ذاتها مساهمة في الحد من الأزمات الغذائية والاقتصادية التي كانت تعاني منها المنطقة، أو بتعبير أكثر دقة، تسببت في الحد من بعض المجاعات التي ماتزال حاضرة في الذاكرة. فماتزال الكبار يتذكرون بأن علي بن التريكري كان يكلف البراح يومياً بأن يرسل إليه كل عابر سبيل وكل معوز حتى خلال أحلك الأزمات المتتالية التي عرفت الهجرة نحو الموانئ. وتفيض الرواية الشفوية في وجوب اعتباره رمزاً من رموز التاريخ المحلي الذي يزخر بالتماذج المخالفة.

تفيد الوثائق العائلية أن علي بن مبارك التريكري لم يكن يؤدي ثمن مشترياته من الأرض والساقية وغيرها إلا بالمشقال الفضي. ولا نزاع اليوم في أن حجم مشترياته من الأراضي المسقية بوغرون وتبغمرت وما ارتهنه قد جعل منه أغنى فلاح بقبيلة أزوافيط. وهي مزاربات أعطت للمرافق العامة بوغرون وأحوازها أقصى مردودية ممكنة يومها وعملت على تأمين الانسجام مع أوضاع اقتصادية خاصة كانت تعاني يومها من أزمة هيكلية خانقة. لم يكن من شأن اندماج علي بن التريكري بمختلف الفصائل المحلية أن يزيد من تلك الصراعات القائمة من أجل احتكار ومراقبة الساقية ومنترجها. فنجد مثلاً يرفض شراء نصيب زوجته عيشة بنت احماذ العسري وأمها رقية بنت الأزغم خوفاً من تهمة الاستحواذ على تركة أحد كبار وعرون. وبدل أن يبيع النصيب لأحد أقربائه أو أفراد قبيلته نجده يفضل الحسين الشمير الإسماري الوغروني مختفظاً بذلك لأهالي وعرون القدمى على تماسك سابقتهم وقصبتهم. تمت هذه العملية بتاريخ 14 ذي القعدة 1292 / الأحد 12 ديسمبر 1875 في وقت كان صراع أزوافيط وأيت حسن من أجل اختراق الروابط الطائفية والمجالية لوغرون وأحوازه على أشده. ومما له أبلغ الأثر في هذا الشأن أن حجم العملية يشتمل في ثمن النصيبين الذي لم يكن يقل عن 35 مثقالاً مما يجعلها ذات أهمية بالغة. لقد كان المشقال الفضي يتصدر سلفات الله والإحسان التي مازالت تشهد عليها الوثائق العائلية. ولاشك أن ردود فعل المقترضين من مجمل الفصائل المجاورة في إطار أوضاع اجتماعية متقلبة قد جعلت منه شخصية قوية مهابة ومحترمة. أما الغرباء والمهاجرون ذوو الوضعيات الهامشية الذين كانوا أكثر عرضة للاعتداءات لكونهم أقل خضوعاً للأعراف وقوانين المعاملات، فقد كانوا يلجأون إلى كنفه. بينما كانت مثل هذه الممارسات تعزز مكانته يوماً عن يوم كرجل قوي يعيد الحق إلى نصابه ويمنح الحماية لمن يطلبها، كان تحلل العلاقات القبلية ونظام التحالفات قد بلغ مبلغاً كبيراً. وإذا أضفنا إلى ذلك حدة الكوارث الطبيعية وما رافق الهجرة نحو الموانئ من تفكك في البنيات المحلية، أدركنا أن علي بن مبارك التريكري قد عرف بموازاة اعتماده على النفس تضعف القنوات التجارية التي سببها انحطاط اقتصاد الصحراء.

تلك فقط هي بعض الأمثلة عن تعدد أشكال الحضور الفعلي لأهل التريكري على امتداد منطقة وادي نون والساقية الحمراء، وتلك هي مجرد صورة مختصرة عن الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مورست طيلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) على عائلة استهدفت تعزيز التماسك ومواجهة الأزمة البنوية القائمة. ونتيجة لذلك فلن يكون بإمكان هذه العائلة أن تواجه المد المتزايد للملايسات الأزمة وضغوطها المتعاظمة لما ينجم عنها من تفكيك لوحدة الهياكل المحلية.

توفي علي بن مبارك التريكري في جمادى الأولى

1314 / أكتوبر - نوفمبر 1890 مخلفاً ثلاث زوجات وثمان بنات وتسعة أبناء وما يزيد عن أربعين من الخدم (إنانا وذكورا). وزع القاضي عبد الرحمان بن الخروف التركة على عدد من الأسهم تم حصرها في 928 سهماً. على أن أهم ما يمكن أن نقف عنده بشأن تركة علي بن مبارك التريكي هو موقف أبنائه فيما بينهم. فقد سبقت الإشارة إلى مدى ضخامة حجم الموروث الأخلاقي عبر أجيال هذه العائلة.

وقد تكلف إبراهيم بن علي بن مبارك بشؤون تركة أبيه التي لم تقسم بين الأولاد الذكور معتمداً أساليب أسلافه الأخلاقية. لقد حدث أن توفي أخوه مبارك ابن علي التريكي بعد سنتين فقط من وفاة أبيه كما تشير إلى ذلك الوثائق العائلية. وقد كان بإمكان إبراهيم استغلال فرصة هذه الوفاة ليحتكر نصيب أبيه المتوفى بحجة أنه لم يترك أي خلف له. ولكننا نجد يحاكم القائد علي بن المعطي بشأن طفل خلفه أخوه المتوفى من إحدى أخوات القائد في إطار زواج سري. أنكر القائد علي بن المعطي مدعي أن المتوفى لم يكن له أية علاقة بأخته وأن المولود الصغير هو لشخص آخر. وقد انتهى البحث بالقاضي عبد الرحمان بن الخروف بأن حكم لإبراهيم بن علي فتسلم ابن أخيه وحرص على تسليمه ميراثه.

انحسرت دائرة أهل التريكي واتجهت تدريجياً نحو التلاشي لأن إبراهيم وإخوانه لم يكونوا في مستوى والدهم ولكون تكاليف الأزمات الاقتصادية والسنوات العجاف واختلال الموازين القبلية ونظام التحالفات قد قاد جل أهل وعرون إلى الهجرة. وإذا كان أبناء التريكي قد أطروا لكيان فصيلة أهل التريكي المتميزة، فإنهم فشلوا تدريجياً في الاستجابة لمتطلبات الحفاظ على وجودهم المادي واستمرارية عزيبتهم. فأساليب عيشهم ومبادئهم العليا لم تكن قادرة على مواجهة تحديات الأزمة الحادة. ولم يعد بإمكان موروثهم الخلقى أن يخلصهم من وطأة الطبيعة ولا من الفواصل التي أقامها تجزؤ الملكيات. ندرك لماذا قام إبراهيم بن علي التريكي وفاء لعزمه على تبني المنهج القديم والمفاهيم الموروثة بالنزوع بحكم الظرفية المتأزمة نحو بيع الكثير من ممتلكاته. وقد وصل كهلاً إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1926 مصحوباً بأخر زوجاته السالكة بنت بوجمعة بن احمد أسالم وأبنائه الأربعة منها وبناته الثلاث.

إذا حاولنا بعد هذا الاستعراض المختصر استخلاص تصور معين عن مسيرة أبناء وبنات إبراهيم بن علي كنموذج مصغر لباقي أهل التريكي، وجدنا تداخل المقاييس الجديدة بمدينة الدار البيضاء تتصارع بحدة مع تفاعل قيمهم الموروثة. فلم تلبث أهمهم أن فارقت الحياة مخلفة أبنائها وبناتها تحت رعاية أبيهم الكهل. فكان طبيعياً أن يتجه الأبناء نحو الحياة الجديدة في خطى مدببة ومتعشرة مساعهم في ذلك هو توفير قوتهم اليومي بأفضل الأساليب الأخلاقية الممكنة وأقربها إلى موروثهم الأخلاقي.

فنجد بأنه على الرغم من الفرص المتاحة لأكبر الأبناء أحمد بن إبراهيم، فإن عدم قدرته على التكيف مع متطلبات الحياة الحضرية في أحياء بدأت تجسد النواة الأولى لبروليتاريا المغرب، جعله يفشل في انتشال أفراد أسرته من ضائقة العيش. فبالرغم من حسن نواياه إزاء إخوته نجده يمثل شأنه في ذلك شأن كل واحد منهم نفس النموذج اللامندمج في وسط يفتقر إلى أبسط أدوات التماسك الاجتماعي. لقد دافع هؤلاء الأشخاص على قيمهم وعاداتهم المناقضة للمقاييس والأحكام التي تميز التنافر السائد بمجتمع الهجرة. وإذا كان عليهم أن يتسلحوا لذلك فأذاتهم الأساسية هي الإندماج في وسط المهاجرين من أعضاء قبيلتهم والفصائل المجاورة لهم. إلا أن هذه المحاولة استصعبت معها مضاعفات القطيعة بين المهاجرين وبيئتهم بما فيها من أنساق وسلم للتراتيب والمفاضلات الاجتماعية. فتباين مكونات المحيط الأيكولوجي وما يسود ظروف الهجرة جر على أبناء العائلات الكبيرة بعض الحساسيات التي كان على أبناء إبراهيم بن علي أن يعانوا منها. حقا لقد حرص هؤلاء الأبناء والبنات على مصداقيتهم كأشخاص متميزين خلقياً. وهو ما جر عليهم الانتقادات نظراً لضالة حاجياتهم وقناعتهم وتجردهم النسبي عن المزالق والشهوات. وإذا كان ضعف وسائل عيشهم لم يمكنهم طوال سنوات الاستعمار وما بعده من الانتفاض على الفرص المتاحة وتوفير الضروي من العيش فذلك لأنهم لم يكونوا يعاؤون بالمنافسة الحادة التي كانت تميز عدداً لا يتساهان به من زبناء قرايبتهم ومنظقتهم.

**التريكية، الحبيبة بنت إبراهيم بن علي.** يدفعنا التدبير اليومي على ضوء هذه المعطيات يدفعنا إلى تتبع سيرورة هذه السيدة. فرغم زواجها من أحد بسطاء أيت بليد نجدها تمتاز بشخصية قوية وخصال موروثة همشت شخصية زوجها وجعلته يبدو أصغر من صغير. لم تقم علاقتها به على أساس تحكم شامل في أمور الأسرة وممتلكاتها، بل نجدها تلتزم مواقف ارتقائية واضحة وثابتة. فهي تكشف في كثير من الأحيان عن المدلول الواسع الذي يعود بها إلى مورثها القيمي. فبينما يتهاقت أبناء وبنات قبيلتها على امتلاك الممتلكات كانت تتنافس في تربية وتعليم أبناءها وبناتها. فكل ما في ممارساتها اليومية بمعناه ولفظه يدل دلالة قطعية على مدى تشبثها بما يزيد من تباين مواقفها مع وسطها. وعندما ارتأت فصل الرابطة التي كانت تجمعها بزوجها، فإنها لم تتوان لحظة في طلب الطلاق متحررة من قيود لم تأنس بها قط. إن الصورة التقريبية العامة تظهر أن ربط البحث بشخصية متميزة كهذه مشروع أكبر من أن نتطرق إليه في هذه العجالة. فإذا تسلحنا بالمعرفة الدقيقة والمنهجية اللازمة في إطار إشكالية جد متبلورة اتضحت ملامح حياة زاخرة بالصبر والدروس والمعرفة التاريخية.

توفيت السيدة نجبية بنت ابراهيم بتاريخ 17 ربيع الأول عام 15 / 1413 / 15 سبتمبر 1992 عن سن تناهز السبعين وما أحوجنا اليوم إلى التعمق واستدراك كنهها. لقد ظل تراكم المقاييس والقيم الموروثة هو عالمها الذاتي وأسلوبها الأفضل في تجاوز المد العشوائي لمجتمع القرن الحالي.  
دراسة ميدانية وروايات شفوية.

مصطفى ناعمي

**التركي، علي،** راييس بحري من رياس الأسطول الجهادي المغربي العاملين في نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان من ضمن الرياس الخاضعين لإشراف صهر السلطان القائد محمد الزوين ولد عبد الله الرحماني. وقد سجلت الحوليات عن الرياس علي التركي أنه انطلق من مرسى العرائش في شهر رمضان سنة 1203 / ماي - يونيه 1789 باتجاه مصب أبي رقرق. لكنه تعرض عند مدخل المرسى لمشاكل ملاحية نجم عنها فقدانه لبعض بحارته على متن فلك، وقد أجبرته تلك المشاكل على المكوث بالمرسى حتى يوم عاشر شوال من نفس السنة، لينتقل مجدداً إلى العرائش رفقة سفينة الرياس محمد العسري السلاوي مهمة حمل القراريط منها إلى ميناء الصويرة، وهما في الطريق إلى الجزر الخالدات.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ص. 95-96.

حسن أميلي

**التركي، محمد بن أحمد بن الحاج الهاشمي بن** الحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز الأسفي. ولد في ربيع الأول عام 1275 / أكتوبر - نونبر 1858 ودرس في مسقط رأسه أسفي على الفقيه البشير الحكيم، والقاضي محمد بن عبد الواحد الفيلاي الذي كان أول من تولى القضاء بأسفي من غير أهلها وذلك في ثالث ذي الحجة عام 1292 / 31 دجنبر 1875. كما أخذ التركي بفاس عن الفقيه الكبير الحاج محمد گنون. وكان إلى جانب تحصيله الفقهي أديباً وشاعراً ومؤلفاً باحثاً. له إرشاد النبيه إلى معاني التنبيه، وهو تعليق على تنبيه الشيخ ابن عباد في شرح الحكم العطائية؛ ودلالة المردين؛ وشرح منظومة الفقيه كرسيلو في آداب تعليم الصبيان. ومن أديباته ما رمز فيه لتاريخ ميلاد الولي الصالح الشهير سيدي العربي ابن السايح، ومداعبات شعرية مع أصدقائه.

توفي يوم الأحد 20 قعدة عام 1345 / 22 ماي 1927.

م. العبدى الكانوني، أسفي وما إليه؛ ع. ابن زيدان، إتحاف، 5؛ 436؛ أ. الصبيحي، باكورة الزبدة، مخطوط؛ تقييد للفقيه مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج، مخطوط؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، 1345.

الظاهر وعزيز

**التركي، محمد بن علي** الرياس متقدم الترجمة. كان يعيش بالرباط متضلعا في علوم الرياضيات والهندسة والتوقيت. خلف تقييد جلييلة في الاسطرلاب وغيره، وبرع

في رسم أوضاع هندسية عجيبة، كالشكل الكوري (أو الكروي) وهو شكل عجيب شامل لساير الزوايا والمخطوط وأشكال الهندسة مما لم تشمله أصول أقليدس وتهذيب الطوسي؛ ومنها ريع عجيب وضعه للإمام العارف علي بن أحمد بن الطيب الوزاني، وهو ريع متقن الصنعة، محكم العمل، نقش فيه أبياتا من إنشاء الأديب ابن عمرو، تتضمن تاريخ وضعه، واسم من صنع له وصانعه.

م. بوجدار، الاغتباط، ص. 178-179.

حسن أميلي

**تريمولي،** محطة توجد حسب إشارات النصوص القديمة على الطريق الداخلي الذي يربط بين طنجة في الشمال ومدينة وليلي وتكولوسيدا في الجنوب. بالنسبة للتسمية فقد ورد هذا الاسم في "مرحلية أنطونان" وكذلك عند الجغرافي الراقيني. هذا الاسم له بدلولة النباتي وهم نوع من الشجر (حور وجرأج ترخف أوراقه لأقل نسمة).

ربط شارل تسو في أواخر القرن التاسع عشر هذه المحطة بمدينة البصرة: "محطة تريمولي وضعتها مرحلية أنطونان على بعد تسعة عشر ميلا (18 كلم و139 م) من سابقتها فويسكيانيا (Vopiscianae) وعلى بعد اثني عشر ميلا (17 كلم و772 م) من أيدوم نوفوم...". أما "شتلان" قد أبدى بعض الحذر فيما يخص هذا التحديد. وأعاد "أوزينا" النظر في هذا التحديد. مؤكداً أنه ليس هناك أي استقرار روماني في مدينة البصرة كما سبق أن أكد شتلان وأن هذا التحديد لا يتطابق مع المعطيات التي وردت في مرحلية أنطونان، واقترح أن تقترب محطة تريمولي بسوق أربعاء الغرب، مغيرا تتابع المسافات بين مختلف المحطات الواردة في مرحلية أنطونان وخاصة بين "جلدا" و"فويسكيانيا" ثم بين فويسكيانيا وتريمولي وبعدها بين تريمولي وأيدوم نوفوم.

لقد أغفل هؤلاء الباحثون المعطيات الأثرية التي تم العثور عليها بمنطقة عرباوة والتي نشرها شتلان في كتابه مغرب الرومان "قرمود روماني... عشر عليه بفناء نزل صرصر، وكذلك بقايا بعض الجدران التي مازالت في أماكنها". هذا المكان بالضبط أجريت به حفريات أشرف عليها القبطان لثيلان (Levilain)، وأزاح الستار عن بقايا خمس قاعات، هذه البقايا لا بد من ربطها بحمامات كانت توجد بهذه المنطقة. هذه المعطيات الأثرية ستعزز باكتشافات أخرى عثرت عليها جماعة من الباحثين في سنة 1988. وجدت بجوار هذه البقايا في الجهة الغربية للطريق الرابطة بين سوق الأربعاء والقصر الكبير المارة بمدينة عرباوة. حيث تم العثور على فرشة ضخمة تتكون من الكثير من الآجر والقرميد الروماني، هذه الأخيرة تم ربطها بوجود فرن لطبخ هذه المواد. وتم العثور على نقط أخرى للاستقرار الروماني بجوار أحد الأولياء لا يبعد كثيراً عن مركز عرباوة وهو الولي المعروف سيدي أحمد بن الزرك،

وكذلك بجوار مدينة القصر الكبير وبالضبط على ضفتي نهر اللكوس. هذه النقطة ساعدت على تحديد الطريق الروماني الذي كان يربط بين أبيدوم وتريمولي بل الأكثر من هذا هو أن اكتشافات أخرى تمت بين 1988 وسنة 1993 مكنتنا من استكمال الطريق التي سبقت الإشارة إليها نحو الجنوب أي بين تريمولي وقويسكيانيا (سوق أربعاء الغرب). إن كثرة المواقع التي عثر عليها بهذه المنطقة والتي تنتظم في شكل خطي قد حملت الدليل القاطع على أن هذا التنظيم لا يمكن أن يرتبط إلا بمرور طريق رومانية بهذه المنطقة وإلى وجود مجموعة من النقاط العسكرية التي كانت تشرف على مراقبة هذه الطريق. في الأخير يمكن التأكيد على أن محطة تريمولي لا بد منذ الآن أن تقترب من مدينة عريابو.

Ch. Tissot, *Recherche sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 113 ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc, dans l'itinéraire Antonin*, in *Mélanges A. Grenier*, 1952, p. 607 ; M. Euzennat et J. Marion, *Inscription antique du Maroc*, 2, *Inscriptions Latines*, Paris, 1982, p. 66 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 120 - 121 ; A. Akerraz et R. Rebuffat, *El Qsar et Kehir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas*, in *113ème congrès des sociétés savantes*, Strasbourg, 1988, *IVème colloque sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord*, T. II, p. 367 à 408 ; H. Limanc et R. Rebuffat, *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua*, in *118ème congrès national des sociétés historiques et scientifiques*, *VIème colloque sur l'histoire et archéologie de l'Afrique du Nord*, Pau 1993, à paraître.

حسن ليमान

**تريبو،** بيير Pierre Treillault، صيدلي فرنسي، ولد بمدينة رُوَان Rouen بإقليم نورماندي حوالي عام 1550، واكتسب خبرة في تحضير الأدوية، ذلك ما جعل الطبيب الفرنسي النبيل أنرول دو ليل Arnould de Lisle، بمجرد ما وافق هانري الثالث، ملك فرنسا على تعيينه طبيباً لأحمد المنصور يطالب بالحقاق تريبو به، مساعداً له.

صار تريبو يحضّر في مراكش من الأدوية ما يصفه له أنول دو ليل، فنال إعجاب أحمد المنصور الذي جعله صيدليه الخاص. يرافقه في حله وترحاله، كما يرافق أبناء المنصور في تنقلاتهم عبر المغرب. وفي هذا الإطار سار تريبو في محلة ولي العهد الأمير محمد الشيخ المامون الذي خرج من فاس في شهر يوليوز عام 1004 هـ / 1595 م، لمحاربة الناصر ابن عبد الله الغالب، الثائر على عمه أحمد المنصور، بعدما ثار من قبل على عمه عبد المالك.

وهكذا شهد تريبو أحداث معركة الركن، يوم 3 غشت 1595 ووصفها (انظر مادة الركن)، ثم شهد معركة تغات، يوم 12 ماي 1596 ووصفها كذلك (انظر مادة تغات). ورجع تريبو إلى فرنسا بعدما قضى سنوات في خدمة أحمد المنصور بالمغرب. ولم نقف على تاريخ وفاته.

S.I.H.M.

أحمد بنجلون

**التزوطي،** أسرة مخزنية كبرى تنتسب إلى التوازيط بطن من فرقة أولاد نعيم من قبيلة بني حسن المستقرة

بسهول الغرب. وقد تولى عدد كثير منهم قيادة قبيلتهم أيام الحسن الأول وقبله. منهم :

**التزوطي،** حسن بن غانم، عين سنة 1299 / 1882 لكنه سجن سنة 1302 / 1885.

**التزوطي،** الراضي بن محمد. لعله كان قائداً سنة 1329 / 1911.

**التزوطي،** عبد القادر بن التهامي كان سنة 1321، مديناً لتاجر ألماني مع القائدين المعطي بن غانم والمعطي بن بوغزة. وقد ولي سنة 1329 / 1911 وعزل بعد ذلك بقليل.

**التزوطي،** عبد القادر بن العربي المدعو الخنكوط، كان ضمن عمال التوازيط سنة 1310 وعزل وسجن سنة 1311.

**التزوطي،** العربي بن الحفيان استعمل سنة 1308 وأغفى سنة 1311، ليحل محله العربي بن محمد التزوطي.

**التزوطي،** العربي بن عبد السلام المخلوفي ولي سنة 1295 و1296 على التوازيط.

**التزوطي،** العربي بن محمد ولي قبل سنة 1291 / 1874 ثم عزل وسجن سنة 1297 / 1880 لشططه وعنفه. وقد أفرج عنه بعد ذلك، وسرعان ما أعيد القبض عليه سنة 1303 / 1885، وسرح مرة أخرى سنة 1307 / 1890. ويبدو أنه أعيد إلى القيادة سنة 1311 وبقي يشغلها إلى وفاته سنة 1316 / 1898.

**التزوطي،** علال بن العربي بن محمد. تقلد هذا المنصب بعد وفاة أبيه سنة 1316 / 1818. لكنه سجن سنة 1326.

**التزوطي،** علال بن محمد بن العربي. ولي سنة 1328 / 1910، وعزل قبيل الحماية.

**التزوطي،** علي الذي لم يرد اسم أبيه وجده. كان سنة 1314 / 1896 قائداً. وكان لا يزال سنة 1318 / 1900 عاملاً. ويظهر أنه توفي سنة 1321 / 1904 وأحصى متروكه.

**التزوطي،** عمرو بن طنيعم. ولي سنة 1325 وعزل بعد سنتين.

- مجال تنعدم فيه التساقطات الثلجية ويضم المناطق الساحلية جنوب الجديدة ونحو الداخل عند المناطق ذات الارتفاعات الضعيفة وأيضاً نحو الجنوب.  
- مجال لا يعرف تساقطات ثلجية إلا نادراً جداً ويضم الساحل الشمالي والمناطق الداخلية ما بين الريف والهضبة الوسطى.



- مجال يتساقط فيه الثلج خلال كل فصل شتاء ويضم مناطق ذات ارتفاعات تتعدى ما بين 700 و900 متر في المناطق الشمالية أو أكثر من 1500 متر عند السفوح الشمالية من الأطلس الكبير أو السفوح الغربية للأطلس الصغير.



عدد أيام الثلج بصفة عامة غير مترفع يصل في المتوسط إلى 23 يوماً في إفران أو 40 أو 45 يوماً في أعلى قمم الأطلس المتوسط والكبير.

يخضع التوزيع المجالي للكميات لنفس العوامل الجغرافية التي تمت الإشارة إليها بالنسبة للتساقطات المطرية إلا أن عامل الارتفاع يكاد يطفى على باقي العوامل الأخرى. فعموماً إذا كان عدد أيام الثلج في إفران (1660 م) يصل إلى 23 يوماً لا يتعدى أربعة أيام في الحاجب مثلاً عند ارتفاع 1050 متر. تنقلص هذه المدة نحو الجنوب تحت تأثير عامل العرض حيث لا يسجل إلا ثمانية أيام في أزيلال عند ارتفاع 1430 متر ويوم واحد في دمناث عند ارتفاع 1000 متر.

يمكن القول بصفة عامة بأن مجال التساقطات الثلجية في المغرب هو مجال جد محدود إذ أن المناطق المرتفعة فقط

**التزوطي، محمد بن الحفيان.** كان عاملاً سنة 1281 / 1864، وهو الوحيد الذي وقفت على اسمه قائداً قبل عهد مولاي الحسن.

**التزوطي، محمد بن الطيب الليوي.** كان قبل 1306 قائداً. وسجن في السنة بعدها. وكان لا يزال محبوساً سنة 1311.

**التزوطي، محمد بن عبد القادر الشقيرني** الربكاي، عين سنة 1327 واستمر إلى سنة 1329.

**التزوطي، المعطي بن بوعزة** المعروف بولد زايدة. كان قائداً سنة 1314 مثل المعطي الذي بعده. وقد استدان مثله للتاجر الألماني المذكور فسجن سنة 1321.

**التزوطي، المعطي بن غانم.** كان سنة 1314 / 1897 أحد قواد التوازيط بعد أن كان أخوه الأحسن قائداً فسجن. وقد سجن المعطي نفسه سنة 1321 لأنه استدان لتاجر ألماني بالرباط.

هذا ما استلخصته من استقراء بعض النصوص، وفيما يوجد بدون تمييز : العربي بن محمد، ومحمد بن العربي، وعلال وعلي، علماً بأن عليا وعلالا اسم واحد عند بني حسن، وقد يكون بعض هؤلاء العمال مجرد أشياخ كبار كانت لبعضهم طوابع مثلما كانت لأمناء الخرص.

م. بوشعراء، قبيلة بني حسن، 1860. 1912. مخطوط : الوثائق الملكية : والصيحية : والنسعيدية.

مصطفى بوشعراء.

### التساقطات الثلجية، إذا كانت التساقطات في

المغرب عموماً غير منتظمة فإن عدم الانتظام هذا يتجلى أكثر في التساقطات الثلجية، ذلك أنه إضافة إلى كون كمياتها تختلف من سنة لأخرى في كل المحطات الجبلية فإنها لا تحدث بصفة منتظمة خلال نفس الفترة من السنة.

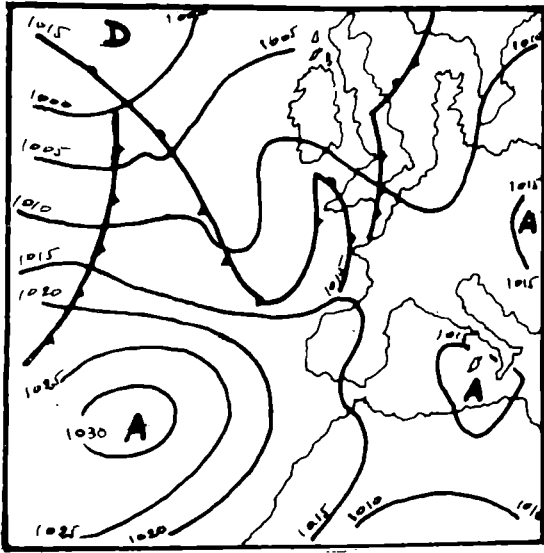
تحدث هذه التساقطات في كل من الريف والأطلس المتوسط والكبير خلال أبرد شهور السنة (دجنبر - يناير - فبراير). إلا أن هذه الفترة يمكن أن تضم شهر نوفمبر في كثير من المحطات التي يزيد ارتفاعها عن 1.500 متر في الأطلس المتوسط، كما يمكن أن تحدث خلال بعض السنوات في مارس وأبريل وماي.

تساهم كل أنماط الطقس المضطرب في المغرب في هذا النوع من التساقطات، إلا أن الكميات المتساقطة تبقى شديدة التغير خاصة من حيث مستوى الارتفاع الذي تحدث فيه. أكبرها يسجل عندما تكون مسارات الاضطرابات شمالية أو شمالية غربية. ومن حيث توزيع عدد أيام الثلج يمكن إيجاد ثلاثة مناطق في المغرب.

الأرض والتي تنتج عن حركة الشمس الظاهرية وتركز هذه الظواهر أكثر فأكثر في نصف الكرة الجنوبي .

تتميز الوضعية الجوية عند عرض المغرب خلال هذه الفترة بالانتقال التدريجي لخلية الضغط الجوي المرتفع الشبه مداري للاستقرار أكثر فأكثر في عرض السواحل الأطلنتية المغربية مما يترتب عنه فسخ المجال أمام اضطرابات الجبهة القطبية لاتخاذ مسارات أكثر فأكثر جنوبية تؤدي بها إلى التردد حسب مسالك متميزة على مختلف الجهات الشمالية المغربية (الرسم رقم 1).

الوضعية الثانية : مع نهاية الربيع وبداية فصل الصيف تعود حركة الشمس الظاهرية للصعود من جديد نحو الشمال ومعها خلية الضغط المرتفع الشبه مداري للاستقرار هذه المرة عند السواحل الفرنسية - الإيبيرية مما يشكل حاجزاً أمام تقدم الاضطرابات نحو الجنوب، فتصبح مساراتها أكثر فأكثر شمالية وتأثيرها بعيداً عن عرض المغرب وحوض البحر المتوسط فيكون ذلك إيذاناً بانطلاق فترة الجفاف المميز لهذا المناخ والذي يستمر إلى نهاية الصيف وبداية الخريف (الرسم رقم 2).



II . الحالة الجوية العامة ليوم 10 يوليوز 1992

تبعاً لذلك نجد أن التطور السنوي للتساقطات داخل هذه العروض ينقسم بصفة عامة إلى فترتين أساسيتين : فترة رطبة تدوم عادة من أكتوبر إلى أبريل أو ماي وفترة جافة تدوم من ماي إلى شتنبر، إلا أن هذا الإطار العام يعرف بدوره تنوعاً كبيراً داخل هذه العروض تحت تأثير العوامل الجغرافية المحلية التي تتدخل باستمرار لإضفاء طابع جهوي أو محلي على هذا التطور السنوي للكميات المستساقطة (الرسم رقم 3). هكذا نجد أن من بين الخصائص الرئيسية لهذا النظام عند عرض المغرب تميز فترته الرطبة بوجود نهايتين قصويتين تفصلهما نهاية دنيا . تحدث النهاية القصوى الأولى خلال الخريف وبداية الشتاء ويستحوذ داخلها شهر دجنبر عادة على أكبر كمية

هي التي تحظى بتساقطات من هذا النوع وذلك ابتداءً من 1500 متر في الأطللس المتوسط و2500 متر في الأطللس الكبير وهي عموماً كميات لا يتعدى سمكها في المتوسط خمسين سنتمترًا.

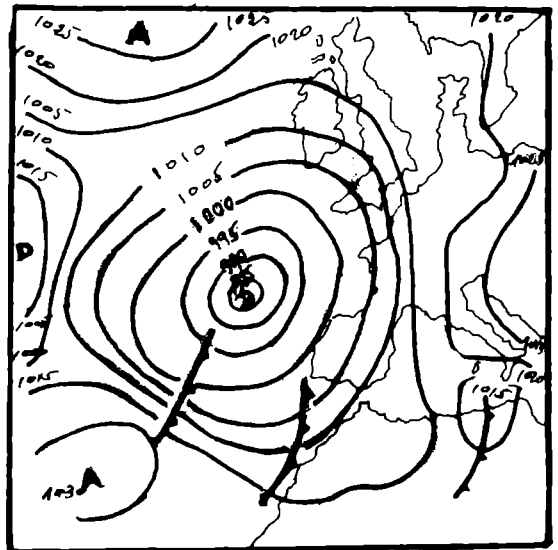
D. Noin, *La neige au Maroc. Notes marocaines*, n° 5, pp. 5 - 11, 1961 ; G. Roux, *La neige au Maroc. Mem. Soc. Sci. Nat., Maroc* n° 11, pp. 75 - 86, 1935.

### التساقطات المطرية، تنتمي التساقطات المطرية في

المغرب إلى نموذج التهافل الجبهي السائد في المناطق المعتدلة والمترتب عن اضطرابات الجبهة القطبية التي تتكون عند هذه العروض إثر تلاقي الكتلت الهوائية القطبية والمدارية.

يتبع نظام التساقطات في المغرب تطور النظام المطري المتوسطي المتميز بجفاف فصل الصيف والذي تحكمه آليات الدورة الهوائية عند هذه العروض، فموقع المغرب من حيث العرض الذي يجعله عند الهوامش الجنوبية لمنطقة سيادة تأثيرات مختلف مظاهر مناخ الوسطى يحدد بشكل خاص الإطار العام لتوزيع التساقطات.

سيادة هذا النظام يرتبط بشكل خاص بانتقال حقل الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تمشياً مع تزحزح حركة الشمس الظاهرية، الشيء الذي يترتب عنه خلق ظروف عامة تحدد بدورها أنماط طقس وحالات جوية متميزة تتباين نسبة ترددها حسب الفصول وتبعاً كذلك للحالة التي تكون عليها هذه الظروف بالنسبة لوضعيتين قصويتين تشكلان الإطار العام المميز لتوزيع التساقطات خلال السنة داخل المناخ المتوسطي.



I . الحالة الجوية العامة ليوم 20 نونبر 1989

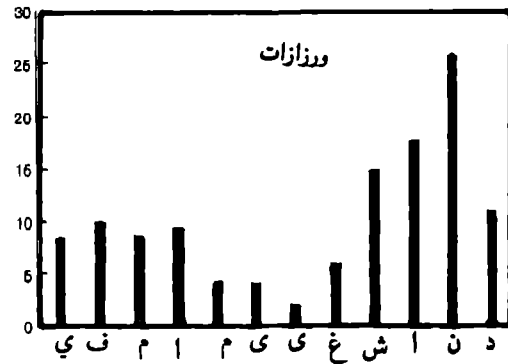
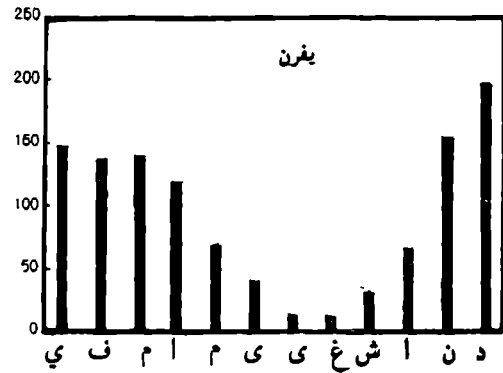
الوضعية الأولى : مع نهاية الصيف وبداية الخريف يبدأ نظام الضغط السائد في مختلف العروض في التغير مواكباً في ذلك التغيرات التي تطرأ هي الأخرى على عوامل توزيع الظواهر الإشعاعية والطاقية على سطح

شهرية وتحديث النهاية العظمى الثانية خلال الربيع مع تركيز أقصى خلال شهر مارس أو أبريل.

أما النهاية الصغرى فتستقر عادة خلال شهر يناير أو فبراير حيث يغلب على هذه الفترة حالات الاستقرار الكبير للهواء وظهور أنماط خاصة من الطقس الصحو الجميل يقل على إثره تردد حالات الأمطار مما يؤدي إلى انقطاع في وتيرة تزايد الكميات خلال هذه الفترة.

إذا كان هذا التوزيع الزمني للتساقطات يعكس نظام تواتر الاضطرابات على المنطقة خلال السنة تبعا للدورة الهوائية العامة، فإن التوزيع المجالي يبرز دور عدة عوامل جغرافية غالباً ما يؤدي فعلها إلى خلق تفاوتات مهمة من منطقة لأخرى.

التساقطات المطرية



النظام المطري لمحتي يفرن وورزازات

يشكل العرض أهم عامل مؤثر في هذا التوزيع، إذ أن الكميات السنوية تقل تدريجياً من الشمال نحو الجنوب نظراً لكون مسارات الاضطرابات تتردد خلال الفترة الرطبة تبعا للظروف العامة التي تسمح بها الدورة الهوائية العامة، وعليه فإن هذه المسارات تنزل تدريجياً نحو الجنوب مع بداية الفترة الرطبة وترتكبه في وقت مبكر لتتركز أساساً في الشمال عند نهاية هذه الفترة لذلك تقل الكميات عموماً باتجاه الجنوب.

طنجة 750.6 ملم  
الرباط 571.9 ملم

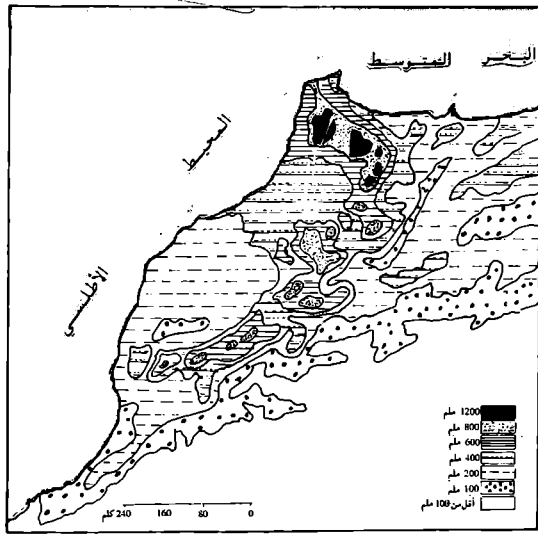
أكادير 250.3 ملم

طان 87.1 ملم

وتلعب التضاريس دوراً أساسياً في هذا التوزيع وذلك من خلال عنصري الارتفاع والتوجيه، فالاضطرابات التي تضطر إلى تخطي سلسلة جبلية يضطر الهواء معها إلى الارتفاع أكثر، الشيء الذي يزيد من فاعلية جبهاتها من خلال الزيادة في حالات عدم الاستقرار داخل الاضطراب مما يزيد من غزارة التساقطات. لذلك تتراوح الكميات في المناطق المرتفعة من الريف والأطلس المتوسط والكبير ما بين 800 و1200 ملم كما تستحوذ السفوح المتعارضة مع محور مسارات هذه الاضطرابات على أهم الكميات بالمقارنة مع السفوح التي هي في ظلها وذلك لأنها في الحالة الأولى تكون مضطرة إلى الارتفاع بينما على الثانية تكون مضطرة للنزول وهذا أيضاً له وقعة على دينامية الاضطراب وفعالية جبهاتها، إذ أن نزول الهواء الاضطرابي يؤدي إلى تسخينه النسبي وإلى تقليص حدة التناقض الحراري الذي يعتبر بمثابة المحرك الأساسي للاضطراب. وهكذا نجد أن السفوح الغربية عموماً تكون أوفر خطاً من الشرقية.

بني ملال 398.6 ملم

ميدلت 213.8 ملم



التساقطات المطرية

تظافر هذه العوامل مجتمعة تجعل خريطة التوزيع (رسم 4) تعرف تفاوتاً مهماً من منطقة لأخرى مما يترتب عنه تمييز أربعة مناطق متجانسة :

1- المناطق الجبلية وهي على التوالي :  
- الريف وهي المنطقة التي تتلقى أكبر الكميات خاصة المناطق الغربية والوسطى منه حيث تتلقى هذه المناطق كميات تتراوح ما بين 900 و1500 ملم سنوياً، بينما تقل هذه الكميات تدريجياً في اتجاه الشرق على السفوح الشرقية المطلّة على البحر المتوسط.

- الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وهي المناطق التي تتلقى ما بين 900-1200 ملم عموماً على السفوح أساساً.

العلماء الأدباء بمكناس وسلا. وتوجد فرق من التستاوتيين في كل من ضاحية قلعة السراغنة وورزازات.

محمد حجي

**التستاوتي، إبراهيم بن أحمد بن عبد القادر،** فقيه علامة، أديب، لا نعرف تاريخ ولادته، أما أسرته التي أنجبت عدداً من الفقهاء والعلماء والأدباء والأولياء، فتنتهي إلى موطنها تستاوت الواقعة جنوب ولماس في طريق واد زم، وتبعد عنه بستعين كلم. كان إبراهيم بن أحمد يكاتب أباه. أتى الذكر. ويراجعه بأشعاره التي توجد بين ثنايا كتاب والده *نزهة الناظر*، ومن جملة ما كتب له بعد إحدى زيارته لضريح مولاي عبد السلام بن مشيش قصيدة مطلعها :

شَرِينًا مُدَامًا يُسْتَلدُّ شَرَابُهُ وَرَقًا لَنَا السَّاقِي، وَطَابَ انْتِسَابُهُ  
كَمَا كَانَتْ لَهُ مَراسِلَاتٍ مَعَ أَهْلِ مَدِينَةِ سَلَا، هَذِهِ الْمَدِينَةُ  
التي تربطها صلات وطيدة بالأسرة التستاوتية.

أصيب إبراهيم التستاوتي بمرض عام 1083 هـ / 72. 1673، فكتب له أبوه أبياتاً تظهر المكانة المتميزة التي يحظى بها عنده، ووضع بإيعاز من عمه العياشي، شرحاً على *الواردات الصوفية* لهذا الأخير. يوجد في مجموع خطي (خ. ع.، 2010 د، ص. 328 وما بعدها).

لم نقف على تاريخ وفاة إبراهيم، إلا أنه كان حيا في 29 ذي الحجة عام 1124 / 27 يناير 1713.

**التستاوتي، أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن**

موسى بن الشيخ محمد بن مبارك الزعري، من أكبر علماء وقته، كان مشاركاً في علم الظاهر والباطن، له ملكة واسعة وقوية في نظم الشعر، وعارضة في الأدب. سكت مترجموه عن سنة ولادته، لكن، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة في مؤلفه *نزهة الناظر* يظهر أنه ولد حوالي عام 1044 / 34. 1635.

لم يحدد التستاوي مكان ولادته بالضبط، لكن، يبدو أن الأمر يتعلق بالرقعة الجغرافية التي تنحصر بين نهري العبيد وأم الربيع.

أشار مترجموه إلى نسبه الحسنية اعتماداً على شرح أحمد بن عبد القادر لبيت من منظومته لرجال المتع، حيث سطر فيه أن جده الشيخ محمداً ابن مبارك حسني النسبة، الأمر الذي أكدته تلميذه أحمد بن عاشر الحافي.

قضى أحمد بن عبد القادر طفولته في الرحيبة، وهي قريبة من تستاوت ثم نزل بأرض زعير التي حل بها جده الشيخ محمد بن مبارك. شرع خلال هذه الفترة في حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، ثم انتقل بعد مدة إلى جبل صرصر قرب القصر الكبير لتحسين وضعيته المادية من جهة، والابتعاد، من جهة ثانية، عن الفتنة التي اندلعت بين أولاد الشيخ ابن مبارك "الذين تطاحنوا بسبب جهلهم وغلبة الشهرة عليهم وحبهم للدنيا والرياسة"، كما أكد ذلك

الأطلس الكبير عموماً أقل رطوبة إلا أن ارتفاعه (جبل تويقال 4165) يؤهله لتلقى كميات نسبية مهمة عند قسمه الأوسط حيث يمكن أن تصل على السفوح الموجهة إلى أكثر من 900 ملم، بينما تنخفض هذه الكميات تدريجياً كلما اتجهنا نحو الشرق حيث تظهر هذه المناطق قاحلة لا تتعدى الكميات فيها 400 ملم على السفوح الموجهة وأقل من 200 ملم عند الأودية الداخلية.

2 - الهضاب الأطلسية : تتراوح الكميات عموماً ما بين 200 و800 ملم يتركز أعلاها عند مناطق شبه الجزية الطنجية وسهل الغرب حيث يدور معدل التساقطات هنا ما بين 600 و800 ملم وتصبح ما بين 400 و600 ملم عند المنطقة الممتدة من الساحل الأطلسي عند عرض الرباط - الدار البيضاء إلى غاية منحدرات الهضبة الوسطى وتقل عن 400 ملم جنوب الدار البيضاء ونحو الداخل في اتجاه منطقة تادلة، بل لا تكاد تتعدى 200 ملم عند منطقة الحوز وبالأخص عند منطقة شيشاوة، في حين تدور هذه الكميات حول 200 و300 ملم عند سهل سوس.

3 - المنطقة الشرقية : هي منطقة جافة لوجودها في ظل سلاسل الأطلس المتوسط لكنها لا تعرف بعض التركيز الأقصى للكميات إلا على السفوح الشمالية الغربية حيث تصل إلى ما بين 600 و900 ملم في حين لا تكاد تتعدى 400 ملم في باقي المناطق : الوادي الأعلى للملوية : أقل من 200 ملم والتجود العليا أقل من 300 ملم.

4 - المنطقة الصحراوية : تنفرد هذه المنطقة بكونها مجالاً قاحلاً إذ لا تكاد تصل الكميات هنا إلى 100 ملم إلا على السفوح الجنوبية للأطلس الصغير في حين تبقى دون ذلك في باقي المناطق جنوباً إلى غاية الحدود المغربية الموريطانية.

A. Bellichi, *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain, espace rural*, Juin 1991, n° 25, pp. 45 - 51 ; A. Bernard, *Les régimes des pluies au Maroc, Mémoire de la Société des Sciences du Maroc, T. 1 n° 1, 1er Juin 1921, pp. 2 - 35 ; H. Isnard, La répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie, pp. 38 - 42 ; G. Roux, La variation annuelle des précipitations au Maroc. Bul. Soc. Sci. Nat. Maroc, T. 27, 1947, pp. 309 - 321.*

علي البلشي

**تساكورا (Tsacora)**، مدينة من مدن موريطانيا

الطنجية، ولكن لم يذكرها سوى الجغرافي المجهول الاسم من راقينا (Ravenne) (القرن 9 م). وقد عدها ضمن مجموعة مدن مجهل مواقع معظمها لأن بعضها اندرس منذ القديم، والآخر لم تمط الحفريات عنه التراب بعد.

R. Rogel, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

البضاوية بلكامل

**تستاوت أو تستاوت**، وقد تمدت التاء الأولى، وإد

ينبع من الأطلس المتوسط ويعد من أهم روافد واد أم الربيع. يقع غربي مدينة خنيفرة ويبعد عن واد زم بنحو تسعين كيلومتراً. اشتهر الموقع بضريح الشيخ محمد مبارك الزعري التستاوي (ت. 1597 / 1006) وهو جد التستاوتيين المباركيين



الروابط بين الجانبين، ومن خلالها يمكن معرفة بعض ملامح المجتمع السلوي خلال الشطر الأخير من القرن الثاني عشر (18 م).

تتلذذ على يد أحمد بن عبد القادر التستاوتي أحمد بن بوعسرية الفاسي وقد أجازته (خ. ع. ك 597، ص. 162 ضمن مجموع)، ومن تلامذته السلويين الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي الذي انكب على جمع مواد نزهة الناظر، وغيرهم.

إن مكانة أحمد التستاوتي البارزة في علم الظاهر والباطن، وما جلبت إليه من أتباع، أثار انتباه السلطة الحاكمة، ومن ثم كانت محتته. لقد ذكر مترجموه أن من بين ادعاءاته الصوفية أنه أعطى الشفاعة في أهل عصره، وقد أبرز الناصري أن صاحب الترجمة لما وقع له الفتح، كانت تغلب عليه الواردات والأحوال، فيسوح "وربما أشار إلى نفسه بأنه صاحب الوقت أو المهدي، أو ما شابه ذلك، فتخوفت عشيرته من أن ينالهم من السلطان مكروه، فأنتهى بعض أقاربه أمره إلى السلطان" (طلعة، 2: 54). وانتهى الأمر بسجن أحمد التستاوتي في حبس فاس الجديد سنتين، من عام 1104 هـ إلى 1106 هـ / 1694.92 م)، ثم أُلزم بالإقامة الإجبارية بمدينة مكناس.

ترك أحمد بن عبد القادر التستاوتي تراثاً فكرياً ضخماً، منه : عقد جوهر المعاني، في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني : ونظم رجال التشوف للتادلي، وشرحه : ونظم رجال المتع، وشرحه : وديوانه الضخم : نزهة الناظر الذي يضم مادة تاريخية دسمة تهم مختلف مراحل حياة التستاوتي.

توفي أحمد التستاوتي ليلة الأربعاء فاتح رجب عام 1127 / 3 يوليوز 1715، ودفن قرب روضة الشيخ عبد الله بن محمد، خارج باب البرادعيين بمكناس.

**التستاوتي، العياشي** بن عبد القادر، فقيه أديب، من أهل الجد والاجتهاد والمداومة على العبادة والأوراد، يصوم ويقوم، هذه الصفات شهد له بها شقيقه أحمد بن عبد القادر، أنف الذكر. لم يتطرق مترجموه إلى سنة ولادته، ولا إلى نشأته، وجل المعلومات عنه استقينها من نزهة الناظر، ومجموعته (خ. ع. ك. 309 وخ. ح. 1928)، وتفيد أنه كان ضريباً لا يكتب بنفسه، بل يملئ أشعاره وأخباره على أنجاله كالمأمون ويعفور، أو على تلامذته كأحمد بن عاشر الحافي السلوي. تعرض العياشي كأكبيه أحمد - إلى المحنة، حيث سكن بحبس فاس (مجموعة، 5)، ولا نعرف تاريخ سجنه، ولا المدة التي قضاها في السجن، ويبدو أنه امتحن في نفس الفترة التي امتحن فيها أخوه. أخذ العياشي العلم على يد شيوخ كبار، وأوردتهم في بداية مجموعته مبتدئاً بشقيقه أحمد بن عبد القادر، والحسن اليوسي، وأحمد بن محمد بن ناصر، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، وعلي العكاري وغيرهم. وللعياشي

صاحب الترجمة في النزهة. إن ما يميز حياة أحمد بن عبد القادر هو كثرة تنقلاته بين البوادي والحواضر، هكذا، نراه يضطر إلى العودة من جديد إلى زعير، وهو مازال يعاني من العسر، ثم بعد مدة شد الرحال إلى الزاوية الدلائية التي كانت تعج بفضائل العلماء، وقد تأثر كثيراً بهم لا سيما الحسن اليوسي، ويظهر ذلك بوضوح في رسائل التستاوتي لهذا الأخير حيث نجدها مشحونة بتحليلات التقدير والتمجيد. لم يتيسر لصاحبنا المقام بالزاوية الدلائية، فغادرها متحسراً بعد أن عايش علماء بارزين في شتى مجالات المعرفة. وتفيدنا النزهة أن التستاوتي استمر بعد ذلك في ترحاله، وإذا انتهى به المقام بمدينة مكناس، فإن ذلك بأمر من السلطة، كما سنرى، وتجدر الإشارة إلى أنه كان يعاني من عاهة العرج، وقد رزق أولاداً كثيراً، وردت أسماء جلهم في النزهة (ص. 206)، وسنتطرق - بالإضافة إلى إبراهيم، أنف الذكر - إلى البارزين منهم.

أخذ أحمد بن عبد القادر العلم على يد شيوخ كبار ذيل نظمه لمتع الأسماع بذكرهم، أمثال : عبد القادر الفاسي، قرأ عليه المعاني بفاس عام 1068 هـ / 1658.57)، واجتمع في نفس السنة بالشيخ ميارة بجامع اللبارين، وقرأ عليه رسالة ابن زبي زيد، وقد أجازته الشيخ محمد بن ناصر الدرعي مختصر خليل، وألفية بن مالك، ورسالة ابن أبي زيد، وعقيدة الشيخ السنوني وغيرها. واجتمع صاحب الترجمة مرة ثانية، عام 1081 هـ / 1671.70، في فاس بالشيخ عبد القادر الفاسي، وأخذ عنه سند المصافحة، والحزب الكبير.

انصب اهتمام مترجمي أحمد التستاوتي على العلاقة التي تربطه بالزاوية الناصرية، ومؤسسها الشيخ محمد ابن ناصر، لاسيما وأنه خصص جزءاً هاماً من الباب الثاني من النزهة للمراسلات التي دارت بينه وبين شيخه في الطريقة المذكورة. ونستشف منها أن الحسن اليوسي هو الذي دلّ التستاوتي على الشيخ ابن ناصر، ويظهر منها كذلك انجذاب صاحبنا إلى هذا الأخير وطريقته : "إلى قدوتي، ورحمتي ونعمتي... وبعد، فأني إليك أنتمي، وأنت المعول، ولو ظهر من الأولياء مثل عدد نجوم السماء لكنت لي بك الكفاية على الجميع" (نزهة، 20). وقد التستاوتي على شيخه وفادتين : كانت الأولى عام 1081 هـ / 1671 م. ووقت الثانية عام 1084 هـ / 1674.73، ومن خلالهما يظهر ما يكنه كل واحد للآخر من صفاء المحبة. ونشير إلى أن التستاوتي استأذن شيخه في نشر الطريقة الناصرية. وبعد وفاة هذا الأخير 1085 هـ / 1675.74، ظل صاحب الترجمة على وفاء وإخلاص للزاوية الناصرية، على الرغم من الوحشة التي وقعت بينه وبين الشيخ أحمد بن ناصر (العيمري، فهرس، 34). ويجدر التذكير أن التستاوتي الذي نشر طريقته في عدة مناطق، خاصة في مدينة سلا، قد خصص جزءاً هاماً من النزهة للمراسلات والمساجلات التي دارت بينه وبين مريديه السلويين، وكلها تؤكد متانة

1698 م. وقد بعث شيخه القسطيني رسالة تعزية إلى والده الذي رثاه بدوره بقصيدة لامية حزينة.

**التستاوتي، محمد بن مبارك بن أحمد بن مسعود** الحسيني، من مشاهير الأولياء، وأكابر الأتقياء، اشتهر بالزكري، نسبة إلى قبيلة زعير (بالتصغير)، وسبب جريان الزعري عليه أنه كان يحرق على جمل وفس، فيزجر الجمل بلفظ "زَع"، والفرس بلفظ "ري"، فلفق من اللفظين زعير (الإصليت، 10). لا تعرف تاريخ ولادته بالضبط، لكن، اعتمداً على بعض الإشارات الواردة عند تلميذه ابن أبي محلي في الإصليت، يظهر أنه وُلد حوالي عام 937 / 30. 1531 بأوطاط من وادي ملوية، ثم خرج به أبواه إلى الغرب وتم الاستقرار في عشابة - قرب فاس - التي توفي بها والده، وانتقل بعد ذلك إلى مكناس ومنها إلى زعير.

تعاطى الشيخ محمد بن مبارك القراءة في أول الأمر بمدينة مكناس، إلا أن ذلك استعصى عليه "قرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال له لن تقرأ ولكنك شيخ، فأولها ابن مبارك بأنه سيكون شيخ القبيلة، فخرج إلى البادية، إلا أن مراده لم يتحقق إلى أن سرت فيه نفحة القرب من الله فقصد مراكش، ولقي بها الشيخ أبا عمرو القسطلي للأخذ عنه صحبة جماعة من قبيلة زعير. وبعد أن قدم الزوار إليه هداياهم، بشرهم هذا الأخير قائلاً: "من أتى بها كلها، ذهب بها كلها" يعني المحبة. هكذا، حقق صاحب الترجمة هدفه المنشود، ورجع غانماً من مدينة مراكش، وبنى بتستاوت مسجداً في المكان الذي عينه له شيخه أبو عمرو، وانقطع فيه للعبادة. ذاع صيت الشيخ محمد بن مبارك بعد أن سمع الناس بكراماته العديدة التي أوردها مؤلف مجهول من المحلي، وابن عسكر في الدرحة (ص. 114) وغيرهما. فقد ذكر الأول أن ألف طالب كانوا يقرأون العلم والقرآن الكريم في بلده، ويأكلون من زاويته، وقدم لائحة بأسماء بعض الطلبة الملازمين لزاوية الشيخ الزعري (المحلي، 1). ورغم أن هذا الأخير كان أمياً، فإنه كان ذا فائدة، حيث كان يجيب أصحابه بأجوبة مقنعة عن أسئلتهم سواء تعلق الأمر بعلم الظاهر أو الباطن، فهو يرى - مثلاً - أن العالم هو من يعمل بعلمه ولا يرى قيمة لعلمه ولا عمله.

من أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن مبارك ابن أبي محلي الذي لازمه ثمان عشرة سنة، فأثرت فيه صحبة هذا الولي الكبير، وتحدث عنه بإسهاب في الإصليت، كما أخذ عنه العارف الكبير أبو عبيد الله الشرقي وغيرهما.

لم تكن كرامات الشيخ ابن مبارك لتبعده عن الأوضاع السياسية التي كان المغرب يمر منها، لاسيما وأنه عايش فترة دقيقة تتمثل في قيام الدولة السعدية بمساندة شيوخ الزوايا، وهي الفترة التي عرفت تكالب الإيبيريين على سواحل المغرب، لذلك نرى الشيخ الزعري يدلي بدلوه في أمر الجهاد قصد تحرير الثغور المحتلة من يد الإسبانيين والبرتغاليين.

عدة مراسلات ومراجعات شعبية مع أخيه عبد القادر، وردت في مجموعته السالفة الذكر، وفي ثنايا نزهة الناظر، نلمس فيها مكانته العلمية والأدبية التي نوه بها شقيقه المذكور.

ونشير إلى أن أحمد بن عاشر الحافي هو الذي جمع مواد مجموعة العياشي شيخه في الطريقة، وبذلك يرجع الفضل لهذا العالم السلوي في جمع أهم تراث فكري للأخوين التستاوتين: أحمد بن عبد القادر - كما رأينا - وصاحب الترجمة، لا سيما وأن النزهة وهذه المجموعة يمثلان تكاملاً فيما بينهما، لأن الأولى لا تعكس سوى جزء من إنتاج مؤلفها (شعر التستاوتي، 47). وقد ذكر الأستاذ المنوني أن الحافي دون بهذه المجموعة ما أملاه عليه صاحبها من الأشعار الفصيحة والزجلية، وتم ذلك تحت إشراف إمام زاوية أبي الجعد محمد المعطي بن محمد الصالح الشرقي العمري (المصادر العربية، 1: 194). وتجدر الإشارة إلى أن صاحب الترجمة ساهم في تعمير المجالس العلمية والدينية للزاوية الشراوية (اليتيمة، 166)، كما كان يتردد كثيراً على مدينة سلا، لأن عرى الصداقة والمحبة ظلت متينة بينه وبين مريديه السلويين بعد وفاة أخيه أحمد ابن عبد القادر التستاوتي، مع العلم أن العياشي هو الذي ورث سر أخيه في الطريقة.

توفي العياشي التستاوتي صبيحة يوم الخميس سابع صفر عام 1134 / 27 نونبر 1721.

**التستاوتي، المامون بن أحمد بن عبد القادر، فقيه، عالم، كان يتردد كثيراً على الحاضرة السلوية. توفي المامون** أواخر ربيع الثاني عام 1124 / يونيو 1712، وقد رثاه الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي السلويان بمرثيات تبرز الخصال العلمية والدينية التي كان يتميز بها المامون (شعر التستاوتي، 886).

**التستاوتي، محمد الحاج بن عبد القادر، كان** فقيهاً فاضلاً خيراً ديناً، أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي. وكان في ابتداء أمره كثير الذكر، ثم انتقل ذكر لسانه إلى قلبه. كما كان يراجع أخاه العياشي بن عبد القادر بأشعاره الزجلية التي توجد في مجموعة هذا الأخير (ك. 309، ص. 25). توفي في شهر المحرم عام 1132 هـ / نونبر - دجنبر 1719 م.

**التستاوتي، محمد الشريف بن أحمد بن عبد** القادر، فقيه أديب، والدته هي رقية بنت عبد السلام التستاوتي. أخذ العلم على الشيخ القسطيني في فاس، وكان يراجع أباه بأشعار توجد في نزهة الناظر، فيراجعه والده مظهراً إعجابه ببراعة نظمه.

لم نقف على تاريخ وفاته، وكان حياً عام 1109 هـ / 97.

الطريق، أدب التستاوتي من خلال نزهة الناظر، رسالة د. د. ع. ،  
كلية الآداب بالرباط، 1986. 85. مجهول، المحلى في مناقب الشيخ  
محمد بن مبارك، مخطوط خ. ح. رقم 726، وجه 7.1.

محمد السعديين

**تَسْرِيرْتُ**، هضبة تقع بالأطلس الصغير الأوسط على  
بعد حوالي ثلاثين كلم إلى الجنوب الشرقي من جبال سروا،  
تبلغ مساحتها 380 كلم<sup>2</sup> ويحدها من الشمال والغرب  
والجنوب مرتفعات يصل علوها إلى 2156 م في حين تشرف  
من جهة الشرق على وهدة تازناخت، يصل معدل ارتفاع  
هضبة تسريرت إلى 1800 م مع بعض التباينات بين جنوبها  
الشرقي وشمالها الغربي إلى حدود 1740 م. ويمتاز سطح  
الهضبة بتقطعها النسبي نتيجة لتعمق الأودية (واد مدرار  
وواد تزوليت) إضافة إلى انتشار التلال المعزولة.

تلقى الهضبة تساقطات مطرية تصل إلى 200 ملم يتم  
تصريفها بواسطة شبكة هيدروغرافية تنتظم أساسا حول  
أسيف تزاخت الذي يتجه نحو الشمال الغربي وأسيف مدرار  
الذي يجري نحو الشرق بعد رسمه لمجموعة من المنعرجات.  
يستقر بالهضبة حوالي 400 شخص مستقرين أساسا  
بقرية سفكومت تضاف إليهم أعداد مهمة من الرحل  
وأنصاف الرحل يفدون من قرى القبائل المجاورة لاستغلال  
مراعي الهضبة التي تتوزع ملكيتها بين قبيلتي سكتانة  
(20.380 هكتار) وزناغة (17.120 هكتار).

وفي إطار سياسة إعداد المراعي أقدمت الدولة سنة  
1980 بواسطة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات  
على إنشاء محطة تجريبية رعوية لهضبة تسريرت على  
مساحة تبلغ 1000 هكتار. وقد عرفت انطلاقة المشروع تأخرأ  
نسبياً بفعل معارضة السكان في البداية. وقد تم تجريب  
مجموعة من النباتات في أفق تعميمها عند نجاح التجربة.  
وقد همت المحاولة الأولى عشرة أنواع ولم تسفر عن  
نتائج إيجابية إلا بالنسبة لـ *Sanguisorba minor*  
Agropyron.

وفي سنة 1981 أجريت تجربة ثانية همت هذه المرة ثلاثة  
أنواع نباتية هي : كلونغاتوم *Clongatum*، أنتيرمديوم  
*Intermedium*، أگروبيرون *Agropyron*. وعلى الرغم من  
هزلة التساقطات المسجلة إبان الفترة التجريبية فقد تم  
تحقيق نتائج مرضية، إضافة إلى ذلك مكنت عملية منع  
استغلال مراعي المحطة لمدة سنة من الرفع من مردودية  
الهكتار الواحد من 100 إلى 300 وحدة علفية.

A.T. Zainabi, *L'homme et la montagne en milieu sub-aride :  
Le pays de Taznakht. Anti-Atlas, Thèse 3ème cycle, Géographie,  
Poitiers, 370 pages, 1989.*

أحمد توفيق الزيني

**تسريرت** أو تاسريرت، تسمية تطلق عادة على المناطق  
الجبلية أو الفصائل المقيمة بها. يكفي للتأكد من ذلك  
الوقوف على منطقتي آيت باعمران وأمانوز بالأطلس  
الصغير. فبالسفن الجنوبي للأطلس الصغير تطلق التسمية

توفي محمد بن مبارك بالوفاة في ثاني شوال عام  
1006 / 8 مايو 1597، ودفن بتستاوت، ويبعد ضريحه عن  
ضريح الشيخ أبي يعزى بـ 25 كلم.

ومن أشهر زوايا المباركين بالمغرب - بعد زاوية تستاوت -  
زاوية سلا التي توجد بحي باب احساين، داخل السور فيما  
بين الباب الجديد وباب معلقة، غير بعيدة عن دار المجاهد  
العياشي، وهناك زاوية مكناس والرباط. ويوجد بقبيلة  
زعير فخذ يسمى بأيت مبارك (زعير، 2 : 98).

**التستاوتي، موسى** بن الشيخ محمد بن مبارك،  
علامة مشارك، كان مدرساً بفاس، ومفتياً مشهوراً بها  
ومراكش. ولد عام 1004 هـ / 1693.92، وقعت مجادلة بين  
موسى وأبيه الشيخ محمد بن مبارك أمام جماعة من علماء

فاس. وقد ألح الولد والجماعة على هذا الأخير أن يجيب  
عن أسئلتهم انطلاقاً من علم الظاهر، لأن الشيخ - كما رأينا  
في ترجمته - أمي من أهل الباطن. وقد استفسر موسى  
والده عن الخبر الذي سمعه عنه، أي كراماته، أسحر هي أم  
بدعة، أم ذلك من متابعة السنة المحمدية ؟. وقد أكد  
الحاضرون أن الرجل لا يدعو إلى بدعة، أما لشيخ فقد أتى  
بأجوبة أقتنع بها صاحب الترجمة ومن معه، وقد تحدث  
صاحب المحلى عن ذلك بإسهاب (وجه 3 وما بعده).

لم نقف على تاريخ وفاة موسى بن محمد بن مبارك،  
وذكر مؤلف كتاب زعير (2 : 101) أنه توفي بعشابة، قرب  
فاس.

**التستاوتي، يعفور** بن العياشي بن عبد القادر،  
فقيه، ولد عام 1096 / 1685.84. كان والده العياشي الضير  
يملي عليه أشعاره وغيرها، كما كانت له مساجلات شعرية  
مع أبيه وعمه أحمد بن عبد القادر.

توفي يعفور عام 1118 هـ / 1706.1707 م، وقد رثاه عمه  
المذكور برائية، كما أورد أحمد بن عاشر الحافي في *الفهرس*  
(ص. 275) نص التعزية التي بعثها أبو بكر الفرجي  
السلوي إلى أبيه العياشي، وتوجد كذلك ضمن مجموعة  
هذا الأخير (ص. 53)، وتقع في اثنين وأربعين بيتاً.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ط. II، 113. 114 : أ. ابن أبي  
محلي، *الإصليت*، مخطوط خ. ح. رقم 100، 10. 17 : أحمد بن ع.  
التستاوتي، *نزهة الناظر*، شعر التستاوتي، جمع وتحقيق وتقديم  
عبد اللطيف شهبون، رسالة د. د. ع. كلية الآداب - الرباط، 90.  
1991 : العياشي بن عبد القادر التستاوتي، مجموعة (خ. ع.، ك  
309، وخ. ح. 1928) : إبراهيم التستاوتي، شرح *واردات العياشي*  
*التستاوتي*، (خ. ع.، د. 2010، ص. 328 وما بعدها) : العميري،  
*فهرس*، خ. ع.، ك. 560، ص. 34. 35 : أ. ابن عاشر الحافي،  
*فهرس*، دراسة وتحقيق محمد السعديين، رسالة د. د. ع. كلية  
الآداب بالرباط 1990. 90 : م. العبدوني، *بتيمة العقود*، خ. ع.، ك  
305، 166 : م. القادري، نشر، 1 : 66 : أ. الناصري، *طلعة*  
*المشترى*، 2 : 54 : م. ابن سودة، قبيلة زعير، 2 : 89. 120 : أ.

على القبيلة التي يحدها داسد شمالاً بين أدرار الكست وأزرار - تيمزغيدة وغرباً أيت عبد الله وأيت أوسيم وأملن أمانوز وشرقاً أسيف أنزرن وأسيف تيزرمين وقبيلة أيت يوسى بإيغونان (المسول، IX: 172). أما إذا انتقلنا إلى ما تسميه المصادر باعمرانة أو أيت باعمران فنجد أن جل الوثائق المحلية لا تستجيب غالباً لمتطلبات هذه الملاحظة. فالقبائل التكنية المجاورة لهذه السلسلة الجبلية شأنها شأن الفصائل المحلية تقتصر عادة على تسمية تسيريرت (المسول، 3: 250). هذه الحقيقة التي تكشف إلى أي حد عملت المصادر المكتوبة خاصة منذ القرن الثالث عشر (19م) على ترجيح كفة التسمية التي لم تكن مستعملة محلياً، تستدعي مسألة مشروعية التصور المحلي للمجال. تتميز البنية الاجتماعية هنا على غرار أغلب الجهات بتداخل مختلف مستويات التحالف القبلي بين الفصائل المحلية. وقد عرفت تسمية تسيريرت أهمية تاريخية فيما يتعلق بمشروعية تحالف الفصائل فيما بينها. لم تكن التسمية تستند إلى جهاز سلطوي مختص في المحافظة عليها لأنها لم تكن تفيد ترابط خطوط الأنساب أو المداشر أو حتى الدخلاء. ما يميز أنماط الملكية بتسيريرت هو حجم الملكيات العائلية المستقلة إلى جانب الأحباس والملكية الجماعية. وتشير الرواية المحلية إلى توسع الملكية الخاصة على حساب الأرض الجماعية. وفق صيغ تؤكد تباين الأنساب أقدمت العائلات النازحة على احتكار الأراضي التي نزع عنها ساكنوها. هذه الاختلالات في الكيان القبلي المتناسك زادت من القيمة الاجتماعية للأرض حادة بذلك من التعريفات الإثنية القبلية للمجال. نصل من هنا إلى سبب النزوع المتزايد نحو مفهوم تسيريرت التي تحد من متانة الصلات المعقودة بين الوحدات والفصائل المحلية. نتفهم إذن لماذا تركز وثائق تملك الأرض على صيغة تسيريرت بدل باعمرانة أو أيت باعمران.

دراسات ميدانية وروايات شفوية

\* \* وهناك منجم تسيريرت من النحاس يقع بالجنوب الشرقي من تافراوت، على بعد عشرين كلم مستقيمة إلى الجنوب الغربي من منجم تازلاغت (انظر الخريطة الطبوغرافية تافراوت 1/100.000) وتوجد الآثار المنجمية القديمة في قمة جبل أمكدول (1817 م). وترتبط الترسبات المعدنية في هذا الموقع بالانكسارات الجيولوجية، وكان المنجميون القدامى يستغلون على الخصوص معدن النحاس المعروف حالياً تحت اسم الكالكوزين (Cu<sub>2</sub>S).

ويظهر من معاينة الآثار المنجمية القديمة أن القدامى استغلوا الترسبات المعدنية النحاسية الموجودة داخل الانكسارات الجيولوجية التي كانت تشكل لديهم دليلاً في عملية التنقيب، وتوجد بالموقع أطنان من الردم المعدني المستخرج بواسطة أربعين بئراً ودهاليز وأروقة وخنادق، وتتركز هذه الآثار في المنطقة الشمالية وتغطي مساحة 100.000 متر مربع.

وتدل الآثار الباقية على أن القدامى استغلوا الرجم المتأكسد للترسبات المعدنية في بداية استغلال موقع تسيريرت. ويشكل الردم المعدني أهمية كبيرة بحيث يغطي كل المناطق التي تحتوي على ترسبات معدنية، وقد وصل القدامى في تسيريرت إلى عمق ستين متراً تحت سطح الأرض. وكان الركاز المعدني يحمل إلى قرية تسيريرت، ويعتقد شازان (Juin 1951) و P. Sylvestre (1976) أن الجسم المعدني لموقع تسيريرت والذي يعادل 1.800.000 م<sup>3</sup> قد تم استغلال أكثره من لدن المنجميين القدامى، وقام P. Sylvestre بحساب الردم المعدني وحصره في 50.000 طن، ورفق البوعبدلوي يحيى هذا الرقم إلى 80.000 طن. وإذا كان الردم المعدني السطحي يساوي نصف ما حفره القدامى فإن الأحجار المعدنية المستخرجة تتجاوز مقدارها 100.000 طن.

إن وجود ركام من الأشكورية (الخبث المعدني) بقرية تسيريرت، يدل على ممارسة التعدين بهذا الموقع، إذا افترضنا أن القدامى استغلوا فقط 1٪ من الركاز المعدني فإن ذلك يعني أنهم استخرجوا ما يعادل 1.000 طن من النحاس المصنع، مع العلم أن المنجميين القدامى اهتموا بالأساس بالترسبات ذات التركيز المعدني العالي حيث إن التحليلات المختبرية لبعض العينات المأخوذة من الردم المعدني أعطت نسبة تركيز النحاس تصل إلى 3.05٪.

لعب منجم تسيريرت دوراً كبيراً في تاريخ المناجم والتعدين بالأطلس الصغير إلى جانب منجمي تازلاغت وأكوجكال ونعتمد أن النحاس المصنع كان يسوق في تارودانت والصويرة وأكادير.

الخريطة الطبوغرافية تافراوت 1/100.000

W. Chazan, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1951 ; P. Sylvestre, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1976 ; Y. Bouabdallaoui, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1981.

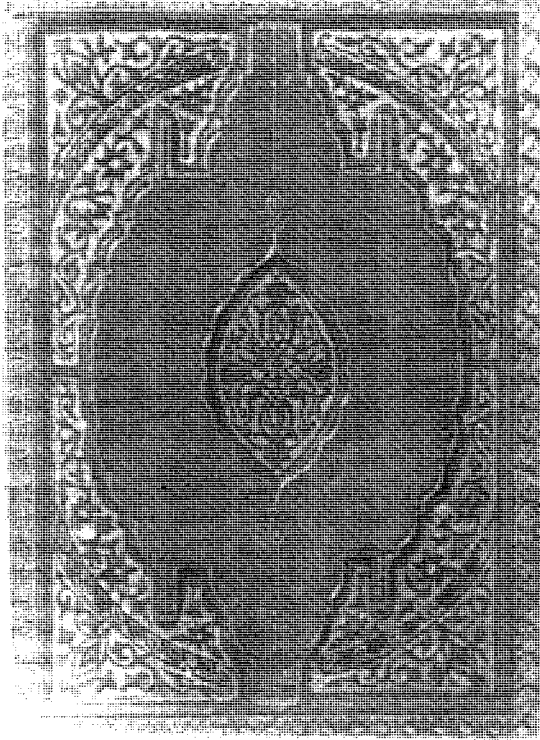
الموساي العجلوي

التفسير، معناه التجليد. وسُفر الكتاب : جلده أو

ألبسه الجلد ، المجلد ج. مجلّدات هو الكتاب الملبس جلداً. والمجلّد والمسُفر هو الذي يُجلّد الكتب. وفي المغرب تستعمل كلمة تفسير بينما تستعمل في المشرق كلمة تجليد. ويدخل هذا في عداد الفنون العربية الجميلة المعروفة "بالأرابيسك".

لقد أحس الإنسان منذ القديم بضرورة المحافظة على ما هو مكتوب : المخطوط في البداية ثم المطبوع بعد اكتشاف الطباعة، وهذا هو موضوع التفسير أو التجليد، وهو فن، كذلك، في حالة زخرفة غلاف الكتاب حيث لا يفترق الفن عن التقنية. وجمال تفسير ما لا يرتبط بالأسلوب الفني المتعلق بالزخرفة بل بنوع المواد المستعملة واجتهاد الصناع. لم يوجد التفسير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق عنه. ففي الوقت الذي يحدد بعض مدلول الوراثة في جعلها قاصرة على الورق، ويخصص لكل من النسخة والتفسير فصلاً على حدة، فإن ابن خلدون يتوسع في تعريفها

مصنف أبي الحسن المريني". وقد اشتهر في الفترة المرينية  
الوطاسية ثلاثة مسافرين :  
- أبو العباس بن عاشر ؛  
- أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري  
المكناسي ؛  
- سيدي "مالك" الذي عاش في العصر الوطاسي وسمي  
بإمام المسافرين.



نشطت الزخرفة في هذا العصر، وقد كتب ابن خلدون  
في كتاب العبر عند الحديث عن ربعة قرآنية كتبها السلطان  
أبو الحسن : "وجمع الوراقين لمعانات تذهيبها وتنميقها".  
في عصر السعديين "كان للمسافرين ديوان لاشتغالهم  
عند باب القصر الملكي بمراكش". ومن الذين تولوا التفسير  
في عصر المنصور : محمد العجاف الفاسي. ومن الكتب  
التي ألفت في فن التفسير خلال هذه الفترة : أرجوزة لأبي  
العباس أحمد بن الحسن بن يوسف الصالحي الزجلي  
الشفشاووني الشهير بابن عرضون المتوفى عام 992 هـ ؛  
صناعة تفسير الكتب وحل الذهب لأبي العباس أحمد بن  
محمد السفياني، ألفه في ذي الحجة عام 1029 هـ / 1616 م.  
وكان الحافظ بالنسبة للمؤلف "أنه لم يجد بين أهل زمانه من  
فيه الأهلية لتعلم هذه الصناعة، لما طبعوا عليه من عدم  
الإنصاف، فدون قواعدها في هذا الكتاب لينتفع بها من  
يأتي بعده". وقد صنف السفياني مؤلفه في ثلاثة أبواب  
رئيسية وملحقين :

- الباب الأول : في كيفية عمل الدفء، وهي ألواح  
الورق التي يكسوها الجلد ؛  
- الباب الثاني : في طريقة حزم كراريس الكتاب،

ويجعلها شاملة للاستنساخ والتصحيح والتفسير وسائر  
الشؤون الكتابية. وقد أخذ محمد المنوني في كتابه تاريخ  
الوراقة المغربية بهذا التعريف حيث يرى أن "الخط ربما يرشد  
إلى تحديد اسم المزخرف والمسفر لمخطوط بعينه، وذلك في  
حالة ما إذا علمنا من مصدر ما، أن المعني بالأمر كان بعد  
كتابته لمنتسخه يعالج بنفسه زخرفته وتفسيره".

لم يوجد التفسير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق  
عنه. ولأن الكتاب أداة للتواصل عبر العالم وعبر القرون  
لكل ما هو مفكر فيه، أم محفوظ وتم إنجازه ؛ وحيث إنه  
الأداة الأساسية لكل تقدم معنوي أو مادي، فإن كل هذا  
يحدد أهمية التفسير ومكانته وهي تتلخص في : "تقديم،  
واحتفاظ، وزخرفة الكتاب". لذلك فالتفسير ظهر مع  
الكتاب ومعه تطور وتغير. ويمكن أن نميز، فيما يتعلق  
بالمراحل التي مر بها، بين ثلاثة أدوار :

- ما يمكن أن نسميه مرحلة البداية أو "الأصول" (قبل  
ظهور الطباعة). ويهم التفسير هنا الرق والورق ؛  
- من الطباعة إلى المكتبة : مرحلة التفسير اليدوي ؛  
- العصور الحديثة : تطور التفسير الصناعي بموازة مع  
التفسير اليدوي. وقد كان لظهور الطباعة في القرن التاسع  
(15 م)، ثم للثورة الصناعية في القرن الثالث عشر (19 م)  
تأثير كبير على صناعة التفسير.

عرف المغرب صناعة الورق بفاس على عهد المرابطين،  
بينما شاعت قبل ذلك الكتابة على الرق. كما شكلت فترة  
حكم الموحدين "العصر الذهبي للوراقة المغربية، فظهر بعض  
المزخرفين للكتب والمجيدون للتفسير". وقد ورد في رسالة  
ابن طفيل وصف لاحتفال عبد المومن بكسوة المصحف  
العثماني بعدما نقله من قرطبة إلى مراكش جاء فيه : "...  
فحشروا له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية، وسائر  
بلادهم القريبة والقريبة، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة  
ومهرة كل طائفة، من المهندسين والصواعين والنظاميين  
والحلاتيين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين  
والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين". ومن أشهر المسرفين  
في هذا العصر تذكر المصادر : أبا عمرو بكر بن إبراهيم  
المتوفى عام ثمانية أو تسعة وعشرين وستمائة. وقد وضع  
رسالة في التجليد بعنوان : التيسير في صنعة التفسير،  
تهتم إلى جانب سفر الكتب، بشرح طريقة تفسير المصاحف  
الشريفة، وتبين العمل في كل من نوعيها : المصاحف  
السفريفة، التي تجلد دون استعمال اللوح، ثم المصاحف  
الملوحة.

يرجع عهد أقدم تفسير مغربي، متوفر حتى الآن، إلى  
القرن السابع (13 م) ؛ حيث عثر بروسبير ريكار (Prosper  
Ricard) بمدرسة ابن يوسف بمراكش، على كتب مسفرة، تبين  
بعد ذلك أن الأمر يتعلق بمصحف في عشرة أجزاء وهو بخط  
الخليفة الموحد المرتضي.

كما أن نشاط التفسير في العصر المريني تجلّى "فيما  
تبقى لنا من وصف تفسير مصحف يوسف المريني ثم

وتختيتها وكسوته بالجلد، وترصيع وسطه بالترنجة، وكيفية عمل البرشمان وتركيب السفر عليه :

- الباب الثالث : في صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به على الورق والجلد. كما ألحق المؤلف بابين بكتابه وهما :

- باب صفة صبغ الجلد بنفسج ؛

- باب صفة عمل الترنجة في الجلد للتفسير.

وقد حقق "پروسپير ريكار" هذا الكتاب ووضع له مقدمة ثم نشره سنة 1925.

كما اشتهر، في صناعة التفسير، في هذه الفترة : محمد بن محمد بن سليمان الروداني الذي عاش إلى عام 1682/ 1094.

مع بداية العهد العلوي، بدأ بعض العلماء، إلى جانب المسرفين المحترفين، يحتسبون العمل لترميم بعض المخطوطات العتيقة، ونجد كنموذج أحد أعلام فاس ابن إبراهيم محمد بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المشنائي (ت. 1184 هـ / 1770 م).

وفي بداية القرن الثالث عشر (19 م)، ازدهرت الخطاطة، وتبع ذلك تطور بعض المهن التابعة لها، ومن ذلك تجليد الكتب وزخرفتها. وقد عمل بالزخرفة والتزويق والتفسير كل من : (1) إدريس السجلماسي ؛ (2) محمد ابن عبد العزيز بن محمد بن المهدي الحلو المريني الوطاسي ؛ (3) محمد بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرادسي ؛ (4) إدريس بن التهامي أجانا الكناسي، الذي كان يحترف تفسير الكتب، وإصلاح المبتور منها ؛ (5) ابن الحاج محمد بن إدريس العمراوي ؛ (6) محمد بن الحسن السوسي باكتل ؛ (7) محمد بن عبد القادر بن علي التادلي الرباطي ؛ (8) عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الحلو المريني الوطاسي ؛ (9) محمد بن التهامي عمور اللهبي الفاسي.

وتجدر الإشارة إلى أن الأويثة والطواعين التي انتشرت، من حين لآخر، داخل المغرب، كان لها تأثير سلبي على مختلف الحرف. وهكذا فقد لاحظ الفنصل الإنجليزي ماطرا Matra في مستهل القرن الماضي "أن سبعين شخصا من الوراقين المزخرفين لقوا حتفهم، في فاس، من جراء الطاعون، إلى حد أن الرسالة التي وجهها مولاي سليمان إلى ملك إنجلترا زخرفت من طرف مبتدئ، لأنه الوحيد الذي ظل بمنجاة".

وقد عمل المولى عبد الرحمن بن هشام (1822. 1859 م) على إصدار ظهير يأمر بموجبه بتجليد كتب خزانة القرويين.

بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وصلت الطباعة إلى المغرب، كما أولي الاهتمام لعملية النسخ. ففي عهد المولى الحسن الأول كان للنساخين مشرف لتنسيق أعمالهم. وتكلف الطيب بن عمر الشرقي بخزانة السلطان ومباشرة النسخ والتفسير على يده. كما عين المولى الحسن الأول بظهير ناسخاً ومسرفاً بخزانة القرويين. وفيما يتعلق

بالنسخ، أغلب الكتب التي نسخت تهم الصناعة الكيماوية، التي "استنسخ منها مجموعة ضخمة ديجها الوراقون المغاربة بخطوط جيدة وزخرفة أنيقة. وتفسير بديع حيث تزخر بالكثير منها الخزانة الحسنية بالرباط". كما "اضطلع بنسخ كتب الكيمياء والطب من القاهرة وراق مصري : سويقي أحمد الجبلن العدوي حسب توقيعاته في منتسقاته"، وهي بخط نسخي وتفسير مصري وتوجد، أيضا بالمكتبة الحسنية.

يحصي محمد المنوني سبعة وراقين مزخرفين ومسرفين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الربع عشر (19. 20 م)، وهم : (1) الطاهر بن الحاج عبد السلام ابن موسى الفاسي ؛ (2) أحمد بن الطاهر السملالي الأزموري ؛ (3) مفضل بن محمد بن الهاشمي أفيلال الحسني العلمي التطواني ؛ (4) سليمان بن أبي بكر بن محمد ابن عبد الله جنون الفاسي ؛ (5) عبد الله بن سليمان جنون ؛ (6) التهامي بن علي البطاوري الرباطي، وهو عالم له معرفة بتفسير الكتب ؛ (7) محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الحلو المريني الوطاسي. يضاف إلى هذه الأسماء إشارة عند الفضيلي في الدرر البهية (2 : 345)، يذكر فيها أنه أدرك أفراداً في أسرة "الدلائين" يحترفون تفسير الكتب.

عرف المغرب، خلال القرن الرابع عشر (20 م)، ظاهرة غزو التفسير الأجنبي، فتكون على يد المسرفين الأجانب (الفرنسيين) مسرفون مغاربة، منهم، في الرباط محمد الدويب. ومن المسرفين التقليديين، ذكر محمد المنوني : محمد بن العربي الحلو الفاسي ؛ عبد الوهاب بن عبد الله التادلي الرباطي ؛ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الفاسي.

وقد عرف ميدان النشر بالمغرب، بعد نهاية فترة الحماية، تطوراً ملحوظاً فتعددت دور النشر وأصبحت تقتصر في تفسير كتبها على استعمال الكارطون أو الورق. لكن التفسير اليدوي بالجلد لم ينقطع رغم وفرة وسهولة التفسير الاصطناعي الذي دخل إلى المغرب حديثاً.

الإشبيلي (بكر بن إبراهيم)، كتاب التيسير في صناعة التفسير، نشر وتقديم عبد الله جنون، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمديرد، العدد السابع والثامن مزدوج، 1959. 1960، ص. 1. 42 ؛ ابن موسى، تيسير الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها. الناشر العربي، أكتوبر 1986، العدد السابع، ص. 55. 65 ؛ السفيناتي، أحمد بن محمد، صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، مصحوباً بتفسير الكلمات المصطلح عليها في الصناعة المذكورة من وضع ريكار، فاس، 1919، 28 ص. نص بالعربية، 22 ص. نص بالفرنسية، ط. 2، باريس، 1925 ؛ م. المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1991، 258 ص. (بحوث ودراسات، 2).

T. Arnold, *The Islamic book : A contribution to its arts and history from the VII - XVIII century* ; Leipzig, 1929 ; F. Cuvelier, *Histoire du livre : Voie royale de l'esprit humain*. Monaco, 1982 ;

(التشوف، 208). ويظهر أن هذا الاهتمام المتزايد بالشرق، وخاصة أداء شعيرة الحج، لم يكن بتقليد خاص عند متصوفة هذا المركز وحدهم، خلال القرن السادس الهجري. وإنما يبدو وكأنه حالة عامة عند متصوفة الجنوب المغربي بما فيهم أهل رباطات الحوز.

ويمكن أن نميز في مكونات خريطة السياحات الصوفية، بين جوانب ثلاثة : أهمية امتداد خط هذه الخريطة خارج المغرب، إذ يصل أقصى امتداد له إلى الديار المقدسة ؛ وضيق الرقعة الجغرافية لمجال السياحة في المغرب، التي لا تتجاوز شمالاً وادي أم الربيع حيث دكالة، ولا تتعدى جنوب الدير الشمالي للأطلس الكبير الغربي ؛ وضيق المجال الحضري وعدم تجاوزه حدوده للمراكز الحضرية الفلاحية من تاسماط وهما مراكش وأغمات. تقدم اللوحة التالية أسماء المتصوفة الذين اشتهر بهم رباط تاسماط :

المصدر	تاريخ الوفاة	الصلة بالرباط	الاسم
التشوف : 164	غير معروف	من أهل رباط تاسماط	أبو تونارت ولجوط ابن ومريل الإيلاتي
التشوف : 181	" "	" "	أبو حدو القاسم الإيلاتي
التشوف : 235	" "	" "	أبو إبراهيم إسحاق ابن ويعزان
التشوف : 208	" "	نزيل	أبو سهل القرشي

ويمكن حصر النعوت التي أطلقها ابن الزيات على هؤلاء المتصوفة في : - أهل الفقة والفضل - نهاية في الزهد والتشوف - من الأبدال - من الأولياء الأخفيا ( التشوف، 164 . 181 . 235 ).

ميزت هذه العناصر أيضاً متصوفة جهة الحوز بأكملهم، وهي تأكيد على ما كان لهذا الرباط من نشاط صوفي ملحوظ، وعلى قيمة رجالات التصوف الذين اشتهر بهم في رباطات مصمودة الجنوب.

ومن خلال معلومات التشوف يلاحظ غياب الحديث عن الشيوخ والمريدين والتلاميذ ... وعن العلاقات مع متصوفة آخرين عكس ما نجده بالنسبة لمتصوفة ينتمون لنفس المجال ولنفس الفترة مثل : تاقايطة ( التشوف، 232 . 258 )، تاووتي ( التشوف، 304 . 313 ) ... الشيء الذي لا يستبعد معه ضيق إشعاع هذا الرباط.

وتسري نفس الملاحظة على باقي رباطات جهة إيلان مثل : تامنصورت ( التشوف، 258 )، تكتينت ( التشوف، 387 )، ولعل ما يدعم ذلك أن أبا شعيب السارية كان إذا زاره أحد من أهل جهات مراكش يقول له : أتزورني وعندكم أبو زيد" ( التشوف، 258 ). والمقصود هنا أبو زيد عبيد الحليم ابن تونارت الإيلاتي من أهل قرية تامنصورت.

يد ابن الزيات، التشوف، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984.

محمد رابطة الدين

S. Dahl, *Histoire du livre de l'antiquité à nos jours*, 2ème éd. rev. et aug., Paris, 1960 ; P. Ricard, *Reliures marocaines du XIIIème S. : Notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade*, Hesp., T. XVII, 1933, Fasc. 2 ; *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925, Extrait des *Procès-verbaux et Mémoires du Congrès international des bibliothèques et des bibliophiles*, Paris, 1923 ; *Sur un type de reliure des temps almohades*, *Ars Islamica*, Vol. 1, Part 1, pp. 74 - 79, 4 fig. ; F. Sarré, *Islamic book-binding*, London, 1923.

محمد جادة

**تسامط أو تاسماط**، موقع جغرافي ضمن مجال إيلان، في اتجاه مراكش، غير بعيد من أيت أورير الحالية. ولعل أقدم مصدر متداول ضمن مواد هذا الاسم هو كتاب التشوف لابن الزيات التادلي. ورغم اعتماد هذا الكتاب إظاراً مرجعياً وحيداً لضبط رسم الاسم، فإن هذا الأخير ليس موحداً بين مختلف النسخ التي تم الرجوع إليها في التحقيق. وتقدم اللوحة التالية، أشكال الرسم الأربعة التي تم تسجيلها :

الصفحات	المصدر	شكل الرسم
164	التشوف	تسامط أو تامساط
235 . 165	التشوف	تاساط
181 . 165	التشوف	تامسوط
181	التشوف	تاسماط

وقد اختار محقق التشوف من بين الأشكال رسم "تاسماط". والاسم برسمه وصيغته ونطقه أمازيغي مصمودي، ليس بغريب على أسماء المواقع المحلية لجهة إيلان. وحسب المعنى الذي اقترحه الأستاذ أحمد التوفيق، فإن لمضمون تاسماط صلة بالوسط الطبيعي المحلي لجهة إيلان، ذلك أن الاسم جاء من "حصى الزلط الذي ينتشر في الأودية عند خروجها من الجبال وقلة انحدارها" ( التشوف، 164، الهامش 302 ).

كان موقع تاسماط تابعاً لعمل مراكش خلال فترة حكم الموحدين. مشكلاً فيما يبدو عنصراً من شبكة مراكز استقرار ورباطات كانت تحيط بمراكش من الخارج في شكل دائري. ولعل أهم ما اشتهر به هو نشاطه الصوفي، إذ يعتبر واحداً من مكونات شبكة الرباطات الواقعة في الحوز الأوسط خلال القرن السادس (12 م). ومن العناصر التي تدخل في باب التاريخ الصوفي لهذا الموضع يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

يبدو أن علاقة متصوفة هذا الرباط مع الشرق كانت غير عادية، الأمر الذي يلاحظ في قيمة المعلومات الخاصة بهذا الجانب ضمن المادة التي قدمها ابن الزيات عن تاسماط. تتجلى هذه العلاقة من جهة في حضور متصوفة الرباط إلى الديار المقدسة، إما بشكل دائم ( التشوف، 164 )، أو موسمي يرتبط بوقت أداء فريضة الحج ( التشوف، 235 )، ومن جهة ثانية في انتقال بعض متصوفة الشرق إلى رباط تاسماط، واتخاذهم مستقراً ومقاماً وموطن وفاة

فخذت أهمها : بني إفراسن، بني لنت، أولاد زباير،  
انگشت، بني أفطر، وأولاد عزوز.  
ومن الناحية الإدارية قسمت إلى ثلاث جماعات قروية  
وهي :

اسم الجماعة	المساحة (هـ)	السكان (ن)		متوسط الزيادة السنوية %	الكثافة ن / هـ
		1971	1982		
جماعة أحد أولاد زباير	19.500 هـ	19.645 ن	24.986 ن	4.9 %	128 ن / هـ
جماعة أربعا بني لنت	11.200 هـ	13.555 ن	14.637 ن	1 %	131 ن / هـ
جماعة بني إفراسن	16.930 هـ	30.254 ن	35.876 ن	5.1 %	219 ن / هـ
المجموع	47.630 هـ	63.454 ن	75.519 ن	11.15 %	159 ن / هـ

المجدول رقم 1 : المساحة والسكان والكثافة ومتوسط الزيادة السنوية

توجد قبيلة التسول في منطقة تلية مرتفعة، حيث يتراوح متوسط ارتفاعها ما بين 600 م و1100 م. ونظراً لسيادة الصلصال في معظم أجزاء المنطقة فإنها تعرف سفوحاً شديدة التآكل وخاصة بجماعة سبت بني إفراسن وشمال أحد أولاد زباير وشرق أربعا بني لنت. كل ذلك يشهد على قوة التعرية وخطورتها مما ينعكس على التربة حيث ضعف السمك والبنية الهيكلية هما السمات الرئيسيتان لهذا العنصر الحيوي بالمنطقة، فالترية الحصوية تنشر بصفة عامة فوق السفوح الشديدة الانحدار نظراً لقوة التعرية الطبيعية من جهة وللتدخل البشري عن طريق حرق هذه الأجزاء من المنطقة من جهة أخرى كما تجب الإشارة إلى الدور الخطير الذي تلعبه التعرية بهذه الأجزاء من تلال مقدمة الريف بحرفها لكميات ضخمة من التربة والتكوينات الصخرية مما أدى إلى تعرية القمم تعرية تامة جعل الصخرة الأم تبرز فوق السطح. أما على المستوى الهيدروغرافي في كثافة الشعاب والمسيلات تعتبر من بين العوامل المقوية لنشاط التعرية. وتنشط هذه العناصر الهيدروغرافية خاصة في الفصل المطير الذي يمتد ما بين شهر أكتوبر ومارس وتحتفي في معظمها في الفصل الحار وذلك بالرغم من كثرة العيون والتي تعتبر المورد الرئيسي لاستهلاك الماء المنزلي بالنسبة لسكان المنطقة.

أما التربة الرملية والصلصالية فهي تستقر عادة فوق السفوح الضعيفة الانحدار والأودية، وهي أهم أجزاء المنطقة، من حيث الاستغلال البشري. تعتبر أشجار الزيتون وأشجار التين من أهم المغروسات التي يعتمد عليها الاقتصاد المحلي لقبيلة التسول وذلك لوفرتها بشكل كبير نظراً لملاءمتها للظروف المناخية والترايبية للمنطقة. غير أن الملاحظة الأساسية في هذا النطاق هو قلة الفصائل الغابوية الأخرى الموجودة في نطاقات بيومناخية ماثلة.

وتعتبر قبيلة التسول من القبائل التي استقرت بتلال مقدمة الريف منذ القدم. وقد وردت إشارات لقدم استقرارها بجوار قبيلة غياتة في كتابات تاريخية متعددة وللدوار

تسوفرة. جراب أو كيس جلدي مصبوغ بألوان زاهية، ومزركش برسوم فنية رائعة الجمال، يستعمل في المناطق الصحراوية المغربية، وفي بعض المناطق المتاخمة لها، وذلك لحفظ بعض المواد من التلف، كالألبسة والحلي والنقود والكتب والرسوم وما إليها من مختلف المواد الثمينة خاصة.

يصنع تسوفرة بعض الصناعات المهرة من فئة المعلمين من جلد المعز بصفة خاصة بعد عملية الذبح والسلخ، ثم ينزع منه الشعر بصفة نهائية، ويدبغ ثم يخاط من رقبته، ويشرم من مقطعه الخلفي من مختلف الجوانب بطريقة فنية على شكل أهداب، ثم يثقب من تحت الهدوب ثقوباً متعددة لكي يمر منها ذراع القفل الحديدي الذي يصنع بدوره لهذه الغاية عند إرادة إغلاقه في الوقت المناسب، وبعد ذلك توضع له سيور مظفورة لتربط في قوائمه الأربعة وتشد من وسطها قصد تعليقها في البيت وقت الاستقرار، أو تعليقها بجانب راحلة الجمل أثناء السفر والترحال.

ويظهر أن مصطلح تسوفرة له علاقة بمادة "سفر" في الأصل اللغوي العربي، فمن حيث أن تسوفرة تكون منزوعة الشعر كذلك مادة "سفر" تدل على انحسار الشعر، جاء في حديث النخعي : "أنه سفر شعره" (أي استأصله وكشفه عن رأسه) من جهة، ومن حيث أن تسوفرة تدل على الجراب أو الكيس الجلدي كذلك مادة سفر لأن السفر، بضم السين، تطلق على الزاد كما تطلق على الجراب الذي يحمل فيه بالنسبة للمسافر.

فالتسوفرة بالنسبة للإنسان الصحراوي تستعمل أساساً لحفظ بعض المواد الثمينة المشار إليها أعلاه، ولا تستعمل لحمل الطعام إلا "الظبية" وهي كيس جلدي آخر أصغر من التسوفرة وأقل جودة منه وأكثر استعمالاً.

فالتسوفرة وسيلة ترتبط بحفظ بعض المقتنيات كما تحفظ الكتب بعملية التسفير (أي التجليد) من جهة، وترتبط بطبيعة الإنسان الصحراوي الدائم السفر والترحال من جهة أخرى.

وبما أن طبيعة الاستقرار أخذت تطبع الحياة في المناطق الصحراوية المغربية بعد المسيرة الخضراء سنة 1975، فقد أخذ دور تسوفرة يضمحل بعد أن حل محلها الدولار الخشبي والحائطي والمعدني وما إليها من الأدوات التقنية المصنعة الحديثة، وأصبحت تسوفرة تحفة فنية نادرة الوجود إلا لدى بعض الأسر القليلة جداً أو لدى بعض الصناعات الذين يعرضونها للسياح الأجانب.

دراسة ميدانية : لسان العرب.

محمد عالي خنفر

**التسول**، قبيلة تقع في تلال مقدمة الريف شمال غرب مدينة تازا، وهي محاطة بقبائل الحياينة من الغرب والبرانس من الشمال وغيثا من الشرق والجنوب. وتعد قبيلة التسول من أصغر القبائل مساحة بمر تازا حيث تصل مساحة مجالها إلى حوالي 47.630 هكتار. مقسمة على عدة





الإصلاح الزراعي التي كانت في السابق تمثل الملكية الاستعمارية، وذلك في جماعة أحد أولاد زباير خاصة. وهو استغلال يعتمد في الغالب على دورة زراعية ثنائية (قمح قطاني) (انظر الجدول رقم 3) بالإضافة إلى استغلال الأشجار المثمرة، وتأتي في مقدمتها الزيتون والتين، لا سيما وأن جزءاً مهماً من المنطقة دخل في إطار مشاريع "تنموية" كمشروع ديرو الذي شمل جزءاً من جماعة أحد أولاد زباير وأربعاء بني لنت، للحد من خطر التعرية بالمنطقة باستعمال تقنية التشجير بالزيتاين.

الجماعات القروية	حبوب	قطاني	زراعات علفية	خضروات	أشجار
أولاد زباير	٪56	٪30	٪1.5	٪1	٪6.5
أربعاء بني لنت	٪71.5	٪17.5	٪1	٪0.5	٪7.5
سبت بني إفراسن	٪80	٪10	٪0.3	٪0.3	٪3.4

جدول رقم 3 : توزيع أراضي الاستغلال حسب أنواع الزراعات

أما تربية الماشية فتدخل كذلك في إطار الاستغلال التقليدي وتأتي في مقدمة الأصناف الغنم بحوالي 41.000 رأس، والأبقار بـ 18.000 رأس، ثم الماعز بحوالي 7.000 رأس. أما بالنسبة للمراعي فأغلبها أراضٍ جماعية بورية، وعادة ما تكون جبلية غير صالحة للزراعة.

البكري، المغرب؛ منوغرافية مديرية الفلاحة والإصلاح الزراعي بتازا؛ دراسة ميدانية.

محمد صابري

**التسولي** أو الدسولي، أسرة أصلها من قبيلة التسول، كانت بتطوان وانقرضت، وكان من بين أفرادها العالم علي بن عبد السلام التسولي الذي تولى القضاء بتطوان سنة 1250 / 1834 وتوفي بفاس سنة 1258 / 1842.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 2 : 114، 4 : 165، 6 : 6 : م. داود، تاريخ تطوان، 7 : 231 : مختصر تاريخ تطوان، 2 : 338 : م. ابن عزوز حكيم، عائلات تطوان.

Delegación. Familias : Isidoro, Familias : Vademecum de Intervenciones (año 1931) 1932 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

**التسولي**، إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي يحيى التازي. أصله من تازا وينتسب إلى قبيلة التسول القريبة منها، وهو من أهل فاس، وبها درس على الفقيه قاضي الجماعة علي بن عبد الحق الزرويلي المعروف بأبي الحسن الصغير ولازمه. وكان قارئ كتب الفقه بين يديه بمجلسه، كما أخذ عن أبي زكريا أبي ياسين وقرأ عليه موطأ الإمام مالك، وعن محمد بن رشيد، وقرأ على علي بن عبد الجليل السدراتي كتاب الأحكام الصغير لعبد الحق الإشبيلي، وقرأ رسالة ابن أبي زيد على علي بن سليمان، وأخذ عن غيرهم. وتعلم له عدد من فقهاء المغرب، وحضر مجالس

تدرسه بمدرسة عدوة الأندلس بفاس الكاتب الشهير ابن الخطيب السلماي، ونوه بطريقته في التدريس وفصاحته وجودة إلقائه، وأخذ عنه أيضا بغرناطة لما ذهب إليها التسولي سفيرا للمرينيين.

كان التسولي في تدرسه قيما على كتب فقه المذهب المالكي كالتهديب للبرادعي والرسالة لابن أبي زيد، مع أنه كان واسع المشاركة في ضروب من العلم صدرا في علماء عصره. وكان له إلمام جيد بعلم التاريخ والأنساب وإحاطة بالآداب.

وتشير مصادر ترجمته إلى أنه كان فارسا شجاعا، عمل في خدمة ملوك بني مرين، وصار من حاشيتهم ومرافقيهم ونال لديهم حظوة، وقد استعمله السلطان أبو الحسن المريني في سفاراته وولاه قضاء الجماعة بحضرته، ثم الإمامة به في الصلاة لما أرسل الفقيه محمد السطحي رسولا إلى تونس.

وإلى جانب اهتماماته في التدريس والسفارة كان للتسولي نشاط تألفي فوضع تقييدا على تهذيب البرادعي وتقييدا على رسالة ابن أبي زيد وتعليقا على مدونة سحنون، قيد كل ذلك أثناء قراءته على شيخه أبي الحسن الصغير. وجمع أجوبة شيخه هذا في المسائل الفقهية وضمها إلى نوازله في سفر.

أصيب في آخر عمره بمرض الفالج فلزم بيته وكان السلطان أبو الحسن يعوده، حتى توفي في حدود 749 / 1348.

م. ابن الخطيب، الإحاطة، تج. عبد الله عنان، 1973، 1 : 380؛ أبو الحسن النباهي، المرقبة العليا، نشر ليثي بروقنصال، القاهرة، 1949، ص. 136 : م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، تج. ماريا خيسوس فيغيراس، الجزائر، 1981، ص. 146 : م. ابن القاضي، درة الحجال، القاهرة، 1970، ج 1 : 179 : جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ص. 85. 86 : شجرة النور الزكية، القاهرة، 1962 : إ. ابن فرحون، الديباج، القاهرة، 1351.

محمد المغراوي

**التسولي**، الطاهر بن محمد الفاسي، شيخ صوفي كبير، سلك الطريق أولا على يد الشيخ محمد الحراق، ثم أخذ عن الشيخ الخضر الشجعي. اشتهر صلاحه بفاس فكثرت مريدوه وأتباعه.

توفي يوم عرفة تاسع ذي الحجة عام 1317 / 10 أبريل 1900 ودفن بروضة الكثيرين داخل باب عجيصة.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، 1317.

محمد حجي

**التسولي**، عبد السلام بن عبد الرحمان، أحد الطلبة المغاربة الذين تعلموا بمدرسة كلاؤسثال Klausthal ببرلين بألمانيا. وكان قد رشح للتعليم ابتداءً من سنة 1291 / 1874 فذهب إلى طنجة وتلقى تعليماً في اللغة والمبادئ العلمية الأدبية بها خلال سنتين. وفي سنة 1293 / 1876 سافر إلى

برلين ضمن وفد ثلاثي يتركب منه هو ومعه آخرون هما :  
الميلودي بن محمد الزيايدي الطالب والي والحسين بن الحاج خلوق  
التمسماني.

أخذ التسولي العلم العسكري بألمانيا طيلة سبع سنوات  
عاد إثرها إلى المغرب سنة 1300 / 1883. لكن طموحه دفعه  
إلى أن يستأذن السلطان بواسطة سفير ألمانيا بطنجة  
تيدور فيبير (T. Weber) ليتم دراسة العليا بألمانيا  
"حتى يقدر يوم (يوماً) ما أن يقدم خدمته لمنفعة وطنه،  
ويجازي الحضرة الشريفة أيدها الله بالدعاء لِمَا أُنعمت  
عليه بخيراتها ليتعلم" على حد تعبير رسالة السفير إلى  
برگاش في 15 مارس 1883.

أجاب مولاي الحسن بعد شهر "بأن أحد الطلبة الثلاثة  
الذين يتعلمون ببلادهم ظهرت نجابته في تعلم علوم  
الهندسة أو علوم المعادن، وصار بالبال. فتعلمهم علم البحر  
والمعادن أحب إلينا، نعم إن اقتضى نظره تعلم ما ذكر فيزاد  
له من يتعلمون علم البحر...".

وهكذا سمح للتسولي أن يتعلم بمدرسة كلاوسطال  
للمعادن طيلة خمس سنوات وكان السلطان قد استبطأه  
فطلب من الطريس أن يسترجعه، إذ "بلغك أنه قهر فيما  
توجه لتعلمه وظهرت نجابته، ولم يبق في مكثه هناك إلا  
زيادة الصائر... فحيث حصل ما توجه لأجله فوجه عليه،  
وحيث يرد وجهه لحضرتنا الشريفة".

عاد عبد السلام إلى المغرب أواخر سنة 1888 ووجه إلى  
القصر السلطاني فور وصوله. ويظهر أنه سئل عما كان  
يقراه ببرلين، فأجاب برسالة مشحونة باللحن إن العلوم هي:  
علم الحساب والجبر والمقابلة؛ أصول الهندسة؛  
مساحة المثلثات؛ جل الجبر؛ علم الهندسة المساحية؛ علم  
الطبيعة، وهو أصل القوة الكهربائية، أي الكطريك؛ ثم  
علم الكيمياء المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والقردير  
والرصاص والحديد والكبريت إلى آخره...

"وغاية أكثر اجتهادي في هذه العلوم السبعة كان هو  
علم الكيمياء. وبها أقدر نقتش الأرض عن معادنها، وتبين  
ما فيها من المعادن النافعة كالذكريتين فوق. والآن أني  
أترجى العقاقير والحوامض من طنجة لنجرب هذا في الحضرة  
العالية بالله، والسلام. وفي 21 من ربيع الثاني عام 1306 /  
25 دجنبر 1888. خديمكم : عبد السلام بن عبد الرحمان  
التسولي، لطف الله به".

يظهر من هذا نوع تخصص التسولي. فأين ياترى  
سيوظفه المخزن؟ لم أقف على ما يفيد هذا التوظيف  
المحتمل. حتى إذا كان فليس للمخزن معامل أو مناجم  
يستغلها بنفسه ليستخدمه فيها. ومهما يكن فقد انصرفت  
على هذا الوقت ثلاث سنوات ولمّا نسمع له على حس في  
المصادر. حتى إذا كانت سنة 1891 وجدنا أن التسولي قد  
ألقى عملاً خارج المغرب ليس داخلًا في نطاق تخصصه،  
فقد أصبح مدرساً للغة العربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين  
المستحدث سنة 1887 لتعليم الألمانين اللهجة الدارجة

المغربية لفائدة الذين كانوا يتشوفون إلى غزو المغرب  
اقتصادياً وتجارياً ببضائعهم ومدافع كروب وبعثاتهم  
الاستكشافية لتجوس خلال الديار وتتعرف على ما يزرع به  
المغرب من إمكانات. وسيمكث عبد السلام الذي كان أول  
من عين مدرساً للغة العربية بالمعهد الألماني إلى سنة 1896 التي  
يعين أثناءها آخرون ممن كانوا يتعلمون بألمانيا مثل الجيلالي  
ابن البشير وبعده الجيلالي الشراوي من سنة 1899 إلى سنة  
1903 التي سيوظف فيها الميلودي الزيايدي الطالب المشار  
إليه في مطلع هاته الترجمة والذي سيموت هناك سنة 1904  
ويخلفه مغربي آخر من مواليد مدينة قسنطينة سنة 1870  
وهو أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب الذي سيعيش مدة  
بسلا منفيًا وسميت فيها سنة 1930.

أما التسولي فقد تقادفته الرياح، ولم يعد في مطلع  
القرن العشرين سوى ترجمان لأحد المراكب الألمانية بالرباط،  
لا سبيل إلى "خدمته لمنفعة وطنه" كما تقدم وانقطع خبره  
في المصادر المكتوبة.

وأذيل هذا الحديث بأنه تعرض في اسمه ونسبه إلى  
تحريرين في الوثائق والمصادر الألمانية. إذ اسمه فيها هو  
"أبو سلام" وليس عبد السلام لخلو الألمانية من العين،  
ونسبه هو Zuli لأن حرف Z ينطق بالألمانية تُس.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 4، ص 1347 و1348  
و1351؛ محمد المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، ج 1، ص 251  
وج 2، ص 313؛ أبو بكر الصبيحي في ترجمة أبي بكر بن علي بن  
عبد الوهاب؛ الوثائق الملكية؛ وثائق مكتبة تطوان.  
P. Guillen, L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905, pp. 86,  
523, 524, 867, Paris, 1967.

مصطفى بوشعراء

**التسولي، علي بن عبد السلام،** ولاء السلطان المولى  
عبد الرحمان بن هشام 1822. 1859 قضاء العاصمة فاس  
وذلك في 28 جمادى الثانية سنة 1247 / 4 أو 5 دجنبر 1831  
بعدهما عزل القاضي الزرهوني. وكان من المشايخ الذين  
تتلمذ عليهم عدد من الفقهاء والعلماء أمثال العربي بن  
إدريس العلمي. توفي في 15 شوال 1258 / 19 نونبر 1849.

عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 5 : 31 و439.

عبد الاله الفاسي

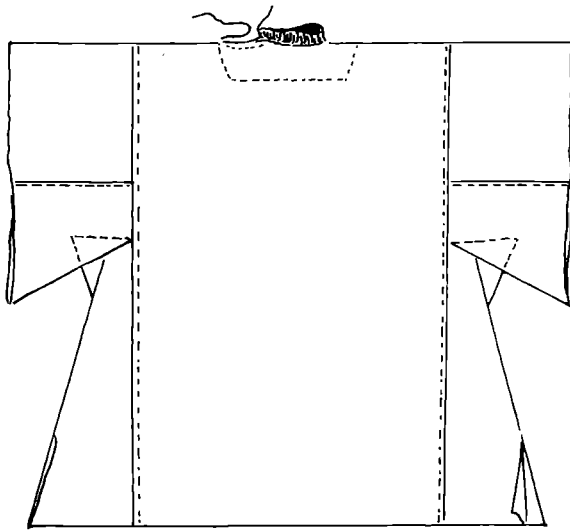
**التسولي، موسى بن محمد بن الحسن بن أبي بكر**  
الفاسي يكنى أبا إسحاق، من قبيلة تسول بأحواز تازا. لم  
تذكر المصادر تاريخاً لولادته، وكل ما نعرف أنه عاش في  
نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن (13. 14 م). وصفه  
ابن القاضي بالشيخ الصالح، المدرس الورع الأستاذ (جذوة)،  
346)، وقال عنه ابن خلدون إنه شيخ الصالحين والفقهاء في  
عهده بنواحي تازا. ويستفاد من المعلومات القليلة المتوفرة  
عنه أن صيته ذاع في المغرب الأقصى وخارجه، فقد أخذ  
عنه كثير من فقهاء وعلماء عصره من مختلف أنحاء بلدان  
المغرب، وهكذا ارتحل إليه سعادة من زعماء قبائل رياح من  
بلاد الزاب وأخذ عنه من علومه وفقهه الشيء الكثير،

من أنواع الطرز الأخرى، لتطويع حواشي الملابس النسوية على الخصوص وكذا لتنميق وتزيين أثاث البيت الحضري الذي كانت الأواني والأدوات المتدولة فيه تحتاج إلى أغطية متنوعة كأواني الشاي والحلوى وموائد الأكل وأسرة النوم والوسادات ومناديل الحناء وأردية الحمام الأهلي وغيرها.

P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; P. Ricard, *Les arts marocains, les broderies*, Alger, 1918 ; *Le souq El Merkta et les broderies de Fès, France - Maroc*, vol. 1, 1917 ; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; C. Brunot David, *Les broderies de Rabat*, Rabat, 1943 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, [s. d], *Enc. Col. et maritime* ; A.M. Goichon, *La broderie du fil d'or à Fès, Hesp.*, vol. 25, 1939 ; E. Michaux-Bellaire, *Description de la ville de Fès*, A.M., vol. 11, 1907 ; L. Botte, *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

**التشامير**، لباس داخلي للرجل، وكانت ملابس البدن الأهلية المعروفة عند سائر الناس بالتقليدية تنقسم إلى داخلية وخارجية. وتتكون الداخلية منها من السروال البلدي الفضايف والتشامير أو القفطان والفرجية أو كسوة المحصور. أما الملابس الخارجية فتتألف من الكساء والسلهَام أو السلهاَم والجلباب أو الجلباب وحده. ويوضع كل زوج من الملابس الخارجية عادة فوق زوج من الملابس الداخلية. وقد يلبس البعض ثلاثة قطع أو أربعة دفعة واحدة حسب ظروف الطقس والظروف الاجتماعية والمناسبات.

والتشامير كلمة أمازيغية أصلها أشابير. يسميه سكان الحواضر القميص ولا يطلق عليه سكان البوادي والمرتفعات الجبلية إلا اسم التشامير. وهو عبارة عن قميص طويل يمتد من العنق إلى أسفل الساقين، طوله لا يتعدى طول الملابس الأخرى التي ترتدي فوقه. وقد كان في الأصل من صوف خشن ثم ارتقى وأصبح يتخذ من صوف شفاف ثم من قطن وكتان.



**التشامير**

يلبس التشامير مباشرة فوق السروال الفضايف فيغطي

ولزمه مدة طويلة حتى إذا تشبع بعلم التسولي رجع إلى وطنه رباح ونزل بلد طولقة وشرع في تطبيق تعاليم أستاذه في تغيير المنكر بدءاً بأقاربه ثم عشيرته وأصحابه. ومن الذين أخذوا عن الفقيه موسى أبو عبد الله محمد بن الأزرق أحد كبار فقهاء مقرة وصاحب كتاب *الحلال والحرام*.

توفي موسى التسولي بمدينة فاس سنة 1311 / 710 ودفن بمقبرة مسجد الصابرين داخل باب الجيزيين قرب قبر الولي الصالح أبي زيد عبد الرحمن الهزميري.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 6 : 81، 84 : أ. ابن القاضي، *جدوة الاقتباس*، الرباط، 1973 : *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1970، 3 : 8.

رشيد السلامي

**التسويس**، نوع من الطرز أي التوشية، كان يُستعمل لتجميل ملابس النساء وتزيينها وتنميق بعض الأغطية والأقرشة والأردية. وهناك عدة أساليب من الطرز الأهلي معظمه كان ينجز على أيدي نساء طرازات متخصصات (معلمات) وأقله يتم داخل المنازل على أيدي ربات البيوت ومن في المنازل من فتيات. وكان الطرز الذي يندرج ضمن المبادئ الأساسية في تربية الفتاة يمارس في معظم المدن المغربية، لا فرق في ذلك بين نساء فقيرات وغنيات وكبيرات سن وصغيرات. وكان الطرز من عدة أنواع أهمها طرز الحساب وطرز الكانية وطرز الشبكة (أو شبكة الرندة) والتضريس والتسويس.

والتسويس كنوع من الطرز، وإن كان يبدو بسيطاً، فإنه يحتاج إلى مهارة وخبرة يدوية طويلة. وتتطلب تقنية التسويس سحب خيوط من الثوب المراد طرزه طبقاً لرسم منقول عليه بكيفية تؤدي إلى تخريم الثوب وإحداث أشكال بدعية فيه بواسطة ثقب دون اللجوء إلى الغرز بالإبرة. إنها طريقة تقوم على إفراغ الثوب من أمكنة معينة وترك أخرى بعد تدعيمها بخياطة أو التشبيك بكيفية تؤدي إلى إبراز أشكال مرسومة دون رسم. ومن الناس من يدعو هذا الطرز أيضاً "التشبيك"، وهو يختلف اختلافاً كبيراً عن طرز الشبكة أو ما يعرف عند المتخصصات "بشبكة الرندة" التي تنجز بالاعتماد على إقامة أنواع من التتواء في الرداء المراد توشيته لتجميل حواشيه من جهة وحمايته من التسلسل والتمزق من جهة أخرى.

. ويبدو الثوب أو القطعة المنمقة بهذا النوع من الطرز (يقال بأنها مسوسة) وكان أَرْضَة الثوب أو ما يعرف عند النساجين بالعثة قد أكلت بعض أطرافه دون الأخرى، ومن هنا جاءت تسمية التسويس. وينقسم هذا الطرز إلى قسمين : تسويس على الطريقة القديمة ويتم باليد المجردة والإبرة، وطرز حديث ساد انتشاره اليوم في مراكز تعليم الطرز وتجميل ملابس النساء، وهو يتم بالمقص وآلة الخياطة، إلا أن الأول أكثر جودة من الثاني لكنه يأخذ وقتاً أطول. ويستعمل التسويس بنوعيه القديم والحديث، كغيره

## اللباس الأساسي صيفاً وشتاءً.

الحسن الوزان، وصف أفريقيا، الرباط 1983، تر. محمد حجي  
ومحمد الأخضر؛ ادريس المعايدي، إتخاف الأخيار بفرانك  
الأخبار، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1990، تح. عز المغرب  
معينو؛ محمد عشيش، المغرب الأقصى كما رأيت، القاهرة، د.  
ت؛ محمد اشعاع، المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط 1980.  
J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ;  
L. Brunot, *Noms de vêtements masculins à Rabat. Mélanges René  
Basset*, Paris, 1923 ; G. Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris,  
1938 ; J. D'Etienne [et al...], *L'évolution sociale du Maroc*, Paris,  
s. d. ; G. Daumas, *La vie arabe et la société musulmane*, Paris,  
1983.

محمد بوسلام

**التشجير بالمغرب**، تقدر مساحة الغابات بالمغرب  
بخمسة ملايين هكتار، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثة ملايين  
هكتار من تشكيلة الحلفاء. وإذا كان المغرب يمتلك ما يلزمه  
من الحطب فإنه يستورد كميات كبيرة من خشب التجارة  
والصناعة والمعادن. علاوة على هذا تعرف الغابات  
الطبيعية تدهوراً يستفحل سنة بعد سنة، مما يعرض الأثرية  
للتعرية والانجراف والنقصان في الإنتاجية، وتغذية السدود.  
وتلبية لهذه المتطلبات، وتفادياً لاستفحال المشاكل، قامت  
مديرية المياه والغابات بعمليات التشجير منذ ما يزيد عن  
أربعين سنة. أدخلت هذه العمليات في إطار برامج التنمية  
الاقتصادية والاجتماعية التي بدأت سنة 1960.

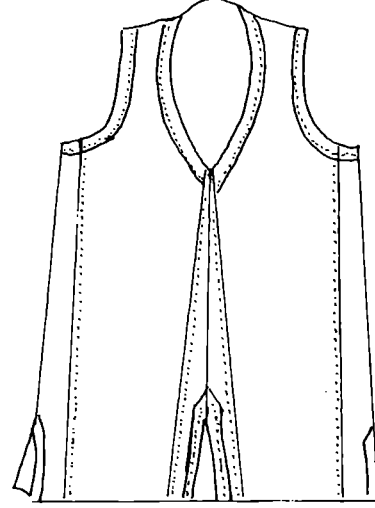
كانت عمليات التشجير إلى أواخر الستينات غير  
منتظمة، وبدون أهداف معينة، مستعملة آنذاك عدداً قليلاً  
جداً من الأنواع الشجرية. وفي سنة 1968، قامت مديرية  
المياه والغابات بمساعدة منظمة التغذية والزراعة (FAO)،  
بدراسة للمساحات المشجرة قبل هذا التاريخ وذلك لإنجاز  
مخطط وطني للتشجير (Plan National de Reboisement :  
P.N.R.) شرع في تنفيذه سنة 1971. يعرف المخطط  
بالأهداف والأبعاد المتوخاة على المدى الطويل، من كل  
مشروع تشجير.

ومن أهم أهداف المخطط تكميل وتعزيز الأدوار الثلاثية  
التي تقوم بها الغابة الطبيعية من إنتاج ومحافظة على  
البيئة وترفيه، مع خلق فرص العمل لليد العاملة القروية.

فيما يخص الإنتاج، يهدف المخطط إلى غرس مساحات  
واسعة من الصنوبريات السريعة النمو مثل الصنوبر البحري  
ذي الضربين الأطلنطيكي والمغربي والصنوبر الكانايري  
والصنوبر المونتوري، الخ... وذلك في محاولة للوصول سنة  
2000 م إلى سد العجز المتعلق بخشب الراتنجيات المستعمل  
في التجارة والصناعة والمعادن. بالإضافة إلى الرفع من  
إنتاج خشب الأوكاليبثوس المستعمل في صناعة عجينة  
الورق بمعمل سيدي يحيى الغرب الذي يتطلب حالياً  
345.000 طن من المادة الخام لإنتاجه المقدّر بـ 100.000 طن.

أما فيما يخص مكافحة التصحر أو المحافظة على  
السدود من الترسب بسبب الانجراف، وعلى البنيات  
التحتية الأخرى من الفيضانات أو الترميل فإن المخطط

الجسم بكامله. وقد يلبس فوقه قميص آخر من نفس طوله  
لكنه بدون أكمام، مفتوح من جوانبه الوسطى والسفلى  
يسمى الفوقيه. كما أن البعض من سكان الحواضر يضع  
فوقه مكان هذه الفوقية القفطان ثم الفرجية قبل أن يسدل  
على الكل الكساء والسلهام الشفافين إذا كان ميسوراً، أو  
يضع فوقه السلهام وحده أو الجلباب وحده إذا كان أقل  
يسراً قبل أن يتقلد الشكارة والكمية.



الفرجية

كانت أكمام التشامير نصفية وفضفاضة تقف في  
معظمها عند المرفقين لكن بعضها قد يتوسط المتن أو  
يتعداه. وقد يكون بدون أكمام في حالات نادرة أو تطول  
أكمامه إلى حد الكعبين. وهو يغلق على العنق بواسطة  
طوق مستدير يتم التحكم فيه من الجانب الأيمن من الناحية  
الموالية للكتف بمشد يدعى السُرِّيفة. كان لباساً داخلياً  
بالنسبة للميسورين لكنه يصبح هو اللباس الرئيسي الوحيد  
بالنسبة للفقراء، يلبس فوق السراويل إما مع جلباب أو  
بدونه. وفي هذه الحالة الأخيرة يقتصر الشخص على شدة  
إلى خصره بالتكة أو بمجرد قطعة من ثوب أو دوم مفتول  
أثناء إنجاز بعض الأشغال الشاقة المعتادة في الحرث  
والنقل، فكان التشامير هو اللباس السائد لدى الحمارين  
والرباعين والزراعية والحمايمية والغبارية والفرناتشية  
والدباغين والحدادين وغيرهم. وكان العريس في بعض  
البوادي وبعض المدن يرتدي التشامير في ليلة زفافه دون  
سراويل مباشرة بعد الاستحمام ويلتف فوقه إما في سلهام  
أو جلباب أبيض. أما الأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد  
فكان هو لباسهم الرئيسي دون جلباب ولا سراويل. وكان  
يلبس في الفصول الحارة مباشرة فوق السراويل بدون جلباب  
ولا سلهام. وإذا حل فصل الشتاء يتم تعويضه أو تدعيمه  
بقميص آخر متين من صوف يكون بدوره بدون أكمام يدعى  
القشاب، وهو عادة لا يتعدى الركبتين. وقد يصبح هذا  
القشاب بالإضافة إلى التشامير عند الفقراء والمعدمين هو

المطلوب ولا سيما بالنسبة للمساحات المشجرة بالراتنجيات.

لهذا وجب القيام بأبحاث في هذا الميدان من طرف المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين بسلا والمعهد الوطني للزراعة والبيطرة الحسن الثاني، بمشاركة المركز الخاص بالتجارب بالرباط، وذلك للرفع من الإنتاجية والجودة. وتخص هذه الأبحاث :

- انتخاب الضروب المنتجة من الأنواع الشجرية المستعملة في التشجير.

- التخصيب الاصطناعي للأتربة المشجرة بالأوكاليبتوس.

- التربية الحراجية الملائمة للأصناف المستعملة في التشجير.

- استعمال الأنواع الشجرية المحلية في عمليات التشجير، لأنها بالرغم من نموها البطيء تكون أكثر ملاءمة للظروف البيئية المحلية ضامنة بذلك تشكيل غطاء نباتي دائم وشديد المقاومة للتغيرات المناخية.

بالإضافة إلى هذا وضعت مديرية المياه والغابات في نهاية سنة 1993 مشروع دراسة شاملة لإنجاز مخطط توجيهي للتشجير. ويتطلب ذلك القيام بدراسة للتشكيلات الغابوية الطبيعية وللوسط الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، وسوف يتمخض عن هذا المشروع توجيهات خاصة بكل منطقة من المناطق المغربية حول عمليات التشجير.

#### أبحاث ميدانية.

Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols.  
Le Plan National de Reboisement (P.N.R.). Rabat, 1971 ; Guide  
du Reboisement au Maroc, Rabat, 1978.

بلغازي باختي وعبد المالك بنعبيد

تشرشر توج T.G. Churcher، طبيب من هيئة المنصرين الأنجليزيين، تعلم العربية بطنجة وأخذ يباشر التطبيق بها سنة 1885، وكان ينتقل إلى بعض المدن كالدائر البيضاء وفاس التي استوطنها من سنة 1892 إلى 1894.

م. بوشعراء، الاستيطان، ج 4 ص. 1402 ؛ مبيج، البعثات...  
مجلة نمودا، المجلد 42.

مصطفى بوشعراء

**تشرشيل والمغرب**، ترجع علاقة وينستون تشرشيل

(1874 . 1965) بالمغرب إلى بداية الثلاثينات من هذا القرن عندما اكتشف مدينة مراكش وأحب طبيعتها الخلابة. ومنذ ذلك الوقت أصبح يتردد على المدينة حيث ربط علاقة صداقة وطيدة مع الباشا التهامي الأكلوي. وخلال الحرب العالمية الثانية جاء تشرشيل إلى المغرب لحضور مؤتمر أنفا (1943) إلى جانب الرئيس الأمريكي روزفيلت والجنرال ديغول لتنسيق جهود الحلفاء ضد ألمانيا النازية. وبنفس المناسبة كان رئيس الوزراء البريطاني من بين الشخصيات التي حضرت مأدبة العشاء التي أقامها روزفيلت على شرف سلطان المغرب محمد بن يوسف. ويظهر أن تشرشيل لم يكن مرتاحاً تماماً للتقارب المغربي - الأمريكي ومراهنة

يهدف إلى تثبيت تربة سفوح الجبال في العالية أو الكثبان الرملية الساحلية وذلك بغرس أنواع من النباتات أكثر ملاءمة مع الظروف البيئية السائدة في هذه المناطق.

وأخيراً، ولتلبية متطلبات السكان من مساحات خضراء، يهدف المخطط إلى تشجير ضواحي المدن التي يتعدى عدد سكانها 20.000 نسمة، وذلك بمقدار هكتار واحد مشجر لكل ألف نسمة.

تقدر المساحات المشجرة المستهدفة من المخطط بـ 662.000 هكتار، منها 540.000 من الصنوبريات أو الراتنجيات بصفة عامة، و115.000 من الأوكاليبتوس والأكاسيا و7.000 من أنواع مختلفة، أي ما يعادل 22.000 هكتار سنوياً إلى حدود نهاية القرن.

وضع المخطط الوطني للتشجير معايير ومقاييس وجب على كل مشروع تشجير أن يأخذها بعين الاعتبار، نذكر منها :

- يجب ألا تتعدى المسافة بين الموقع المشجر ومكان تحويل الخشب المنتج، خمسين كلم.

- يجب أن تتعدى المسافات المشجرة : 2.000 هـ لتموين معمل نجارة. و1.000 هـ لتموين معمل للألواح. وما بين 50.000 و90.000 هـ لتموين معمل يصنع عجينة الورق. ويكون إنتاج الخشب بكمية وافرة وجودة حسنة، مما يتطلب القيام بالتربية الحراجية الملائمة، واختيار الأتربة الخصبة. ولهذا وجب ألا تكون الإنتاجية أقل من أربعة أمتار مكعبة في الهكتار سنوياً بالنسبة للراتنجيات وخمسة أمتار مكعبة في الهكتار سنوياً بالنسبة للأوكاليبتوس. وتكون الكلفة التي تتطلبها عملية التشجير غير باهظة.

هذا ويميز المخطط بين ثلاثة أصناف من البرامج :

\* البرنامج المنتظم الواجب إنجازها على صعيد كل التراب الوطني، وذلك حسب الأنواع الملائمة للظروف البيئية لكل منطقة. وفي هذه الحالة تكون الإنتاجية المطلوبة مضمونة.

\* البرنامج التجريبي على المدى البعيد، ويشمل كل المحطات التي غرست بها أنواع دخيلة قصد التعرف على قدرتها في التكيف مع الظروف البيئية، وبعد ذلك استعمالها في عمليات التشجير. والمشراف على هذا البرنامج هو مركز الأبحاث الغابوية بالرباط.

\* البرنامج المستقبلي على المدى المتوسط، ويقوم على أنواع من الأشجار التي لا يعرف عنها الكثير بالنسبة لملائمتها للظروف البيئية للمحطة التي غرست بها.

أما من حيث الإنجازات، فإن المساحة المشجرة قبل الشروع في تنفيذ المخطط، تقدر بـ 280.181 هكتار، منها 99.626 هكتار من الراتنجيات و162.451 هكتار من الأوكاليبتوس و18.104 هكتار من أنواع أخرى، وحتى موسم سنة 1989 . 1990 بلغت هذه المساحة الإجمالية 457.690 هكتار نصفها من الراتنجيات والنصف الآخر من الأوكاليبتوس وأنواع أخرى. لكن الإنتاجية لم تصل إلى الحد الأدنى

المغاربة على الأمريكيين في نضالهم من أجل الاستقلال. وقد حافظ تشرشيل على صلاته الوطيدة باباشا مراكش حتى خلال الأزمة المغربية - الفرنسية (1953) ومشاركة هذا الأخير مشاركة أساسية في خلع محمد بن يوسف ونفيه.

وقد فسّر البعض إبقاء تشرشيل على علاقته المتميزة بالأغلاوي في تلك الظروف بالذات على أنه كان يُعبر عن استياء بريطانيا من موقف السلطان الذي أصبح يعلق آمالا كبيرة على الولايات المتحدة الأمريكية، ويرمز إلى الدعم البريطاني لفرنسا للإبقاء على مستعمراتها خاصة في وقت أصبحت فيه القوى الاستعمارية الأوروبية تتخوف من المد الجديد للشعوب المضطهدة المطالبة باستقلالها.

G. Maxwell, *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966 ; S. Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain, 1943 - 1956*, 3 tomes, Bruxelles, 1963.

محمد المنصور

## التشريع ← الطب

**التشغيل الفلاحي**، يعد التشغيل عنصراً أساسياً من عناصر البنيات الفلاحية باعتبار أنه يندرج ضمن مسلسل الإنتاج، وله صلة بالبيئة الطبيعية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتقنية والثقافية السائدة عند مجتمع فلاحي معين.

والشغل بصفة عامة يمكن تعريفه بالنشاط العقلاني للإنسان وهو شرط أولي لوجوده، بواسطته يحقق ذاته ويعبئ إنتاج نفسه عن طريق تطوير قدراته الإبداعية وتقنياته التي بواسطتها يغير الطبيعة بغية إرضاء حاجياته المختلفة، وفي نفس الوقت يطور علاقاته الاجتماعية التي ضمنها يؤثر على الطبيعة. ومن ثم فإن العمل البشري المنتج يتضمن علاقة مزدوجة، أي علاقة الإنسان بالطبيعة من جهة وعلاقة الإنسان بالإنسان من جهة ثانية.

وإذا كان التشغيل الفلاحي عند المجتمعات التي يسودها الاقتصاد الرأسمالي الناضج يقوم على عقدة صريحة أو ضمنية يلتزم بمقتضاها العامل "الحر" بتقديم قوة عمله مقابل أجر يدفعه له المشغل، فإن التشغيل الفلاحي عند التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن نطلق على تسميتها بالتابعة، لا يتخذ دائماً شكل بضاعة، بل نجد أصنافاً متعددة من التشغيل الفلاحي التي تظهر في خضم تفاعل نمط الإنتاج الرأسمالي مع التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية ما قبل الرأسمالية. هذا التفاعل يؤدي إلى الإقصاء التدريجي للإنتاج والتبادل الحرفي التقليدي وتحطيم قطاع الاكتفاء الذاتي وذلك من أجل فتح هذا القطاع أمام الاقتصاد التبادلي النقدي ومن أجل التزود باليد العاملة وتنظيم الإنتاج بشكل يستجيب لطلبات السوق. وهكذا نتيجة تغلغل الاقتصاد الرأسمالي ويفعل التفاعل بين مختلف أشكال الإنتاج والبنيات الفلاحية غير المتجانسة والمعقدة تحولت أشكال النشاط ما قبل الرأسمالية وظهرت إثر ذلك أنشطة أخرى لكنها في معظمها ذات طبيعة غير رأسمالية. وفي إطار هذا التحول

برزت عدة أنظمة للإنتاج والتبادل أفرزت بدورها أنواعاً متعددة من التشغيل الفلاحي.

ونفس الوضعية نصادفها بالنسبة للفلاحة المغربية التي شهدت تغلغلاً للاقتصاد الرأسمالي بشكل تدريجي خلاصة جمع دخول الاستعمار الأوربي في بداية القرن العشرين، حيث عرفت بنيات التشغيل الفلاحي التقليدية تحولات جذرية ظلت امتداداتها تتفاعل مع مرور الزمن إلى أن أصبحنا في الفترة الراهنة إزاء واقع معقد ومتداخل في مجال التشغيل الفلاحي، مما يطرح جملة من الصعوبات أمام كل محاولة تهدف إلى قياس وضبط معايير هذا التشغيل قصد تحديد طبيعته وأصنافه، ومرد هذه الصعوبات لأسباب متعددة نذكر منها بوجه خاص :

1. التناقض في الأرقام التي تدلي بها الإحصاءات والاستطلاعات الرسمية حول موضوع التشغيل بالفلاحة والأرياف عموماً، بالإضافة إلى كون هذه الإحصاءات تقتصر على العمال في القطاع الفلاحي الرسمي وشبه الرسمي متجاهلة الحيازات الفلاحية الخاصة. كما أن إجراء الإحصاءات العامة للسكان بالمغرب، بعد الاستقلال، أثناء الفترة الممتدة ما بين بداية فصل الصيف وبداية فصل الخريف، وهي الفترة التي يعرف خلالها النشاط الفلاحي فتوراً كبيراً يعرض العديد من سكان الأرياف إما للبطالة وإما لنقص التشغيل، مما يدفع بعضهم إلى البحث عن منشآت خارج القطاع الفلاحي للأشغال بها إلى حين انتعاش النشاط الفلاحي، وهذه الحالة تجعل نتائج الإحصاء العام للسكان والمتعلقة بالتشغيل الفلاحي مجرد نتائج تقريبية.

2. اعتماد معايير مستوردة في ميدان الإحصاء حيث لا يعتبر عمل المرأة والطفل غير المدرس في القطاع الفلاحي، علماً بأن هذا القطاع بالمغرب يشغل نسبة هامة من العنصرين المذكورين، كما أن المعايير المستعملة من طرف المكتب الدولي للشغل في إحصاء الساكنة وأنشطتها تظهر غير مجدية بالنسبة للتشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التابعة، إذ تترك مجالاً كبيراً للخطأ في معطيات التشغيل خاصة على المستوى الفلاحي، لا سيما وأن هذه المعايير لا تعتبر جزءاً كبيراً من الساكنة الريفية التي تملك قطعاً أرضية مجهزة لا يكفي استغلالها لسد حاجياتها مما يدفع بهذه الفئة إلى بيع قوة عملها إما على شكل خماس أو رباع أو عالم موسمي الخ... حيث تدخل هذه الفئة في عداد الكادحين.

3. إن قوة العمل في الأرياف المغربية ليست دائماً بضاعة، أي أننا لا نجد دائماً عاملاً يكافئ بالأجرة، وأبرز مثال في هذا الصدد هو القوى العاملة العائلية التي لا تتقاضى أجراً، ونصادفها بنسب عالية خاصة عند الحيازات الفلاحية الصغرى. ولعل نفس الفكرة يتضمنها قول بول باسكون بأن التشغيل عند المجتمعات ما قبل الصناعية، كما هو الشأن بالنسبة لحالة المغرب، لا ينبغي أن يقاس

طريق الاختفاء، حيث لعب الانتشار المتنامي للعمل المأجور والمكننة الزراعية دوراً حاسماً في ذلك.

وهكذا فإن اندماج البادية المغربية في دواليب غط الإنتاج الرأسمالي قد أدى إلى إحداث تحولات عميقة في العلاقات الاجتماعية للإنتاج والتوزيع ضمن النشاط الفلاحي، ومن أبرز تجلياتها: فصل الرأسمال عن العمل وتعويض العمل الحمي (العمل البشري) بالعمل الميت (المكننة) و"تحرير" القوى العاملة الشريكة دون الحرص على إعادة إدماجها اقتصادياً واجتماعياً مما زاد من تأزم وضعية التشغيل بالفلاحة والبوادي المغربية عموماً، الأمر الذي يستلزم إيجاد حلول ناجعة تشمل عدة جوانب لها صلة بتطوير هياكل ونظم الإنتاج الفلاحية وبالتنمية الشمولية للأرياف المغربية.

المختار الأمحل، انتشار المكننة الزراعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية، مثال من بلاد زمور: جماعة أيت ميمون. د.د.ع. في جغرافيا الأرياف - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1987.

J. Ibarrola et N. Pasquerelli, *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981. p. 413; J. Freyssinet, *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in Colloque: *Travail et Société*, Faculté de Droit de Fès, 1984, pp. 171 - 207; P. Pascon, *La main-d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel*, B.E.S.M., 1978, pp. 81 - 127; N. Lamrani, *Proletarianisation de la paysannerie marocaine, évolution et forme*, Thèse de 3ème cycle en Economie, Université de Grenoble 1980.

المختار الأمحل

**تشلة**، بئر بمنطقة تيرس الغربية جنوب شرقي مدينة الداخلة بإقليم وادي الذهب. وهو موقع لا يبعد عن الحدود المغربية الموريتانية إلا بحوالي 30 كلم. يأخذ موقع البئر شكل منخفض محله معروف تسلكه أفراك مربي الإبل والأغنام خلال مجعاتها الموسمية. ولا يمكن اعتبار ملوحة الماء بهذا البئر عاملاً يقلل من أهميته. بل بالعكس من ذلك يتميز منخفض هذا البئر بأنه من الأماكن التي كانت ولا تزال تتميز بمكانة واضحة تتوسط نقط الانتجاع الصالحة لتربية الإبل بهذه المنطقة. فعلى مسافات متفاوتة حول نقط المراعي الصالحة للرعي لا يوجد اختلاف بين مربي الإبل بتيرس الغربية حول أهمية بئر منخفض تشلة. بل إن ملوحة مائة تعد من العوامل التي تجعل الإبل تفضله.

من ناحية أخرى نسجل بأن أولى خطوات تحليل نظام التحالفات القبلي تبدأ بقياس مدى قدرة الفصائل المحلية على مراقبة المجال. هنا يساعدنا قياس المسافة المستقيمة بين أهم أفراك تيرس الغربية على تأكيد دور بئر منخفض تشلة خلال القرن الثالث عشر (19م) على الأقل، ذلك أن النمط الترحالي المتباعد نسبياً بين الأفراك يعد ناجماً عن توزيع منتظم يرسم صيغة نظام العلاقات المجالية.

كان أولاد دليم بين اتحاديات ذوي حسان المعقلين الذين هيمنوا على الغور السكاني الصنهاجي قبل ثلاثة قرون بهذه المنطقة بالذات. إلا أن أي تغيير كبير لم يحصل في طريقة حياة ومعيشة رُحل هذه المنطقة. فالترحال وتربية

بالزمن (اليوم) ولكن بما يحصل عليه الفرد مقابل تشغيله: مردودية، أجر، قضاء مصالح معينة، تضامن، سلطة، سمعة، تحقيق رغبة معينة كالغذائية أو اللباس الخ...

- خضوع التشغيل في الميدان الفلاحي إلى تقسيم حسب الجنس والعمر والمؤهلات الذاتية للفرد وأحياناً المراتب الاجتماعية والدينية.

- عدم استقرار اليد العاملة الفلاحية سواء من حيث الأنشطة التي تقوم بها أو من حيث مكان العمل، هذا النوع من اليد العاملة غير المستقرة لا يخضع للإحصاء سواء بالنسبة للمؤقتين أو الموسمين.

- التباين في توزيع الدخل عند اليد العاملة الفلاحية والتباين في عدد ساعات العمل على الصعيدين المحلي والجهوي.

كل ذلك يجعل موضوع التشغيل الفلاحي بالمغرب موضوعاً ذا حساسية بالغة تستدعي كثيراً من التوازن والدقة في اختيار معايير قياسه وتصنيفه تراعى فيها جميع أنواع هذا التشغيل وطرق مكافأته حسب الخصوصيات المحلية والجهوية.

وقد حاولت بعض الدراسات والأبحاث حول الأرياف المغربية خاصة في علوم الاقتصاد والجغرافيا والاجتماع أن تقارب اشكالية التشغيل الفلاحي، وفي هذا الإطار، ويتلخص كبير، ميزت بعض الأبحاث على الصعيد الوطني بين فئتين من الشغيلة الفلاحية: فئة الكادحين الفلاحيين وفئة المأجورين الفلاحيين.

أ - الكادحون الفلاحيون: تضم هذه الفئة المنتجين الذين لا توجد بحوزتهم إلا قطع أرضية مجهرية لا يكفي استغلالها لتلبية حاجياتهم الأساسية، مما يضطرهم للعمل كمأجورين قصد الحصول على دخل تكميلي؛ ثم أيضاً كل الأفراد الذين يحصلون على مكافأتهم عينا ولا يتوفرون إلا على قوة عملهم مثل الخماس والرباع والراعي... وإلى هذه الفئة يمكن أن نضيف كذلك اليد العاملة العائلية التي تشغل داخل الحيازة الفلاحية العائلية دون أن تتقاضى أي مكافأة.

ب - المأجورون الفلاحيون: تضم هذه الفئة كل الذين يشتغلون في إطار الأنشطة الفلاحية والذين يشكل الأجر بالنسبة إليهم دخلاً رئيسياً مثل العامل الفلاحي الدائم والمؤقت والموسمي والمياوم وكذلك المأجورين في الإدارة والخدمات الفلاحية.

كما أبرزت بعض الأبحاث على الصعيد المحلي هيمنة العمل العائلي على بنية التشغيل الفلاحي في جميع مراحل (حراث، صيانة، حصاد...) مع تركيز هذا العمل عند الحيازات الفلاحية التي لا تتعدى مساحتها عشر هكتارات، أما العمل المأجور الذي يتكون أساساً من العمل الموسمي فإنه يتركز في الحيازات الكبيرة خاصة تلك التي تفوق مساحتها خمسين هكتاراً، في حين تبين بأن العمل الشريك والمتجلي خصوصاً في نظام "الخماسة" يسير في



الإبل تتميز بتوسط حجم وينسب المساحات المستعملة خلال كل نجمة. وإذا ارتقينا درجة أخرى في سلم الدراسات الميدانية وجدنا منخفض بئر تشلة قطباً متميزاً من بين المراعي المحيطة به من حيث حجمه واستقطابه لأكبر عدد من أفراغ أولاد دليم وغيرهم من القبائل الحسانية أو الصنهاجية الأخرى. لذلك فإنه لا يمكننا إلا أن نلاحظ بوضوح دور الرواية المحلية في تأكيد العلاقة الوظيفية المتبادلة بين بئر منخفض تشلة ومحيطها الذي يأخذ شكل جبل ذي حركة كثيفة ومستمرة للأفراغ والقوافل من خلال شبكة المسالك.

لقد ازدادت أطوال هذه المسالك وارتقت في درجاتها واتسعت إلى أن قرر الحضور الإسباني حفر بئر إضافية اتضح أن ماءها عذب صالح للشرب. يحدد أحمد الأمين الشنقيطي موقع تشلة في أنه "جبل عظيم أسود وبه بئر كثير الماء" أما المختار بن حامدون فإنه يكتفي بذكره من بين أشهر مواضع تيرس زمور. امحمد بن أحمد يوره الديباني لم يتطرق إلى هذا البئر في مولفه حول الآبار.

أحمد الأمين الشنقيطي، الوسيط، 1958، 442 : المختار ولد حامد، حياة موريتانيا، 1994، 227 : دراسة ميدانية.

مصطفى ناعمي

**تَشْلِحِيَّتْ** أو تاشلحيت، لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية (أنظر مادة أمازيغية، معلمة المغرب، ج 2). تستعمل هذه اللهجة للتواصل اليومي في رقعة جغرافية تمتد تقريباً بين الصويرة وتنانيت في الأطلس الكبير شمالاً، وبين الصويرة ووادي نون غرباً، وطوال مجرى وادي درعة جنوباً، وبين ورزازات وتنانيت شرقاً. وتسمى أحياناً هذه الرقعة بسوس بمعناه الواسع.

النحو : عموماً، يطابق نحو تَشْلِحِيَّتْ البنيات العامة للأمازيغية المشتركة، بل وتعتبر هذه اللهجة أكثر اللهجات محافظة على اللغة الأمازيغية الأصلية وأقلها تأثراً باللغات الوافدة على المغرب. فالنظام الصوتي مثلاً يتميز فيها بالخصوص بكثافة الصوامت المقفلة عكس ما هو موجود في اللهجات الأخرى. ويتكون هذا النظام من الوحدات (الصامتية) الآتية. ب، ف، م؛ ت، د، ن؛ س، ز؛ ل، ر؛ ش، ج؛ ك، گ؛ خ، غ؛ ق؛ ح، ع؛ هـ، إضافة إلى الصوامت المفخمة : ط، ض، ص، ز، ج، و الصوامت المشددة. أما الصوامت فهي أ، و، ي. ويخضع النظام الصامت لبعث التغييرات المحلية أهمها تحويل الصوامت المقفلة المرخية إلى الصوامت الاحتكاكية التي تقابلها ومنها د ← ز، ت ← س، د ← ذ، ويقع هذا التحويل في بعض أجزاء مجموعات الأطلس الصغير، وهناك تحويل من نفس الصنف يهيم المقفلات الأخرى : ب ← پ، ك ← گ، گ ← ك، و يحدث هذا في لهجات الأطلس الكبير وخاصة في قبيلة حاحا.

مما يسترعى الانتباه أن لهجة تَشْلِحِيَّتْ تتوفر علي

معجم تكاد ينفرد به ومنه معجم الأسماء العديدة : 10.1 : يان، سين، كراض، كوز، سموس، سضيس سا، تام، تزا، مراو؛ 11.19 : الوحدات + منراو؛ 20 : تيممضي؛ 100 = إفض. وقد احتفظت تاشلحيت كذلك ببعض أسماء القرابة وهي منقرضة في اللهجات الأخرى، مثل تيمما (الجد من الأم) و تابتّي (الجدّة من الأب) ممّا يوحي أن التسمية الأصلية للأب هي تي.

يحتوي الأدب الشلحي على شقين هما الأدب الشفهي والأدب المكتوب. ويتضمن الأدب الشفهي أجناساً شعرية وأخرى نثرية. أما الأجناس الشعرية فهي مختلفة وغنية من حيث جمالياتها ومضمونها، أهمها تانضامت وهي عبارة عن مبارزة شعرية بين إنضامن؛ وأمارگ وهو الشعر المغنّي من قبل مغنين محترفين (الرايس وتاراكست)، وهناك أشكال شعرية أخرى مثل تاسوغانت وهو شعر يغنى بمناسبة الأعراس، وتازرارت وهو الغناء الفردي (أنظر مادة أمارگ في معلمة المغرب، ج. 2). يعتبر سيدي حمّو الطالب من أشهر شعراء تاشلحيت (انظر أمير، 1987).

أما الأجناس النثرية فهي متنوعة منها الحكاية والأسطورة والأمثال والألغاز وتندرج هذه الأجناس ضمن التقليد الشفوي أو ما يصطلح عليه الأدب الشعبي. أما الأدب المكتوب بلهجة تاشلحيت فتعود أولى مؤلفاته إلى القرن السادس عشر والسابع عشر وهي مخطوطات أزيانگ وأوزال وكلها من الأدبيات الدينية مستنسخة بالحرف العربي. وقد ظهرت منذ منتصف السبعينات إبداعات أغلبها من الإنتاج الشعري منه ما يتسم بالمواسفات التقليدية في الأدب الأمازيغي شكلاً ومضموناً ومنه ما يحاول توظيف أساليب بلاغية ورموز لم تكن معهودة في الشعر الأمازيغي التقليدي، كما يحاول تناول موضوعات اجتماعية وثقافية مغايرة لما هو مألوف وقد استلهمت من التحولات التي يعيشها المجتمع الأمازيغي خاصة والمجتمع المغربي عامة من تطلعات إلى مستقبل أفضل من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ع. أ. مريس، الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو، الدار البيضاء، 1986 : الصافي المومني، أوسان صمّيدنين، الدار البيضاء، 1983 : م. مستاوي، إسكراف الدار البيضاء، 1976 : أسايس، الرباط، 1988 : صدقي أزيانكو، تيميتار، الرباط، 1989 : ج. المجاهد، أمارگ، معلمة المغرب، ج 2، ص 667. 673، 1989 : أ. عصيد، هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب، آفاق 1، ص 135. 139، 1992.

A. Akouaou, *L'expression de la qualité en berbère*, Thèse de 3ème cycle, EPHF IVème section, Paris, 1976 ; J.R. Applegate, *An outline of the structure of Shilha*, New-York, 1958 ; L. Bary, *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*, Faculté des Lettres, Rabat, 1983 ; H. Basset, *Essai sur la littérature des berbères*, Alger, 1920 ; A. Bounfour, *Linguistique et littérature*, Thèse de doctorat, Université Paris III, 1985 ; A. Boukous, *Langage et culture populaire au Maroc*, Casablanca, 1977 ; *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Thèse de doctorat, Université Paris VIII, 1987 ; Ch. Derkaoui, *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhitte*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris V, 1986 ; M. Elmedlaoui, *Segments et syllabation dans le parler tachelhitte d'Imedlawen*, Thèse de

3ème cycle, Univ. de Paris VIII, 1985 : *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*. Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1992 ; E. El Moujahid, *La classe du nom dans un parler de la langue tamazighte*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris V ; *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1993 ; L. Galand, *Etat et procès : Les verbes de qualité en berbère*, *Hesp.*, p. 245- 251, 1955 ; P. Galand Permet, *Recueil de poèmes chleuhs*, Paris, 1972 ; H. Jouad, *Les éléments de versification en berbère marocain, tamazighte et tachelhite*, Thèse de 3ème cycle, Univ. de Paris III, 1983 ; E. Laoust, *Contes berbères du Maroc*, Paris, 1949.

أحمد بوكوس

**تَشْمُسُ**، كتبها المصادر العربية بصيغ مختلفة، فعند البكري (المغرب، 114) وهو أول المصادر التي أشارت إليها تشومش" وعند الإدريسي (نزهة المشتاق، 5 : 529) "تشمش" و"تشمس"، وعند صاحب (الاستبصار، 140. 189) "تَشْمُسُ". لا يعرف عن أصل الاسم وإن كان الاحتمال أن يكون من أصل فينيقي نقل إلى العربية، فكثير من أسماء الأماكن على الساحل الأطلنطي فينيقية الأصل منها موقع ليكسوس ورأس Soloeis وغيرها... (Le Maroc chez les auteurs anciens). المثالان المقدمان قد تكون لهما علاقة بموضوعنا.

ذكر البكري أنها "... مدينة ميمون بن القاسم، وهي مدينة أولية عليها سور صخر كبير أهلة..." (المغرب، 114). إن مدينة تشمس قد جدها الرجل الذي نسبت إليه لعله من الأدارسة، فهم الذين ملكوا المنطقة وأسسوا بها كثيراً من المدن والحصون ووجدوا أخرى، منها عاصمتهم بعد فاس وهي مدينة البصرة. نقل صاحب الاستبصار عن البكري فقال: "حصن كبير قديم يسمى تشمس فهو إلى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر... منه تشحن المراكب". كانت محطة لا بد منها للمراكب التي تسير بمحاذاة الساحل وحصناً يراقب الدخول والخروج عبر وادي اللكوس فهي تقع على ضفته اليمنى.

عرفت تشمس فترات من الازدهار والتدهور، لكن دورها الاقتصادي (الفلاحة - الصيد البحري - الغابة والصيد البري...) قد تقلص بعد العهد الموحد و خاصة بعد فترة المنصور الذي اهتم اهتماماً خاصاً بهذه المنطقة (الاستبصار، 189. 190)، فقدت المدينة - الحصن أهميتها نتيجة للصراع الطويل الذي صاحب فترة التدهور الموحد، بين المرينيين والموحدين وبين المرينيين والقبائل العربية. وتوالت على المنطقة الحروب، فانعدم الأمن بعد فترة الهدوء القصيرة التي تتفق والعهد المريني الأول، لتصبح المنطقة مهددة أكثر أواخر العهد المريني والوطاسي، إذ أصبحت المدينتان (تشمس والعرائش) هدفاً للغارات الإيبيرية. يقول الناصري في (الاستقصا، 3، 31) : "لما كان المحرم من سنة 668 / 1268 هـ هجم النصارى على مدينة العرائش وتشمس من ثغور العدو المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها ناراً ورجعوا عودهم على بدئهم". وليس من قبيل الصدفة أن يكون هذا الهجوم في نفس السنة التي سقطت فيها مدينة مراكش بأيدي

المرينيين، ونهاية الدولة الموحدية. لم يذكر الحسن الوزان المعروف بتدقيقه للمواقع وجرده للتجمعات السكنية موقعا أو مدينة باسم تشمس، وغير بعيد عنه زنيا نجد أحد البحارين الأروبيين (فالنتان فرنانديز Valentin Fernandes) يصف الساحل المغربي من سبتة إلى السينغال (1507. 1506 / 915. 914) (Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal, 20 - 30) لاحظ هذا البحار أثناء مروره بالمنطقة في التاريخ المشار إليه وجود العرائش، ومقابلها على الضفة اليمنى لوادي لكوس حصناً صغيراً، قد يعني هذا أن حصن تشمس أعيد بناؤه بعد الهجوم الذي أشرنا إليه، ولكنه اندثر بعد ذلك فلم يجد الحسن الوزان أثراً له، وقد يكون عده من العرائش خاصة وأنه ذكر النشاط البحري واستغلال الغابة حيث كان الفحم يصدر بحراً من العرائش إلى أصيلا. وكانت ضفاف نهر لكوس مغطاة بغابات كثيفة يعيش فيها الكثير من الأسود والحيوانات المفترسة الأخرى (وصف إفريقيا، 1 : 233. 234) فكثرة الحيوانات المفترسة تعني أن المنطقة شبه فارغة من السكان، وهذا ما وقع بالفعل بعد تعدد الغارات المسيحية على المنطقة، وقد أكد الوزان ذلك بقوله : "... كانت العرائش كثيرة السكان لكن بعد ما سقطت هاتان المدينتان (العرائش وأصيلا) في أيدي النصارى غدت العرائش مهجورة..." فلربما كان اندثار تشمس مرتبطاً بهذا السياق. وذكر روجي R. Roget وهو يتتبع المواقع البحرية ما بين سلا وأصيلا موقعا باسم تَشْمُس (Le Maroc chez les auteurs anciens, 40) فهل هو موقع تشمس القديمة أم أن الاسماء تنتقل عبر التاريخ لتطلق على مواقع أخرى ؟ للحسم في الموضوع لا بد من تدخل علم الآثار.

أ. البكري، المغرب : ش. الإدريسي، نزهة المشتاق ؛ مراكشي مجهول، الاستبصار ؛ ع. الحميري، الروض المعطار ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا.

P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*.

محمد حجاج الطويل

\* \* تذكر الخرائط الأوربية للقرنين الثامن والتاسع (14. 15 م) مدينة تشمس. وتقول المصادر البرتغالية إن معاهدة الهدنة المبرمة بين ملك البرتغال جواو الثاني وسليمان فاس مولاي محمد الشيخ الوطاسي يوم 30 رمضان 894 / 27 غشت 1489 وقعت بمدينة تشمس.

والجدير بالذكر أن جميع المصادر العربية القديمة مثل البكري وابن سعيد المغربي والاستبصار كتبت اسم هذه المدينة هكذا : تشمس، باستثناء الشريف الإدريسي الذي كتبه هكذا : تشمش، في حين نجده في الخرائط الأوربية المذكورة مكتوباً بالأحرف اللاتينية هكذا : Tuximuxi, Tusimus, Tussimussi وهذا ما يدل على أن اسم المدينة كان يبدأ بالتاء، ولعل أقدم مصدر جاء فيه

اسمها بدون تاء هو كتاب *Esmeraldo de Situ Orbis* للبحار البرتغالي دوارطي باشييكو بيريرا (Duarte Pacheco Pereira) الذي ألفه سنة 1508 ولم ينشر إلا سنة 1822.

البكري، المسالك، 114 : الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، 108 : مجهول، الاستبصار، 140، 189.

Vernet, *Geografía de Ibn Saïd al-Magribi*, Traducción español, Tetuan 1953, p. 254 ; *Portulanos de los siglos XIV y XV*; Duarte Pacheco Pereira, *De situ orbis*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَشَوَكْتُ**، فرقة من قبيلة بني سعيد الريفية، لعبت دوراً مهماً في المقاومة. ولا تتكون في الوقت الحاضر سوى من اثني عشر مدشراً، تشرف أراضيها الشمالية المرتفعة (330 م) على ساحل البحر المتوسط بين واد إسْمُر في الشرق الذي يفصلها عن فرقة أمجَاو وبين واد بويبَاخن، الفاصل بينها وبين فرقة أولاد عبد الدايم في الغرب. ويخترق تلك المساحة واد عبدونة، المجري الرئيسي بفرقة تَشَوَكْتُ. وللفرقة أراض في السهل الضيق الواقع بين السفوح الغربية لجبل "ماورزو" وواد نُواري (واد الدوم)، بجوار أراضي أيت تَمَايْتُ. ومن ذلك جاء تقسيم تجمعاتها السكانية إلى أهل الجبل وأهل الوطا (العزائب).

وتجمعات القسم الجبلي قديمة، كانت مندرجة ضمن ربع أمجَاو قبل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وأول تصريح لدينا عن انفصالها من الوجهة الإدارية يعود إلى ما يفهم من مطلب الفوز والفلاح لعيسى البطوئي، وما أكدته وثيقة أواسط شعبان 1309، حين جعلت منها فرقة مكونة من خمس جماعات :

عبدونة الواقعة بجوار منابع الواد الذي يحمل اسم الجماعة، تعرف منها خلال عهد الحسن الأول الحاج بوزيان ابن علي العبدوني التشوكتي، أمين أمجَاو وتشوكت وبركّانة وأولاد الفقيه بين 1301 و1306، ثم قائد بني سعيد بين التاريخ الأخير وما بعد 1315. ومن هذه الجماعة أيضا ابن عمه محمد بن قدور العبدوني قاضي بني سعيد (6 رجب 1305).

- أولاد حساين، (الحسين) مواطنها موزعة على الجانب الأيسر من حوض واد عبدونة الأوسط، على ظهر تشوكت. نعرف منهم خال عيسى بن محمد السعيد (البطوئي)، صاحب مطلب الفوز والفلاح، المدعو أحمد بن موسى بن يحيى التّمروني البوحساني من أحياء عام 1040 / 1630، ومحمد بن أحمد التّمروني البوحساني، وهما طلبية المركز التعليمي الصوفي ببني سعيد تيزي عَدْنِيْتُ (انظر بالمعلمة : تيزي عدنيت، وح. الفكيكي : عيسى البطوئي. دعوة الحق، 256 / 118). ولا يزال مدشر أيت قمر معدودا ضمن قائمة مداشر الجماعة.

- تَرَسْتُ، نسبة إلى نوع التربة السائدة هناك المعروفة لدينا بنفس الاسم (الترس). مساكن الجماعة على الجانب الأيمن الذي يجري فيه واد عبدونة.

- وهناك جماعتان لا تظهران اليوم بالتقسيم الإداري أو بالخرائط البشرية، هما أولاد علي وجماعة الكعدة، التي نرجح أنها ما يدعى اليوم بتاوريرت تَزَوَعْتُ (الكدية الحمراء).

وهناك التجمعات السكانية الحديثة التي تكونت منذ أواخر القرن الماضي وبداية الحالي، بالأراضي السهلية التابعة للفرقة. ونعني بها مجال العزائب، الخاص قبيل ذلك الوقت للمجال الفلاحي والرعي الموسمين، بفضل ما توفره التساقطات ومجاري الأودية المنحدرة من مرتفعات فرقة أولاد عبد الدايم : واد عبدونة، ورافده واد إسْگارُ أُنْشِيْفُ، الذي تكون حوله عزيب بُودِيَارُ، وواد أغبال وواد لَعْرِي نُواري (الدوم)، رافدا واد البعّاج، حيث يوجد مدشر سَعْدَان. وهناك عزائب أخرى موزعة على القسم الشرقي من الكعدة الحمراء، المشار إليها باسم تاوريرت تَزَوَعْتُ، مما يلي الحوض الأوسط من واد البعّاج.

اندرجت فرقة تشوكت منذ بداية عهد الحسن الأول ضمن قيادة بني سعيد تحت نظر قائد القبيلة محمد أقشيش السعيد، ودخلت في دائرة النزاعات الطائفية الواقعة بين مختلف الفرق والجماعات على الاستقلال الإداري والتسابق إلى أخذ زمام السلطة، وذلك ما بين 1298 و1301. وخلال هذه المدة برز أحد أعيان الفرقة المعروف لدينا وهو الحاج بوزيان بن علي التشوكتي المشار إليه سابقاً، مما أدى بالحسن الأول إلى إسناد قيادة تشوكت، إلى جانب أمجَاو وبركّانة وأولاد الفقيه، لرئيس إدالة قلعية المدعو مبارك بن علي الدويلالي، حسب تعيين 6 رمضان 1301، وبقي بنفس الصفة إلى 1306، مما حث أمين الفرقة الحاج بوزيان على انتزاع القيادة لصالحه ليبقى بها إلى بعد 13 صفر 1315.

وكانت فرقة تشوكت من ضمن المقاومين لحركة الروكي بوحمارة بشهادة معاصر الأحداث المسن (110 سنة عام 1975) الحاج محمد باتو التشوكتي، ومن المنضوين لحركة المجاهد الشريف محمد أمزيان، أثناء تمرّكه بسوق جمعة أمجَاو بعد تراجعه عن قلعية.

وحسب إحصاء سكان الفرقة خلال الربع الأول من القرن العشرين، وقبل سنة 1936 كان عدد دور فرقة تشوكت مائة وواحدا وخمسين كانونا أي ما يعادل سبعمائة وخمسة وخمسين ساكناً، بمعدل خمسة أفراد لكل كانون أو دار.

عيسى البطوئي، مطلب الفوز والفلاح، مخطوط : وثائق خ. ح. بالرباط : ح. الفكيكي، عيسى البطوئي، دعوة الحق، 256 : ضابط الأمور الوطنية، 97 : خريطة طبوغرافية 1921 و1935 : رواية شفوية، 1975.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 1 : 136 ; Comision Historica de las Campañas de Marruecos. *Geografía de Marruecos*, 2 : 224.

حسن الفكيكي

**تَشَوَكْتُ** أو تَشَوَكْتُ، مرتفع جبلي يقع في سلسلة الأطلس المتوسط في قسمة الشرقي، يقدر ارتفاعه بحوالي 2.796 م يتخذ شكلا طويلا ذا اتجاه شمالي شرقي وجنوبي

غربي (متمشيا مع الاتجاه الأطلسي العام). ويتركز بالخصوص في محور يشمل مجموعة من المحديات الملتوية والمنكسرة أحيانا، وتبدأ من الشمال الشرقي بجبل واعريت، ثم جبل لحمر، وتشوكت وجبل هيو...، الجبل عبارة عن طية ملتوية ومنكسرة في جهتها الغربية بفعل الحداث التكتونية شمال أطلسي، حيث بروز طبقات الترياس (الزمن الثاني)، والتي تعلوها طبقات جيوية جوراسية، عرف هذا الجبل، شأنه شأن المرتفعات الأخرى، بقايا ومخلفات التعرية الجليدية الرباعية مثل الحليات والجرفات والأحواض هذه الأشكال مورثة عن الفترات القاسية والباردة التي عرفها الزمن الرابع المغربي.

إن الحوادث التكتونية التي عرفها هذا المرتفع انعكست على وضعه التضاريسي والطبوغرافي، حيث الأعراف والقسم الحادة، والسفوح الوعرة. يفصل هذا الجبل بين منخفضين هامين هما، منخفض المرسى من الناحية الجنوبية الشرقية، ومنخفض سكرة من الناحية الشمالية الغربية. ونظراً لعامل الارتفاع فإنه يعرف تساقطات ثلجية طيلة فصل الشتاء، الغطاء النباتي يتميز بالتدرج : فالى حدود 1.600 متر تنتشر غابات البلوط الأخضر، وما فوق ذلك غابات الأرز.

J. Martin [et al...], *Géographie du Maroc*, Paris 1964, p. 118; I. Zeryouhi, *Le Moyen Atlas Plissé, ressources en eau du Maroc*, Tome 3, N.M.D.G., n° 231, Rabat 1977, pp. 68 et 70 ; A. El Gharbaoui, *La Grande encyclopédie du Maroc, Géographie Physique, (G.E.I)*, Italie, 1987, p. 171.

محمد أزهار

**التشوكتي**، بوزيان (الحاج) بن علي، من جماعة عبيدونة المندرجة بربع تشوكت، أحد تقسيمات قبيلة بني سعيد الريفية. دخل السلك المخزني ابتداء من عام 1297 / 1880 (29 جمادى الأولى 1297) بصفته أمين رعي أمجاو وتشوكت، إثر انتزاع الأخيرين من قيادة محمد أقشيش السعيد، أول قواد الحسن الأول على قبيلة بني سعيد، وإسنادهما إلى القائد محمد أمقشد المقيم آنذاك بتطوان. وتبعاً لغياب محمد أمقشد عن أمجاو وتشوكت أصبح الحاج بوزيان مكلفاً أيضاً بالنباية عنه في تسيير شؤون أجزاء القيادة الجديدة، علاوة على مهمة الأمانة. بتتبع المراسلات التي بين أيدينا يتبين أن التشوكتي لم يذخر أي جهد للتوصل إلى منصب القيادة، وكان عليه قبل ذلك إبعاد منافسه محمد أقشيش والقضاء على جماعة زكزاوة المعارضة له.

استغل الأمين التشوكتي الحاج بوزيان في بداية الأمر الخلاف القائم بين محمد أقشيش وجماعتي أولاد الفقيه وبركانة بسبب الجباية، فقبل التجاء أهل الجماعتين إليه، وتولى الدفاع عنهما إلى أن أصدر الحسن الأول قرار فصلهما عن قيادة أقشيش (28 جمادى الأولى 1299)، وسعيًا وراء نفس الغاية، تدخل أيضاً لإخراج أيت قمايت من نفوذ محمد أقشيش لتتحول إلى محمد بن عبد الصادق اليفي (10 ربيع الأول 1302). وكاد أن يصيب نفس الهدف

فيما يخص ربع أولاد عبد الدايم.

استمر الحاج بوزيان التشوكتي أميناً على رعي تشوكت وأمجاو إثر تعيين مبارك بن الطاهر الدويلالي قائداً على الربيعين، مكان محمد أمقشد (6 رمضان 1301)، ولكن الأمر لم يختلف بالنسبة إليه، إذ تابع دوره كخليفة للقائد الجديد الذي كان بالأساس قائد الإدالة بقلعية، مما أتاح الفرصة للحاج بوزيان للتمادي في خطته لإقصاء محمد أقشيش بتتبع عوراته والإخبار بها لدى السلطة المركزية. ويظهر أنه كان قد توصل إلى غايته، حيث أقام بفاس ثلاثة أشهر (شعبان، رمضان، شوال 1305) منتظراً الحصول على تعيينه الجديد، سيما إثر وفاة قائد إدالة قلعية السابق الذكر.

وعلى الرغم من اختفاء الأخبار عن تفاصيل الأحداث، إلا أننا تأكدنا بعد ذلك من توصل التشوكتي بتعيينه قائداً على قبيلة بني سعيد كلها ماعدا أيت قمايت، بينما أصبح محمد أقشيش بموازاته أميناً للقبيلة (3 ربيع الثاني 1306). وبذلك تكون إطار حكمه من " أمجاو وتشوكت وأزعومة وبني عبد الدايم، وهذه أرباع القبيلة، ثم جماعتي بركانة وأولاد الفقيه.

فتح الحاج بوزيان التشوكتي باب النزاع، بمجرد تسلمه مقاليد القيادة، تجاه جماعة زكزاوة الموالية لمحمد أقشيش. وقد وجد العلة فيما كانت الجماعة تدعيه من الشرف، وإصرارها على عدم أداء التكاليف المخزنية. وكانت حجة زكزاوة أنهم من ذرية سيدي عمر بن أحمد الراسي السعدي الإدريسي، دفين تيزي عدنيت (انظر مادة تيزي عدنيت بالمعلمة).

صم الحاج بوزيان التشوكتي على إنكار انتماء جماعة زكزاوة للشرف الذي يدعونه، بحجة أنهم كانوا قبيل قيادة محمد أقشيش داخلين في النظام الجبائي وأن القائد الأخير هو الذي أخرجهم منه. وتبرز كثير من المراسلات هذا النزاع والأخذ والرد فيه، إذ أن قائد بني سعيد وجد أمامه قاضين زكزاويين لهما مكانتهما بالقبيلة هما : أحمد بن زرو الزكزاوي، ومحمد أشلال الزكزاوي، تمكنا من الدفاع عن مكانة الجماعة التي ينتميان إليها بمراسلاتهما العديدة إلى الحسن الأول التي استغرقت ما بين 19 رمضان 1300 و9 ربيع الأول 1310. ورغم كل ذلك فإن التشوكتي تمكن في الأخير من إيجاد الأسباب التي جعلت السلطان يصدر الأمر بالقبض على متزعمي جماعة زكزاوة وإيداعهم سجن مراكش برفقة الأمين محمد أقشيش (9 ربيع الأول 1310).

والعجيب أن الأخبار عن الحاج بوزيان اختفت، ولم نعد إلى الاطلاع عن استمراره بمنصبه إلا بعد أربع سنوات خلت من عهد المولى عبد العزيز (13 صفر 1315)، حينما علمنا بإرسال خليفته محمد بن قدور السعدي على رأس وفد توجه إلى فاس لتقديم "العبادة". وقد ورد اسمه أخيراً في وثيقة تعود إلى 12 ربيع الثاني 1326، أمر فيها محمد الفضل بن محمد غريط أمين الصاير بتقديم صلة نقدية

لعمر بن علي، أخي الحاج بوزيان. ويظهر منها أنه كان لا يزال علي قيد الحياة.

وثائق خ. ح. بالرباط : وثائق أقيشيش بطنجة : زيارة ميدانية.

حسن الفكيكي

**التصحّر**، هو تحول النطاق الصحراوي إلى مجال عدواني ينزح إلى تجاوز حدوده الطبيعية أو الدفع بخصائصه، كلاً أو جزءاً، إلى التوسع على حساب المناخات المجاورة فيصيب أنظمتها البيئية عبر التحفيف وإضعاف التركيبات النباتية ومفاجمة حدة التعرية. ومن أبرز علاماته تدني إنتاجية الأراضي وانهيار المخزون المائي وما يترتب عنهما من تدهور في البنيات الاقتصادية والاجتماعية. تختلف أعراض التصحر عن مظاهر الجفاف من حيث إنها مستديمة تخلق في الأوساط التي تغزوها ظروف الاستمرار والاستفحال.

تمثل الأراضي القاحلة وشبه القاحلة أكثر من ثلث العالم، لكن كل سنة هناك مساحات إضافية تتحول إلى بوارات. يقدر هذا التدهور السنوي بالنسبة لمجموع المغرب، الجزائر، تونس وليبيا بحوالي 100.000 هكتار. ويزيد ما تفقده بلدان الساحل الإفريقي عن عشرة أضعافها.

الظاهرة مستشرية إذن على هوامش النطاق الصحراوي بالطبع، لكنها لا تستثني المناطق الأخرى التي تسجل انعكاسات زحف الجفاف، حيث تتأثر بالتصحّر النسبي وغير المباشر. ففي إفريقيا الغربية مثلاً تزحف الصحراء على السهوب، والسهوب على السباناء، والسباناء على الغابة المطيرة. كذلك الأمر في شمال إفريقيا بين الصحراء والمناطق شبه الجافة ثم شبه الرطبة والرطبة. لذا أصبح مفهوم التصحر يعني كل تراجع للمظاهر الأحيائية أياً كانت نسبته وكل تدهور لقواعدها الطبيعية، التربة والماء على الخصوص، وفي كل مكان من العالم.

أصبح التصحر في المغرب أمراً واقعاً ومعترفاً بخطورته، فرض إنشاء بعض الأدوات التنظيمية منها المشروع الوطني لمكافحة التصحر سنة 1986.

تقتضي معالجة الوضع معرفة الأسباب :

هناك من الأسباب ما هو كوني. فقد شهد المناخ الأرضي تقلبات طبيعية في الماضي، أثرت بقوة على توزيع النطاقات البيومناخية. انقسم الزمن الرابع على إثرها إلى فترات جليدية وأخرى بيجليدية همت العروض العليا، كانت انعكاساتها عندنا الزيادة أو النقصان الواضحين في كميات التساقطات المطرية. ثم حصلت ضمنها ذبذبات أقل أهمية. لكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن ما يحصل الآن له مرد طبيعي صرف، كما لا يمكن الجزم بأن العملية تخضع لدورات جفافية من فئة عشرين أو مائتي سنة أو أننا على عتبة عهد مناخي جديد.

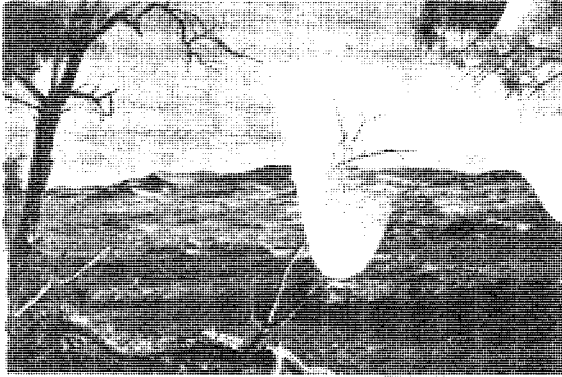
المؤكد أن يد الانسان واضحة من ضمن الأسباب، حيث إن العديد من موجات التصحر قد انطلقت من مراكز حضرية

مستنزفة للموارد الطبيعية، أو من مناقب للمياه جلبت مقادير لا تطاق من الماشية، أو بسبب الاجتثاث والرعي الجائر.

وبما أن الشق الطبيعي من الأسباب مستعصي الإصلاح، فإن المتدخلين البيئيين لا يهتمون إلا بسمولية الإنسان في الموضوع، حيث إن الرأي السائد بحق هو أن "الظاهرة الإيكولوجية للتصحّر هي مشكل بشري، يتسبب فيه البشر، ويشقى من جرائه البشر، والبشر وحدهم قادرون على تغيير مجراه".

يوجد التراب المغربي في موقع متميز، يؤهله لمراقبة مظاهر التصحر وتطورها، نظراً لامتداده الطولي من مناطق متأثرة مناخياً بالتيارات الجوية المعتدلة في الشمال إلى أراض موعلة في الصحراء جنوباً. إنها وضعية تعريض عطوية، وإن كانت جبال الأطلس المستعرضة تخفف بصفة حاسمة من تأثير الصحراء المباشر.

بصفة موازية مع الاتصال الطبيعي بين ظروف القحولة والاعتدال، هناك الالتقاء بين الحضارة الصحراوية التي كانت تدبر شؤون بيئتها بتفاعل متناغم والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية العصرية السائدة المتعددة على الوفرة في كل شيء. يبدو أن هذا الالتقاء، هنا كما هو الشأن في كل الأوضاع المماثلة عبر العالم، حصل على شكل اصطدام مناوئ للأنظمة الطبيعية، وقد كان التصحر من أهم ردود فعله.



التصحّر  
منظر من منطقة تيزنيت بجنوب المغرب

تسمح الدراسة الإقليمية للتصحّر بالمغرب بأخذ نماذج عن التصحر المباشر، وهو الذي يبتلي هوامش الصحراء ويتجلى في غزو الكثبان الرملية لأراضي الزرع والرعي. تهم الدرجة الثانية المناطق الجبلية، وهو عملية غير مباشرة، تمر عبر تعرية التربة وتحويل المجال المصاب إلى صحراء معدنية. وتوضح الدرجة الأخيرة أن المناطق ذات التوازن الظاهري ليست في مأمن من زحف التدهور وأن استراتيجية مكافحة التصحر إما أن تكون شمولية، واعية بتداخل الأسباب، وإما أن لا تكون.

1 - غزو الرمال لهوامش الصحراء أو التصحر المباشر. يهتم المناطق التي لا تتوفر على الحصانة التي يُخولها

الأطلس الكبير، وبها ثلاثة أقطاب : تافيلالت، سوس والهضاب العليا الشرقية.

1) تافيلالت، هامش صحراوي مكشوف، يستقبل أقل من 100 مم من الأمطار ومع ذلك فإنه يتمتع بحياة وحيوية من النوع الراقى، مرصوفة في شريط ضيق أخضر على طول نهري زيز وأغريس الوافدين من أعالي الأطلس الكبير شمالاً، مع إضافة بعض محاور الخطارات التي تزودها المرتفعات المتواضعة لجبل غنات المشرفة من الغرب.

كل شيء يدل على أن الحياة رهينة بالجريان الدخيل وأن ما عدها مجالات جرداء تعيث فيها الرياح. وأن مهارات البستاني الواحيين قد بلغت أقصى مدى يستعصي معه أي تطوير إضافي.

لذا لما أنشئ السد الكبير العصري على نهر زيز في مخرج الجبل، لم يكن الغرض إلا تنظيم أكثر للمتنوع المائي حتى يوافق دورات السقي عند المزارعين، وتديراً يضع الحد للفيضانات الطارئة التي كانت تخرب المحصول وتذهب بالمنشآت، وتحسينا للمردود يسد حاجيات التزايد السكاني الناتج عن ترقية الظروف الصحية.

لكن الحاصل هو أن مسار التدهور الذي كان قد بدأ من قبل، قد استمر وتعمق. وتقدمت الكتبان الرملية الصفراء صوب الشمال والشمال الغربي، تُحكّم قبضتها على الريصاني وأرفود وتينجداد، وأن الفرشات المائية في هبوط، والعيون تشح والآبار تقفل، والملوحة ترتفع.

لا يمكن أن نرجع كل الأسباب إلى مرض البيوض الذي اكتسح النخيل، وإلى تضخم الساكنة في حد ذاتها، أو حتى إلى فترات الجفاف التي تردت على المغرب. حقيقة إن المشكل في تغليب كفة الصحراء هو التحول الذي حصل في تدبير المياه من التقنين المحكم المتكيف إلى التبخير.

تكمّن المسألة الأولى في اختيار أداة تخزين المياه. لا شك في أن السدود هي الحل. لكن هناك اختيارات صعبة بين السد الضخم الوحيد، أو سلسلة السدود الصغيرة، وفي طريقة البناء، وانتقاء المواقع الأنسب.

شيد سد زيز في حوض واسع تشرف عليه أجراف من صخور الترياس المالحة. وهو بسبب كبر حجمه والموقع المكشوف الشديد الحر الذي يحتله، يعرض صفحة المياه المحجوزة لتبخير مهول. الناتج هو إتلاف كبير للمياه، وتركيز للأملاح في المتبقى منها.

وبما أن السد تام المنع، فإنه يحرم الواحات من الغرين الداكن وجزء من الأطماء التي تُعرف بها، كما أنه يحول دون تشتت الماء في الساقلة، ويكبح الفيضانات، مع العلم أن هذه "المياه الضائعة" هي في الواقع أنجح درع ضد زحف الصحراء؛ ذلك أنها تُطعم الفرشة وتملأ الآبار، ويغذي تصاعد رطوبتها الجنبات الشوكية المتقدمة التي تحجز نبقاتها التكوّات الرملية، تاركة وراءها الواحات في سلام.

أورث الاتكال على مياه السد إهمال الخطوات رغم

كونها أنسب وسائل الري في البلاد الجافة. ومع ذلك، فهذه أخطاء ظرفية لأنها تقنية يمكن تلافيها أو تداركها بعد التجربة والاهتمام الأنسب بالسدود الصغيرة، على شكل تركيبات أكثر تكيفا مع هذه الأوساط.

أخطر من هذا، التحولات التي طرأت على البنى الاجتماعية والاقتصادية وخاصة في مجال التمدين. فالتجمعات السكنية التقليدية للفلاحيين هي القصبات الترابية المسماة بالقصور. يتم إنشاؤها مباشرة خارج القطاع الزراعي المسقي حتى لا يقع أي ضياع للأراضي النافعة. تتميز بكثافات هائلة وتتوفر على مصالح جماعية هي غاية في اقتصاد الموارد وخاصة منها المياه، شأنها في ذلك شأن المدن العتيقة مع حرص أكبر وأكمل.

يبدو أن مقتضيات العصر والأمن وتوفير البنيات التحتية قد فرضت على مدينة كالرشيدية، عاصمة تافيلالت، وباقي المدن الأخرى، أن تمتلك الأحياء الإدارية والعسكرية والخدمات على النمط الحديث، وكلها مرافق مستنزفة للمياه بشره لم يسبق له مثيل في هذه البقاع.

ضرب التنافس غير المتكافئ على الماء، الواحات في العمق، وعطل ملكات الإبداع والتكيف عند الصحراويين إلى حد لا تنفع معه بعض الأساليب الترقيعية من نوع أوراش تثبيت الكتبان الرملية التي تهدد الطرق أو البحث عن نباتات جديدة تتحمل الجفاف والملوحة والرمال. وكلها تقنيات متطورة ومكلفة تسعى إلى اقتصاد قطرات قليلة من الماء في حين تُعبّ حمامات الفنادق ومضخات المنشآت السياحية الفاخرة سيول المياه بسخاء فاحش.

لم تكتف الرمال بغزو تافيلالت المعرضة مباشرة للصحراء، بل دخلت الممر الممتد إلى الغرب بين الرشيدية وورزازات. فواحات أغريس الأعلى وتودغة ودادس ودرعة في تدهور مطرد بواسطة الترميل والتملح، رغم أنها توجد تحت الحماية النسبية للأطلس الصغير الشرقي.

لكن كيف لجبال صغيرة مثل غنات وصاغرو أن تحمي غلميمة أو قلعة مگونه، في حين أن الأطلس الصغير الغربي، وهو أعلى بكثير، لم يفلح في صد غوائل التصحر على سهل سوس. مرة أخرى، يُعطل سوء التدبير البشري كل وسائل الصيانة التي توفرها الطبيعة.

2) في سهل سوس، السلوك البشري يبطل الحصانة الطبيعية.

يتمتع الإقليم بوضعية محظوظة جدا بالمقارنة مع جيرانه الشرقيين، رغم أنه يوجد في عروض صحراوية أكثر توغلا في الجنوب. فهو يتلقى تساقطات مطرية تتراوح بين 100 و300 مم بسبب انفتاحه على التيارات الجوية الآتية من المحيط، وانزوائه بين سلسلتين من الجبال، في الشمال الأطلس الكبير يقوم بدوره الأساسي في التزويد بالمياه السطحية والجوفية. وفي الجنوب يسهم الأطلس الصغير بقسط أقل من المياه، لكنه يضطلع على الخصوص بمهمة الوقاية من زحف الصحراء. توفر بنية المنخفض السوسي

مياه فرشتين رئيسيتين على الأقل. الفرشة القريبة للبلبيورباغي والفرشة الأعمق للكريطاسي والمستويات الأقدم.

سمح تصافر هذه الموارد وخبرة السوسيين التقليدية في التدبير المحكم للمجال بخلق مجال زراعي غني على ضفاف نهر سوس، يزود السوق الداخلية ويصدر إلى الخارج.

لكن السر في استمرار هذا الرخاء هو الوجود المعجز في مثل هذه العروض لغابة تقف في خط النار مع غزو الرمال، مكونه من شجر أرگان، والتي عرفت أكبر اتساع لها في غابة أدميم، جنوب الحوض النهري.

وجود الغابة هنا دليل ظاهري على توفر ظروف مناخية كافية. والواقع أن السبب الحقيقي هو أنها غابة موروثية عن فترات سابقة أكثر رطوبة. أما بقاؤها حتى الآن فيُعزى للتكيف المتواصل ولكونها أسهمت في خلق ظروف استمرارها بتزويد تربتها بالمادة العضوية والظل والحياة والاستقرار، فهي مثل الغابات الموروثة الأخرى، إذا اجتثت لا يمكن إنشاؤها من جديد. هي إذن درع واق ضد الصحراء، يمكن استعمالها كمراع للماعز والخرفان في حدود المعقول، بل ويمكن إقحام بعض الزراعات بداخلها وفي ظلها. لكن اجتثاثها جحود ينقلب ويالا على الإقليم كله.

لقد تطاولت حركة تحديث الزراعة على الغابات الجنوبية لأرگان، وتكونت على حسابها الضياع العصرية للبوكر والغلال والورود، مستعملة الوسائل الثقيلة ومستغلة المياه الغزيرة فقطعت بعض الشجر وضيقت على البعض الآخر، وبدأ المسلسل اللاراجعي للتدهور.

في بداية الأمر، تُغدق الأرض مردودية عالية نظراً لغنى الأتربة الحديثة العهد بالاجتثاث. لكن سنوات قليلة تكفي لإفقار التربة وتفكيك بنياتها، ثم تحرير الرمال التي تزحف في شكل كثبان حقيقية تهاجم ما تبقى من الغابة.

الشاهد على استمرار الاختلال الذي يغذي الكثبان هو تزايد وتيرة الزوايح الغبارية الحمراء الكثيفة التي تحرك الطمي والرمل الدقيقة. بدأت الكثبان تتعدى هوامش التفت الغابوية لتطمر مساحات متزايدة من الأتربة الحمراء النافعة وتعاكس الضياع وضواحي المدن.

هنا كذلك، يضاف إلى الفلاحة الجائرة خارج حوض النهر وعلى حساب التحصينات الغابوية لأرگان، التنافس الكبير على الموارد المائية من طرف التطور السريع للمراكز الحضرية القديمة والجديدة وعلى رأسها أكادير المترامية الأطراف والأنشطة المتنوعة الموجودة بها ومن جملتها منشآت المواصلات والأحياء السياحية التي غزت السواحل على الخصوص. انخفضت مستويات المياه الجوفية من 15 أو 20 م إلى 150 و200 م في بعض جهات السهل.

(3) الهضاب العليا للمغرب الشرقي، وجبهات التصحر المتقدمة.

لا شك أن هذا هو المغرب الخفي. هضاب يبلغ متوسط ارتفاعها الألف متر، تتعاقب عليها الحرارة والبرودة

المفرتان بفعل الارتفاع والقارية. لا تستفيد من الوقاية الأطلسية رغم وجودها شمال الأطلس الكبير الشرقي الذي تنخفض أعرافه وتنفرج إلى حد أنها تفقد أي فاعلية في الصيانة. لا تصلها الاضطرابات الجوية الممطرة الأطلسية نظرا لاعتراض كتلة الأطلس المتوسط الذي يكاد يلحم الأطلس الكبير الأوسط بسلسلة الريف.

ففي الجنوب، تتلقى فكيك أقل من 100 مم مع أنها في عرض أسفي، في حين لا تتعدى أمطار غرسييف في الشمال 200 مم إلا بقليل وهي في عرض سهل الغرب.

باستثناء الشريط الأخضر على طول واد ملوية في الغرب، وسلسلة الواحات على طول الحدود الجزائرية، تغطي السهوب الشاسعة من الحلفاء والشيوخ، مع بعض البقع المتفككة من غابات العرعر البربري والعرعر الفينيقي ويقايا استثنائية من البلوط الأخضر والصنوبر الحلبي.

إن هذا التوازن هو في الأساس توازن طبيعي هش، لكن الحفاظ عليه هو السبيل الوحيد ضد التصحر السريع والعنيف.

- توجد فكيك في أقصى الجنوب الشرقي، في قدم الأطلس الكبير الشرقي الضعيف الارتفاع والتكتل. الاستفادة قليلة من واد زوسفانة، ويكاد الاعتماد يكون كلياً على الفرشات الجوفية الموجودة في طبقات الزمن الثاني.

لكن الاستنزاف الناتج عن التوسع الحضري جعل المياه تنزح في اتجاه الجنوب صوب الحدود، مهددة بالقضاء على أهم وأبدع الواحات المغربية. الانزلاق التدريجي للواحة خاضع على ما يبدو لبنية الطبقات الجيولوجية التي تضم الفرشات النافعة.

- منخفض تامليلت، سهل داخلي ضمن الأطلس الكبير الشرقي تكتنفه أعراف صغيرة. الواحة المخبوءة وأهمية القارية وقرأ للمنطقة تغطية من السهوب والأحراج الغنية بالطراند المتنوعة ومنها الغزال، لكن القنص الجائر حول المجال، خلال سنوات قليلة، إلى أرض جرداء لا نبات فيها ولا حيوان.

- يلاحظ في باقي الهضاب، هبوط مربع للفرشات المائية، يبدو أن له علاقة بعمليات الضخ الآلي في بعض المراكز كعين بني مطهر والواحات الصناعية لجرادة.

وقد ترتب عن نضوب العديد من نقط الماء، اضطراب في مسارات ترحل الرعاة واختلال في التكاملات التقليدية بين مختلف المجالات المستغلة، زاد من حدته التقطيع الإداري الذي لم يأخذ دائماً في الاعتبار المعطيات البيئية وتقاليد الترحل والانتجاع، من ذلك خرق الأهالي لتعليمات الصيانة الضرورية على الغابة، ومنه على الخصوص الاستغلال الزراعي لأراض ضعيفة لا تتحمل أنواع الاستثمار المركزة.

نتج عن اقتلاع الحلفاء تمزيق سريع جدا للأتربة الغنية بالمادة العضوية، لكنها ضعيفة السمك ومحصورة فوق

القشرة الكلسية التي هي المعضلة الأساسية في أترية كل المغرب الشرقي. تكرار وقع الرخات المطرية القوية على الأرض العارية، يتر التربة ويكشف عن القشرات السميكة والصلبة جدا. وفي بضع سنين، تتحول المراعي الممتازة إلى مجالات معدنية ملساء أولا، سرعان ما تصير براحات تدرية تتخللها النبقات الرملية.

يتبين من ترتيب المناطق المعرضة للتصحح المباشر، الدور الحاسم الذي تلعبه القارية وأكثر منها رسم السلاسل الجبلية وارتفاعها كأدوات صيانة وتوجيه للتيارات الجوية. يبقى أن هذه الجبال ذاتها تعاني من أساليب تصحح نوعية مرتبطة بطبيعة التضاريس والانحدارات القوية.

## II - التصحح الترابي في الجبال الرطبة.

قد يبدو من الغريب أن ندخل الجبال في موضوع التصحح. والواقع أن مفهوم التصحح مفهوم نسبي وتطوري. فليس من الضروري أن تتحول منطقة إلى صحراء حتى نشير موضوع التصحح، بل يمكن إثارة هذا الموضوع بمجرد ما يبدأ التدهور بتغيير الغلاف النباتي والأحيائي عامة من الطبيعة التي كان عليها أو المفترضة في نطاق بيومناخي ما، إلى الأنماط التي تعرفها النطاقات الطبيعية الأجف منها مباشرة.

1) جبال الأطلس الكبير، المستعرضة من الشرق إلى الغرب، هي الجدار الفاصل بين الصحراء في الجنوب والجنوب الشرقي، والمناطق المنفتحة على الاعتدال في الشمال والغرب. وهي عامة أكثر رطوبة من المناطق المجاورة وتتوفر مع الأطلس المتوسط على أهم التغليفات الغابوية التي يمتلكها المغرب من العرعر البربري والعرعر الأحمر إلى أجمل دوح البلوط الأخضر والأرز.

يتميز الأطلس ببنية خاصة، يتوسطها صلب طولي متشكل من أعلى الأعراف التي تكسوها الثلوج موسميا، بحيث نجد أن السفوح الجنوبية والشرقية، الأقل ارتفاعا، مكرسة لامتناس التأثيرات الصحراوية، ويمكن أن تنزل بها مقاييس الأمطار إلى 300 مم. أما السفوح الشمالية المشرفة على المدرج الأطلنطي فيمكن أن تتعدى 1000 مم.

ظروف التصحح هي الأكثر مباشرة في السفوح الجنوبية إذن، هذه السفوح التي توقف أقدامها الكثبان في بعض الحالات، في حين يحافظ العرعر الأحمر فيها على التغليفة في وجه الاجتثاث والرعي الجائر.

في ممر أركانة الذي يربط سهل سوس بالحوز عند إيبي - ن - تانوت، ضعف الارتفاع ووضعية المخبأ، تجعل جبهة القحولة تخترق هنا الأطلس اختراقا كاملا. ومع ذلك، ورغم الجفاف والملوحة، فإن ما يتجمع من مياه في واد إيسن يُنقل أساسا إلى مدينة أكادير.

يهدد التصحح السفوح الشمالية نفسها رغم غزارة الأمطار وجودة ظروف التتر، وذلك لأسباب متعددة.

فبالنسبة للأراضي الصالحة للزراعة، فهي مكتسبة على حساب سفوح قوية شيدها المزارعون بعناء على شكل

مدرجات على جوانب الأودية السحيقة المنحوتة في أطيان وحُث الطبقات الترياسية. أبرز النماذج تراقق واد النفيس الأعلى. التدهور هنا ناتج عن إهمال المصاطب المبنية والتي تحتاج إلى تعهد دائم.

غالبا ما كان سلوك الإهمال هذا ومغادرة الأرض ناتجا عن التصريف الممنهج لخيرات الجبل إلى المناطق السهلية ومنها مياه السدود، خاصة المنصوبة على الروافد الجنوبية لأم الربيع، والأخشاب والطرائد والمعادن التي همت منذ أمد بعيد أطلس مراكش، كما هو مترتب أيضا على إغراء السهولة التي تشخص الحياة الناعمة لأفواج السياح.

كانت المناطق الأخرى التي اجتذبت المزارعين دائما ومباشرة على حساب الغابة. ويبدو أن أصلح الأراضي لهذا الغرض في الجهات الشمالية من الأطلس هي الأحواض الواسعة في أعالي أيت ورير ودمنات، تلك التي تضم أكبر نسبة من المجالات الأقرب إلى الانبساط والتي بها أترية جيدة الاستقرار إذا ما قورنت بوضعها الجبلي. توافق هذه الأحواض من الوجهة البنيوية مقعرات شاخصة متفاوتة الاتساع مفروشة في الغالب بالطبقات الهشة الحثية، الطينية والطميبية الحمراء المنتسبة للكربطاسي الأسفل القاري.

النزعة الزراعية التي تبدو في الظاهر هي الوجهة الصائبة هنا، جعلت الأهالي يغتصبون الحيز الغابوي بحدة ليس لها نظير في باقي الأطلس. حيث إن بعض الدوائر الغابوية كالتي تجاور الواد الأخضر، فقدت ثلثي مساحتها عن طريق القطع والتسيب الزراعي. لكن التصحح سرعان ما يحل محل القطع الجائر، وهو يكتسي هنا صبغة خاصة يمكن أن تُدعى التصحح الترابي، والذي يبرر هذا التعبير بصفة كاملة هو التطور الحاصل الذي ينتهي بالتنحية التامة للأترية والتأثر العميق على ميزانية المياه رغم أنه لا يحصل أي تغيير في الوضع المناخي الملائس. ذلك أن العراء المفاجئ للأرض بعد عملية الاجتثاث يسبب الطرق العنيف لسطح التربة من طرف قطرات المطر. مفعول الترشاش هذا يسهل السيول على حساب التسرب، مفرقا الفرشات والعيون التابعة، مضعفا الأترية، ومهددا بالفيضانات كلما اشتدت التساقطات التي تذهب جفاء دون أن تنفع الأرض.

بموازاة مع المسار الآلي لتدهور التربة عن طريق الترشاش، هناك التدهور العضوي والجيوكيماوي الناتج عن تعطيل البيئة الاحيائية. إذ أن تضاؤل المادة العضوية في التربة يحطم بنيتها ويضعف مركبها الماص حيث يعقب ذلك انهيار في الخصوبة والعجز على الحفاظ بالرطوبة.

على هذا الأساس، فإن التصحح متحقق بالتأكيد، لأنه حتى في حال إرجاع الأرض إلى غطائها النباتي الطبيعي، فإنه لا سبيل لعودة الغابة الأصلية. التغيرات العميقة التي نابت الأترية تقضي بظهور تشكيلات نباتية جديدة من الصنف الجفيف.

إذن، رغم بقاء التساقطات على حالها، فإن الاستعمال



للمحروقات، بحيث تعتبر الزيادة في أسعار الوقود بصفة مستديمة شرطا كافيا لانطلاق استغلال الثروة الهيدروكربونية المحلية.

والواقع أن طبيعة هذه المخزونات مشوية بالعديد من العراقيل. ذات البعد البيئي الخطير. ذلك أن النضيد الزيتي الموجود ضمن المقعر الشاخص لجبل القبات في ناحية تيمحضيت لا يحتوي إلا على نسبة واحد بالمائة من البترول. مضمون بهذا المستوى من الهزال يتطلب المعالجة في عين المكان مخلفا مقادير هائلة من النفايات يتحقق التخلص منها بواسطة المجاري المائية وعلى شكل هباءات تحملها الرياح. يزيد من ضرورة الحذر أن جبل القبات هو بالذات مجال توزيع المياه بين شبكات التصريف الرئيسية الثلاث. وعلى هذا الأساس فتهدد التصحر عن طريق تضاؤل الماء وتلوته يمكن أن يتعدى الأطلس المتوسط ليهم العديد من مناطق الثقل في الاقتصاد المغربي.

(3) في جبال الريف، يغطي التصحر الترابي وتكتسي ضرورة معالجته صبغة الاستعجال القصوى. بالطبع توجد بهذه المنطقة كل عوامل الاختلال الملازمة للبيئات الجبلية، لكن بزيادة ظروف مفاقمة ناتجة عن أن البنيات هنا متقطعة، فتية ومحادية للبحر مباشرة، وأن الصخور بها هشة ومصمة والتساقطات المطرية من أغزر ما تعرفه البلاد المتوسطة إطلاقا. نظام الجريان كثيف، سيلبي وشديد التعمق، والسفوح قوية ومختلة.

بيئة هذه مواصفاتها لا يمكنها أن تكتسب أي نوع من الاستقرار الطبيعي إلا بمساعدة غطاء غابوي وجرحي كافي الانغلاق. يتم استغلاله الاقتصادي في حدود احترام مقتضيات البيئة.

لكن المقومات البشرية تصرفت باستمرار كعوامل مناوئة، فالكثافات السكانية هي من أعلى ما يعرفه المغرب حتى في مناطقه السهلية. مع الدور السلبي الذي لعبه وجود الحدود الاستعمارية والإهمال التام لمختلف السلطات منذ أمد بعيد والذي يتجلى على الخصوص في غياب أي شبكة للطرق أو أقطاب للتنمية.

أما الغابات التي شكلت حتى وقت قريب أهم الموارد الطبيعية فإنها عانت من غياب تام لكل تقنين، خاصة تحت الحكم الإسباني الذي استغلها بصفة جد مجحفة، يُقال عنها إنها منجمية لأنها لم تكتف بالقطع المنظم بل أبادت حتى عناصر التجديد.

لكن ظروف الاجتثاث في الريف تتعدى حافز جلب الأخشاب والاحتطاب والرعي، إلى الرغبة في إعداد الأراضي لزراعة النبتة المخدرة المعروفة بالقنّب أو الكيف. أهمية الوسائل المرصودة جعلت من هذه الظاهرة أداة بالغة العدوانية ضد الغطاء النباتي الطبيعي والأثرية. سرعة الاستشراء تظهر مثلا بوضوح من خلال تراجع غابة البلوط الفليني في المحيط المباشر لمدينة كتامة، حيث أنهارت مساحاته بين 1984 و1990 فقط من 8000 هكتار إلى 500

الحطائي للأراضي يحول المجال الأحيائي إلى مستويات مرتبطة مبدئيا بمناخات أجف. الاستمرار في هذا النوع من التسبب يأتي على كل المسكات المنتجة من التربة معطية حقول شعير متقطعة تتخللها خدات تتعمق سريعا.

بعيدا عن الوديان والأحواض القابلة للتجهيز الزراعي، قليلة هي المشاريع الاقتصادية التي يمكن أن تصرف ساكنة الأطلس عن الرعي الجائر وقطع الغابة، فحتى تلك الغابات الجيميلة المتكونة من البلوط الأخضر أو من الأرز أو هما معاً، والتي توجد في الأوضاع الأكثر توازنا فإنها ليست في مأمن من الاعتداء، حيث تتعرض للإبادة بسبب السلوكات التي تحطم الهوامش النباتية للغابة، ضاربة في الأساس النظام البيئي العام. لا فرق في أن تكون تلك السلوكات القطع والرعي غير الواعين أو أن تكون في بعض الحالات المعالجة وطريقة الاستغلال الحاطنين من طرف الأطر التقنية الساهرة على صيانة التراث الغابوي.

لمناهضة كل هذه الأوضاع، تجدر الإشارة إلى مشاريع إدارة المياه والغابات التي تهدف إلى صيانة التنوع الأحيائي يخلق منتزهات وطنية حول توبكال وفي الأطلس الكبير الشرقي كما هو الشأن في ماسة والداخلة وفي إقليم الحسيمة بالريف الأوسط ويتلاسمطان في إقليم الشاون، وفي تازكا شمال شرق الأطلس المتوسط، وفي إقليم إفران.

(2) الأطلس المتوسط عبارة عن كارست يغذي بفضل مياهه الجوفية شبكات أم الربيع وسبو وملوية. هذا الدور هو ما يبرر وصفه ببرج توزيع المياه على الصعيد الوطني.

جل العمليات التي تهم سطح هضاب وأعراق الأطلس المتوسط تصب في هذا الاتجاه الذي يكتسي صبغة الأهمية القصوى بالنسبة لأنشطة المناطق الزراعية والعمرائية بالمغرب. فأكد أن أي مساس بهذه التوازنات يمكن أن تكون له نتائج صعبة التقدير.

لا شك أن النزعة الرعي - غابوية، في ظروف رطوبة جيدة، وهي النزعة التي طبعت الإقليم في كل العصور هي التي سمحت باستمرار هذا الدور حتى الآن. فبجوار غابات البلوط والأرز الواسعة، هناك مجالات أوسع من الأراضي الخلاء. وقد تضافرت فيزيوكيميا الصخور والبنية وطبيعة الغطاء النباتي والتجميع المحلي للمياه داخل بحيرات منتشرة في المجال الهضبي لتسهيل عمليات الرشاح. لكن يتحتم الحرص والحذر من تطورين على الخصوص، والتحسب للمضاعفات الممكنة :

- المسألة الأولى تخص بداية الطفرة الزراعية التي يعرفها الإقليم حاليا وذلك بوضع اليد على العديد من المنخفضات الكارسية الواسعة واستثمارها بواسطة مغار ، الفواكه الرفيعة في استغلاليات من النوع العصري الذي يقتضي حقن الرساميل الكبيرة واستنزاف الفرشات المائية بواسطة الضخ القوي، على حساب الشبكات الوطنية الكبيرة.

- تحقق المسألة الثانية مرتبط بالسوق العالمية

هكتار !

الطريقة الشائعة في فتح الأراضي وإعدادها هي حرق الغابة، وهي في الواقع من أسرع الطرق للتصحر في أترية تغطي منحدرات جد قوية. تُحدث النار تغيرات فيزيوكيماوية عميقة في البيئة الأحيائية حيث تتسبب للقطاع الترابي في التجفيف والإفقار وتشويه النباتات عن طريق حرق الأنفوسة وجزء من الدبال.

أما الإغناءات المفترضة من طرف المواد المعدنية الناتجة عن الحرق فهي ضعيفة جداً نظراً لتدريه الرماد وتحريكه السريع بواسطة السيلاان الذي يصير أنشط مع تناقص قدرة الأترية على حجز مياه الأمطار.

ما يحصل الآن هو تبيد مروع للإمكانات الترابية لمنطقة بأكملها، أهلة بالسكان وغنية بالإمكانات. خلال سنوات معدودة، تكشف الغابة المقطوعة عن أترية سميكة نسبياً وجيدة البناء ألوانها محمرة إلى سمراء داكنة، سرعان ما ينخرها التصويل والإفقار والبتتر فتستحيل إلى بقع مبيضة تتسع رقعتهما الجرداء التي لا تحتتمل أي استعمال بالمرة.

الثروة الثانية للريف هي شبكة الجريان السطحي، وأهم عناصرها على الإطلاق يتمثل في حوض نهر ورغة الذي يشهد حالياً تشييد سد الوحدة، أكبر السدود المغربية. لا شك أن لهذا الإنجاز العديد من الفوائد الاقتصادية والإئمانية على صعيد التراب الوطني ككل. لكن ضخامة حجمه تطرح بالنسبة للريف بالذات بعض المشاكل النوعية، منها أن حقيقته ستغمر حوالي 13.500 هكتار. يزيد من أهمية هذه المساحة أنها تخص جزءاً من أحسن الأراضي الزراعية التي توجد في المنطقة على الإطلاق. فهي تغطي أراضي التيرس والحمري ضمن سهل داخلي خصيب وتام الانبساط. ومن جهة أخرى، فإن الكلفة العالية للمنشآت تقتضي الاحتفاظ بنجاعة السد لأطول وقت ممكن في مجال ينتج بواسطة تعرية الأترية والتخديد والانسياخ أكبر مقادير مواد الإطماء التي يعرفها المغرب. الوسيلة التقليدية لتفادي تعبئة حوض التجميع بالتراكمت الغرينية هو تشجير أهم سفوح الحوض النهري.

هذه العملية جيدة أصلاً وتدخل في الاستراتيجية العامة لإعادة تشجير السفوح والحد من التدهور والإجداب. لكن، تجدر الإشارة إلى بعض العيوب التي غالباً ما تجعل التشجير في صيغته المعتمدة عندنا يحد عن الأهداف البيئية المرجوة. فالغابة الطبيعية نظام بيئي يمتلك توازنات داخلية بين الأشجار السائدة والأشجار الأخرى المتكاملة معها والهوامش النباتية الضرورية. تحطيم هذه التركيبات لا يمكن أن يعوض بالغابات الأحادية النوع، خاصة عندما يتم القضاء على المورقات المغنية للتربة واستبدالها بالراتنجيات المحمضة، وهو سلوك جد شائع يقلب الأوضاع البيئية تحت الستار الوهمي لإعادة بناء استقرار المجال.

على العموم، فالملاحظ أن مختلف مظاهر التدهور

والتصحر في المناطق القاحلة، وحتى الرطبة منها في الجبال، تفضي إلى سحب التربة النافعة من تحت أقدام أصحابها وإرغامهم في الغالب على المغادرة والنزوح بكثافة إلى البلاد الشمالية الغربية الغنية نسبياً. هناك إذن، أساس مظاهر التصحر هو ما يمكن أن نسميه بالقنبلة الديموغرافية.

III - تصحر الاستنزاف بواسطة الضغط الديمغرافي.

تقتضي استراتيجية مقاومة التصحر أن نشعر بإرهاصاته قبل أُرُوف الأمر الواقع. يصير هذا الهاجس أكثر إلحاحاً في أراضي الشمال الغربي الغنية نظراً للمسؤولية التي تتحملها في تغذية المغاربة وإيوائهم وإيجاد الشغل لهم. إذن، موقعها الحاسم والخطير من الاقتصاد الوطني يعني استبعاد حدوث التصحر بمفهومه الكارثيين السابقين، وهما الترميل على هوامش الصحراء وبرزو القاعدة الضخرية في الجبال، ومحاولة تحسُّس التطورات المفضية إليه في أول أمرها، تلك التي تُستشف من خلال تناقص الإنتاج الزراعي.

وبما أن المؤهلات الطبيعية لا تحتتمل هنا أبداً من الاختلالات الكبرى التي تخص الجبال وهوامش الصحراء، فإن مظاهر التدهور إذن راجعة للسلوك البشري مبداءً ووصولاً.

أهم عوامل الاختلال نزوح ساكنة الصحارى وشبه الصحارى والجبال بسبب ضيق العيش وتقلص الوسائل التي كانت متاحة، بحيث يمكن أن تعتبر هذه الحركة جزئياً حركة نازحين إيكولوجيين. صحيح أن التيارات البشرية من هذا القبيل ليست بالشيء الجديد وأنها همت مختلف الفترات التاريخية. لكنها الآن تكتسي صبغة خاصة. فهي لا تقصد الأرياف الأخصب والأرطب لأن تملك الأراضي أصبح أمراً مُنتهى منه، حيث نضبت حركة الترحل والانتجاع في السهول والهضاب الخصيبة، ولم يبق من سبيل إلا اللجوء إلى المدن التي تحولت تدريجياً إلى مستودعات للنفايات البشرية، تتضخم باستمرار وتختل بنباتها الاجتماعية والاقتصادية.

النتيجة الأولى هي التوسع السريع للمدن على حساب أحسن الأراضي الفلاحية، وأكد أن الأمر يتعلق بأخطر ضروب التصحر المطلق. صحيح إن بلديات المدن الكبرى تحرص على إنجاز تصاميم التهيئة أو التصاميم المدبرية التي تحدد محاور توسع المدن والأهمية التي يجب أن يكتسبها، كما ترسم خرائط المجال الزراعي المحيط وقدرات الأترية به وكيفية استعمالها. لكنها لا تحظى بأي نوع من العناية ولا تتاح لها أي فرصة للتطبيق. ذلك أن العوامل الفعلية المتحكمة في توسع المدن لا علاقة لها بالظروف البيئية ولا بالعلم والمنطق المطلق، ولكنها مرتبطة بالمضاربات العقارية والمنطق الداخلي لهذه المضاربات. هذه قاعدة عامة ومن أبلغ نماذجها ما يحيط مثلاً بتطور مدينة فاس.

النتيجة الثانية، وهي أخطر من التوسع على حساب الأزيمة الفلاحية، مرتبطة بامتصاص المدينة للموارد المائية بجشع متزايد. والواقع أن استنزاف المياه ناتج عن ضراوة التنافس عليه من طرف أقوى أولي الحقوق وعلى حساب الضعاف منهم، الذين يدركون أن الأرض تتصحّر تدريجياً من تحتهم.

أقوى أولي الحقوق المدينة أولاً، نظراً للأسبقية المخولة لها والوسائل المتوفرة. وثانياً ملاكو أهم الأراضي المسقية بواسطة السدود في أغنى الأراضي، ويصفة متزايدة أصحاب الملكيات الكبيرة والمضخات القوية قريباً من أقدام الجبال وخطوط العيون. احتكار الفرشات المائية والمنابع بالطرق العصرية والمكلفة هو مثلاً السبب الرئيسي في التراجع الحاصل في مواطن الدير التقليدية التي كانت مزدهرة في مخارج أودية الأطلسين المتوسط والكبير على السهول الشمالية والغربية.

باقي الأراضي غير المسقية والمحصورة بين المستفيدين الكبار، هي التي تُؤوي أهم كثافات ساكنة الأرياف التي تعيش على أسوأ الأتربة وأكثرها تعرضاً لمخاطر الجفاف. وجودها بين مناطق الاستنزاف يُضيق عليها الخناق ويركز المحلولات إلى حد تقوية مظاهر القشرات الكلسية المبيدة للأتربة، كما يفاقم أليات التعرية بها. النتيجة الحتمية هي تضائل مستمر للمنتوج الزراعي. الشيء الذي يدفع أولاً إلى الإلحاح في الاستثمار بأضعف الوسائل ومنها التوسع الاضطراري فوق الأراضي الهامشية العطوية، وأخيراً إلى الهجرة إلى المدينة.

الواقع أن الأراضي المسقية ذاتها يمكن أن تعرف بعض الصعوبات التي من شأنها أن تؤدي إلى تصحر نسبي أو مطلق. فهناك ظاهرة التملح التي تشكل معضلاً جزئياً في أراضي تريفية أو في فحوص طنجة، وفي سهل الغرب. في مبقلات ولجة دكالة مثلاً يصل تملح الأتربة في سنوات الجفاف على الخصوص إلى تحول المزارعين عنها إلى غيرها. في المناطق الداخلية بدأت مظاهر التلوث الحضري والصناعي والزراعي عن طريق المبيدات والأسمدة تُؤثر سلباً على الأرياف، كذلك الأمر في حوض واد سبو في ساقلة مدينتي فاس ومكناس وفي سهل الغرب.

**بالظبح، لا تقف جبهة التلوث عند حدود القارة. وعندما تتعداها لطرده أسراب السمك وإفناء العوالق فإنه يمكن توسيع مفهوم التصحر ليشمل البحار. من جملة وسائل التصحر مخاريط التسميم التي تغزو البحر انطلاقاً من المدن الكبرى، ومن مصاب بعض الأنهار التي تحولت إلى ميازيب، ونفايات المراكز الصناعية، الكيماوية منها على الخصوص. ومنها كذلك الصيد الجائر الذي يزيد من حدته الجوار الصعب مع أكبر الدول المستهلكة والمسوقة والاتفاقيات غير المتكافئة.**

وأخيراً وليس آخراً، هناك في هذا المجال المحظوظ على العموم العديد من البقع المحتلة بالقوة، القابلة للتصحّر بعد

حين، والقادرة على أن تصير عدوانية بالنسبة لمحيطها. أهمها دون شك غابة المعمورة.

تعتبر المعمورة الرثة المباشرة للمحور الحضري الرباط - القنيطرة ومجموعة أخرى من المدن الثانوية. لكن مساحتها من البلوط الفليني انهارت من ظرف السبعين سنة الأخيرة من أكثر من 130.000 هكتار إلى حوالي 50.000 هكتار فقط. في هذه الأثناء تعرضت إلى عمليات اجتثاث متعددة الأغراض، منها كثير من حالات التسبب بهدف الفلاحة والرعي والتفحيم. وغالباً ما جاءت محاولات التشجير حراً على البيئة الترابية والمائية كغرس الصنوبريات مكان البلوط الفليني أو فجوات غابات الأوكليبتوس والأوكالبتوس على هوامشها الشمالية بغرض إنتاج عجين الورق.

مرة أخرى، أضعف الغرس الأحادي وإفقار التركيبات النباتية المتكاملة، النظام البيئي للمعمورة وفاقم حموضة الأتربة وتصويلها من موادها الدقيقة بصفة تكاد تكون كلية، خاصة تحت الأوكالبتوس، وغور مواردها المائية، فأصبحت أشجارها، حتى البلوط الفليني الأصيل منها، معرضة للأمراض وهجوم الفطريات والذبول والانكسار السهل ولو لأضعف الهبات.

الخطير في الأمر هو الطبيعة الرملية للأتربة المعمورة التي تفقد بنيتها كل يوم أكثر، وحصانتها الشجرية مهددة بالتححر والتدريفة إن لم يوضع حد للأخطأ البيئية المتكررة. فليس من المستبعد، في ظل السلوكات السائدة، أن تتكون حقول من الكثبان يمكن أن تهدد كل المحور الحضري للساحل الأطلنطي الأوسط، على غرار أفضح حالات التصحر المباشر، في قلب ما كان يصطلح عليه بالمغرب النافع.

تُظهر النماذج المعروضة أن التصحر لا يقف عند أي حد بيومناخي أو تضاريسي بل ويتهدد خارج المغرب كل مناطق العالم، إذ نسمع التنبيه من مخاطره في أوروبا من جهة وحول خط الاستواء من جهة أخرى. وفي مناطق مختلفة ليست موسومة بالمحولة النطاقية بحال من الأحوال ولكنها تعرضت لأخطأ في استثمار الأراضي وتدابير المجال نتج عنها إتلاف للفرشة المائية أو تعقيم للأتربة.

فما العمل أمام هذه الموجة الجامحة التي تهدد الأوساط الطبيعية من الأساس وتندّر بأفصح الكوارث؟ مع العلم أن مسيرة التطور حتمية لا رجعة فيها. على الأقل لأن الأعداد البشرية تتزايد باستمرار والأساليب القديمة في صيغتها الجامدة لا تُجدي. كذلك الظروف التي كانت تُقعد حياة البدو الرحل مثلاً لم تعد حالياً مقبولة.

ما العمل إذن بين المستحيلين؟ لا شك أن الأمر يتطلب إبداع أساليب جديدة تنطلق من أكبر معرفة ممكنة بخصائص الأوساط المغربية مع الاستفادة من الأساليب القديمة المتكيفة وتطورها. وازد الإقتباس من التقنيات المتلطفة بالبيئة كتلك التي تقلل من حدة التعرية من خلال استعمال تداخل المزروعات المتكاملة والواقية للأرض واعتماد الدورات

الزراعية. كذلك الحفاظ على المياه عبر مختلف التقنيات المتوارثة، واستعمال الروث والمادة النباتية الطرية كسماد طبيعي.

من الضروري كذلك اعتبار فترات الجفاف الضاغطة كمركب عادي وليس استثنائياً للمناخ بالمغرب، وأخذها في الحسبان في كل تخطيط فلاحي، واختيار تقني.

على أنه يجب ترشيد التقنيات والسلوكات على أساس استخلاص العبر من تجارب البلدان التي قطعت أشواطاً في ميدان فلاحة الجفاف بمنجزاتها وأخطائها، ومنها الجمهوريات الإسلامية لآسيا الوسطى في ظل النظام السوفياتي وجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط. وكيفما كانت التقنيات فهي وحدها لا تكفي.

أكد أن هياكل توزيع الموارد كالبنيات العقارية، ونماذج الاستيطان ومنها المدنية الأخطبوطية، تلعب أدواراً لا تقل أهمية. وفوق هذا وذاك، فإن المجهودات المحلية المعزولة وحدها لا يمكن أن تعالج الوضع الذي يكتسي في الواقع صبغة كونية، تقتضي تعاون الفاعلين الكبار في العالم.

لكن، تدل القرائن حسب جل المحللين على أن مجتمع الإنتاج المهيمن لا يتوفر على البنيات الكفيلة بتجاوز الأزمة. ألا يوجد تناقض أساسي بين هاجس الحفاظ على الطبيعة من جهة والحضارة الصناعية العصرية من جهة أخرى تلك التي أحدثت شرخاً متزايداً في غلاف الأوزون، ورفعت حرارة أجواء الكوكب، وعكرت الماء والهواء، معطية للتصحّر فرصة اكتساح العالم ؟

يبدو أن هناك مطالبة لازالت مكبوتة ولكنها متنامية تنادي بتعجيل التخفيف من الحضارة الصناعية وتبشر بمقدم العهد الإنساني.

استطلاعات ميدانية : إبراهيم نحال، التصحر في الوطن العربي، بيروت 1987 ؛ الطيب جلال ومحمد عجاج، تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال إفريقيا، تونس، 1986 ؛ إدريس الفاسي، الجفاف حول الصحراء : الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئية، مجلة جغرافية المغرب، 6، الرباط.

Ministère de l'Agriculture et du Développement Agricole. Lutte contre la désertification au Maroc, réalisations et perspectives. Rapport National ; Rabat, 1984 ; Plan National de lutte contre la désertification, 1986 ; Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Terres. Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc, Rabat, 1993 - 94 ; A. Sasson, Développement et environnement, Paris - La Haye, 1974 ; F. Ramade, Eléments d'écologie appliquée., Paris, 1976 ; E. Eckholm and L.R. Brown, Spreading deserts. The hand of man. Washington, D.C., 1977 ; M. Ameer, Fès... ou l'obsession du foncier, Tours, 1993.

إدريس فاسي وعبد المالك بنعبيد

**التصدرة**، في موسيقى الآلة هي المقطوعة الغنائية (الصنعة) الأولى التي تصدر القسم الموسع من الميزان. وتغنى مباشرة بعد البغية أو التوشية على حركة إيقاعية بطيئة جداً. ومثالها تصدرة ميزان البسيط من نوبة رمل ثمانية، وهي بيتان ملحنونان من الطويل :

صلوا يا عباد دائم على أشرف الورى ارضوا عن العشر الكرام البررا  
مهما تقرب الروضة ياتينا مبشرا نسيم من الأحياب مسكا وعنبرا  
ونظراً لبطء أداء التصدرة، تقتضي العادة أن تخلل مقاطع كلماتها بالتراتين، وهو ما يعرف لدى أصحاب الآلة "بالشغل".

معرفة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## التصميم ← التخطيط

**التصوف** بالمغرب، يبدو أن ظهور أشخاص بالمغرب الأقصى يمكن أن تنسب أحوالهم وأقوالهم إلى التصوف، أي إلى ما يعرف بالتوحيد الخاص المبني على الاعتقاد بإمكان الوصل أي إدراك مباشر لبعض تجليات الذات أو حقائق الصفات واعتبار الروحانية النبوية أساساً لتحقيق ذلك على أكمل معانيه، كان ظهوراً متأخراً بالنسبة لبلاد المشرق، وبالنسبة حتى لبلاد إفريقية والأندلس، وذلك على غرار تأخر الظواهر الحضارية الأخرى ثقافية كانت أو سياسية. وقد يكون هذا التأخر فيما يهمنا هنا مرتبطاً بتأخر الآثار الكتابية الشاهدة لا بتأخر الظاهرة نفسها.

ولقد كانت أحوال الزهد والورع غالبية على أفراد ممن بلغت إلينا أخبارهم من أهل القرون الإسلامية الأربعة الأولى دون أن يرد بصدد عدد منهم ما يجعلنا نصنفه في عداد المتصوفة الاصطلاحيين، غير أن التميز بدأ في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

وقع ذكر أزيد من أربعمئة وجه من وجوه التصوف بالمغرب في هاذين القرنين في ثلاثة كتب رئيسية سمت مترجميها بالصلحاء والعُبَّاد وأهل التصوف، وهي كتاب محمد بن عبد الكريم التميمي وعنوانه : *المستفاد في ذكر الصلحاء والعباد بفاس وما والاها من البلاد*، ألفه قبل عام 572 هـ، وليس منه بين أيدينا سوى قطعة لعلها النصف الثاني من الكتاب، وكتاب أبي يعقوب يوسف التادلي وعنوانه : *التشوف إلى رجال التصوف*، ألفه عام 617 هـ، وكتاب أبي يعقوب البادسي، وعنوانه : *المقصد الشريف في صلحاء الريف*.

وهذه الكتب الثلاثة على منحنى حلية أبي نعيم، ولكن كل واحد منها أثر التعرض لجهة بلاده. وهكذا يبدو من خلال مادة التراجم أن ظاهرة التصوف قد شملت كل المناطق القديمة الاستقرار وأبرزها الريف وجهات فاس وبسيط تامسنا ودكالة وجهات أغمات ومراكش وجهات هسكورة وجهات رگراگة جنوبي تانسيفت ودرعة ووادي سوس.

كان من صوقية المغرب في هذا العهد من أخذ عن شيوخ مشاركة، ولاشك أن الرحلة للعلم أو للحج قد دعمت هذا الأخذ مثل أخذ عبد الجليل بن ويحلان دفين أغمات عن أبي الفضل الجوهري بمصر، وعبد الجليل هذا شيخ عبد الله ابن واكريس الدكالي شيخ أبي شعيب صاحب أزموور شيخ أبي يعزى الخ. ومنهم من أخذ عن قيروانيين أندلسيين، بل ان منتسبين إلى الصلاح رحلوا إلى المغرب من بلاد إفريقية

كما رحلوا إليه من الأندلس.

كان من الصوفية أهل حضر وأهل بادية، وكان منهم منسويون إلى العلم الكتابي ومنهم من لم يُعرفوا سوى بورع أو كرامات، وقليل منهم في هذا العهد منسويون لآل البيت. كان معظمهم أفراداً بلا أتباع ولكنهم كانوا يتعارفون ويتصلون، ويُقصدون في غالب الأحيان للتبرك أو لطلب الأغراض، ولم تكن الطرق قد ظهرت بعد بشكلها المعروف.

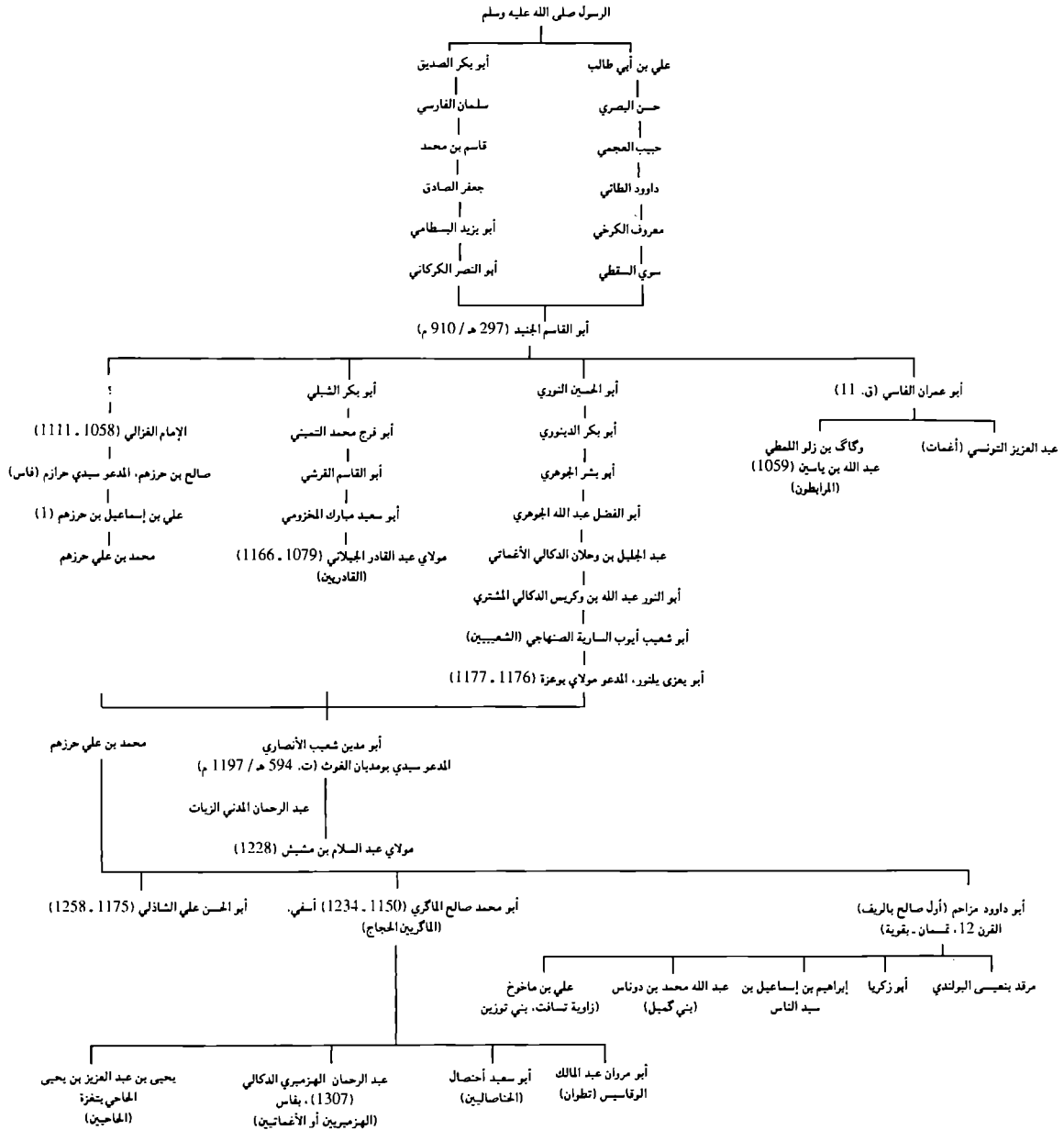
ولقد حرص المترجمون المغاربة لأهل التصوف على تخليص الكلام عنهم بما يمكن أن ينعت "بعلم التصوف" أي التعابير عن الأدواق والمعارف الخاصة، لكن نقل بعض كلامهم ينبئ عن إشارات إلى المعاني الاصطلاحية التي تحتاج إلى تأويل، وقلما ألف هؤلاء تأليف قائمة، فيتعذر إذاً ربطهم بمذاهب ومشارب بالرغم من تحيز بعضهم للغزالي في مواقف عملية. وكان من المنسويين إلى التصوف عائلات قليلة توارثت المشيخة على امتداد أجيال مثل آل أمغار الصنهاجيين في رباط تيط جنوبي أزمور.

يتعذر في الحالة الحاضرة للبحث في التصوف بالمغرب إعطاء أجوبة معمقة لمختلف الأسئلة المتعلقة بتصوير دقيق للمنزع الصوفي ولا سيما (1) في ما يتعلق بتحقيب تطوره بشكل مقنع (2) وبخصوص التيارات الخارجية التي أثرت فيه أو أثر فيها سواء بالنسبة للمشرق أو الأندلس (3) أو قضية أنواع المعارضة التي لقيها التيار الصوفي من الجهات المتسنة في المجتمع أو من جهة المتضايقين به كسلطة رمزية يخشى من تحولها إلى شريك في السلطة الفعلية (4) ومن ذلك تصنيف الأوضاع التي وجدت فيها تيارات صوفية في مواجهة الجهاز السياسي أو في معاضدته، إلى غير ذلك من القضايا التي تبدو بعض ملامحها من خلال ما أنجز من الأبحاث ولكنها غير مكتملة ولا واضحة بما فيه الكفاية.

ففي ما يخص التحقيب يبدو العنصر الحاسم فيه هو التفاعل مع المجتمع واتخاذ شكل مؤسسي ومعانقة ملابسات التاريخ في جوانبه الأخرى، وهذا يصدق على التصوف بما غلب عليه من طابع اجتماعي في المغرب، أما من حيث المعنى الصوفي في حد ذاته فلا مجال لتحقيبها إلا على فرض أنه فكر توفيقى أو متأثر بمدارس فكرية مهما كانت طبيعتها كالإشراقية والأفلاطونية الجديدة الخ، أو على فرض أن تعبير الصوفي عن تجاربه يصير تعبيراً موجهاً بل ومنتجاً لتجاربه الأخرى، أما خارج هذين المنظورين : المؤسساتي الاجتماعي التاريخي والفكري التأثري، فالمفروض أن التصوف يرتبط بتجربة الإسلام الروحية : يظهر فيها متى وأنى ظهرت، فيبقى التدوين هو الحاسم عند المؤرخين في التمييز بين مراحل من السيرورة عبر الآثار. وإذا راعينا هذا التدوين فإن القرنين الخامس والسادس الهجريين يشكلان عصر ظهور التصوف المغربي وانتشاره ونضجه وازدهاره في آن واحد بالنظر إلى أن

أعلام القدوة فيه قد عاشوا في القرن السادس على الخصوص. فعندما كتب ابن الزيات عام 617 هـ كتابه في تراجم مائتين وسبعين من المنسويين إلى التصوف في الجهات التي اهتم بها أعطانا نماذج متنوعة لمن يمكن إدخالهم في هذه الطائفة وذكر بصددهم أنواعاً من السلوك والقيم يمكن أن تُستنتج منها معايير تصنيف رجال التصوف إلى ذلك العهد، ومنها تظهر أدوارهم الدينية جلية وتتعلق كلها بالعمل بالقول والفعل والتأثير والقدوة على دمج مجتمع عجمي هامشي في إطار الإسلام وحضارته وتاريخه، وهو دور بارز حتى ولوقيس بأدوار الفاعلين الآخرين كالأمرء والفقهاء والعلماء. ولكن ابن الزيات كان يرى، في أوائل ذلك القرن السابع، وكأن تلك الحركة في أقولها بعد انصرام قرن أبي شعيب وأبي يعزى وابن حرزهم وأبي مدين وغيرهم. ولكن ابن الزيات أشار إلى شخص عامل مجدد لذلك النهج الصوفي كان بأسفي ما يزال على قيد الحياة وهو أبو محمد صالح. غير أن ابن الزيات لم يعلم بوجود معاصره بجبل العلم في أقصى شمالي غرب المغرب وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي جمع، كما جمع الشيخ عبد القادر الجيلالي في الشرق، بين النسب الشريف والأستاذية في التربية الروحية على المنهج الذوقي الصوفي. لم يكن ابن مشيش أول من بدأ به في المغرب مصرع أهل التصوف على أيدي المتضايقين بهم عندما قتل عام 685 هـ، ولكنه كان رأس أحد التيارات الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي وهو تيار الشاذلية المنطلق من المغرب والمنسوب إلى أبي الحسن الشاذلي تلميذ ابن مشيش. أما التيار القادري فهو عملياً دخل إلى المغرب إذا أقررنا بأن أبا مدين قد لقي الشيخ الجيلالي بالشرق وأخذ عنه، ولكن ذلك وقع قبل بروز هذا الاهتمام المتأخر بسلسلات السند الكبرى. أما ابن عربي الحاقمي بالرغم من مقامه بالمغرب من عام 590 إلى عام 597 هـ فإننا لا نستطيع أن نقارنه بابن مشيش والشاذلي من حيث التأثير، لأن تأثير الحاقمي مقتصر على حذاق القراء إلى يومنا هذا، بينما تأثير "المحكيين" حتى من أمثال أبي يعزى ظهر فعلاً في طوائف واسعة من الأتباع والمبجلين للشيوخ.

وعلى هذا الأساس، فربط التيار الصوفي المغربي بالجنيد (المتوفى عام 297 هـ) على أنه تصوف تغلب عليه الأخلاق والسننية ويتجنب "الحقائق" تصنيف لا ينطوي إلا على الارتياح السهل الذي يتيح كل تصنيف، ذلك أن ابن الزيات قد صرح في مقدمة كتابه أنه جرده من هذه "الحقائق" التي سماها بـ "علم التصوف"، فيفهم من كلامه أن تلك الحقائق كانت رائجة ولكنها كانت موضوع اعتراض. فتكون مراعاة الشعور السنني العام في المغرب واقعاً متأصلاً ولكنه لا يعني البتة أن تلك المعاني المسماة بـ "الحقائق" يمكن فصلها عن التجربة الصوفية ولو عند رجل لم يكن يعرف من العربية إلا فاتحة الكتاب مثل أبي يعزى.



الذي جال بالمغرب في منتصف القرن الثامن قد لاحظ هذا التنظيم واضحاً للعيان حيث ذكر أن جملة ما ترجع إليه تلك الطوائف ست هي : (1) الشيعيون أتباع أبي شعيب صاحب أزمور وهو من أهل القرن السادس. (2) الصنهاجيون، أتباع شيوخ بني أمغار أصحاب رباط تيط جنوبي الجديدة الحالية (وهم أيضاً من أتباع شيوخ عاش أعلامهم في القرنين الخامس والسادس). (3) الماكزيون (طائفة أتباع أبي محمد صالح شيخ أسفي). (4) الحجاج، وغايتهم تنظيم الحج ولهم علاقة بالشيخ السابق. (5) الحاحيون من أصحاب أبي زكرياء الحاحي دفين تيفزا وجلهم في جبال درن. (6) الأغماتيون وهم طائفة أبي زيد الهزميري الذي كان بأغمات أيلان ومدفنه خارج باب فتوح بفاس.

والظاهر أن مشاهدات ابن قنفذ اقتضت على جهات دكالة وعبدة وحاحة وجهة مراكش، ولم تشمل سوس وكبريات المدن والريف وتادلة الخ. فتكون الخريطة الدينية

نستطيع أن نقول إن صوفية المغرب أقل تأليف في علم التصوف من صوفية المجتمع الحضري في الأندلس وعواصم المشرق وإيران، ولكن أخبار الصوفية المغاربة، وهي تتضمن مواقف وأعمالاً وأقوالاً قد شكلت المادة المنقبة التي كتبها المريدون، بيد أن شذرات قليلة من الآثار التي وصلت إلينا ضمن هذه المناقب كالصلاة المنسوبة للشيخ ابن مشيش أو المبتوتة في ثنايا الصلوات التي جمعها الشيخ الجزولي أو حتى في أزجال بعض الشرقاوين أو رسائل مولاي العربي الدرقاوي أو كلام الشيخ التجاني أو الشيخ ابن عجيبية الخ. قد تظاهى في مضامينها أي تعبير صوفي آخر في مكان كان من العالم.

أما على صعيد العمل الاجتماعي أو ما سميته بملابسة التاريخ، فإن عهد ما بعد القرن السادس الهجري في المغرب يتميز بكونه بداية تأسيس الطوائف وتكوين شبكة الإسناد الذي تفرعت عنه الطرق. فابن قنفذ القسنطيني



الموقف الذي اتخذته الحركة الوطنية في المغرب من بعض المحسوسين اجتماعياً على الانتماء إلى التصوف وورثوا لوزنهم الاجتماعي في ملابس موالية للاستعمار، ولما كانت، الفعالية تكمن في إيجاد تضاد وتقابل بين تيارين لفائدة الحركي منهما فقد وقع التغاضي على المواقف الجهادية لفعاليات صوفية حية قاومت التدخل الاستعماري من أواسط القرن الماضي إلى الثلث الأول من القرن العشرين.

بيد أن تاريخ المغرب في مده الطويل يشهد للصوفية بدور إنقاذ الأرض والأمة منذ تأسيس الرباطات الأولى إلى أن احتل الإبيريون شواطئ البلاد في القرن التاسع (15 م) وقام متصوفة شيوخ أحياء فاعلون بتعبئة القوى الشعبية لتحرير الثغور وحمل إمارة قادرة إلى الحكم للقيام بدورها بعد الفراغ الخطير الذي ترتب عن ضعف المرينيين ثم الوطاسيين. ومن سوء الحظ أن دولة السعديين التي رفعها الصوفية إلى الحكم في القرن العاشر الهجري قدضعت لأسباب داخلية وخارجية، وهبت لاحتلال الفراغ السياسي تشكيلات لها نزعة "صوفية" ولكنها أقرب ما تكون إلى التشكيل المرابطي القائم على وظائف اجتماعية كالتعليم والتحكيم، ومنها الزاوية الدلانية، فنسب إليها الطموح السياسي وتردد في ما بعد معرفة على "المتصوفة". والواقع أن أهل الدلاء المتأخرين الذين خاضوا في أمور الإمارة ليست لهم حتى تمثيلية مؤسسية الزاوية الذين لم يدعوا شيئاً غير تلمذتهم للناصرين.

لقد اغتيل الشيخ الجزولي (عام 870 هـ) كما اغتيل ابن مشيش شيخ الشاذلي قبل قرنين ونصف، ولم يُنتبه إلى أي منهما في حينه، حتى عرض ما يبعث ذلك الذكر كرمز لحركة تحققت في ما بعد، وهكذا اتخذ الجزولي رمزاً لانتصار دولة السعديين لأن تلامذته أطروا الجهاد وظهروا بمثابة "زعماء أحزاب" في حركة انبعاث اقتضتها ظرفية محفوفة بالمخاطر. ولذلك فالجزولي يستحق بالفعل أن يكون بداية مرحلة جديدة من حيث كثافة تلبس التصوف بتاريخ المغرب لا من حيث الاعتبار المذهبي الصرف. وهكذا سمي التيار السائد بعده بالشاذلية الجزولية، واعتبر الشيخ زروق من أعلام وسائرها وإن كان قد أثر عنه اعتبار القرن التاسع نهاية عهد "صاف" في تاريخ التصوف المغربي، فاحتاج إلى التذكير بقواعده التربوية التي لا تسلم قط في خضم المعانقة الشعبية.

## جدول 2

وهذا وشم موجز لأدوار التكوينات الصوفية في المغرب عبر القرون في سياق التفاعل الاجتماعي الذي اعتبرناه الأساس الممكن لأي تحقيق :

أولاً - الدور الديني :

إذا تجاوزنا الجانب الروحي الذي هو الأصل في المنهاج الصوفي والتفتنا إلى الأدوار المحسوسة ذات الآثار التاريخية وجدناها تشمل جوانب كثيرة منها :

- (1) نشر الإسلام كعقيدة في شعوب وقبائل لم يصل إليها الفاتحون.
- (2) بث تعاليم الإسلام في أقوام ظل إسلامهم لا يتعدى مظهر الانتماء.
- (3) تنظيم مواسم دينية أرست العقيدة كالموسم الذي اشتهر في المغرب برباط شاكرو.
- (4) تنظيم الجهاد وتأطيره في أوقات كانت فيها الأمة في أخطار محققة تهددها من الخارج.
- (5) تنظيم السفر إلى الحج وربط المغرب بالشرق.
- ثانياً - الدور التعليمي والعلمي والثقافي :
- أ - نشر حفظ القرآن الكريم.
- ب - بناء المدارس العلمية وتدبيرها.
- ج - إنشاء الخزانة وتعميرها بالكتب العلمية.
- د - توفير إمكانات التأليف واحتضانه.
- هـ - نشر الثقافة العامة الشفوية عند غير القارئ عن طريق مجالس الذكر والذاكرة.
- ثالثاً - الدور الاجتماعي :
- (1) توفير الإيواء لعدد من أبناء السبيل.
- (2) إطعام الطعام ولا سيما في أوقات المجاعات.
- (3) تأمين الطرق بالهيبه والرهبة التي عرف بها أصحاب الزوايا، وتدعيم ذلك بنشر أخبار الكرامات.
- (4) حماية جماعات المحكومين من العمال الظالمين والحكام المستبدين.
- (5) ضمان التوازن وتدبيره بين الجماعات في مجتمع انقسامي.
- (6) الإشراف على معاهدات التساكن بين جماعات متجاوزة تنطوي وضعياتها على احتمالات عدوانية.
- (7) كسر الحواجز القبلية والإثنية أو تليينها على الأقل.
- (8) تأطير الاستقرار في المجالات الجديدة التي تغزوها الجماعات بعد فراغ ناتج عن موتان.
- (9) تأطير الاندماج الاجتماعي للمهمشين والغرباء والطرء.
- (10) تيسير التواصل الاخباري.
- رابعاً - الدور الاقتصادي :
- (1) إحياء مجالات من الأرض الموات وعمارة الأرض.
- (2) غرس الأشجار.
- (3) استنباط المياه.
- (4) ضمان الأرواق المتعلقة باستغلال المراعي.
- (5) تأطير التنظيمات الحرفية والمهنية بالمدن.
- (6) الإشراف على أمن الأسواق ورعايتها.
- (7) الربط بين مناطق متكاملة في التبادل.
- خامساً - الدور السياسي :
- (1) ضمان الولاء للإمامة، وهذا المبدأ المشهور عن الصوفية تاريخياً ومع ذلك توجد استثناءات مردها إلى الاستفزاز والحذر الذي يجعل الحكام يعملون على تصفية القوات السياسية الاجتماعية التي يتقون شرها على



الساحة السياسية إذا عجزوا عن استعمالها الاستعمال المطلوب.

(2) التوسط بين الحاكمين والمحكومين في سياق علاقات متوترة، وذلك بأساليب "الشفاعة" ومنح فرصة الملجأ إلى الحرم، ومراجعة الحكام في موضوع تصرفات أعوانهم.

(3) استعمال الهيئة للتخفيف من تعسفات ذوي الجاه، وتقوية ذلك بأخبار الكرامات، وهو منزع كانت له فعالية تاريخية مشهود عليها.

ولقد تلاقت أمواج التغطية الصوفية منذ السعديين لتنال بتأثيرها المتنوع جميع أطراف المغرب ولا سيما على أيدي تلاميذ الجزولي وتلاميذهم وعلى أيدي الناصريين في درعة والدراويين في الشمال والتجانين الذين ظهروا في لحظة كان يتوقع أن تنتصر فيها فكرة الوهابية بالمغرب، بيد أن شيئاً من ذلك لم يكن إذ بالتجانية جدد أعيان الحواضر انتسابهم الصوفي بعد أن نشط أتباع الناصريين والدراويين في البوادي خاصة، بل ان التجانية ربطت المغرب من جديد بالأفاق الصحراوية والأفاق الإفريقية التي سبق أن اشتهر شيوخ منها في فاس في عهود سابقة كالشيخ البرناوي.

فالتصوف من مقومات تاريخ المغرب الروحي والديني والثقافي والاجتماعي والسياسي بل والاقتصادي. لم تقتصر آثاره على المدن بل أدمجت البوادي في الحياة الثقافية، ولم يقتصر على جماهير العامة بل صار السند العلمي والسند في الإذن الصوفي يكادان يقتربان في تراجم معاجم الأعلام، وهو من معطيات الإشعاع المغربي في اتجاه الشرق ولاسيما صعيد مصر والبلاد التي نالت الطريقة الإدريسية، وفي اتجاه الجنوب، بل وفي اتجاه أوروبا في هذا القرن العشرين، وعلى الصعيد الداخلي، فما زال لتراثه حضور في النسيج الاجتماعي وفي الضمير الأخلاقي، وتجده من طبيعة الأمور.

م. التميمي، *المستفاد*، (ستنشر قطعة منه عام 1995 بتحقيق محمد بنشريف وأحمد التوفيق)؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، البيضاء 1984؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط 1965؛ ع. اليادسي، *المقصد*، الرباط؛ ابن تكلت، *إتمد العينين*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح. م. رابطة الدين؛ أحمد بن إبراهيم، *المنهاج الواضح*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح. ع. السعيد؛ ع. الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. ه. د 1501؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط 1977؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، منشور بترابلس محققاً ووارد على هامش طبعة مصرية للدبيح؛ أ. الصومعي، *المعزى في مناقب أبي يعزى*، حققه ع. الجاوي وهو قيد النشر بكلية آداب أكادير؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. إقبال وحجي، بيروت 1982؛ م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. ح. فاس 1324هـ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط خ. ع. ك 326؛ م. المهدي الفاسي، *متنح الأسماع*، ط. ح. فاس 1896 م؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط؛ م. الإفرائي، *صفوة من انتشر*؛ أ. ابن القاضي، *درة المجال*، القاهرة 1987؛ جذرة

الانتباس، الرباط 1973؛ م. الزبدي المنالي، *دوحة البستان*، مخطوط خ. ع.؛ أ. اللمطي، *الإبريز*، حققه الشماع ونشر في دمشق 1984؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، د. د. ع. بكلية الرباط، تح. زهراء النظام؛ ع. القادري، *المقصد الأحمد*، ط. ح. فاس 1932؛ م. القادري، *نشر المثاني*، الرباط، 1977-1986؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط خ. ع. 934؛ *السر الظاهر*؛ *سلوك الطريق الوارية*؛ ح. الطاهري الجوطي، *تحفة الإخوان*، ط. ح. فاس 1906؛ مولاي العربي الدرقاوي، *مجموعة الرسائل*، الدار البيضاء، د. ت. ع. حرازم، *جواهر المعاني*، بيروت 1963؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. ح. فاس 1895؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974-1983؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، فاس 1918؛ م. الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني*، سلا 1960؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الرباط 1960؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط 1964؛ م. داود، *النور البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق*، تطوان 1968؛ *علال الفاسي؛ التصوف الإسلامي في المغرب*، منشور في الثقافة المغربية، عدد 1 ص 31-41 وعدد 2 ص 24-44، 1970؛ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري*؛ *الملامتية*، في مجلة تاريخ المغرب، 1، 1981؛ ع. الصغير، *غروب الفكر الصوفي في شمال المغرب*؛ ع. الشاذلي، *التصوف والمجتمع*، سلا 1989؛ ع. القادري، *كتاب الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور*، تطوان، 1986.

O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger 1897 ; E. Michaux-Bellaire, *La Maison d'Ouzeen*, R.M.M. X, 1907 ; E. Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfas*, Paris 1992 ; G. Marçais, *Notes sur les ribats en herbérie*, in *Mélanges René Basset*, Paris 1925 ; E. Michaux-Bellaire, *Les confréries religieuses au Maroc*, A. M. 27, 1927, p. 1 - 86 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951 ; E. Dermengham, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954 ; R. Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam*, Sidi Heddi et les Iledowa, Paris, 1955 ; A. Faure, *Le Tashawwuf et l'école ascétique marocaine des XIIème - XIIIème siècles*, in *Mélanges Louis Massignon II*, Damas, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1958 ; J. Berque, *al Youssi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Mouton-La Haye 1958 ; P. Pascon, *La maison d'Igh*, Rabat, 1963 ; F. Skali, *La voie soufie*, Paris, 1985 ; E. Gellner, *Saints of Atlas*, London, 1969 ; M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawite*, Rabat, 1971 ; M. Morsy, *Les Ahansala*, Paris, 1972 ; V. Capanzano, *The Hamadsha*, in Nikki R. Keddie (éd.) : *Scholars, Saints and Sufis*, Univ. of California, Press 1972 ; J.-L. Michon, *Le Soufi Marocain Ahmed Ibn Ajiba et son Mi'rāj*, Paris, 1973 ; M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides*, Rabat, 1974 ; M. Tozy, *Champ et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse soutenue à Aix-En-Provence, 1984 ; A.-L. De Premare, *Sidi Abder-Rahlan el Mejdub*, Paris, Rabat 1985 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge, XIVème*, Paris, 1986 ; H. Triki et H. Ferhat, *Hagiographie et religion au Maroc médiéval, H.T.*, 1986 ; R. Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aissuouas au Maroc*, rééd. Casablanca, 1988 ; H. Triki et H. Fehrat, *Faux prophètes et mehdīs, H.T.*, 1988 - 1989 ; F. Skali, *Topographie sociale et spirituelle de la ville de Fès*, Thèse soutenue en Sonbonne, 1990 ; J. Hunwick, *Les relations intellectuelles entre le Maroc et les pays d'Afrique sub-saharienne*, Rabat, 1991 ; H. Fehrat, *Le Maghreb au XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi*, Casablanca 1993.

أحمد التوفيق

**تضاريس المغرب**، متميزة بالتنوع الشديد، حيث

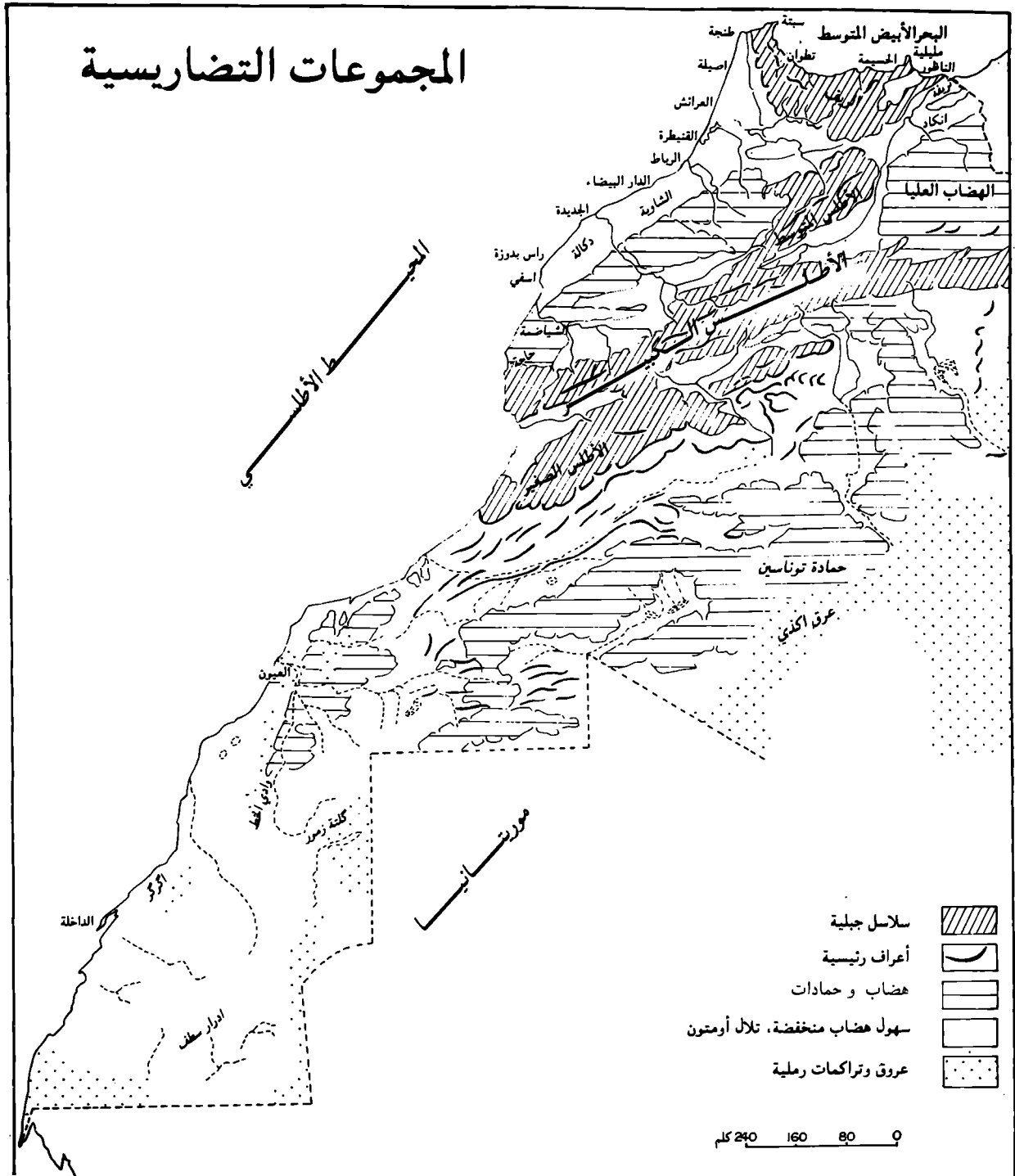
يمكن الفصل بين ثلاثة أنواع من المجالات : مجالات جبلية تضم الأطالس والريف، مجالات اطلنتية تتكون من سهول وهضاب، ومجالات شرقية وجنوبية. هي عبارة عن أرصفة

الذي يصل إلى 800 م والذي يدل على أن أكثر من نصف المساحة لها ارتفاعات تقل عن 1000 م. وتمتد الجبال الحقيقية على حوالي 100.000 كلم<sup>2</sup> أي 1/7 من المساحة الاجمالية. ويعني هذا أنه اعتباراً للتضاريس وحدها، يتوفر المغرب على أراض ممتدة صالحة للاستعمال الزراعي، إلا أن جفاف العديد من هذه السهول أو فقر تربتها يحولان دون استعمالها.

- الجبال : يقسم الظهر الجبلي الأطلسي الممتد من غ ج

ممتدة تبرز بها مرتفعات منعزلة. ويرجع الأصل في تنوع المغرب إلى موقعه على البحر المتوسط الذي يفسر حداثة وعنق البنائية وتجزيء التضاريس. وتقل آثار هذه البنائية نحو الجنوب حيث تمر إلى مناطق أكثر استقراراً ورتابة، ترتبط أكثر بالمجال الافريقي القاعدي.

وتمتد السهول المنخفضة والهضاب المستوية على مساحات شاسعة. ويرهن على ذلك الارتفاع الوسيط للبلاد



غ إلى ش ش ش إلى قسمين، مغرب متوسطي في الشمال، ومغرب صحراوي في الجنوب. ويتكون هذا الظهر أساساً من الأطلس الكبير الذي يمتد على مساحة 50.000 كلم<sup>2</sup> والذي يحتوي على أعلي قمم المغرب (4615 م في توبكال، 4070 م في مگون، 3737 م في العياشي). وهناك القليل من الفجاج العالية التي تسمح باجتياز هذه السلسلة في جزئه المحوري، يرتبط الأطلس الكبير عبر بركان سيروا بالأطلس الصغير الذي يمتد على مساحة 31760 كلم<sup>2</sup>، والذي تليه جنوباً سلسلة من الأعراف المنعزلة المتوازية. أما الأطلس المتوسط، فهو يتفرع عن الظهر الأوسط في جزئه الأوسط الكتلي ليتخذ اتجاهها نحو الشمال الشرقي، على مساحة 13440 كلم<sup>2</sup>.

ويقترّب الأطلس المتوسط في نهايته الشمالية من السلسلة المتوسطة المكونة لجبال الريف والامتددة على 13000 كلم<sup>2</sup>. وهي سلسلة كتلية تنحني نحو هوامشها الجنوبية، حيث تمتد تلال مقدمة الريف.

- السهول والهضاب الاطلنتية. غرب وشمال المدرج الجبلي الريف - أطلسي، وإشراف على الساحل الاطلنتي، تمتد مجموعة من السهول والهضاب. وسط المجموعة مرتفع، بينما جوانبها مستوية ومنخفضة.

تتكون الوحدة الهضبية المرتفعة من سطوح رتيبة قليلة التقطيع مثل هضبة خريكة، ومن "جبال" متوسطة شديدة التجزئ مثل الهضبة الوسطى والجيبيلات. في هذه المرتفعات، تعلو التضاريس إلى حوالي 1000 م أو أكثر.

تحيط بهذه الوحدة التماسكة سهولاً ومنخفضات. شمالاً نجد المنخفضات جنوب الريفية التي تنعزل عناصرها، مفصولة بتلال بارزة (سهول الغرب - الساييس - إناون). شرقاً وجنوباً، تمتد سهول تادالا، السراغنة والحوز عند قدم الأطلس. وغرباً أخيراً، تمثل السهول الساحلية رصيفاً عند قدم الهضاب الوسطى (سهول زعير، الشاوية - دكالة وعيدة).

- المغرب الشرقي : شرق الريف والأطلس المتوسط، وشمال الأطلس الكبير تمثل سهول وهضاب وجبال المغرب الشرقي مجالاً خاصاً له امتداد في القطرين الجزائري والتونسي. فهو يتكون من جزء متوسطي محدود ومتجزئ، عناصره سلاسل جبلية صغيرة مثل بني ازناسن وجرادة، وسهول محدودة، مثل تريفة وانكاد. ويتكون ثانياً من سلسلة من الأحواض، محورها ملوية، تمتد شرق الأطلس المتوسط. لكن الجزء الأوسع، عبارة عن هضاب عالية رتيبة تدعى الهضاب العليا.

- المغرب الجنوبي : جنوب الأطلس، التضاريس عبارة أساساً عن سهول وهضاب قاحلة. فهناك أولاً سلسلة من السهول الفاصلة بين الأطلس الكبير والصغير وتمثل منخفضات محصورة (سوس - درعة الوسطى - تدغة - تافاللت). وجنوب الأطلس الصغير، وفيما بين الأعراف المتوازية، تمتد سهول بانتي المستطيلة. وتمثل هضاب

الحمادات مساحات ممتدة ومتدرجة (غير - كمغم - درعة). ثم جنوبها نجد هضاب الركيبات التي تعلو الساقية الحمراء وتنحني غرباً عبر طغرافية متموجة نحو الساحل الاطلنتي. في المجموع تمثل السهول الحقيقية 10% من المساحة الإجمالية، والجبال 15%، بينما تغطي الهضاب 3/4 المغرب. إلا أن هذه الهضاب جد متنوعة الظروف، منها ما يقترب من ظروف الجبال (كالهضبة الوسطى) ومنها ما يشبه أكثر بيئة السهول مثل هضبة زعير الاطلنتية.

وتتضح الآثار البيئية العامة لهذا التقسيم التضاريسي، لما له من دور هام. فالتضرس أساس في تحديد سهولة التنقل الشيء الذي يفسر قلة الطرق التي تجتاز سلاسل الريف والأطلس بينما ترتفع كثافة الطرقات والمسالك في المناطق المستوية. والتضرس يحدد ثانياً امتداد الرقعة الزراعية، حيث ترتفع هذه الرقعة في المجالات السهلية، إما اعتماداً على الأمطار أو على السقي؛ بينما تتجزأ المساحة المزروعة إلى قطع صغيرة في الأودية وعلى السفوح المتوسطة داخل الوحدات الجبلية. والتضرس والارتفاع يلعبان كذلك دوراً مناخياً وإحيائياً متميزاً، حيث تتدرج بينات متوالية من قدم الأطلس إلى قممها. وتكون الجبال حواجز أمام الرياح الشيء الذي يفسر التناقض الصريح بين واجهاتها الشمالية والغربية المعرضة للرياح الرطبة، وواجهاتها الجنوبية والشرقية المظلة على مناطق جافة.

ويكمن الأصل في التوزيع التضاريسي الحالي في العوامل البنوية، المتحكمة في عنف وحدثة البنائية. وتبعاً لهذا العامل يمكن التفريق بين - مجالات مستقرة منذ وقت طويل، تمتد من مورتانيا جنوباً حتى الحادث جنوب الأطلسي، وتضم بالتالي سلسلة الأطلس الصغير، وحمادات الجنوب الشرقي والجنوب، وهضاب الصحراء الغربية.

- مجالات أطلسية، جملها جبلي، مكونة من سلاسل مرتفعة، بنيتها ملتوية ومنكسرة، رفعت بشدة في نهاية الزمن الثالث وعرفت توالي مراحل متعددة من التشويه والتعرية.

- مجالات رصيفية (الميسيطا) تتكون من سهول وهضاب المغرب الأطلنتي ومن هضاب المغرب الشرقي. وهي عبارة عن مناطق التوت قديماً قبل أن تعرف التسطیح التحاتي لتبقى مستقرة منذ ذلك عدا موجات بسيطة كانت سبباً في غزو البحار للمجالات المنخفضة حيث رسبت طبقات سمكية أهمها طبقات الفوسفاط.

ينفرد المجال الريفي شمالاً بكونه ظل منطقة إرساب طيلة الزمن الثاني وجل الزمن الثالث، ولم يتشكل إلا منذ الميوسين على إثر التواءات عنيفة جداً سمحت بانزلاق فرشات زاحفة نحو الجنوب، تجاه الأخدود جنوب الريفي الذي يفصله عن المجال الأطلسي والرصيفي.

Troin [et al...]. *Le Maghreb, hommes et espaces*, 360 p. 1985; Despays et Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 570 p. 1967.

عبد الله العوبنة

**التطافي**، - بكسر التاء - أبو بكر بن الحسن، أستاذ متوسع في علوم الدين، والفقه، والأصول، واللغة، وعالم صالح، راسخ في الزهد. هكذا نتعرف على ملامح شخصية الشيخ من خلال الترجمة الغنية التي عقدها له تلميذه الحسن بن مسعود اليوسي - والتي اعتمدت في باقي المصادر - (وهي ثاني ترجمة من حيث الكم مع اعتبار أن فهرس الشيخ اليوسي لم يكمل). وإذا كنا نجهد العديد من التفاصيل عن نشأته، وتكوينه، ولا نعرف تاريخ ولادته ووفاته، فإننا نصفه ضمن رجال طبقتهم، ونسجل حضوره ومشاركته في الحياة الفكرية خلال القرن الحادي عشر (17 م)، كما أننا نتلمس من الإشارات المقتضبة عن حياته التعليمية التعرف على المراكز التي ارتادها ونهل منها؛ قيل أخذ العلم على الشيخ عبد الله بن علي بن طاهر الحسيني (ت. 1044 هـ / 1634 م) أحد حفاظ المغرب الثلاثة، وأشهر علماء تافيلالت، كما كانت له رحلة إلى مدينة فاس في بداية طلبه للعلم. ولا شك أنه بلغ المستوى العلمي والخلقي الذي جعل مترجمه يحليه تارة بالإمام العالم، وتارة أخرى بالأستاذ المشارك الناسك. ويقدم أكثر من إشارة على مدى حبه للعلم وشغفه به، فهو لا يفتأ ينوه بفضله وشرف اكتسابه، ويشجع طلبته على تحمل عناء تحصيله.

أما طريقته الصوفية التعليمية فيظهر أنها ارتكزت على نهج تحليل المتون والأصول المدروسة مع إغناء المجالس بالإفادات والاستشهادات النثرية والشعرية على طريقة أكبر الشخصيات العلمية في عصره.

ح. اليوسي، فهرس، 166، 169 (مخطوط)؛ المحاضرات، 49، 113. 302؛ م. الإفرائي، صفوة، 117، 118؛ م. القادري، نشر، 2، 404؛ م. الحضيكي، طبقات، 57، 58 (مخطوط)؛ إ. ابن عجيبة، أزهار البستان، 245، 247 (مخطوط).

نقيصة الذهبية

**تطوان أو تطاون**، مدينة شهيرة في شمال المغرب لكن كل محاولة لإثبات أصلها التاريخي تعترضه عدة صعوبات متمثلة في ندرة المصادر المكتوبة والمادية على السواء. ويبقى الأمل معقوداً على استغلال النصوص القليلة وتحليلها ومناقشتها. وللتوصل إلى ذلك سنركز أنظارنا حول سنة 338 / 950 م لنتخذها نقطة انطلاق البحث عن ذلك الأصل. ومنها سنراجع إلى الوراء زمنياً، وسيمكننا هذا من الانطلاق من المعلوم إلى المجهول بحثاً عن أهم المحطات الزمنية وإثارة ما يتراءى لنا من التساؤلات.

ويعود اتخاذ سنة 338 هـ. نقطة التراجع الزمني، إلى أننا نعلم منها بالتأكيد وجود مدينة تطوان، من خلال ما أورده البكري حينما قال: "ومدينة تطاون.. قاعدة بني سكين بها قصبه للأول ومنار، وبها مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء (...). وهي بسفح جبل أيشقا (...). ويجوفها جبل يعرف ببلاط الشوك...". هذه الشهادة القصيرة كافية لإثبات وجود مدينة قائمة بذاتها بجميع

مرافقها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والحربية. كانت آنذاك مدينة إدرسية، لبني محمد، تنافس مدينة سبتة ووسط الأندلسيون نفوذهم عليها منذ عام 319 هـ، وترد التهديدات التي تتلقاها منها. فمتى تأسست مدينة تطوان وعلى يد من؟

إن قيام أي تجمع عمراني يرقى إلى مستوى مدينة يتطلب عهداً وزمناً طويلاً في أغلب الحالات. لكن يختلف الأمر بين مثال المدن التي تظهر لدواعٍ سياسية واقتصادية على يد زعماء يحتفظ التاريخ بأسمائهم، وبين المدن التي نشأت وتطور عمرانها على يد سكان المنطقة، دون أن يعلم أحد مؤسسها. فهذا المثال الأخير ينطبق على مدينة تطوان. فإذا كنا نستند إلى ما أورده البكري لإثبات وجود المدينة، وهو من أهل القرن الخامس، فإننا نرد أصل تلك النصوص على الأقل إلى منتصف القرن الرابع الهجري، مما سجله محمد بن يوسف الوراق المتوفي سنة 362 هـ. ولذلك لا يمكن أن نرد التأسيس إلى الفترة الإدريسية التي بدأت بالشمال الغربي منذ سنة 213 هـ، إذ أن النصوص لم تصرح بذلك، وما كان عليها أن تتغافل أو تتجاهل ذلك لو أن تطوان كانت إدريسية النشأة، بل إن وجودها أقدم من ذلك.

وسكوت البكري من خلال المتنبس من الوراق عن الإفصاح عن المؤسس، دليل على أن المدينة تم تأسيسها على يد أهالي المنطقة، ولا بد أن يتم ذلك بصورة تدريجية. ولما كان نص البكري يشير إلى بني سكين المصموديين، واتخاذهم تطوان قاعدة لهم، فإن السؤال يعود: هل كان بنو سكين هؤلاء هم مؤسسو مدينة تطوان؟ والواقع أننا نستبعد ذلك، ولو أننا لا ننكر أنهم ساعدوا على تطوير عمرانها وتثبيت مكائنها كمرکز حضري.

فبنو سكين هؤلاء من سكان المنطقة القدامى، مصموديون مجكسيون، كانوا قبل سيطرة بني محمد الأدارسة سنة 213 هـ. ويمكن الإشارة إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. امتد نفوذهم على المساحة الممتدة من تطوان إلى رأس قَبْ مُنْت، الرأس الأسود الحالي، لتشمل الساحل إلى مصب واد تطوان أو مجكسة حسب البكري، صعوداً مع مجرى نفس الواد إلى ما يقابل المدينة من جهة الجنوب. كان دورهم بارزاً في المنطقة، ومن الوجهة الاقتصادية خاصة. والمهم لدينا أن قرب العصر من الوراق دليل آخر على قدم مدينة تطوان، وبعد ظهورها عن النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

ولما كان بنو سكين هم خلفاء بني ماجكن المجكسيين على المنطقة منذ انسحاب زعيمهم ماجكن أو ماجكسن إلى سبتة بعد سنة 122 هـ. فإن أنظارنا توجهت إلى هذه الجماعة من المصموديين، قواد المنطقة قبل العقد الأول من القرن الثاني الهجري. نحن لا نستبعد أن تطوان المدينة قد نالت حظها من نتائج الاضطرابات التي عمت كلا من سبتة وطنجة بسبب الثورة الخارجية، ولكن هذا لا يمنعنا من التأكيد على وجود المدينة أثناء ذلك، استناداً إلى إشارة

البكري كذلك. إن أنه يصرح بوجود "قصة ومنار للأول".  
وحيثما يستعمل البكري لفظ "الأول" نعلم ماذا كان يعني،  
فهو يريد الإشارة إلى زمن ما قبل العهد الإسلامي ببلادنا.  
فلا يسعنا سوى أن نقول إن وجود المدينة عائد إلى تلك  
الفترة السحيقة في القدم، بدليل وجود قصة ومنار، فلا  
يمكن تصور وجودهما بدون حضور المجال العمراني والتجمع  
السكاني والوظائف الحضرية الضرورية. ويبقى تحديد  
البتداية والوقوف عند ميلاد المدينة. وهذا ما لا تسعنا به  
المصادر القديمة.

ويمكن التأريخ لوجود مدينة تطوان بعهد ما بعد مدينة  
تمودا، إذ من المستبعد التحدث عن ظهورها إلى جانب  
مدينة ذات مكانة في التاريخ القديم، قريبة منها على بعد  
ثمان كيلومترات فقط. وأيضا فإن ظهور تطوان لا يمكن أن  
يأتي إلا بعد انتهاء دور مدينة تمودا.

والخلاصة أن مدينة تطوان يمكن أن تكون ظهرت بعد  
تخريب تمودا على يد سكان المنطقة المصمودية قبل ميلاد  
المسيح عليه السلام لتقوم بوظائف المدينة القديمة، وموقعها  
المشرف على المجرى الأوسط لواد مجكسة (واد تطوان) من  
جهة، وهيمنتها على المصب، إلى جانب موقعها على  
الطريق البري المتجه إلى مدينة سبتة، وبالطبع لا يمكن  
التحدث عن تاريخ محدد لذلك الظهور ولا عن القوى  
السياسية والاجتماعية التي قادت المدينة سوى أنها  
مصمودية الأصل. أو عن تحديد مساحة المدينة ودرجتها  
العمرانية، فهذا من اختصاص أهل التاريخ القديم.

وبتلك الصورة وصلت مدينة تطوان إلى يد المجكسين  
ماجكن ثم بني سكين والأدارسة بعدهم. وهناك دليل آخر  
عن مصمودية مدينة تطوان أصلا وتأسيسها هو اسم المدينة  
الأمازيغي. فتطوان جمع لمفرد تيط أي عيون الماء، ففي  
زمن البكري كانت بها "مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء".  
ولا شك أن تلك العيون السائحة التي أعطت المدينة اسمها  
هي التي تنساب اليوم بحي العيون في غرب المدينة،  
وأعطت اسمها أيضا للحي الذي تجري فيه.

أ. البكري، المغرب، 107. 130. ع. ابن خلدون، العبر، 6: 436-438.  
450: ح. السوزان، وصف إفريقيا، 1: 247. مصطفى غطيس،  
تمودة، 43: م. داود، تاريخ تطوان، ج. 1، 46: مارمول، إفريقيا،  
2: 222. ج. كاني، المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس  
الهجري، البحث العلمي، 1973، 130، 143.

أحمد قدور  
\* تاريخ تطوان، أول من قام بمحاولة كتابته هو عبد  
السلام سكيرج المتوفى سنة 1250 / 1834 وعنوان كتابه الذي  
ما زال مخطوطا: نزهة الإخوان وسلوة الأحران في الأخبار  
الواردة في بناء تطوان؛ والمحاولة الثانية كانت لأحمد  
الرهوني الذي أطلق على كتابه اسم عمدة الراوين في تاريخ  
تطوان، ويقع في عشرة مجلدات ما زالت مخطوطة. وقد  
قمت بتكليف من معهد فرانكو للأبحاث المغربية الإسبانية  
بتلخيصه في جزء باللغة الإسبانية طبع بتطوان سنة 1953.

أما المحاولة الثالثة فهي لمحمد داود الذي سمي كتابه  
تاريخ تطوان، وهو يحتوي على عدة مجلدات لم يطبع منها  
سوى ثمانية، ويتعلق الأمر بتأليف ذي قيمة كبرى، غير  
أنه لا يمكن أن يعد بمثابة تاريخ تطوان النهائي لما فيه من  
ثغرات يجب ملؤها وأغلاط تتطلب التصحيح. وكل ما  
يمكن أن يقال عن العمل الجبار الذي قام به داود هو أنه  
مشروع لموسوعة تطوان ولو أنه لم يقدم على شكل  
الموسوعات لأن مواده غير مرتبة ترتيباً ألفبائياً، بالإضافة  
إلى أنه يحتوي على مواد كثيرة لا علاقة لها بتاريخ  
تطوان، وأنه لم يعتمد أساساً إلا على المراجع العربية فلم  
يلجأ إلى المصادر الأجنبية إلا نادراً، حين أننا نعلم أنه بدون  
الاطلاع على تلك المراجع مباشرة لا يمكن لأحد أن يكتب  
تاريخ تطوان ولا تاريخ شمال المغرب منذ بداية القرن التاسع  
الهجري (15 م).

إن أقدم مصدر جاء فيه أن مدينة تطوان أو تطاون  
كانت موجودة في عهد الأدارسة هو كتاب المسالك  
والممالك، لأبي عبيد الله البكري. كما ذكرنا آنفاً..

ويؤكد وجود تطاون في عهد الأدارسة ما جاء في  
القرطاس إن تطاون كانت مع طنجة وسبتة من حظ الأمير  
سيدي قاسم بن إدريس الثاني في تقسيم المملكة الذي قام  
به سنة 213 السلطان محمد الأول من دولة الأدارسة.

ويشهد جميع المؤرخين بأن القائد محمد طلمس الذي  
جاء من الأندلس إلى المغرب بأمر من الخليفة المستنصر قد  
توجه إلى تطاون للقضاء على المقاومة التي كان يقودها  
الأمير الإدريسي الحسن بن كنون سنة 361 / 972. كما يشهد  
المؤرخون بالاجماع بأن القائد الفاطمي بلقين، بعد احتلاله  
لعاصمة فاس سنة 369 / 979 توجه إلى شمال المغرب ومر  
بتطوان في طريقه إلى سبتة.

ومما يدل على أن تطاون كانت موجودة في عهد  
المرابطين والموحدين ما جاء في كتب التاريخ بأن قائد  
الكتيبة المسيحية التابعة لجيش السلطان المرابطي تاشفين  
ابن علي وهو الإسباني ريبريطير Reverter قد التجأ إلى  
تطوان عند ما كان في متابعة الجيش الموحد بقيادة  
الخليفة الموحد عبيد المومن بن علي بشمال المغرب سنة  
537 / 1142. ولا شك أن إيواء القائد المسيحي المذكور من  
طرف سكان تطاون كان سبب قتل ثمانمائة تطاوني من طرف  
الموحدين سنة 544 / 1150.

ليس لنا ما يدل على المكان الذي كانت توجد به مدينة  
تطوان في تلك العهود، ولكننا نتوفر على ما يثبت أن أقدم  
نواة لهذه المدينة كانت بحومة "السويقة" الحالية وبالضبط  
بالمكان المعروف بـ"المنجرة".

فعلا، هناك تقاييد تفيد أنه في سنة 542 / 1148 جاء  
إلى المكان المذكور الولي الصالح سيدي عبد القادر التبيّن،  
وشرع في بناء دور ودكاكين ومسجد ومطاحن. والغالب  
على الظن أن هذه المدينة الصغيرة (المنجرة) هي التي أطلق  
عليها الجغرافي الشريف الإدريسي المتوفى سنة 560 / 1165

اسم "حصن تطوان" في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وهذا الحصن هو الذي وصفه الجغرافي صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الامصار بمدينة قديمة. ومن المعلوم أن هذا الكتاب وضع في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

أجمع المؤرخون على أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني، هو الذي أنشأ قصبة تطوان سنة 1286 / 685 ونحن نشاطر الفقيه داود رأيه في أن القصبة المذكورة هي القصبة الموجودة داخل المدينة والمعروفة بقصبة سوق الحوت القديم في المكان المعروف بجامع القصبة.

ويقول جميع المؤرخين إنه في سنة 1308 / 708 قام السلطان أبو ثابت عامر المريني ببناء "أفراگ" كبير حول قصبة سوق الحوت القديم لينطلق منه إلى مدينة سبتة من أجل محاصرتها واسترجاعها من يد الأندلسيين.

وتشهد المصادر الإسبانية بأن الذي قام بإتمام بناء "أفراگ" المذكور هو السلطان سليمان بن عبد الله، فتم له استرجاع سبتة سنة 1809 / 709.

ويقول القنصل رويس دي كويثاس (Ruiz de Cuevas) إن القلعة التي بناها أبو ثابت كانت تتوفر على بابين : باب بناحية الجنوب أطلق عليها اسم باب المدينة وباب المشور. ولا شك في أن "أفراگ" أبي عامر وكذلك قصبة يوسف بن يعقوب قد بقيا قائمي الذات طيلة القرن الثامن (14 م) بحجة أن ذكر مدينة تطوان ورد في مقدمة ابن خلدون.

ومما يدل على أن المدينة لم تكن ذات أهمية في ذلك العصر، أنها لم تذكر من بين مدن المغرب في كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار لابن الخطيب.

غير أن الناصري يؤكد أن تطوان بقيت قائمة الذات إلى غاية سنة 1400 / 808.

هنا يجب أن نتعرض لقصة وردت في عدد من كتب التاريخ وهي أن أسطول الملك الإسباني إنريكي الثالث قام بتخريب تطوان سنة 1399 أو 1400 / 802 . 803.

وهذه القصة لا أساس لها من الصحة فهي من اختلاق الكاتب الإسباني "كونثاليث دابيللا" الذي جاء بها في كتابه تاريخ حياة وأعمال الملك إنريكي الثالث ملك قشتالة.

والدليل على عدم صحة هذه القصة هو أن مؤرخ دولة قشتالة آنذاك "لويس دي أجالا" لم يأت بها في كتابه تاريخ الملك إنريكي الثالث. وليس من المعقول أن يكون مؤرخ الدولة الرسمي قد أغفل ذكر مثل هذا الحدث المهم في حياة ولي نعمته.

ومن المعلوم أن أول كاتب أخذ هذه القصة عن "دابيللا" هو الكاتب الإسباني "مارمول كاريخال" الذي أوردها في كتابه كشف عام لإفريقيا، وعنه أخذ المؤرخون الإسبان ومنهم المؤرخ كاسطيانوس Castillos الذي جاء بها في كتابه تاريخ المغرب.

وعن كاسطيانوس أخذها الناصري فأوردها في كتابه

الاستقصا، وهذا ما جعل المؤرخين المغاربة يرددون نفس القصة ومنهم الفقيهان الرهوني وداود.

والغريب أنه لا أحد من المؤرخين والكتاب اهتدى إلى ما كتبه الجغرافي الحسن الوزان الفاسي صاحب كتاب وصف إفريقيا، الذي قال إن تخريب تطوان كان على يد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة لا على يد الإسبانين، غير أنه لم يذكر السنة التي وقع فيها ذلك، كما أنه لا أحد اهتم بما قاله المؤرخ البرتغالي دافيد لوبيس David Lopes في كتابه البرتغاليون، عندما أثبت عدم صحة تخريب تطوان سنة 1400 / 803 وذلك بتقديمه أدلة قاطعة لا تقبل الجدل.

تشهد الوثائق البرتغالية التي تتوفر عليها أن تطوان لم تهدم سنة 1400 / 803 بل كانت موجودة وقائمة الذات سنة 1415 / 818 وهي السنة التي احتل فيها البرتغال مدينة سبتة، بحجة أن سكان تطوان هم الذين كانوا يرابطون على مدينة سبتة فيعينون إخوانهم المغاربة المطرودين منها على مهاجمتها ومحاصرة البرتغاليين بها، بل هناك من سكان سبتة من التجأ إلى تطوان واستقر بها.

تؤكد الوثائق المذكورة أن الذي كان يترأس حصار سبتة سنتي 831 و832 / 1427 و1428 هو الولي الصالح سيدي طلحة الذي كان ينطلق إليها من تطوان. وهذا ما تؤكدته المصادر الإسبانية مثل سوريدا وكريادو وأورطيجا وماركس ذي برادو. إلا أن الأستاذ داود يقول : إن سيدي طلحة الدريج كان بتطوان حوالي سنة 1255 / 653، ونقلنا عن سليمان الحوات يتأكد أن الولي المذكور انتقل من سبتة إلى تطوان فكان "يلازم الرباط للجهاد في الثغور"، وكان له فرس يركبه للجهاد وكان "يقا تل الكفار ومعه خمسون".

ونحن نتساءل : أين كانت توجد ثغور للجهاد وأين كان يوجد الكفار بأرض المغرب حتى يقاتلهم سيدي طلحة ويلازم الرباط عليهم في منتصف القرن السابع الهجري (منتصف القرن الثالث عشر الميلادي) والحالة هذه أن أول مدينة مغربية سقطت بأيدي الكفار كانت هي مدينة سبتة.

ونتوفر على حجة قاطعة تثبت وجود تطوان وقيامها بدور طلائعي في الجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة، هي شهادة المؤرخ البرتغالي المعاصر للأحداث غوميس دي أزورارا (Gomes de Azurara) الذي يقول في كتاب تاريخ الكونت دوارطي دي مينسيس : إنه في سنة 1435 / 839 كانت تطوان مكاناً محصناً تحيط به الأسوار من كل جهة، وفيه أبراج لا تقل متانتها عن متانة القصبة، وهذا ما جعل "ابن الكونت ذي خيخون" يعتبر تطوان مدينة ذات أهمية تناسب مقامه العالي وشجاعته الأسطورية ليشترك في غزوها عسى أن يكتب له الاستيلاء عليها فيكون بذلك قد قام بعمل يناسب الاسم النبيل الذي يحمله".

ونفس الشهادة نجدها عند المؤرخ البرتغالي بالطاسار ذي أوسوريو (Baltazar de Osorio) في كتابه سبتة خلال قيادة ضون بيدرو دي مينسيس (1415 . 1437)، حيث يقول

إن الكونت ذي خيخون "انتقل إلى سبتة وعرض فكرته على حاكمها بيدرو دي مينسيس فوافق عليها وأرسل معه ضد تطاون ابنه دوارطي على رأس كتيبة مكونة من خمسمائة محارب.

كان ذلك في صبيحة يوم من أيام شهر أكتوبر من سنة 1435 (ربيع الأول 839) خرجت فيه الكتيبة المذكورة من سبتة متوجهة إلى تطاون "وما أن وصلت إلى هذه المدينة حتى كان سكانها قد اتخذوا احتياطاتهم بسد أبواب المدينة".

ويقول المؤرخ أوسوريو : إن البرتغاليين تمكنوا من الوصول إلى أبواب المدينة فصاروا يقرعونها برماحتهم وينادون السكان للخروج لمقاتلتهم، فلم يفعلوا وعاد البرتغاليون إلى سبتة حيث لم يكونوا متوفرين على الآلات اللازمة لاقتحام مدينة محصنة.

والمؤرخ أوسوريو هو الذي جاء بخير تهديم مدينة تطاون نقلا عن المؤرخين البرتغاليين المعاصرين للأحداث حيث قال في كتابه، ما يلي :

"في سنة 1437 / 841 نظم ضون دوارطي ابن حاكم سبتة حملة ضد تطاون، لكن سكان المدينة غادروها قبل وصوله إليها متأكدين من أنه رغم تحصينات المدينة لم يكن في إمكانهم الصمود في وجه العدد الضخم من المقاتلين البرتغاليين الذين توجهوا إليها.

"ولم يكن البرتغاليون بحاجة إلى استعمال أسلحتهم، ولكنهم تمكنوا من تحطيم الأسوار والأبراج وكل ما يمكن أن يساعد على إعادة تحصين المدينة من جديد، وكان لهذا الحدث أثر كبير في البرتغال حيث ابتهج له الجميع فأقيمت الحفلات بتلك المناسبة وكان ذلك سبباً في أن فكر الملك البرتغالي ضون دوارطي الأول في احتلال طنجة.

وفي يوم 23 صفر 841 / 26 غشت 1437 وصل إلى مياه سبتة الأسطول البرتغالي الذي كان يحمل الجيش الذي أرسله الملك دوارطي الأول برئاسة الأميرين إنريكي وهيرانندو من أجل الاستيلاء على مدينة طنجة.

ومن سبتة توجه قسم من هذا الجيش إلى طنجة عن طريق البحر وقسم آخر عن طريق البر تحت رئاسة الأمير إنريكي الذي كان يريد مشاهدة تطاون المحطة. ويقول المؤرخ البرتغالي روي دي بينا (ص. 54) في هذا الصدد : "عندما وصل الأمير إنريكي إلى تطاون يوم 10 شتمبر وجدها خاوية على عروشها، لأن ضون دوارطي ابن الكونت ضون بيدو دي مينسيس حاكم سبتة كان قد أغار عليها منذ أيام من أجل احتلالها ولكن سكانها فروا من وجهه فما كان عليه إلا أن كسر أبواب المدينة وحطم جميع تحصيناتها.

ورغم هذا كله يقول المؤرخ البرتغالي دافيد لويس : إنه لم يتم تحطيم تطاون بصفة نهائية سنة 1437 / 841، والغالب على الظن أنها لم تبق خالية، غير أن عدد سكانها أصبح قليلا حيث لم تكن تطاون منذ ذلك الوقت خطرا على النصارى لا في البر ولا في البحر كما كان شأنها من قبل".

وحتى إذا لم يكن الأمر كذلك، أي إذا فرضنا أنها بقيت خالية بعد تخريبها سنة 1437 / 841 فإن ذلك ينفي على كل حال القصة القائلة بأنها خربت سنة 1400 / 803، وسنرى فيما بعد أنها لم تبق خالية إلا سبعا وأربعين سنة لا تسعين سنة كما ورد في معظم كتب التاريخ.

يتضح مما تقدم أن تطاون بقيت مخربة من سنة 841 / 1437 إلى أن قام بإعادة بنائها المسلمون الأوائل الذين هاجروا من الأندلس إلى هذه الناحية سنة 888 أو 889 / 1484. 1485 أي قبل سقوط غرناطة بثمان سنوات على الأقل.

ولم يتم ذلك التجديد الأول على يد علي المنظري كما يقول الأستاذ داود أحيانا لأن المنظري الأول لم يقم إلا بالتجديد الثاني للمدينة سنة 898 / 1493. ونقول إن الأستاذ داود يقول ذلك أحيانا لأنه ينساق وراء نظرية بعض المؤرخين الذين يشكون في وقوع التجديد الأول فيشك الأستاذ داود بدوره في ذلك، مع أنه يتوفر على حجتين : حجة جاء بها مخطوط تطاون، حيث يقول : إن التجديد الأول وقع سنة 889 / 1485، وحجة أتى بها الفقيه سكيرج الذي قال في كتابه نزهة الإخوان : إن ذلك كان سنة 888 / 1484.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ البرتغالي دافيد لويس بالرغم من أنه لم يطلع على مخطوط تطاون ولا على نزهة الإخوان، أكد أنه من المحتمل أن يكون تجديد تطاون الأول قد وقع إما سنة 888 / 1484 أو سنة 889 / 1485 ويرجح الافتراض الأول.

ونحن نتوفر على حجة قاطعة في الموضوع جاء بها المؤرخ البرتغالي كوميس دي أثورارا المتوفى سنة 892 / 1487 في كتابه تاريخ الكونت ضون دوارطي دي مينسيس، حيث قال إن تطاون كانت سنة 892 / 1487 "قلعة محصنة تدور بها أسوار وأبراج متينة وتوجد بها قسبة محصنة والجنود الموجودون بها هم الذين يقومون ضدنا بسبتة من حين لآخر".

وفي ذلك دلالة قاطعة على أن تطاون كان قد أُعيد بناؤها ولو جزئيا قبل سنة 892 / 1487 على أيدي الأندلسيين الذين وردوا على شمال المغرب قبل مجيء المنظري ببضع سنين ؛ وهو ما تفره المقطعة التي يستظهرها سكان تطاون أبا عن جد :

قد بُنيت تطاون يقينا عام تُفاحة من السنين  
في شهر شعبان في حرف الزاء ابتدأوا الحفير والبناء  
وأكملت عند تمام الكاف قد صح ذا عندي بلا خلاف  
وكان عدة الرجال الأبرار ميم وزاء لبس ثم أكثر  
وعدة النساء فقط اليباء فهؤلاء أسسوا البناء  
ونصها في رواية أخرى :  
قد بُنيت تطاون يقينا تُفاحة من عدة السنين  
وأكملت عند تمام الكاف قد صح ذا عندي بلا خلاف  
في شهر شعبان في حرف الزاء ابتدأوا الحفير والبناء

وكان عدة الرجال الأبرار ميم وزاء ليس ثم أكثر  
وعدة النساء فقط الباء فهؤلاء أسس البناء  
والغالب على الظن أن التجديد الأول لتطاون لم يشمل  
سوى القصبه التي بناها يوسف بن يعقوب وأفراگ الذي  
أنشأه أبو ثابت، أي ما كان يكون المدينة التي خربها  
البرتغاليون سنة 1437 / 841.

بعد أن أثبتنا أن التجديد الأول للمدينة في سنة 888 .  
1484 / 889 - 1485 لم يكن على يد علي المنظري بقي أن  
نبحث عن الرجل الذي التجأ إليه الأندلسيون ليساعدهم  
على إعادة بناء تطاون، فنقول : إن الذي أشرف على ذلك  
هو أمير شفشاون علي ابن راشد العلمي المتولي أمر الجهاد  
بالناحية الشمالية الغربية من المغرب.

ونعتمد في قولنا هذا على ما قاله المؤرخ البرتغالي  
ماسكارينهاس في كتابه تاريخ سبتة، حيث جاء أن حاكم  
سبتة أنطونيو دي نورونها "قام لأول مرة سنة 1488 / 893  
بهجوم ضد الأراضي المجاورة ولكنه سقط أسيراً بيد ابن  
راشد ومعه عدة ضباط من بينهم كريسطوقال دي ميلو  
وسيمون سوسا ومرطين فاسكيس وهيرناندو كوطينيوي.

وهناك إشارات برتغالية أخرى تثبت أن الشخص الذي  
كان في إمكانه أن يساعد الأندلسيين على إعادة بناء  
المدينة هو علي ابن راشد الذي تقول عنه الوثائق البرتغالية  
إنه كان يقوم وحده بمهاجمة مدينتي سبتة وطنجة، وذلك إلى  
غاية سنة 1495 / 900 حيث ظهر برفقته لأول مرة القائد  
المنظري.

يتضح مما تقدم أنه خلافا لما يقوله الفقيه داود فإن أول  
من حكم تطاون بعد إعادة بنائها الأول هو أمير شفشاون  
علي ابن راشد وذلك من سنة 1484 / 888 إلى سنة 1493 / 898.

وسنرى فيما بعد كيف أن كلاً من ابنه إبراهيم وبنته  
الست الحرة كتب لهما أن يحكما المدينة بعده.

صحيح إن التجديد الثاني لمدينة تطاون كان أهم من  
الأول وكان على يد علي المنظري (الأول) ولكنه لم يتم إلا  
بعد سقوط غرناطة، أي في شهر شعبان عام 898 / يونيو  
1493.

نقول هذا اعتماداً على المصادر التالية :

أولا : كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر  
الذي جاء فيه أنه "بعد سقوط غرناطة خرج أهل رندة  
ويسطة وحصن موجر وقرية قردوش وحصن مرتيل إلى  
تطاون وأحوازها".

ثانيا : كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الذي يقول  
إن "الذي قام بإعادة بناء تطاون وعمرها هو القبطان  
الغرناطي الذي جاء إلى فاس صحبة ملك غرناطة سنة 900 /  
1495".

ثالثا : كتاب إفريقيا لمارمول كارياخال الذي يؤكد أن  
تطاون بقيت مخربة مدة تسعين سنة فتكون إعادة بنائها  
بالنسبة له قد تمت بعد سنة 895 / 1490.

رابعا : كتاب تاريخ سبتة للمؤرخ البرتغالي  
ماسكارينهاس الذي جاء فيه أن تطاون "بقيت مخربة مدة  
تزيد على تسعين سنة إلى أن قام الملك الكاثوليكي باحتلال  
مدينة غرناطة سنة 1492".

خامسا : كتاب البرتغاليون للمؤرخ دافيد لويس الذي  
يؤكد أن "المنظري من المحتمل أن يكون قد أعاد بناء تطاون  
قبل سنة 900 / 1495 أي قبل السنة التي ورد اسمه لأول مرة  
في كتب التاريخ البرتغالية".

سادسا : كتاب الاستقصا للناصرى السلاوي الذي  
يعتمد على المؤرخ الإسباني كاسطيانوس فيقول إن إعادة  
بناء تطاون تم على يد المنظري بعد سقوط غرناطة.

سابعا : تقييد محمد العربي الفاسي الذي يقول : "إن  
المنظري أعاد بناء تطاون سنة 898 / 1493 وبالضبط في يوم  
7 شعبان موافق 24 مايو".

إلا أن الفقيه داود يخالف هذه الآراء ويؤكد بأن المنظري  
هو الذي قام بتجديد بناء تطاون سنة 889 / 1485 لا في سنة  
898 / 1493 دون أن يقول لنا لماذا رفض آراء أغلبية المؤرخين  
المعاصرين للأحداث، خصوصا وأنه يعلم أن الفقيه الرهوني  
يقول في عمدة الراوين "إن علي ابن راشد بعث الولي  
الصالح محمد بن علي المنظري الأندلسي الأصل  
الشفشاوني الدار، فأقام المنظري على بناء الاسوار، كما  
يقول : "إن محمد بن علي المنظري كان ساكنا في شفشاون  
وأرسله مولاي علي ابن راشد أمير شفشاون إذ ذاك ليبنى  
لمهاجري غرناطة بلدا".

وعلى كل حال فإن التجديد الثاني لمدينة تطاون لم  
ينحصر في القصبه التي بناها يوسف بن يعقوب وفي  
أفراگ الذي أنشأه أبو ثابت وهو ما اشتمل عليه التجديد  
الأول للمدينة، بل إنه شمل مساحة أوسع وهي ما تعرف  
اليوم بحومة البلد. بالإضافة إلى القصبه الجديدة التي بناها  
المنظري الأول بجبل درسة.

ويبدو أن المدينة الجديدة كان يحيط بها سور به ثلاثة  
أبواب : باب المدينة القديمة، وباب الناحية الشرقية يعرف  
باب السفلي (وهو الذي يعرف الآن بباب السلوقية) وباب  
ثالث بالناحية الغربية أطلق عليه اسم باب السلسلة (وهو  
المعروف الآن بباب الصياغين) والذي حل محل باب المشور  
الذي صار داخل المدينة.

وهذا ما يتفق مع ما قاله محمد العربي الفاسي الذي  
عاش بتطاون فيما بين سنة 1032 و 1052 / 1628 . 1648 والذي  
قال إن تطاون في عهد المنظري الأول كانت تتوفر على  
ثلاثة أبواب وأن السياج الذي كان يحيط بالمدينة يتكون  
من سورين علوهما سبعة أذرع وكان يدور بالسورين حفير.

لدينا من الحجج ما يثبت أن المنظري (الأول) حكم  
تطاون بصفته قائدا تابعا لأمير شفشاون ابتداء من سنة  
898 / 1493 ولم يكن "حاكما مستقلا" أن المدينة كانت حسب  
تعبيره "تكون شبه إيالة صغيرة تحت إمرته" ويحكم أنه لم  
يكن بين المنظري وابن راشد إلا "علاقة ودية متينة".



الوطاسي الذي حضر إلى تطوان لعقد قرانه بها يوم 5 ربيع الأول 948 / 30 يونيو 1541 وظلت بتطوان بصفته خليفة لزوجها من ذلك اليوم إلى يوم 12 رجب 949 / 22 أكتوبر 1542 حيث تعرضت لمؤامرة أطاحت بها وحل محلها المنظري الرابع.

لقد ترتب عن الإطاحة بالست الحرة أن أصبح المنظريون يحكمون المدينة بصفة مستقلة من سنة 949 / 1542 إلى سنة 975 / 1567. وخلال هذه المدة حكم تطوان أربعة من أولاد المنظري.

ولا صحة لما جاء به كل من سكيرج والرهوني وداود من أنه بعد المنظري الرابع حكم تطوان بالتتابع كل من علي الذيب وعلي الوسخ ومحمد الصبان ومحمد بوردان وعبد الرحمن العليج حيث إنه ليست هناك أي وثيقة تثبت ذلك، وكل ما في الأمر أن سكيرج وجد أمامه فراغا في تاريخ تطوان خلال الفترة الأولى من العهد السعودي فطاب له أن يفترض حكاما لم نجد لهم ذكرا في أي مصدر آخر سوى مخطوطه.

والحقيقة أن تطوان كانت، في عهد السلطان عبد الله الغالب السعودي، خاضعة للقائد العام الذي كان مقره بالقصر الكبير القائد رحو بن تودة، ثم أصبحت تحت حكم ولده عبد الكريم، وذلك إلى سنة 984 / 1577 حيث كان للسلطان عبدالمملك المعتمض بها قائد اسمه المفضل.

وابتداء من سنة 988 / 1580 وإلى غاية سنة 1019 / 1610 أصبحت المدينة تحت الحكم المباشر لأولاد النقيسيس، كان أولهم محمد بن عيسى النقيسيس وآخرهم عبد الكريم النقيسيس الذي سلم المدينة إلى الشيخ المأمون بعد عودته من إسبانيا في شهر شعبان 1019 / نوفمبر 1640.

وقد احتفظ المأمون بتطوان إلى أن لقي حتفه على أيدي سكان الناحية يوم 5 رجب عام 1022 / 21 غشت 1613، عنئذ عاد أولاد النقيسيس لحكم تطوان إلى غاية شهر ربيع الأول 1041 / أكتوبر 1631 حيث استولى عليها المجاهد العياشي وذلك إلى أن قتل يوم 16 محرم 1051 / 30 أبريل 1641 فعاد عبد الكريم النقيسيس إلى حكم المدينة، وفي السنة التالية اعترف بنفوذ الزاوية الدلائية.

وفي 30 شوال 1072 / 8 يونيو 1662 استولى الحضريان على تطوان وظلت تحت نفوذه إلى يوم 11 ربيع الأول 1078 / 31 غشت 1667 حيث دخلت تحت طاعة السلطان مولاي رشيد العلوي.

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل أصبحت تطوان مقر القيادة العامة في شمال المملكة، أسندت أولا للقائد أحمد بن حدو الحمامي ثم للقائد علي بن عبد الله الحمامي ثم لابنه الباشا أحمد بن علي الريفي؛ وعلى إثر وفاة السلطان مولاي إسماعيل عرفت تطوان اضطرابا كبيرا لمدة قصيرة تنازع خلالها على حكم المدينة الباشا المذكور والحاج عمر لوقش أحد أقطاب تطوان، وذلك إلى أن تولى الملك السلطان سيدي محمد بن عبد الله فدخلت المدينة تحت

بل الحقيقة هي أن المنظري الأول حكم تطوان بصفته مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، والدليل على ذلك هو أن المؤرخ البرتغالي كويش صاحب كتاب تاريخ الملك ضون منويل عندما يشير إلى المنظري فإنه يصفه دائما "بقائد تطاون" لا أقل ولا أكثر، في حين أنه يطلق على علي ابن راشد لقب "سيد القوم بين المغاربة" ولفظة "السيد" (Señor) عند البرتغاليين والإسبانيين تعني "الأمير".

وهناك حجة أخرى جاء بها الفقيه سكيرج المتوفى في تطاون سنة 1250 / 1834 تثبت أن المنظري الأول كان مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، ذلك لأن التطاونيين لم يتجرأوا على دفن المنظري عند وفاته سنة 910 / 1504 إلا بعد أن استشاروا مع علي ابن راشد في المكان الذي يجب أن يدفن فيه.

والمنظري الأول هو أب المنظري الرابع وجد المنظري الثالث والجد الثاني للمنظري السادس وعم المنظري الثاني. توفي المنظري الأول سنة 910 / 1504 وخلفه كقائد على تطاون ابن أخيه المنظري الثاني لا حفيده كما يقول الأستاذ داود. ولا ندري لماذا اعتمد الأستاذ داود في ذلك على مارمول كاريخال الذي اعتمد بدوره على الحسن الوزان الذي زار تطاون وسمع من أهلها أن المنظري الأول خلفه "حفيده" ولكنه لم يكن يعلم أن الحفيد بالنسبة لأهل تطاون قديما وحديثا هو كذلك ابن الأخ.

وتقول المصادر البرتغالية المعاصرة إن اسم المنظري الثاني كان هو نفس اسم عمه علي، فلا معنى لكلام الأستاذ داود عندما يقول "لعل اسمه محمد".

وخلافا لما يقوله الأستاذ داود فإن المنظري الثاني لم يكن حاكما مستقلا بتطوان بل كان مثل عمه مجرد قائد تابع لأمير شفشاون.

توفي المنظري الثاني سنة 924 / 1518 لا سنة 935 / 1528، والدليل على ذلك هو أن المصادر البرتغالية المعاصرة للأحداث تؤكد أنه في سنة 924 / 1518 أصبح إبراهيم ابن راشد يحكم تطوان مباشرة وذلك إلى غاية سنة 931 / 1525 حيث سلم قيادة المدينة لاخته الشقيقة الست الحرة.

خلافا لما عند داود من أن الست الحرة حكمت تطوان نوعاً ما في سنتي 948 و 949 / 1541. 1542 فإن حكمها للمدينة كان لمدة سبع سنوات بالحساب الميلادي، وقد مرّ حكمها بأربع مراحل:

المرحلة الأولى بصفتهها قائدة تابعة لأخيها مولاي إبراهيم وذلك من سنة 931 / 1525 إلى سنة 935 / 1528.

المرحلة الثالثة بصفتهها سيدة تطوان كما تصفها المصادر البرتغالية المعاصرة وذلك من سنة 935 / 1528 إلى سنة 946 / 1539.

المرحلة الثالثة عندما توفي أخوها إبراهيم واضطرت إلى إشراك صهرها (زوج ابنتها) المنظري الثالث في حكم تطوان وذلك من سنة 946 / 1539 إلى سنة 948 / 1541.

والمرحلة الرابعة عندما تزوجت بسلطان فاس أحمد

ضاعته بصفة نهائية.

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمن هاجرت إلى تطوان أسر جزائرية جلتها من تلمسان ووهران وذلك على إثر الاحتلال الفرنسي للقطر المذكور سنة 1830 / 1246.

وفي يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860 احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان ثم غادرتها يوم 3 ذي القعدة 1278 / 2 مارس 1862 كانت المدينة تخضع لحكم الغزاة الذين عينوا إلى جانب الحاكم الإسباني باشا مغربيا هو الحاج أحمد بن علي أبيعير.

وبعد مرور ثلاث وخمسين سنة عرفت تطوان احتلالاً ثانياً من طرف الجيش الإسباني، دخلها بدون قتال يوم 12 ربيع الأول 1331 / 19 فبراير 1913، وفي يوم 20 جمادى الأولى 27 / أبريل من نفس السنة حل بها أول خليفة للسلطان بشمال المغرب وهو الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل، وكان أول باشا عرفته المدينة في عهد الحماية هو الحاج أحمد بن محمد الطريس.

وفي سنة 13 ربيع الأول 1243 / 25 أكتوبر 1923 توفي الخليفة مولاي المهدي وظل منصبه شاغراً إلى يوم 26 ذي القعدة 1343 / 19 يونيو 1925 حيث عين مكانه ولده الصغير الأمير مولاي الحسن بن المهدي الذي استمر يزاول مهامه بتطوان إلى يوم 7 أبريل 1956 حيث اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب.

المصادر المذكورة داخل النص : م. ابن عزوز حكيم، الجديد في تاريخ تطوان (تحت الطبع).

\* \* معركة تطوان، جرت بسهل مرتين يوم 11 رجب 1276 / 4 فبراير 1860 فكانت السبب في سقوط المدينة يوم 13 رجب / 6 فبراير. فمنذ أن أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب يوم 25 ربيع الأول 1276 / 22 أكتوبر 1859 وغزت جيوشها أرض المغرب انطلاقاً من سبتة يوم 23 ربيع الثاني / 19 نوفمبر كانت القوات المغربية الغير منظمة قد انهزمت في عشرين جولة، الشيء الذي مكن الجيش الإسباني من احتلال قاعدة مرتين يوم 22 جمادى الثانية / 16 يناير 1860 ؛ ومن ذلك اليوم إلى يوم 3 فبراير والقيادة العسكرية الإسبانية تستعمل لخوض المعركة الفاصلة التي ستمكنها من الاستيلاء على مدينة تطوان.

تقول التقارير الإسبانية السرية إنه لو كان الأمير مولاي العباس قائداً عسكرياً له إمام بقواعد الحرب لما ترك القائد الأعلى للجيش الغازي الجنرال اودونيل (O'Donnell) ينظم خلال ثمانية عشر يوماً شؤونه ويقوم بالاستعدادات اللازمة لخوض معركة تطوان، ولعلم أن الاستراتيجية العسكرية كانت تقضى بأن يظل داخل تطوان ويقوم بتحصين أسوارها بالعدد الكافي من المدافع التي كان يتوفر عليها بدلاً من أن يقيم معسكره ومعسكر أخيه الأمير مولاي أحمد خارج المدينة في مكان يصعب تحصينه، ظنا منه بأن الجيش الإسباني لم يكن يتوفر على فرقة من الخيالة قادرة على مواجهة الخيالة المغربية التي كانت تتكون من خمسة عشر

ألف فارس بالإضافة إلى عشرين ألفاً من المشاة.

وتقول نفس التقارير الإسبانية السرية إن مولاي العباس كان قد قام يومي 23 و31 يناير بمهاجمة المعسكر الإسباني بمرتين حيث تيقن من أن الإسبان سوف لن يتمكنوا من استعمال مدافعهم في حالة ما إذا قاموا بمهاجمة المعسكر المغربي، إذ أنه ظن أن الإسبان لن يكون في وسعهم اجتياز وادي القنطرة الذي كان يفصل المعسكرين الإسباني والمغربي، حيث إنه كان يجهل استطاعة فرقة الهندسة العسكرية أن تمد قناطر خشبية فوق النهر المذكور في بضع ساعات، والحالة هذه أن تلك الفرقة تمكنت في ليلة 3 فبراير من مد أربع قناطر فوق وادي القنطرة دون أن يشعر المغاربة بذلك.

وكانت النتيجة أنه على الساعة التاسعة من صباح يوم 11 رجب / 4 فبراير تحرك الجيش الإسباني وعدده خمسة وعشرون ألف مقاتل من قاعدته بمرتين، وكان على رأسه بالإضافة إلى القائد الأعلى، الجنرالات : پريم (Prim) وروس أولانوس (Ros Olano) وطرون (Toran) وألكالا غاليانو (Alcala Galiano) وماكينا (Mackena) وأروثكو (Orozco) وكيسادا (Quesada) وذي لوس ريسوس (De Los Rios) وغرثييا (Garcia) وإثريكي أودونيل (Enrique O'Donnell) أخ القائد الأعلى.

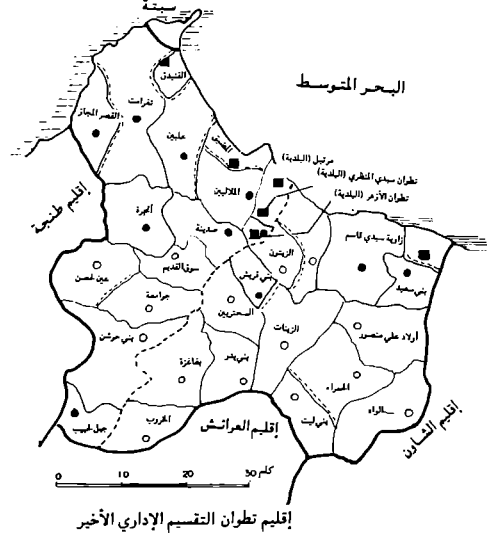
وعندما اجتازت القوات الإسبانية بمدافعها وادي القنطرة تعرضت لقصف مكثف من طرف المدفعية المغربية، ورغم ذلك استمرت تلك القوات في سيرها إلى أن أصبحت على بعد كيلومتر واحد من المعسكر المغربي الرئيسي ؛ وعندئذ أمر الجنرال أودونيل باستعمال مدافعه وعددها ستة وخمسون مدفعاً لقصف معسكر مولاي العباس، وشاء القدر أن تصيب إحدى القنابل مستودع البارود فاشتعلت النيران في المعسكر حيث عمل الفزع عمله في صفوف المغاربة.

واغتنم الجنرال أودونيل ذلك الاضطراب ليأمر قواته باقتحام المعسكرين معاً، وعندئذ بدأت المعركة الحقيقية التي دامت نصف ساعة من العاشرة ونصف صباحاً إلى الحادية عشرة، كان جل القتال أثناءها بالأسلحة الأبيض وانتهت باحتلال المعسكرين والاستيلاء على ما يوجد بهما من مدافع وقنابل وبارود وقساطيط وخيام ومأكولات، بل وحتى الأعلام المغربية ورايات الاميرين مولاي العباس ومولاي أحمد.

وتقول التقارير الإسبانية إن عدد خسائرهم كانت 67 من القتلى و1041 من الجرحى و7 من المفقودين أي ما مجموعه 1115 رجلاً ؛ وأما الخسائر المغربية فقد كانت حسب تقديراتهم تفوق ثلاثة آلاف من الشهداء والجرحى، وقد ترك المغاربة في أرض المعركة أكثر من ثلاثمائة وخمسين جثة.

بات الجيش الإسباني ليلة 4 فبراير بالمعسكرين المغربيين وهناك استقبل الجنرال أودونيل في اليوم التالي الوفد الذي نصب نفسه وكيلا عن سكان تطوان لمعرفة شروط استسلام المدينة، وكانت النتيجة أن وقع الاتفاق على أن يدخل

الجيش الإسباني تطوان بدون قتال، وكان الأمر كذلك حيث تم احتلال المدينة يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860 .  
وقد منحت الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية (Isabel II) الجنرال ليوبولدو أودونيل (Leopoldo O'Donnell) رئيس القوات الإسبانية التي غزت المغرب. لقب دوق تطوان (Duque de Tetuan) بأمر صدر يوم 7 فبراير 1860 ، أي غداة سقوط مدينة تطوان بيد الجيش الإسباني، ولم ينشر إلا يوم 27 أبريل من نفس السنة.



مدينة سلا لكن يبدو أن ذلك تم قبل أكثر من قرنين. ونسبة التطواني المعروفون بها أتت من إقامة أحد أجدادهم بمدينة تطوان مدة طويلة فلما رجع إلى سلا دُعي التطواني وعُرف أهله منذئذ بالتطوانيين. وتوجد بعض الرسوم العدلية القديمة تصفهم إلى جانب التطوانيين بالشاويين السلويين. وقد أدرك الفقيه محمد التطواني آتي الترجمة بعض المعمرين من بني عمه بسلا يتصلون بذويهم في المذاكرة بالشاوية ويتزاورون معهم، ثم انقطعت الصلات بعد ذلك. وكان من التطوانيين السلويين في القرن الماضي مجاهدون بحريون وطبجيون تذكر الوثائق منهم الحاج أحمد التطواني الذي كان يسكن بدرب حرارثة ونال حظاً من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين البحريين، وحجي بن الحاج المعطي التطواني، والحاج عبد... بن الحاج المصطفى التطواني الذين نالوا حظهم من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين الطنجيين والبحريين السلويين بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875. كما كان منهم فلاحون وحرفيون وأخبار ناسكون مثل محمد بن سليمان التطواني مؤذن مسجد التادلاوي المذكور في زمام المؤذنين بسلا المؤرخ في 18 شعبان عام 1278 / 18 فبراير 1862 وعبد الكريم التطواني الساكن بدرب الحمام من حومة باب سبتة المدرج اسمه في قائمة الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 5 ذي الحجة عام 1290 / 24 يناير 1874.

**التطواني، أبو بكر بن محمد (ثلاث مرات) بن**  
بوشعيب الشاوي السلوي. ولد بسلا في حدود عام 1280 / 63. 1864، وبها نشأ ودرس على أعلام شيوخها أمثال عبد الله بن خضراء، وأحمد بن خالد الناصري. ثم أخذ بفاس عن الشيوخ الأجلة : محمد القادري والتهامي الوزاني وجعفر الكتاني ومحمد گنون. واتصل بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وأخذ عنه الطريقة الكتانية ولازمه مدة طويلة، فكان يجيب عن الرسائل التي ترد على الشيخ من مختلف الشخصيات والجهات يتناول بعضها إشكالات صوفية وذوقية، أو اعتراضات على الطريقة الكتانية، فكان الشيخ الكتاني يستحسن هذه الأجوبة ويحتفظ بنسخ منها عنده، وقال ولد المترجم عنها "لو جمعت لكونت أجزاء".

اشتغل أبو بكر التطواني حين رجع إلى سلا بالتدريس، وكان من جملة الآخذين عنه إدريس ابن القائد عبد الله بن سعيد، ثم انتقل إلى طنجة في عام 1318 / 1900 حيث عين كاتباً بدار النيابة وكان يعد من الكتاب الممتازين الذين يتقاضون أعلى أجر شهري (75 ريالاً) وبقي في عمله هذا أربع سنوات ثم عاد إلى مسقط رأسه يدرس وينظر ويراسل. واشتغل بعد ذلك بالكتابة مع الأمين الباشا الصديق برگاش بالرباط قبل أن يلتحق ببلاد زمور الشلح حيث عين قاضياً بها، ثم بسيدى سليمان من بلاد بني حسن حيث بقي يزاول عمله إلى أن أدركته الوفاة هناك.

**تطوان، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية،** أنشأتها بتطوان وزارة التربية الوطنية ثم صارت تابعة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، وكان الغرض منها ملء الفراغ المترتب عن عدم اهتمام مجلة تامودا (Tamuda) بالأبحاث الموضوعية باللغة العربية.

صدر العدد الأول منها سنة 1956، وحيث إنها كانت سنوية فقد صدر عددها الثاني سنة 1957 وعددها المزدوج 3 و4 سنة 1959 وبعد احتجاب طال مدة خمس سنوات صدر العدد الحادي عشر سنة 1971 وهو آخر الأعداد.

كانت هيئة تحريرها مكونة من الرئيس الذي لم يذكر اسمه إلا في العدد الأول وهو محمد الفاسي وزير التربية الوطنية آنذاك ؛ خليفة الرئيس محمد عزيان نائب وزارة التربية في الشمال، وابتداء من العدد الثاني صار عضواً ولم يذكر اسمه في العدد العاشر ؛ وكان محررها محمد ابن تاويت التطواني، وعضوية عبد الله گنون ومحمد المنوني وإبراهيم الكتاني وآخرين.

قامت مجلة تطوان بعمل مهم في مجال البحث العلمي، ونشرت عدداً من الأبحاث والمقالات القيمة، والنصوص المحققة أو المترجمة.

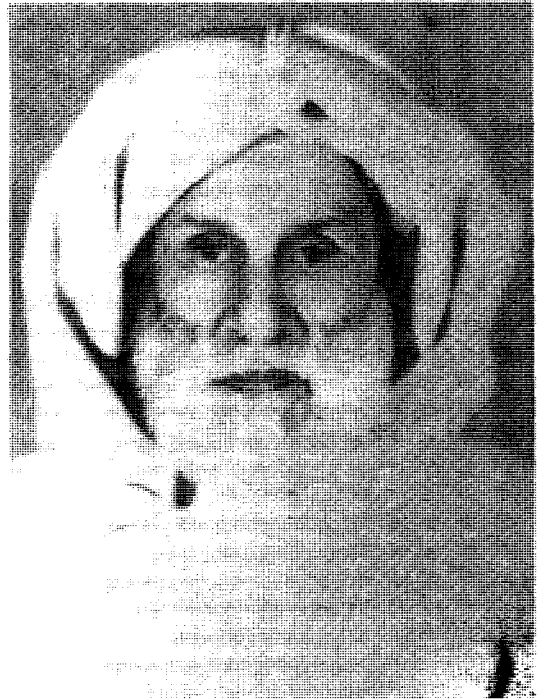
تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، الأعداد 11.

محمد ابن عزوز حكيم

**التطواني أو التطواني،** أسرة سلوية عريقة أصلها من عرب الشاوية، قبيلة المذاكرة، لا يعرف تاريخ انتقالهم إلى

ألف شرحاً لتحفة ابن عاصم، إلا أنه مات قبل إتمامه ؛  
وشرحاً لقول أبي يزيد البسطامي : خضنا بحراً وقف  
الأنبياء بساحله، بالإضافة إلى مجموعة رسائله الكبرى.  
توفي قاضياً بسيدي سليمان في منتصف شوال عام 1337 /  
14 يوليوز 1919. ودفن بجوار الولي الصالح سيدي  
سليمان.

**التطواني، محمد بن أبي بكر بن محمد الشاوي**  
السليوي، ويدعوه السليويون الفقيه التطواني. ولد بسلا في  
متم رمضان عام 1318 / 21 يناير 1901، ونشأ في أسرة عائلة  
متصوفة متوسطة الحال. وأخذ مع والده إلى طنجة حين  
عين كاتباً بدار النيابة. وقبل أن ينهي السنة الثالثة من  
عمره أدخله والده إلى كتاب الفقيه التوزاني بطنجة. ثم أم  
حفظ القرآن الكريم وتجويده في مسقط رأسه على يد  
الفهاء الأساتيد محمد بوعلو ومحمد بنسعيد ومحمد  
بريطل. وقد ذكر أنهم كانوا يقسون عليه ويجلدونه حتى لا  
يستطيع السير على قدميه دون أن يذكر السبب. ولعل  
لهربه إلى البادية من حين لآخر دخلا في ذلك. كما كان  
والده يقسو عليه فيوقظه عند الفجر للصلاة، ويكلفه  
بأشغال تشق عليه وهو ما يزال صغيراً، كجلب الماء من  
مكان بعيد عن بيتهم، وحمل الطعام للراعي ومساعدته في  
قيادة البقر إلى المرعى. ويذكر عن والده أنه كان معتل  
الصحة حاد المزاج يحب أن تنفذ أوامره دون مراجعة.



بدأ محمد التطواني دراسته اللغوية والشرعية بمسقط  
رأسه على يد والده، وأحمد بن الفقيه الجريري. ثم انتقل مع  
والده إلى بلاد زمور حين عين قاضياً بها، والتحق بفاس

للدراية في أوائل عام 1337 / 1918 لكنه لم يكد يستقر بها  
حتى جاءه نعي أبيه فرجع من حيث أتى، ولم يكن تراث  
أبيه كافياً لنفقة دراسته فاشتغل بالكتابة في إحدى  
الإدارات سنة ونصف سنة وقر خلالها من أجرته البسيطة  
بعض المال ورجع إلى فاس لإتمام دراسته، وبقي هناك عشر  
سنين اتصل أثناءها بالشيخ عبد الحي الكتاني، وهو يومئذ  
مشتغل بالتدريس وتنمية خزائنه العلمية الكبرى، فكان  
ينسخ له مؤلفاته ومخطوطاته ويستفيد أكبر استفادة من  
اطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية والحديثة بصفة  
خاصة، ويحضر - على صغر سنه - مجالس كبار العلماء  
المسلمين والمستشرقين الذين يتوافدون باستمرار على الشيخ  
الكتاني وخزائنه الغنية. ونحن نعلم ما كان لوالد  
محمد التطواني من صلوات متينة بالكتانيين وطريقتهم.

درس التطواني خلال مقامه الطويل لفاس كل ما يدرس  
بالقرويين من علوم نقلية وعقلية على خمسين شيخاً أجازه  
منهم نحو ثلاثين. وتعرف في دار الكتاني ثم في رحلاته  
إلى بلاد المغرب والشرق العربي على نحو تسعين عالماً.  
ومن أبرز شيوخه في القرويين أحمد بن الخياط ومحمد بن  
رشيد العراقي وأحمد ابن الحاج وعبد الله الفضيلي وأحمد  
ابن المامون البلغيثي والشريف التانكاوتي ومحمد بن جعفر  
الكتاني.

اشتغل الفقيه التطواني بعد رجوعه من فاس ببيع  
الكتب، فكانت مكتبته في شارع القناصل بالرباط ثم في  
السوق الكبير بسلا بالاشتراك مع السيد محمد بن عبد الله  
الغربي من أغنى المكتبات بأهميات المؤلفات، إذ كان كثيراً  
ما يتردد على مصر وبلاد المشرق لاقتناء أفيد ما أخرجته  
وتخرجه المطابع، وما يصادفه من مخطوطات أصيلة.

وكان زيناؤه من جميع الطبقات العاملة والمتنورة من  
مختلف الأعمار بالإضافة إلى الخزانة العامة بالرباط التي  
زودها بالعديد من المطبوعات والمخطوطات. وكم زرت في  
مكتبة القناصل ووجدته مستغرقاً في القراءة، فإذا سلمت  
عليه هش ويش - على عادته - وزودني بما أطلب في يسر  
ومكارمة.

شارك محمد التطواني في الحركة الوطنية فكان منزله  
الأنيق ملتقى الوطنيين من العدوتين وخارجهما، واعتقل في  
29 يونيو 1943، فأحرقت زوجته مجموعة أوراقه خوف  
تفتيش الشرطة، وضاع بذلك قسط مهم من إنتاجه  
الفكري.

حرر الفقيه التطواني - وهو ما يزال طالباً بفاس - كتاباً  
صغيرة في بضعة كراريس نالت إعجاب أساتذته هناك،  
منها :

- رسالة عن القاضي عياض.

- رسالة عن الشيخ المكي البطارقي. وألف بعد ذلك  
كتاباً مازالت مخطوطة أو أصولها محفوظة في إحدى  
كناشاته العلمية، منها :

- ذيل فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني.

- محاضرات أدبية وتاريخية.

أما كناشاته العلمية فقد اطلعنا على أربع منها مصورة من خطه في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

- كناشة رقم 454 تحتوي على مجموعة تراجم لمشاركة وأندلسيين ومغاربة، وتلخيصات وتعليقات مفيدة من كتب علي ابن ميمون الغصاري دفين لبنان، وتعريف بعدد من الفهارس المغربية المخطوطة النادرة التي وقف عليها في بعض الخزائن الخاصة أو التي اقتناها، مع تقييد - تام - حول الفعل المضارع المعتل لمحمد التهامي الوزاني.

- كناشة رقم 455 جعلها كنواة لتراجم أعلام ما قبل القرن السابع من علماء المغرب، ويشير في بعض التراجم إلى المصادر التي يرجع إليها عند البسط والبيان، فهي كالمسودة الأولى لهذا الكتاب لذلك قال في تقديمه : "وربما تتكرر الترجمة الواحدة، والمعتمد ما سيكتب بعد، لأن المقصود بهذا الكناش إقامته مقام الجذاذات، ولذلك أشير إلى مظان تراجم بعض الواقدين على هذه البلاد" ولا ندري إن كان تم تخريج هذا الكتاب.

- كناشة رقم 756 وهي تكاد تكون مخصصة للحديث والحفاظ مستقاة من طبقات الحفاظ لابن ناصر وذيله لابن حجر، وطبقات الحفاظ للذهبي، ونظمها لأبي الفداء إسماعيل، وشرح غرامي صحيح لعبد الله الأمير في مصطلح الحديث. وقد أثبت هنا تاريخ نسخه في 9 ذي القعدة عام 1350 وتشتمل هذه الكناشة على أصول ذيل التطواني على فهرس الفهارس للكتاني، وتعقيبات على سلوة الأنفاس، والإعلام للمراكشي.

- كناشة رقم 458 وفيها مختارات من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ونوازل العلمي، ونشر المثاني وسلوة الأنفاس والمنتقى المقصور والإعلام للمراكشي، يلخص منها تراجم وأحداثاً من الحرص على ذكر الأجزاء والصفحات. وفيها تراجم كاملة من إنشاء الفقيه التطواني للرشيدي بن الشريف العلوي ومحمد بن عبد الله وغيرهما، وأبحاث وتدقيقات حول مؤلفي كتاب المستفاد والقرطاس ومصادر الشفا والدرر البهية. إضافة إلى طائفة من أخبار فاس ومزاياها وتطور عمرانها، ومراسلات ملوكية وإخوانية، وقصائد ومقطعات شعرية.

ومن آثار الفقيه التطواني المنشورة :

- ابن الخطيب من خلال كتبه في جزئين صغيرين. وهو البحث الأول الذي نال أول جائزة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان سنة 1948، ونشر في تطوان سنة 1955 بتقديم عبد الله گنون الذي قال عنه بحق : "كُتِبَ على نسق مبتكر من حيث استخراج حياة ابن الخطيب من كتبه ودراسة مؤلفاته دراسة مستوعبة بحيث تعطي فكرة تامة عنها جميعاً ما وجد منها وما لم يوجد..."

- جلال العرش المحمدي في ظل راية القرآن، نال به جائزة عيد العرش.

- مقالات عديدة منشورة في مجلات مغربية وجزائرية

وتونسية. بعضها بإمضائه الصريح وبعضها بإمضاء مستعار.

كان الفقيه التطواني مرجعاً حياً للباحثين والطلبة يزودهم بما تختزنه ذاكرته القوية من معارف ومظان لا يهتدي إليها إلا الخريتون. وقد خطب مدة بالجامع الأعظم بسلا فكانت رحابه تمتلئ بالمصلين الذين يقصدونه حتى من الأحياء النائية إذ كان الفقيه التطواني - على قماءته - يملك صوتاً جهورياً جميلاً يستهوي الأسماع، وكلامه البليغ الصادر من القلب الطاهر الخاشع يؤثر في النفوس أيما تأثير.

مات محمد التطواني بمدينة سلا مساء يوم الأحد عاشر محرم عام 1410 / 13 غشت 1989 وصُلي عليه بالمسجد الأعظم عصر الغد الاثنين، ودفن بجوار ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر الذي كان لا ينقطع عن زيارته في حياته ويقضي الليالي ذوات العدد في "بنيقائه".

م. التطواني نفسه، كناشاته العلمية : ع. الجراري، أعلام الفكر المعاصر، 2 : 268 ; م. ابن الحاج، إسعاف الاخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1992، ص. 164. 166 ; م. بوشعراء، التعريف ببني سعيد، 1 : 45 و164، 52. 141. 152. 155. 228. 277. 279. 280 ; أسماء التطواني، الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي، بحث الإجازة في شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بالرباط، 80، 1981.

محمد حجي

## التعارجي ← ابن إبراهيم

**التعاونية**، مؤسسة تنتظم بين عدد من الأشخاص الذاتيين أو المعنويين على قدم المساواة في الحقوق والواجبات إما بقصد الإنتاج وتسويق المنتجات وإما بقصد استهلاك ما يعرض في الأسواق أو الاستفادة من بعض الخدمات الاجتماعية بأحسن الشروط. ولئن كانت التعاونية في حلتها العصرية حديثة العهد في المغرب، فإن بعض أشكال التعاون التقليدية في مجتمعنا تثبت أصالة هذه الظاهرة لدينا اجتماعياً وعقائدياً، فمن حيث المجتمع يمكن اعتبار القبيلة في جوهرها تعاونية قائمة على أولي الأرحام مبدئياً ولكنها كانت قائمة في الغالب على المصالح المشتركة مثل الرعي والسقي واتقاء الأخطار، أما من جهة العقيدة فإن الإسلام نزل بالتوحيد للتوحيد ومن ذلك الأمر الصريح "وتعاونوا على البر والتقوى" (المائدة، 2) ولقد تبلور ذلك في سالف العصور في أشكال واضحة المفهوم التعاوني من ذلك مثلاً ملكية الأرض على الشيع والقيام بأعمال الفلاحة بالتبوية، يعني جماعة، وتسيير الأمور العامة على يد جماعة أولي الحل والعقد الذين كان من مهامهم صيانة بيت مال الجماعة (ودو أكادير أو إغرم بالأمازيغية) وإقامة "تيمزكيدة" لتكون مأوى للجميع ومستوصفاً للمرضى أو الزمنى مؤسسة للقرض على سبيل الإسعاف، كما كان على الجماعة أن تقيم "الوزيعة" كلما

اقتضت الظروف ذلك ليكون في توزيع الاعباء والكلف على مجموع الأفراد تخفيفاً على الجميع.

ولقد أضفى الإسلام على مجموع المؤسسات حلة القدسية وألبسها لباس الشريعة بأن جعل خزين الجماعة بيت مال المسلمين ومن بيوت الله والأماكن التي تقام فيها الشرائع أوقافاً حتى إنه لا يكاد يخلو مظهر من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام من طابع التعاون، فنظام الحرف في المدن يمكن اعتباره مجرد شبكة من التعاونيات، بل قافلة الحجاج إلى بيت الله التي كانت تستغرق سنة كاملة ذهاباً وإياباً يجوز النظر إليها وكأنها تعاونية متنقلة.

إن الفكر التعاوني من صميم تقاليدنا، لذلك فإن الأساليب العصرية للتعاون ما لبثت أن انغرس في صفوف شعبنا بمجرد أن رخصت بذلك سلطات الحماية في الثلاثينات. وغني عن البيان أن هذه الأساليب العصرية كانت قد انبثقت في المجتمع الأوربي من النظريات الاشتراكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالضبط من أفكار شارل فورييه (Ch. Fourier) الفرنسي، من حيث التنظيم، ومن تجربة تعاونية أولى أجريت في رتشديل (Rochdale) في إنجلترا سنة 1842 من حيث الممارسة، وعلى منوالها نسج الجميع فيما بعد على أمل أن تكون التعاونية حلاً وسطاً بين الاستغلال الرسالي وواقعته المقيتة والمشاريع الاشتراكية وتخيلاتها البراقة.

وهكذا انطلقت التعاونيات العصرية في المغرب من منطلقين، أولاً من إرادة مغربية شعبية ضارية في القدم أثارها ما رأت من فوائد التعاون في أوساط المعمرين، وثانياً من إرادة سلطات الحماية التي فضلت أن تشرف على إرساء أساليب التعاون العصري في صفوف المغاربة حتى لا يتم ذلك ضداً عليها.

ولقد أقيمت أول تعاونية مغربية في دجنبر سنة 1934 بين صغار صيادي السمك في سوس ونظراً للفراغ القانوني في مجال التعاون يومئذ فإن المؤسسين أقاموا تعاونيتهم على شكل شركة مجهولة الاسم اعتماداً على ظهير 11 غشت 1922 المقتن لذلك النوع من الشركات، واتسع حجم التعاونية في ظرف وجيز، ثم لما صدرت قوانين التعاونيات سنتي 1937 و1938 تحولت الشركة سنة 1941 إلى تعاونية حرفية لصيادي السمك في سوس (S.C.A.I.S.) وظلت تمارس نشاطها بنجاح إلى أن تعمم غداة الحرب العالمية الثانية في مياه أكادير الصيد بالمرائب الكبرى فتخلى صغار الصيادين شيئاً فشيئاً عن الصيد بالقوارب وتوقفت التعاونية المذكورة في أكتوبر 1948.

وأقيمت تعاونية تلقائية ثانية في سوس أيضاً ابتداءً من شهر ماي 1935 تحت اسم الشركة الأهلية للطحن في بيوغرا أقامها أربعون شخصاً لدى قاضي إينزغان بناءً على قواعد الشركة في الإسلام، وكانت في الحقيقة مطحنة ميكانيكية يقصد منها إدخال أساليب الطحن العصري في

الإقليم لتحسين الإنتاج واقتصاد التكاليف، وهذه الشركة وإن لم تحمل اسم التعاونية فإنها كانت تستجيب لمفهومين من مفاهيم كل تعاونية أولهما التشارك بين مجموعة من الأشخاص على قدم المساواة وثانيهما إقامة مقابلة تسدي خدمات جماعية. ولقد نسج العديد من الفلاحين والحرفيين المغاربة بعد ذلك على هذا المنوال فأقاموا تعاونيات بينهم إما بالاعتماد على الشرع وإما بناءً على الأعراف القبلية متجاهلين لقوانين الحماية أو متحفظين منها، من ذلك مثلاً الشركة التي أقيمت في بني ملال سنة 1955 لبناء مائتي دار للسكن وكانت بمثابة تعاونية، لكن هذه المحاولات التلقائية كثيراً ما كانت تنتهي إلى الفشل بسبب عجزها عن الاستفادة من أدوات الاستغلال العصري وبسبب تحفظ سلطات الحماية منها.

وكانت غاية تلك السلطات مراقبة كل ما يجري في صفوف المجتمع المغربي، ولذلك كانت قد بادرت منذ فاتح غشت من سنة 1918 إلى إحداث "الشركات الأهلية الاحتياطية" التي كانت تتسم ببعض سمات التعاون، إذ كانت تجمع حيزاً بين كل من كان يؤدي الترتيب من الفلاحين المغاربة فتقدم لهم قروضا موسمية وإرشادات تقنية وإسعافات مختلفة، مما كان يفتح باب التأطير والمراقبة أمام المراقبين المدنيين وضباط الاستعلامات الذين كانوا هم أو من ينوب عنهم المسيرين الحقيقيين لتلك الشركات التي اختفى منها فيما بعد لفظ "أهلية" ليحل محله لفظ "مغربية" ولكن الغاية السياسية منها ظلت مهيمنة على ما كانت تدعيه من مقاصد اجتماعية، ولما صدر أول ظهير منظم لتعاونيات الاستهلاك وهو ظهير 13 فبراير 1922 ظلت مقتضياته موقوفة على الجالية الأوربية وكذلك حصل بالنسبة لظهير 20 غشت 1935 حول القرض التعاوني والتعاون الفلاحي الذي لم يكن يُعنى به إلا المعمرين الدخلاء.

لكن انقلاب الظرفية السياسية في منتصف الثلاثينات وانتظام صفوف الحركة الوطنية لفضح إجحاف سلطات الحماية بحقوق المغاربة إضافة إلى ما كان من انهيار الإنتاج الفلاحي فيما بين 1935 و1937 وأيضاً انتقال الحكم في فرنسا إلى الجبهة الشعبية وتعيينها للجنرال نوجيس مقيماً عاماً في الرباط، كل هذه العوامل حملت سلطات الحماية إلى الاهتمام بالأسلوب التعاوني في صفوف المغاربة فاستصدرت أول الأمر ظهير 24 أبريل 1937 القاضي بإقامة "تعاونيات أهلية فلاحية"، لكن ليس على أساس الانخراط الفردي بل على أساس تعاون الشركات الأهلية الاحتياطية وذلك بقصد تسويق إنتاجها من الحبوب وتخزينها والتصرف بها والاقتراض بشأنها، كل ذلك تحت مراقبة سلطات الحماية، وكان إحداث هذه التعاونيات ناتجاً من جهة أخرى عن ضرورة مراقبة سوق الحبوب إذ جاء الظهير المذكور مواكبا لإحداث "المكتب الشريف للحبوب" في نفس التاريخ (ظهير 24 أبريل 1937).

ولذلك فإن الظهير المؤسس للتعاونيات في صفوف المغاربة هو ظهير 8 يونيو 1938 على ما أدخل عليه من تصويبات بظهير 19 ماي 1939 وظهير 24 أبريل 1950 حيث امتد حق إقامة التعاونيات من الفلاحين إلى الحرفيين كما لم يبق منحصرًا عند تسويق الحبوب بل عم جميع أوجه النشاط الفلاحي والاقتصادي مع حق الاقتراض والرهن. وهكذا نشطت الحركة التعاونية في العقدين الأخيرين من الحماية وتشكلت التعاونيات إما على أساس الشريعة الإسلامية أو الأعراف القبلية وإما على أساس ظهائر 1937 و1938 و1939 التي ألحق بها ظهير 11 غشت 1947 القاضي بإقامة اتحاديات بين التعاونيات الفلاحية، كما تشكلت ابتداءً من سنة 1950 تعاونيات مغربية جديدة لتسويق الحبوب تحت اسم الشركات التعاونية المغربية الفلاحية (S.C.A.M.) بحيث كان مجموع التعاونيات، 73 تعاونية في شهر يناير 1956 وكانت موزعة على الشكل التالي :

- 14 معصرة للزيت  
1 اتحادية واحدة بين هذه المعاصر  
24 تعاونية حرفية  
11 تعاونية لاستعمال المواكين في الفلاحة  
3 تعاونيات لتكثيف الإنتاج  
4 تعاونيات مختلفة  
3 تعاونيات الخطابة  
1 تعاونية لصيد السمك  
7 شركات تعاونية مغربية للفلاحة (S.C.A.M.)  
5 شركات مغربية للفلاحة (C.M.A.)

وهذا التصنيف يوحي بنصيب الفلاحة في الإنتاج المغربي إذ أن أزيد من نصف هذه التعاونيات كان يتعاطى الأعمال الفلاحية، هذا مع العلم أن التعاونيات الحرفية كان جلها يشتغل بالمنتجات الفلاحية مثل الصوف والجلود والأخشاب مما كان يجعل بالضرورة جل التعاونيات قائما في كبريات المدن أو في قلب أخصب المناطق الفلاحية مثل السهول الأطلسية وسهول سايس والغرب والحوز وسوس ووجدة.

ولقد سهرت الحكومة المغربية عادة الاستقلال على تقوية هذا الرصيد التعاوني بأن شجعت المنتجين المغاربة على التعاون بينهم في شتى مجالات الإنتاج فتكاثرت التعاونيات وتخلص النظام من كل ما كان يشوبه من شوائب الاحتلال الأجنبي، ولتلتحق الحركة التعاونية المغربية بالتيار التعاوني العالمي. ولهذه الغاية أنشئت في شهر شتنبر 1962 مصلحة خاصة بشؤون التعاون ملحقة مباشرة برئاسة الحكومة، وفي ذلك دليل واضح على عناية الدولة بالأمر، إلا أن الالتحاق المباشر بأعلى سلطة حكومة كان ضريا من التشبيط إذ كان يفرق المصلحة المذكورة في خضم المستعجلات اليومية ويحول بينها وبين التدخل السريع في ميادين اختصاصاتها، وتفاديا لهذا الحاجز أحدثت الدولة بظهير 13 أبريل 1975 مكتب تنمية التعاون وذلك على

شكل مؤسسة عمومية متمتعة بالشخصية المعنوية وبالاتقلال المالي تحت إشراف السلطة الحكومية المكلفة بالتخطيط، ومن مهامه البحث في طلبات إقامة التعاونيات قبل أن يصدر الترخيص الحكومي بذلك، ثم مساعدة التعاونيات في التكوين التعاوني والاستثمار والقضايا القانونية مع جمع المعلومات عن التعاون ونشرها في التعاونيات، ثم تحسين الإطار القانوني للتعاونيات، ثم إصلاح ذات البين بينها في حالة وقوع أي نزاع والسهر على سيرها بناء على القوانين المعمول بها، ويشرف على سير هذا المكتب، فضلا عن طاقمه التنفيذي، مجلس إداري مركب من ممثلي مجموعة من الوزارات (الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة العصرية والطاقة والمعادن والتربية الوطنية والداخلية والمالية والسكنى والسياحة والشغل والصيد البحري) إضافة إلى ممثلين عن بعض المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية (الصندوق الوطني للقرض الفلاحي والبنك المركزي الشعبي والمكتب الوطني للحبوب والقطاني والمكتب الوطني للصيد والمكتب الوطني للنقل) كما يشارك في أعمال هذا المجلس ممثل عن كل صنف من أصناف التعاونيات القائمة ولا يقل عددهم عن ربع مقاعد المجلس، ولقد كان من أهم منجزات هذا المكتب منذ تأسيسه إعداد القانون رقم 24.83 الصادر بظهير 5 أكتوبر 1984 الذي ألغى كل ما كان موروثا عن عهد الحماية في قوانين التعاونيات وجعل لها دستورا جديدا قائما على 104 فصول كما أولى مكتب تنمية التعاون اهتماما كبيرا بتشجيع تعاونيات الإنتاج بوجه خاص فإنها تعتبر عند المسؤولين عن التشغيل ووطنيا ودوليا أداة من أدوات مكافحة البطالة وحلا وسطا بين الرسامالية الكبرى والاشتراكية المفرطة في المركزية. ولقد انصرف الاهتمام في السنوات الأخيرة إلى مساعدة الأفران المتزايدة من خريجي المدارس المهنية إلى إقامة تعاونيات بينهم بحسب المؤهلات والتخصصات وأيضاً إلى الأخذ بيد من يعود من عمالنا من الخارج ويرغب في إقامة مقاولات إنتاجية في أرض الوطن على شكل تعاونيات. ولقد أقيم معمل للنجارة العصرية في مدينة سلا بين مجموعة من العمال العائدين من بلجيكا وأسمه "تعاونية الأمل".

ولقد كان تصنيف التعاونيات سنة 1990 على الشكل التالي :

- في الفلاحة 3176 تعاونية 75.51٪ من المجموع  
في الغابة 28 تعاونية 0.67٪ من المجموع  
في الصيد البحري 24 تعاونية 0.57٪ من المجموع  
في المناجم 32 تعاونية 0.76٪ من المجموع  
في الاستهلاك 39 تعاونية 0.93٪ من المجموع  
بين التجار الصغار 16 تعاونية 0.38٪ من المجموع  
في السكنى 464 تعاونية 11.03٪ من المجموع  
في الحرف 427 تعاونية 10.15٪ من المجموع  
أما عدد المنخرطين فقد ارتفع فيما بين 1978 و1990

بحسب الأرقام التالية :

1990	1978	
4.206	2.040	عدد التعاونيات
130.838	82.757	عدد المنخرطين

كما يثبت أن الحركة التعاونية تنتشر بشكل مطرد في المغرب كما يثبت أنها مازالت تسيطر في القطاع الفلاحي ويأتي بعده القطاع الحرفي ثم قطاع الاستهلاك، أما قطاعات الصناعة العصرية فإنها مازالت دون ما يمكن أن يجنى منها في بلد مثل المغرب عريق الأصول في العمل الجماعي ملزم بالسير في هذا النهج لقله أمواله وكثرة نسله.

المجريدة الرسمية، الظواهر المذكورة مدرجة في مجلدات سنوات صدورها : الإطار القانوني للمؤسسات التعاونية بالمغرب (نشر الوزارة المكلفة بتنشيط الاقتصاد، 1994) : التعاونيات العمالية للاتحاد (نشر وزارة التخطيط، 1987).

*Réorganisation des coopératives agricoles au Maroc à la lumière de la loi, 24 - 83 (Publications du Ministère du Plan, Rabat, 1988) ; Annuaire statistique des organismes coopératifs, 1990, Publications de l'Office du Développement de la Coopération ; Office du Développement de la Coopération, Organisme de promotion du mouvement coopératif, Publications de l'O.D.C.O.) ; Analyse de la gestion des coopératives marocaines agricoles et des sociétés coopératives agricoles marocaines, Exercice 1958 - 1959, Publication du Ministère de l'Agriculture, 1960 ; J. Celerier, Chez les berbères du Maroc : de la collectivité pastorale à la coopérative, Ann. Hist. Eco. et Soc., Mai 1936 ; Vingt ans de prévoyance indigène au Maroc, Direction générale de l'intérieur, Rabat, 1937 ; Rapport général sur le mouvement coopératif au Maroc en milieu autochtone, 1934 - 1955, Direction générale de l'intérieur, Janvier 1956.*

إبراهيم بوطالب

**التعريكية**، المصطلح مشتق من فعل "عرقب" ويقال

عرقب الرجل الدابة إذا قطع عرقوبها، أي عصب رجلها. وجرت العادة في المغرب أن يلجأ الناس إلى قطع عصب الرجلين الأماميين للثور (في الغالب) في مناسبات خاصة ترتبط "بطلب الشفاعة" أو "طلب العار" وترمز الدابة المعرقبة، وهي منحنية إلى الأمام، إلى وضعية الخضوع التي يوجد فيها المستجير أو طالب العار وإلى إقراره بالضعف والغلبة وبالتالي حاجته إلى الحماية والمؤازرة التي ينتظرها من جهة قادرة على تلبية رغبته.

ولقد ارتبطت هذه الممارسة أساساً بمؤسسة "العار" التي

تعتبر إحدى الوسائل التي يلجأ إليها طالب الحماية والمؤازرة. وطلب العار (أو "رمي العار") يتم عبر طقوس مختلفة قد تقتصر على ترديد عبارات معينة مثل "ها العار عليك!" أو "أنا في عارك يا فلان!". لكن طلب الحماية أو الشفاعة يصبح أكثر قوة وإحراجاً للجهة المقصودة إذا اقترن بإراقة الدم عن طريق الذبيحة أو "التعريكية". وفي الغالب ما يسوق طالب الحماية الدابة التي ينوي استعمالها لهذه الغاية إلى دار الشخص الذي ترجى حمايته، فيذبحها أو يُعرقبها عند باب داره، فلا يسعه حينئذ إلا الاستجابة لرغبة الطالب وإلا تعرض لعار هذا الأخير.

وغير واضح ما يقصد بالعار: فهناك من الإثنوغرافيين

مثل ويسترمارك (E. Westermarck) من فسره على أنه "لعنة مشروطة" (Conditional curse) سوف تنزل على المستجار به إذا هو رفض الاستجابة لرغبة المستجير. وفي هذه الحالة يُعبر عن الآفة التي تحمل بالشخص بخروج العار فيقال عنه إذا أصابه مكرهه في شخصه أو أسرته أو ماله بأن "العار قد خرج فيه" بفعل قدرة إلهية أو قدرة خارقة تتكفل بالانتقام لطالب الحماية الذي لم يحصل على مبتغاه. وهناك من يفسر العار تفسيراً اجتماعياً محضاً (جاموس، ك. براون) فيقول إن المراد بالعار هو السببة التي تنزل بالشخص في أعين المجتمع لإخلاله بقواعد المروءة التي تقتضي المساعدة عند الاقتدار، أي أن المسألة هي مسألة إخلال بقيم اجتماعية مرتبطة بالشرف (Honneur) والمروءة.

والواقع أن العار في تصور العامة من الناس يتضمن المعنيين معاً. فالشخص الذي يرفض تقديم الحماية والمساعدة لمن طلبهما هو شخص يدينه المجتمع، ولكن المسألة لا تنحصر في هذا الجانب فقط، بل هناك اعتقاد راسخ بأن القدرة الإلهية، أو قدرة ما تُنسب للجن أو غيرهم، سوف تلاحق ذلك الشخص لتنزل به العقاب الذي يستحقه جزاء له على تنصله من العار الموجه إليه.

أما اللجوء إلى "التعريكية" فيتم في مناسبات عديدة لا يمكن حصرها، لكنها تجتمع في قاسم مشترك يتضمن في الإقرار بالضعف وطلب الحماية أو المؤازرة. فالقاتل الذي يخشى انتقام أسرة المقتول مثلاً كان يلجأ إلى "التعريكية" أو الذبح عند باب دار المقتول. كما أن القبيلة التي ترغب في مساندة قبيلة أخرى لتقف معها ضد خطر يتهددها من جهة قبيلة ثالثة كانت تلجأ إلى نفس الممارسة. وكانت القبائل في السابق تلجأ إلى الذبح أو "التعريكية" لطلب عفو السلطان. كما استعملت قوات الاحتلال الفرنسية هذه العادة لتحصل على استسلام القبائل والمناطق التي أُجبرت على الخضوع، فكانت "التعريكية" في هذه الحالة رمزاً لنهاية المقاومة والقبول بسلطة الدولة الحامية. ويذكر ديل إيكلمان، على سبيل المثال، أن قبائل تادلة لجأت إلى "التعريكية" في سنة 1955 لإيقاف القصف الجوي الفرنسي الذي تعرضت له كنتيجة لأحداث وادزم في تلك السنة.

ومن المعلوم أن ممارسة مثل "رمي العار" واللجوء إلى "التعريكية" لقيت معارضة شديدة من العلماء الذين رأوا فيها ممارسات جاهلية ويقايا لمعتقدات لا علاقة لها بالإسلام.

K. Brown, *The Curse of Westermarck*. Ethnos (Stockholm), vol. 47, 1982, pp. 197-231 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka : les structures traditionnelles dans le Rif*, Paris, 1981 ; E. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, London, 1926, 2 volumes.

محمد المنصور

**التعريب**، أي الحديث والكتابة والتأليف باللغة العربية فصيحة كانت أو عامية، مع وجود وعي بالانتماء إلى الثقافة المعبرة بتلك اللغة وتبني تراثها الحضاري والفكري



بصفة عامة. ولا نهتم هنا بالتعرض لمسألة التعريب في المغرب المعاصر، إنما ينحصر اهتمامنا في الحديث عن ظروف وآليات انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط. وستتناول ذلك بإيجاز من خلال المحاور التالية :

- مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط.

- العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالمغرب.

- حدود التعريب.

مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط : ميز

عدد من الباحثين في تاريخ المغرب، مرحلتين من مراحل تعريب المغاربة خلال العصر الوسيط، تبتدئ أولهما بدخول الفاتحين العرب خلال القرن الهجري الأول، وتتعرز بعد ذلك بتوافد القبائل الهلالية أواسط القرن الخامس.

المرحلة الأولى : دور الحواضر في انتشار اللغة العربية،

من الجائز أن نقول بأن تعريب المغاربة بدأ منذ اتصالهم بالعرب الفاتحين، وقد أسهم الرهائن الذين كان زعماء الجيش العربي يأخذونهم من بين أعيان المغاربة وأمرانهم في نشر الثقافة واللغة العربيتين حين عودتهم إلى ذويهم وأوطانهم. غير أن العناصر الفعالة في هذه المرحلة تتمثل على وجه الخصوص في جماعات الجيوش والفقهاء والدعاة القادمين من الشرق لأسباب سياسية ومذهبية. ولا يعرف العدد الاجمالي لهؤلاء على وجه الدقة وإن كان بعض الباحثين يقدرهم بأزيد من مائة ألف. والأهم من عددهم وزنهم الثقافي والسياسي والديني ودورهم العمراني، إذ يعود إليهم الفضل في تأسيس عدد من المراكز الحضرية أو تعميرها مثل القيروان وفاس وتاهرت وسجلماسة وغيرها.

فحينما أسس الأدارسة مدينة فاس، واتخذوها عاصمة لإمارتهم، استقبلوا فيها جماعات وفدت عليهم من أفريقية والأندلس، واختار من بينهم إدريس الثاني أعضاء "لحكومتهم" كما قرب علماءهم وفقهاءهم. ومن المؤكد أن هؤلاء أسهموا في تعزيز وجود اللغة العربية في العاصمة الادريسية التي ما فتئت تزيد ازدهاراً وعمراً بفضل موقعها الجغرافي ومحيطها الفلاحي حتى بدأ إشعاعها اللغوي يمتد إلى البوادي المجاورة، وهذا ما أشار إليه كل من البكري (القرن الخامس) والإدرسي (القرن السادس) حين تحدثا عن وجود قبائل أمازيغية معربة بجوار مدينة فاس. وهذا دليل على أن تعريب بعض البوادي المغربية بدأ قبل قدوم قبائل بني هلال.

ويمكن أن نستنتج من مثال فاس وضواحيها أن المناطق الأكثر تعرضاً للتعريب - إلى جانب المدن - هي تلك الواقعة بين مناطق حضرية ذات إشعاع ثقافي قوي أو تلك التي تشكل ممراً تجارياً ترتاده القوافل بكثافة واستمرار، مما يدعو إلى التفكير في دور التجارة كذلك في دعم انتشار اللغة العربية بالمغرب.

وعن دور العرب الهلاليين في تعريب بعض المناطق، يذكر ابن خلدون، وهو يمهّد لفصله المشهور حول بني هلال، أن بوادي المغرب لا عهد لها بالجنس العربي قبل مجيئ

أفواج هلال وسليم ومعقل الذين نزحوا تبعاً نحو المغرب منذ أواسط القرن الخامس الهجري ووصلت بعض قبائلهم وعشائرهم إلى المغرب الأقصى خلال العصر الموحدية وخاصة أيام الخليفة الثالث يعقوب المنصور (580. 595 هـ). وقد كان الهدف من نقلهم الحد من عيشتهم في أفريقية والمغرب الأوسط، والاستفادة من مؤهلاتهم العسكرية في الجهاد. وإلى جانب هؤلاء نزحت قبائل معقل وتوجهت نحو الجنوب الشرقي فنصادفها، ومنذ العصر المريني في سوس والصحراء المغربية.

وقد كان احتكاك تلك القبائل وتجاورها مع سكان البادية المغربية سبباً في نشر اللغة العربية. وحينما بدأ شيوخ تلك القبائل ينالون "إقطاعات" من الدولة المرينية، في مقابل الخدمة العسكرية، تدعم نفوذهم اللغوي الثقافي بالنفوذ السياسي والعسكري والقانوني، فكان من السهل على قبائل أو جماعات أمازيغية الانضمام لهؤلاء عن طريق الولاء فتصبح مع مرور الزمن كأنها عربية خالصة. ولا تخلو المصادر التاريخية المغربية من الإشارة إلى حالات قبائل أمازيغية تخلت بعد مجاورتها للعرب عن عدد من مقوماتها الثقافية واللغوية، بل وعن أصلها الأصلية.

العوامل المساعدة على التعريب : إن التعريب الذي نتحدث عليه لا يتضمن أي مفهوم عرقي لأن عدد العرب الداخلين إلى المغرب، من عهد الفتح إلى القرن السابع، ضئيل بالقياس إلى مجموع السكان الأصليين. لقد كان من الممكن أن تذوب المجموعات العربية، لغويا وثقافيا، في خضم الملايين من السكان الأصليين، لكن العكس هو الذي حصل بحيث ذابت جماعات أمازيغية، أو فقدت لغتها من جراء الاتصال بالعرب وبالثقافة العربية. وهذا الواقع يفرض علينا التساؤل عن العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالرغم من المعطيات المذكورة أعلاه.

كما لا شك فيه أن للدين الإسلامي دوراً هاماً في انطلاق حركة التعريب وتقدمها، فالتعليم في الكتاتيب والربط، ثم في المدارس، كان يتم باللغة العربية وكان يعتبر مسألة دينية قبل كل شيء. كما أن القيمة الثقافية والحضارية للغة القرآن جعلت الأمازيغيين يتهافتون على تعلمها لدرجة أن بعضهم أصبحوا يرغبون في أن يصبحوا عرباً فاصطنعت لذلك الشجرات، ووضعت الأنساب جملة، وهكذا نقرأ في كتب التاريخ أن صنهاجة من حمير وزناتة ينتهي نسبها إلى قيس عيلان، وإنما تبررت وتغير لسانها حينما جاورت "البربر".

وإلى جانب هذه الأنساب "بالجملة" أصبح الأمازيغي، في الحواضر خاصة، ينسلخ عن طواعية من نسبه ليرتبط بالنسب العربي، ومن "رطانتة" ليتعلم اللغة العربية المستكملة لكل الشروط المطلوبة.

الوضعية اللغوية بالمغرب : إن ظاهرة المشاقفة المشار إليها ما كانت لتؤتي أكلها لو لم تكن الوضعية اللغوية بالمغرب تسمح بذلك. فعندما بدأت جيوش الفاتحين العرب

تطرق أبواب المغرب، كانت اللغتان، البونيقية واللاتينية لا تزالان مستمرتين في بعض المدن والمناطق، خاصة تلك التي شهدت ازدهار الحضارة الرومانية والبيزنطية (منطقة افريقية، شمال المغرب الأوسط والأقصى)، وقد دلت النقوش والحفريات، فضلا عن الشهادات التاريخية على استمرار اللغة اللاتينية لغة للكنيسة بالمغرب إلى ما بعد القرن الخامس انهجري. أما بالنسبة للغة البونيقية، فقد اعتبر بعض الباحثين وجودها عاملا ممهدا لانتشار اللغة العربية، علماً بأن اللغتين تنتميان إلى مجموع اللغات السامية.

ومهما يكن من شأن اللغتين، فإن التعريب الحقيقي مشروط بتراجع اللغة المحلية السائدة وهي الأمازيغية التي لم تكن بدورها قادرة على الصمود بفعالية أمام المد اللغوي والثقافي العربي، خاصة في المجالات الروحية والفكرية، إذ لم يسبق لها أن كانت، طيلة تاريخها محور حركة دينية أو "قومية" ترفعها إلى مصاف اللغات الكبرى في التاريخ. لقد ظل إنتاجها المكتوب قبل الإسلام منحصرًا في بعض النقوش التي ماتزال رموز بعضها غير مفهومة، ومن المستبعد أن يكون المثقفون الأمازيغيون القدامى ألفوا بها أو دونوا إنتاجاتهم، ومن المؤكد أن مشاهيرهم من أمثال أبيلوس والقدوس أغسطين، قد ألفوا باللغتين السائدتين في عصرهم، البونيقية واللاتينية.

وفي العصور الإسلامية الأولى ظهرت حركات دينية سياسية ثقافية معارضة للإسلام والعروبة ومن أبرزها على الخصوص، الحركة البرغواطية التي نسجت على منوال الإسلام ووضعت "قرآناً" مكتوباً باللغة الأمازيغية، واحتج المتنبئ البرغواطي على العرب بآية من القرآن "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"، مبرزاً بذلك ولأول مرة المشكل اللغوي على صعيد حركة دينية سياسية "قومية" أمازيغية.

وبعد ذلك بعدة قرون، تبرز حركة أخرى، سنية إصلاحية، هي حركة المهدي بن تومرت الذي ألف عقيدته باللغة الأمازيغية، وعمل خلفاؤه من بعده على إلقاء الخطب الدينية والسياسية باللغة الأمازيغية، بل "كان لا يخطب ولا يؤم إلا من يعرف التوحيد باللسان العربي" كما جاء في عدد من المصادر. إلا أنه ورغم تلك الاجراءات فقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية، فهي اللغة الإدارية الوحيدة، وبها تم التأليف في مختلف المجالات العلمية والدينية والفلسفية. لاشيء يدل إذن على أن الموحدون كانوا يسعون إلى طرح المسألة اللغوية كما طرحوا المسألة المذهبية مثلاً.

وهكذا فإن وضعية اللغة الأمازيغية لم تكن تؤهلها لمنافسة اللغة العربية، في الميادين العلمية "والأكاديمية" بل إن تلك اللغة تأثرت "بأختها الكبرى" على مستويي القاموس والبنية واقتبست منها مجموعة من الألفاظ والعبارات، وتمخض عن ذلك، من بين ما تمخض، ميلاد الدارجة (العامية) المغربية.

حدود التعريب، مظاهره وأسبابه : رغم أن حركة التعريب معززة بظروف ملائمة وعلى رأسها استعداد جماعات الأمازيغيين للانتصار في الثقافة العربية، فإن مجال التعريب لم يتعد بعض المراكز الحضرية وضواحيها بينما ظلت أغلبية البوادي وكل الجبال معاقل للغة الأمازيغية.

صحيح أن المغاربة المعربين ساهموا بدورهم في الإنتاج الفكري العربي الإسلامي مساهمة تبرز، رغم حدودها، ظهور مؤلفات معاصرة من قبيل النبوغ المغربي في الأدب العربي، إلا أنه، وكما كانت لحركة التعريب عوامل مساعدة أشرنا إلى بعضها، فإن لها كذلك حدوداً فرضتها شروط تاريخية وجغرافية واجتماعية.

ضعف العمران : إذا كانت المراكز الحضرية هي نواة التعريب الأولى، فإنه ينبغي أن نذكر - رغم أن الأمر لا يحتاج إلى تكدير - أن الحواضر كانت قليلة، كما أنها لم تكن كلها معربة : فمدينة فاس كانت "بمختلف الألسن لاحنة" ومراكش وأصيلا وأزمور "لسانها بربري" كما أن ظاهرة "العجمة" لم تزُلْ بعد من سهل تامسنا، بالرغم من انتشار أفواج بني هلال (ابن الخطيب).

أما ابن خلدون، فقد أشار في عدة أماكن من المقدمة والعبير (ج 6)، إلى طغيان "الطرانة" في بلدان المغرب وإلى ما كان يعانیه اللسان الحضري من التردّي، وفي محاولة لتفسير ذلك يقترح علينا ابن خلدون عاملين : الأول "منهجي" يتشمل في إفلاس أساليب التعليم آنذاك في نشر لغة العرب. فالمغاربة كانوا "يحفظون قوانين اللغة والنحو المجردة، ولا يمارسون التحدث باللغة العربية" لشدة عجمتهم، والثاني تاريخي يتجلى في تراجع العمران.

وإذا كان السبب "البيداغوجي المنهجي" وجيهاً، فإن مسألة تراجع العمران جديرة حقا بكل الاهتمام إذ أن مفهوم العمران الخلدوني يتضمن ازدهار النمو الحضاري والتجارة والمبادلات ونمو الفكر وغيرها من عناصر "التقدم".... وكلها عناصر افتقد المغرب بعضها أو جلها خلال نهاية العصر الوسيط.

العامل الجغرافي والاجتماعي : شبه بعض الباحثين انتشار الحضارة الرومانية بالمغرب بانتشار الماء، بمعنى أنها تغمر السهول وتعجز عن إدراك الجبال... ويمكن - مع مراعاة الفرق بالنسبة إلينا - أن نشبه مسألة انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط بانتشار الماء، فقد امتدت إلى الحواضر والسهول والصحاري، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون بقولته المشهورة "العرب لا يتغلبون إلى على البساط"، لذلك ظلت المناطق الجبلية بعيدة كل البعد عن تأثير اللغة العربية، اللهم إلا ما يفرضه التعليم في الكتاتيب والمدارس التي كانت تستعمل الأمازيغية أيضا في التدريس، أو ما يحمله إليها بعض أبنائها الذين تمكنوا من "إتمام" دراستهم في بعض الحواضر، مراكش وفاس على وجه الخصوص.

وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك.  
- إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعاشوها معاشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها.  
- إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها، وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي - على درجات متفاوتة من مبادعة بينها وبين أصحابها، ومن تشكيك فيها، وعزل لها عن الحياة والمجتمع.

- إن اللغة العربية قادرة، بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الانسانية على أن تكون لغة العلم الحديث : تدرساً وتأليفاً وبحثاً.  
- إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه.

وجاء في النظام الداخلي للمكتب، الصادر بتاريخ 1973 / 1 / 27 ما يلي : يقوم المكتب بالمساهمة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية ومواكبتها للعصر، واستجابتها لمطالبه، وذلك عن طريق تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة ؛ وتتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه، بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها ؛ وتنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح الحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة؛ والإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب.

ويقوم المكتب في سبيل تحقيق أهدافه بالعمل على تنمية اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في الخارج، وذلك بالتوسع في إصدار المعاجم المخصصة في ميادين المعرفة وإبراز دور الحضارة العربية الإسلامية في نمو المعرفة الانسانية، ووضع المصطلحات العربية الموحدة للمفاهيم الجديدة وتعميم استعمالها وتداولها، والإفادة من التقنيات الحديثة في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الداخل والخارج ونشر المعلومات والاستفادة منها بواسطة بنك المصطلحات، وتتبع وخرن الرصيد المصطلحي المستجد، ودعم المكتبة بالمراجع والكتب والدوريات. وإصدار مجلة دورية لنشر نتائج أنشطة المكتب (اللسان العربي)، وهي متخصصة تعنى بنشر الأبحاث اللغوية وقضايا الترجمة والتعريب ونشر المشروعات المعجمية، بالإضافة إلى نشر المعاجم التي تقرها مؤتمرات التعريب، وقد نشرت معظم هذه المعاجم، والبعض الآخر تحت الطبع. وقد بلغ عدد مؤتمرات التعريب المنعقدة ما بين سنة 1961 و1994 سبعة وبلغ مجموع المصطلحات المصادق عليها

وإلى جانب "العامل الجغرافي الطبيعي" لا بد من الإشارة كذلك إلى "العامل الجغرافي البشري" بحيث يسهل تعريب مناطق الكثافة الضعيفة ويتعذر تعريب مناطق الكثافة المرتفعة. كما أن للتنظيمات والبنيات القبلية وأشكال استغلال الأرض وتملكها أثرا على امتداد أو انحسار حركة التعريب. فالقبيلة المتماسكة بفضل نظامها الاجتماعي، حيث يسود الاستغلال والملكية الجماعية لوسائل الإنتاج أكثر قدرة واستعداداً لمقاومة التأثيرات الخارجية، وعلى النقيض منها تكون وضعية القبائل التي تفسحت روابطها الاجتماعية بفعل عوامل تاريخية أو سياسية، مثل قبائل تامسنا التي انهكتها الحروب المتوالية من عهد بني يفرن إلى العصر المريني...  
إلا أنه ينبغي أن نحتاط من التسرع، ويستحسن أخذ العوامل المذكورة بعين الاعتبار وتفادي أخذها كعوامل تفسر بكيفية قطعية امتداد أو تقلص حركة التعريب بالمغرب في العصر الوسيط.

ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب...، تج. أحمد مختار العبادي ؛ ع.

ابن خلدون، المقدمة ؛ العبر، ج 6، بيروت 1968.

W. Marçais, Comment l'Afrique du Nord a été arabisée, A.I.E.O.A., 1938 et 1939.

رضوان مبارك

## التعريب ← معهد الأبحاث والدراسات

### للتعريب

**التعريب** (مكتب تنسيق -)، أول ما سمي بالمكتب الدائم لمؤتمر التعريب، ثم أُطلق عليه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، ويدعى الآن مكتب تنسيق التعريب. وقد انبثق عن مؤتمر التعريب الأول المنعقد في الرباط من 3 إلى 7 أبريل سنة 1961. وأصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية بناء على قرار الجامعة رقم 2541 / د ج 4 المؤرخ في 16 / 3 / 1969، ثم أصبح جهازاً من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد خلقها، طبقاً للقرار رقم 70 المؤرخ في 8 / 5 / 1972. وقد وافق المؤتمر الأول المشار إليه أعلاه على أن يكون مقر المكتب الدائم بمدينة الرباط في المملكة المغربية، نظراً للواقع اللغوي الذي كانت تعيشه دول المغرب العربي إذ ذاك، وكانت حديثة العهد بالاستقلال.

وسطرت مبادئ المكتب الستة التي عليه أن يعمل بمقتضاها، في مؤتمر التعريب الثاني، المنعقد في الجزائر من 12 إلى 20 من شهر ديسمبر 1963 :

- اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها. وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها.

- إن تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها. ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها، ثم مشاركتها فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة التدريس،

118.640 مصطلحاً. فعلاوة على المؤتمر التأسيسي المنعقد بالرباط سنة 1961، انعقد المؤتمر الرابع بطنجة في أبريل 1981 حيث صادق على ثمانية من المعاجم العلمية والتقنية كما انعقد المؤتمر السادس بالرباط في شتنبر 1988 وصادق على معاجم في الآثار والقانون والاقتصاد والجغرافيا والموسيقى.

بلغ عدد المعاجم التي أنجزها مكتب تنسيق التعريب بالرباط ونشرت أو هي تحت الطبع سنة 1994 سبعة وعشرين معجماً بثلاث لغات : الإنجليزية والفرنسية والعربية، وهي معاجم موحدة لمصطلحات اللسانيات، والفيزياء العامة والنووية، والرياضيات والفلك، والكيمياء، والأحياء (النبات والحيوان)، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والتجارة والمحاسبة، والصحة وجسم الإنسان، والتعليم التقني والمهني، والجيولوجيا، والبتترول، والحاسبات الإلكترونية، والآثار والتاريخ، والموسيقى، والجغرافيا، والاقتصاد، والقانون، والسياحة، والبيئة، والزلازل، والطاقات المتجددة، والمياه، الاستشعار عن بعد، والتقنيات التربوية، والإعلام، والفنون التشكيلية.

ويعد حالياً في مكتب تنسيق التعريب بالرباط أربعة معاجم تهم مصطلحات الأرصاد الجوية، والهندسة الميكانيكية والمعلوماتية، وعلم البحار.

ورغبة في سلامة الإنجاز العلمي المصطلحي، ونشدانا لتوحيد المصطلح العلمي ليصبح مصطلحاً عربياً متفقاً عليه، عقد المكتب ندوة خاصة لكل مشروع معجمي سواء في مكتب أو في مؤسسات مختصة أو في مجامع اللغة العربية. وتوجها بمؤتمرات التعريب المشار إليها أعلاه وعقد أيضاً ندوات مختصة حول المنهجية أهمها :

- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة - الرباط 1981.

- ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل المصطلح الموحد وإشاعته - عمان 1993.

هذا وقد عقد المكتب بالإضافة إلى هاتين الندوتين، ندوة خاصة بتأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالرباط، سنة 1980، وشارك فيها عدد من الخبراء والعلماء العرب الذين مثلوا جامعات ومؤسسات عربية وإسلامية، ومعهد غوته الألماني والمجلس الثقافي البريطاني.

كما عقد دورة تدريبية في صناعة المعجم، بالرباط أيضاً، سنة 1981، شاركت فيها جامعات ومؤسسات علمية عربية ودولية، وصدرت أعمال هذه الندوة في كتاب بعنوان : صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية.

وكان مكتب تنسيق التعريب بالرباط على وعي بأن تجربته المعجمية لا يمكن أن تتخذ أبعادها الحقيقية باكتفائها بجهود علماء الاختصاص المتناظرين والمؤتمرين فحسب، بل لا بد وأن تستفيد من تجارب المؤسسات الدولية والعربية ذات الاهتمام المشترك، وهكذا كان للمكتب

علاقات مع المنظمة العلمية للتقييس (ISO) جنيف ومركز المعلومات الدولي للمصطلحات (Infoterm) في فيينا. واتحاد المترجمين الدوليين (ويضم رابطات واتحادات المترجمين في معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً (Fit) في وارسو وشركة سيمنس بألمانيا والجمعية العالمية لوضع المصطلحات (Termia) والبنك الآلي السعودي للمصطلحات (Basm) وبنك المعلومات في منظمة الألكسو (Farabi) والمجلس الدولي للغة العربية بباريس (Cilf) وغيرها.

كما يربط علاقات علمية مع المجمع العربية، والجامعات والمؤسسات المختصة في البحث والدرس والصناعة. وفي إطار هذا التعاون المصطلحي ساهم المكتب في وضع عدد وافر من المعاجم الأخرى لمصطلحات علمية وتقنية، بحيث بلغ مجموع المعاجم التي أنجزها إعداداً أو مشاركة أو إشرافاً أو مراجعة مائة وثمانية وثلاثين مشروعاً معجماً أو قائمة مصطلحية. ويساهم المكتب حالياً في وضع معجم العلوم الطبية المصور الذي يشرف عليه البروفسور عبد الحفيظ لهلايدي، جامعة محمد الخامس - الرباط. وسيظهر في عشرة أجزاء متضمنة لحوالي مائة ألف مصطلح تغطي منظومات العلوم الطبية الكبرى.

لم يكن المكتب يحصر جهوده في معجماته المذكورة هذه لتصدر بالطريقة التي هي عليها، بل كان له هدف آخر يقصده منها، وهو أن تكون أساساً وقاعدة معجم حضاري دعاه "معجم المعاني العام"، وقد أعد في هذا الصدد حوالي أربعين مشروعاً أنجز جلها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله - المدير الأول لمكتب تنسيق التعريب - وبلغ عدد جذادات هذا المعجم حوالي 500.000 جذادة، وضع المكتب حالياً خطة جديدة تعتمد على الحاسوب والمناهج الحديثة المصطلحية، للاستفادة منها وتكميلها، لتتجسد عملاً كاملاً يوضع بين أيدي الناس. وقد نشر بعض من هاتيك المشروعات في مجلة اللسان العربي.

إذا كان المكتب يصب تجربته المصطلحية في ما أصدره من مشروعات معجمية، فإن عنايته بقضايا اللغة العربية والترجمة والتعريب، تمثلت في دورته "اللسان العربي" التي ظهر عددها الأول سنة 1964، وهي حالياً سنوية، صدر منها حتى الآن سبعة وثلاثون عدداً في أربعة وخمسين مجلداً، تضمنت 1.050 بحثاً و292 مشروعاً معجماً.

وكان المكتب ولا يزال يقوم بمساعدة بعض المؤسسات الحكومية المغربية والمؤسسات الخاصة في مجالات التعريب كلما دعا الأمر إلى ذلك، عن طريق مرافقتها بالمطبوعات والمعلومات والتوجيهات وتوفير المقابل العربي لما تستعمله من مصطلحات علمية. كما كان المكتب يساهم في تعريب اللافئات والواجهات ونصوص الإشهار، في بعض المدن المغربية. وكثيراً ما كانت بعض الإدارات والهيئات والشخصيات تستفتي المكتب عن طريق الهاتف، في ترجمة فورية لأمر من الأمور. ويتلقى المكتب على الدوام

قوائم مصطلحية تشمل مختلف العلوم والفنون ليجد لها المقابل العربي المطلوب.

ويقدم يومياً على مكتبتي المكتب (العلمية والمعمجية) وقسمه التقني، طلاب من الكليات العلمية قصد إعداد بحوثهم العلمية باللغة العربية، كما يرد عليه أيضاً عدد من الباحثين مغاربة وغيرهم للاطلاع على منجزاته ومنهجيته في إعداد المعاجم وتنسيق المصطلحات، أو لإعداد أبحاثهم أو أطروحاتهم حول نشاط المكتب ودوره في حركة التعريب في الوطن العربي.

وثائق مكتب تنسيق التعريب : محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية - سلسلة أطروحات الدكتوراه (1)، الطبعة الخامسة، بيروت، 1993 ؛ استطلاعات إعلامية عن مكتب تنسيق التعريب في الصحافة المغربية والعربية ؛ مجلة القافلة في عديدها (ربيع الثاني 1403 هـ ورمضان 1403 هـ)، وجريدة الميثاق الوطني في عديدها بتاريخ 1983/6/22، وجريدة عكاظ السعودية بتاريخ 1983/6/29، ومجلة قافلة الزيت في عديدها السابع مايو 1981، وجريدة بغداد /بزرغر التي نشرت في عديدها 5039 بتاريخ 1984/2/2 مقالا للسيد الأستاذ سمير الجليلي تناول فيه أهداف المكتب وأنشطته.

أحمد شحلان

### التعريب المائية، عبارة تطلق على مختلف الآليات

السطحية التي تعمل على تحريك الفتات من موقع اقتلاعها إلى مكان ترسبها، تحت تأثير المياه السائلة أو الجارية. وهي ظاهرة هامة في المغرب، كما هو الحال في باقي المجالات المتوسطية، وذلك بسبب تركيز التهاطلات من جهة، وتفرق الغطاء النباتي. وتتدخل في بعض المجالات عوامل إضافية، مثل حدة التعرض وضعف مقاومة الصخور، لتجعل منها مناطق تعتبر أراضيها ذات قابلية مرتفعة للإزالة والتدهور. كما أن حدة التدخل البشري على المجال، وقدم الاستعمالات المختلفة للتربة، كان لهما الأثر الهام على استقرار السفوح.

تشير التقديرات القياسية، التي تنجزها إدارة المياه (بوزارة الأشغال العمومية) إلى خطورة التعرية المائية بالمغرب. وقد انتبعت مصالح المياه والغابات (وزارة الفلاحة) إلى هذه الظاهرة، وسخرت إمكانيات هامة للوقاية.

وترجع خطورة هذه الظاهرة أولاً إلى تأثير العامل المناخي. فالتراب الوطني تقع أجزاؤه الشمالية ضمن المناخ المتوسطي الذي يتميز بتناقض بين الفصول ويعنف التهاطلات، وأجزاؤه الجنوبية ضمن المناخ شبه صحراوي، المتميز بالجفاف عادة بسقوط زخات مطرية كثيفة ومركزة.

إلا أن القياسات المتوفرة تهم خاصة الأقاليم الممتدة شمال الأطلس الكبير. وتشير هذه القياسات إلى أن المجالات الجافة لها اعتدائية مناخية متواضعة ؛ وتبقى هذه الاعتدائية متوسطة في المجالات الهضبية من المغرب. وترتفع بشكل ملحوظ في الجبال الأطلسية لتصل إلى

ذروتها في جبال وتلال الأقاليم الشمالية (سلسلة الريف). وللعامل التضاريسي، دور أساسي في تحديد القابلية للتعرية. وقد تم تحديد التوزيع الجغرافي للتضاريس في الأقاليم الشمالية من المغرب، على مساحة تقديرها العام حوالي 23 مليون هكتار. تمثل فيها الجبال 35٪، والتلال المنحدرة 18٪، بينما تغطي السطوح المنبسطة والمتموجة (هضاب - سهول - تلال منخفضة) 47٪ من المساحة الاجمالية للأقاليم المتوسطة. وهذا يعني أن نصف أراضي هذه المجالات، ذو قابلية عالية للانجراف.

ودور الغطاء النباتي الأساسي في الوقاية من عملية التعرية. وتثبت كل القياسات هذا الدور الأساسي، حيث تتضاعف مقادير التعرية من عشر إلى عشرين مرة، عند مرور السطح من حالة التغطية الشاملة إلى حالة الاجتناب الكامل. وتغطي الغابة حالياً حيزاً تقديره حوالي 12٪ من مساحة البلاد (تقريباً تسعة ملايين من الهكتارات). وهذا مؤشر آخر يفسر أهمية الانجراف المائي للأراضي.

وتقدر ساكنة المغرب حالياً بحوالي 26 إلى 27 مليون نسمة، نصفها يعيش في البوادي. وهذا يعني أن الكثافة الفعلية على أراضي الارياف لا تتعدى في المتوسط 19 ن في كلم<sup>2</sup>. إلا أن هذه الكثافة جد متغايرة مجالياً، حيث تصل إلى مقادير تفوق 100 ن /كلم في بعض النواحي كالريف الشرقي. والمجالات ذات البيئة الهشة، والساكنة الكثيفة في نفس الوقت، كالريف ومقدمة الريف هي التي تشكو من الآثار الخطيرة للانجراف.

وعلى أساس قياسات عامة (تقدير الحمولة الصلبة للأشجار من طرف مديرية المياه) وقياسات محلية (نتائج عدد من المحطات التجريبية) وتقديرات نظرية، تم تصور الخطورة الفعلية لظاهرة التعرية المائية بالمغرب.

يرتفع معامل السيل الذي يمثل النسبة السائلة من الكمية الإجمالية المتهاطلة، من المجالات نصف الجافة (حيث لا يزيد عن 10٪) إلى المجالات نصف الرطبة حيث يعلو إلى 15-20٪، إلى المجالات حيث التهاطلات جد مرتفعة (أكثر من 700 مم) ليصل إلى حدود 40.50٪ في المناطق التي تتلقى أكثر من 1000 مم. وهذا يدل على أن مقادير السيل العنيف، التي تساهم في الانجراف من جهة، ولكن كذلك في تزويد الانهار الكبرى وتوفير الشروات المائية، تأتي من هذه المجالات الرطبة جداً.

وتشير القياسات إلى أن تركيز المياه بالحمولة الصلبة، يتزايد من المجالات الرطبة إلى الجافة. ذلك أن كثرة الماء السائل تؤدي إلى تخفيف الخليط وبالتالي تناقص التركيز. والمجالات الجافة من المغرب تسجل مقادير تتوزع بين 19 و30 غ / لتر، بينما تنخفض هذه المقادير إلى 10 ثم 5 مع تزايد المياه السائلة.

تعد التعرية المائية نتاجاً للسيل والتركز معا. وهي تزيد في المغرب بشكل سريع تبعاً لتزايد المياه السائلة. ويعبر عنها بمقدار الاقتلاع بالاطنان في كلم<sup>2</sup> خلال سنة.

وتتضح عواقب هذا الانجراف الهام في عدة مظاهر من أهمها :

- توحل حقينة السدود من جراء تراكم الفتات المنقولة من طرف الأنهار وبالتالي تقلص امكانيات تخزين الماء وراء السدود وإمكانيات تنظيم عملية السقي.  
- تدهور أترية الحقول وما ينتج عنها من تفكير لامكانياتها الفلاحية. هذه الظاهرة الأخيرة مرتبطة بالآليات الدقيقة التي تعمل بها التعرية.

وعلى إثر حدوث تهاطلات، يتسرب قسط من الماء إلى الاعماق، ويكون السبب القاعدي للانهيار، لأنه لا يتعرض للتبخر، وبالتالي يشكل مخزوناً يخرج على شكل عيون مغذية. يتسرب جزء ثان إلى الطبقات العليا من التربة ويساهم في تغذية النباتات. كما أنه يتحرك ويحدث وضعيات انزلاقية هامة. وعندما تتشبع التربة، ينطلق السيل على السطح. ويتخذ هذا السيل شكل قنوات متفرعة - متلاقية أو شكل فرشة. كما قد يتركز في خدوش تتعمق ببضع سنتيمترات، أو خدات تنحت مجراها ببضعة أمتار.

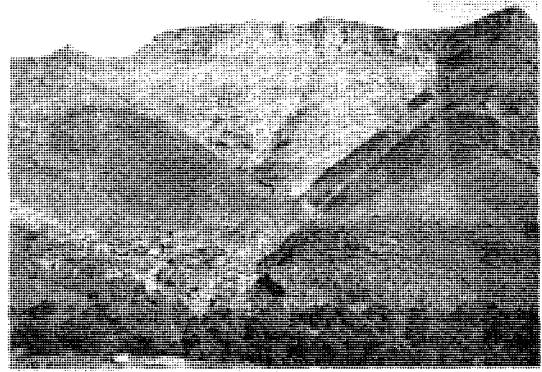
يشكل السيل الغشائي فرشة حقيقية، ممتدة وعميقة، يهيم خاصة أقدام الجبال في جنوب المغرب. وتتسبب الزخات المطرية العنيفة في حدوث مثل هذه الظواهر، رغم عدم تشبع التربة، وذلك بسبب تكون قشرات تكس واندكك على سطحها، تساهم في انغلاق المسام. وقد تم وصف آثار مثل هذه الظاهرة في تافيلالت (Joly, 1952)، وفي المغرب الشرقي. ويظهر أن أمطار الخريف ونهاية الصيف، تمثل عواصف ذات العواقب الوخيمة في هذه المجالات القارية.

ويؤثر السيل الغشائي كذلك على السفوح الجبلية أو التلية المجشحة، أو التي تدهور غطاؤها النباتي. فابتداء من تغطية نباتية دنيا، تصبح قطرات المطر ذات فعالية تجعل منها أداة اندكك للسطح. وتصبح عندئذ المياه السائلة قادرة على نقل الفتات الدقيقة وغسل السطح تاركة عنده المواد الخشنة بارزة.

ويؤدي الانتقال من السيل الغشائي إلى الخدوش المركزة، إلى اجتياز عتبة خطورة خاصة، يرتفع معها حجم النقل، وكذا مدى تدهور التربة.

إلا أن هذه الامطار العنيفة والمركزة تبقى ذات تأثير محدود بالمقارنة مع الامطار الدائمة المؤدية إلى تشبع القطاع الترابي. ذلك أن استمرار التهاطل خلال مدة هامة، يجعل التربة تمتص مقادير مائية هامة، مما يسمح للسيل الناتج عنها بأن يكون جد مركز (مقادير قد تصل إلى 30 غ / لتر، أو أكثر). وتمثل هذه الكوارث المطرية كالتالي حدثت في الريف سنة 1962-1963، أو في تونس سنة 1979، إلى امتداد المساحات المتأثرة بالتخديد والانزلاقات، وإلى تفاقم آثار المجاري المائية التي تعمل على توسيع مجاريها واقتلاع ضفافها.

من هنا تتجلى المظاهر المختلفة للتعرية المائية بالمغرب



التعرية  
منظر من الأطلس الصغير

يصل هذا المقدار إلى أقل من 500 طن في المجالات نصف الجافة (أقل من 400 مم من المطر). ثم يرتفع في المجالات التي تتلقى بين 400 و600 مم (حوالي 1000 طن)، لتصل إلى 1500 أو 2000 طن في المناطق الرطبة.

وتسمح التقديرات المتوفرة بتصوير توزيع عام للتعرية المائية ببلادنا. فالمجالات الجافة والصحراوية التي تغطي أكثر من ثلثي مساحة البلاد، تسجل مقادير ازالة تتراوح بين 10 و50 طن / كلم<sup>2</sup> / سنة، والسهول والهضاب الاطلنتية مقادير بين 50 و200. أما جبال الأطلس فهي تفقد ما بين 200 و500 طن / كلم<sup>2</sup> / سنة. وترتفع هذه المقادير في شمال شرق الأطلس المتوسط وفي الريف ومقدمته التي لا تغطي أكثر من 6% من مساحة البلاد إلى أكثر من 500 طن / كلم<sup>2</sup> / سنة (بين 200 و500 في الريف الاوسط والغربي).

ويشير الجدول التالي إلى خصائص عدد من الاحواض النهرية المغربية وإلى مقادير التعرية المائية والسيل بها.

زير	ماسة	أبورقار	ملوية	الأخضر	إتانون	ورغة	
4500	3780	9800	49900	1680	3680	6170	(1) مساحة
100	95	70	43	100	85	88	(2) % الجبال
150	230	500	<300	450	600	> 700	(3) معدل التهاطل
155	150	723	934	300	650	2980	(4) موارد مائية
12	10.4	3.1	21	16	6	4	(5) تركيز المياه
430	385	270	336	2991	901	2070	(6) الاقتلاع
1970	1460	2650	16700	5000	3320	12800	(7) منقولات

- 1 - مساحة بالكلم<sup>2</sup>.
- 2 - نسبة التضاريس الحادة.
- 3 - معدل التهاطل بـم.
- 4 - صبيب النهر بالمكثومتر مكعب.
- 5 - تركيز مياه السيل بـغ / لتر.
- 6 - الاقتلاع بالطن / كلم<sup>2</sup> / سنة.
- 7 - المنقولات السنوية بالآلاف الأطنان.

يبين هذا الجدول أن هناك مجالات تفقد مقادير هائلة من تربتها، مثل ورغة والأخضر. ويرتبط ذلك في نفس الوقت برطوبتها وشدتها تضرسها. كما أن الصخارة لها دور مهم. أما صبيب المنقولات الإجمالي خلال السنة، فهو يضع ملوية في الصف الأول وذلك ارتباطاً بمساحة حوض هذا النهر (7% من مساحة المغرب). إلا أن فحص الجدول يبين أن سهول ملوية وجبالها لا تفقد مقادير كبيرة من التربة (336 طن / كلم<sup>2</sup> / سنة).

H. Plateau, *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952 ; A. Millies-Lacrois, *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc*, Note de Doc. S.E.G.M., n° 13, 1967 ; B. Hensch, *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rapport de Mission. Rome. SOGETHA - FAO, 1971 ; *L'érosion hydraulique au Maroc, son calcul et son contrôle*, El Awamia, n° 32 ; Ch. Floret, *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.

رشيدة نافع

**التعريجة**، آلة إيقاعية مصنوعة من خرف مطلي بأصباغ مختلفة الألوان. شكلها أسطواني مفتوح الطرفين، يميل إلى الضيق في الوسط. وأوسع طرفيها مغطي بقطعة من جلد الماعز.

تعتبر التعريجة أكثر الآلات الإيقاعية شعبية، وتستعمل لضبط الوزن. كما تضطلع بدور المصاحبة الإيقاعية للإنشاد الصوتي والعزف الآلي. وهي تحتل هذا الموقع في كثير من أجواق الطرب الشعبي بالمغرب كالملاحون والعيطة، وقرق أمديازن الزمورية، كما تستخدم في الدقة المراكشية والأهازيج الشعبية الحضرية وفي مناسبات عاشوراء والأعياد والأعراس. ويطلق على ضارب "التعريجة" اسم "التعارجي" إلا عند إمديازن فيطلق على ناقرها اسم "الدراري".

يميل صوت التعريجة إلى الحدة بالنسبة لصوت البندير، ومن ثم تشكل ضرباتهما معا حوارا في وسع المستمع الواعي أن يميز بين نغماته وخاصة إذا كان جلد هاتين الآلتين "مسخن".

يمسك الناقر التعريجة من وسطها باليد اليسرى على نحو عمودي بحيث يكون طرفها المغطي بالجلد إلى أسفل. ويقسم الناقر على التعارج (التعريجات) إلى فريقين : أولهما يوقع النقرات الأساسية والرنانة، وتسمى هذه النقرات "الأم"، وثاني الفريقين يوقع النقرات الثانوية، فيرجع نقرات الفريق الأول أو يملأ الفراغات الواقعة بينها، وتسمى هذه النقرات "الحاشية". ومن تجاوز "الأم والحاشية" يتكامل عنصر الإيقاع في العمل الموسيقي، وهو عنصر قد يحتد ويصطبغ أحيانا في نهاية العرض الموسيقي كما هو الشأن في "الغباحي" عند نهاية قصيدة الملاحون.

عبد العزيز بنعبد الجليل

**تعزّي بنت ناصر**، ذكرها مؤلف رحلة *الوافد* ... أثناء حديثه عن "المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة (تتمثل) عند الطريق ... قائلًا : "وفي وسطها (المقبرة) بيت المرابطة (التي) يقال لها تعزّي بنت ناصر ومعها قبور أخرى في البيت، مازال القوم يتبركون بها وبهم الآن..." (ص 174).

هذه السيدة التي نعتها المؤلف المذكور بالمرابطة لا نعرف عنها شيئاً، رغم أنها كانت لها بدون شك أهمية ما على المستوى المحلي، وإلا ما كان ليبنى عليها وما كانت لتدفن في "المقبرة الكبرى" التي بها قبور الموحدين

والتي تتلخص في تدهور التربة في العاليات، وبروز عدد من مظاهر التخريب على طول الأودية، وتوحد حقيقة السدود في السافلات. من هنا كذلك تتضح أهمية الوقاية من هذه الظاهرة الخطيرة.

عبد الله العرينة

**التعريجة الريحية**، تنشط هذه الدينامية في المناطق الجافة وخاصة منها الموجودة جنوب السلسلة الأطلسية وفي شرق المغرب حيث تشكل القحولة الخاصة الأساسية مع ما تخلفه من خصائص في الحصيصة المائية وفقر شديد في النبات. تعرف هذه المنطقة الشاسعة التي تمتد على مساحة 500.000 كلم<sup>2</sup> أي 5/7 المساحة الإجمالية سيطرة الرياح من نوعين : رياح حارة ورياح الرمال والغبار، الأولى تنتشر في كل مكان وفي كل الفصول حينما يكون هناك زحف باتجاه الشمال الغربي لكثرت الهواء القارية الصحراوية أو عند مرور منخفضات جهة الرياح التجارية. أما الثانية أي رياح الرمال والغبار فإنها تكثرت في جنوب الأطلس الكبير، وهي رياح دوامية لها قوة تجعلها قادرة على الهبوب حاملة معها حبات الرمال من حجم وقطر يدخل في كفاءتها. وهذه الرياح تؤثر على السطح جنوب وشرق المغرب أكثر من باقي المناطق الصحراوية الأخرى. ويعتبر ممر تانجونيت / الطاوس عند قدم الحافة الشمالية لحماة كم أهم منطقة لهبوب الرياح الحاملة للرمال : 80 يوما من الرياح عند أرفود - بودنيب 20 يوما في عبادة - 15 يوما في تلبيلة.

وتتعد الفترة الأكثر نشاطاً بين يناير وشتنبر وتصل أقصاها في شهر يونيو. هذه الرياح لا تقتصر على الإزالة والنقل بل تقوم أيضاً بترتيب أنواع خاصة من التراكمات الرملية التي تكون إما منعزلة أو متجمعة على شكل أشرطة قد تتعدى عشرات الكلم وتتكون من برحانات وسيوف ونبكاة وتتركز هذه الأشكال في 'رات الفاصلة بين الأعراف حيث تحافظ الرياح على نفس الاتجاه وتزيد قوة، أما فوق الحمادات والسهول حيث الرياح تغير وجهتها باستمرار فإن الأشكال تتراكم فيما بينها مكونة أشكالاً هرمية.

تتمثل أخطر نتيجة للدينامية الريحية سواء في المناطق الجافة أو الساحلية في مسألة الترميل أوزحف الرمال الشيء الذي يهدد مناطق زراعية شاسعة في الواحات الجنوبية أو على سواحل دكالة والصويرة وأكادير. وقد تم الانتباه إلى خطورة الترميل في المناطق الساحلية منذ مدة طويلة لأنها موطن زراعات هامة كزراعة الخضروات. أما في المناطق الصحراوية فقد بدأ الاهتمام بزحف الرمال على الواحات وأقدام الأطلس الجنوبية مع مطلع الثمانينات تتم عملية مكافحة الترميل بتنسيق مع منظمة الأغذية والزراعة (ألفو) بعدة طرق، منها المصدات التي تتكون من شبك بلاستيكية أو جريد النخل أو ألواح الاسمنت والقصدير بالإضافة إلى تشجير الكثبان المتحركة بنباتات جفافية كالصبار.

والصالحين والعلماء العاملين والسادات الأشراف على حد قوله.

عبد الله بن إبراهيم التاسفتي، رحلة الواقد ... 1993، ص. 174.  
علي صدقي أزيكو

**التعطير (التقليدي)**، لا يمكن الحديث أبداً عن مختلف الحواضر المغربية الكبرى في القرون السالفة دون ذكر أحيائها التجارية الرئيسية. وكان من أهم أحيائها التجارية حي العطارين الذي كان السكان يرتادونه لاقتناء لوازم التطيب والتعطير التي كانت مكملات لا يستغنى عنه التجميل التقليدي سواء بالنسبة للذكور أو الإناث.

كان العطر والطيب المستعمل في المدن المغربية قبل أن تكتسح العطور الحديثة الأسواق المغربية في معظمه من أصل نباتي وحيواني إما من صنع محلي أو مستورد من بلاد المشرق. فالعطور المحلية تخصص في تقطيرها واستخراجها من الورد وأزهار الريحان والفل والقرنفل أو عود الصندل والعود القمري (يسمى الأول عود الهند والثاني العود القماري) والصبغ المعطر والمسك والعنبر أشخاص عرفوا بأسمائهم بين الناس ولقبوا في مختلف المدن المغربية بالقطارين والعطارين. أما المستوردة منها فكانت تفرق إلى المغرب من المشرق على حالة صلبة ثم تعالج بطرق مختلفة للتعطير أو التبخير كعطر الجاوي الذي تصنع منه بخور الجاوي المشهورة. ويستقدم هذا العطر إلى المشرق العربي من الشرق الأقصى من جزيرة جاوة الأندونيسية، وهو صنع يستنبط من جذوع بعض الأشجار المعطرة ويستعمل في العلاج التقليدي كمرهم للدلك وفي صناعة العطور. وبما أنه يشبه في لونه اللبان فإن البعض من الناس يدعوه (لبان جاوة). ومن هذه العطور المستوردة نذكر أيضاً العود القمري بضم القاف والميم، وهو خشب ينمو في جزر القمر فنسب إليها كما نسب عود الجاوي إلى جزيرة جاوة. وقد عرفه العرب في الماضي باسم العود. أما العود الهندي الذي يعرف بالصندل فينمو خشبه في بلاد الهند، كان ينقل إلى البلدان العربية ومنها يصل إلى المغرب، وقد تحول اسمه من لفظة فارسية هي دجنال إلى صندل وانتقلت هذه الكلمة بعد تحريفها عن أصلها إلى اللغات الأوربية الحديثة Santal. لذلك كانت العطور المستعملة في المغرب من نوعين أحدهما جاف صلب يحرق في مياخ خاصة لتعطير الملابس والأجسام والأماكن بروائح زكية وعطر سائل يحتفظ به في قارورات مخصصة للصيانة تختلف أشكالها وأحجامها.

وكانت العطور التي تستهلكها الأوساط المخزنية تقطر على يد نساء ورجال متخصصين كانت موارد أرزاقهم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة القصور. وكانت مهنة تقطير العطور ومعالجة الطيب وصيانتها من بين أهم الحنظ الداخلية التابعة للمخزن وكانت لها قوانينها وأعرافها ولها أمينها. وقد اشتهر على سبيل المثال عبد الرحمان العوفير في عهد السلطان المولى عبد العزيز والمولى يوسف بن

الحسن بأنه كان أميناً للقطارين وأميناً للبروح وحفيظاً لحقيبة التجميل السلطانية بالإضافة إلى تقلده لمنصب أمين مرسى مدينة الرباط. كان هذا الشخص هو المسؤول عن صيانة العطر والدهان والطيب وعلك المصطكا والكحل والسواك والحرقوص والعمار وما يتبع ذلك من قطن وخرق وأردية خاصة بالتجميل.

وكان تقطير العطر من بين أهم الأمور التي تتقنها النساء في العائلات الحضرية المغربية الثرية والمتوسطة، وقلما توجد عائلة لا تتقن فن التقطير أو لا تتقن تصبير بعض المواد الغذائية وتخزينها ونسج بعض الأغذية والأفرشة والملابس للاستعمال الخاص. أما سائر الناس فكانوا يقتنون العطور من القطارين في سوق العطور حيث كانت دكاكين العطارين تعج بقارورات العطر المختلفة الأحجام. لذلك كان سوق العطارين يعتبر جزءاً لا يتجزأ من منظر الحواضر المغربية التقليدية وخاصة في فاس ومكناس وتطوان والرباط ومراكش.

وقد اشتهرت فاس بأنها كانت هي أكبر مركز لتقطير العطور وصيانتها وتوزيعها في جهات كثيرة من أرجاء بلدان المغرب العربي. وما زالت دكاكين العطارين المصطفة الواحدة بجوار الأخرى في هذه المدينة تشهد على ذلك إلى اليوم. وما تؤكد معظم الكتب التاريخية أن فاس ورثت أساليب تقطير العطر والطيب عن قرطبة التي ازدهر فيها ذلك ابتداء من القرن العاشر الميلادي على يد القطار والكيميائي الشهير أبي القاسم الزهراوي المتوفى سنة 1013م. وتذكر المراجع المذكورة بأن عطور هذا القطار كانت مضرباً للأمثال في الأندلس وبلاد المغرب من طنجة إلى طرابلس خلال ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في روع الأندلس في العصور الوسطى. وقد ازدادت شهرة الزهراوي بعد وفاته لأنه ترك للعطارين والكيميائيين مؤلفاً دقيقاً في كيفية استخراج العطور وصيانتها سماه كتاب الأدهان ذاع صيته في مشرق العالم الإسلامي ومغربه وانتشر فيما بعد في معظم البلدان الأوربية.

عبد الرحمان بن زيدان، العز والصولة، الجزء الأول، الرباط، 1961؛

عبد الحمي الكتاني، تبليغ الأمانة، مخطوط الخزانة العامة بالرباط

ك 2729 ؛ مؤلف مجهول، المرأة المغربية والحلي، العلم عدد 8706،

28 أبريل 1974 ؛ كناش الخزانة الحسنية بالرباط رقم 250 ؛ محمد

عزيز حلمي، عادات الزي في المغرب الأقصى، د. ت. د. م.

C. Fidel, *Le commerce du Maroc*, s. l., s. d ; L. Bolens, *Les parfums et la beauté en Andalousie médiévale*, Université de Genève, s. d. ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; L. Abensour, *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du nord*, Paris s. d. ; E. Doutié, *En tribu*, Paris, 1914 ; *Archives marocaines*, Tome 4, 1905 ; E. Adnan, *L'artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

محمد بوسلام

ابن **تعفوفت**، يحيى بن محمد، ويكتب أيضاً **أتعفوفت** و"أ" هنا بمثابة "ابن". أكبر خدام التاج البرتغالي بمنطقة أسفي. لعب دوراً أساسياً في نشر النفوذ البرتغالي في عبدة ودكالة والحوز والشياظمة، وفي الدفاع



وخلال مقامه بالعاصمة البرتغالية، استطاع يحيى أن يكسب عدة صداقات، وأن يرتبط بشخصيات نافذة داخل البلاط. ويبدو أن حصار القبائل لأسفي في دجنبر 1510، ومطالبة سكان تلك المدينة سنة 1508، بنحوه أن يحبس إلى المنطقة كي "يكون قنطرة بين المسلمين والنصارى"، جعل الملك البرتغالي يقرر إرجاع يحيى برتبة قائد على عبدة والغريبة.

وكانت العودة في نهاية 1510 أو بداية السنة التالية. إلا أنه لم يستقر بالمدينة المحتلة التي كان سكانها قد أخلوها، وأقام بقية سرنو، شرق مدينة أسفي، إذ ورد بسجل ضرائب برتغالي اسم يحيى بالموقع المذكور إلى جانب بعض الأعيان وساكنة تتوزع سبعا وسبعين داراً. ولم تشر المصادر إليه إلا في أكتوبر 1511 إثر تنظيم قبطان أسفي الجديد، نُونُو فَرْنَادِيشُ دُو أتايد (Nuno Fernandes de Ataide) لغارة على المنطقة، إذ أن يحيى جاء لتحية القائد البرتغالي، ولأمره على عدم إشراكه له في عملياته العسكرية، وأكد له أنه لو كان فعل "لتمكنوا من أسر عدد أكبر، ولا استطاعوا الاحتفاظ بكل الغنائم" التي اضطروا إلى التخلي عنها، الأمر الذي يؤكد أنه كان ينتظر من المسؤولين بأسفي تكليفه بدور أكثر فعالية. ويبدو أن القبطان البرتغالي استمر في تجاهله، ولم يشركه في أية عملية عسكرية خلال ما تبقى من سنة 1511. إلا أن الاعتماد عليه أصبح كبيراً بعد 1512.

فخلال هذه السنة، أرسله القبطان على رأس عدد من رجاله لمنطقة تانسيفت قصد إدخال ضرائبها. وهاجمه فريق من الشياظمة، إلا أنه انتصر عليه رغم قلة أعداد رجاله، وأكرهه على دفع الضرائب. واستطاع يحيى إخضاع فرع أولاد عمران الشمالي، المستقر قرب الجبل الأخضر، بدون حرب. وتحمل يحيى ورجاله العبء الأكبر خلال الصدام الذي وقع بين برتغالي أسفي والناصر الهنتاتي الذي تحرك للجهاد بدكالة، وتكبد هزيمة بسفح جبال بني ماكر سنة 1512. ولما أعاد الهنتاتي جمع قواه تحرك في اتجاه أگوز، على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت. وأنداك وصلت القبطان أخبار بشأن إعداد يحيى لخيانة البرتغاليين، فأمر كل المسيحيين المرافقين له بالالتحاق بأسفي، الأمر الذي نفذوه باستثناء أقلية. واستطاع يحيى، الذي كان يقود 3.000 عبيد وغربي، الانتصار على الهنتاتي من جديد، فازدادت بذلك شهرته، وفي نفس الوقت ازداد عداوة القبطان وأعيان يهود أسفي له. وهكذا كاتب كل من القبطان وأبرهم بن زميرو، حاخام أسفي، العاهل البرتغالي وأبلغاه شكهما في يحيى الذي اتهمهما بإعداد خيانة البرتغاليين والتخطيط لقتل القبطان، وبالتعسف واستغلال النفوذ والاعتناء من جمع الضرائب واتخاذ الألقاب السلطانية. وقد أرسل إلى اشيونة كل الوثائق والشهادات المدينة، وخصوصاً أحد الألواح التي تسن بعض القوانين والتي ورد في مستهلها: "بسم الله وتوفيقه وإذن من له الأمر والأحكام السلطانية

عن تلك المكتسبات بتصديه للوطاسيين والهنتاتيين والسعديين. وقد أعطاه ذلك العمل شهرة كبيرة لدى القبائل، وحتى داخل البلاط البرتغالي الذي كان له به مساندين ومتعاطفين. فقد وصلت شهرته إلى سيوس، وتغني، قبطان حصن فونتي لو أنه وصل إلى هناك لطرده القائم بأمر الله وابنيه. وإذا كانت المصادر المغربية قد سكنت عن الأدوار التي قام بها هذا الشخص، فإن الوثائق الخاصة به، المحفوظة بالأرشيف البرتغالي، والتي توجد ضمنها رسائل بعثها بنفسه للملك البرتغالي، تسمح بتتبع الأدوار التي كلف بها. واعتماداً على تلك الوثائق، خصه المستعرب البرتغالي David Lopes سنة 1897 بدراسة مستفيضة ضمن المؤلف الذي خصه للرسائل الأعجمية التي كانت نسبة مهمة منها مرقعة من لدن يحيى أتعفوت. وورد اسمه هكذا بإحدى الألواح التي سن بها يحيى قوانين على قبيلة الحارث سنة 1512.

وأشار الحسن الوزان إلى أن يحيى هذا كان بعد 1506 من الطامعين في حكم أسفي، ووصفه بالشباب الشجاع الذي كان، كغيره من المغامرين المتعطشين للسلطة، يرأس جماعة من المقاتلين. وتوسع الإخباري البرتغالي دو كويش في أخبار يحيى وما قام به من أدوار خلال الحرب الأهلية التي كانت تتخبط فيها أسفي، والصراعات التي عرفتها المدينة بسبب تنافس أعيانها، وتدخل البرتغاليين في سياستها.

كانت المدينة تحت الحماية البرتغالية منذ عهد الملك ألفونسو الخامس (توفي يوم 21 غشت 1481)، وكان يحكمها قائد يسمى عبد الرحمن، بدأ يتملص من قبضة البرتغاليين الذين سبق لهم أن أوصلوه إلى السلطة بعد انقلاب نظمه بإيعاز منهم ضد عمه القائد أحمد (1498) (راجع مادة أحمد بن علي). وبعد أن تمكن يحيى وعلي بن وثمان من اغتيال قائد المدينة بالمسجد وخلال يوم العيد (1506)، اقتسما السلطة إلى أن كثر المعارضون، فاضطرا إلى الاحتماء بالبرتغاليين المستقرين آنذاك بأمگدول (الصورة حالياً). ولما لاحظ البرتغاليون أن يحيى وعلي يعارضان سقوط المدينة في أيديهم، عملوا على خلق الشكوك بين الصديقين وجعل كل واحد منهما يعتقد أن الآخر يريد قتله. وبما أن يحيى أتعفوت كان هو الحاكم بأسفي، وبما أنه أصبح، إن صحت رواية الإخباري دو كويش، يعاكس المخططات البرتغالية الرامية إلى التحكم في المدينة بشكل مباشر، بعد أن تبين لهم فشل سياسة الحماية والتحكم غير المباشر، فإنهم اعتمدوا على منافسه، علي بن وثمان، الذي استنجد بقبيلة بني ماكر التي نهبت دور أنصار يحيى. وحيث إن يحيى لم يكن يعلم أن ما وقع تم بإيعاز من المسيحيين، فإنه التجأ إلى الحصن المخصص لهم بالمدينة وأقنعهم بإرساله إلى لشيونة ليوضح موقفه للملك البرتغالي، وهذا ما تم فعلاً (قبل 13 غشت 1507). واحتلت أسفي بسهولة خلال النصف الأول من سنة 1508.

بمدينة أسيف، الشيخ الأجل الأفضل الأكمل الأفضل الأعز، الأرفع، الأجل، المؤيد المنصور أبو زكريا...". وخصت هذه الوثيقة، وكذا وثيقة أخرى، يحيى بصفة "السلطان". ويبدو أن الانتصارات التي حققها يحيى، وما نتج عنها من جاه ونفوذ بالمنطقة، جعله يعتقد أن بإمكانه إنشاء دولة خاصة به، تكون تحت حماية التاج البرتغالي. وبذلك يكون قد حاول بالبادية تحقيق ما فشل فيه بالمدينة المنقسمة على نفسها. ورغم أن الملك البرتغالي أمر يحيى بالالتحاق بالبرتغال، فإن القبطان فضل الاحتفاظ بذلك الأمر، ولم يطلع يحيى عليه لشدة حاجته إلى خدماته، خصوصاً وأن التوسع البرتغالي كان في بدايته.

وبالفعل، كان دور يحيى في نشر النفوذ البرتغالي بتلك المنطقة أساسياً خلال سنة 1513. فقد أكره قبائل بمنطقة الكنتور ومشارف الحوز على الخضوع ودفع الضرائب. وبما أن القائم بأمر الله استقر في نفس السنة صحبة ابنه أحمد بالشباطمة، فإن يحيى أرسل إلى هناك لمنع القبائل، وخصوصاً القريبة من نهر تانسيفت، من الخضوع لهما. وفي فبراير من سنة 1514، كان يحيى على رأس ألف من رجاله وحوالي 300 محارب برتغالي بمنطقة الحوز. وفي نهاية نفس الشهر ساهم بشكل فعال في الهجوم الذي نظمته حاميتا أسفي وأزمور ضد تدينست، لطرد القائم بأمر الله وأنصاره منها. وفي مارس من نفس السنة، التقى به الحسن الوزان بالحوز وهو منهمك في جمع الضرائب لفائدة البرتغاليين. وشارك يحيى برتغالي أسفي وأزمور في "معركة الجمعة" (14 أبريل 1514) التي انهزم فيها قواد الناصر الوطاسي الذي تحرك، بأمر من أخيه السلطان محمد البرتغالي، خلال تلك السنة في اتجاه دكالة لمساعدة سكانها الذين استنجدوا به. وبعد أن تخلى الناصر عن محاصرة أزمور، قرر مطاردة يحيى بنية قتله أو استقطابه، إلا أن هذا الأخير تفادى الاصطدام، واكتفى بتسميم الآبار ونقط الماء لإكراه الوطاسي على مغادرة دكالة. واكتفى الوطاسي بتخريب المدينة الغربية و"سرنو"، مقر إقامة يحيى، قبل الانسحاب. وقد توصل يحيى من الملك البرتغالي بالموقع المذكور كإقطاع مع امتيازات أخرى.

وزادت هذه الانتصارات يحيى شهرة ونفوذاً داخل المنطقة، الأمر الذي زاد من تشكك القبطان، ومن حسده لكونه كان يرى في يحيى مزاحماً له. ولما أطلع القبطان يحيى على الأمر القاضي بالتحاقه بالبرتغال، امتثل بكل سهولة، وغادر أسفي في نهاية غشت من سنة 1514 صيحة ترجمانه.

ويبدو أن القبطان اتخذ القرار المذكور بعد أن اطمأن للأوضاع بالمنطقة وأنه لم يصدق ما راج بشأن قرب تحرك جيوش الوطاسي في اتجاه دكالة. كما أنه أصبح يخطط لإخضاع مراکش، وكان يرغب في احتكار ذلك المجد وتحقيقه بنفسه ودون مساعدة غيره، حتى ولو كان برتغاليا (عارض مشاركة قبطان أزمور في العملية).

ولم يؤثر هذا النفي على مكانة يحيى داخل البلاط البرتغالي، إذ أقام به مكرماً مدة اثنين وعشرين شهراً، رغم استمرار القبطان وكبير يهود أسفي في اتهامه. وقد اضطرت العاهل البرتغالي لإرجاعه إلى أسفي بعد قتل القبطان دو أتايد سنة 1516، وثورة كل القبائل التي كانت تدين للبرتغال بالولاء. وعاد يحيى إلى أسفي يوم 20 يوليوز 1516، برتبة قائد على كل منطقة دكالة بعد أن كان نفوذه يقتصر على عبدة والغربية.

ووجد يحيى كل القبائل في حالة عصيان، إذ أصبحت عبدة والغربية تقطعان الطرق المؤدية إلى أسفي. واستطاع يحيى إرجاعها إلى الطاعة بسرعة، مما جعله يظهر بمظهر المخلص بالنسبة للبرتغاليين. إلا أن هذا النجاح، واختلاف تصور كل من القبطان الجديد ويحيى لطريقة تسيير المنطقة والتعامل مع قبائلها، فجر من جديد مرحلة من التنافس والعداء بين الرجلين زادتها أسرة بن زميرو اليهودية حدة، فالتجأ كل واحد إلى العاهل البرتغالي. إلا أن هذا الأخير فضل الاحتفاظ بهما معا لشدة حاجته إليهما. والغريب أن قبطان أزمور كان يدافع عن يحيى وينوه بما كان يقوم به لصالح البرتغال بالمنطقة.

واستمر يحيى، رغم عداء القبطان وأعيان اليهود له في الدفاع عن المكتسبات البرتغالية، ولم تؤثر فيه المحاولات الرامية إلى إبعاده عن النصارى. فقد انتصر يوم 20 مارس 1517 على الناصر الهنتاتي، كما انتصر عليه وعلى ابن عمه مرة أخرى بعد أن حاولا دخول دكالة. وفي ربيع 1517، راجت إشاعات بشأن تحرك الوطاسي نحو هذه المنطقة. وأكرهه شك القبطان فيه وعصيان عبدة وقسم من الغربية، على الانسحاب جنوب تانسيفت. واستغل القبطان وجوده هناك لاتهامه بالتواطؤ مع الأمير السعدي واقتسام مناطق النفوذ معه. وفي رسالة إلى الملك البرتغالي، ذكر يحيى أنه ينتظر مغادرة الوطاسي للمنطقة وأنه "إذا رجع أن تتحزمت مع هذا العُرب حتى نردّهم لسفني بزّز منهم".

ولم يصلنا شيء من أخباره منذ ذلك التاريخ إلى يوم اغتياله (قبل 16 فبراير 1518)، بخيمة أحد شيوخ أولاد مطاع، على يد شيخ عبدي. وانتهى الاغتيال بعصيان جديد. وعجز البرتغاليون عن إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه، خصوصاً وأن الأوضاع لم تعد في صالحهم بعد مجاعة 1521 الكبرى، وبعد تزايد نفوذ الشرفاء السعديين الذين نقلوا، منذ 1518، عملياتهم العسكرية إلى شمال نهر تانسيفت.

وما لا شك فيه أن الدور الذي لعبه يحيى أتعفوفت في نشر النفوذ البرتغالي كان كبيراً كما أكد ذلك الإخباري البرتغالي دو كويش عدة مرات. غير أن القبطان دو أتايد، حاكم أسفي الشهير، كان يرى عكس ذلك، وكما يدعي أنه كان بإمكان أي "مسلم" يوضع على رأس القبائل أن يقوم بما قام به يحيى. إلا أن هذا الحكم كان بالتأكيد وليد العداء والحقد الذي كان ذلك المسؤول البرتغالي يكنه

ليحيى أتعفوت، ووليد محاولاته الكثيرة إقناع الملك البرتغالي بخيانة يحيى وعدم الاحتياج إلى خدماته.

من الأكيد أن يحيى كان رجلاً شجاعاً استطاع تحقيق انتصارات غير متوقعة، وفي ظروف صعبة. فقد كان مجرد وجوده يمثل ضماناً للقبائل الخليفة، الأمر الذي كان يجعلها تساهم في الغارات البرتغالية، كما كان حضوره كافياً لثب الرعب بين صفوف المهاجمين. ويمكن تحكم يحيى في قبيلتي عبدة والغربية من ضمان حزام أمن حول أسفي، ومن توفير العدد الكافي من المحاربين، الأمر الذي كان يسمح بتغطية النقص في الرجال الذي كان البرتغاليون يعانون منه. كما سمحت تلك القبائل للبرتغاليين بنشر نفوذهم بخسائر بشرية قليلة، لكون تلك القبائل كانت تتحمل عبء الحرب، إذ كان البرتغاليون يبقون خلف الصفوف، في انتظار حسم يحيى ورجاله للمعركة، ليشرعوا في مطاردة المنهزمين.

ووفرت مشاركة يحيى للبرتغاليين كذلك وسائل المبيت المتشكلة في الخيام لكون القبائل الخاضعة له كانت تتحرك بكل عناصرها. وقد أكدت التقارير البرتغالية على دور تلك الخيام في نجاح التوسع البرتغالي بالمنطقة، إذ اعتبرها أحد البرتغاليين العامل الأساسي في وصولهم إلى سفح الأطلس الكبير.

ويعتقد المؤرخ البرتغالي D. Lopes أن يحيى بقي طول حياته وقيماً للتاج البرتغالي، وأنه لم يستطع التغلب على العقلية التي اكتسبها من خلال صراعه من أجل السلطة بأسفي، وأن الجو المشحون بالشك والذسائس الذي كانت تعرفه أسفي بعد احتلالها رسخ لديه تلك العقلية، لذا كانت بعض مواقف مشوية أحياناً بالغموض وتدفع إلى الشك. وأضاف أن يحيى استطاع الحصول على ثقة الملك البرتغالي رغم الاتهامات التي وجهت له، والحجج التي جمعت ضده، وأنه استطاع كذلك الحصول داخل البلاط البرتغالي على صداقات ساندته، وختم مقاله المخصص لهذه الشخصية بقوله : يمكن الجزم بأن يحيى لم يخن أبداً القضية البرتغالية رغم أن الوثائق الخطيرة التي أرسلها القيطان أتايد وأبرهم بن زميرو إلى العاهل البرتغالي، إذ أن تلك الوثائق لا تدل إلا على استغلال للنفوذ.

ويرى روزنبرجي Rosenberger في مقال حديث (1993) أنه من الصعب اتهام يحيى بالتخطيط لخيانة البرتغاليين بعد التمكن من نشر نفوذه على القبائل باسم التاج البرتغالي، ولو أن ازدواجية الخطاب الذي نهجه باتفاق مع العاهل البرتغالي قد توحي بذلك، ولو أن تصرفات وأقوال صعب عليه التحكم فيها قد تدفع إلى ذلك الاعتقاد. كما أن الاتصالات التي اضطر إلى القيام بها مع السلطات المغربية لم تكن من باب الخيانة، بل كانت تهدف إلى حماية المكتسبات البرتغالية، وكانت تتم بعلم وتركيب المسؤولين. وأكد المقال على المشاكل والعراقيل التي خلقتها ليحيى جهات كانت ترى في وجوده مسا بمصالحها : بعض اليهود

الطامعين في الوساطة السياسية والتجارية، والعسكريون الراغبون في الاغتناء من الغارات وما توفره من غنائم وأسرى، والذين كانت سياسة الملك البرتغالي، ومنفذها بالمنطقة يعاكسان طموحاتهم. كما بين المقال أن انتصارات يحيى وأعماله العسكرية كانت تضايق القيطان الذي كان يريد أن يحتكر ما يتولد عنها من أمجاد وامتيازات. وربط الكاتب فشل يحيى بفشل مخططات الملك أمنويل بالمغرب، لقلة وسائله المادية والبشرية.

ونعتبر أن الحكم على يحيى وما قام به من أدوار يلزمنا بأخذ مرحلتين مختلفين من عمله السياسية والعسكري بعين الاعتبار.

فإلى حدود سنة 1514، اغتر كثيراً بنجاحه السريع، وبما حققه من وزن سياسي بالمنطقة، وباحتماء القبائل به. ويبدو من خلال ما حولنا من وثائق، أن فكرة الاستحواذ على السلطة اعتمداً على البرتغاليين قد خامرتة فعلاً، كما يتجلى ذلك من خلال الألقاب السلطانية التي خص بها نفسه، ومن خلال ما كان يعبر عنه سرّاً وعلانية. وقد تبلور هذا الموقف بعد 1512، أي بعد أن أكرهت جل قبائل دكالة، وحاضرتها المدينة الغربية، على الرضوخ. فهل حاولت تلك القبائل دفع يحيى إلى اتخاذ ذلك الموقف لتعتبر نفسها خاضعة لحاكم مغربي، وإن كان يدين بالولاء للنتاج البرتغالي ؟ لقد كتب أحد سكان المدينة الغربية لقيطان أسفي يخبره بالاستقبال الذي خص به سكان تلك المدينة يحيى حين دخوله إليها يقول : "وفرّحوها أهلها به، وكل يوم محمد بن عمرو كان يخرج إلى الشوارع ويصيح : "الله ينصر سيدي يحيى بن تعفوت". وبلغ آخر بموقف سكان المدينة المذكورة من رسالة بعثها يحيى : "وقراه سيدي محمد علي أصحابه في المدين وفرّحو به، وكان بن محمد يمشي ويقول : "الأ ينصر سيدي يحيى تعفوت، من بغض سيدي يحيى فليخرج من المدين". وأضاف المبلغ أن سكان المدينة الغربية اتفقوا مع قبائل "أولاد سبيط، مع أولاد يعكي، مع أولاد عمران، يلتقو جميعاً، ويتحلفو جميعاً، على كتوب بن تعفوت ويسير إليه بلجميع...".

وبذلك يكون يحيى قد استمر في البحث عن السلطة بالبادية هذه المرة، بعد فشله في الحصول عليها بالمدينة المنقسمة على نفسها، بالاعتماد دائماً على البرتغاليين، مستغلاً بذلك سياسة الملك أمنويل بالمنطقة الهادفة إلى ضمان مناطق مسالمة تدفع الضرائب وتقبل على أسواق الثغور المحتلة. لذا لم تنفع معه كل المغريات، وفشلت كل محاولات إبعاده عن البرتغاليين. وبهذا نفهم سبب عداوته للهننتيين أولاً، ثم للشرفاء السعديين، بعد دخولهم الشياظمة، لمعاكسة وجودهم بالمنطقة لمخططاته.

أما بعد رجوعه من منفاه الثاني، فقد تطلب من إخضاع القبائل والصمود في وجه الوطاسي وقتاً طويلاً ولم يستطع استرجاع الهيبة التي كان يتمتع بها من قبل. ولم يكن بإمكانه التراجع وتصديق وعود وتطمينات

الوطاسيين، لعلمه أن ذلك يعني نهايته. ولم يعد بإمكانه كذلك خيانة البرتغاليين، أو حتى عصيانهم لشكهم فيه واحتياطهم منه، وكذا لتراجع تحكمه في القبائل. وكان استمراره في الدفاع عن مصالح البرتغال في الحقيقة دفاعاً عن نفسه، ذلك أنه لم يعد بيده إلا حلان، إما أن ينجح، وإما أن يموت وهو يدافع عن مكانته. وقد كان واعياً بهذه الوضعية الحرجة التي كانت مفروضة عليه.

ح. الوزان، وصف أفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، ص. 147-151؛ أ. بوشرب، دكالة، الدار البيضاء، 1984.

B. Rosenberger, *Yahya U Tafift, 1506 - 1518 : des ambitions déçues*, H.T., vol. 31, fasc. unique, 1993, pp. 21 - 59 ; D. Lopes, *Bentafuf, alcaide mouro ao serviço de Portugal*, in *Textos em aljama portuguesa. Estudo filológico e histórico*, 2ème édit. revue, Lisboa, 1940, p. 107 et sq. ; P. de Cenival [et al...], *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série, *dynastie sa'dienne*, Archives et bibliothèques de Portugal, T.1 et 2, Paris, 1934 et 1939 ; R. Ricard, *Les Portugais du Maroc de D. de Góis*, extraits de la *chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937.

أحمد بوشرب

**التعليم بالمغرب في العهد الإسلامي** يمكن أن يقسم إلى ثلاث مراحل كبرى : العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة المرينيين، والعصر الحديث أيام الشرفاء السعديين والعلويين إلى نهاية الحماية، والفترة المعاصرة من الاستقلال حتى اليوم.

يبتدئ التعليم في المغرب مع وصول الفاتحين العرب في القرن الأول الهجري (7 م) فهناك إشارات إلى من صحب الفاتحين من القراء والدعاة الذين مكثوا في هذه البلاد يعلمون أهلها أمور دينهم ويلقنون الصغار سور القرآن ومبادئ العربية لينشئوا على الدين الخفيف. واتسع مجال التعليم في القرن التالي بعد مجئ إدريس بن عبد الله وتأسيس مدينة فاس ونزوح أسر عربية متعلمة إليها من الأندلس والقيروان، ثم بناء جامع القرويين (248 / 862) الذي سيصبح المركز التعليمي الأول في المغرب على امتداد قرون طويلة.

وقد عرف المغرب في هذه الفترة الأولى - قبل فاس - مراكز تعليمية قديمة كسبتة وطنجة وأصيلا السبابة في ميدان التعليم لكونها نقط عبور إلى الأندلس، يقيم بها العلماء المهاجرون من المشرق مُدداً قصيرة أو طويلة ويروجون بها بضاعتهم. وكسجلماسة التي أسسها الخوارج من بني مدرار وراء الأطلس المتوسط في وسط القرن الهجري الثاني (8 م) واشتغل فقهاؤهم فيها بالتعليم وتلقين مبادئ مذهبهم وتكوين الدعاة. وكأغامت أوريكة العتيقة عند قدم الأطلس الكبير الشمالي التي حل بها أندلسيون فرواً من وقعة رِبْضْ قرطبة عام 202 / 818 فتعلم الأغماتيون على يدهم. وكذلك مدينة البصرة (بصرة المغرب) التي شيدها الأدارسة في سهول المغرب بعد مرور عقود من السنين علي تأسيس مدينة فاس، ولم تلبث البصرة أن أصبحت حاضرة إمارة إدريسية فرعية تنافس مدينة فاس وتباهيها بمن تجتذبهم ليقطنوا فيها من علماء العدوتين.

ومن المفارقات الغربية في تاريخ التعليم بالمغرب في القرون الثلاثة الأولى نبوغ فقهاء كبار ينتسبون إلى المراكز التي أشرنا إليها، ويتلمذ لهم رواد الفقه والعلم في الغرب الإسلامي ممن أدرکوا شهرة واسعة، دون أن يزدهر التعليم الازدهار اللائق بمقامهم في أي مركز من هذه المراكز، بل نجدهم - أكثر من ذلك - يهاجرون مساقط رؤوسهم وينشرون علمهم في حواضر نائية في افريقية أو الأندلس. ولتنضرب لذلك أمثله :

أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234 / 849) من مصمودة طنجة الذي أخذ عن الإمام مالك في المدينة وروى عنه الموطأ مباشرة، استقر بالأندلس وأدخل إليها المذهب المالكي، وانتهدت إليه رأسه العلم في قرطبة. وأبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي الذي عده القاضي عياض في *المدارك* من الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك والتزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه. تتلمذ حماد لأحد كبار الأخذيين عن مالك وهو عبد الملك ابن الماجشون وروى عنه كتابه الذي يعد من أمهات كتب المذهب، لكنه حمله إلى القيروان وعنه أخذه سحنون مؤلف *المدونة الكبرى*، فكان حماد السجلماسي أول من أدخل فقه ابن الماجشون إلى افريقية، وشيخ رواد الفقه القيروانيين، ثم استقر في القيروان ينشر علمه إلى أن توفي فيها وعُدَّ من أهلها. وخلفه ابنه حسن بن حماد السجلماسي، وكان فقيهاً متمكناً، سمع من أبيه وغيره وصار من فقهاء القيروان النابيين.

وأبو هارون عمران بن عبد الله العمري البصري (بصرة المغرب) (ت. 313 / 925) وابناه هارون وعبد الله، وكانوا ثلاثتهم فقهاء ميرزين، أتموا دراستهم بالمشرق، وحمل أبو هارون علماً كثيراً إلى الأندلس، فكان أول من أدخل إليها كتاب *ابن الموز*، واستقر مدة في بجانة، مدينة من أعمال كورة ألبيرة انتقل أهلها بعد خرابها إلى المرية، فأخذ عنه علماؤها وأجازهم. وقد توفي هارون - كأبيه - في البصرة، لكن عبد الله بقي في المشرق وغاب خبره في الشام.

فلماذا يا ترى رغب هؤلاء الرواد من علماء المغرب عن التعليم في مساقط رؤوسهم ؟ وما الذي دعاهم إلى الهجرة إلى الشمال أو المشرق ؟

يجيب التاريخ بأن القيروان دار الإمارة العربية الأولى في افريقية كانت سابقة إلى العلم بمن نزل فيها من فقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من طلائع علماء المسلمين. وكذلك الأندلس التي انتقل إليها الأمويون سنة 132 / 750، تلاحق فيها الأنصار والأشباع من الشام والحجاز ومصر وغيرها. لذلك لم يكد القرن الهجري الثاني يشرف على النهاية حتى كان المناخ العلمي نشيطاً في حاضرتي افريقية والأندلس يستهوي أفئدة المتعلمين من مختلف أرجاء المغرب الإسلامي، ويزداد الإقبال عليهما جيلاً بعد جيل.

أما المغرب الأقصى فكان خلال هذه القرون دار حرب وجهاد، فهو الذي فتح الأندلس وظل يربعاها ويتدخل

عياض آتي الذكر.

وفي عصر المرابطين (453 - 539 / 1061 - 1144) تم توحيد عدوتي المغرب والأندلس تحت سلطتهم، وأصبحت حضرتهم مراكز محط أنظار علماء الغرب الإسلامي كله، واستوطنها العديد من الفقهاء والأدباء للخدمة في بلاط الدولة، واشتغلوا بالتدريس في مساجدها وبخاصة جامع علي بن يوسف ابن تاشفين ومدرسته. ونظراً للتوجه الإسلامي لهذه الدولة حظي فقهاء المالكية بنفوذ كبير لدى أمير المسلمين في مراكش وخلفائه في الأقاليم وكثر الإقبال علي دراسة فروع المذهب المالكي والعقيدة، وأُلف في ذلك العديد من الكتب، ومن بينها أعظم موسوعة فقهية (البيان والتحصيل) للقاضي ابن رشد الجدل بتشجيع من أمير المسلمين علي بن يوسف. وقد غالي الفقهاء في استبعاد مالا يتفق ونظرياتهم المذهبية الضيقة حتى إنهم أفتوا بإحراق كتاب الإحياء للغزالي، فجمعت نسخته وأحرقت.

يقدم فهرس القاضي عياض الغنية، وهو من أقدم الفهارس التي وصلت إلينا كاملة، صورة واضحة عن التعليم بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين. يشتمل على قائمة طويلة للكتب المدرسة آنذاك في مختلف مناحي المعرفة من علوم القرآن والحديث والسير والكلام والفقه واللغة وقواعدها حتى كتب غريب اللغة وشاذها والشعر العربي القديم. وترجم عدد من شيوخ التدريس أيام المرابطين، نحو مائة من شيوخ عياض كثير منهم سبتيون، وفيهم طننجيون وفاسيون وبصريون (بصرة المغرب) بالإضافة إلى أندلسيين وشرقيين. ونشير هنا إلى أن مدينة البصرة خربها العبيديون حكام أفريقية أواخر القرن الرابع (10 م) وتفرق علماؤها في الأمصار. وإذا كانت مراكش نالت الحظ الأوفر في التعليم فإن المدن الأخرى كفاس وسبتة وسلا ومكناس لم تخل من حركة علمية نشيطة مستمدة من توجيهات الدولة.

وقامت دولة الموحيدين (539 - 657 / 1144 - 1259) على أساس إصلاح التعليم لتصحيح العقيدة وحمل الفقهاء على الاجتهاد والرجوع إلى منابع الشريعة بدلاً من التقليد والجمود مع الفروع. وأداهم ذلك إلى اضطهاد فقهاء المالكية ومنعهم من تدريس فقه الفروع. وقد اتسع نطاق نفوذ الموحيدين أكثر فامتد من برقة إلى المحيط، ومن أقصى الأندلس إلى تخوم بلاد السودان. فاتسع بذلك مجال التبادل المعرفي والتلاقح الفكري، وبلغت حضرتهم مراكز أوج عظمتها العلمية بما أنشؤا فيها من مساجد ومدارس ومن بينها جامع الكتبيين ومناره الشامخ، والمارستان العجيب الذي وصفه عن مشاهدة صاحب المعجب وقال "ما أظن أن في الدنيا مثله" وبما خططوا من مناهج للتعلم أدمجوا فيها الرياضة البدنية، وأولوا عناية خاصة لتنشئة طائفة من الشبان تنشئة عسكرية، فاختاروا منهم آلافاً كأنهم "أبناء ليلة واحدة" وعينوا لهم دروساً نظرية يتقنونها

عسكرياً فيها كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وجهز الجيوش تحت راية إدريس الأول وابنه إدريس الأزهر لبيسط نفوذ الدولة الناشئة ومتابعة نشر الإسلام ومحاربة الزيغ والفساد في المناطق النائية. لذلك بقي التعليم في المغرب لا يتجاوز عموماً مراحل حفظ القرآن ومعرفة ما لا بد منه من العقيدة والأحكام الشرعية واللغوية، فكان النابغون من المتعلمين يقومون برحلات يطلبون فيها العلم خاصة في المشرق العربي ثم لا يرجع هؤلاء الأعلام إلى مساقط رؤوسهم، وإنما يقصدون الحواضر العلمية المزدهرة التي تنفق فيها بضاعتهم، كما رأينا في الأمثلة السابقة.

كان بالإمكان أن نطمئن إلى هذا التأويل التاريخي لولا وجود نصوص أدبية رفيعة ترجع إلى هذه القرون الأولى لا يمكن أن تصدر إلا ممن ترمس باللغة العربية وحذقها وتكن من الشريعة والسياسية، ولأ يعرف لأصحابها رحلة علمية إلى أي جهة خارج المغرب. وإذا كان المجال هنا لا يساعد على البسط والمناقشة، فإننا نجتزئ بالإشارة إلى خطبة طارق بن زياد فاتح الأندلس (92 / 711) وأشعار إدريس الثاني وخطبه وهو ابن إحدى عشرة سنة، وعند إتمام بناء مدينة فاس (93 / 809)، ومُحاضرة رفيقه في حرب برغواطة داوود بن القاسم الأوربي وغيرهم، وتنبيه إلى أن الموضوع بحاجة إلى بحث واستقراء وتمحيص.

وقد تغيرت الأوضاع التعليمية في المغرب الأقصى في القرن الرابع وما بعده بسبب استقرار الدولة الادريسية ولو أنها أصبحت موزعة في إمارات منتشرة في أطراف البلاد، وبالرغم على الإغارات الخارجية والنزاعات الداخلية، بالإضافة إلى عامل التنافس والتطور الطبيعي. يدل على هذا التطور وجود فقهاء لا معين ملازمين للتدريس في مساقط رؤوسهم، وبخاصة فاس وسبتة، وحولهم طلاب كثيرون يتخرجون ويخلفون شيوخهم في التدريس وتستمر السلسلة متصلة، أمثال أبي ميمونة درأس بن إسماعيل الجراوي الفاسي (ت 357 / 967) صاحب الضريح الشهير خارج باب الجيزيين بفاس. ويعرف بالمحدث وحافظ المذهب وإليه ينتسب حتى اليوم مستجد حي مصمودة الذي يظن أنه كان يدرّس فيه. وكان قد أقام مدة بالقيروان وأخذ عنه فيها الإمامان أبو الحسن القابسي وابن أبي زيد القيرواني مؤلف الرسالة الشهيرة وغيرها؛ وجبر الله بن القاسم الفاسي نزيل عدوة الأندلس، وهو ممن أدخل علم مالك إلى فاس بعد أن تخرج على يد فقيه قرطبة أصبغ ابن الفرج، وعاش مع درأس بن إسماعيل في انسجام يوازنان بين مسائل المذهب المالكي مستعملين الحفظ والسماع والقياس، وهو أول من أدخل كتاب ابن الموز إلى المغرب. وكأل ابن العجوز الكتامييين الذين توارثوا العلم خمسة أجيال وانتهت إليهم رأسه العلم في بلدهم سبتة ورحل الناس للأخذ عنهم من مختلف أنحاء المغرب وعليهم دارت الفتوى. أولهم الأب عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز (ت. 413 / 1022)، والحفيد الأخير عبد الرحمن بن محمد ابن العجوز شيخ القاضي

وجعلوا لهم أياماً معلومة في الأسبوع لتعلم الركوب والرمي بالقوس، والسباحة في بحيرة (صهريج المنارة). وحددوا كتب الدراسة في التفسير والحديث والسيرة والفقه والتوحيد والتصرف والنحو واللغة والأدب والحساب والمنطق والطب والمناظرة، وجعلوا للمرأة حظاً في التعليم لا بد من معرفته وأفسحوا لها المجال للتوسع في الدرس، فتبغت في هذا العصور عالماً.

ونشير إلى أن معظم الملوك الموحدين كانوا علماء، وبلغ بعضهم درجة عالية في المعرفة كالمؤسس محمد المهدي ابن تومرت المبرز في التوحيد والعقائد، وتلميذه عبد المومن العالم بالأصول والجدل والحديث، وولده يوسف الفيلسوف الذي ظل يدرّس كتب الحكمة طوال مدة حكمه مع كبار فلاسفة عصره. وهو الذي أشار على ابن رشد الحفيد بتلخيص كتب أرسطو وشرحها، فأناقت تأليف ابن رشد علي المائة، وهي أكبر وأهم إنتاج فلسفي في تاريخ الغرب الإسلامي كله. كما امتارت أعمال الجغرافي المبدع الشريف الإدريسي السبتي صاحب زهرة المشتاق في اختراق الآفاق، وواضع خريطة العالم الحائطية والمائدة الفضية.

وفي عهد بني مرين (657 / 869 / 1259 - 1464) ازدهرت حركة التعليم وتعززت أكثر بما أنشؤوا من مساجد ومدارس وزوايا وربط ومارستانات في حاضرتهم فاس وغيرها من المدن في مختلف أنحاء البلاد، وبما وسعوا من أرزاق المعلمين والمتعلمين وأجروا عليهم من نفقات ومرتبات من بيت المال.

اتجه المرينيون في التعليم اتجاهاً معاكساً لسلفهم الموحدين فأعادوا الاعتبار إلى المذهب المالكي المحظور سابقاً، وشجعوا الفقهاء على دراسة الفروع فراجت سوق الفقه المالكي من جديد وأقبل عليه المتعلمون، وألفت فيه كتب عديدة وأصبح منذ ذلك الحين مادة التخصص الأولى عند المغاربة إلى اليوم. وإذا كانت جذوة الفلسفة وما إليها من علوم الأوائل قد خبت في هذا العصر، فإن دراسة الحساب والفلك وما إلى ذلك من المعقولات لم تتوقف، بل عرفت تطوراً وانتشاراً، وبخاصة في مدينة مراكش موطن أحمد ابن البناء العددي (ت. 721 / 1321) الذي أناقت تأليفه على ثمانين كتاباً معظمها في الحساب والجبر والمقابلة والفلك. وتميز العصر المريني كذلك في ميدان العلوم التجريبية بكثرة من يتدارسون الطب في مختلف المراكز التعليمية لا سيما في المدرسة البوعنانية بسلا المعروفة أيضاً بالمارستان، وكانت إلى جانب تطبيق المرضى وعلاجهم تُقدّم فيها دروس نظرية وعملية في الطب، وتخرّج فيها عدد من الأطباء كان لهم أثر في تسلسل هذا العلم بالمغرب في العصور التالية.

وامتاز المرينيون عمن سبقهم من الدول بالأوقاف العظيمة التي رصدوها لصالح منشآتهم الدينية والتعليمية، لا سيما المدارس التي ما تزال قائمة حتى اليوم بمرافقها الفسيحة وزخارفها الرائقة في الزليج (الفسيفساء) والنقش

على الخشب والجبس والحجر، ومنشآتها الهندسية كالساعة النحاسية العديمة المثال بباب المدرسة البوعنانية بفاس. وكانت مجالس مئوك بني مرين لا تخلو من علماء وأدباء حضراً وسفراً، وقصة غرق نحو أربعمائة من كبار العلماء الذين صحبوا أبا الحسن المريني في رحلته إلى تونس (721 / 1321) شهيرة في التاريخ، وكذلك الدالة التي كانت للعديد من كبار شيوخ التدريس على الملوك المرينيين، والهبات السخية التي كانوا يقدمونها للرحالة المكتشفين كمحمد ابن بطوطة الطنجي (ت. 779 / 1377) صاحب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

وبعد اختلال دولة بني مرين عرف التعليم في المغرب ركوداً طوال القرن التاسع (15 م) تبعاً للتدهور السياسي العام في البلاد، حيث أصبحت سلطة بني وطاس الذين خلفوا المرينيين لا تجاوز المناطق المجاورة لفاس في الشمال، وتُرك جنوب المغرب هماً، وتوالى احتلال الثغور البحرية من طرف المسيحيين، فافتقر بيت المال ومدّ الوطاسيون أيديهم "يقترضون" من أوقاف التعليم قروضاً لا يردونها أبداً. فخلت المدارس من قُطّانها وتفرق المعلمون والمتعلمون بحثاً عن الرزق. ولم تنته هذه المأساة التعليمية إلا بقيام دولة الشرفاء السعديين عام (915 / 1509).

كوّن التعليم في عهد الشرفاء السعديين والعلويين، أي ما يعرف بالعصر الحديث، سلسلة متصلة الحلقات إلى قيام الحماية. ولم يختلف التعليم في هذا العصر عنه في العصر السابق إلا بكونه أصبح شبه منقطع عن الرواقد التي كانت تغذيه من الشرق والشمال. فقد سدّ باب الأندلس بعد سقوط غرناطة (897 / 1491) وأقفلت الحدود الشرقية عند نزول الأتراك في شمال أفريقيا في مطلع القرن العاشر (16م) حيث أصبحت تونس والجزائر إيابتين تابعتين للخلافة العثمانية باسطنبول. ولم تقف أطماع الأتراك عند تخوم تلمسان إلا بعد معارك طاحنه خاضها كل من السعديين والعلويين. وازدادت كثافة الحدود الشرقية بعد أن احتل الفرنسيون الجزائر (1245 هـ / 1830 م) ثم تونس، وحلوا فيهما محل الأتراك.

لكن بالرغم من هذه العزلة المفروضة، عرف المغرب وفادات علمية مع أفواج المهاجرين الأندلسيين لا سيما بعد قرار الطرد (1018 / 1609)، وجماعات من علماء الجزائر وتونس أتفوا من الحكم الأجنبي. ساعدت هذه الوفادات على قيام نهضة تعليمية حقيقية برعاية الملوك الشرفاء، وظهرت مدارس مغربية متميزة في مختلف ميادين المعرفة ظلت قائمة إلى يومنا هذا، منها :

- مدرسة القراءات. امتزجت فيها طرق المغاربة والأندلسيين، ولو أن قراءتهم جميعاً ترجع إلى نافع بن عبد الرحمن المدني بروايتي ورش وقالون، لكن طرقهم المتعددة كانت تتشعب إلى عدد كثير من روايات تلاميذهما. ورسخت المدرسة الجديدة رواية ودراية وتأليفاً بين القراء المغاربة حتى اليوم.

من أداب مع شيخه ورفاقه، وأجود الأوقات للحفظ والمطالعة، وأحسن الأماكن للدرس والاستذكار. وألح على إفهام المتعلم بالطرق الناجحة دون تقييد بالشكل، إذ اعتبر الشرح والتقرير، لا تنميق التعبير. وذكر أن الشرط الأساسي في المدرس أن يكون حاصلاً على الملكة في العلوم التي يدرسها، جيد الفهم فيها. وعن مراحل الدرس ينصح بالبدء بإيضاح اللفظ ثم المعنى وما ينبني عليه، وبعد ذلك يورد الاعتراضات التي يمكن أن ترد، ويجب عنها، ليتمرن ذهن الطالب على النقاش والأخذ والرد.

-القانون، للحسن اليوسي (ت. 1102 هـ / 1690 م)، وهو كتاب خاص بالعلم والتعليم وأحكام العالم والمتعلم، من أحسن ما كتب المسلمون في الموضوع. حدد اليوسي أولاً العلم، ومداركه الثلاثة: الاحساس، والخبرة، والنظر وأقسامه. وخصص الباب الثاني لأحكام العالم في نفسه وفي التدريس والتأليف، وأتى بجملة من المبادئ التربوية الأساسية، التي أكدت جدواها القوانين البيداغوجية الحديثة. وذكر من طرق التدريس طريقتين: الانتقال من الجزئي إلى الكلي المناسبة للمبتدئين، والجمع بين الجزئي والكلي، النافعة للمنتهين، محذراً على أي حال من القفز على البحث دون تمهيد ولا شرح، ملحاً على ضرورة الترتيب، بحيث يكون كلام المدرس لو سطر لكان تصنيفاً حسن الرصف مقبولاً... حاضراً على التنزل مع المبتدئين إلى عبارات يفهمونها ولو لم تكن بليغة.

-الابتهاج بنور السراج، لأحمد بن المأمون البلغيثي شرح به أرجوزة سراج طلاب العلوم للعربي بن عبد الله المساري (ت. حوالي 1240 / 1824 م). خاطب المساري بأرجوزته ابنه اليافع وهو يتأهب للذهاب إلى القرويين، بعد أن حفظ القرآن الكريم والمتون الصغيرة في قريته الجبلية بني مسارة شمال فاس. وهو موضوع طريف في التأليف التربوي، وكأنه دليل دراسي لمن يقصد الجامعة لأول مرة حتى لا يتيه ويضل السبيل. ويغلب على هذا الكتاب طابع التجربة والخبرة الشخصية، فكل من الناظم والشارح عاشا في القرويين يطلبان العلم سنين عديدة، الأول كطالب قروي ساكن في إحدى المدارس، والثاني كطالب فاسي مقيم في منزله بين أهله.

وقد بين المؤلف لابنه العلوم التي عليه أن يدرسها ورتبها له ترتيباً سواً في المرحلة الأولى التي لا غني عنها، أو في مرحلة المشاركة في سائر العلوم.

وفي الكتاب أبواب كثيرة تتعلق بحياة الطالب في المدرسة والجامع، وأدابه مع رفاقه وأساتذته، وأيام العمل وأيام الاستراحة، ومنها باب خاص بالنساخت واستعمال الكتب وإعارتها، إذ كان الطلبة المغاربة يعتمدون على نسخا الكتب لتأخر دخول الطباعة إلى المغرب.

وفي أواخر القرن الثاني عشر (18م) تدخلت الدولة رسمياً لصرف المدرسين عن الطرق البطيثة والعقيمة، وحملهم على اتباع السبل الميسرة في التعليم، مع حظر

- مدرسة الحديث التي غدت تعني - علاوة على المتن - بالاسنانيد والروايات، وأفرزت عدداً وافراً من الحفاظ تسلسلت طرق رواياتهم وإجازاتهم إلى العصر الحاضر.

- مدرسة الفقه التي تجددت في هذا العصر وتوسعت بالاجتهادات في النوازل والأحكام مراعاة للمصلحة العامة وما تقتضيه الأحوال الاجتماعية. وقد عرف هذا النوع الجديد من الفقه بالعمل الفاسي، ثم اتسع نطاق الاجتهاد وظهر ما عرف بالعمل المطلق، وألف في كل منها. وأصبح "العمل" السمة البارزة التي تميز المدرسة الفقهية المغربية لا من الناحية النظرية التعليمية فحسب، ولكن أيضاً في ميدان التطبيق والحياة العملية، إذ صار القضاة مطالبين، في ظواهر تعيينهم، بالحكم بما جرى به العمل، إلى جانب المشهور والراجح من مذهب مالك.

- مدرسة الأدب. حافظت على الأسلوب العربي الأصيل لغة وتركيباً وطريقة، في حين زاحمت لغة الأتراك الحاكمين لغة الضاد في سائر البلاد العربية، وطغى الطابع الأندلسي على أدبيات هذه المدرسة شعراً ونثراً. فالصلات الأدبية المغربية الأندلسية ولو أنها قديمة، إلا أنها امتزجت في العصر الحديث امتزاجاً كاملاً وإلى الأبد.

- مدرسة التاريخ والتراجم والرحلات تواصلت خلال العصر الحديث يُدبّل بعضها بعضاً مغطية الفترات المتعاقبة بانتظام، وكذلك الرحلات لم تعد مقتصرة على الحج، بل تنامت واتسع أفاقها بعد أن أخذ المغرب يحتك بالدول الأوروبية.

- مدرسة الرياضيات والفلك والطب. انبعثت هذه العلوم في العصر الحديث على يد مجموعة من الحيسويين والفلكيين والأطباء والنباتيين المغاربة والأندلسيين. وكان للأطباء في مراكز نقيب لا يسمح لأحد بمزاولة عملية التطبيق إلا بعد أن يختبره ويجيزه. ثم انتقل هذا التقليد إلى فاس وغيرها من المراكز العلمية.

ومن الطريف في هذا العصر تفكير بعض حذاق المدرسين في طرق التعليم الناجعة وتأليفهم كتباً تربوية تعتمد على القواعد النظرية العامة وعلى تجاربهم الشخصية، منها:

-الأقنوم في مبادئ العلوم، لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096 هـ / 1685 م). وهو موسوعة من بحر الرجز في عدة آلاف من الأبيات تعرض فيه المؤلف لجميع العلوم المعروفة في عصره على التفصيل لا على الإجمال، ومنها التعليم والتربية. فبدأ في الفصل الذي عقده لأداب القراءة بأداب تعليم الصغار القرآن في الكتاب، وما يجب على المعلم من العدل والتسوية بين المتعلمين. وتثنى بالجانب التربوي وما يلزم المعلم من الحرص على صرف المتعلمين عن قرناء السوء، والتعدي، والقذف، والجرح... وتشجيعهم بالمدح على الحياء والشجاعة والسخاء.. وتنفيرهم من الطمع والتبذير والحرص والشح..

وفي الفصل المتعلق بتعليم الكبار بين ما يلزم الطالب

دراسة عدد من الكتب الموقلة في التعقيد أو التطويل، أو المدينة بما لا طائل تحته. من ذلك : منشور أصدره السلطان محمد بن عبد الله إلى قاضي فاس يدعوه ليأمر المدرسين في المساجد بالآلا يدرسون إلا كتباً معينة سماها في التفسير والحديث والفقه والتوحيد والسير واللسغة العربية وقواعدها. ويحضّ على تدريس الحساب والفلك بالاسطرلاب، أمراً القاضي بأن يعطي الذين يدرسون هذه المواد "حظهم من الأبحاس لما في ذلك من المنفعة العظيمة".

ومن ذلك أيضاً النصيحة العامة التي بعث بها نفس السلطان إلى جميع القبائل يحثهم فيها على تعليم أبنائهم عن طريق "المشاركة" التقليدية في البادية بعد أن ظهر بعض الفتور فيهم.

وتبلورت فكرة إصلاح التعليم مع محمد الرابع (1276-1290 هـ / 1859-1873 م) الذي فرض تعليم الحساب والهندسة والفلك في المدن الكبرى على يد أساتذة مختصين، ونظّم دروساً حربية في بعض الثغور استجلب لها بعض المدرسين من تونس والمجلترة. وأنشأ مدرسة المهندسين بفاس الجديد في موقع المدرسة المرينية المجاورة للقصر الملكي. وابتدأت الدراسة فيها عام 1259 / 1844م، وكان أساتذتها مغاربة، إلا واحداً فرنسياً اعتنق الإسلام ودعى عبد الرحمن العليج.

واستمرت العناية بالهندسة وما إليها، وبالعلوم الحربية أيام السلطان الحسن الأول (1290-1311 / 1873-1894م) سواء في الدروس المنظمة في جوامع الحواضر، أو في المراكز العسكرية بالثغور، أو في مدرسة الهندسة بفاس، وكان عدد طلبة مدرسة الهندسة فيما بين أعوام 1287-1305 / 1870-1887 يتراوح بين 44 و58 طالباً تجرّي عليهم مرتبات يومية، ويحملون عند تخرجهم - حسب نوعية دراستهم - لقب مهندس أو موقت.

وأسس الحسن الأول عام 1292 / 1875م مدرسة ثانية بطنجة اهتمت - بالإضافة إلى الهندسة والحساب - باللغات الأجنبية التي أصبحت الحاجة ماسة إليها لنجاح البعثات التعليمية الموجهة إلى الخارج، وأوروبا بصفة خاصة. وكان طلبة مدرسة طنجة يختارون من بين نجباء التلاميذ من سائر أنحاء المغرب، ويقومون بها من ثلاث إلى ست سنوات، كما أسس بمدينة الجديدة، في تاريخ غير محدد، مدرسة للمدفعية.

أما البعثات التعليمية إلى الخارج فبدأت على يد عبد الرحمن ابن هشام (1238-1276 / 1822-1859) وابنه محمد الرابع حيث وجهها عدداً محدوداً من الطلبة إلى أوروبا لغاية عسكرية بالدرجة الأولى "مع يحتاج إليه من علم الهندسة". وبلغ عدد البعثات التعليمية المغربية إلى مصر ست بعثات، أرسل أولادها محمد الرابع باتفاق مع الخديوي محمد سعيد باشا فيما بين أعوام (1276-1280 / 1859-1863م) مؤلفة من طالبين تخصصا في الجغرافيا والفلك، تلتها بعثتان أخريان، من بين أعضائها طالب درس فن الطباعة، وثلاثة درسوا الفنون العسكرية. وضمت البعثة الرابعة ثلاثين

طالباً من أبناء العسكريين وغيرهم، طلب منهم أن يتعلموا الفنون البحرية والمدفعية. وتوجهت البعثة الخامسة إلى مصر في أوائل عهد الحسن الأول، (1290-1312 / 1873-1894) وكان أفرادها كثيرين على ما يبدو، إذ قسموا - بالنسبة للمنحة - ثلاث رتب، تلتها البعثة السادسة وفيها ذهب عبد السلام العلمي أول طبيب مغربي تخرج من قصر العيني بالقاهرة.

وتعددت البعثات الطلابية إلى أوروبا أيام الحسن الأول أناف عدد طلابها على مائة، ليتعلموا الفنون الحربية والمدنية ويتقنوا اللغات الأجنبية في المجلترة وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا وبروسيا (ألمانيا) وتوالت البعثات بعد ذلك إلى جبل طارق.

وقد قام بعض المتخرجين من مصر وأوروبا بعد رجوعهم إلى المغرب، بالتعليم وأنتجوا عدداً من الكتب والآلات الهندسية والفلكية والعسكرية، ألفوها أو اخترعوها أو ترجموها عن اللغات الأجنبية، كان المنتظر أن تساعد على تحديث التعليم في البلاد وتطويره لولا أطماع الدول الاستعمارية التي عرقلت كل جهود الإصلاح من أجل فرض الحماية.

التعليم في عهد الحماية : بدأ التعليم الفرنسي بالمغرب قبل إبرام معاهدة الحماية بسنوات لخلق وسيلة التفاهم اللغوي مع المغاربة، وأخذ قناصل فرنسا المقيمون في المدن المغربية المفتوحة آنذاك لسكنى الأوروبيين ينشئون فيها مدارس فرنسية بواسطة الاتحاد الإسرائيلي، ففتحت مدارس بفاس ووجدة وتطوان وطنجة والعرانش والرباط والدار البيضاء، ثم استقلت المدارس الفرنسية بالمغرب عن الاتحاد الإسرائيلي بعد فرض الحماية، سنة 1330 / 1912. وبعد أن جمّد الفرنسيون التعليم الإسلامي الأصيل وضيقوا عليه الخناق أنشؤوا إلى جانبه أنواعاً متعددة من التعليم العصري المفرنس على أساس عنصري طبقي : تعليم فرنسي مخصص لأبناء الجاليات الأوروبية، وتعليم يهودي منبثق عن الاتحاد الإسرائيلي، وتعليم أهلي خاص بالمغاربة المسلمين، مقسم إلى مدارس الذكور ومدارس البنات. ومدارس الذكور أربعة أصناف : مدارس أبناء الاعيان في المدن الكبرى، ومدارس حضرية في المدن الأخرى، ومدارس صناعة بمختلف المدن، ومدارس قروية مبعثرة هنا وهناك. وحتى سنة 1940م لم يكن بالمغرب سوى عشرات من المدارس الأهلية الابتدائية، وأربع ثانويات بفاس والرباط ومراكش وأزرو.

كان أساس التعليم في المدارس الأهلية هو اللسة الفرنسية، وسمح في المرحلة الابتدائية - في غير المناطق البربرية - بحصص قليلة جداً للقرآن واللغة العربية، كانت في الأول نحو نصف ساعة في اليوم، ثم زيد فيها تحت ضغوط الانتقادات حتى صارت في نهاية المطاف ساعتين مقابل أربع ساعات للفرنسية. كما سمح بحصص يسيرة أيضاً للعربية والفقه في المرحلة الثانوية التي تنتهي بدبلوم



- بدل البكالوريا، معظم موادها فرنسية، مع قليل من التربية والفقهاء - في غير الثانوية البربرية - . وكان هذا الدبلوم يعتبر شهادة محلية لا تخوّل الحاصلين عليه متابعة دراستهم العليا بفرنسا. فكثرت انتقاده ونفر الأهالي منه وصاروا يعملون على إلحاق أبنائهم بالثانويات الفرنسية أو في خارج المغرب، فاضطر الفرنسيون إلى إحداث نظام مزدوج للثانويات الأهلية أحدهما ينتهي بالبكالوريا، والثاني بدبلوم فرنسي - عربي. ولكن ماذا كانت حصيلة التعليم العصري بالمغرب؟ حتى سنة 1940 / 1359، وكان قد مضى على إحداث البكالوريا بالمدارس الأهلية نحو عشرة أعوام، ومدة أطول من هذه على إقبال الناس على الانخراط في المدارس الفرنسية لم يكن يوجد في المغرب "غير ثلاثين أو أربعين تلميذاً أهلياً حصلوا على شهادة البكالوريا في طول المنطقة الفرنسية وعرضها، كما أنه لا يوجد إلا عشرة من التلاميذ الأهالي حصلوا على شهادة الليسانس" - الحالة العلمية، 32 - 33 .

وعرفت الفترة الأخيرة للحماية (1945-1955م) تطوراً ملموساً نسبياً بسبب تزايد الضغط الوطني، وتأثير المدارس الحرة التي سنتحدث عنها فيما بعد، فأصبحت سلطات الحماية تخطط لقبول (10.000) تلميذ جديد كل سنة، وبذلك ارتفع عدد المسجلين في المدارس الابتدائية الأهلية سنة 1954 إلى (210.018)، وفي المدارس الثانوية إلى (3.839) إضافة إلى الأطفال المغاربة المسجلين آنذاك في التعليم الأوروبي، وهم (4600) في الابتدائي و(1560) في الثانوي.

أما التعليم الحر فقد تكون نتيجة رد فعل وطني ضد سياسة الفرنسة والتجهيل والتنصير، بدأ ضعيفاً في أوائل الثلاثينات، إذ كان يعمل أساساً على تلقين القرآن والعربية وتاريخ المغرب والاسلام باستثناء معهد حر واحد في الرباط كان التعليم فيه مزدوجاً راقياً، ثم توسع التعليم الحر بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944م، فأنشئت مدارس ابتدائية وثانوية مهمة في مختلف الأقاليم، يتمويل من الشعب وتحت إشراف رجال الحركة الوطنية ورعاية محمد الخامس، وأصبحت اللغة العربية هي السائدة في المدارس الحرة، مع مساهمة مناهج التعليم العصري وتلقين الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية، حتى أصبح عدد تلاميذ هذه المدارس عدداً الاستقلال يعد بعشرات الآلاف. غير أن التعليم الحر بقي مبنياً للحاجة إلى تعليم عال يستوعب الحاصلين على البكالوريا، باستثناء القرويين التي ظلت - رغم انتعاشها - جامعة تقليدية مقتصرة على فرعي الشريعة والأدب، وباستثناء الجامعات العربية التي تمكن بعض الطلبة من الالتحاق بها في القاهرة ودمشق وبغداد، رغم الحصار المضروب عليهم من السلطات الفرنسية.

ولما فرض الإسبان على المنطقة الشمالية بالمغرب (1330 هـ / 1912م)، اتخذوا من تطوان عاصمة لمنطقة نفوذهم، وراحوا يضاهاون بها مضاهاة باهتة مدينة الرباط في كل المظاهر السياسية والإدارية والتعليمية، ولم

تختلف السياسة الإسبانية في مبدأ الهيمنة والحكم المباشر عن السياسة الفرنسية إلا أن الإسبانين جنحوا إلى شيء من التساهل والتزلف للاهالي في ميدان التعليم، فلم يضايقوا المدارس العربية الحرة التي كانت تفتح إلى جانب المدارس الإسبانية، وسمحوا باستقدام أساتذة من الشرق العربي للتدريس بها، كما سمحوا بإرسال بعثات طلابية إلى مصر، وفتح "دار المغرب" بالقاهرة للغة العربية بشؤون الطلاب ..

هكذا وجد المغرب المستقل أمامه تعليماً متنوعاً متنافراً مزقته الحمايتان الفرنسية والإسبانية كل ممزق، فكان عليه أن ينظر بجد في مشكل التعليم خلال السنوات الأولى للاستقلال، وأسفرت الندوات والمؤتمرات الوطنية التي عقدت، عن الاتفاق على أربعة مبادئ بالإجماع، هي التعميم، والتوحيد، والتعريب، ومغربة الأطر.

ق. عياض، ترتيب المدارك، الرباط، 1965. 1983؛ الغنية، تج. ماهر زهير، بيروت، 1982؛ أ. البيذق، أخبار المهدي، الرباط، 1971؛ كتاب الأنساب، الرباط، 1971؛ ع. المراكشي، المعجب، تج. محمد الفاسي، سلا، 1938؛ م. ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تج. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985؛ م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، تج. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981؛ إ. ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972؛ ع. ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تج. محمد ابن تاوريت الطنجي، القاهرة، 1951؛ العبر، ج 6؛ المقدمة، بيروت، 1956. 1961؛ مؤلف مجهول، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، تج. ابن أبي شنب، الجزائر، 1920؛ بلغة الانسية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته من مدرس وأستاذ وطبيب، تج. محمد ابن تاوريت التطواني، مجلة تطوان، عدد 9، سنة 1964؛ م. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، 1966؛ م. ابن غازي، التعليل برسوم الإسناد، تج. محمد الزاهي، الرباط، 1979؛ علي ابن ميمون الفصاري، رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن، مخطوط خ. ع رقم 1780 د؛ الرسالة المجازة في معرفة الإجازة، مخطوط، ميكروفيلم خ. ع 1341؛ ح. الوزان، وصف أفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، بيروت، 1983؛ م. ابن عسكر، دوحة الناصر، تج. محمد حجي، الرباط، 1977؛ أ. المنجور، فهرس، تج. محمد حجي، الرباط، 1977؛ ع. السجلماسي، الإمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط؛ أ. ابن أبي محلي، أصلية الحريت، مخطوط خ. ح رقم 100؛ ق. الوزير الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تج. محمد العربي الخطابي، بيروت، 1980؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973؛ المنتقى المقصور، تج. محمد رزوق، الرباط، 1986؛ ع. الفشتالي، مناهل الصفا، تج. عبد الله گتون، تطوان، 1964؛ إبراهيم الغلالي، تنبيه الصغير من الولدان، مخطوط خ. ع رقم 571 ك؛ أ. المقرئ، روضة الآس، الرباط، 1964؛ م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية فاس، 1906؛ م. ميارة، نظم اللاكبي والدرر، مخطوط خ. ح رقم 3702؛ ع. التامنارتي، الفوائد الجمعة، مخطوط خ. ع رقم 1420؛ ع. الفاسي، الأقوم، مخطوط خ. ع رقم 15 ك؛ نظم العمل الفاسي

واجتماعيا. لذلك أعطيت الأولوية لتأسيس المدارس وتكوين الأطر الضرورية وتزايد الإقبال على التعليم وانتقلت نسبة الملتحقين بالمدارس من 17٪ سنة 1956 إلى 30٪ سنة 1958 ثم ارتفعت النسبة إلى 36٪ سنة 1960 ثم 45٪ سنة 1961، أي بزيادة سنوية إجمالية قدرها 43٪ من 1956 إلى 1961.

كان التعليم في هذه الفترة يتألف من ثلاث مراحل : ابتدائي وثانوي وعالي. ففي المرحلة الأولى كان التلميذ عندما يحصل على شهادة التعليم الابتدائي يتوجه إما نحو التعليم المغربي أو التعليم الأجنبي الفرنسي. وكان التعليم الأجنبي يضم ثلاث شعب هي الشعبة الكلاسيكية والعصرية والتقنية في حين كان التعليم المغربي يتألف من نوعين : طويل وقصير : كان التعليم الطويل منقسماً إلى سلكين : سلك أول ينتهي بالحصول على شهادة التعليم الثانوي وسلك ثان يتفرع بدوره إلى فرعين : تعليم عام مزدوج وتعليم تقني. يضم الأول شعبة الآداب الأصلية، وهي مخصصة لدراسة الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها من المواد الشرعية بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب العربي واللغات الحية، وشعبة الآداب العصرية وتدرس فيها المواد الأدبية المتنوعة من فلسفة ولغات وتاريخ وجغرافيا وغيرها، ثم شعبة العلوم التجريبية والعلوم الرياضية وتخصص للتلاميذ تكويناً علمياً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات.

أما التعليم التقني فكان يوفر لتلاميذه تكويناً علمياً عملياً يؤهلهم للحصول على البكالوريا التقنية والاقتصادية، وثلاثة أنواع من الشهادات التقنية العليا وهي الشهادة التقنية الصناعية والشهادة التقنية التجارية والشهادة التقنية الفلاحية، وثلاثتها تسمح للحاصلين عليها بالالتحاق بالشغل كأطر متوسطة في قطاعات الإنتاج الفلاحية والصناعية والتجارية.

أما التعليم القصير فكان التكوين فيه لا يتعدى ثلاث سنوات. وهو في مجمله يهدف إلى تكوين الأطر العادية التقنية والإدارية، ويضم خمس شعب هي الشعبة العامة والشعبة الصناعية والشعبة التجارية والشعبة الاجتماعية وكلها تهيئ الأطر الإنتاجية الصغرى.

شكل التعليم عبئاً ثقيلاً على الدولة، لذلك سمحت للخواص بالمساهمة في النهوض به وخاصة ابتداء من الموسم الدراسي 1975-1976 حيث صرح وزير التربية الوطنية أن تعميم التعليم وتحسين سبل التربية لن يتم بمعزل عن مشاركة الخواص فيه. لذلك تأسس العديد من المؤسسات التعليمية الخاصة وفتحت أبوابها لاستقبال الرواد بدءاً من مرحلة الحضنة إلى التعليم الابتدائي فالإعدادي ثم الثانوي. وقد استقبلت العديد منها الآلاف من التلاميذ الذين غادروا المؤسسات الرسمية العمومية بعدما استنفدوا السنوات المسموح لهم بالتعلم فيها. هذا وكانت برامج هذه المؤسسات الخاصة ومقرراتها وحصصها مطابقة لما هو

وشرحه، مخطوط خ. ع رقم 1448 د : م. ابن أبي دينار، المونس في أخبار إفريقية وتونس، ط 2، تونس، 1967؛ ح. اليوسي، القانون، ط حجرية فاس، 1315 هـ : م. السجلماسي الرباطي، شرح العمل الفاسي : شرح العمل المطلق، ط. حجرية فاس، 1291 و 1298 هـ : م. ابن سليمان الروداني، صلة الخلف بموصول السلف، تج. م. حجي، بيروت، 1988 : م. الافرائني، نزهة الحادي، ط. حجرية فاس، د. ت : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 : م. بوجندار، مقدمة الفتح، الرباط، 1345 هـ : أ. ابن المامون البليغي، الابتهاج بنور السراج، القاهرة، 1319 : م. الحجوي، الفكر السامي، الرباط، وفاس، 1930. 26 : ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، الرباط، 1933. 30 : م. ابن عثمان المراكشي، الجامعة اليوسفية براكش في تسعمائة سنة، الرباط، 1937 : أبو بكر زنيبر، الحالة العلمية في المغرب قبل الحماية وبعدها، مخطوط المؤلف بسلا : العمل في أحكام الفقهاء، ملحق جريدة المغرب سلا، 1938 وما بعدها : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974 : م. المختار السوسي، سوس العالم، المحمدية، 1960 : م. داود، تاريخ تطوان، تطوان، 1959 : روجي لوطونو، فاس قبل الحماية، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1986 : ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، القاهرة، 1964 : ع. گنون، النبوغ المغربي، ط 2، بيروت، 1961 : م. ابن تويت التطواني، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1982 : م. المنوني، الآداب والعلوم والفنون، ط 2، الرباط، 1977 : مظاهر بقطة المغرب الحديث، بيروت، 1985 : م. الأخضر، الحياة الأدبية بالمغرب، الدار البيضاء، 1971 : م. ابن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، الرباط، د. ت : م. عابد الجابري، أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، الدار البيضاء، د. ت : س. أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، بيروت، 1990 : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976 : الزاوية الدلائية، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1903 ; M. Ben Cheneb, *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908 ; P. Marty, *Le Maroc de demain*, Paris, 1925 ; H.P.J. Renaud, *L'enseignement des sciences exactes au Maroc*, Hesp., T. XIV, 1932 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952 ; J. Caille, *La petite histoire du Maroc*, Casablanca, 1954 ; G. Deverdun, *Marrakech*, Rabat, 1959 ; J. Berque, *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Paris, 1958 ; E. Lévi-Provençal, *Al-Maghrib, vie intellectuelle, E.I.*, 2ème édit., 5 : 1198 - 1200.

محمد حجي

\* \* \* وبعد الاستقلال، تحولت إدارة المعارف التي كان يهيمن عليها الفرنسيون إلى وزارة التربية الوطنية. صرفت الوزارة كل اهتمامها للنهوض بالتعليم ونشره وتطويره. ففي 25 غشت 1957 اجتمعت اللجنة الملكية العليا لإصلاح التعليم وأوكل إليها أمر وضع خطة شمولية لأول مشروع تعليمي وطني. ومن أجل تأسيس مدرسة مغربية ذات تطلعات وطنية متكاملة الأركان دعت هذه اللجنة إلى تعميم تعليم مغربي موحد ومعرب على يد أطر مغربية (برفع شعارات التغريب والتعميم والتوحيد والمغربة). وباعتماد هذه الخطة التي أملت ظروف الاستقلال كان الوطنيون يتوقون إلى جعل التعليم في متناول الجميع واعتماده وسيلة ناجعة من وسائل تطوير المجتمع وتنميته اقتصاديا وسياسيا

قسمين : قسم خاص بالتعليم العام ويضم شعبة الآداب الأصلية والآداب العصرية والعلوم التجريبية والعلوم الرياضية والعلوم الاقتصادية وقسم خاص بالتعليم التقني ويحتضن شعبة التجارة والصناعة والفلاحة. ويدرس التلاميذ خلال هذه المرحلة بسلكها اللغة العربية والتربية الإسلامية والفرنسية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية واللغات الحية الأخرى والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والتربية النسوية والرسم والفنون التشكيلية ومبادئ التكنولوجيا ويمارسون التربية البدنية. وتعتبر مرحلة السلك الثاني هي المعبر الأساسي إما نحو ميدان الشغل أو الالتحاق بالتعليم العالي.

وابتداءً من شتنبر 1985 أقدمت وزارة التربية الوطنية على تبني إصلاح جديد للتعليم الابتدائي والثانوي يلغي ما كان معمولاً به فيما سلف هذا التاريخ. يهدف هذا الإصلاح إلى إِبْلاء الأسباب للتعليم الأساسي والتكوين المهني والتقني. لذلك أعادت توزيع مدة الدراسة بالتعليم الابتدائي والثانوي التي لم تكن إجبارية منها إلا خمس سنوات إلى مرحلتين : تعليم أساسي إجباري مدته تسع سنوات، وتعليم ثانوي مدته ثلاث سنوات.

تشتمل المرحلة الأولى على سلكين : سلك أول مدته ست سنوات ويؤدي إما إلى السلك الثاني أو التكوين المهني، وسلك ثان مدته ثلاث سنوات ويؤدي إلى التعليم الثانوي العام أو التقني أو التكوين المهني.

يستغرق التعليم الثانوي ثلاث سنوات ويبدأ التخصص فيها من السنة الأولى ويؤدي في نهاية السنة الثالثة إلى التكوين المهني أو الالتحاق بالتعليم العالي بعد الحصول على البكالوريا. وهو يشتمل على شعب أدبية وعلمية

موجود في التعليم العمومي في جميع الشعب والمستويات الدراسية. كما كان معظم أطرها، من مدرسين ورجال مراقبة تربوية في مراحلها التعليمية الثلاث من العاملين في القطاع العمومي، وكان المدرسون فيها ينجزون ساعات إضافية محددة بعد الحصول على رخصة خاصة بذلك من لدن الوزارة الوصية. ولم تتوقف مؤسسات التعليم الخاص عن التطور سنة بعد أخرى كما وكيفاً تبعاً لتطور شعب التعليم الرسمي العمومي وتبعاً لمتطلبات سوق الشغل، كل ذلك تحت إشراف ومراقبة وزارة التربية الوطنية.

وقد كان التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي يقضي خمس سنوات كاملة قبل الانتقال إلى المرحلة الثانوية. وفي نهاية السنة الخامسة الابتدائية كان عليه، حسب إصلاح 7 ماي 1963 أن يجتاز امتحانين، واحداً خاصاً بالتوجيه لولوج التعليم الثانوي وآخر للحصول على شهادة التعليم الابتدائي يكون مباشرة بعد امتحان التوجيه. إلا أن امتحان التوجيه كان أصعب من امتحان الشهادة وكان يتضمن عدة روائز واختبارات ذهنية ونفسية. وجاء ظهير 23 ماي 1964 ليُلغى الامتحانين ويجعلهما امتحاناً واحداً من نجح فيه انتقل إلى الثانوي ومن رسب يعتبر محصلاً بشكل تلقائي على الشهادة الابتدائية.

وفي التعليم الثانوي كان على التلميذ أن يقضي سبع سنوات موزعة على سلكين : سلك أول يسمى الإعدادي ويستغرق أربع سنوات تدعى الأولى والثانية والثالثة والرابعة من التعليم الإعدادي تنتهي بامتحان التوجيه نحو السلك الثاني والحصول على شهادة التعليم الثانوي ؛ وسلك ثان مدته ثلاث سنوات تسمى الخامسة والسادسة والسابعة من التعليم الثانوي. وينقسم هذا السلك إلى

#### جدولة إصلاح النظام التعليمي

النظام التعليمي السائد قبل 1985		المراحل الدراسية										النظام التعليمي الحالي (بعد 1985)		
السنوات الدراسية		1985	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	السنوات الدراسية
التعليم الابتدائي	1	■	■	■	■	■	■	■	■	■	■	■	■	1
	2													2
	3													3
	4													4
	5													5
التعليم الأول	1													6
	2													7
	3													8
	4													9
التعليم الثانوي	5													1
	6													2
	7													3

rentabilité de l'enseignement au Maroc, D.E.S. Fac Sc. Jur. Eco. et Soc., Rabat, 1983 ; Le Templier, *L'enseignement supérieur au Maroc*, B.I.M., Sept. 1954 ; M. Machrafi, *A propos de la réorganisation de l'enseignement supérieur au Maroc*, 1966. [s.l.] ; M. Merrouni, *Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993 ; Ministère de l'Éducation Nationale, *Le mouvement éducatif au Maroc 1975 - 1984*, 3 vol., 1977 - 1981 - 1984 ; *Le mouvement éducatif 1986 - 1988*, Rabat [s.d.] ; *Le mouvement éducatif 1988-1990*, Rabat [s.d.] ; K. Mosdik, *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993 ; L. Paye, *Enseignement et société musulmane. introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992 ; Protectorat de la République Française au Maroc, Direction de l'enseignement publique, *L'enseignement public au Maroc*, Rabat, 1952 ; J. Salmi, *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985 ; A. Sekkat, *La politique de l'enseignement au Maroc 1956 - 1977*, Grenoble, 1977 ; C. Tibi, *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976 ; K. Zhiri, *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat, 1969.

محمد بوسلام

\* \* أما عن التعليم العالي، فإن التوسع الجامعي في المغرب من العلامات الكبرى على النهضة التي حققتها البلاد في شتى المجالات. يتمثل هذا التوسع في ثلاث عشرة جامعة، منها جامعة عريقة في التاريخ، وقد تعد أقدم جامعة في العالم، هي جامعة القرويين، وجامعة ثانية تأسست عام 1958 أي بعد استقلال المغرب بعامين، وذلك في عهد جلالة الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، وقد تسمت باسمه: جامعة محمد الخامس، ومقرها في الرباط عاصمة المملكة المغربية، وهي أكبر الجامعات العصرية في مغرب اليوم، وهي ذات الفضل الأعظم في تهيه نسبة عالية من الأطر التي تعمل اليوم في الجامعات الأخرى. وقد انقسمت هذه الجامعة منذ السنة المالية لعام 1993 إلى جامعة محمد الخامس (أكادال) وجامعة محمد الخامس (السويس). أما الجامعات العشر الباقية فقد تأسست كلها منذ 1960 وهي جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وجامعة الحسن الثاني بمدينة المحمدية وجامعة سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس وجامعة القاضي عياض بمدينة مراكش وجامعة محمد الأول بوجدة وجامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقيظرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بمدينة الجديدة وجامعة ابن زهر بأكادير. ولعدد من هذه الجامعات فروع في مدن أخرى. إن هذا النمو في مدة وجيزة نسبيا يعتبر في آن واحد من أسباب التحولات الكبرى في نهضة المغرب ومن نتائج هذه التحولات. ومن جهة أخرى فإن إحداث ثلاث عشرة جامعة كان نابعا من إرادة سياسية واستجابة لطلب اجتماعي وعن اقتناع بدور الجامعة في تطوير محيطها الاقتصادي والاجتماعي وفي ترقية المدارك العامة للمواطنين.

بيد أن كلا من الإرادة السياسية التي يترتب عنها تدخل الدولة وكذا الطلب الاجتماعي للتعليم ليسا بالأمرين الجديدين في البيئة المغربية، إذ أن التعليم في أعلى مستوياته القادرة على إعادة إنتاج المعرفة وتناقلها بين الأجيال وعلى التأليف والابتكار وكسب الشهرة الدولية والإسهام في الحضارة الإنسانية كانت له شواهد ووقائعها البليغة في هذا البلد.

وتقنية متنوعة. وقد شرع في تطبيق هذا الإصلاح ابتداء من الموسم الدراسي 1985 - 1986. وينتظر أن يشمل تدريجياً جميع المستويات التعليمية من السنة الأولى من التعليم الأساسي إلى السنة الثالثة من التعليم الثانوي خلال الموسم الدراسي 1996 - 1997. كما توضح الخطاطة المرفقة.

وفي مستهل سنة 1994 قامت نفس الوزارة بإعادة هيكلة شعب التعليم الثانوي امتداداً للتطورات التي عرفها التعليم الأساسي وتمشيا مع متطلبات "حاجات التنمية وسوق الشغل" فقلصت الحصص الزمنية الأسبوعية وراجعت المناهج الدراسية وخففت من كثافة المقررات "في اتجاه إتاحة الفرصة للتلميذ بالتعلم الذاتي" وجعله قادراً على التعامل مع المصادر والمراجع وارتياح المكتبات واستخدام رصيدها الوثائقي لإنتاج المعرفة واستغلالها. لذلك أصبح التعليم الثانوي ابتداء من التاريخ المذكور يتوفر على التخصصات التالية : شعبة الآداب وشعبة العلوم التجريبية وشعبة الرياضية والتعليم الأصيل بفرعيه الشرعي الأصلي والأدبي الأصلي، وشعبة التعليم التقني التجاري وتحتوي على تخصص في التسيير الإداري وأخرى في التسيير المحاسباتي بالإضافة إلى شعبة العلوم الاقتصادية. ويتكون فرع التعليم التقني الصناعي من شعبة الهندسة الميكانيكية وشعبة الصناعة الميكانيكية وشعبة تقنيات الكهرباء وشعبة الالكترونىك وشعبة الابتكار والبناء. وهناك أخيراً شعبة الفنون التشكيلية وشعبة فنون وصناعة الطباعة وشعبة الهندسة الكيميائية وشعبة العلوم الزراعية.

م. ابن شقرون، *مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والاسبانية*، الرباط، 1982 ؛ بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي، الرباط، 1985 ؛ م. عايد الجابري، *أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، د. ت ؛ مجهول، *معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتربيته*، الرباط، 1967 ؛ وزارة التعليم وتكوين الاطارات، *التعليم : الحالة، المشاكل، الأهداف*، الرباط، 1970 ؛ وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، *كتابة الدولة في تكوين الأطر، آفاق مهنية*، الرباط، 1979 ؛ وزارة التربية الوطنية، *نحو نظام تربوي جديد*، الرباط، 1980 ؛ *منجزات وآفاق*، الرباط، 1983 ؛ *التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام*، الرباط، 1985 ؛ *هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994 ؛ وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي، الرباط، 1985.

A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*. Casablanca, 1981 ; M. Bencheikroun, *L'éducation et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985 ; D. Boumnich, *Une pédagogie sans déchets*, Rabat 1989 ; K. Bouzoubaa, *L'enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982 ; B.E.P.M., n° 5 Juin 1916, n° 18 Février 1920 et n° 230 Mars 1955 ; B.O., n° 408 du 17 Août 1920, n° 2421 du 20 Mars 1959, n° 2596 du 27 Juillet 1962 et n° 3317 du 26 Mai 1976 ; J. Celcier, *L'instruction publique au Maroc*, B.E.S.M., vol. 14, 1951 ; M. Chekroun, *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989 ; R. Derout, *Le Maroc doit-il avoir son université? Le Maroc quotidien*, 16 décembre 1948 ; R. Gaudefroy- Demombynes, *L'œuvre française en matière d'enseignement au Maroc*. Paris, 1928 ; J. Hallaf, *A qui profite l'école*, Paris, 1974 ; G. Hardy, *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement*, A.F., Août 1934 ; A. Kamal, *Productivité et*

تعيّنت عناصر بنية التربية والتعليم في ماضي المغرب في إطار سيروية تكوين الأمة المغربية عبر مراحل من تاريخها الإسلامي. فقد أدى الفتح الإسلامي وانتشار متدرج لمبادئ الإسلام ومحموله الحضاري إلى قيام دولة إسلامية ووقوع تحولات اجتماعية ولا سيما بظهور مراكز حضرية جديدة، كما أدى إلى وقوع اتصالات عميقة بين المغرب والمشرق وبين المغرب ومجالات تقع في العمق الإفريقي. فقد حمل الإسلام إلى المغرب لغة جديدة هي العربية ومعارف بعضها عربي وبعضها متوسطي أو آسيوي، وكلها انصهرت في بوتقة الرصيد العلمي والثقافي الذي صاحب انتشار الإسلام في هذا البلد. إن اللغة العربية والرصيد العلمي الثقافي حمله مشاركة إلى المغرب مباشرة أو انتقل إلى المغرب عبر الأندلس أو ذهب المغاربة لطلبه في المشرق أو في الأندلس، وقد تعزز الحضور العلمي والثقافي للمشرق في المغرب عبر المهاجرين الأفراد والقبائل المهاجرة، وساعد ارتباط الدين الجديد والاجتهادات فيه بوقائع السياسة ومذاهب الفكر على اندماج المغرب في التاريخ الإسلامي مبكراً كما ساعدت حركة التجارة والرحلة إلى الحج على تقوية الاتصال ونشر المادة العلمية المكتوبة.

بيد أن سيروية أخرى وَاكبت سيروية تلقي المغرب للعلم المشرقي ألا وهي سيروية الاحتضان الخاص والتفاعل بين مقومات الشخصية المحلية وبين المعطيات المشرقية حيث أدى هذا التفاعل إلى تميز الشخصية العلمية المغربية في اختيارات على مستوى رسم الخط والقراءات الصوتية والتوجهات المذهبية والاجتهادات النظرية والتقاليد المدرسية، في جملة عناصر أخرى يطول شرحها.

وهناك مبادئ ووقائع أساسية شجعت على انتشار التعليم والتعمق في مختلف فنونه، منها: (1) حض الإسلام على فريضة تلقي العلم. (2) ارتباط انتشار الإسلام بالتعليم وما ترتب عن ذلك من الحرص على فهم أصول الدين وفروعه والعناية بعلوم الآلة اللازمة لذلك ويعلم أخرى مرتبطة به، بما فيها علوم الملل الأخرى، وقيام فئة من المختصين بهذه العلوم. (3) اعتبار رعاية العلم ورفده مجلة للخير بالنسبة للأفراد الذين يتوخون الوجوه الشرعية للإتفاق وبالنسبة لجماعات الحواضر والبوادي التي تندمج بتلك الرعاية في النمط المبتغى للثقافة الإسلامية وبالنسبة للإمارات التي تستمد من تلك الرعاية خبرة القائمين على الدواوين وغيرها من المخطط كما تستمد منها أسباب الجاه والفخر والمشرعية.

التعليم العالي 1957. 1994 : تطور التعليم العالي، وضمنه التعليم الجامعي، بالمغرب من بداية عهد الاستقلال إلى اليوم، أي خلال ما يزيد عن ثلث قرن، تطوراً متجاوباً مع ثلاثة عناصر تحكمت في مسار هذا التطور، ومنها :

(1) طموح أبناء الأمة إلى تحصيل مستوى رفيع من التعليم كحق وكضرورة للترقية الاجتماعية والمادية.

(2) تخطيط الدولة للاستجابة للطلب الناتج عن الطموح المتزايد على التعليم العالي، واستثمار نسب عالية من الميزانية العامة في سياق تزايد ديمغرافي تضاعف فيه سكان المغرب مرتين. واتسع فيه الهمم السكاني بغلبة الشباب.

(3) ارتباط التكوين بأهداف التنمية من حيث عمل الجامعة على توفير الأطر اللازمة لتحقيق المغربية في مختلف الميادين ومواكبة تطور حاجات القطاعات العمومية والخاصة من الكفاءات كما وكيفاً.

وإذا كان من الصعب تعيين مراحل تحقيب التطور الجامعي في هذه المدة لأن الزيادات في أعداد الطلبة وإحداث المؤسسات الجامعية وإدخال التعديلات البيداغوجية كانت تتراكم سنة بعد سنة، فإن بالإمكان إبراز تواريخ في هذا التطور تعد معالم مرور إلى مراحل جديدة.

(1) صدور ظهير تأسيس جامعة محمد الخامس وإحداث مجلسها عام 1959، وكانت بعض مؤسسات هذه الجامعة قد بدأت عملها من قبل.

(2) إعادة تنظيم جامعة القرويين بإحداث كلياتها العصرية الأربع في فاس وتطوان ومراكش وأكادير.

(3) تنظيم مناظرة إفران عام 1970 حول التعليم العالي الجامعي والخروج منها بأفكار اتبشقت منها بعض الإصلاحات والعناصر الهيكلية التي وقع تطويرها في ما بعد.

(4) صدور ظهائر ومراسيم سنة 1975 لهيكلية الجامعة وإحداث مؤسساتها التمثيلية من شعب ومجالس وتحديد اختصاصاتها وإعطاء حق التسيير المالي وإضفاء صفة "الأستاذ الباحث" على المدرس الجامعي.

(5) صدور ظهيري شهر مارس 1979 بإحداث جامعتين جديدتين هما جامعة القاضي عياض بمراكش وجامعة محمد الأول بوجدة. كما صدرت نصوص تطبيقية تحدد لائحة بأسماء الكليات والمعاهد التابعة لكل جامعة سواء القديم منها أو الحديث.

(6) صدور المرسوم رقم 2.75.836 بتاريخ 17 محرم 1396 (19 يناير 1976) بتحديد اختصاصات وزارة التعليم العالي وتنظيم هذه الاختصاصات.

(7) إحداث خمس جامعات جديدة عام 1989، وهي جامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بالجديدة وجامعة ابن زهر بأكادير.

إن المؤسسات الجامعية التي أحدثت لاستقبال أكثر من تسعين بالمائة من الطلبة المستفيدين من التعليم العالي قد واكبها صنفان من مؤسسات التعليم العالي العمومي :

الصنف الأول مؤسسات تابعة لوزارات غير وزارة

التربية الوطنية خرجت إلى الوجود تباعاً في سياق الحاجة الاستعجالية لأطر اقتضتها التنمية في تخصصات معينة ترتبط باهتمام الوزارات المؤسسة كأطر الإدارة العمومية ومهندسي التخصصات الزراعية والبيطرية، ومهندسي الإحصاء والاقتصاد التطبيقي ومهندسي الصناعة التعدينية ومهندسي المواصلات وأطر البحرية وأطر رجال السلطة وأطر الشرطة وأطر الجيش الملكي وأطر تدبير المقاولات وأطر الصحافة وعلوم الإعلام وأطر الملاحة البحرية والتجارية، إلخ. وكلها مدارس أو معاهد تسمى تجاوزاً "بمؤسسات تكوين الأطر"، قول كلا منها الوزارة التي أحدثتها ويخضع التوظيف فيها والترقية لنفس المقاييس التابعة للجامعة وبينها وبين الجامعة تواصل ما فتيء يزداد بمرور الأيام.

أما الصنف الثاني من المؤسسات العمومية التي لا تنتمي إلى التعليم الجامعي، فهي مؤسسات تابعة لوزارة التربية الوطنية تسمى "المدارس العليا للأساتذة" أو "المراكز التربوية الجهوية" وهي مختصة في تخريج مدرسين من مختلف المواد الأدبية والعلمية بالمدارس الإعدادية والثانوية يلتحق بها حاملو البكالوريا بعد النجاح في مباراة.

وإلى جانب التعليم العالي العمومي، ظهرت في الأعوام العشرة الأخيرة، لاسيما في الدار البيضاء والرباط ومراكش، مؤسسات للتعليم العالي أسسها خواص، يدخلها حاملو البكالوريا الذين لهم استعداد لأداء الرسوم ولم يتوجهوا لسبب ما نحو المؤسسات العمومية للتعليم العالي.

إن الجهود التنظيمية والتضحيات المالية التي أفرغت في تطوير التعليم الجامعي قد أنتت نتائج لا تُنكر، أهمها (1) الهيكلة الإدارية للتعليم العالي. (2) تجهيز الجامعات بمقتضى توسع الخريطة الجامعية وفي إطار سياسة اللامركزية. (3) مواكبة التأطير ومغريته للتوسع المذكور كما وكيفا. (4) إدخال إصلاحات تربوية متعددة تمس نظام الدروس والامتحانات. (5) ترسيخ المؤسسات التمثيلية الجامعية. (6) دعم ممارسة اللجان العلمية في المؤسسات الجامعية. (7) تقوية اللغة العربية والتفتح على مزيد من اللغات الحية ولغات البحث.

وفي هذا السياق ظل التعليم الجامعي تعليماً بالمجان يستفيد فيه الطلبة من دعم اجتماعي يتمثل في المنح المالية التي تطال الأغلبية الساحقة منهم كما يتمثل في بؤادر العناية الصحية والنشاط الرياضي.

وقد صار ارتباط التعليم بالبحث في الجامعة، دليلاً على أن هذا التطور كان كئيفياً أيضاً ولم يكن كئيفياً وحسب، ومن علامات هذا الارتباط تزايد في عدد المنشورات والأنشطة الوطنية والدولية للجامعة، ودخول المؤسسات في طور الاندماج مع المحيط الاقتصادي والاجتماعي ولاسيما عن طريق التعاقد لإنجاز مشاريع تستجيب لحاجيات القطاعين العام والخاص. وفي هذا

الإطار تعزز التعاون الجامعي بالانخراط في شبكات للتعاون الدولي، وصارت المؤسسات تبتكر منتجات تربوية في شكل إجازات تطبيقية مفتوحة على سوق الشغل، كما عرفت الجامعة ميلاد جيل جديد من المؤسسات الجامعية هي: (1) المدارس العليا للتكنولوجيا. (2) كليات العلوم والتقنيات. (3) المدارس الوطنية للتجارة والتسيير.

ولقد كان التعليم بالمغرب في العقود الثلاثة الأخيرة "مسألة" وطنية ودار نقاش كثيف حولها بين الوزارة الوصية وبين نقابة التعليم العالي. لم ينحصر هذا النقاش في الجوانب المهنية بل نظر إليه كتعبير شامل عن اختيارات ترهن مصير عدة أطراف، ولذلك طرح مضمون التعليم وتوجهه ضمن محاور نقاش عدة إصلاحات تربوية أو هيكلية، وذلك في إطار معادلة حكمت تطور التعليم ككل والتعليم الجامعي على الخصوص، وهي معادلة الطموح والإمكانات وطرائق التدبير.

إحصائيات : كانت ميزانية الدولة عام 1994 تقدر في التسيير والاستثمار بـ 66.208 مليون درهم، حصة التعليم فيها 144.50 مليون درهم، وحصة التعليم العالي وحده 2.673.3 مليون درهم.

أما عدد طلبة التعليم في نفس هذا العام فيبلغ 234.946 يكون الإناث منهم 94.256 والأجانب 3.324 والمسجلون في ما بعد الإجازة 16.430. وقد تخرج منهم 22.677 وسكن بالأحياء الجامعية 27.606 من بينهم 14.157 من الإناث وخولت منح مالية بالداخل لـ 160.264 وبالخارج لـ 8.513. وقدمت في الأحياء الجامعية خلال هذا العام 7.646.286 وجبة غذائية.

أما التأطير فيتمثل في 7.566 من أعضاء هيئة التدريس منهم 1.044 في إطار أستاذ التعليم العالي و905 في إطار الأستاذ المحاضر و11.406 في إطار الأستاذ المساعد و328 من المساعدين. أما التأطير الإداري فيتمثل في 10.571 موظفاً منهم 4.406 من الإناث.

أما التعليم العالي الخاص فقد بلغ عدد مؤسساته المرتكزة في المدن الكبرى 43 مؤسسة تسجل فيها 7.484 طالباً.

مؤسسات التعليم العالي الخاص : إارات غير وزارة التربية الوطنية :

- معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة (الرباط).  
- المدرسة الوطنية للصناعة المعدنية (الرباط). - مدرسة علوم الإعلام (الرباط). - المدرسة الوطنية للإدارة (الرباط). - المدرسة الوطنية للبريد والمواصلات السلوكية (الرباط). - المعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي (الرباط). - المعهد العالي للصحافة (الرباط). - المعهد العالي للتجارة والإدارة والمقاولات (الدار البيضاء).  
- المدرسة الحسنية للأشغال العمومية (الدار البيضاء).  
- المعهد العالي للدراسات البحرية (الدار البيضاء). - المعهد العالي للسياحة (طنجة). - المدرسة الملكية للملاحة

الجامعات	الكليات والمدارس العليا والمعاهد									
	أع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
محمد الخامس (الرباط - أكادير)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
محمد الخامس (الرباط - السوي)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
الحسن الثاني (الدار البيضاء)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
الحسن الثاني (الدار البيضاء - والمحمدية)	2	1	1	1	1	1	1	1	1	1
سيدي محمد بن عبد الله (فاس)	2	1	2	1	1	1	1	1	1	1
القاضي عياض (مراكش وبنى ملال)	2	1	1	1	1	1	1	1	1	1
محمد الأول (وجدة)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
ابن طفيل (القنيطرة)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
شعيب الكاللي (الجديدة وسطات)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
المولى إسماعيل (مكناس والرشيدية)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
عبد الملك السعدي (تطوان وطنجة)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
ابن زهر (أكادير)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
القرابين (فاس وتطوان ومراكش وأكادير)	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1

الفتاح :

ت أ : التعليم الأصيل (شريعة أصد الدين، عربية) . . أ ع ؛ : آداب وعلوم إنسانية . ع ق : علوم قانونية واقتصادية واجتماعية . ع : علوم . ع . ق : علوم وتقنيات . ط ص : طب وصيدلة . ط أ : طب الأسنان . ع ت : علوم تربية . م ع م : مدارس عليا للمهندسين . م ع ت : مدارس عليا للتكنولوجيا . م تر : مدرسة عليا للترجمة . م ب : معهد بحث . ت : تجارة وتسيير .

(الدار البيضاء) . المدرسة الملكية للطيران (مراكش) .  
الأكاديمية الملكية العسكرية (مكناس) . مدرسة استكمال  
تكوين الأطر التابعة لوزارة الداخلية (القنيطرة) . مدرسة  
المعادن (مراكش) . المعهد الملكي لتكوين الأطر التابعة  
لوزارة الشبيبة والرياضة (الرباط) . دار الحديث الحسنية  
(الرباط) . المعهد الوطني للدراسات القضائية (الرباط) .  
المدرسة الوطنية للمهندسة المعمارية (الرباط) . المدرسة  
الوطنية للتدبير والتنظيم الحضري (الرباط) . المدرسة  
الوطنية الغابوية للمهندسين (سلا) . المدرسة الوطنية  
للعمل الاجتماعي (طنجة) . المدرسة الوطنية للفلاحة  
(مكناس) . المدرسة الملكية للصحة العسكرية (الرباط) .  
مركز التكوين المهني التابع للخطوط الملكية المغربية  
(الدار البيضاء) . المعهد العالي للمسرح والتنشيط  
الثقافي (الرباط) . المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث  
(الرباط) . مدرسة الفنون الجميلة (الدار البيضاء) .

الحسين العمراني، ترقية رجال التعليم بالمغرب، د. د.ع.، كلية  
الحقوق بالرباط، 1989؛ تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي  
بالمغرب : منجزات وآفاق، غشت 1989، المركز الوطني لتنسيق  
وتخطيط البحث العلمي والتقني : النقابة الوطنية للتعليم العالي،  
نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلية البحث العلمي،  
تقرير مقدم إلى الندوة الوطنية بالرباط يومي 21 و 22 أكتوبر  
1989؛ عبد القادر باينة، شرعية الإصلاح الحقيقي في التعليم  
العالي والزامية ميثاق وطني حول التعليم والتكوين والبيد  
العلمي، جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد 2815 بتاريخ 21 أبريل  
1991؛ عبد الإله فونتير، الجامعة وقضية البحث العلمي في  
المغرب العربي، مداخلة ضمن أعمال ندوة الجامعة الشتوية الثانية،  
أبريل 1991، مراكش؛ الوضعية النظامية للأساتذة الباحثين

## تغات (جبل)، بضاحية فاس قريب من جبل زلاغ،

وقعت بسفحه معركة فاصلة بين ولي العهد محمد الشيخ  
الممامون ابن السلطان أحمد المنصور، وبين الناصر بن عبد  
الله الغالب الذي كان لاجئاً عند الإسبان منذ معركة وادي  
المخازن، وهذه هي المعركة الثانية ضد هذا الثائر إذ سبق أن  
تغلب الناصر على جيش سرحه المنصور لقتاله عندما حل  
بتازا، وتعرف هذه الواقعة الحربية الأولى بمعركة الركن.

لم تذكر المصادر العربية اسم موقع المعركة الثانية  
"تغات" التي حضرها ولي العهد الممامون، وإنما جاء ذلك  
فيما كتبه الصيدلي الفرنسي تريبو الذي حضر المعركة  
ضمن حاشية الممامون، وقدم عنها كثيراً من التفاصيل. وأول  
ملاحظة تشير الانتباه في كتابة هذا الفرنسي أن الناصر  
تقدم بجيشه نحو مدينة فاس حتى بلغ مشارفها وحينئذ  
خرج للقاءه ولي العهد خليفة أبيه المنصور في الحاضرة  
الإدرسية. وهذا ما لا يفهم من الروايات المغربية. وسنورد  
تفاصيل معركة تغات كما جاءت عند تريبو.

كان جيش محمد الشيخ الممامون كبيراً يضم فرقا من  
العروج ومهاجرة الأندلس وقبيلة شراكة وغيرها من قبائل  
العرب والبربر منهم 11.000 من المسلحين بالبنادق مشاة  
وفرساناً، و7.000 من حملة الرماح وفرقة من المدفعية. أما  
جيش الناصر فكان أقل رجالاً وسلاحاً، يضم إلى جانب  
المرتزقة عدداً من قبائل الريف وضواحي تازا.

نزل الناصر وجنوده يوم 13 رمضان 1004 / 11 ماي 1596  
على بعد مسافة قريبة من فاس حيث أمسى معسكره  
مكشوفاً في متناول قصف مدفعية العدو، وفي الليل،  
تحركت جنود الناصر من جديد واختارت أن تجرى المجابهة  
على سفح جبل تغات، في الشمال الغربي من فاس وعلى  
مقربة من جبل زلاغ، وعسكرت قوات محمد الشيخ قريباً  
من مكان المعركة، يوم 12 ماي 1596، حسب النظام التالي :  
نصبت الخيم في صفوف عديدة، وبين هذه الخيم كانت  
توجد مخازن الذخيرة والعتاد، يحرسها ألف من المرتزقة  
المسلحين بالبنادق، في حين كانت فرقة المدفعية مستعدة  
للعمل، من على ربة تشرف على مواقع الناصر.

كان المشاة كلهم يتقدمون الصفوف، وهم منقسمون إلى  
فترتين، تفصل بينهما مسافة ست خطوات، ويتألف كل  
واحدة منهما مما يزيد على ثلاثة آلاف جندي من المسلحين  
بالبنادق، انضمت إليهم فرقة من الرماحة، تشكل هلالاً في  
ميدان المعركة، وفي وسط الهلال، كان يوجد محمد الشيخ  
الذي نصب قائداً على جنود الصفوف الأمامية العليج الباشا  
مصطفى أرمان، وابنه فوفري قائداً على جميع المرتزقة  
المسيحيين. واقتسم الأندلسيون والعرب وما بقي من شراكة

والبرابر، جميع الصفوف الخلفية.

وما كان نظام قوات الناصر ليختلف عن هذا النظام، ولم يكن يعوزها إلا المدفعية. وأما عدد جنوده فكان يُقدر بـ 18.000، منهم 8.000 رماح، و1.000 بندقية، والباقي يتألف من المشاة المسلحين بالسيوف والرماح القصيرة، ومن أهالي الجبال بأسلحة متباينة.

انطلقت المعركة بشن جيش محمد الشيخ هجوما عاما غداة 14 رمضان 1004 / 12 ماي 1596، واستغرقت العمليات الحربية ساعتين، بدت للمقاتلين وكأنهما شهران، حرب لم تحسم لفائدة أحد. ودخل فيها من جانب محمد الشيخ، جنود احتياطيون، لكن بدون جدوى، ورأى الناصر وانصاره أنهم على قاب قوسين أو أدنى من النصر ورأى محمد الشيخ نفس الرأي، في هذه الأثناء حدثت مفاجأة كبرى، ذلك أن كتيبة من الجيش، يتقدمها عناصر من الجوقة العسكرية التي كانت ترافق أحمد المنصور، وعلم الملك يرفرف عليها، ظهرت على أحد الربى، فارتفعت معنوية جيش محمد الشيخ وأصاب الهلع الجيوش التي كانت تقاتل مع الناصر، وظنوا أن أحمد المنصور جاء بالمدد إلى ابنه محمد الشيخ، فأخذوا في الفرار عبر الجبال، واستطاع الناصر أن يفر هو كذلك على متن فرس، وتشتت جمعه. خلفت هذه المعركة في الميدان زهاء ألف قتيل وجريح في جيش الناصر، وضعف ذلك في جيش محمد الشيخ. وغنم محمد الشيخ خيم عدوه كلها واستولى على عدد كبير من الأسرى. وتعقب محمد الشيخ ابن عمه الناصر، فأخذه وحمله إلى معسكر الشيخ وقتله وبعث برأسه إلى مراكش، فعلق مدة ثم أمر المنصور بدفنه بمقبرة سيدي بلعباس بمراكش.

م. الإفرائي، نزعة، 91، 92؛ أ. الناصري، الاستقصا، الجزء 5، 145.

151

S.J.H.M., France II, III; Angleterre I, II, III; Portugal II, G. Jacqueton, P. Treillault, Pharmacien de Ahmed al-Mansour, R.A., p. 212.

أحمد بنجلون

**تغاتين** أو تاغاتين، منطقة جبلية تقع إلى الشرق من مركز أنزي في الأطلس الصغير في الحدود بين إدا ويعقيل وإدا وسملال. وللكثرة صلحاتها وعلماؤها كانت تدعى رباط الصاحلين. ويذكر أن الشيخ أحمد بن موسى السملالي كان كثيرا ما يزورها ويحث مريديه على زيارتها.

**التغاتيني، أحمد بن سليمان بن يعزى الرسموكي**

فقيه مشارك وصالح ناسك. درس في مسقط رأسه تغاتين على والده سليمان، ومحمد بن محمد بن يعقوب والحسن بن علي بن داوود السملالي، كما أخذ عن الحسن اليوسي وغيره. وأخذ الطريقة الناصرية عن الخليفة الشيخ أحمد ابن ناصر وصاحبته مدة وسار على هدي الناصريين في اتباع السنة ونشر العلم والتصوف الخالص. ولما قُتل أبوه وأخوه

محمد ظلماً عام 1072 / 1661 نهبت داره وهدمت من طرف قُتاك بينهم وبين التغاتيين إحن قديمة، خرج أحمد إلى تارودانت ثم إلى فاس، وقدم إليه عرض مُغر ليشارط في مصلحة تغازي بمشارف السودان (مائة مثقال ذهباً وأمة وعبد وكسوة رفيعة في كل عام) ولكنه اعتذر وفضل الذهاب إلى مراكش فاستوطنها ساكناً في بيت علوي بسطح مدرسة المواسين عاش فيه طوال حياته عزباً مجدداً في التدريس والتربية والتأليف وعمل الخير، إذ كان معظماً يعتقدُه العامة وذوو السلطة والأجناد ويمتثلون أمره، فانتفعت به البلاد والعباد وتخرج به جميع طلبة وقته وبلده.

كان أحمد بن سليمان مقصد المستفتين من كل أنحاء الجنوب وخاصة سوس، وقد وقف المختار السوسي على عدد كثير من فتاواه قال عنه: "لو جمع لكان وحده مجلداً أو أكثر"، وضمّن بعض هذه الفتاوى في كتابه مجموعة إلغ الفقهية.

ألف أحمد بن سليمان في الحساب والفرائض والفقه والعروض والتوقيت والتنجيم مؤلفات منها:

- معونة الإخوان على مسألة أولاد الأعيان في كراسه، يبيّن فيه أحكاماً غريبة وتفصيل عجيبة.

- شرح الزايرة السبتية.

- الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة، وهي أرجوزة في علم الموارث في أربعمئة واثنين وثلاثين بيتاً. وهي - كما وصفها المؤلف - سهلة، يحفظها السوسيون عن ظهر قلب حتى اليوم، ويسمونها الأرجوزة السملالية في الفرائض.

- ذيل الأرجوزة السملالية في الحساب بما يكمل مائة وعشرين بيتاً.

- شروح الأرجوزة السملالية وذيلها، كبير في اثنتي عشرة كراسة، ووسط في ست كراسات، وصغير في أربع كراسات.

- شرح البواقيت لمبتغي معرفة المواقيت لعلي بن محمد الدادسي، وتعرف بالأرجوزة الدادسية. شرح كبير في عشر كراسات، وصغير في خمس كراسات.

- شرح الأرجوزة السملالية في رانض، كبير في إحدى وعشرين كراسة، وصغير في ثلاث عشرة كراسة.

- لامية في العروض. وهي قصيدة من بحر الطويل في سبعة وستين بيتاً.

- شرح لامية العروض في خمس كراسات، يبيّن فيه جميع ما يُحتاج إليه في ذلك الفن، مع تقطيع جميع شواهد العلل والزحافات يغني عن غيره من كتب العروض.

توفي بمراكش يوم الاثنين الأول من رجب عام 1133 / 28 أبريل 1721. ودفن خارج باب الدباغ.

وقد نبه كل من عباس ابن إبراهيم ومحمد المختار السوسي إلى وجود فقيه آخر يحمل نفس الاسم: أحمد بن سليمان الرسموكي، نسخ المدخل لابن الحاج بجزئية في



ثمانية وعشرين يوماً، فهذا متقدم توفي عام 984 أو 985.  
م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة 125 : م.  
الخليفتي، الدرّة الجليلية، تج. أ. عمالك، د.د.ع. الرباط : م. ابن  
الموقت، السعادة الابدية، 1 : 116 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام،  
الرباط، 2 : 366 رقم 256 : م. المختار السوسي، رجالات العلم، 51 :  
سوس العالمة، 192 : المعسول، 18 : 330. 337 : إ. الادريسي،  
معجم المطبوعات المغربية، 129.

**التفغاتي، أحمد بن عبد الواسع الرسموكي، أديب**  
بليغ. عمل كاتباً للأمير أبي حسون بودميعة السملالي.  
وقد احتفظ المختار السوسي في كتابه إيليج قديماً وحديثاً  
بعده مراسلات صادرة عن بودميعة من إنشاء كاتبه أحمد  
بن عبد الواسع التفغاتي. ويحرف اسم المترجم أحياناً  
فيكتب محمد ابن عبد الواسع. وقد اضطرب السوسي في  
تحديد أو تقريب تاريخ وفاته، فذكر في رجالات العلم أنه  
توفي عام 1060 / 1650 واستنتج في المعسول أنه كان مازال  
حيّاً عام 1093 / 1682، وهو تاريخ انتهاء الرسموكي من  
تقييد وفاته، ولذلك لم يذكره.

م. المختار السوسي، إيليج، 127. 131 : المعسول، 329 : رجالات  
العلم، 35.

**التفغاتي، أحمد بن محمد بن يعزى الرسموكي،**  
أديب كاتب وفقه مفت. أخذ الأدب عن محمد بن الحسن  
بن القاسم اللكوسي، وأورثه ولده محمد بن أحمد آتي  
الترجمة. يعد من شعراء بلاط أبي حسون بودميعة في  
إيليج. وكانت له عليه دالة تبيين من قصيدة فائية وجهها  
إليه يشتكي من بعض خصومه ويستعديه عليه، مطلعها :  
ماذا يريد الثعلب المستضعف من قسورٍ منه العدا تنقص ؟  
وهو إلى ذلك هجاء مقذع، هجا معاصره القاضي أحمد  
أمزوغار الوجاني ودعا إلى عزله في قصيدة مشهورة تنتهي  
كل أبياتها بكلمة أمزُغر، مطلعها :  
أمدُ إلهي في المعالي مذاهباً وضعض في قرب قواعد أمزغر  
وهو ناظم القصيدة الطويلة التي امتزجت فيها العربية  
بالشلمية التي بدايتها : باسم الله في الكلام إزور. ومع  
ذلك حلاه بلديه الرسموكي صاحب الوقيات بصفات لم  
يصف بها غيره وقال عنه : "الفقيه الأجل الكاتب العالم  
العلامة الدراكة النحوي اللغوي الفيلسوف صاحبنا  
ومحبنا... عاصرته وجالسته وحضرت جنازته".

وفي ميدان الفقه له فتاوى كثيرة في مجموعة عبد  
السميح الأمزالي، والمجموعة البرجية. ويذكر له كتاب في  
التاريخ والتراجم لم يُعثر عليه لحد الآن.

توفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الثانية نام  
ثمانين وألف / 12 نونبر 1669.

الرسموكي، وفيات، 31 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو،  
الترجمة 95 : م. المختار السوسي، رجالات العلم، 34 : سوس  
العالمة، 185 : المعسول، 18 : 271. 285. 310. 312.

**التفغاتي، حسين بن داود الرسموكي، فقيه عارف**  
بالفروع والأصول، مشارك في التفسير واللغة وقواعدها.  
درس في سوس وفي خارجها. ومن أشهر شيوخه داوود بن  
محمد التونلي التملي، ومحمد بن يوسف السنوسي  
التلمساني صاحب العقائد. ويظن أنه أخذ أيضاً بفاس عن  
الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي وطبقتهما.  
من تأليفه الباقية :

- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

- شرح التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي.

- مدارج الراغب على مختصر ابن الحاجب الفقهي.

- شرح نظم بيوع ابن جماعة، والناظم عبد الرحمن  
السوسي.

- شرحا توشينخ خالد الكرسيفي في الجنة ونعيمها.

كبير وصغير.

- نظم في تصريف الأفعال.

- شرح نظم التصريف.

توفي يوم الجمعة ثامن عشر محرم عام أربعة عشر  
وتسعمائة / 19 ماس 1508.

م. البعقلي، مناقب، 18 : الرسموكي، وفيات، 39 : م. الحضيكي،

طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة 233 : م. المختار السوسي،

رجالات العلم، 19 : سوس العالمة، 179 : المعسول، 279 : جامعة

القرويين في ذكراها، 115 رقم 7.

**التفغاتي، داوود بن عبد المنعم الرسموكي.** "علامة  
جليل، وأديب كبير، وشاعر مصقع... من علماء جزولة  
المشاركين الكبار الذين لهم في كل العلوم التي أخذوها -  
لغة وفقها وتفسيراً وتاريخاً وحساباً وأصولاً وبياناتاً - يد  
طولي". بهذا حلاه صاحب المعسول في طليعة ترجمته. ولد  
حوالي عام 1310 برباط تغاتين، وبه نشأ ودرس على والده  
القرآن ومبادئ العلوم، وأتم تعليمه على يد عمه أحمد بن  
محمد التفغاتي، وأحمد بن مسعود في المعدر، والحاج  
أحمد الصوابي. وأخيراً عند الأديب الكبير الطاهر الإفرائي  
بمدرسة بومروان "حيث الآداب تتدفق، وغدران القوافي  
تترقق، ونجوم المشاركة في جميع العلوم تتألق".

شارك داوود التفغاتي - كشيخه الطاهر الإفرائي - في  
حركة الهيئة ضد الاحتلال الفرنسي، فالتحق به في تيزنيت  
وسار معه إلى مراكش. وبعد هزيمة جيش الهيئة سار داوود  
مع الحاحيين الفارين إلى زاوية سيدي الزوين ومنها رجع  
إلى سوس، فشارط سنة في مسجد قصبه تالاغت قبل أن  
يلتحق بالشيخ الحاج أحمد الصوابي في مدرسة تاكوشة  
ويلازم مجالسه العلمية سنين. ومن ثم انتقل إلى جامع ابن  
يوسف فأتم تكوينه في شتى العلوم اللغوية والشرعية  
والعقلية والأدبية. وأهم شيوخه هناك أبو شعيب الدكالي  
وفتح الله بناني الرباطي، وأحمد العلمي الفاسي.

رجع داوود إلى سوس وتفرغ للتدريس في تيبوت  
وغيرها من المراكز القروية العلمية. وأهم إنتاجه أدبي ترسلاً

و شعراً ونقداً دقيقاً عنيفاً في بعض الأحيان، وقد أورد نماذج عديدة من ذلك في المعسول كما أورد قائمة طويلة بأسماء الفقهاء والأدباء التي تخرجوا بداوود التغافيني.

توفي عام 1389 / 69 . 1970 .

م. المختار السوسي، رجالات العلم، 241 : المعسول، 18 : 339 .

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، 1389 .

**التغافيني، سليمان بن يعزى،** فقيه موثق عدل، زواج بين تلقي الشهادات وتحرير العقود، والقيام بالتعليم في مدرسة المولود بتغافين، وهو من المتخرجين على يد الشيخ الكبير عبد الله بن يعقوب.

كان سليمان مثال الاستقامة والنزاهة، لكنه ذهب ضحية الفتن المضطربة بين قبائل الجنوب آنذاك، فقتله بعض الأشقياء من خصوم قومه التغافينيين هو وولده الطالب محمد ونهبوا داره وهدموها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة ولده أحمد بن سليمان. وقد ساق حادثة اغتياله بلديه الرسموكي صاحب الوفيات ووصفها بدقة وتأثر شديد.

وقف المختار السوسي على عدد من فتاوى سليمان التغافيني في المجموعتين الفقهييتين الكبيرتين : الأوجية البرجية والأوجية السميحية " مما يدل على أنه مفت كبير بين كبار المفتين في عصره".

قتل ظلماً يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان عام 1072 / 3 أبريل 1662 في مدرسة المولود التي كان يُقرب فيها. ولا يزال في المصلى محل جمد فيه دمه رحمه الله.

الرسموكي، وفيات، 27 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة 747 : م. المختار السوسي، رجالات العلم، 34 : المعسول،

18 : 329 . 330 .

تارودانت الأمير الأديب محمد العالم ابن السلطان المولى إسماعيل وخليفته في الجنوب، وقد خلد كتاب نفحات الشباب محاوراتهم وإنشاداتهم ومساجلاتهم. تعرف مؤلف النفحات، وهو أديب روداني، على المترجم في أحد أسواق تارودانت أوائل رمضان عام 1112 / فبراير 1701، حين جاء ليحضر إلى جانب علماء سوس مجالس صحيح البخاري عند الخليفة محمد العالم، وكتب يصف التغافيني : ".... فوجدت طلعة بهية، وليسة سنية، وشيبة منورة".

يبدو محمد التغافيني في نفحات الشباب سريع اليديهة، قوي الذاكرة في حفظ أشعار الأبناء ونقدها خاصة شعراء العصر العباسي، ذا قدرة فائقة على ارتجال النظم

البيديع. وقد بهر الخليفة محمد العالم بما أجاز من مصاريع أنشدها الخليفة، وهي تمثل مشاهد حية كانوا يرونها من منتزه مشرف على بستان : أشجار حولها كوم رمل، وأغصان مالت نحو أزهار، وحصاد بمنجل في السنبيل يضربه فيبدده ليلتقطه كبش معه، وصقر انقض على حمامة... كانت إجازات التغافينيين فورية لا تكتفي بالوصف الدقيق للمشهد بل تأتي بتشبيهات وتنظيرات تدل على إحساس مرهف في لغة متينة وسبك سلس. عبّر الخليفة عن إعجابه بالتغافيني قائلاً له : لقد أعدت عصر ابن عطية، فأجاب : كما أعاد سيدنا عصر عبد المومن بن علي. يشير إلى المساحلة الأدبية الشهيرة بين الخليفة الموحي ووزيره ابن عطية وهما يسيران يوماً في بعض أزقة مراکش.

توفي بمسقط رأسه حوالي عام 1118 / 1702 .

روداني مجهول الاسم، نفحات الشباب، في الجزء 18 من المعسول،

18 : 286 . 328 .

محمد حجي

**التغافيني، عبد السميع بن محمد الرسموكي.**

أستاذ، حفظ القرآن والمتون الأولية، ثم درس في فاس على الإمامين محمد ابن غازي، وأحمد الونشريسي وطبقتهما. ومن أشهر تلاميذه إبراهيم التيخيفستي السملالي الذي ترجم له، وعنه أخذها الرسموكي في الوفيات وغيره. حلاه الحضيكي بقوله : "كان - عبد السميع - فقيهاً قارئاً ناسكاً عابداً مدرساً صالحاً ناصحاً". وهو الجد الأعلى لآل عبد السميع التغافينيين العلماء.

مات قتيلاً في مسقط رأسه ظلماً وحسداً على ما آثاه الله من فضله، عام 915 / 10 . 1511 .

الرسموكي، وفيات، 26 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة 568 : م. المختار السوسي، رجالات العلم، 19 : المعسول، 18 : 280 : جامعة القرويين في ذاكرها، 115 رقم 8 .

**التغافيني، محمد بن أحمد بن محمد بن يعزى** الرسموكي. أديب كبير وشاعر مفلق. ولد قبل عام 1060 / 1650، وهو رابع الأدباء السوسيين الذين كانوا يسامرون في

الإبكراري، طاقة ربحان من روضة الأفتان، 55 : م. المختار السوسي، المعسول، 1 : 371 : 9 : 106.

### التفاجيجتي، أحمد بن بلخير بن بلعيد. ولد سنة

1337 / 1918 وأخذ القرآن في بلده عن الفقيه محمد بن الحسن التازروالي الأصل، المتوفى 1367 هـ وعن مقرئ آخر هو الفقيه محمد بن الحسين الذي كان يشارط في آخر عمره في أيت باعمران قبيلة إصبويا.

وبعد مرحلة حفظ القرآن اتجه إلى مدرسة الجمعة بأيت عيلاً أيت باعمران، حيث أخذ عن الأستاذ القاضي محمد بن بلوش المتقدم ولازمه اثنتي عشرة سنة، خلافاً لما ذكره المؤرخ السوسي من أن المدة هي ثمان سنوات، ففي رسالة طلب بها الاجازة من شيخه هذا، ذكر أنه مكث عنده اثنتي عشرة سنة وتوجد صورة الجواب عن هذه الرسالة في كتاب المدارس العلمية بسوس (3 : 338) وقد ورد في الرسالة ما يلي بالحرف : "... المرام أن تكتب لي إجازة بأنني قرأت عندك العلم، ومكثت عندك اثني عشر عاماً، وأذنت لي في التدريس..."

وأخذ كذلك عن الأستاذ محمد بن الطاهر في تانكورت لازمه عامين، ثم اتجه إلى المدرسة الوقفاوية عند الأستاذ أحمد البيزدي، ولازمه عامين، فتخرج أستاذاً لقنافتها مشاركاً، بعد ذلك شارط في بعض مدارس أيت عمران ثم تولى التعليم في المدارس الحديثة بعد الاستقلال وأخيراً ترك التعليم واتجه إلى سلك القضاء، ولكنه لم يستمر فيه نظراً لطبعه وأفته التي لا يرضى معها بقيود الوظيفة، وانتهى به المطاف إلى المشاركة في المسجد الكبير في أكادير، لكنه مالبث أن غادره إلى بلده تفاجيجت، فحق فيه قول مؤرخه : "له نباهة وشفوف والمعبة، وتطلع إلى المعالي التي كان أحق بها وأهلها، مع عزوف وترفع عن الدنيا" (المعسول، 18 : 155) اهتم في آخر حياته بالتأليف من ذلك كتاب نور على نور لتوضيح معالم الدين، كما قال، وإقناع الإخوان والمنهاج الواضح وموضوعه صحة التوسل بالأنبياء والأولياء وزيارتهم مطلقاً وله مخطوطات لم تطبع أما الثلاثة المذكورة فقد طبعت.

توفى بعد عام 1404 / 1984.

م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 153 : ع. الساحلي، المدارس العلمية بسوس، 3 : 338 : وثائق ومعلومات خاصة عند الكاتب.

### التفاجيجتي، أحمد بن الحسين بن محمد الملقب

أضارُضورُ (الأصم)، وهو غير أحمد أضارُضور العالم السوسي الشهير المتوفى حوالي عام 1299 / 1881 وقرأ القرآن على شيخه الفقيه بلال (ت. حوالي 1342 / 1923) المعروف بحفظه وتلاوته لكتاب الله هناك، كما قرأه على شيخه في أيت باعمران الفقيه محمد أمجوض (ت. نحو 1368 / 1948) وذلك في قبيلة إذْمُوسَاكُنَا حيث بقي المترجم إلى أن أتقن حفظ القرآن على يد هذا الشيخ؛ وبعد ذلك اتجه إلى مدرسة أمسرا عند الأستاذ محمد بن المحفوظ،

حيث ظل عشر سنوات، وتلمذ كذلك على يد الإلغيين، في مدرستهم، وعلى يد الأستاذ الحسين بيبيس الاخصاصي الشهير المتوفى سنة 1339 / 1920.

وتردد أحمد التفاجيجتي بين هؤلاء أكسبه معرفة لا بأس بها، فله مشاركات تأديبية، لكن تطلعه إلى منصب الرأسة وما تقتضيه من تبعات حال بينه وبين الشفوف في المجال العلمي، ولعل السبب في هذا التطلع هو نشأته على يد أبيه الذي يعد من رؤساء القبائل الأشداء، فمن هنا اشتهر المترجم منذ صغره بصفات هي إلى الرأسة أقرب منها إلى العلم، وكان معروفاً بالإقدام والشجاعة، وفي الوقت ذاته كان يميل إلى المزاح ويغالي في اختلاق الغرائب والعجائب، دون مراعاة لمكانة أحد مهما كانت قيمته، وقد انحاز إلى جانب المحتلين الفرنسيين ضد حركة الهبة المعروفة، فاتخذ ذلك هزواً يباهر به أحد علماء المنطقة، ولما احتلت سوس من طرف الفرنسيين عين قائداً على قبيلته، وهذه كانت رغبته ومنيته. قال ابن الحبيب : "طلب القيادة فمناها" وقال عن أخلاقه : "تارة يزدري بنفسه، وتارة بأبناء جنسه، فمجلسه خال من كل خير إلا من المضحك" (تحلية الطروس). توفي أحمد التفاجيجتي سنة 1366 / 1946.

ع. ابن الحبيب، تحلية الطروس في ذكر رجال سوس، مخطوط؛ الإبكراري، طاقة ربحان من روضة الأفتان، 66 : م. المختار السوسي، المعسول، 9 : 108.

### التفاجيجتي، أحمد بن حمّو - محمد - بن صالح بن

بلخير، ولد سنة 1235 / 1819 وهو من أعلام تفاجيجت المرموقين، بدأ حياته في التعلم عند أحد الرگراكيين الأفاضل الفقيه : بلقاسم بن المحجوب في أحد مساجد بلده، حيث قرأ القرآن، ثم انقطع إلى مدرسة أدوز العلمية، حيث درس المتون على يد الأستاذ العربي بن إبراهيم، ولازم الأستاذ الشريف الكثيري حوالي أربع عشرة سنة، فكان يشتغل بالنسخة، حتى عدّ له اثنان وأربعون مجلداً بخطه، ولما عاد إلى بلده وجد الناس على جهل مطبق فيذل ما في وسعه لإعادتهم إلى جادة الشريعة، فكان لجهده أثر محمود في تقويم اعوجاج أهل تفاجيجت وقد خلف الاثر الحسن والمدارس العلمية التي تعاقب عليها، كمدرسة سيدي علي أَسْعِيد في قبيلة الأخصاص، ومدرسة سيدي محمد الشريف ومدرسة بويژكارن وغيرها، وحظي بمقابلة السلطان الحسن الأول في زيارته لأكلميم سنة 1303 / 1885، فقد وفد عليه مع أحد علماء تلك الناحية، فأهدى إليه كتاباً، وأكرمه السلطان مع صاحبه، وزودهما بالتحريم من الالتزامات التي يقوم بها غيرهما، وقد ظل حياته كلها مدرسا ناشراً للعد حتى وهو منقطع في داره بعد مشارطاته في مختلف مدارس المنطقة، وكانت له علاقة بالالغيين، يرأس أمثال علي بن عبد الله، ويتناقش معه في مشكلات فقهية، قال

في حقه المختار السوسي : "عالم كبير القدر نوازلي، له شهرة واسعة (...). وكان نوازلي مفتيا مقداما قوالا لما يريده، غير متلجلج (رجالات العلم، 181 تحت رقم 1) وقال فيه ابن الحبيب "العلامة الذي حاز قصب السبق في الفقه (...). انقشع به غمام الجهل والغي في تلك الناحية، حكم بين الناس وافتى" (تحلية الطروس).

توفى في حدود عام 1314 أو 1317 أو 1320 حسب مختلف مصادر ترجمته.

ع. ابن الحبيب، تحلية الطروس، مخطوط : م. المختار السوسي، رجالات العلم العربي، 181 : المعسول، 18 : 151.

### التفاجيجتي، إدريس بن الحسن بن محمد. ولد عام

1875/ 1293 ينتمي إلى فخذ إد سعيد بن إبراهيم كسابقه إبراهيم بن محمد، أسماه علي بن الحبيب الجراري : "إدريس بن محمد" وحلأه بالفقيه العالم، وقال عنه وعن إبراهيم : "قد قرنا في قرن التدريس، ولم يفت أحدهما الآخر في الفهم النفيس".

بعد أن قرأ القرآن في بلده حتى أتم حفظه، ذهب إلى مدرسة إلغ سنة 1890/ 1308 لأخذ المتون العلمية على عادة أقرانه، فتتلمذ على أبي القاسم بن مسعود التاجموني، أبي الحسن الإلغي وبعد أن استتم العلوم التي تدرس هناك، عاد إلى بلده بتفاجيجت، فتصدر للإفتاء، إذ كان فقيهاً مشاركاً فرضياً، حسن الخط حسب شهادة معاصره وبلدية. إبراهيم بن محمد المتقدم، كما كان معروفاً بورعه وتقواه.

لم يكتف بالجانب الفقهي في معارفه، بل "كان له ولوع بحفظ المقطعات الشعرية، وغرائب اللغة، حتى صار قاموساً". حسب قوله ابن الحبيب الجراري فيه. توفي سنة 1945 / 1365.

ع. ابن الحبيب، تحلية الطروس، مخطوط : م. المختار السوسي، المعسول. 9 : 107.

عبد الحميد محبي الدين الباعمراني

### تَغَازَى، قرية تقع في أقصى شمال مالي الحالية،

موقعها غرب تاودني. ضبطها ابن بطوطة بفتح التاء والزاي، وعليه المعول. وحولها سبخة (إجْل) التي كان ملحقها يشحن إلى أقطار السودان الغربي ويتبادل بالذهب مدة قرون عديدة، ويظهر أن منطقة الملح بما فيها تَغَازَى كانت في عصر البكري تعرف ببلاد القُرويين، نسبة إلى قبيلة أو عشيرة، حيث ذكر أن الملح يبدل فيها بالذهب، وقد تحكّم المرابطون في الطريق الممتد بين المالح وغانا. وفي بداية رحلة ابن بطوطة إلى السودان سنة 1351/ 753 كانت تغازي ضمن التراب المغربي لأن هذا الرحالة يذكر إيوالاتن كأول عمالة السودان. ولم تكن تغازي سوى قرية متواضعة، مبانيتها من حجر الملح وسقوفها من جلود الجمال، ويقطنها عبيد مسوفة، وهي القبيلة ذات النشاط الاقتصادي التي استولت على الطرق التجارية الصحراوية

الممتدة إلى السودان الغربي منذ أواخر الثلث الأول من القرن السادس (12 م). وعلى هذا فإن الدولة المغربية لم تؤمم ممالح تغازي قبل السعديين. وكان الملح في القرن الثامن (14 م) يقايز بالذهب كما كان قبل ذلك ولبضعة قرون أخرى بعد ذلك.

وشبه الحسن الوزان ممالح تغازي بمقاطع الرخام، وقال إن ملحقها يشحن بواسطة القوافل التجارية إلى تنبكتو التي تنقصها هذه المادة نقصاً شديداً. أما سكان القرية ومعدنها فتأتيهم المواد الغذائية من سجلماسة ودرعة وحتى من تنبكتو، وارتفع ثمن حمل جمل من الملح بعاصمة مالي هاته إلى ثمانين مثقالاً في أوائل القرن العاشر (16 م). لكن بالنظر لضعف السلطة المركزية والحروب الأهلية التي عرفها المغرب لمدة قرن ونصف تقريباً حتى قيام الدولة السعدية، فإن صنغاي وضعت يدها على المالح، ولذلك لم يكد محمد المهدي الشيخ، العاهل السعدي، يستقر في الحكم حتى انتزع تَغَازَى من يد أسكينة (مهادو توري) ولكنه تنازل عن بعض خراجها للعاهل الصنغائي محتفظاً بسيادة المغرب عليها. واستمر الأمر على ذلك حتى خلافة المنصور الذهبي ففرض مكسا بقيمة على كل حمل يرد على تَغَازَى وأنشأ حصناً وزوده بحامية مسلحة، فأدى ذلك إلى مفاوضات دبلوماسية لم تخل من حدة، ثم إلى حرب انتهت بفتح المنصور للسودان (1599 / 1000) ومن المفارقات أن التجهيز المادي والعسكري لفتح السودان تمّ بفضل خراج تغازي إلى جانب خراج درعة وأموال أخرى. وبذلك أصبح المغرب يراقب من جديد مجموع الطرق التجارية الممتد من سجلماسة ودرعة عبر تغازي إلى تنبكتو التي تراجع مستواها الحضاري حينئذ شأن باقي مملكة الصنغاي. وقد ألحقت تَغَازَى بعمالة درعة بحكم قربها النسبي وبالنظر لسعة هذه العمالة خصوصاً في ظل الحكم السعدي. وهذا ما توضحه رسالة من السلطان مولاي إسماعيل العلوي إلى نجله المأمون خليفته بالصحراء.

غير أن تَغَازَى ما لبثت أن أصبحت قرية مهجورة في أواسط القرن الحادي عشر (17م) وحلت محلها (تاوَدَنِي) الواقعة شرقها، كمحطة لقوافل الملح. على أن سبخة إجْل استمرت تزود عدداً من مناطق إفريقيا الغربية بحاجتها من الملح. وحتى بداية الزحف الفرنسي ظل الملح عملة مقايضة يتبادل بها الزرع والخيل والثياب والعبيد. وفي هذه الفترة بالذات كان ملاك سبخة إجْل من الكنتيين الماليين، ويشير "إيبولار" إلى تردد عدد من الرحالين المعاصرين على منطقة تغازي القديمة.

أ. البكري، المغرب، ص. 174 : م. ابن بطوطة، الرحلة، ج 2، ص.

191. 192 : ع. الفشتالي، مناهل الصفا، مختصر، ج 2، ص. 55.

82، تطوان 1964 : أ. الشنقيطي، الوسيط، ص. 433، 522 : ع.

بتعبد الله، الموسوعة : معلمة المدن والقبائل، مادة : تغازي.

Léon l'Africain, Description, pp. 455, 456, 469 : Gouraut (Général), Mauritanie Adrar, Paris, 1945.

إبراهيم حركات

**تَغَاسِرُوتْ (أهل)،** تسمية أمازيغية الأصل، تُطلق على موقع بجبل بني إزناسن (إقليم وجدة) يبعد بحوالي سبعة كلم عن قرية تافوغالت من جهة الشمال، ويتوسط السلسلة الجبلية المذكورة بين ثنايا قمم عالية وسفوح قوية الانحدار. حاول البعض البحث عن أصل التسمية انطلاقاً من دلالتها في اللهجة الزناتية، فاهتدى إلى رواية لها علاقة بفرقة إباجية - تدعى الرُسمَة - طردها بنو إزناسن من الجبل واستقرت بقبيلة الزكارَة.

استوطنت الموقع المذكور فرقة من بني عتيك من بني إزناسن، اشتهرت باسم تَغَاسِرُوتْ، وإليها يُنسب أولاد لهبيل. ويرجع الفضل لهؤلاء في ذبوع اسم تغاسروت بين قبائل وجدة، حيث صارت إليهم الزعامة ببني إزناسن في نهاية القرن التاسع عشر، بعد أن كانوا يتنافسون مع أولاد البشير بن مسعود من قبيلة بني وَرَيْمَشْ (بني إزناسن). وتولى عدد منهم منصب "القيادة" خلال النصف الثاني من القرن الماضي أثناء فترة الحماية. ومن أهل تغاسروت ينحدر السيد مبارك البكاي لهبيل، الذي تولى رئاسة الحكومة غداة استقلال المغرب.

قدور الورطاسي، بنو بزناسن عبر الكفاح، الرباط، 1976؛ عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873. 1907، منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1989.  
عكاشة برحاب

**تَغَاظْ،** أرض غنية بمنطقة وادي نون. ولفظة تغاظ تعني الشاة. تميزت البنية الإنتاجية في هذه المنطقة منذ ما قبل ظهور الجمل بأنها رعوية لها عادة وظائفها الذاتية الأساسية لإنتاج وتربية الأبقار والأغنام وتأمين ما يمكن لنمط العيش القروي شبه الترحالي أن يقدمه من الخدمات العامة. من هنا تتجلى أهمية تغاظ الرعوية التي يتعدى مجال خدماتها مستوى القرى المجاورة نفسها. إذا كانت كلمة "تغاظ" تعني الشاة فذلك لأن تربية الأغنام التي ميزت هذه المنطقة قد جعلت منها أداة لاستقطاب الفصائل القاصية والدائنية. التركيز على هذا الجانب يحتم على الباحث الخوض في غمار إشكالية مراقبة المجال وتوضيح صورة التوزيع الحقيقي للفصائل المراقبة لتغاظ منذ ما قبل أربعة قرون. لقد جعلت مدونة أسا من وادي نون وادي الحرب نظراً لكثرة الصراعات المحلية حول مراقبة المجال. وما يثبت أهمية هذه الصراعات في تحديد مفهوم الملكية هو تضارب أنواع الوثائق حتى فيما يخص الأراضي الرعوية (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 60). هكذا تتزاحم المقولات وتتضارب من خلال الوثائق المحلية التي تدعي منذ أزيد من أربعة قرون تملك أرض تغاظ الغنية (أنظر مادة أزوافيط بالعلمة). بل إن هناك من العائلات المقيمة بتاسيرت (أيت باعمران) التي ما تزال تتوفر على ما يثبت حق تملكها القديم لتغاظ. لقد كانت قبيلة إدا أوزال من بين الوحدات المقيمة بوادي نون خلال القرن العاشر

(م 16) (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 44). وكان يومها جزء هام من فصائل أيت باعمران تتداخل بشكل قوي بفصائل وادي نون. وهو عامل يفسر لماذا ماتزال بعض العائلات التي هاجرت من وادي نون تحافظ لإثبات ارتباطها التاريخي بالمنطقة على ما يلزم من الوثائق.

تقع الآن منطقة تغاط بتراب أزوافيط بعد أن كانت في ملك فصائل لمطية أمازيغية يصعب اليوم تحديد مراحل تنقلها. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حدود المقولة الزفاطية نفسها اتضح بأن تطويع أراضي تغاط من أجل الفلاحة ظاهرة لا ترجع إلا إلى حدود القرن التاسع عشر. بل إن أيت احماذ أعلّي الزفاطيين يعتبرون عملية التطويع هذه هي السبب الفعلي في تملكها شبراً شبراً، وأن الضرورة المجالية هي التي أهلتهم لتجسيد قوة حربية فعلية حالت دون باقي مربي الماشية والانتفاع من أرض تغاط. هذه الظرفية تسهل جداً اقتلاع التفسير بالسببية الوظيفية للظواهر الحربية والسياسية منذ أقدم الفترات.

مصطفى ناعمي، مواد أزوافيط؛ أيت بلة؛ التوبييع؛ تيرمين بالمعلمة؛ بحث ميداني.

F.C. De la Chappelle, *Les Tekna*; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*; P. Marty, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

**تَغَاظْ،** موضع معروف بأعلى مقدمة السفح الجنوبي من كتلة جبل قلعية. والاسم يعني بالأمازيغية المحلية المنحدر الجبلي الشديد الوعورة. ويزيد في تلك الوعورة سيادة الصخور الجرانيتية. والموضع طريق الخوافر إلى هضبة تازوفا الآتية من ازغنغان. وقد تكبد الإسبان أثناء زحفهم نحو هضبة تازوفا خسائر في الأرواح للوصول أثناء مقاومة المجاهد الشريف محمد أمزيان قبل 1912.

خريطة طبوغرافية لسنة 1935؛ تحري ميدان ورواية شفوية.

حسن الفكيكي

\* \* \* يعد أهل تَغَاظْ ضمن فصائل قبيلة بني منكوش، ويوجد موطنهم على السفوح الشمالية لجبل بني إزناسن (إقليم وجدة). ويستفاد من بعض الروايات أنهم من البربر الذين نزحوا من قصر المعيز بفكيكي إلى موطنهم الحالي.

انظر مادة بني إزناسن، ج 5، ص.؛ كناش الخزانة الحسنية رقم

192.

Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 196 - 197.

عكاشة برحاب

**التَغَرُغَرْتِي،** أو التاغرغرتي عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد الله الأندوزالي (تاغرغرت قرية في قبيلة أندوزال) مات والده وهو صغير فريته والدته وعلّمته واشتهر بعيد الرحيم. أخذ عن أبي بكر التاغموتي كثيراً، ومحمد بن حسن الطاطائي، وأحمد التيمكيدشتي، وتخرج عالماً مشاركاً ضليعاً في الحديث وعلومه. وقضى معظم حياته في تعليم أبناء الفقراء بعد الوفاء الجارف لعام 1214 / 1799. وكان دؤوباً على غرس الأشجار المثمرة مستعيناً في

الثمار على رؤوس سويقات طويلة، في حجم الجلبان أو حبة صغيرة، ذات لون أصفر أولاً، ثم تحمر قبل أن تسود بعد نضجها، ويصير ليها حلو المذاق وبداخله نواة.

يصادف التفراز في الأودية الرطبة من جبال الأطلس المتوسط والكبير حتى علو 1300 م، وفي جميع الحالات لا يشكل غابة، وإنما تراه منفرداً أو مكوناً لباقات منعزلة.

أما خارج المغرب فهو يعيش في منطقة حوض البحر المتوسط من جزيرة ماديرا غرباً إلى جبال القوقاز وإيران شرقاً. يعطي التفراز خشباً صلباً ومتيناً يستعمل عادة في إنشا المدرأة أو مقبض السوط.

استطلاع ميداني.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد الملك بنعبيد

**التَغْفَصِي** أو التَغْسِي، أسرة تطوانية أصلها من قرية تَغْصَة أو تَغْسَة بفرقة بني الحاج بقبيلة بني كزير الغمارية، ولعل اسم هذه الأسرة كان قبل انتقالها إلى تطوان هو اسم مرسية نسبة لمدينة مرسية الأندلسية (Murcia)، وقد انقرضت أسرة التَغْفَصِي بتطوان في حين لازالت بها أسرة مرسية.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 3 : 52 : م. داود، مختصر تاريخ

تطوان، 2 : 338 : م. ابن عزوز حكيم، عائلات تطوان.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo*; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 : M. Ibn Azzuz Hakím, *Apellidos tetuaníes de origen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**التفتيش** (في الوظيفة العمومية)، تأسس نظام التفتيش في الوظيفة العمومية بالمغرب في الثلاثينات من هذا القرن إبان عهد الحماية. عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على إنشائه بعد أن أنهت بناء هيكلتها الإدارية العامة المكلفة بتسيير أمور البلاد وتدبير شؤونها. وهو نظام لم يكن معروفاً في مغرب القرون السالفة، وإنما كانت السلطات المخزنية في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله تكلف جماعة معلومة من المحتسبين والأمناء بمراقبة تنفيذ الأحكام السلطانية وإجرائها في مجاريها والإشراف على السير العادي للحياة العامة ومحاربة التخاذل والتكاسل وأنواع الارتشاء والشطط ونهب أموال الدولة والأشخاص.

كان نظام التفتيش الحديث في المغرب منذ تأسيسه تابعاً للنظرية الكلاسيكية الخاصة بالمراقبة السائدة في الإدارة الفرنسية على الخصوص والمجتمعات الغربية على العموم في الثلاثينات. كانت هذه النظرية تعتبر أن الشخص العامل في الوظيفة العمومية قليل الطموح لا يحب العمل ولا يقوم بواجبه على الوجه المطلوب من تلقاء نفسه. وهو بطبعه ميال إلى الخمول والكسل إذا ترك لشأنه دون إشراف عليه، ومع ذلك فهو محب للكسب ويسعى إليه. لذلك عمدت الإدارة إلى تحفيزه بواسطة التفتيش الذي كان دوره يتمثل في حث الموظف على العمل ومراقبته

ذلك بكبار تلاميذه، غرس أكثر من ألف شجرة أتت أكلها كلها في حياته، كان مكباً على اختصار أمهات كتب الحديث وانتساخها. وماتزال مؤلفاته ومنتسحاته بخطه عند أحد حفدته.

وأشهر مؤلفات التفرغرتي هو كتاب في التراجم لخص فيه طبقات الشعرائي وطبقات الحضيكي، وذيل عليهما بتراجم شيوخه وبعض معاصريهم العلماء. وهذا الذيل أهم قسم في الكتاب، استفاد منه المختار السوسي وغيره ممن يبحثون في تاريخ سوس العالم.

توفي عن سن عالية تناهز التسعين عام 61 / 1278.

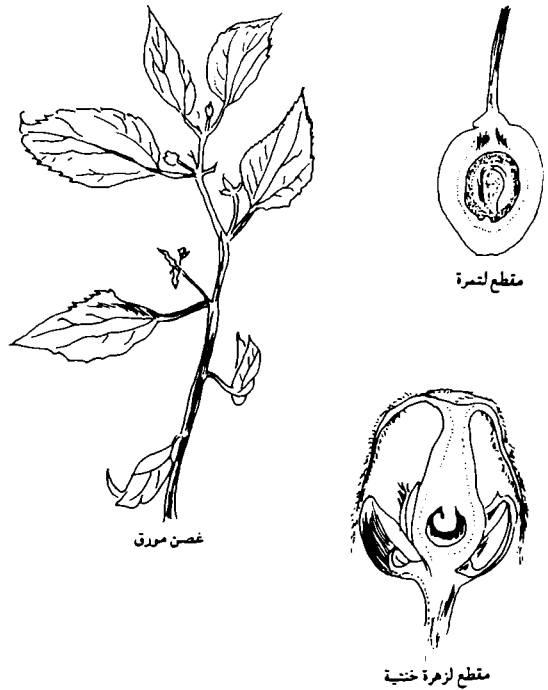
1862.

م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 224.

محمد حجي

**التَغْفَرَان**، أو أَيْقُوب في المغرب، وميس أو نَشَم في المشرق العربي، مِيكوكُولِيي Micocoulier بالفرنسية. ألقاظ تطلق على نوع شجري يسمى علمياً : سَلْتَيْسُ أَسْتْرَالِيْس Celtis australis وهو ينتمي إلى فصيلة اليوقيصيات Ulmaceae.

## التفراز



متقطع لثمرة

غصن مورق

متقطع لزهرة خنثية

تعمر شجرة التفراز طويلاً إذ من الممكن أن يتجاوز عمرها 500 سنة. تاجه كروي الشكل. قشرة جذعه رمادية اللون وملساء. أغصانه الصغيرة زغباء. أوراقه معنقة وزغباء، رمحية أو بيضوية الشكل. تظهر الأزهار والأوراق معا في فصل الربيع. الأزهار صغيرة وقليل منها ذكورية، مجتمعة في ازهرات صغيرة على شكل عناقيد. تظهر

وأغرائه بالحوافز المادية والمعنوية التي يستجيب إليها فكان حسن استجابته وامتناله للتعليمات الصادرة إليه معادلا للمزيد من التكريم والعطاء والتعويض عن طريق الترقيات والمكافآت المتنوعة.

يكاد لا يخلو أي قطاع من قطاعات الوظيفة العمومية في المغرب من جهاز مكلف بمهمة مراقبة الموظفين وتفتيشهم في مختلف الإدارات مدنية كانت أو عسكرية، عامة أو خاصة. وينقسم طاقم التفتيش عادة إلى أنواع معروفة من المفتشين المتخصصين العاديين والمفتشين العامين ثم المفتشين فوق العادة ولجان التفتيش المتعددة الاختصاصات. وعلى الرغم من اختلاف مهام كل نوع من هذه الأنواع، فإن دورها كلها يتمثل في ضمان السير العادي لمؤسسات الدولة وتطبيق التعليمات ومراقبة أشكال العمل ومستوى المردودية والإنتاج وأساليب تنفيذ المذكرات الصادرة من الدوائر الإدارية العليا في البلاد في كل منطقة وكل إدارة وكل اختصاص.

وتقتزن عمليات التفتيش التي يقوم بها المسؤولون المذكورون بزيارة الأشخاص والإدارات وتفحص الوثائق والسجلات وأدوات العمل وتقوم باستجواب العاملين ومقابلتهم وتدقيق النظر في التجهيزات الموجودة في عين المكان. وبعد الاستعانة بمعظم أساليب المراقبة والتحري ينهي المفتشون زيارتهم بكتابة تقارير موجزة أو مطولة حسب الحالات في عدة نسخ رسمية ترفع إلى المسؤولين الإداريين الأعلى. وتتضمن هذه التقارير وصفا دقيقا لواقع الجهة التي تم تفتيشها من حيث التجهيز والتنظيم والتسيير والاجتهادات المسجلة في هذه المجالات والمخالفات المرتكبة مع مجموعة من الاقتراحات القمينة بإصلاح أوضاع غير سليمة في حالة وجودها. وهذه نماذج من أشكال التفتيش نذكرها على سبيل المثال لا الحصر. يقوم المفتشون العامون للشرطة ومفتشو الجمارك والملاحة البحرية مثلا بالبحث عن المخالفات المرتكبة في تطبيق قوانين الدولة في مجال الحياة العامة وأمن البلاد واحترام حدودها ومدى الالتزام بقوانين الملاحة والصيد البحري. ويهتم مفتشو الشغل وإدارة السجون ووزارة العدل بضمان حسن السير العادي للعلاقات بين المشغلين والعمال وتوفير الظروف المناسبة لنزلاء السجون وتطبيق المسطرة في تنفيذ الأحكام بالعدل والتساوي بين الناس. ويراقب مفتشو مكاتب الحالة المدنية والجماعات المحلية ووكالات توزيع الماء والكهرباء مدى دقة التسجيل الديمغرافي للولادات والوفيات وسير إدارة الجماعات القروية والحضرية بشكل يخدم المصلحة العامة وضمان حسن التوزيع للماء والكهرباء وتدقيق الحسابات المتعلقة بصبيب هاتين المادتين والأسعار المتداولة في استخلاص واجباتهما. ويسهر مفتشو الدرك الملكي والقوات المساعدة والقوات المسلحة وغيرها من الإدارات ذات الطابع العسكري على انضباط العاملين فيها للقوانين العسكرية وتنفيذ الأوامر وتحديد السلوكات طبقا

لما تنص عليه المسطرة العسكرية. ويوكل إلى مفتشي المالية ومفتشي الاقتصاد والتخطيط بضبط المسائل المالية المتعلقة بالصادرات والواردات وأشكال الإنفاق ومدى تطبيق التعليمات المتعلقة بالتخطيطات التي تحددها الدولة.

م. مرغيني، الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1978 :  
ع. بنشهو، النظام الإداري بالمغرب، الرباط، د. ت. : الظهير الشريف رقم 1.53.008 بتاريخ 4 شعبان 1377 / 24 أكتوبر 1958 :  
خ. المير وا. قاسمي، التشريع الإداري والتسيير التربوي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء : وزارة الشؤون الإدارية، الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية، الجزء الأول، الرباط، د. ت. : الجريدة الرسمية رقم 3764 بتاريخ 23 أكتوبر 1984، وعدد 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985.

\* \* والتفتيش في قطاع التعليم اليوم خاضع للمرسوم الوزاري رقم 2.85.742 الصادر بالجريدة الرسمية رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985 الذي يقسم موظفي وزارة التربية الوطنية، حسب التنظيم الجديد الذي دخل حيز التطبيق ابتداء من الموسم الدراسي 1985. 1986، إلى سبعة أصناف هي : هيئة التأطير والمراقبة التربوية (التفتيش)، هيئة رجال التعليم، هيئة تسيير المصالح الاقتصادية، هيئة التوجيه والتخطيط التربوي، هيئة التوثيق المدرسي والجامعي، هيئة الحراسة التربوية وهيئة المختبرات المدرسية والجامعية.

وتتألف كل هيئة من الهيئات المذكورة من عدة أطر متخصصة تقوم كل منها بمهام تحددها التشريعات التربوية الجاري بها العمل. أما هيئة المفتشين فتحتضن ثلاثة أنواع من التخصصات لكل نوع إطاره الخاص به : مفتشو التعليم ومفتشو التخطيط التربوي ومفتشو المصالح الاقتصادية. وينقسم مفتشو التعليم بدورهم إلى ثلاثة أصناف : مفتشو التعليم الابتدائي (السلك الأول من التعليم الأساسي) ومفتشو التعليم الثانوي ثم المفتشون الممتازون. ويشتمل إطار مفتشي السلك الأول من التعليم الأساسي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 10 في حين يشتمل إطار مفتشي التعليم الثانوي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 11. أما إطار المفتشين الممتازين فيتضمن درجة واحدة ترتب خارج السلاليم (الرتبة الاستثنائية أو خارج الإطار).

ويلتحق بمهمة التفتيش في السلك الأول من التعليم الأساسي كل معلم رسمي قضى عشر سنوات على الأقل من الخدمة الفعلية في التدريس واجتاز بنجاح مباراة ولوج المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم بالرباط. وبعد دراسة تستغرق ثلاث سنوات في شعبة السلك الأول من التعليم الأساسي واجتياز امتحان التخرج بنجاح يعين الطالب المفتش المعني مفتشا بإحدى مقاطعات نيابة من نيابات وزارة التربية الوطنية بالمملكة. ويشترط في مفتشي التعليم الثانوي، بالإضافة إلى حصولهم على إجازة جامعية أو ما يعادلها في مادة تخصصهم وأقدمية لا تقل عن

خمس سنوات في العمل واجتياز مباراة الدخول إلى المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم والتخرج بنجاح من شعبة التعليم الثانوي بعد دراسة تستغرق سنتين. ويتم الالتحاق بإطار المفتشين المتمازين بعد قضاء خمس سنوات من العمل الفعلي على الأقل في مهمة التفتيش بالتعليم الثانوي والتسجيل في لوائح الترقية للدرجة الممتازة والحصول على الترقية الإدارية. ولا تتم الترقية خارج الإطار إلا في حدود المناصب المالية الشاغرة في كل سنة.

وقد كانت هذه المهمة قبل تأسيس المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم تسند إلى معلمين رسميين يقومون مقام المفتشين في السلك الأول من التعليم الأساسي وإلى أساتذة من السلك الأول أو الثاني يكلفون بتفتيش المواد المختلفة التخصصات مقابل تعويضات عن التنقل والإقامة والمهام.

ويكلف مفتشو التعليم على اختلاف درجاتهم وأطرحهم بالتأطير والمراقبة التربوية للمدرسين العاملين في المؤسسات العمومية الخاصة ومؤسسات تكوين الأطر وتتبعون تكوين واستكمال تكوين هذه الأطر ويساهمون في تنظيم وتسيير وإجراء الامتحانات والمباريات التعليمية والتربوية والمهنية. وعند الاقتضاء يسند إليهم الوزير المكلف بالتربية الوطنية مهمة القيام بدراسات في مجال التربية والتعليم والمشاركة في تأليف الكتب المدرسية ومراجعة المناهج والبرامج الدراسية ومباشرة تقيّمها وإنجاز أبحاث فردية أو جماعية قصد تحسين مردودية التربية والتعليم.

عبد الله الأشقر، منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الاشراف التربوي، ندوة الاشراف التربوي بين النظرية والممارسة، الدار البيضاء، 22-23 أبريل 1994؛ المجريدة الرسمية رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985؛ خالد المير وإدريس القاسمي، التشريع الإداري والتسيير التربوي، الدار البيضاء، 1982؛ عبد العزيز أمين، الاشراف التربوي واقع وآفاق، المجلة التربوية عدد 2؛ محمد عابد الجابري، من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية، الدار البيضاء، 1981؛ محمد بوسلام، تفتيش التعليم بين النصوص والواقع، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم، الرباط، 1986-1987.

R. Glotin, *A la recherche de l'école de demain*, Paris 1970 ; P. Paillet, *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974 ; *Le problème de l'inspection et l'éducation nouvelle*, Rabat, [s.d.] ; A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981 ; I.C.E.M., *L'inspection en question*, Nov. 1982, s.l.

محمد بوسلام

**التفرسيطي** ابن سلام، هم جماعة من القواد من أبناء وحفدة سلام بن الطيب الذي كان من القواد الأوائل المنتمين إلى هذه الأسرة. وكان لسلام أربعة أبناء : حمادي وهو أكبرهم، وعمر، ومحمد، وعبد السلام. ولأسباب تعود إلى النزاع بين الأسر على السلطة المحلية قُتل حمادي وعمر. وحينما أظهرت الوثائق المخزنية خضوع قبيلة تفرسيت للنظام الإداري الجديد المستحدث بالقبائل، والمتميز بتوزيع القبيلة الواحدة إلى عدة قيادات، طبقاً لرغبات أهلها،

وجدنا من اسمه عمر بن سلام التفرسيطي قائداً على خمس جماعات وذلك قبل عام 1301. خلفاً لوالده سلام بن الطيب ثم اتسعت شقة الخلاف بين أبناء سلام إلى شقين :

- طائفة يمثلها محمد بن سلام، وابن أخيه عياد بن عمر بن سلام وسنه ست عشرة سنة. كانا مدفوعين للمطالبة بالقيادة بمساندة العربي الوليشكي قائد بني وليشك المجاورين لتفرسيت من جهة الشمال. وانضفت إلى هذا النزاع جماعة من بني توزين تدعى بني بويري، مستقرة بين أيت إبراهيم وأيت ملول. وبذلك تم تعيين محمد بن سلام خلفاً لأخيه عمر. إلا أن هذا توفي خلال الأيام الأولى من ربيع الأول 1301 / يناير 1884.

- طائفة يقودها عبد السلام بن سلام، ظهرت رغبته في السلطة إثر وفاة أخيه محمد، مما جعله يستولي على أملاك أخيه عمر ويحاول القبض على ابنه عياد بن عمر الذي يادر بالفرار إلى بني وليشك. ووقف في صف عبد السلام بن سلام المرابط المختار محمد بوجدين. صاحب زاوية بوجدين التوزانية. وللتوصل إلى غرضه جمع عبد السلام بن سلام أعيان جماعات إمامجين، وبوخفورة والبراغثة ونصف جماعة زراوغة، وهي مندرجة في فرقة بني محمّد إلى جانب جماعة مزد لأصّة المنتمية إلى فرقة بني خالد. وتوجه بهم إلى فاس قصد الأشهاد على تعيينه كما جرت به العادة. وبذلك أصبح قائداً على تلك الجماعات ابتداء من 29 ربيع الأول 1301 / 28 يناير 1884.

ورغم ما قام به عبد السلام بن سلام من استرجاع ابن أخيه عياد إلى صفه (1304) ومصالحة الجماعة المتمردة عليه، فإن ذلك لم يخفف من تحرشات العربي الوليشكي، أو من تدخلات جماعة بني بويري الذين كانوا أكثر خطراً عليه، إذ أدى بهم الأمر إلى الهجوم على داره وهدمها وإخلاء ساكنيها والاستحواذ على ما كان بها من الممتلكات، مما حمله على التوجه إلى البحث عن المساعدة المخزنية، فظل ينتظر بفاس تسعة أشهر، وإلى غاية رجب 1307 / فبراير - مارس 1890 كان لا يزال بالمكان ليعود بدون نتيجة. وبمجرد عودته تم طرده فخرج هارباً إلى المطالسة المجاورة لقبيلته، ولم يعد إليها إلا تحت حماية المحلة المخزنية الواردة في محرم عام 1310. وفي 23 منه كتب إلى السلطان : "... حينما خيمت المحلة بواد كرط، يوم ورودها من الحضرة العالية، طلبنا منهم (كذا) النزول على أهل تفرسيت والتضييق بهم. فإن جميع أهل الريف ينظرون إلى عاقبتهم. فإن أهل تفرسيت حين نهضت المحلة لسلوان، دخلوا لهم أهل الوسوسة كالتوزاني (محمد أمغار)، ونقلوا جميع متاعهم لفخدة من بني توزين يعينونهم على الفساد. وهم بني بيسر. فالمطلوب أن يأمر أخاه سيدي عثمان بالتضييق عليهم حتى يؤدوا ما بذمتهم من الحقوق ويتروكون (كذا) اللّف مع أهل تفرسيت 23 محرم 1310".

استمر عبد السلام بن سلام في استمداد المخزن والإلحاح على إعادة بناء قصبه تفرسيت، ولم يتحقق عقاب



التفروستيين إلا في بداية 1313 على يد رئيس المحلة محمد الأمراني. ورغم ذلك فإنهم أصروا على تولية التفروستي عمرو بن عبد الله. وحينما أعياى السلطان أمرهم لبي رغبتهم وعزل عبد السلام ابن سلام بالأمر السلطاني الصادر إليه في 24 قعدة 6 / 1316 أبريل 1899. وثائق مخزنية خاصة : ضابط الأمور الوطنية، 93.

حسن الفكيكي

**التَّفْرُوسْتِي**، عبد الله بن حسين الدرعي، التَّلْكَمْتِي - بَجِيم معقودة -، نسبة إلى تَفْرُوسْت، وهو مدشر يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة، على بعد حوالي عشرين كلم شمالي زاغورة. ترجم له محمد بن عبد الله الخليفتي فقال عنه : "الشيخ الصالح العالم العلامة الدراك الفهامة... ذي الخلق الحسنة والسجية المرضية، كان إماما عالما عاملا، فقيها تابعا للسنة، زاهدا، تقيا، تاليا لكتاب الله تعالى آتاء الليل وأطراف النهار..." ( الدرّة الجليلية، 225).

انخرط التَّفْرُوسْتِي في سلك الناصريين على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وهو الذي أمره بالانتقال إلى تَلْجَمْت - وتسمى أيضا تافشنة - شمال شرقي زاغورة، على بعد حوالي ستين كلم منها. بعث به إلى تلك القرية ليقوم بتعليم أهلها وإرشادهم، ويث تعاليم الطريقة هنالك ؛ فاستنابه به عنه في تلقين الأوراد الناصرية ( الدرّة الجليلية،

225). واستوطن تلك البلدة وحسنت سيرته، فانكب على التدريس والإفتاء طيلة حياته. ولاشك أنه قام بدور بالغ الأهمية من أجل ترسيخ التعاليم الاسلامية وتكريس الثقافة العربية في تلك الجهات النائية. وكان هرمياقي تلاميذ الناصريين المنبثين في تلك الجهات يشكلون حلقات متواصلة في سلسلة الطريقة القوية آنذاك، والتي عملت كلها من أجل تلك المبادئ. وهكذا كانت بينه وبين عبد الله الخليفتي المتوفى سنة 1196 / 1782، مراسلات من بينها رسالة أثبتتها الخليفتي الابن في كتاب الدرّة الجليلية، نتبين من خلالها مدى العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين كتلميذ للشيخ أحمد ابن ناصر ( الدرّة الجليلية، 226).

وكان التفروستي من أشهر فقهاء تلك المنطقة، حيث تخرج على يديه تلاميذ كثيرون من بينهم عبد الله الخليفتي سابق الذكر. وقد أشار في كتابه الدرر اللوامع، الذي نقل عنه ابنه ترجمة التفروستي إلى أن والده استفاد من المترجم "فوائد".

ولم يشر الخليفتي الذي انفرد بالترجمة له، إلى تاريخ وفاته، ونرجح أن يكون قد توفي بعد وفاة والده، أي بعد سنة 1196 / 1782.

محمد بن عبد الله الخليفتي، الدرّة الجليلية، تج. أحمد عمالك، 1986.

أحمد عمالك

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا  
في شوال عام 1415 / مارس 1995



مطابع سلا  
البي الصناعات التاريخية - سلا  
الهاتف : 85.06.92 / 78.87.02 (07)

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**  
**Mohammed Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohmed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.  
Brahime BOUTALEB, Faculté des Lettres, Rabat.  
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.  
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour la Recherche  
Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature


Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.  
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.  
Mustapha AYADA, Faculté des Lettres, Rabat.  
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Forestière, Salé.  
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction  
même partielles sous quelque forme que ce soit.



IMPRIMERIE DE SALÉ

Zone Industrielle de Tabriquet - SALÉ

 (07) 78.87.02 / 85.06.92

© COPYRIGHT IMPRIMERIE DE SALE

**Copyright © 1995**

**ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7**

**ISBN (Tome VII) 9981 - 03 - 007 - 4**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

**1995 - 1415**

المغرب والأندلس

المرابطون يفتحون سجلماسة على آخر أمير مغراوي.

المرابطون يدخلون اغمات.

تأسيس مراكش.

وفاة ابن حزم.

المرابطون يفتحون فاسا.

تدخل المرابطين في غانا.

سقوط طليطلة.

وفاة زعيم المرابطين أبي بكر بن عمر.

انتصار المرابطين بمعركة الزلاقة بالأندلس.

وفاة يوسف بن تاشفين.

إحراق كتب الغزالي في إيالة المرابطين.

ابن تومرت يبدأ عودته من المشرق.

سقوط سرقسطة.

ابن تومرت يتسمى مهدياً.

استقرار ابن تومرت بتينمل وبداية حركة الموحدين.

وفاة المهدي بن تومرت.

الموحدون يدخلون مراكش.

وفاة القاضي عياض.

وفاة عبد المؤمن بن علي.

1050 / 442

1053 / 445

1055 / 447

1057 / 449

1062 / 454

1064 / 456

1069 / 462

1071 / 463

1075 / 468

1085 / 478

1086 / 479

1086 / 479

1090 / 483

1099 / 492

1106 / 500

1109 / 503

1111 / 505

1116 / 510

1117 / 511

1121 / 515

1125 / 518

1130 / 524

1146 / 541

1149 / 544

1163 / 558

1171 / 566

المواقع الرئيسية

في بقية العالم الإسلامي

وصول قبائل بني هلال إلى إفريقيا.

حطامة

بغداد

القنات

الأتراك السلاجقة ببغداد.

قاس

انتصار الأتراك السلاجقة على البيزنطيين في مانزكرت.

غانا

كاتم

صقلية

الأطلس

اعتناق ملك كاتم الإسلام.

استيلاء النورمانديين على صقلية.

أول إشارة إلى البوصلة عند العرب.

القدس

مراكش

استيلاء الصليبيين على القدس.

وفاة الغزالي.

سرقطة

تيفل

مراكش

سنة

نهاية دولة بني حماد.

نهاية دولة بني زيري.

Encyclopédie  
du  
Maroc

